مجلة المجمع العلمي العربي

كانون الثاني « يناير » سنة ١٩٦٣ م

شعبان سنة ١٣٨٢ هـ

مجلة
المجمع العلمي العربي
دمشق

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي	في جميع البلاد العربية	١٠٠٠ قرش سوري
	وفي سائر الأقطـــار	١٢٠٠ قرش سوري

وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتّاب في هـذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .

المصطلحات العلمية العربية

في بغداد [1]

المصطلحات في القديم :

إذا قال قائل : « بغداد مهد المصطلحات العربية القديمة في العلوم والفنون والفلسفة » لا يكون مشتطاً في قوله هذا ولا يكون من المخطئين . فمن المعروف أن العربية المُضَرية لم تكن قبيل الإسلام من اللغات المنحطة ، بل كانت لغة حضارية فيها أدب وشعر وحكم وأمثال وأساطير ، وفيها ألفاظ عديدة تعبر عما كانت القبائل تعرفه في ذلك الزمن : كنبات الجزيرة العربية وحيوانها وتضاريس أرضها ، وكخلق الخيل والأنعام وأمراضها ، وكزراعة الحبوب والنخل والكرم وغيرها ، وكالأحوال الجوية والنجوم والحساب الخ . ولكن هذه المعارف وأشباهها كانت بدائية لا يمكن عدها علوماً ، وكان معظم ألفاظها عربيَّ النِّجار ، ولكن قسماً منها كان اقتبسه عرب الجاهلية من الفارسية كالجُلاّب والجُلَّنار والسندس والدسكرة والإبريق والدولاب والكعك والسميد والخشاف والديباج ، أو من السنسكريتية كالزنجبيل والجاموس والفلفل والصندل والكافور والقرنفل والمسك ، أو من اليونانية كالقسطاس والفردوس والقنطار والقبان والترياق ،

(١) دُعي الأمير مصطفى الشهابي الى المشاركة في الاحتفالات التي أقيمت في بغداد ، بمناسبة الذكرى الألفية لمدينة السلام وللكندي فيلسوف العرب ، فحالت موانع صحية دون سفره . وبناء على رغبة لجنة الاحتفالات بعث اليها بهذا البحث الموجز والمكثف .

أو من السريانية (ومعظمها ألفاظ دينية أو زراعيـة) كالكنيسة والبيعة والكهنوت والناقوس والمسيح والشماس والفدان والنورج والناطور والأكّار والفجل والزعرور والبلوط ، أو من العبرية كالتوراة والشيطان وجهنم والأسباط ، أو من الحبشية كالنجاشي والمنبر والمصحف والتابوت والحواريين .

ومن المعروف أيضاً أن القرآن الكريم هو كتاب دين ودنيا جميعاً ، وأن المسلمين سارعوا في زمن الراشدين والأمويين إلى فهم آياته ، وإلى فهم حديث النبي العربي ﷺ فهماً صحيحاً ، فنشأ في صدر الإسلام علماء أجلة ، ونشأت معهم نواة علوم وتشريعات هي من أجل ما وضعه العقل البشري في هذه الأمور . واقتضت علوم الفقه والحديث والتفسير وغيرها وضع مصطلحات عديدة استنبطها العلماء من صلب اللغة العربية ، بوسائل الاشتقاق والمجاز والتضمين ، وتركوا لنا في مصنفاتهم النفيسة كنزاً من ذخائر المصطلحات اللغوية والشرعية تفيد كل باحث في علوم اللغة العربية ، وكل عامل في تأليف الكتب الحقوقية ، أو في ضبط لغة القوانين في أيامنا هذه .

ويقال مثل ذلك فيما أوجده القدماء من المصطلحات الإدارية والسياسية والمالية والعسكرية ، بعد أن امتدت الفتوحات الإسلامية واتسعت رقعة الدولة ، وذلك بتبديل المعاني الأصلية لبعض الكلم وتضمينها معاني جديدة ، أو بتعريب بعض الكلمات الأعجمية ، أو باشتقاق ألفاظ جديدة ، مما جعل لغتنا العربية في صدر الإسلام تنمو نمواً كبيراً ، وتوفي بحاجات كثيرة . ومن الأمثلة على تلك الكلم : البريد والدينار والدرهم والديوان والخلافة والدولة والشرطة والجباية والمكس والراتب والسكة الخ . الخ .

ومع هذا ليست هذه العلوم ومصطلحاتها هي التي نعنيها في هذا البحث الموجز . فالعلوم التي يهمنا أن نشير فيه إليها وإلى مصطلحاتها هي علوم الأمم القديمة

كالطب والفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك والطبيعة والكيمياء والزراعة والمواليد الثلاثة وغيرها . وهي علوم اليونان والرومان والفرس والهنود والكلدان وغيرهم ، فقد بدأ نقل بعضها إلى العربية في أواخر عهد الأمويين ، ولكن الفضل في نقل معظمها يرجع إلى زمن المنصور وهارون الرشيد ، ولا سيما إلى زمن المأمون في بغداد . فعصر المأمون كان العصر الذهبي لتلك العلوم ، وبغداد كانت مهدها . ومن بغداد انطلقت غرباً إلى الأقطار الإسلامية ، حتى بلغت قسماً من البلاد الأوربية فلبث سكانها مئات من السنين يستنيرون بها وبما أضافه علماؤنا القدماء إليها من نتائج قرائحهم الفياضة .

ولا يجهل أحد من المطلعين على تاريخ لساننا أسماء الناقلين القدماء للعلوم المذكورة ، وهم الذين كانت بغداد مركزاً لنشاطهم في عصر النهضة العلمية الأولى ، ومنهم حُنين بن إسحاق العبادي ، وابنه إسحاق بن حنين ، والحجاج ابن مطر ، وثابت بن قُرّة الحراني ، وقسطا بن لُوقا البعلبكي ، ويوحنا بن ماسويه ، وجورجيس بن بَختيشوع وآله ، وابن ناعمة الحمصي ، ويحيى بن عدي وغيرهم ، وكان فوق هؤلاء جميعاً يعقوب بن إسحاق الكندي فيلسوف العرب وصاحب الكتب العديدة المترجمة والمصنفة في معظم العلوم الدخيلة . ومن الواضح أن معظم الناقلين الأولين كانوا من السريان ، وأن النقل دام بعد أيام المأمون . وكان للسريان قُبيل الإسلام مدارس كثيرة في ديار ربيعة (الجزيرة) خاصةً ، اشتهرت منها مدرسة الرها ومدرسة نصيبين . وكان لهم أديار فيها علماء درسوا في مدرسة جنديسابور الشهيرة . وقد نقل المترجمون الذين ذكرتُ أسماء بعضهم علوم الأمم القديمة إلى لسانهم ، ثم نقلوها إلى العربية إما من السريانية ، وإما من اليونانية . وكذلك نقل ابن وحشية إليها من النبطية ، ومنكه الهندي من السنسكريتية ، وآل نوبخت ، وابن المقفع من الفارسية .

ولم يكن نقل تلك العلوم إلى لساننا أمراً سهلاً ، فالذين وضعوا العلوم النقلية كالفقه والحديث والتفسير وما إليها كانوا عارفين بأسرار اللغة العربية فجاءت مصطلحاتهم فصيحة ومحكمة ومستنبطة من صلب اللغة . أما ناقلو العلوم الدخيلة فقد كان جلهم ، كما قلت ، من غير العرب ، وكان كثير من موضوعات العلوم التي نقلوها مجهولاً ، ولذلك وجدناهم يعرّبون بادئ ذي بدء الكثير من الألفاظ الأعجمية ، إما لضعفهم بالعربية ، وإما لاستسهالهم التعريب ، وإما للأمرين جميعاً . فمن ذلك تعريب ألفاظ ارثماطيقي (الحساب) وفيزيقي (الطبيعة) وقاطيغورياس (المقولات) ، وأسطقس (العنصر) ، وأشباهها من الكلم التي سرعان ما وجدوا لها بعدئذ كلمات عربية صالحة . ومع هذا لبث في العربية كلمات كثيرة عُربت منذ ذلك الزمن كالفلسفة والإقليم والمغناطيس ، وكالترياق والقولنج والسرسام في الطب ، والخيار والباذنجان والمقدونس والنيلوفر والأفسنتين في النبات الخ .

أما المصطلحات العربية النجار التي وضعوها للدلالة على مسمياتها العلمية فهي ألوف من الكلم دخلت لغتنا العربية ، واندمجت في جملة ألفاظها ، وأدمج معظمها في معجماتنا الأصلية . ففي الطب مثلاً قالوا : التشريح والجراحة والكحالة . وسموا بعض الأمراض بمثل السلاق والخانوق والربو والذبحة وذات الجنب إلى آخر ما وضعوه من الكلمات العديدة في الأمراض وأعراضها وأدويتها ومداواتها مما لا تتسع هذه اللمحة الخاطفة لذكره .

وفي الفلسفة والمنطق قالوا : العلة والمعلول ، والصورة والجوهر ، والكلي والجزئي ، والعرض والموضوع والمحمول ، والقياس والاستنتاج والمقولات ، والأزل والأبد والقديم والحديث وأشباهها من الألفاظ التي جعلوا لها في الفلسفة والمنطق معاني اصطلاحية محددة .

ووضعوا أسماء عديدة لأعيان النبات والمفردات الطبية مما لم تعرفه العرب في جزيرتها ، فترجموا بعض الأسماء الأعجمية بمعانيها ، وعرّبوا بعضها كالتي ذكرتها . أما ما ترجموه من أسماء النبات فمثل كثير الأرجل ، وآذان الفأر ، وآذان العنز ، ولسان الثور ، وأنف العجل وأشباهها من الأسماء .

واتسعت لغتنا الضادية لجميع مصطلحات العلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر ومثلثات فقالوا مثلاً الدائرة والقطر والمربع والمثلث والمخروط والجيب والماس وغيرها . وكذلك اتسعت لمصطلحات علم الطبيعة (الفيزياء) . أما النجوم فقد عربوا أسماء بعضها من اليونانية ، ولكنهم وضعوا للكثير منها أسماء عربية نقلها الأوربيون من لغتنا إلى لغاتهم . وفي المعجم الفلكي للدكتور أمين المعلوف عدد كبير من الأسماء الأعجمية التي هي من أصل عربي .

ولم يكن عمل الذين جمعوا وضبطوا ألفاظ العلوم ومصطلحاتها ، أو وسّعوا علوم الأقدمين وألفوا فيها أقل شأناً من عمل الناقلين الأولين . ولا يجهل أحد فضل الذين كانت بغداد مركزاً لنشاطهم أو لبروز عبقريتهم كالأصمعي المتوفى سنة ٢١٦ (— ٢١٦) وصاحب الكتب المشهورة في الإبل والخيل ، والشاء ، والنبات والشجر ، والنخل والكرم وغيرها . وكأبي عُبَيدة (— ٢١٠) له كتاب الزرع وكتاب الحيات وكتاب الخيل وكتاب الإبل وغيرها كثير . وابن قُتيبة (— ٢٧٦) الذي ولد ببغداد ونشأ بها وألف كتابه النفيس (أدب الكاتب) ، وكتاب الأشربة ، وكتاب الأنواء ، وكتاب الخيل . وكأبي حنيفة الدينوري (— ٢٨٢) العالم الثقة وأعلم علماء زمانه بأسماء النبات ، أخذ عن الكوفيين والبصريين ، ودخل بغداد ، ولو لم يكن له إلا « كتاب النبات » الذي نقل عنه أصحاب الأمهات من معجماتنا لكفاه فخراً . وكالكندي فيلسوف العرب (— ٢٦٠) الذي مر ذكره ، وهو من ملوك كندة ، لم

يبلغ أحد مبلغه فيما نقله وألفه في علوم زمانه ، وكابن السكيت (— ٢٤٥) له كتاب الألفاظ ألفه على المعاني والموضوعات .

ويطول بنا نفس الكلام إذا ما رحنا نستقصي أسماء جميع الرواد من جامعي الألفاظ العلمية ومصطلحاتها ، وكذلك أسماء الذين عاشوا زمناً في بغداد ، وألفوا كتباً علمية ، واستعملوا فيها مصطلحات عديدة مثل ابن ماسويه (— ٢٢٣) والرازي (— ٣٢٠) ، والفارابي (— ٣٣٩) ، دع الذين وضعوا في اللغة كتباً مشهورة كابن دريد الأزدي (— ٣٢١) صاحب كتاب الجمهرة ، وأبي هلال العسكري (— ٣٩٥) له كتب في اللغة ، والجوهري (— ٣٩٣) صاحب معجم الصحاح ، وأبي منصور الجواليقي (— ٥٣٩ أو ٥٤٠) كان يعد من مفاخر بغداد ، له كتاب المعرب من الكلام الأعجمي وغيره .

مناهج القدماء في وضع المصطلحات :

ويفيد ، بعد هذه اللمحة ، أن نلقي نظرة على النهج الذي سار عليه هؤلاء العلماء في وضع المصطلحات العربية للعلوم التي ترجموها أو ألفوا فيها . فمما نجده عندهم في هذا الباب :

(ا) تحوير المعنى اللغوي القديم للكلمة العربية ، وتضمينها المعنى العلمي الجديد .

(ب) اشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية أو معربة الدلالة على المعنى الجديد .

(ج) ترجمة كلمات أعجمية بمعانيها .

(د) تعريب كلمات أعجمية وعدها صحيحة .

فقد وجدناهم مثلاً يحورون معاني ألوف من الكلمات ويضمنوها معاني اصطلاحية علمية جديدة لم تكن معروفة قبل الإسلام كالتحجير وإحياء الأرض الموات وأرض الخراج وأرض العشر والمزارعة والمساقاة والدولة ودار الضرب والسكة والجباية والمكس الخ .

ووجدناهم يشتقون من أسماء الأعيان كقولهم ذَهَّبَ من الذَّهب ، وبَنَّجَ من البنج ، وكَبْرَتَ من الكبريت ، وعصفرَ من العُصْفر ، وفي القاموس المحيط مئات من أشباه هذه المشتقات .

ووجدناهم أيضاً يزيدون ياء النسب والتاء على بعض الكلمات فيصنعون مصادر تعبر عن الهيئات أو الأحوال التي تكون عليها مدلولات تلك الكلمات ، كقولهم فروسية وخصوصية وطفولية وكمية وكيفية وماهية الخ .

ومما يلاحظ تركيبهم لا النافية مع الكلمة العربية في مثل قولهم اللاأدرية واللانهاية . ومنها جمع الصفة التي تكون على وزن فَعْلاء ، بالألف والتاء ، عندما تُنزل مُنزل الاسم ، وذلك في مثل الخضراوات والورقاوات والبطحاوات .

ومنها النسب إلى الجموع إما استثناء أو على مذهب الكوفيين ، في قولهم شُعُوبي واخواني وصبياني وملوكي وملائكي وتعاويذي وقلانسي الخ .

ومنها ترجمة حرف غَمَّا اليوناني و (g) اللاتيني غيناً لا جيماً ، وذلك في مثل قولهم غاريقون وأناغورس وغرناطة وهكذا . ومن المعروف أن تسعة أعشار البلاد العربية تلفظ الجيم مخففة لا كما يلفظها سكان القاهرة .

ومن ذلك ترجيحهم ، في ترجمة علوم القدماء ، الاشتقاق أو المجاز على تعريب الألفاظ . ومع هذا ألفيناهم يكثرون من تعريب أسماء أعيان النبات والحيوان ، وأسماء العقاقير والأطعمة والأشربة والألبسة الأعجمية . أما النحت فقد كان عندهم نادراً . وهو اليوم لا يصلح إلا قليلاً في وضع المصطلحات العلمية ، فكلمتان أصلح من كلمة واحدة منحوتة يمجها الذوق ويستغلق فيها المعنى . والتركيب المزجي ، عند الحاجة ، أصلحُ من النحت .

وكانوا يعملون بما أقره اللغويون والنحويون المشهورون من قواعد عدوها أو عدها قسم منهم قياسية ، منها اشتقاق كلمات على وزن (فُعَال) و (فَعَل) للمرض . ومنها اشتقاق أسماء للآلات على وزن (مِفْعَل ومِفْعَلة ومِفْعال) ،

واستعمال اسم الفاعل ومبالغته (فَعّال) لهذا الغرض . وكذلك استعمال وزن (مَفعَلة) للمكان الذي يكثر فيه الشيء ، ووزن (فِعالة) للحرفة .

وهذه القواعد وأشباهها هي التي رجع إليها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في وضع قرارات فتح بها الكثير من أبواب القياس ، وسهّل بها عمل واضعي المصطلحات العلمية ومحققيها . وقد ذكرتُ معظم هـذه القرارات في كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية ، في القديم والحديث » ، وفي مقدمة الطبعة الثانية من « معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية » ، وألمعت إليها أخيراً في « معجم المصطلحات الحراجية بالانكليزية والفرنسية والعربية » .

ويتضح من هذه الخلاصة أن علماءنا القدماء طوعوا أو طوروا لغتنا الضادية حتى استوعبت ما عُرف من علوم الأقدمين وعلوم زمانهم ، وأوجدوا لنا في تلك العلوم ، ولا سيما في العلوم الشرعية والفلسفية ، ألوفاً من المصطلحات يجب أن لا يجهلها علماء أيامنا هذه .

ويتضح أيضاً أن بغداد ظلت في حقبة مديدة من الزمن أهم منطلَق للعلوم القديمة ومصطلحاتها وأصلح بيئة لها ، إلى أن أفلَ نجم حضارتنا العربية الزاهرة باستيلاء برابرة الشرق على العراق .

اصطلاحات العلوم الحديثة في بغداد :

لم تنس بغداد ، في النهضة الحديثة ، المنزل السامي الذي كانت تتبوّؤه في الزمن الماضي ، فبرز فيها علماء عالجوا الشؤون اللغوية ومنها مفردات العلوم والفنون الحديثة ومصطلحاتها . فمن الذين عرفتهم وناقلتهم الحديث :

الأب أنستاس ماري الكرملي (— ١٩٤٧) فقد كان ، على ما أعلم ، أول من عني بهذه المباحث في مجلة « لغة العرب » التي أصدرها في بغداد سنة ١٩١١ م . وأوقفها سنة ١٩١٤ ، في بدء الحرب العالمية الأولى ، ثم عاد

فأصدرها من سنة ١٩١٨ حتى سنة ١٩٣١ . وللأب أنستاس مقالات كثيرة في مفردات وتراكيب كان ينقدها ، وفي مصطلحات كان يضعها أو يحققها . وكان ينشر تلك المقالات في مجلته المذكورة وفي « المقتطف » ، و « المشرق » ، ومجلة مجمع دمشق ، ومجلة مجمع القاهرة ، وغيرها . وله كتاب مطبوع في القاهرة سنة ١٩٣٨ أسماه « نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها » . ومما حرره وعلق عليه كتاب « نُخَب الذخائر في أحوال الجواهر » للأكفاني ، طبعه في القاهرة سنة ١٩٣٩ ، وذكر في أحد فهارسه عدة ألفاظ أعجمية أمام الألفاظ العربية . وكثيراً ما كان يذكر لي في حديثه أو في رسائله معجماً كبيراً له سماه المعجم المساعد لم يتصل بي أنه طُبع . وله كتب لغوية أخرى لا تزال مخطوطة .

ومنهم الدكتور مصطفى جواد له في البحوث اللغوية وفي تصحيح أغلاط الكتاب جولات يعد فيها من المبرزين المشهورين . وقد نشر الكثير من مقالاته في مجلة لغة العرب ومجلة مجمعنا الدمشقي ومجلة المجمع العلمي العراقي وغيرها . وله محاضرة نفيسة في المصطلحات العلمية والفنية ألقاها في مؤتمر أدباء العرب المعقود سنة ١٩٥٤ في بيت مري من أعمال لبنان . وله أيضاً كتاب مطبوع سماه « المباحث اللغوية في العراق » وهو جملة محاضرات ألقاها سنة ١٩٥٤ — ١٩٥٥ على طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة . وفي هذا الكتاب آراء كثيرة في المصطلحات . وذكر فيه مؤلفه الفاضل أسماء كتب ألفها في شؤون اللغة ، وهي لا تزال مخطوطة ، فيا ليته يطبعها . وهو اليوم يعالج المصطلحات العلمية في المجمع العراقي مع لفيف من الخبراء في علوم مختلفة .

ومنهم الدكتور داود الچلبي الموصلي (— ١٩٦٠) له في مجلة مجمعنا الدمشقي بحوث نفيسة في أسماء الجواهر وفي مصطلحات طبية ، وله معجم في اصطلاحات أمراض الجلد ، وآراء في مصطلحات طبية وضعها مجمع اللغة العربية في القاهرة . وله أيضاً كتاب في الكلمات الفارسية التي تستعملها العامة في شمالي العراق ،

ومثله رسالة في الكلمات الآرامية (السريانية والكلدانية) ، وفي كل منهما تحقيقات مفيدة .

ومنهم الأستاذ عبد المسيح وزير كان مترجماً في وزارة الدفاع العراقية ، فانتهت إليه مصطلحات عسكرية وضعها الدكتور أمين المعلوف ، وأخرى وضعتها لجنة كانت تألفت في دمشق عقب الحرب العالمية الأولى ، فأضاف الأستاذ عبد المسيح إليها مصطلحات كثيرة ، حتى تألفت لجنة خاصة أفضى عملها إلى وضع معجم عسكري بالانكليزية والعربية .

وعندما انفصل العراق عن الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى ، وأصبحت العربية لغته الرسمية في الحكومة وفي المدارس ، انتقل إليه علماء وأساتيذ شاميون ومصريون عرفتُ منهم اثنين كان لهما في بغداد نشاط يذكر في موضوع الاصطلاحات العلميـة والفنية ، وهمـا الدكتور أمين المعلوف والأستاذ عز الدين التنوخي .

فالدكتور أمين المعلوف (— ١٩٤٣) حصل على الجنسية العراقية ، وعمل مديراً للأمور الطبية في جيش العراق ، فوضع له مصطلحات عسكرية . وكان له اطلاع واسع على أسماء الحيوان ، وأسماء النجوم ، واصطلاحات علم النبات . وله في كل ذلك بحوث جليلة كان ينشرها في مجلة المقتطف ومجلة مجمع دمشق وغيرهما . وهو صاحب « معجم الحيوان » و « المعجم الفلكي » طُبعا في القاهرة ، وكلاهما بالإنكليزية والعربية . وهما من أوثق المراجع فيما اشتملا عليه من أسماء وتحقيقات .

أما رفيقنا الأستاذ عز الدين التنوخي فهو من علماء اللغة وأساتيذ الزراعة ومن أعضاء مجمع دمشق منذ انشائه سنة ١٩١٩ للميلاد . انتقل إلى بغداد سنة ١٩٢٤ ودرّس بالعربية في دار المعلمين الابتدائية والعالية فكانت له يد تشكر في وضع أسماء ومصطلحات عربية للكتب المدرسية ولا سيما في الجيولوجية

وعلم الطبيعة • وقد ألف في بغداد كتاباً مدرسياً سماه « مبادئ الفيزياء » يشتمل على مصطلحات عربية وضع بعضها وحقق بعضاً يوم كانت الكتب العربية في هذا العلم وأشباهه مفقودة ، لأن التركية وحدها كانت لغة التدريس في زمن الدولة العثمانية •

وفي سنة ١٩٢٦ حاولت الحكومة العراقية انشاء مجمع لغوي فلم يتحقق سعيها • وفي سنة ١٩٤٧ أنشئ المجمع العلمي العراقي ، وهو الثالث من مجامع ثلاثة ما برحت تعمل في جد ونشاط ، أقدمها المجمع العلمي العربي بدمشق (١٩١٩ م) وثانيها مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٣٢ م) •

وقد عالج مجمع بغداد بضعة ألوف من المصطلحات العلمية الحديثة ، وأبدى رأيه فيها ، ونشرها في مجلته أو في مجموعات مستقلة ، منها مصطلحات في صناعة النفط ، وفي علم التربية ، وفي علم الفضاء ، وفي التربية البدنية ، وفي هندسة السكك والري والأشغال ، وفي الصناعة والملاحة والطيران ، وفي الألكترون • وكانت وما زالت ترده من دوائر الحكومة والمؤسسات العامة استفسارات عن صحة ألفاظ تبعث بها إليه فيقوّم المعوج منها ، ويبدل من الألفاظ السقيمة أو المرجوحة ألفاظاً صحيحة أو راجحة •

وبعد يتضح من هذه الإلمامة أن دار السلام التي كانت في الماضي مهد المصطلحات العربية في العلوم القديمة ، تشارك اليوم غيرها مشاركة مفيدة في معالجة الاصطلاحات العربية في العلوم والمخترعات الحديثة •

وفق الله علماء العراق الشقيق في خدمة لغتنا الضادية ، وألهم مجامعنا العلمية واللغوية وجامعة الدول العربية اتخاذ وسائل مجدية تفضي إلى توحيد المصطلحات العلمية والفنية في شتى أقطارنا العربية •

مصطفى الشهابي

الاصطلاحات الفلسفية

- ١٤ -

التعميم

في الفرنسية Généralisation

في الانكليزية Generalization

عمّ المطر البلاد شملها فهو عام ، ومنه عمّهم بالعطية . وقد نقل الفلاسفة هذا الفعل الثلاثي إلى وزن فعّل للدلالة على التكثير ، فقالوا عمّمَ الشيءُ ضد خصصه ، ومنه التعميم ضد التخصيص . قال ابن سينا : « فإن كان إدخال الألف واللام يوجب تعميماً وشركة ، وإدخال التنوين يوجب تخصيصاً فلا مهمل في لغة العرب » (الإشارات ، ص ٢٤) . وقال أيضاً : « إعلم أن المهمل ليس يوجب التعميم لأنه انما تذكر فيه طبيعة تصلح أن تؤخذ كلية وتصلح أن تؤخذ جزئية » (الاشارات ص ٢٥) .

والتعميم عند الفلاسفة هو جمع الصفات المشتركة بين الأشياء المفردة في تصوّر واحد . ولهذا التصور أو المفهوم شمول وتضمّن . أما شموله فهو مجموع الأفراد أو الأشياء التي يعمّها ، وأما تضمنه أو مفهومه فهو مجموع الصفات المشتركة بين جميع أفراده .

والتعميم أيضاً ، هو أن تجعل الصفات التي شاهدتها في عدد محدود من أفراد الصنف شاملة للصنف كله .

والتعميم أخيراً هو أن تطلق على صنف معين ما يصدق على صنف آخر شبيه به .

وكل انتقال من الخاص إلى العام أو من العام إلى الأعم فهو تعميم ، كقوانين علم الجبر فهي تعميم لقوانين علم الحساب ، وكقانون الجاذبية العامّة فهو تعميم لقانون سقوط الأجسام .

التعيين ، والتعين

في الفرنسية Détermination

في الإنكليزية Determination

عيّن الشيء خصصه من الجملة وأفرده ، وعين الشيء لفلان جعله مخصوصاً به ، فالتعيين التخصيص ، وهو قصر العام على بعض منه بدليل مستقل ، والتعين التخصص ، وهو ما به امتياز الشيء من غيره ، فإذا أضفت إلى الحدّ صفة تزيد تضمنه وتنقص شموله عيّنتهُ وخصصته . وإذا دلّ التعيُّن على التشخص كان مضاداً للتجريد . قال ابن سينا : « فلا بدّ أنها (أي الأجسام) إذا وجدت متشخصة فإن مبدأ تشخصها يلحق بها من الهيئات ما يتعين به شخصاً » (الشفاء ١ ، ٣٥٣) . وقال أيضاً : فإن كان الشيء « محسوساً فله لا محالة وضع وأين ومقدار معين » (الاشارات ١٣٨) ، وقال أيضاً : إننا « نعرف الأعراض والصور بموادها المتعينة » (منطق المشرقيين ص ٤٥) .

والغرض من التعيين إزالة الاشتباه والإبهام إما مطلقاً وإما نسبياً . فإذا عيّنت الشيء ثبّت طبيعته أو حدوده فصار له في نظرك وضع وأين ومقدار معين .

وللتعيين في اصطلاحنا معان مختلفة منها

١ — تخصيص الشيء بصفات تميزه من الأشياء الأخرى المجانسة له . وتسمى هذه الصفات معينات (Déterminatif) .

٢ — عرفان الشيء من جهة كونه تابعاً لصنف معين .

٣ — معرفة ما يخص الشيء المفرد من شروط لا يشاركه فيها غيره .

وإذا كان بين الشيئين علاقة توجب أن يكون الثاني لازماً عن الأول كانت هذه العلاقة تعيناً . وإذا كانت لا توجب ذلك دلت على عدم التعين .

التغير

في الفرنسية	Changement
في الانكليزية	Change

التغير هو كون الشيء بحال لم يكن له قبل ذلك (التهانوي) أو هو انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى (الجرجاني) .

فمن التغير ما يكون في الجوهر ، وهو الذي يسمى بالكون المطلق والفساد المطلق ، ومنه ما يكون في الكيف وهو الذي يسمى استحالة ، ومنه ما يكون في الكم وهو الذي يسمى نمواً ونقصاً ، ومنه ما يكون في المكان وهو الذي يسمى انتقالاً ، ومنه ما يكون في الزمان وهو الذي يسمى تتابعاً .

فإذا تغير الشيء في ذاته دفعة واحدة كان تغيره دفعياً ، وإذا تغير في الكم أو في الكيف أو في الأين شيئاً فشيئاً كان تغيره تدريجياً .

وللتغير في فلسفة أرسطو معنى خاص ، وهو الانتقال من ضد إلى آخر ، وله ثلاثة أنواع :

الأول هو الانتقال من اللاوجود إلى الوجود ، وهو الولادة أو الحدوث

والثاني هو الانتقال من الوجود إلى اللاوجود ، وهو الموت أو الفناء .
والثالث هو الانتقال من الوجود إلى الوجود ، وهو الحركة .
وطريقة التغيرات الصغرى هي الطريقة التي تصورها الفيلسوف (فوندت) لتعيين نسبة الإحساس إلى المؤثر ، وهي تقوم على البحث عن أصغر كمية يجب زيادتها على المؤثر حتى يشعر المدرك بتغير في الإحساس .

التفاؤل

في الفرنسية	Optimisme
في الانكليزية	Optimism
وأصله في اللاتينية	Optimus

التفاؤل ضد التشاؤم والتطير ، تقول تفاءلت بكذا إذا أملت فائدته ، مثال ذلك أن يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول : يا سالم ، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول : يا واجد ، فيقول : تفاءلت بكذا ، ويتوجه له في ظنه أنه يبرأ من مرضه أو يجد ضالته .

ومذهب التفاؤل هو القول إن الخير في الوجود غالب على الشر (ابن سينا) وإن هذا العالم الذي نعيش فيه هو أحسن العوالم الممكنة (ليبنيز) وإنه ليس في الإمكان أبدع مما كان (الغزالي) وكل فيلسوف يذهب إلى القول إن الوجود أفضل من العدم ، وإن العالم بجملته بديع الصنع ، حسن التأليف ، يغلب فيه الخير على الشر والسعادة على الشقاء فهو فيلسوف متفائل . وليس ينقض ذلك أن في الوجود شراً جزئياً لأن العبرة في الكل لا في الأجزاء . وعلى ذلك فالتفاؤل خير من التشاؤم لأن الناس إذا أمّلوا فائدة الله ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي فهم على خير ، ولو غلطوا في جهة الرجاء فإن الرجاء لهم خير .

على أن بعض المتفائلين يبالغون في تفاؤلهم فينكرون وجود الشر ويزعمون أن الوجود كله خير محض مبرأ من النقص . فإذا قيل لهم إن في العالم شراً قالوا إن هذا الشر أمر عدمي أو أمر عرضي نسبي ، إذا كشفت عن حقيقته وجدت الخير يلمع فيه من وراء حجاب ، ويسمى هذا التفاؤل بالتفاؤل المطلق .

وإذا تعود المرء النظر إلى الأشياء من نواحيها الجميلة كان استعداده الفكري إلى التفاؤل أميل . فهو يعلم أنّ في كل شيء خيراً وشراً ولكنه يفضل الالتفات إلى كمال الشيء دون نقصه ، وإلى جماله دون قبحه ، حتى يكون له في جهة رجائه عائدة وبهجة ، ويسمى هذا التفاؤل بالتفاؤل النفسي .

ومن الناس من يتعامى عن رؤية الشر في الأشياء الجزئية لعجزه عن إدراك حقيقته أو لتقاعسه عن مكافحته ، ويسمى تعاميه هذا بالتفاؤل الأعمى لما فيه من الاستسلام المصحوب بالجهل ، والرضى المقرون بالاتكال .

ومن علامة المتفائلين أنك ترى لهم قوة في يقين وفرحاً في علم ، وصبراً في شدة ، فهم لا ينكرون وجود الشر ولكنهم مع اعترافهم بوجوده لا ييأسون من التغلب عليه ولا يقنطون من رحمة الله . وإذا كان الانسان يؤمن بقدرته على تحسين الواقع بالعلم فمرد ذلك إلى إيمانه بقدرة العقل على استجلاء حقائق الأشياء ، فبقدر عقل المرء يكون تفاؤله ، بل العقل أس الفضائل وينبوع الآداب ، به تعرف حقائق الأمور ويفصل بين الخير والشر ، فإذا كمل عقل المرء عاش في نعيم دائم ، لأن عقله يهديه إلى الخير ، وما استودع الله أحداً عقلاً إلا استنقذه به يوماً ما . ومن لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان من جهله في إغواء ، ومن حياته في عناء .

التفسير

في اللاتينية	Explicatio
في الفرنسية	Explication
في الانكليزية	Explanation

التفسير في الأصل هو الكشف والإظهار (الجرجاني) وهو أن يكون في الكلام لبس وخفاء فيؤتى بما يزيله أو يفسره . والفرق بينه وبين الإيضاح أن التفسير أعم من الإيضاح ، إذ هو يحصل بذكر المرادف إذا كان أشهر ، وليس ذلك بإيضاح ، لأن الإيضاح عند أهل المعاني أن ترى في كلامك خفاء وإبهاماً فتأتي بكلام يبين المراد ويوضحه (التهانوي) ، والفرق بين التفسير والتأويل أن أكثر استعمال التفسير في الألفاظ ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل في المعاني ، وغاية التفسير الفهم والإفهام ، وهو أن يصير الشيء معقولاً ، وسبيله تعيين مدلول الشيء بما هو أظهر منه حتى يصبح المجهول معلوماً ، والخفي واضحاً ، تقول : فسرت الكلمة وفسرت النص وفسرت المسألة أي أوضحت الطريق الذي يجب اتباعه في حلها .

وتفسير الحقيقة العلية أو إيضاحها هو أن نثبت أنها متضمنة في غيرها من الحقائق المعلومة ، أو أنها لازمة عن المبادئ البديهية اضطراراً . وليس يشترط في الحقائق المفسّرة أن تكون أعم من الحقائق المفسَّرة ، لأن تضمن القضايا شيء وعمومها شيء آخر .

والتفسير أعم من التعليل لأن التعليل هو انتقال الذهن من المؤثر إلى الأثر أو إظهار علية الشيء سواء كانت تامة أو ناقصة . فكل تعليل تفسير وتوضيح وليس كل تفسير تعليلاً .

والفرق بين التفسير والتعيين أن المحمول الذي تضيفه على الحد البسيط إذا لم يدل تضمنه كان تفسيراً له ، ولكنه إذا بدّل تضمنه كان تعييناً أو تخصيصاً .

التقارب

في الفرنسية Convergence

في الانكليزية Convergency

وهو مشتق من فعل (Convergere) في اللاتينية

تقارب الشيئان دنا أحدهما من الآخر ، وتقاربت الأشعة اجتمعت في نقطة واحدة كما في علم الضوء .

ومتى كان تزايد حدود الجملة غير متناهٍ وكان حاصل جمعها متجهاً إلى مقدار محدود سميت بالجملة المتقاربة مثال ذلك : ($١ + \frac{١}{٢} + \frac{١}{٤} + \frac{١}{٨}$ ....) .

ومتى كان تبدل الجملة مقتضياً إيجاد تشابه متزايد بين أجزائها كان تبدلها متقارباً . فالتقارب بهذا المعنى ضد التنوع .

وإذا أدت تبدلات الجمل المستقلة والمتوازية إلى نتيجة واحدة سميت بالجمل المتقاربة .

التقدم

في الفرنسية Antériorite

في الانكليزية Anteriority

التقدم هو كون الشيء موجوداً قبل الآخر بحيث لا يوجد الثاني إلا إذا وجد الأول ، وله عند ابن سينا خمسة أنحاء .

الأول هو التقدم بالطبع، وهو الذي يكون فيه المتأخر محتاجاً إلى المتقدم كالاثنين والواحد .

والثاني هو التقدم في الزمان، وهو كون المتقدم في زمان لا يكون المتأخر فيه كتقدم أرسطو على الفارابي .

والثالث هو التقدم في الرتبة، وهو كون المتقدم أقرب من مبدأ معين، وهذا الترتيب قد يكون بالذات كما في الأجناس والأنواع المتتالية، أو يكون بالاتفاق كترتيب التلاميذ في الصف بحسب بعدهم عن الأستاذ أو قربهم منه .

والرابع هو التقدم بالشرف وهو أن يكون للمتقدم زيادة شرف على المتأخر كتقدم العالم على الجاهل .

والخامس هو التقدم بالعلية فإن للعلة استحقاق الوجود قبل المعلول .

وقد أرجع المتأخرون هذه الانحاء المختلفة إلى نوعين هما التقدم العقلي والتقدم الزماني، فالتقدم العقلي عندهم هو الارتباط المنطقي بين الشيئين، فإذا كان أحدهما مبدأ والآخر نتيجة كان الأول متقدماً على الثاني تقدماً عقلياً أو ذاتياً، والتقدم الزماني هو أن يكون أحد الشيئين أقدم زماناً من الثاني .

والتقدم (Progrès) عند المحدثين هو السير إلى الأمام أو الحركة في اتجاه معين، كقولنا تقدم العلم أو تقدم الصناعة .

ويطلق التقدم أيضاً على الانتقال التدريجي من الحسن إلى الأحسن إما في مجال معين وإما في جميع المجالات . والتقدم بهذا المعنى إضافي لأنه تابع لرأينا في ترتيب القيم . وليس للتقدم المطلق عند الفلاسفة مفهوم واضح، لأنه قد يكون ضرورة تاريخية، أو كونية، أو قوة محركة تؤثر في الأفراد، أو غاية يهدف إليها تطور المجتمعات .

التقسيم

في اللاتينية	Divisio
في الفرنسية	Division
في الانكليزية	Division

التقسيم عند الفلاسفة مرادف للقسمة سواء كانت قسمة الكل إلى الأجزاء أو قسمة الكلي إلى جزئياته الحقيقية أو الاعتبارية ٠

وقد فرق فلاسفة القرون الوسطى بين التقسيم الذي يرجع الجنس الأعلى إلى أجناس أدنى ، والتجزيء الذي يوجب ارجاع الكل إلى أجزائه المتممة ٠

وقد جمعت أحكام التقسيم في أربع قضايا ٠

الأولى هي قسمة الجنس إلى أنواعه كقولك : المنحنى من الدرجة الثانية إما أن يكون دائرة وإما أن يكون قطعاً ناقصاً ، وإما أن يكون قطعاً مكافئاً ، وإما أن يكون قطعاً زائداً ٠

والثانية هي قسمة الجنس إلى فصوله ، كقولنا : الكثير الأضلاع إما أن يكون منتظماً وإما أن يكون غير منتظم ٠

والثالثة قسمة الموضوع إلى الأعراض المتقابلة التي تتعاقب عليه كقولك : الإنسان إما نائم وإما مستيقظ ٠

والرابعة قسمة العرض إلى أنحائه المختلفة كقولك : التنفس إما أن يكون في الحيوان وإما أن يكون في النبات ٠

وهذه القضايا الأربع كما ترى شرطية منفصلة ٠

وعلى ذلك فالتقسيم هو إرجاع الجنس إلى أنواعه ، أو الكل إلى أجزائه ، وهذا الارجاع إما أن يكون ذهنياً وإما أن يكون خارجياً ٠

والكل تقسيم دقيق شرطان : الأول أن يكون تاماً أي جامعاً لأجزاء الشيء كلها ، والثاني أن تكون أنحاؤه متقابلة كالتقسيم الثنائي في الشرطية المنفصلة الذي يمنع إدخال الشيء الواحد في الطرفين المتقابلين ، كقولك إما أن يكون العدد زوجاً وإما أن يكون فرداً .

وتقسيم العمل في علم الاقتصاد هو تنوعه بحسب المهن ، أو انقسامه إلى فروع مختلفة ، ويسمى ذلك بتقسيم العمل المهني .

وتقسيم العمل الصناعي هو انقسام الفعل المركب إلى أفعال وحركات بسيطة .

أما في علم الاجتماع فان تقسيم العمل هو تنوع الوظائف من النواحي الاقتصادية والسياسية والحقوقية والثقافية الخ ..

وأما في علم الحياة فهو تنوع الوظائف في الجسم الحي بحسب منافعها .

التقليد

في الفرنسية Imitation

في الانكليزية Imitation

التقليد هو اتباع الانسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً الحقّية فيه من غير نظر إلى دليل ، كأن هذا المتّبع جعل قول (الغير) أو فعله قلادة في عنقه ، أو هو قبول قول (الغير) بلا حجة ولا دليل .

ويطلق التقليد في علم النفس على كل ظاهرة نفسية شعورية أو غير شعورية من شأنها أن تكرر ظاهرة نفسية سابقة . فالظواهر النفسية تنتقل من شخص إلى آخر بالتقليد ، كما ينتقل الضوء أو الصوت من مكان إلى آخر بالاهتزاز (راجع تارد : قوانين التقليد les lois de l'imitation ، والمنطق الاجتماعي (La logique sociale

والتقليد الشعوري (Imitation Consciente) هو أن يكون المقلّد عالماً بأنه مقلد ، والتقليد اللاشعوري (Imitation inconsciente) هو أن يكون المقلد غير عالم بأنه مقلد . ويسمى تقليده في هـذه الحالة بالإيحاء التقليدي (Suggestion imitative)

قال الغزالي : « من شرط المقلد أن لا يعلم أنه مقلد ، فإذا علم ذلك انكسرت زجاجة تقليده » (المنقذ من الضلال ص ٧٧ من طبعتنا) .

والتقليد الذاتي هو أن يقلد الانسان نفسه بنفسه (Self imitation) .

والتقليد الإرادي (Imitation Volontaire) هو أن يكون المقلد مريداً للفعل الذي يقلده كالرجل الذي يقلد مخارج الحروف والألفاظ الاجنبية .

والتقليد الغريزي (Imitation instinctive) هو أن يتبع المرء غيره فيما يقول أو يفعل اتباعاً غريزياً كالطفل الذي يتعلم الكلام على سبيل المحاكاة الطبيعية البسيطة .

ونظرية التقليد أو المحاكاة في علم الجمال هي القول لمن مبدأ جميع الفنون تقليد الطبيعة .

والتقليدية (Traditionalisme) هي حب التقاليد والتعلق بها ؛ أو هي القول بوجوب محافظتنا على الأوضاع السياسية والاجتماعية القديمة ، لا لإقامتنا الدليل العقلي على ضرورتها ، بل لاعتقادنا أنها تعبير طبيعي عن حاجات المجتمع الحقيقية ، ولعلنا أنّ إصرار العقل على نقدها لا ينتج إلا الشر والفساد . ويسمى أصحاب هذا الرأي بالتقليديين خلافاً للمقلبين الذين انحلت عنهم رابطة التقليد ، وأوجبوا النظر في المقبولات والمشهورات والتقليديات لمعرفة ما يلزم منها وما لا يلزم .

ويطلق لفظ التقليدية أيضاً على مذهب (دوبونالد De Bonald) و (لامنّا Lamennais) و (بوتان Bautain) الذين زعموا أن الوحي مصدر كل معرفة ، وأن الحقيقة لا تدرك إلاّ بإلهام إلهي .

والتقاليد أيضاً هي ما اتصل إلينا من العادات والعقائد وأمور العبادات خلفاً عن سلف ، منها التقاليد الدينية والتقاليد الاجتماعية والتقاليد السياسية وغيرها . وهذه التقاليد إما أن تكون مكتوبة ، وإما أن تكون غير مكتوبة ، وهي إذ توحد الأفراد تنتقل من جيل إلى جيل وتعمل على اتصال الحضارة .

التكوين

في الفرنسية Genèse

في الانكليزية Genesis

التكوين هو الاحداث والصيرورة والتخليق والاختراع والصنع والتصوير ، ويأتي كثيراً في كتب الفلسفة القديمة بمعنى الكون المقابل للفساد .

فتكوين الشيء هو الفعل الذي أحدث به ذلك الشيء حتى وصل إلى حالته الحاضرة ، أو هو مجموع الصور التي تعاقبت على الشيء من جهة علاقتها بالشروط المؤثرة في نموه . ومنه تكوين الموجودات ، وتكوين الوظائف ، وتكوين المؤسسات وغيرها .

ويشترط في التكوين عند الفلاسفة أن يكون مسبوقاً بمادة خلافاً للإبداع الذي يشترط فيه انتفاء المادة . فله إذن مبدأ أو أصل يستند إليه . ولذلك كان التكوين والأصل متقابلين من جهة ومتداخلين من جهة .

والتكوين صفة لله تعالى أزلية ، وهو تكوينه للعالم ولكل جزء من أجزائه لوقت وجوده على حسب إرادته وعلمه . فالتكوين ثابت باق أبداً والمكوَّن حادث بحدوث المتعلق كما في سائر الصفات القديمة التي لا يلزم من قدمها قدم المتعلقات .

والنسبة إلى التكوين تكويني (Génétique) . يقال الطريقة التكوينية ، وهي أن تدرس موضوعات العلوم من جهة تكونها . ويقال أيضاً التعريف التكويني (Définition génétique) وهو أن يعرف الشيء بالفعل المولد له كتعريفنا الخط المستقيم بأنه الخط المتولد من حركة النقطة في سمت واحد ، وكتعريفنا المثلث بأنه السطح المستوي المتولد من تقاطع ثلاثة خطوط مستقيمة . ويقال أخيراً التصنيف التكويني (Classification génétique) وهو أن تصنف الأشياء بحسب نظام حدوثها أو بحسب الأسباب المختلفة التي أثرت في تكوينها .

التلفيق (مذهب)

Syncrétisme

التلفيق هو أن تجمع في تحكم بين المعاني والآراء المختلفة حتى تكون منها مذهباً واحداً ، وهذه المعاني والآراء لا تبدو لك متفقة إلا لعدم تعمقك في إدراك بواطنها .

ومذهب التلفيق بهذا المعنى مقابل لمذهب التوفيق (Eclectisme) ، لأن مذهب التوفيق لا يجمع من الآراء والمذاهب إلا ما كانت وحدته مبنية على أساس معقول ، أما مذهب التلفيق فلا يبالي بذلك لأنه يقتصر على النظر في ظواهر الأشياء نظراً سطحياً .

ظهرت نزعة التلفيق في العصور الأولى بين القرن الثاني والرابع للميلاد فذهب أصحابها إلى أن جميع الديانات المقابلة للمسيحية تشترك في دعوتها إلى عبادة إله واحد كإيزيس أو ميترا أو الشمس أو غيرها ثم ألف فرفوريوس رجامبليك من هذه النزعة نظرية فلسفية خاصة .

وقد يطلق مذهب التلفيق على النظر في الأشياء المعقدة نظراً عاماً شاملاً ، ذلك أن المعرفة الإنسانية مرت بثلاث مراحل الأولى مرحلة النظر في الكل نظراً غامضاً ، والثانية مرحلة النظر في الأجزاء ، نظراً بيناً ، والثالثة مرحلة تركيب الكل من أجزائه التي كشف عنها التحليل . وكما مرت المعرفة بثلاث مراحل فكذلك اجتاز العقل البشري في مسيره ثلاث حالات متعاقبة يمكننا أن نسميها بحالة التلفيق وحالة التحليل وحالة التركيب .

ويطلق لفظ التلفيق في علم النفس على الحالة التي يتصف بها إدراك الطفل ، فيسمّى ادراكه الغامض المشوش بالادراك الملفق (كلاباريد) .

التمثيل والتماثل

في الفرنسية Analogie

في الانكليزية Analogy

وأصله في اليونانية Analogia

مثّل الشيء بالشيء سواه وشبهه به وجعله على مثاله ، ومثّل الشيء لفلان صوّره له بالكتابة أو غيرها حتى كأنه ينظر اليه . وتمثّل الشيء تصور مثاله ، وتماثل الشيئان تشابها ، وماثل الشيء شابهه ، وماثل فلاناً بفلان شبهه به ، ولا تكون المماثلة إلا بين المتفقين تقول علمه كعلمه ولونه كلونه بخلاف المساواة فإنها بين المتفقين في الجنس والمختلفين .

ويجيء التماثل بمعنى التناسب وهو الاتحاد في النسبة كما في الأعداد المتناسبة التي تكون نسبة المقدم منها الى تاليه كنسبة جميع المقدمات الى التوالي ، أو الأربعة المتناسبة التي تكون نسبة أولها الى ثانيها كنسبة ثالثها الى رابعها .

ولهذا التماثل ثلاثة أنواع :

الأول هو التماثل أو التناسب الحسابي الذي تكون فيه زيادة الحد الأكبر على الحد الأوسط كزيادة الحد الأوسط على الحد الأصغر . مثال ذلك :

$$\text{أ} + \text{د} = \text{ب} = \text{ج} - \text{د}$$

أو

$$\text{ب} = \frac{\text{أ} + \text{ج}}{2}$$

والثاني هو التماثل أو التناسب الهندسي الذي تكون فيه نسبة الحد الأكبر إلى الحد الأوسط كنسبة الحد الأوسط إلى الحد الأصغر مثال ذلك :

$$\frac{\text{أ}}{\text{ب}} = \frac{\text{ب}}{\text{ج}}$$

والثالث هو التناسب المتناسق الذي تكون فيه زيادة الحد الأكبر على الحد الأوسط والحد الأوسط على الأصغر مساوية لحاصل قسمة كل منهما على عدد واحد ، مثال ذلك :

$$\text{أ} + \frac{\text{أ}}{\text{د}} = \text{ب} = \text{ج} + \frac{\text{ج}}{\text{د}}$$

فإذا عرفت حدين من هذا التماثل استطعت أن تعين الحد الثالث منه .

وقياس التمثيل (Raisonnement par analogie) هو الحكم على شيء معين لوجود ذلك الحكم في شيء آخر معين أو أشياء أخرى معينة على أن ذلك الحكم كلي على المعنى المتشابه فيه (ابن سينا ، النجاة ص ٩) .

والأصح أن يقال اثبات حكم في أمر لثبوته في آخر لعلة مشتركة بينهما . ويسمّى الشيء المحكوم عليه فرعاً ، والشيء المنقول منه الحكم أصلاً أو مثالا ، والعلة المشتركة بينهما جامعاً . مثال ذلك قولنا ان الماس كالزيت لأنه يشبهه في القدرة على كسر الضوء . وقولنا إن العالم حادث لأنه جسم مؤلف ، فشابه البناء ، والبناء محدث ، فالعالم حادث .

والفرق بين قياس التمثيل والاستقراء أن قياس التمثيل ينقل الحكم من علاقة

معلومة إلى علاقة مشابهة لها من جهة ومخالفة عنها من جهة أخرى ، على حين أن الاستقراء ينقل الحكم من المشابه إلى المشابه ، فالنتيجة في القياس التمثيلي شرطية ، إلا أنها إذا أيدتها التجربة انقلبت إلى قانون علمي .

وكما يكون التماثل بين الاشياء العقلية فكذلك يكون بين الأشياء الحسية كتماثل الأعضاء وتماثل الصفات ، فالعضوان المتماثلان في حيوانين مختلفين هما اللذان يكون محلها في الجسم واحداً واقترانها بالأعضاء الأخرى واحداً حتى لو كانت وظائفها مختلفة كاليد في الانسان والجناح في الطير (جوفرواسنت هيلار) أو هما اللذان تكون وظائفهما واحدة (كوفيه) .

والزمرتان المتماثلتان هما اللتان يكون كل حد من حدود الأولى منهما مطابقاً لمثله في الثانية .

والسببان المتماثلان هما اللذان يكون بين آثارهما تشابه قريب أو بعيد .

والنسبة بين الحدود المتماثلة إما أن تكون عددية ، وإما أن تكون زمانية ، وإما أن تكون غائية (مثال النسبة الغائية قولنا ان وظيفة الخطوط البرقية في الدولة كوظيفة الجملة العصبية في الجسم الحي) .

والماثلات التجريبية (Anologies de l'expérience) عند الفيلسوف (كنت) هي مبادئ قبلية في العقل المحض متعلقة بمقولة الاضافة كقولنا : ان جميع الظواهر خاضعة في وجودها لقواعد قبلية توجب تحديد نسبها المتقابلة في زمان ما ، أو قولنا : لا تكون التجربة ممكنة الا اذا أمكن تمثل ارتباط ضروري بين المدركات الحسية .

وهذه الماثلات التجريبية ثلاث . الأولى هي دوام الجوهر ، والثانية هي أن يوجد في الطبيعة قوانين تتابع ثابتة (أعني مبدأ السببية) ، والثالثة هي المبدأ الكلي لردود الفعل المتقابلة بين جميع الجواهر في كل آن من الزمان .

جميل صليبا

قصة الأدب في المغرب

ساير موكب الأدب في المغرب مواكبه في الأقطار العربية الأخرى من لدن الفتح الإسلامي إلى الآن ، ولئن أغفل كثير من مؤرخي الأدب العربي تسجيل هذه الحقيقة فانهم لم يستطيعوا أن يغمضوا أعينهم عن المشاركة الفعالة التي قام بها أفراد عديدون من المغرب في بناء صرح المدنية العربية ، بما لها من مقومات فكرية ، وتجارب علمية ؛ وحسبنا أن نذكر أن الجغرافيّ العربي الوحيد ، الذي ترك لنا أثراً علمياً في الجغرافية لم يُكتب مثله بعدَ « بطليوس » اليوناني ، كان عالماً من المغرب ، وهو الإدريسي الشهير ؛ فاذا أضفنا إليه الرحالة العالمي « ابن بطّوطة » كان أهم ما يعتز به التراث العربي في هذا الصدد ، منشأه من المغرب ؛ وفي علوم الطب والكيمياء ، والطبيعة ، والرياضيات ، حسبنا أن نذكر اسم أبي الحسن المراكشي الذي نجد اسمه — مع الأسف — معروفاً عند الغربيين أكثر من أبناء جلدته العرب .

وكذلك ابن البناء العددي ، الذي له فى الحساب والجبر والفلك ، مؤلفات لبثت عهوداً طويلة ، مما يُعتمد عليه في دراسة هذه العلوم بأوربة قبل المغرب ، والبلاد العربية كافةً . ومثلهما ابن الياسمين ، والجادري ، ويوسف ابن شمعون ، واللجائي ، والجزنائي ، والبعقيلي وأبو القاسم الوزير ، والغول الفشتالي وكثيرون غيرهم من الأطباء والنباتيين والمهندسين والفلكيين ..

أما في علوم الفقه والحديث وغيرهما ، من أصول الثقافة الاسلامية ؛ فان أحداً من أصحاب المؤلفات في طبقات علماء الاسلام ، لم يمكنه أن ينسى جهود أمثال دراس بن اسماعيل ، وأبي عمران الفاسي ، وأبي محمد

الأصيلي ، والقاضي عياض ، وابن الحاج العبدري ، وابن رشيد الفهري ، وأبي الحسن الصغير ، وابن الشاط ، وزروق ، وابن غازي ، وغيرهم كثير .

وفي علوم العربية نبغ أبو موسى الجزولي صاحب الكراسة ذات الشهرة الطائرة في علوم النحو ، وابن معطي صاحب أول ألفية في النحو نسج ابن مالك ألفيته على منوالها ، وابن آجروم صاحب المقدمة التي ما لبثت حتى الآن من كتب الدراسة الأولية لعلم النحو في العالم العربي والاسلامي ، والذي أعطى اسمه للقواعد النحوية ذاتها ، فكثيراً ما قيل الآجرومية وعُني بها النحو .

وفي متن اللغة العربية يكفي ذكر اسم مالك بن المرحّل ، وابن الطيب اللغوي الذي صار اسمه مقروناً بالفيروزبادي صاحب القاموس ، والزبيدي شارحه ، ونظائرهما من أساطين المؤلفين في متن اللغة .

أما في التاريخ فقد أعطى المغرب أسماء عديدة برزت من بين المؤلفين في التاريخ العام فضلًا عن تاريخ المغرب ، وناهيك بالمراكشي (صاحب المعجب) ، وابن عذارى (صاحب البيان المُغرب) وابن أبي زرع (صاحب القرطاس) ، واكنسوس ، والزّيّاني وغيرهم .

وذكرنا لهذه الأسماء اللامعة في غير الثقافة الأدبيـــة خاصةً ، إنما هو إشارة إلى تلك المساهمة التي ألمعنا إليها من أبناء المغرب في الحياة الفكرية العربية عامةً ، على أن الأدب بمدلوله العام ، يتناول جميع فروع المعرفة وسائر ضروب التفكير ، فاذا كان المغرب يتوفر على رجال من هذا الطراز في العلم العام ، فما بالك بمن لم يبلغ مرتبتهم ولم تجاوز شهرتهم حدود بلادهم .

أما في الكتابة والشعر والفنون الأدبية بوجه خاص ، فقد نبغ من أبناء المغرب في ذلك ، الشاعر ابن حَبُوس ، والكاتب أبو جعفر بن عطية ، وأبو العباس الجراوي صاحب كتاب « الحماسة المغربية » الذي

يتحدث عنه ابن خلكان ، في « وفيات الأعيان » ويقول : انه عند المغاربة يقوم مقام « حماسة أبي تمام » .

ونبغ من الشعراء الأمراء ، أبو الربيع سليمان المُوَحّدي ، له ديوان شعر مخطوط يوجد في مكتبة « الأسكوريال » وفي غيرها من المكتبات المغربية ، كذلك نبغ من الشعراء ، ابن عبدون المكناسي ، وميمون الخطّابي ، ومالك بن المرحّل ، الذي يعد أكبر شعراء المغرب ، وله مؤلفات أدبية كثيرة ، وأبو العباس العَزَفي ، وأبو فارس الطزوزي ، والجزنائي ، وابن جابر المكناسي ، وعبد العزيز الفشتالي ، الكاتب الشاعر المؤرخ ، وابن زاكور ومنتخب ديوانه مطبوع ، واليوسي وديوانه مطبوع كذلك ، وابن الطَّيّب العلمي صاحب كتاب « الأنيس المطرب » على نسق « قلائد العقيان » ، وابن الونان صاحب قصيدة « الشمقمقية » في الأدب وهي مطبوعة وغيرهم .

هذا نبأ الحركة الأدبية في المغرب عبر التاريخ ، وإذا أريد استيفاء الخبر عن ذلك ، فليرجع إلى كتاب (النبوغ المغربي في الأدب العربي) الذي أرخ للحياة الفكرية والحضارة المغربية ، من لدن الفتح العربي ، إلى بداية القرن الحالي .

وأما في الفترة الراهنة ، وهي ما نعبر عنه بالعصر الحديث ، فان الأدب أخذ يتطور شكلاً وموضوعاً ، أسوة بما حدث في الشرق العربي ، فلم يعد قاصراً على القصيدة الشعرية ، والرسالة النثرية ، أو المقامة والخطبة ، وما إلى ذلك ، بل استُحدثت فيه أشكال عديدة ، وأبواب جديدة ، من أهمها في الشعر ، المسرحية ، وفي النثر ، المقالة ، والأقصوصة ، والقصة ، كما أن الموضوعات التي كان يتناولها الشاعر والناثر لم تبق هي موضوعات المدح ، والغزل ، ومـا إلى ذلك في الشعر ، والوصف والمطارحات الأدبية ونحوها في النثر ، وإنما اتسع المجال أمام الشاعر

والكاتب ، وأصبح الأديب صاحب رسالة سامية ، ومكانة مرموقة في المجتمع بصفته أحد قادة الفكر ، ورائداً من رواد النهضة في العالم العربي . وهكذا لم يعد الأدب فناً مسخراً لخدمة الرؤساء والملوك ، ولا تزجيةً للوقت عند من لم ينزل بأدبه لمستوى الشعراء المادحين ، والكتاب المتكسبين ، بل صار دعوة ومذهباً ، وتعبيراً صادقاً عن الحياة والواقع الاجتماعي .

ومن الحق القول بأن تطور مفهوم الأدب عندنا إنما حصل بتأثير النهضة الأدبية التي قامت في الشرق العربي ، في بداية هذا القرن ، إذ أنه قبل أن يتصل أبناء المغرب ، بالثقافة الغربية ، ويطلعوا عن طريق المدرسة الفرنسية على المذاهب الأدبية الحديثة ، كانت الطليعة الأولى من أدباء المغرب ، تتصل عن طريق الصحافة العربية ، والمطبوعات الصادرة في البلاد العربية ، وخاصةً منها مصر ، بالإنتاج الأدبي الجديد ، لأعلام النهضة في العالم العربي ، وتتأثر به وتحاول النسج على منواله ، وكان من هؤلاء من له آثار طيبة في هذا الميدان ، كالشاعر المرحوم محمد السليماني ، والأديب الكبير احمد بن الموّاز ، والكاتب المؤرخ محمد بوجندار ، وسواهم من طلائع النهضة الأدبية المتوفين ، ومن الأحياء أحمد النميش ، ومحمد الجزولي ، ومحمد كنون ، ومحمد بن اليمني الناصري ، وهو أخصبهم قريحةً وأكثرهم إنتاجاً .

وكما كان الحال في الشرق العربي ، أول النهضة الحديثة ، فان الشعر السياسي الوطني هو أول ما ظهر من ألوان التجديد في موضوعات الأدب ، وذلك أن طائفة من شباب الجيل الناشيء ، في عهد الحماية ، لما رأوا البلاد ترزح تحت نير الحكم الأجنبي ، أخذتهم العزة الوطنية ، والحمية العربية فصاروا يتغنون بشعر كله ثورة على الواقع الأليم ، ويدعون إلى مقاومة التدخل الأجنبي ، وتذكير الشعب بمجده وتاريخه العظيمين ، مما أدى إلى إذكاء الوعي القومي في نفوس الجماهير الشعبية ، وشنها غارة شعواء على

الاستعمار وأعوانه حتى تخلصت البلاد من براثنـه ، وانتفضت انتفاضتها الخالدة ، التي أعادت إلى المغرب حريته واستقلاله .

ونذكر في طليعة هذه الطائفة من الشعراء الوطنيين ، علال الفاسي ، والمختار السوسي ، والمكي الناصري ، والشهيد محمد القري ، ثم تلتها طائفة أخرى ، قالت الشعر الوطني والاجتماعي ، ولم تقصر في ميادين الشعر الأخرى ، ولا سيما الشعر العاطفي ، وهذه أمثال عبد الرحمن حجي ، وعبد القادر حسن ، الذي كان أول شاعر مغربي حديث ، طبع له ديوان ، ومحمد مكوار ، الذي طبع له هو الآخر ديوان شعر ، وعبد المالك البلغيثي ، وله أيضاً ديوان مطبوع ، وعبد القادر المقدم ، وله كذلك ديوان مطبوع ، وعبد المجيد بن جلون ، وعبد الكريم بن ثابت ، ومحمد الحلوي ، وعبد الغني سكيرج ، وإدريس الجاي ، وعبد الوهاب بن منصور ، وأبو بكر اللمتوني ، وناصر الكتاني ، وحماد العراقي ، وأحمد البقالي ، وعبد السلام العلوي ، وإبراهيم الالغى ، وعبد الرحمن الدكالي ، ومحمد الصقلي ، وإدريس العلمي ، وغيرهم ممن لا أستطيع احصاءهم ها هنا لضيق المجال ، وإن كان الأمر الذي لا شك فيه ، أن منتخبات من أشعارهم تؤلف مجموعة ضخمة من الشعر الحديث في المغرب الجديد . على أن النثر في هذا العهد ، كان أعظم مادة من الشعر ، والإنتاج فيه أوسع بكثير من الإنتاج الشعري . وقد رافق النثر وتطوره ظهور الصحافة وتطورها ، فظهرت في الأول المقالة الاجتماعية ، ثم السياسية ، وبتأسيس الصحافة الأدبية ، ظهرت البحوث التاريخية واللغوية ، والأقصوصة والقصة ، ثم ظهرت المؤلفات في الموضوعات المختلفة . ومن المجلات التي كان لها انتشار وتأثير في توجيه الحياة الفكرية : مجلة « السلام » ، و « رسالة المغرب » ، و « الثقافة المغربية » ، و « المغرب الجديد » ، و « لسان الدين » ، و « الارشاد الديني » ، و « الأنوار » ، و « الأنيس » ، و « المعرفة » ، وأخيراً مجلة « دعوة الحق » و « رسالة الأديب » .

ومن كتاب هذه المجلات السابقين واللاحقين الأساتذة : محمد بن الحسن الوزاني ، ومحمد داود ، ومحمد بنونة ، ومحمد الطنجي ، وعبد الخالق الطريس ،

والمكي الناصري ، وعلال الفاسي ، وعبد العزيز بن إدريس ، وسعيد حجي ، وإدريس الكتاني ، وعبد الرحمن الفاسي ، وعبد المجيد بن جلون ، وعبد الكريم غلاب ، وعبد الله إبراهيم ، ومحمد القباج ، ومحمد أبا حنيني ، ومحمد المنوني ، والتهامي الوزاني ، وعبد الوهاب بن منصور ، وإبراهيم الكتاني ، وعبد الهادي التازي ، ومحمد التطواني ، ومحمد عزيمان ، ومحمد العربي الخطابي ، والمهدي بنونة ، ومحمد الحبابي ، وعلال الجامعي ، وحسن السائح ، ومحمد الصباغ ، وإدريس بن جلون ، وعبد العزيز بن عبد الله ، وعبد الهادي بو طالب ، وعبد القادر زمامة ، ومحمد بن الحبيب ، وقاسم الزهيري ، وعبد القادر الصحراوي ، ومحمد بن تاويت ، وأحمد زياد ، وعبد اللطيف الخطيب ، وغيرهم ، وغيرهم ، ممن لم تحضرني أسماؤهم الآن ، وقد امتاز على الخصوص بكتابة المقالة السياسية : عبد الخالق الطريس ، ومحمد الوزاني ، وعلال الفاسي ، والمكي الناصري ، وقاسم الزهيري ، وعبد الهادي بو طالب ؛ وبكتابة الأبحاث الأدبية والتاريخية : محمد بن تاويت ، ومحمد الفاسي ، وعبد العزيز بن عبد الله ، وعبد الوهاب ابن منصور ، ومحمد القباج ، ومحمد المنوني ، ومحمد التطواني ، وعبد القادر زمامة ؛ وبكتابة المقالة الاجتماعية : محمد بنونة ، والتهامي الوزاني ، وإدريس الكتاني ، وعبد الكبير الفاسي ؛ وبكتابة القصة : عبد المجيد بن جلون ، وعبد العزيز بن عبد الله ، وعبد الرحمن الفاسي ؛ وبالكتابة على الطريقة الرمزية : محمد الصباغ ؛ وبالترجمة عن الأدب الاسباني على الخصوص : عبد اللطيف الخطيب ، وامتاز من هؤلاء جميعاً بكثرة الإنتاج والتأليف ، عبد العزيز بن عبد الله ، وعلال الفاسي ، ومحمد داود ، ومحمد المنوني ، ومحمد المختار السوسي ، والتهامي الوزاني ، وعبد المجيد بن جلون ، ومحمد الصباغ ، وعبد الكريم غلاب .

ولم يظهر حتى الآن أديب ذو نزعة خاصة ، ولا أدب ينتمي لمذهب من المذاهب الأدبية المعروفة .

عبد الله كنون

أسلوب الكندي

أنبتت بغداد ، خلال فترات طويلة من عمر الزمن ، صفوة مختارة من الأعلام كانوا مصابيح نيّرة للعقل البشري ، وما زال انتاجهم الفكري : شعراً ونثراً ، علماً وفناً ، حكمةً وفلسفةً ، يفيض بالقوة والإبداع ، على الرغم من مرور نيّف وعشرة قرون على تدبيج تلك الروائع .

وكتبنا القديمة تزخر بالآيات البيّنات التي كتبها مفكرو العراق وأدباؤه في العصر العباسي ، وهي تؤلف بمجموعها دعائم التراث الفكري الذي أعطى الإنسانية ثمرات يانعة من أطيب الثمرات .

ولا مجال لتعداد الكتب والرسائل والموضوعات ، ولا أسماء الكتّاب والشعراء والمؤرخين والفلاسفة والحكماء ، فكل واحد منهم دنيا مستقلة من عبقرية الفكر ، حتى ليفخر انسان هذا العصر ، مهما كانت ثقافته وجنسيته ، بذلك التراث الذي تركه مفكرو العصر العباسي ومدارسه الفكرية بشتى ألوانها ونزعاتها واتجاهاتها والتي حظيت حظوة منقطعة النظير برعاية غير واحد من الخلفاء .

* * *

من أولئك المصابيح الهداة الفيلسوف العربي يعقوب بن اسحاق الكندي[1] الذي

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي ، الملقب « بفيلسوف العرب » كان شريف الأصل ، عريق النسب ، وكان أبوه اسحاق أميراً على الكوفة للمهدي « ١٥٩ ـ ١٦٩ هـ = ٧٧٥ ـ ٧٨٥ م » ، والرشيد « ١٧٠ ـ ١٩٤ هـ = ٧٨٦ ـ ٨٠٩ م » . وُلد في البصرة ونشأ ، ثم أتى الى بغداد ، واتصل بالمأمون « ١٩٨ ـ ٢١٨ هـ » ، وأدّب محمد بن المعتصم . وكان عظيم المنزلة عندهم ، أما المتوكل فقد نقم عليه وضربه وأبعده .

أقدم ، في أوائل عصر النهضة ، على نقل كل ما يلقح الفكر العربي من تراث اليونان العلمي ، فخاض معركة الترجمة بروح مليئة بحب العلم ، في فترة كانت الترجمة ، ولا سيما ترجمة كتب العلوم والفلسفة من الصعوبة بمكان عظيم ، بل كانت أعصى ما يواجهه المفكر العربي الذي يتصدّى لحمل أمانة هذه الرسالة الكبرى .

وقد اتفق جميع من ترجم لهذا الفيلسوف العربي الذي دبّجت يراعته عشرات الكتب والرسائل في شتى انماط المعرفة — اتفقوا جميعهم قدماء ومحدثين ، عرباً وأجانب منهم المستشرقون ، على أنه من أفذاذ المفكرين .

ولا علينا ، قبل الإلماع إلى آراء من ترجم له ، وإلى أسلوبه ، أن نمرّ مروراً سريعاً بنشأته ...

فقد توفي أبوه وهو طفل ، فكفلته أمه وكانت ، على ما يظهر ، بعيدة النظر وعلى جانب عظيم من الذكاء ، فلم تشأ ، وهو ربيب نعمة وابن مجد وسؤدد ورئاسة ، وللعلماء مكانتهم المفضلة عند الخلفاء ـ لم تشأ أن يعيش ابنها إمعةً من الإمعات ، فوجّهته نحو العلم ، ولا سيما ، بعد أن لمست فيه حدة الذكاء وبشائر الألمعية والموهبة المشعّة .

وسار الطفل ، في هـذه الطريق الوعرة ، يعبّ الكثير من علوم ذلك العصر ، حتى إذا شارف فجر الشباب مال إلى تعلم أكثر من لغة واحدة .

وكانت السريانية واليونانية لغتي الثقافة الرفيعة في ذلك العصر ، كما هو شأن اللغتين الإفرنسية والإنكليزية في أوائل عصرنا هذا ، فانكبّ يتعلمهما باعتبارهما وسيلة العلماء لنقل آراء أساطين الإغريق ، وما زال مكباً على تعلمهما حتى تمكن منهما ، وعرف بين معاصريه بأنه في طليعة حذاق الترجمة ، وأصبح اسمه يقرن إلى اسم حنين بن اسحاق ومَنْ هم في منزلته الرفيعة من التراجمة :

ففي كتاب « طبقات الأطباء » نقلاً عن أبي معشر قوله :

« حذاق الترجمة في الإسلام أربعة : حنين بن إسحاق ، ويعقوب بن إسحاق الكندي ، وثابت بن قرة الحراني ، وعمر بن فرخان الطبري ... »

* * *

اتقان الكندي أكثر من لغة واحدة حفزه إلى أن يلمّ إلماماً واسعاً بمعارف عصره ، فاجتذبته آفاق العلم إلى رحابها ، وكان لا بد له من الغوص في لجج محيطاتها ، وإذا به إزاء عوالم مجهولة تضيء الفكر بشتى ألوان المعرفة . وحين نهل من تلك الينابيع الصافية ، وتلمس جمال تلك الآفاق العلوية التي تنعم بها غير أمته العربية ، رأى أن يعكف على الترجمة ، فترجم بعض الكتب ، ولخص بعضها ، وقرأ ما ترجم غيره ، ثم ألف عشرات الرسائل . وبذلك استطاع أن ينفع أمته بما تنعم به غيرها من شتى ألوان الثقافات .

يقول الدكتور ماكس مايَرْهوف في بحثه القيم عن « تاريخ التعليم الفلسفي والطبي عند العرب » :

« .. كان أبو يوسف بن إسحاق الكندي المسمّى فيلسوف العرب — كان حقاً ، بحسب ما نعرفه ، أولَ مسلم أتقن علوم اليونان ، إلى حد يدعو إلى الدهشة » .

« .. وكتب معتمداً في الغالب على التراجم السريانية لعلوم الأوائل ، قرابة ثلثمائة كتاب من تأليفه هو : في الطب والفلسفة والأرسطاليـة ، والفيثاغورية المحدثة والأفلاطونية المحدثة ، وفي الرياضيات والبصريات ، وفي الفلك والآثار العلوية ، والموسيقى والسياسة المدنية والأخلاق وغيرها ، وعن هذا الطريق ساعد على أن يفتح للعرب الطريق إلى علوم الأوائل ، كما هي الحال في التراجم [1] .

(١) التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية : دراسات لكبار المستشرقين ألّف بينها وترجمها الدكتور عبد الرحمن بدوي ص ٥٩ ـ ٦٠ .

ووصفه ابن النديم في الفهرست [١] بقوله : « فاضل دهره ، وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها ... »

وأشار صاحب كتاب «أخبار الحكماء [٢] » إلى ثقافته العامة بقوله : « كان كثير الاطلاع واشتهر بالتبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية ... »

ويقول سليمان بن حسان وهو ابن جلجل الأندلسي : « إن الكندي كان عالماً بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتأليف اللحون والهندسة وطبائع الأعداد وعلم النجوم ، وقيل إنه كان يملك جانباً من علوم الإغريق والفرس ، ويعرف حكمة الهند » .

واعتبره المستشرق ماسينيون ، إمام أول مذهب فلسفي إسلامي في بغداد ، وله أبحاث طريفة ، ثم اليه يرجع الفضل بعد ذلك في تحرير جملة من التراجم العربية لمصنفات يونانية في الفلسفة [٣] » .

* * *

هذا الفيلسوف العربي المعلي (الأنسيكلوبيدي) الثقافة أعطى مواهبه اشتى أنماط المعرفة فترجم عنها وكتب فيها وغاص في لججها وترك حشداً كبيراً من الكتب والرسائل لم يصل إلينا منها غير النزر اليسير — هذه الرسائل والمؤلفات بأي أسلوب كتبت ؟

هل تميّز بالسهولة والوضوح والإشراق ؟

هل واتته لغته وهو يترجم عن السريانية واليونانية ، ولا سيّما حين غاص في بحوث الطب والفلك ومعضلات الفلسفة ؟

(١) ص ٢٥٥ .
(٢) ص ٤٦ .
(٣) مجلة مجمع اللغة العربية : مصر ج ٥ ص ٦ .

وللترجمة من لغة إلى لغة شروط قاسية ، ولا سيما إذا كانت تتناول علماً وفناً وفلسفة .

ففي عصرنا هذا ، بالرغم من تطورنا الفكري ، وبالرغم من وجود تراجمة أفذاذ لا يقل مستواهم الفكري عن المؤلفين الذين ينقلون آثارهم ، وبالرغم من الهيئات العلمية التي يتولى بعض أفرادها نقل لغة العلم إلى لغتنا ، وتعريب الكثير من المصطلحات العلمية والفنية ، وبالرغم من حرص المجامع العلمية التي تظهر التشدد فيما إذا شذ بعض المترجمين عن روح اللغة ، وبالرغم من أن الترجمة عن اللغات الأجنبية قطعت شوطاً بليغ الأثر في تطورنا الفكري فما زال الخلاف مستحكماً حول الكثير من الألفاظ والمصطلحات العلمية والفنية والنفسية والفلسفية وغيرها وغيرها ... وهذا الذي حدا مجمع اللغة العربية في مصر ، (وهو يضم جهابذة علماء العرب والمستشرقين) على أن يشكل عدة لجان من العلماء المختصين « لوضع مصطلحات عربية في لفظها وفي معناها تحل محل المصطلحات الأجنبية » ومنهجه ، في وضع هذه المصطلحات « التنقيبُ عنها أولاً في كتب اللغة والعلم القديمة ، فإذا وجدها اعتمدها ، وإذا لم يجدها ، لجأ إلى الاشتقاق أو المجاز ، أو النسب أو التصغير ، أو نحو ذلك من القوانين اللغوية حتى تكون ثروة اللغة مستمدةً من أصولها ومواردها ، فتستغني بها عن سواها ، وتستطيع أن تثبُت أمام جيوش الألفاظ الاجنبية التي تحاول أن تغزوها لتحل محلها [1] » .

هذا ما نحاوله الآن ، وبالرغم من كل ذلك فما تزال وجهات النظر مختلفة في الكثير من الألفاظ والمصطلحات العلمية التي ننقلها عن لغات الغرب إلى لغتنا .

وبديهي ، والعرب في بدء اتصالهم بغيرهم من الأمم التي سبقتهم في ميادين الفكر الحضاري والتأليف العلمي والفلسفي — بديهي ألاّ تمتع الترجمات ،

(١) مجلة مجمع اللغة العربية : مصر ج ٥ ص ٦ .

ولا سيما إذا كانت خارجة عن نطاق المنثور والمنظوم من روائع الأدب — بديهي الا تتمتع هذه الألوان من مائدة الفكر بوضوح الأسلوب وسهولته ، وبصفائه وإشراقه ، بل بالدقة اللازمة لصوغ الفكرة وصقلها كما كتبت بلغتها الأصلية .

* * *

لا أريد في هذه التوطئة أن احكم حكماً قاسياً على أسلوب الكندي الذي طعن فيه بعض معاصريه دون أن يلتمسوا له الأعذار التي تلتمس لمن يتصدى لترجمة شتى أنماط الفنون والعلوم ، ولا سيما والكندي لم يقصر جهده على الترجمة فحسب بل ألف وصنف وكان من المبرّزين .

* * *

في كتاب « نزهة الأرواح » لشمس الدين الشهرزوري :

« ذكر أبو سليمان السجزي : أنه اجتمع هو وجماعة من الحكماء عند الملك أبي جعفر بن بويه بسجستان ، فجرى حديث فلاسفة الإسلام ، فقال الملك : ما وجدنا فيهم ، على كثرتهم ، من يقوم في أنفسنا مقام سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس .

فقيل له : ولا الكنديّ ..

قال : ولا الكنديّ .. فان الكنديّ على غزارته ، وجودة استنباطه رديء اللفظ ، قليل الحلاوة ، متوسط السيره ، كثير الغارة على حكمة الفلاسفة .. » (١)

(١) عن نسخة مصورة بمكتبة الجامعة المصرية ص ١٧٥ .

هذا الرأي الذي أطلقه الملك البويهي تناقله غير واحد ممن عرضوا إلى حياة الكندي وأسلوبه وقد انتهوا ، إلى ما انتهى إليه ، عدا ، مؤلف معاصر عني عناية كبرى بنشر بعض كتبه ورسائله وتحليل الغامض من آرائه وفلسفته ، أريد به الدكتور عبد الهادي أبو ريده الذي شجب هذا الرأي بقوله :

« ... لا شك أن في كلام هذا الأمير تحاملاً كبيراً ، لعله ناشئ من وجه ما ، عن أن الأمير البويهي أعجمي اللسان ، ثم هو ، بعد هذا ، ليس بالفيلسوف الذي يتذوق الأسلوب الفلسفي ...

« ولا يمكن الحكم على أسلوب كاتب إلا مع مراعاة موضوع الكتابة ، وطبيعة الأسلوب الذي يلائمه ، والاصطلاح الذي لا بد ان يجري عليه الكاتب في ذلك . فليس أسلوب الأديب الذي يصف المشاعر الإنسانية كأسلوب عالم الطبيعة الذي يتكلم عن عالم المادة وأحواله وعلاقاته ، ولا هو كأسلوب العالم المنطقي أو الرياضي الذي يصوغ قياساً ، أو يقيم برهاناً ، أو ينشئ استدلالاً بوجه عام ، ولا هو كأسلوب من يعرض الفلسفة ، ويقيم الدليل على قضية فلسفية ... »[1]

وكما اتهمه الأعاجم برداءة اللفظ لرداءة أفهامهم وُجد من اتهمه بجهل أبسط قواعد اللغة العربية .

روى عن ابن الأنباري أنه قال : ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس وقال له : اني لأجد في كلام العرب حشوا .

فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟

فقال : أجد العرب يقولون : عبد الله قائم ، ثم يقولون إن عبد الله قائم ... ثم يقولون : إن عبد الله لقائم ... والألفاظ متكررة والمعنى واحد .

(١) رسائل الكندي الفلسفية ص ٢٢ .

فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ . فقولهم : عبد الله قائم ، إخبار عن قيامه ، وقولهم : إن عبد الله قائم ، جواب عن سؤال سائل ، وقولهم : إن عبد الله لقائم : جواب عن إنكار منكر قيامه . فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني ...

قال : فما أحار المتفلسف جواباً !..

لا ريب أن أحد خصوم الكندي قد اختلق هذه القصة ، وقد كان له حسّاد وخصوم كثيرون ، حسدوه لمقامه الرفيع عند الخلفاء من جهة ، ولنزعاته الفلسفية المتحررة التي كانت تُعتبر عندهم هرطقة وزندقة من جهة أخرى [1] ، ولهذا ، أو لغير ذلك من العوامل ، كان يُرمى بالكثير من المثالب ومنها هذا المأخذ الذي ينقضه تبحره بعلوم العربية ، إذ ليس في مصنفاته ما يدل على جهله اللغة لدرجة تفوته فيها مثل هذه البديهيات ولا سيما ، وقد كان ، كما تشير الروايات ، من نقاد الأدب والشعر ، وقصة نقده لأبي تمام حين

---

(١) كان ثمة عداوة فكرية بين الكندي وبعض رجال الدين الذين اتهموه بالإلحاد كما اتهمهم هو بالاتجار بالدين وبتأويل الفلسفة تأويلاً سيئاً ، وارجع ذلك الى « ضيق في فطنتهم عن أساليب الحق ، وقلة معرفتهم بما يستحق ذوو الجلالة في الرأي والاجتهاد في الانفاع العامة الشاملة » ثم « لدرانة الحسد المتمكن من أنفسهم البهيمة ، والحاجب بسدف سجوفه أبصار فكرهم عن نور الحق » . وقد روى المسعودي في مروج الذهب قصيدة لأحد الشعراء اتهم فيها الكنديّ بالانتساب الى اليونانيين ودس آراء اللاحدة من الفلاسفة على الإسلام جاء فيها :

أبا يوسف اني نظرت فلم أجد ... على الفحص رأياً صح منك ولا عقدا
وصرت حكيما عند قوم اذا امرؤ ... بلاهم جميعاً لم يجد عندهم عندا
أتقرن إلحاداً بدين محمـــد ... لقد جئت فينا يا أخا كندة إدّا
وتخلط يوناناً بقحطان ضـــلة ... لعمري لقد باعدت بينهما جدا

أنشد احمد بن المعتصم قصيدته السينية مشهورة [(١)] .

وشك الأستاذ أبو ريدة أيضاً بهذه القصة فقال : « ولا يعقل أن الكندي العربي الصميم الذي أقام بالبصرة حيث وجد نحاة كبار ، وتأدب ببغداد ، ودرس المنطق ، يفوته إدراك الفرق في المعنى بين هذه العبارات ، ولا بد أن يكون في هذه الرواية خطأ ، خصوصاً لأن العالم اللغوي المذكور توفي بعد الكندي بأربعين عاماً ، أو أن يكون المقصود كندياً آخر ... ذلك لأن الكندي فيلسوف العرب يذكر في رسائله ما يدل على علمه باللغة ، فهو مثلاً يشترط فيمن يفسر آيات القرآن تفسيراً فلسفياً أن يكون عليماً بواقع القرآن حقيقة ومجازاً ، هذا إلى أنه يعطينا مثالاً لتفسير القرآن يدل ، إلى جانب تحليل الأصول الفكرية ، على نفاذ في فهم المعنى اللغوي ، كما أنه يذكر شواهد من الشعر مبيناً ما فيها من ضروب المجاز » [(٢)] .

* * *

(١) في كتاب « سرح العيون » لابن نباتة المصري حكي : أنه كان حاضراً عند أحمد بن المعتصم وقد دخل أبو تمام ، فأنشده قصيدته السينية ، فلما بلغ الى قوله :

إقدام عمرو في سماحة حاتم   في حلم أحنف في ذكاء إياس

قال الكندي : ما صنعت شيئاً .

قال : كيف ؟

قال : ما زدت على أن شبهت ابن أمير المؤمنين بصعاليك العرب ، وأيضاً ان شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ، ألا ترى الى قول العكوك في أبي دلف ؟ :

رجل أبر على شجاعة عامر   بأسا وغبر في محيا حاتم

فأطرق أبو تمام وأنشد :

لا تنكروا ضربي له من دونه   مثلاً شروداً في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره   مثلاً من المشكاة والنبراس

ولم يكن هذا في القصيدة فتعجب منه ، ثم طلب أن تكون الجائزة ولاية عمل فاستصغر عن ذلك . فقال الكندي : وأوه فانه قصير العمر ، لأن ذهنه ينحت من قلبه ، فكان كما قال .. »

(٢) المصدر السابق ص ٢٣ .

ونعود إلى موضوع أسلوبه على ضوء معالجة بعض الباحثين لهذه الناحية :

فالواقع ، أن غموض أسلوب الكندي أو وضوحه شغلا أكثر من مفكر واحد ممن تصدّوا لدراسة كتابه ورسائله ، وكان في طليعة الذين بحثوا هذا الموضوع الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق مدرس الفلسفة الإسلامية في جامعة القاهرة وهو كما نعلم أديب كبير ، حسن الترسل ، جزل العبارة ، مشرق الأسلوب يقول :

« ... والذي يلاحظ في أسلوب الكندي ، اعتماداً على المصادر الضئيلة التي وصلت إلينا من مؤلفاته : أن فيه غموضاً يأتي بعضه من أن الألفاظ الاصطلاحية لم تكن استقرت في نصابها وتحددت معانيها ..

ويقول : وقد يكون الغموض من عدم وضوح المعنى في نفسه ، وقد أشار إلى ذلك الأستاذ جلسن في كلامه على نظرية العقل عند الكندي حسبما ورد في رسالته « العقل » الموجودة باللاتينية حيث يقول : « المعاني ضعيفة كأن الكندي كان يكابد في امتلاك ناصيتها عناء » [(1)] .

والواقع ، أن الأصول التي كان يرجع الكندي إليها مترجمة كانت إلى العربية أو غيرها ، أو موجودة في لغاتها الأصلية لم تكن تخلو من تحريف ، ومن غموض ، وكان طبيعياً أن يجد الكندي عناء في استخلاص معانٍ منها مستقيمة في نظر العقل ، منتظمة النسق .

وكان جهد الكندي في استخلاص هذه المعاني ، مجتمعاً إلى جهده في إبرازها في لغة لم تذلل الأبحاث العلمية ، يظهر في أسلوب الكندي ، فيضعف من روعة بيانه حين يقاس بأساليب البلغاء من أدباء العربية في ذلك العهد ،

(1) Gilson (ET) Archives d l'histoire et literouire de moyen age (anné 1929 - 1930) Paris

ويضعف من وضوح معانيه أيضاً مع ميل الكندي للإيجاز ، والاقتصار من الألفاظ على ما يضبط المعنى ويمثله في الذهن مستقيما .

والظاهر : أن الغموض كان غالباً على أساليب المشتغلين بالبحوث العلمية في عصر الكندي لأسباب مختلفة يشير إلى بعضها الجاحظ في كتاب الحيوان ..»[1]

كأني بالأستاذ مصطفى عبد الرازق قد أقرّ بغموض أسلوب الكندي بعد أن التمس له عدة أسباب أهمها :

أ — أن الألفاظ الاصطلاحية الفلسفية لم تكن استقرّت في نصابها وتحددت معانيها .

ب — الغموض في نفس المعاني التي نُقِلت عنها .

جـ — كون العربية لم تذلل للأبحاث العلمية .

د — حرص الكندي على ضبط المعنى وتمثيله في الذهن مستقيما .

وقد عرض الدكتور أحمد فؤاد الأهواني إلى هذا الموضوع فقال :

« ... وقد شاع عن الكندي ضعف الأسلوب ، والنزول عن مستوى الأدباء .. وكيف نريد من الكندي حين يؤلف في الهندسة وعلم الهيئة ، وينقل كتب المنطق والفلسفة الأولى أن يصوغها في أسلوب الجاحظ ...

« على أنك تقع في بعض الأحيان على عبارات يبدو فيها الترسل فيرتفع إلى مقام البلغاء ... أمّا الغالب عليه فالغموض والتواء التعبير ومجافاة روح العربية ، ومرجع هذا كله إلى طول النظر في الكتب اليونانية والسريانية مع صعوبة النقل ووعورة الموضوعات ، واصطناع الألفاظ الجديدة للتعبير عن نظائرها في تلك اللغات .

وكان يستحدث في اللسان العربي ألفاظاً جديدة تعبر عن المعاني الفلسفية ولبس

(١) مجلة كلية الآداب : الجامعة المصرية ج ٢ مجلد ١ سنة ١٩٣٣ ص ١٢٨ .

هذا بالعمل اليسير (١) » وكذلك عرض الأستاذ أبو ريدة إلى نفس الموضوع فاتجه ، بعد أن درس ما ظفرت به المكتبة العربية من كتبه ورسائله ، اتجاهاً يخالف رأي الدكتور الأهواني ورأي أستاذه الشيخ مصطفى عبد الرازق . ومما ذكره بعد أن وطأ لهذه الرسالات بمقدمات وافية قوله :

« .. لا شك أن الكندي كان راسخ القدم في علم اللغة ، فنحن نجد أسلوبه قوياً من حيث استعمال الصيغ الاشتقاقية اللغوية التي يدهش لها القارئ الحديث ، فاذا تصفح المعاجم وجد أنها صيغ صحيحة ، وقد اضطررنا أن نشرح كثيراً من الألفاظ في تعليقنا على رسائله .

« وأسلوب الكندي ، بعد هـذا ، طويل النَفَس فيه بناء للفكرة والاستدلال ، بحيث قد تبلغ الجملة الواحدة أسطراً عديدة ، وبحيث لا يفهمها إلا من كانت له دربة على متابعة سير الاستدلال المنطقي الفلسفي ، وأن طول الجمل ، وما في ثناياها من فواصل اعتراضية قد كان من جملة الأسباب التي أوقعت المترجمين لرسائله إلى اللغة اللاتينية في الأخطاء .. إذ أنهم وقفوا حيث لا يصح الوقوف ، وألحقوا بعض جمل الصلة بما لا يصح أن تلحق به ... على ما بيناه في موضعه من رسالة « في العقل » ورسالة « في ماهية النوم والرؤيا » وهذا كله يظهر في رسائله التي نقدم لها ، فهو لا يحتاج إلى ذكر أمثلة ، ولا يخلو عرض الكندي لأفكاره من وثبات بلاغية صادرة عن قوة الإحساس ، وعن الحماس للفكرة التي يدافع عنها ، كما لا يخلو أحياناً من السجع أو من ضروب التمثيل والمجاز (٢) » ..

* * *

(١) كتاب الكندي الى المعتصم للأهواني ص ٣٤ .
(٢) رسائل الكندي الفلسفية ص ٣٤ .

لقد تعمدت من بسط هذه النصوص لأساتذة أعلام معنيين بالفلسفة الإسلامية وبدراسة فلسفة الكندي ، وعلى جانب مرموق من النزعة الأدبية البليغة ، تعمدت أن أشير إلى آرائهم في أسلوبه ، وكان الأستاذ أبو ريده أدق شرحاً للموضوع حين انتهى إلى وصف أسلوبه بأنه « جزل رصين ، قوي الألفاظ ، متين بناء الجمل ، موصول ما بينها وصلاً منطقياً ، وهو لا يخلو من سلاسة يستلذها الأديب الرزين الذي لا يرجح عنده رنين الألفاظ ، ولا العبارات التي تحرك الخيال على كمال بناء المعاني التي هي مجال القوة الفكرية .

ولا شك أن أسلوب الكندي ، من هذا الوجه متأثر إلى حد كبير بطبيعة الدراسة الفلسفية »[1] .

وهذا ما أشرنا إليه في صدر كلامنا ، حين قلنا إن معالجة موضوع أدبي بحت يختلف كل الاختلاف عن الموضوع العلمي أو الموضوع الفلسفي .

فالكندي وقد حذق اليونانية والسريانية وكان كما وصفه القفطي واسع الاطلاع على جميع العلوم ان هذا الفيلسوف العربي لم يجعل الترجمة ديدنه ، بل نقل بعض الكتب ، ثم قرأ علوم وفلسفة ذياك العصر والعصور التي تقدمته ، فهضم أكثرها وفلسف بعضها ، وحين ألف وصنف لم يعمد إلى ترجمة النصوص بقدر ما اعتمد على إدراكه وفهمه لها رغم وعورة مبناها ومعناها ، فكان بحق ذا ذهن متفتح مشع طاف مختلف الآفاق ، ويظهر أن اهتمامه بالمضمون كان أكثر من اهتمامه بالشكل ، أي إنه اهتم بفك الرموز والطلاسم وكتابتها بلغة سهلة مبسطة لتكون في متناول العقل العربي الذي أقبل يعب من تلك الينابيع الفياضة بلهف وشوق فكان يسوغ بعضها ، ويضيق ببعضها الآخر ، كل انسان بحسب ميوله وثقافته .

(١) نفس النص ص ٢٤ .

وبديهي أن الذين تجتذبهم روائع الأدب مثلاً غير الذين تجتذبهم المعادلات الجبرية وألغاز العلوم الطبيعية والفلكية .

فهل علينا ، في هذه الحالة ، أن نلتمس إشراق الأسلوب عند العالم كما نلتمسه عند الأديب ؟

وإذا لم نجد عنده سحر الكلمة واشراقها فهل نصف أسلوبه بالالتواء والغموض ؟ أبداً ، فقد كان الكندي بالنسبة إلى معاصريه ، وإلى من اشتغلوا بالعلوم والفلسفة ، واضحاً في بسط الكثير من الآراء والنظريات التي عرض لها .

وما علينا أن نقف وقفات قصيرة مع نبذ من الكلمات التي تركها لنا لنرى أنه كان كثير الدقة في عرض أفكاره في سهولة ويُسر لا يعتورها الغموض ، ولا سيما في الآراء الفلسفية التي لخصها عن فلاسفة الاغريق وأضفى عليها من علمه وأدبه ما جعلها سائغة للفكر العربي .

ففي رسالة النفس التي لخصها لأحد تلامذته عن أرسطو وأفلاطون وسائر الفلاسفة قوله :

« إن النفس بسيطة ، ذات شرف وكمال ، عظيمة الشأن ، وجوهرها من جوهر الباري عز وجل ، كقياس ضوء الشمس من الشمس ...

« وقد بين — يريد أرسطو — أن هذه النفس منفردة عن هذا الجسم ، مباينة له ، وأن جوهرها جوهر إلهي روحاني مما يُرى من شرف طباعها ، ومضادتها لما يعرض للبدن من الشهوات والغضب .

« وذلك أن القوة الغضبية قد تتحرك على الانسان في بعض الأوقات ، فتحمله على ارتكاب الأمر العظيم ، فتضادها هذه النفس ، وتمنع الغضب من أن يفعل فعله ، أو أن يرتكب الغيظ ، وترميه وتضبطه كما يضبط الفارس الفرس إذا همّ أن يجمح به أو يرميه .

« وهذا دليل بين على أن القوة التي يغضب بها الانسان غير هذه النفس التي تمنع الغضب أن يجريَ الى ما يهواه ... لأن المانع لا محالة غير الممنوع ، ولأنه لا يكون شيءٌ واحد يضادّ نفسه .

« وأما القوة الشهوانية فقد تتوق في بعض الأوقات الى بعض الشهوات ، فتفكر النفس العقلية في ذلك أنه خطأ ، وأنه يؤدي الى حالة ردية فتمنعها عن ذلك وتضادها ، وهذا دليل على أن كل واحدة منها غير الأخرى ... »

* * *

وفي مناقشته لآراء فلاسفة الاغريق من أفلاطون الى أفسقورس الى أرسطاليس ينتهي ، الى أنه لا مجال لبلوغ النفس أرقى المراتب الا بتطهيرها من الأدناس فيقول :

« ان الانسان اذا تطهر من الأدناس صارت نفسه حينئذ صقيلة ، تصلح وتقدر أن تعلم الخفيات من الغيوب ، وقوة هذه النفس قريبة الشبه بقوة الإلآه تعالى شأنه ، اذا هي تجرّدت عن البدن وفارقته وصارت في عالمها الذي هو عالم الربوبية ... »

ثم يخاطب أولئك الذين يجهلون حقائق الحياة ويهملون علوية النفس بقوله :

« فقل للباكين ممن طبعه أن يبكي من الأشياء المحزنة : ينبغي أن يبكي ، ويكثر البكاء على من يهمل نفسه وينهكها من ارتكاب الشهوات الحقيرة الخسيسة الدنية المموهة ، التي تكسبه الشرّةَ ، وتميل بطبعه الى طبائع البهائم ، ويدع أن يتشاغل بالنظر في هذا الأمر الشريف . والتخلص اليه ، ويظهر نفسه حسب طاقته ، فان الطهر الحق هو طهر النفس لا طهر البدن ، فان العالم الحكيم المبرز المتعبد لباريه اذا كان ملطخ البدن بالحمأة ، فهو عند جميع الجهال ، فضلاً عن العلماء ، أفضل وأشرف من الجاهل الملطخ البدن

بالمسك والعنبر ، ومن فضيلة المتعبد لله الذي قد هجر الدنيا ولذاتها الدنية ، أن الجهال كلهم — الا من سخر منهم بنفسه — يعترف بفضله ويجله ، ويفزع أن يطلع منه على الخطأ ...

« فيا أيها الانسان الجاهل ، ألا تعلم أن مقامك في هذا العالم إنما هو كلمحة ، ثم تصير إلى العالم الحقيقي ، فتبقى فيه أبد الآبدين ، وانما أنت عابر سبيل في هذا الأمر ، ارادة باريك عز وجل ... »

نقلت هذه الفقرات من رسالة في النفس لأشير الى أن قارئه يقع في الكثير مما دبجته براعته على الكثير من الفقرات والجمل التي تتميز بالسهولة والوضوح . واذ يعلم أن ذهن القارئ العربي في عصره لما يتفتح لتلك العلوم جنح الى الدقة والسهولة دون أن يخضع كلامه لأنماط الجناس والترصيع التي كانت أشبه بالوشي والتفويف لأنماط من البلاغة العربية .

ومهمة المترجم أو المؤلف الذي يتصدى لنقل أية فكرة من غير لغته أن ينقلها صحيحة واضحة . وهذا ما قام به الكندي الذي لعب أكبر دور في تاريخ الفكر العربي في تلك الفترة حين نصب نفسه أداة لنقل شتى أنماط المعرفة فكان له ما أراد ، وكان من الأوائل الذين استهوتهم فلسفة اليونان وعلومهم فألف فيها وصنف حتى اعتبر فيلسوف العرب بحق . « ولسنا بحاجة الى كثير شرح لنبين خطر الفلسفة منذ فتوح الإسكندر ، وأنها فلسفة الغرب منذ استولى الرومان على بلاد اليونان في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد ، فعرفوا نبوغ المغلوبين ، وأخذوا عنهم أسباب الحضارة المادية والعقلية ومنها الفلسفة ، واصطنع المفكرون المسيحيون هذه الفلسفة ، ثم اصطنعها المفكرون المسلمون ، ودخلت المدارس في الشرق والغرب فكونت العقول وهيمنت على وضع العلوم [1] » .

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم — المقدمة —.

وأدرك الكندي أثرها في تاريخ الفكر ، فجعل وكده أن لا يحرم العقل العربي من اشعاعها فنقل أصفى ألوانها وخاض في بحور شتى من العلوم فكان بحق معلّي (انسيكلوبيدي) التفكير . « أراد لأمته وهي في فجر نهضتها العلمية الاّ تكون متخلفة عن غيرها من الأمم فحقق الكثير من الأمنيات وترك للفكر العربي تراثاً خالداً ما زال موضع دراسة وتحقيق المفكرين والعلماء في الشرق وفي الغرب .

ونختم كلمتنا فنقول إن أسلوب الكندي وان لم يرتفع الى أساليب البلاغة الاّ أنه تميز بالدقة والسهولة ، ولا يُطلب من العالم الذي ينقل الينا في بدء عصور النهضة أنماطاً من شتى ألوان العلوم الا أن يكون أمينا في الترجمة وأن ينقل الآراء والفكر بدقة وسهولة ووضوح ، وهذا ما حاوله الكندي في شتى رسائله وكتبه .

سامي الكيالي

كان الراضي أديباً شاعراً . دوّن شعره ، خطب كثيراً على المنابر . قيل وكان آخر خليفة جالس الجُلساء ، ووصل النُدماء . وكانت نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه وخَدمه وحُجابه وأموره ، على ترتيب الخلفاء .

فمن شعره :

يصفرُّ وجهي إذ تأملَه طَرفي ويَحمرُّ وجهُه خجلاَ
حتى كأن الذي بوجنته من دمِ جسمي إليه قد نُقلا

ونسبها بعضهم إلى ابن رائق .

ومن شعر الراضي يرثي أباه المقتدر :

ولو أن حيًّا كان قبراً لميت لصيَّرت أحشائي لأَعظُمِه قبرَا
ولو أنَ عُمري كان طوعَ مَشيئتي وساعدني التقديرُ قاسمتِه العُمرَا
بنفسي ترى ضاجعتَ في تُربة البِلى
لقد ضم منك الغيثَ والليثَ والبدرَا

وهو شعر جيد في موضوعه ، وأن يقوله خليفة .

ومن شعره :

كل صَفوٍ إلى كدر كل أمرٍ إلى حذر
ومَصير الشباب للمو ت فيه أو الكِبَر
درَّ درُ المشيبِ من واعظٍ يُنذر البشر
أيها الآملُ الذي تاه في لُجـَّة الغِرَر

أينَ من كان قبلنا ؟ دَرَس العينُ والأَثر
يرد المعادَ مَن عُمرهُ كلُّه خطر
ربِ إني ادخرت عفـــوكَ أرجوكَ مدخر
انني مؤمنٌ بما بيّن الوحيُ في السُّوَر
ربِ فاغفرِ خطيتي (١) أنت يا خيرَ من غَفَر

المتقي لله (٢) :

مولده سنة ٢٩٧ — خلافته سنة ٣٢٩ (٩٤٠ م) — خلعه سنة ٣٣٣ (٩٤٤ م) .

من شعره وقد سملوا عينيه :

كحلونا وما شكو نا إليهمُ الرَمد
ثم عاثوا بنا ونحـــن أسود وهم نَقَد
كيف يغتر من أُقيـــمَ وفي دستنا قعد

(١) وفي رواية : « ربِّ فاغفر ليَ الخطيئة يا خيرَ من غفر » .

(٢) هو أبو اسحاق : إبراهيم بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل . أمه أَمَة اسمها (خلوب) وقيل (زهرة) . لما مات أخوه الراضي بقي أمر الخلافة موقوفاً انتظاراً لقدوم أبي عبد الله الكوفي : كاتب (بُجكَم) من واسط . ثم بُويعَ له . فلم يُغيّر شيئاً ، ولا تسرّى على جاريته التي كانت له . وكان كثيرَ الصوم والتعبد ، لم يشرب نبيذاً قط . وكان يقول : لا أريد نديماً غيرَ المصحف . غير أنه لم يكن

ــ وأمر بتحريم القِيان والخَمر ، وقبض على المغنين ، ونفى المخانيث ، وكسر آلات اللهو ، وأمر ببيع المُغنيات من الجواري على أنهن سَواذج . وكان مع ذلك لا يصحو من السُّكر ، ولا يفتر عن سَماع الغِناء ..

وفي سنة ٣٢٢ ظهرت الديلم . واستولَوا على البــلاد ، وخرجت خراسان وفارس عن حكم الخلافة .

وفيها قتلَ القاهرُ إسحاقَ بنَ إسماعيل النوبختي ، وهو الذي كان أشار بخلافة القاهر ، ألقاه على رأسه في بئر وطُمَّت . وذنبُه : أنه زايد القاهرَ قبل الخلافة في جارية واشتراها ، فحقَدَها عليه .

وفيها تحركت الجند عليه ، ذلك : أن ابن مُقلة كان في اختفائه يجتمع بالثوار ليلاً ، ــ تارة في زي أعمى ، وتارة في زي مُكْدٍ ، وتارة في زي امرأة ــ يوحشهم منه ، ويغريهم به ، ويقول لهم : إنه بنى لكم المطامير ليحبسكم ، وغيرَ ذلك . ويصانع المُنجمين على أن يُخوِّفوا القواد بما يبيِّته لهم القاهر من شر ، وما يُضمره لهم من غدر ــ ودخلوا عليه بالسيوف فهرب ، فأدركوه وقبضوا عليه . وبايعوا أبا العباس محمدَ بنَ المقتدر . ولقبوه : الراضي بالله .

قال علي بن محمد الخراساني : أحضرني القاهر يوماً ، والحربة بين يديه . فقال : أسألك عن خلفاء بني العباس : عن أخلاقهم وشِيَمِهم ؟

قلت : أمّا السفّاح ، فكان مُسارعاً إلى سفك الدماء ، واتّبعه عُماله على مثل ذلك . وكان مع ذلك سَمْحاً وَصولاً بالمال .

قال : فالمنصور ؟ قلت : كان أولَ من أوقع الفُرقة بين وَلَد العباس ، وولد أبي طالب . وكانوا قبلها مُتفقِين . وهو أولُ خليفةٍ قرَّب المنجمين ، وأول خليفة تُرجمت له الكتب السريانية والأعجمية . ككتاب كليلة ودمنة ــ

ـــ وكتاب اقليدس ، وكتب اليونان . فنظر الناس فيها ، وتعلقوا بها . فلما رأى ذلك محمد بن إسحاق ، جمع المغازي والسير . والمنصور أولُ من استعمل مواليَه ، وقدّمهم على العرب .

قال : فالمَهدي ؟ قلت : كان جواداً عادلاً مُنصِفاً ، ردّ ما أخذه أبوه من الناس غَصباً ، وبالغ في إتلاف الزنادقة . وبنى المسجد الحرام ، ومسجد المدينة ، والمسجد الأقصى .

قال : فالهادي ؟ قلت : كان جباراً متكبراً ، فسلك عمالُه طريقَه ، على قِصَر أيامه .

قال : فالرشيد ؟ قلت : كان مواظباً على الغزو والحج ، عمّر القصور والبِرَك في طريق مكة ، وبنى الثغور . كأذَنةَ ، وطَرسوسَ ، والمِصّيصَةِ ، ومَرْعَش . وعمّ الناسَ إحسانُه . وكان في أيامه البرامكة وما اشتهر من كرمهم . وهو أولُ خليفة من بني العباس لعِب الصوالجة ، ورمى النُشّاب : في البُرْجاس ، ولعب بالشِطْرَنْج .

قال : فالأمينُ ؟ قلت : كان جواداً ، إلا أنه انهمك في لذاته ففسَدت الأمور .

قال : فالمأمونُ ؟ قلت : غلب عليه النجومُ والفلسفةُ . وكان حليماً جواداً .

قال : فالمعتصمُ ؟ قلت : سلك طريقَه ، وغلب عليه حبُّ الفُروسية ، والتشبهُ بملوك الأعاجم واشتغل بالغزو والفتوح .

قال : فالواثقُ ؟ قلت سلك طريقة أبيه .

قال : فالمتوكل ؟ قلت : خالف ما كان عليه المأمون ، والمعتصم ، والواثق ، من الاعتقادات . ونهى عن الجدَل والمناظرات والأهواء ، ـــ

ـــ وعاقب عليها. وأمر بقراءة الحديث وسماعه، ونهى عن القول بخلق القرآن. فأحبه الناس .

ثم سأل عن باقي الخلفاء ، وأنا أجيبه بما فيهم . فقال لي : سمعتُ كلامك ، وكأني أشاهد القوم .

ولما أرادوا خلعه ، بعثوا إليه بالوزير والقضاة ، يدعونه إلى خلع نفسه ، فأبى . وقال لهم : إن لي في أعناقكم وأعناق الناس بيعةً ، ولست أبرئكم ولا أحلكم منها . فقال الوزير : يُخلع ولا نفكر فيه ، فأعماله مشهورة . ثم سملوا عينيه بمسمار محمي ، حتى سالتا على خديه .

قال المسعودي : أخذ القاهر من مؤنس وأصحابه مالاً كثيراً ، فلما خُلع وسُمل ، طُولب بها فأنكر . فعُذِّب بأنواع العذاب . فلم يقرّ بشيء . فأخذه الراضي ، وقرّبه وأدناه ، وقال له : ترى مُطالبة الجند بالمال ، وليس عندي شيء . والذي عندك ، فليس بنافع لك ، فاعترفْ به .

قال : أما إذا فعلتَ هذا ، فالمالُ مدفونٌ في البُستان . وكان قد أنشأ بستاناً فيه أصناف الشجر ، حُمِلت إليه من البلاد ، وزخرفه ، وعمل فيه قصراً . وكان الراضي مغرماً بالبستان والقصر . فقال : وفي أيّ مكانٍ المالُ منه ؟ فقال : أنا مكفوف ، لا أهتدي إلى المكان . فاحفِرْ البستان تجدْهُ . فحفَر الراضي البستان ، وأساساتِ القصر ، وقلَع الشجر ، فلم يجدْ شيئاً . فقال له : وأينَ المال ؟ فقال : وهل عندي مال ! وإنما كانت حسرتي في جلوسك في البستان ، وتنعّمك به ، فأردت أن أفجعك فيه . فندم الراضي ، وحبسه إلى سنة ٣٣٣ . ثم أطلقوه وأهملوه . فوقف يوماً بجامع المنصور بين الصفوف ، وعليه مُبطّنة بيضاء . فقال : تصدقوا علي ! فأنا من عرَفتم . وذلك في أيام المستكفي ، ليُشنّع عليه ، فمُنع من الخروج إلى أن مات .

الراضي بالله (١) :

مولده سنة ٢٩٧ — خلافته سنة ٣٢٢ (٩٣٤ م) — وفاته سنة ٣٢٩ (٩٤٠ م) .

---

(١) هو أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل . أمه أم ولد اسمها (ظلوم) بويع له يومَ خُلِع القاهر . وكان سجيناً . مذ سجنه القاهر ، فأخرجوه وأجلسوه على سريره . وبايعه القواد والناس ، ولقبوه بـ « الراضي بالله » وأراد علي بن عيسى على الوزارة ، فامتنع لكبره وعجزه وضَعفه ، وأشار بابن مقلة . وقال للراضي : أن الوقت لا يحتمل أخلاق علي ، وابن مقلة أليق بالوقت . فاستوزره .

وأمر ابن مقلة أن يُكتَب كتاب فيه مثالبُ القاهر ويُقرأ على الناس .

وفي هذا العام : ٣٢٢ قُتل مرداويجُ : مقدَّم الديلم ، وكان قد عظُم أمرُه ، وزاد جوره ، وظلمه . وغضب يوماً على الغِلمان الأتراك ، فأمر أن تُحطّ السروجُ عن الدواب — وقد كثُر صهيلُها ولَعِبُها — وأن توضع على ظهور أصحابها الأتراك . وتحدثوا : أنه يريد قصدَ بغداد ، وأنه مُسالم لصاحب المجوس . وكان يقول « أنا أردُّ دولة العجم ، وأمحق دولة العرب .

ثم اختلّ الأمر جدّاً ، فصارت البلاد : بين خارجيٍّ قد تغلب عليها . أو عاملٍ لا يحمِل للخليفة المال الذي قاطعه عليه . واستبد كل أمير ، وكل قائد بما تحت يده ، ولم يبقَ للخليفة غيرُ بغداد ، وغيرُ السواد ويدُ ابن رائقٍ عليه .

وسنة ٣٢٤ تغلب محمد بن رائق : أمير واسط ونواحيها ، وحكم البلاد ، وأبطل رمز الوزارة والدواوين ، وتولى هو وكُتّابُه جميعَ ذلك . وصارت الأموال تُحمل إليه . وبطلت بيوت المال . وبقي الراضي معه صورة .

استدراك وتعليق

ونظرة إلى تاريخ بني العباس

— ٨ —

القاهر بالله (١) :

مولده سنة ٢٦٨ — خلافته ٣٢٠ (٦٣٢ م) — خلعه سنة ٣٢٢ (٦٣٤ م) .

من شعره ، وقد سملوا المتقي لله : إبراهيم ، وكان هو قد سُمِل قبلَه :

صِرتُ وإبراهيمَ شيخَي عمىً   لا بُدَّ للشيخين من مَصْدر
ما دام (توزونُ) له إمرةٌ   مُطاعةٌ فالمِيلُ في المِجمَر

---

(١) هو أبو منصور بن محمد بن المعتضد . أمه أم ولد اسمها (فِتنة) . كان أهوجَ ، سفّاكاً للدّماء قبيحَ السيرة ، كثيرَ التلون والاستحالة ، مُدمنَ الخمر . ولولا حاجبه سَلامه ، لأهلك الحَرث والنسل . كان صنَعَ حَربة يحمِلها ، فلا يطرحها حتى يقتل بها إنساناً .

لما قُتل المقتدر ، أُحضر هو ، ومحمدُ بن المكتفي بن المعتضد ، فسألوا ابن المكتفي أن يتولى الأمر . فقال : لا حاجة لي في ذلك ، وعمي هذا أحقُّ به ، وكُلِّم القاهر فأجاب .

وكان مؤنس الخادم ، يرى أن يُنصَّب أبو العباس بن المقتدر بعد أبيه ، قال : « إنه تربيتي وهو عاقل ، وفيه دين وكرم ، ووفاء بما —

— يقول . فاذا صارت إليه الخلافة سمحت نفسُ جدته : والدةُ المقتدر ، وإخوته وغِلمان أبيه ببذل الأموال » . فخالفه النوبختي وقال : « استرحنا بعد الكد والتعب من خليفةٍ له أمٌ وخالةٌ وخدم يدبرونه ، فنعود إلى تلك الحالة ! والله لا نرضى إلاّ برجل كامل يدبر نفسَه ، ويُدبرنا . »

تشاغل القاهر بالبحث عمن استتر من أولاد المقتدر وحرمه ، وبمصادرتهم . وبمناظرة ، والدة المقتدر ، وكانت مريضة ، وزاد في مرضها ما بلغها عما لقيه ابنُها المقتدرُ من تعذيب وتشهير ، فامتنعت عن المأكول والمشروب ، حتى كادت تهلِك ، فوعظها النساء حتى أكلت شيئاً يسيراً من الخُبز والمِلح . ثم أحضرها القاهر عنده ، وسألها عن مالها ، فاعترفت له بما عندها من المَصوغ والثياب ، ولم تعترف بشيء من المال والجوهر . فضربها أشد ما يكون من الضرب ، وعلّقها برجلها ، وضرب المواضع الغامضة من بدنها ، وأخرجها لتُشهِد على نفسها القضاةَ ، والعدولَ بأنها قد حلت أوقافها ، ووكلت في بيعها . فامتنعت وقالت : « وقفتها على البر والقُرَب بمكة والمدينة والثغور ، وعلى الضَعَفى والمساكين . فلا استحل حلّها ولا بيعَها . وأنا أُوكل على بيع أملاكي » فحلها هو ، وأشهد على نفسه . فبيعت كلُها .

وسنة ٣٢١ شغب عليه الجند ، واتفق مؤنس وابن ُمقلة وآخرون على خلعه بابن المكتفي .

فتحيّل القاهر عليهم ، إلى أن أمسكهم وذبحهم ، وطيّن على ابن المكتفي حائطين ، واختفى ابن مقلة ، فأُحرقت دارُه ونُهبت دور المُخالفين . ثم أطلق أرزاق الجند ، فسكتوا . واستقام الأمر للقاهر ، وعظُم في القلوب ، وزِيد في ألقابه ، المُنتقمْ من أعداء دين الله . ونقِش ذلك على السِكة .

—

ــ له من الخلافة إلا اسمُها . وكانت أيامه منغصة عليه ، لاضطراب الأتراك .
فلما اشتد الأمر عليه ، كتب إلى الاخشيد : صاحب مصر أن يحضر إليه ،
ثم راسل توزن ــ في الصلح ــ وتوزن ، هو الذي كان الخليفة المتقي
قد ولاه إمارة الأمراء ، ثم وقعت بينهما الوحشة ــ فأجاب (توزن)
إلى الصلح ، وبالغ في الإيمان . وقدم الاخشيد على المتقي وهو بالرَّقة ،
وقدّم له تُحفاً كثيرة ، وتوجع لما ناله من الأتراك . وكان بلغه مصالحةُ
الخليفةِ و (توزن) فقال له : يا أميرَ المؤمنين ! أنا عبدُك وابنُ عبدِك ،
وقد عرفتَ الأتراك وفجورهم وغدرهم . فاللهَ اللهَ في نفسك . سِر معي
إلى الشام ومصر ، فهما لك وتأمن على نفسك !.

فقال المتقي : كيف اقيم في زاوية من الدنيا ، واترك العراق متوسطة
الدنيا وسُرَّتها ، ومستقر الخلافة وينبوعها . فقال الاخشيد : فأقمْ هنا ،
وأنا أمدُّك بالأموال والرجال . فلم يقبل . فودعه الاخشيد ورجع إلى
بلاده . وسار المتقي إلى بغداد على إيمان (توزن) : أمير الأتراك ،
بأن لا يغدر به ، وزُيِّنت له بغدادُ زينةً ضرب بها المثل . فلما أن
وصل إلى السندية على نهر عيسى ، تلقاه (توزن) ، وترجَّل ، وقبَّل
الأرض ، فأمره المتقي بالركوب ، فلم يفعل ، ومشى بين يديه إلى المخيَّم
الذي ضربه له . فلما نَزلَ قبض عليه وعلى ابن مقلة ، ومن معه ، ثم
سمل الخليفة فاذهب عينيه ، فصاح ، وصاح من عنده من الحَرَم والخَدم ،
وارتج المكان ، فأمر (توزن) بضرب الدبادب إخفاءً للأصوات .
وعمِيَ المتقي لله . وأدخل بغداد مسمولَ العينين . وقد أُخذ منه الخاتم
والبردة والقضيب .

وأحضر (توزن) عبد الله بن المكتفي ، وبايعه بالخلافة ولقب
المستكفي بالله . وبايعه المتقي المسمول ، وأشهد على نفسه بالخلع . ولما ــ

المستكفي بالله (١) :

مولده سنة ٢٩٢ — خلافته سنة ٣٣٣ (٩٤٤ م) — خلعه سنة ٣٣٤ (٩٤٦ م) .

لم يُروَ له شعر .

— كمل قال البيتين اللذين ذكرا في ترجمته . وفي خلافته ، سقطت القبة الخضراء بمدينة المنصور ، وكانت تاج بغداد ، ومأثرة بني العباس . وهي من بناء المنصور . كان ارتفاعها ثمانين ذراعاً ، وتحتها إيوان طوله عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، وعليها تمثال فارس بيده رُمح . فاذا استقبل بوجهه جهةً ، عُلِم أن خارجيًّا يظهر من تلك الجهة . سقط رأس هذه القبة في ليلة ذات مطر ورعد .

(١) أبو القاسم عبد الله بن المكتفي بن المعتضد . أمه أم ولد اسمها (أملح الناس) في أيامه عظُم شأن بني بويه . دخل أحمد بن بويه دار الخلافة ، ووقف بين يدي الخليفة فخلع عليه ، ولقبه : معز الدولة . ولقب أخاه علياً : عماد الدولة ، وأخاهما الحسن : ركن الدولة . وضرب ألقابهم على السِكة أيضاً .

وقوي أمر معز الدولة ، فحجر على الخليفة ، وقدّر له كل يوم ، برسم النفقة خمسة آلاف درهم . ثم إنه تخيّل منه ، فدخل عليه ، فوقف والناس وقوف على مراتبهم . فتقدم اثنان من الديلم إلى الخليفة فمدّ إليهما يده ، ظنًّا منه أنهما يريدان تقبيلها . فجذباه عن السرير ، حتى طرحاه على الأرض . وجرّاه بعِمامته . وهاجم الديلم دارَ الخلافة إلى الحرَم ، فنهبوها ، حتى لم يبق فيها شيء ! ومضى معز الدولة إلى منزله ، وساقوا المستكفي ماشياً إليه ، فسُمِل وخلع . وبايعوا الفضل بن المقتدر . ثم قدّموا ابن عمه المستكفي المسمول ، فسلم عليه بالخلافة وأشهَد على نفسه بالخلع .

—

— وكان القاهر لما بلغه سمل المتقي قال : صِرنا اثنين ، نحتاج إلى ثالث . ولم يطُل الوقت حتى سمل المستكفي فصاروا ثلاثة .

وذكروا في تولية المستكفي رواية لا بأس من إيرادها ، لما فيها من الدّلالة على أثر المرأة والمـال ، في كل دولة ، وفي كل أمة ، وفي كل عصر .

قال أبو العباس التميمي الرازي — وكان من خواص (توزن) — كنت أنا السببَ في البيعة للمستكفي . ذلك أنه دعاني إبراهيم بن الزوبندار الديلمي — أيام المتقي — فمضيت إليه . فذكر لي أنه تزوج إلى قوم ، وأن امرأة منهم قالت له : إن هذا المتقي قـد عاداكم وعاديتموه ، وكاشفكم . ولا يصفو قلبه لكم . وها هنا رجل من أولاد الخلفاء ، من ولد المكتفي . وذكرت : أدبَه وعقلَه ودينَه . تنصبونه خليفة ، فيكون صنيعتكم وغرسكم . ويدلكم على أموال جليلة لا يعرفها غيره وتستريحون من الخوف والحِراسة » . ثم قال : فعلمت أن هـذا أمرٌ لا يتمُّ إلاّ بك ، فدعوتك له .

قلت : أريد أن أسمع كلام المرأة . فجاءني بها . فرأيت امرأة عاقلة جزْلةً . فذكرَتْ لي نحواً من ذلك . فقلت : لا بد أن ألقى الرجل . فقالت : تعود غداً إلى هنا . فعدت . فوجدت الرجل قد أُخرج من دار ابن طاهر في زِي امرأة . فعرّفني بنفسه . وضمِن إظهار ثماني مئة ألف دينار ، منها مئة ألف لـ (توزن) وذكر وجوهاً .

وخاطبني خِطاب رجلٍ فاهم عاقل . وأتيت (توزن) فأخبرته فوقع كلامي في قلبه . وقال : أريد أن أُبصر الرجل . فقلت : لك ذلك على أن يبقى أمرُنا مكتوماً . وكان أنِ اجتمعنا به . وخاطبه (توزن) وبايعه .

قال أبو العباس : فلما أُتِيَ بالمتقي قلت : لـ (توزن) أنت على —

المطيع لله (١) :

مولده سنة ٣٠١ — خلافته سنة ٣٣٤ (٩٤٦ م) — خلعه سنة ٣٦٣ (٩٧٤ م) .

لم يرو عنه شيء من الشعر .

— ذلك العزم ؟ قال : نعم ! قلت : فافعله الساعةَ ! فإنه ان دخل الدار بعُد عليك مَرامُه . فوكّل به وسمّله . وجرى ماجرى . وبويع المستكفي بالخلافة .

وصارت تلك المرأة قهرمانة المستكفي ، وسمّت نفسها (عَلَم) ، وغلبت على أمره كله . فلما تمّ على المستكفي ما تمّ ، قطعوا لسانها .

(١) هو أبو القاسم الفضل بن المقتدر بن المعتضد . أمه أم ولد اسمها (شَغلة) لم يكن له شيء من الأمر إلاّ الخُطبة . كان يطلب الخلافة ، فلما وليها المستكفي خافه فاستتر منه . وطلبه المستكفي أشد الطلب فلم يظفر به . فلما قدِم معز الدولة بغداد ، قيل : إنه انتقل إليه ، واختبأ عنده ، وأغراه بالمستكفي ، حتى قبض عليه وسمله وخلعه ، على ما ذكرنا .

وفي أيام المطيع ازداد أمر الخلافة إدباراً . كان لها بعضُ الحُرمة ، فزال ذلك كلُه ، ولم يبق للخليفة أيام معز الدولة وزيرٌ ، وإنما هو كاتب كان يدير إقطاعه وإخراجاته . وصارت الوزارة لمعز الدولة ، يستوزر لنفسه من يريد . وقرر للخليفة نفقةً كل يوم مئة دينار . وصيّره ألعوبة في يديه . خرج به لقتال ابن حمدان ، ثم عاد به وهو معه كالأسير .

ويقول ابن الاثير : كان من أعظم الأسباب في ذلك : أن الديلم كانوا يغالون في التشيع ، ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة مستحقيها ، فلم يكن عندهم باعث ديني يحثهم على الطاعة . حتى بلغني : أن معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه في إخراج الخلافة من العباسيين ، والبَيعة لرجل من العلويين . فكلُّهم أشار بذلك ، إلاّ رجلاً —

الطائع (١) :

مولده سنة ٣١٧ — خلافته سنة ٣٦٣ (٩٧٤ م) — خلعه سنة ٣٨١ (٩٩١ م) .

ما رويَ له شعر .

(له بقية) عارف النكدي

— قال له : ليس هذا برأي . إنك اليومَ مع رجل تعتقد أنت وأصحابُك أنه ليس من أهل الخلافة ، فلو أمرتهم بقتله ، لقتلوه مستحلين دمه ، فلو صارت الخلافة إلى علَوي تعتقد أنت وأصحابُك صِحة خلافته ، وأمرهم بقتلك لفعلوه . فاعرض عن ذلك .

وزاد بختيار بن المعز في التشدد على المطيع ، حتى باع قُماشه ، وطالت لاستسلامه وخنوعه أيامُه تسعاً وعشرين سنة ، فكثرت فيها النكبات من : زلازل ، وحرائق ، وغلاء ، ومجاعات ، فأُكلت الجِيف . ومات الناس على الطرقات ، وأُكلتِ الكلاب لحومَهم . وبيعت العَقَارات بالرُّغفان . وشويت الصغار والمساكين . وجاء جَراد طبق الأرض . وملكت القرامطة ثم العبيديون دمشق .

(١) هو أبو بكر عبد الكريم بن المطيع . أمه أم ولَد اسمها (هزار) مضت الخلافة أيامَه في ضَعفِها وذُلّها إلى منزلة مضحكة . يتصرف بها السلطان كيف أراد . غضِب عضد الدولة على الخليفة فقطع الخطبة له . بُرهة من الزمن ، ولم يكن للخليفة من الخلافة غيرُها . ولما ظهر عضد الدولة على عز الدولة وقتله — خلع الطائع عليه خلع السلطنة ، وتوّجه بتاج مجوهر ، وطوّقه ، وسوّره ، وقلّده سيفاً ، وعقد له لواءين بيده ، —

ـــ أحدهما مفضض ، على رسم الأمراء ، والآخر مذهّب على رسم ولاة العهد . ولم يعقد هذا اللواء الثاني لغيره ، قبله . وكتب له عهداً ، وقُرىء بحضرته . ولم تجر العادة بذلك . فقد كان يدفع العهدُ إلى الولاة بحضرة أمير المؤمنين . فاذا أخذوه . قال أمير المؤمنين : هـــذا عهدي إليك فاعمل به .

ثم كان من الطائع بعد ذلك : أن أمر أن تضرب الدبابات على باب عَضُد الدولة ، في الصبح والمغرب والعشاء ، وأن يخطب له على منابر الحضرة . وسأل عضدُ الدولة الطائعَ أن يزيد في ألقابه : تاج الملّة ، ويُجدّد الخِلَع عليه ، ويُلبسه التاج ، فأجابه إلى ذلك كله . وضُربت سِتارة بعث بها عضُد الدولة ، لتكون حجاباً للطائع ، فلا تقع عليه عينُ أحدٍ من الجُند قبله . ودخل الأتراك والديلم ، ووقف الأشراف وأصحابُ المراتب من الجانبين ، ثم أُذِن لعضد الدولة فدخل ، ثم رُفعت الستارة ، وقبّل عضد الدولة الأرضَ ، فارتاع زيادُ القائد ، وقال لعضد الدولة : ما هذا أيها الملك ؟ أهذا هو الله !... قال عضد الدولة : هذا خليفة الله في الأرض ! ثم استمر يمشي ويقبّل الأرض سبع مرات .

فالتفت الخليفة إلى خالص الخادم وقال له : إستدنه ، فصعد عضُد الدولة ، فقبّل الأرض مرتين . فقال له : أدنُ إلي ! فدنا ، وقبّل رجله ، فثنى الطائع يمينه عليه ، وأمره أن يجلس على كرسي ، فقبّلها وجلس بعد أن كرّر ذلك عليه ، وهو يستعفي إلى أنْ قال له أقسمت عليك لتجلس . ثم قال له الطائع : قد رأيت أن أفوض إليك ، ما وَكَل الله إليّ من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها ، وتدبيرها في جميع جهاتها سوى ـــ

ـــ خاصتي وأسبابي . فتولَّ ذلك ! فقال : يُميني الله على طاعة مولانا أمير المؤمنين . ثم أفاض عليه الخِلَع .

وهذا المشهد المضحك ، الذي عقبته هذه الولاية العظمى ، كان بعدها أن عضد الدولة يوم جاء بغداد قادماً من همذان ، بعث رسوله يطلب إلى الطائع أن يتلقاه ، فما وسِعَه التأخر .

ولما أنزلوا الطائع عن سريره ـــ ما أغنى عنه ذله ولا خضوعه ـــ ، جعل يسترجع ويستغيث ، فلا يُلتفَت إليه ، وأخذوا ما في داره من الذخائر . ونهب الناسُ بعضهُم بعضاً . وكان من جملتهم الشريف الرضي ، فبادر بالخروج فسلِم . وقال أبياتاً :

من بعد ما كان ربُّ الملك مبتسماً إليَّ أدنوه في النجوى ويدنيني
أمسيتُ أرحم من قد كنتُ أغبِطُه لقد تقارب بين العِز والهُون
ومنظر كان بالسراء يُضحكني يا قربَ ما عاد بالضراء يُبكيني
هَيهاتَ أغترُّ بالسلطان ثانيةً قد ضَلَّ ولاّجُ أبوابِ السلاطين

* * *

نادرة : وكأن العامة ، سمعت بقصة زياد : قائد عضد الدولة ، وبما كان منه مع الخليفة الطائع فحولتها إلى هرون الرشيد ووزيره جعفر . فزعمت أن الرشيد قال لوزيره يوماً : آتني برجل لا يعرف الكُنافة نسخر به .

قال : يا أمير المؤمنين ! أو بقي في الناس من لا يعرف الكنافة . قال الرشيد : لا بدَّ مما قلتُ ، وجعل جعفر يسعى في طِلبة الخليفة . إلى أن وقع أصحابه على أعرابي أشعث أغبر ، لا يُدرى أي البوادي قذفت به . فجاؤا به إليه . وقُدِّمت له الكنافة ، فأخذ ينهمُ فيها . فلما أن فرغ ـــ

قالوا له : أتدري ما أكلت ؟ قال : يقولون : أن الحمّام نعيم الدنيا ، فلا شك أن هذا الحمام .

فلما كان من الغد ، جاؤا به إلى مجلس الخليفة ، فأخذته رهبة الملك وجلالته ، فالتفت إلى الرشيد فقال : السلام عليك يا ربنا ! ثم إلى جعفر فقال : السلام عليك يا رسول الله ، ثم إلى من في المجلس : فقال : السلام عليكم أيها الملائكة السلام عليكم أيها الأنبياء .

فقال جعفر : يا أمير المؤمنين ! أردت رجلًا لا يعرف الكنافة ، فأتيتك بمن لا يعرف الله ، ولا رسوله ، ولا ملائكته ، ولا أنبياءه . . .

وكأن هذه الأحدوثة أو (الحدوثة) من تلك .

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا • ل • كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

— ٢ —

رقم المصطلح			رقم المصطلح
٦٧٦	مُولِّد حائلة الذُّكور (جسم أو مادة)	Androgène (substance)	676
٦٧٧	مِذْكار مولد الذّكور	androgène	677

وأقر مجمع اللغة مُنشط الذكورة • ففي اللفظة الأولى لا أرى صلة ملزمة لترجمة اللفظة بحائلة الذكور بل تطلق على كل مادة منشطة الذكورة • أما اللفظة الثانية فهي صفة لا اسم وترجمتها المنشطة الذكورة • ومن الخطأ استعمال لفظة مِذْكار في هذا المعنى [1] •

(١) في اللسان : وأذكرت المرأة وغيرها فهي مُذْكِر ولدت ذكراً وامرأة مُذْكِر ولدت ذكراً فاذا كان ذلك لها عادة فهي مِذْكارٌ وكذلك الرجل أيضاً مِذْكار •

679 Anémie ;oligémie ; oligaemie — فاقة دم ، نقر دَم ، ٦٧٩
olighémie ; spanémie — نَقْص دَمٍ

وأقر مجمع اللغة معرباً اللفظة بأنيمية . وترجمة الألفاظ الأخرى نقص الدم أو قلته .

696 Anesthésie douloureuse — فقدان حس مؤلم ٦٩٦

وأقر مجمع اللغة خُدار مؤلم

717 Anévrisme disséquant — أمدّم صالخة ٧١٧

وأقر مجمع اللغة الأنورسما المُشَرِّحة ، وأراها أفضل من السالخة [1] التي تدل على عملها السطحي .

بينما المراد من اللفظة الأنورسما التي تفرق بين طبقات النسج .

763 Anhydride — لا مائي ، بلا ماء (حمض) ٧٦٣

764 Anhydride d'acide — بلا ماء حَمْض ٧٦٤

وأقر مجمع اللغة لفظة لا مائي في الأولى (الانكليزية Anhydrous) . وعرب الثانية بأندريد مع تعريفها بأنها المادة التي تتخلف عن فصل عناصر الماء من مادة ما .

816 Anophèles — بَرْغش ، بَعوض خبيث ٨١٦

وأقر مجمع اللغة بعوضة الأجمة .

817 Anormal, le ; vicieux, euse — غير نظامي ، شاذ ، معيب ٨١٧

وأقر مجمع اللغة لا سَوي للفظة الأولى .

819 Anox (h) émie, anoxyémie, anoxie — عدم تأكسد الدم ٨١٩

(١) في اللسان : السَّلخ كشط الإهاب عن ذيه . سَلَخ الإهاب يسلخه ويسلخه سلخاً كشطه .

وأقر مجمع اللغة أنوكسيا ، وسبق لي أن أبدت ملاحظاتي عن هذه اللفظة [1] .

827 Antéflexion ٨٢٧ خَنَث ، ميل إلى الأمام

وأقر مجمع اللغة انحناء إلى الأمام [2] .

828 Antéhypophysaire ٨٢٨ نخامي أمامي

829 Antéhypophyse, lobe antérieur de l'hypophyse ٨٢٩ الفص الأمامي (للغدة النخامية)

ودرجت على ترجمة اللفظة الثانية بمقدَّم النخامية واللفظة الأولى هي النسبة إليها (مُقدَّمي نخامي) تمييزاً لها من مؤخر النخامية الذي يمثل الفص الخلفي للغدة المذكورة .

830 Antenne ٨٣٠ قَرْن (في الحشرات)

قَرْن لامس وزباني كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي . وكما أقرها مجمع اللغة أيضاً .

839 Anthracose, pneumoconiose Anthracosique ٨٣٩ تضخُّم الرئة ، تَترَّب الرئة الفَحْمي

وأقر مجمع اللغة الأنثراكوسية بالتعريب والسُّحار الفحمي [3] .

843 Antibiotique ٨٤٣ صاد عن الحياة ، مُرْدٍ

وأقر مجمع اللغة معرباً اللفظة بأنتيبيوتي ومضاد الحيويات [4] .

---

(١) الصفحة ٤٧٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) لقد سبق لي أن أبديت ملاحظاتي على كلمة خنث (الصفحة ٤٧١ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة) .

(٣) ولفظة السُّحار مشتقة من السَّحَر . فقد جاء في القاموس المحيط السَّحر ويحرك وبضم الرئة .

(٤) ودرجت على ترجمة اللفظة بمانع التعايش وصاد التعايش (Symbiose) (الصفحة ٤٧٢ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة) .

٨٤٧ ضد الخثرات — 847 Anticoagulants

وأقر مجمع اللغة مانع التخثر وسبق لي أن ترجمت اللفظة بمضادات التخثر [١] .

٨٥٠ أضداد ، أجسام ضدية — 850 Anticorps

وأقر مجمع اللغة أجسام مضادة (للحيويات) .

٨٥٦ مكونة الضد — 856 Antigène

مولد المضاد كما أقرها مجمع اللغة العربية .

٨٦١ إثمد (انتيموان) — 861 Antimoine

وأقر مجمع اللغة التعريب بالأنتيمون [٢] .

٨٦٨ عكس الحركات الإلتوائية ، حركة إلتوائية مضادة — 868 Antipéristaltisme

وأرجح حركة التحوي المعاكسة وقد ترجمت اللجنة لفظة (Péristaltisme) بالتحوي (اللفظة ١٠٠٧٥) .

٨٨١ ضد الذيفان — 881 Antitoxiue

وأقر مجمع اللغة ضد التكسين [٣] .

٨٨٦ غار — 886 Antre

وأقر مجمع اللغة جيب .

٨٨٨ زرام — 888 Anurie

سبق لي أن فضلت ترجمة اللفظة بانقطاع البول [٤] . أقر مجمع اللغة ترجمة

(١) الصفحة ٤٧٢ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في القاموس المحيط : والإثمد بالكسر حجر للكحل ، ولا أرى اللفظة تدل على المعدن المذكور .

(٣) الصفحة ٦٥٦ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) الصفحة ٤٧٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

اللفظة بالصَّري [1] معرفاً إياها بانقطاع البول وهو وقوف إفرازه ، ولا أرى في لفظة الصَّرى الدلالة المطلوبة [2] .

894 Aorte — ٨٩٤ الوتين

الوتين والأورطي كما أقره مجمع اللغة .

905 Apepsie — ٩٠٥ فَقْد الهضم

وأرجح لا هضم .

921 Apnée — ٩٢١ انقطاع النفَس ، وقوف التنفس

وأقر مجمع اللغة البُهْر [3] .

984 Apport, contribution — ٩٨٤ واردٌ ، مساهمة

985 Apport de fer — ٩٨٥ وارد الحديد

986 Apport sanguin — ٩٨٦ وارد الدم

وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بالإتيان أو الجَلْب ، والإسهام . والثانية جلب الحديد أو الإتيان به والثالثة الوارد الدموي .

987 Apposition — ٩٨٧ دَمْج ، خَتْم

وأقر مجمع اللغة التراكب .

1008 Arborisation — ١٠٠٨ تشجُّر

1009 Arborisation pulmonaire — ١٠٠٩ تشجُّر رئوي

---

(١) الصفحة ٤٣٣ من الجزء الرابع عشر من مجلة مجمع اللغة العربية ترجمة اللفظة Suspension of urine (anuria)

(٢) جاء في المعجم الوسيط وفي اللسان : صَرِيت الناقة ونحوها تَصرَى صرىً حَفَل ضرعها باللبن وصَرى الماء واللبن طال مكثه ففسد وصَرى الدمع اجتمع في العين ولم يجر .

(٣) في القاموس المحيط البُهْر انقطاع النفَس من الإعياء .

وأرجح غُصون في اللفظة الأولى وغصون الرئة في الثانية ، ولم أعثر على لفظة تشجر في المعاجم التي رجعت إليها .

1019 Arcade ١٠١٩ قَوْس ، رُواق

قوس ، طاق ، قنطرة في المعجم العسكري .

1026 Ardoisé, ée ١٠٢٦ أخطب (اللون)

وأرجح أردوازي . ولم يأتِ في المعجم الأصلي في الترجمتين الانكليزية والألمانية [١] ما يشير إلى النسبة إلى اللون . كما أني لا أرى لفظة أخطب تفي بالدلالة على اللون ان صحت النسبة إليه [٢] .

1033 Arête ١٠٣٣ ضِلْعٌ مجسمة ، حَرْف

والأصح ناتئ أو شوك عظمي [٣] .

1044 Armoise, artémise ١٠٤٤ حَبَق الراعي ، بَرْنْجاسَف

أرطُماسيا ، أرطاماسيا كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي

1048 Arrêt du cœur, syncope mortelle ١٠٤٨ وُقُوف القلب ، غشي مميت

ودرجت ترجمة اللفظة بتوقف القلب وغشي مميت .

1049 Arrêt de développement, aplasie ١٠٤٩ وُقوف النمو ، لا استنساج

وأرجح توقف النمو وأبلازيا تعريباً .

1054 Arrière-foix; délivre; annexes foetales secondaires ١٠٥٤ مَلاكيع . لَواحِق الجنين

---

(١) الترجمة الانكليزية (slaty, slate - like, schistous) والألمانية (Schicferig) .

(٢) في القاموس المحيط : والخُطْبة بالضم لونٌ كَدِرٌ مُشْرَبٌ حمرة في صُفرة أو غُبْرة ترهَقُها خُضرة .

(٣) معجم بلاكستون في شرح لفظة (Spine) .

وأقر مجمع اللغة السُخْد وأغشيته في ترجمة لفظة (After, brith) وجاء في شرح اللفظة الذي تسميه العامة الخلاص [1] . وأرى أن لفظة ملاكيع تفي بالمعنى نفسه [2] .

1134 Arthropodes ١١٣٤ مَفصليات الأرْجل

1162 Ascaride lombricoïde ١١٦٢ صَفَر ، حيّة البطن

وأقر مجمع اللغة أخيراً الصَفَرِي الخراطيني بعد أن سبق له أن أقر لفظة اسكارس ابريكوئيد [3] .

1163 Ascendance ١١٦٣ قَرابة الأسلاف

وأفضل السَّلَف .

1181 Asphyxie blanche ١١٨١ اختناق أبيض

وأقر مجمع اللغة الاختناق الشاحب .

1190 Assimilation, anabolisme ١١٩٠ تمثّل ، تطوُّر صاعدٌ

تطوُّرُ تركيب

وأقر مجمع اللغة التمثيل ، والابتناء .

1196 Assommer ١١٩٦ قتل بدبّوس

ولعلَّ قَمَصَ أو الإقعاص أفضل [4] .

1197 Assoupir, endormir ١١٩٧ هَوَّمَ ، همَّد ، نوَّم

(١) الصفحة ٤٤٢ من الجزء الرابع عشر من مجلة المجمع اللغوي .
(٢) في اللسان : والملاكيع ما خرج مع السَّلَى من البطن من سُخْد وصاءة وغيرها .
(٣) الصفحة ٦٢٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .
(٤) جاء في اللسان : القَعْص والقَعَص القتل المُجْل والقَعَص الموت الوَحِيّ ، يقال مات فلان قعصاً إذا أصابته ضَرْبة أو رَمْية فمات مكانه ، والإقعاصُ أن تضرب الشيء أو ترميه فيموت مكانه . وضربه فأقعصه أي قتله مكانه .

1197 Assoupir (s') هَوَّمَ ، هَمَدَ ، أغفى ١١٩٧

1198 Assoupissant, ante مُهَوِّم ، مُهَمِّد ، مُنَوِّم ١١٩٨

1199 Assoupissement ; sommeil léger غفو ، سِنَة ١١٩٩

وأرجح في ترجمة اللفظة الأولى هَوَّم ونوَّم . أما هَمَد وهَمَّد ومهمِّد فلا أراها تفي بالمراد (١) ، وأفضل في ترجمة اللفظة الثالثة مُنوِّم ومُرْقِد وفي الرابعة إغفاءة (٢) وغفوة .

1206 Aster, monaster نَجْمٌ ، نَجْمٌ فرد ١٢٠٦

وأرجح المرحلة النجمية ، ومرحلة النجم الضخم أو الأم . لأن ما يعنى بهذه اللفظة هو الإشعاع النجمي البادي في الخلية إبان الانقسام الفتيلي أو التخيط (Mitose) .

1207 Asthénie نَهَك ، نَقَه ١٢٠٧

وأقر مجمع اللغة الوَهْن . وهي اللفظة الشائعة في كلية الطب من جامعة من القديم .

1210 Asthénopie ou kopiopie Accomodative حَسَر تكيفي أو ضعف البصر التكيفي ١٢١٠

وأرجح حَسَر تكيفي أو إرهاق البَصَر التكيفي .

1211 Asthénopie musculaire ضَعْف الأحداق (ضعف العضلة المستقيمة الأنسية) . ١٢١١

وأرجح الحَسَر العضلي .

---

(١) في اللسان : الهَمْدَة السكتة ، هَمَدت أصواتهم أي سكنت ، هَمَد يهمُد همودًا فهو هامِد وهَمِيد وهَميد مات إلى أن قال والهمود الموت كما هَمَدت ثمود .

(٢) في تاج العروس : الغفوة النومة الخفيفة وقد جاء في الحديث واغفاءة الصُّبْح نومته .

1214 Asthme (bronchique) ١٢١٤ رَبْوٌ (قَصَبي)

وأقر مجمع اللغة النَّسَمة [1] والرَّبو .

1224 Astragale ١٢٢٤ كَعْبة

وأقر مجمع اللغة المُخَلْخَل ، وعرفه بأنه أعلى عظام القدم ويتصفل مع عظمي الظنبوب والشظية ليكوّن مفصل الكرسوع . أما لفظة كَعْبة فلها معنى آخر [2] .

1225 Astringent, ente ١٢٢٥ عَفِص ، قابض

1226 Astringents ١٢٢٦ عَقولات ، معقلات ، قابضات

وأقر مجمع اللغة العَقول [3] . في الأول والعقولات الثانية .

1228 Asymétrique ١٢٢٨ لا متناظر

وأقر مجمع اللغة لا متماثل .

1229 Asynclitisme ١٢٢٩ مجيء جداري

والصحيح ما أقره مجمع اللغة : اللا تزامل . وقد عرف اللفظة بعدم التطابق بين محور الجزء الناتئ من الجميل ومحور الحوض .

---

(١) في اللسان : النسيم من الرياح التي تجيء بنفَس ضعيف والنَّسَم جمع نَسَمَة وهو النَّفَس والربو . وفي الحديث تنكبوا الغُبار فان منه تكون النَّسَمة ، قيل النَّسمة هنا الرَّبو ولا يزال صاحب هذه العلة يتنفس تنفساً ضعيفاً .

(٢) في اللسان : الكَعْبان العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم عن الجنبين إلى أن قال : وقال اللحياني الكَعْب والكَعْبة الذي يلعب به وجمع الكَعْب كِعاب وجمع الكعبة كَعَب وكَعَبات . وقال والكَعْبة البيت المربّع وجمعه كِعاب . والكعبة البيت الحرام . أما الخلخل فقد جاء في اللسان أيضاً والمُخَلْخَل موضع الخلخال من الساق .

(٣) في اللسان : وعَقَل الدواء بطنه يَعقِله ويعقُله عقلاً أمسكه وقيل امسكه بعد استطلاقه واسم الدواء العَقول .

1230 Asystolie; insuffisance décompensation ; défaillance cardio-vasculaire ; décompe- -nsation cardiaque congestive ١٢٣٠ استرخاء القلب ، قصور لا معاوضة ، وَهَن قلبي وعائي لا معاوضة القلب الاحتقانية

وأرجح أن تكون ترجمة هذه الألفاظ تباعاً : استرخاء القلب ، قصوره ، انكسار المعاوضة ، الغشي (١) القلبي الوعائي أو العِرْقي ، انكسار معاوضة القلب الاحتقاني .

1235 Athéromateux, se ١٢٣٥ مَعْصود

1236 Athérome, kyste sébacé, loupe, tanne ١٢٣٦ وَرَمٌ معصود اكيسة دُهْنية

1237 Athérosclérose ١٢٣٧ تصلب عَصيدي

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Athérome) بتعصد ، فتكون ترجمة الالفاظ السالفة : تعصدي ومتعَصّد ، تَعصُّد ، كيس دهني ، ورم شحمي (وقد أهملته اللجنة) .

1238 Athrepsie ; algidité progressive des nouveau-nés ١٢٣٨ سَغَل ، جَحَن ، إصقاع الولدان المترقي

وأرجح أتربسيا وَضوى وصُقاع الولدان المترقي . وما تعنيه لفظة (Atrepsie) هو اضطراب التغذية الخلقي في الولدان ومنه اصابتهم بالبرودة المترقية بسبب ذلك

---

(١) ليس ثمة لا معاوضة بل اضطراب المعاوضة ، وقد درجت على ترجمة اللفظة بانكسار المعاوضة ، والغشي ترجمة لـ (Défaillance) والأفضل تخصيص لفظة وَهن ترجمة لـ (Asthénie) .

كما جاء في مترادف اللفظة في المعجم ، مما يؤيد تخصيصها بالولدان [1] .

1242 Atonie — ١٢٤٢ وَهْن

وأرجح استرخاء ثم وَهْن بعد أن أقر مجمع اللغة ترجمة (Asthénie) بوهن [2] .

1244 Atrabile — ١٢٤٤ سَوْداء ، حُوَّة

وأرجح المِرّة السوداء كما جاء في الترجمة الانكليزية لهذه اللفظة (Black bile) ويعنى بها في الطب القديم (ولم يعد لها استعمال) المادة التي يتأتى منها المزاج السوداوي . أما الحُوَّة فهي تشير إلى لون ولا أرى فيها ما يشير إلى ما تقدم [3] .

1252 Atrophie involutive — ١٢٥٢ ضُمُور تَغلُّفي

والصحيح ضُمور نُكوصي والنسبة في اللفظة الفرنجية هنا إلى (Involution)

---

(١) في اللسان : الضَّوى دقة العظم وقِلّة الجسم خِلْقة وقيل الضَّوى الهزال ضَوِيَ ضوىً ، إلى أن قال وغلام ضاوِيٌّ وكذلك غير الانسان من أنواع الحَيوان وما أدري ما أضواه وأضْوى الرجل وُلِدَ له ولدٌ ضاوِيٌّ وكذلك المرأة . وفي الحديث اغتربوا لا تضوُوا أي تزوجوا في الأباعد الأنساب لا في الأقارب لئلا تضوى أولادكم .
أما السَّغَل وإن أفاد المعنى أو ما يدانيه فليس خاصاً بالولدان . فقد جاء في اللسان : السَّغِل الدقيق القوائم الصغير الجثة الضعيف والاسم السَّغَل والسَّغِل والوَغِل السَّيىء الغذاء المضطرب الأعضاء السَّيىء الخُلُق يقال صبي سَغِل بيِّن السَّغَل وسَغِل الفرس سَغَلًا تحدّدَ لحمه وهُزِل .
وأما لفظة جَحَن فهي تشير إلى سوء الغذاء اطلاقاً دون تخصص بالولدان وبكونه خِلْقياً أيضاً . ففي اللسان : الجَحِنُ السيىء الغذاء وقد أجحنته أمه وصَبِيٌّ جحِنُ الغذاء وقد جَحِن بالكسر يجحَنَ جَحَناً وأجحنته أساءت غذاءه والجحِن البطيء الشباب .
(٢) الصفحة ٧٦ من هذا العدد .
(٣) في اللسان : الحُوَّة سواد إلى الخضرة وقيل حُمْرة تَضْرب إلى السواد .

التي درجت على ترجمتها بالنكوص [١] . وما يعنى باللفظة هو الضمور البادي في الأعضاء بسائق الشيخوخة والهرَم بحيث يتراجع حجم الأعضاء عامة ويضطرب بذلك بناؤها . وأكبر الظن أن اللجنة قد توهمت بأن النسبة في (Involutive) تعود الى (Volvulus) أي التفاف المعوي .

أما مجمع اللغة فقد ذكر في مصطلحات علم الجراحة [٢] في ترجمة لفظة (Involution cyst of breast) أكياس أرْبية بالثدي ، بينما جاءت ترجمة اللفظة ذاتها في الجزء الرابع عشر من مجلة مجمع اللغة العربية [٣] أكياس أوبية بالثدي ولم أعثر على أي تصويب في الكتابين المذكورين يتبين منه صحة إحدى اللفظتين ولعلّ أوْبية هي الصحيحة [٤] .

١٢٧٠ إعتلان ، مجيْء (قِبالة) 1270 Attitude (obs.)

والصحيح وَضْع أو وَضعة [٥] . فقد جاء في تعريف اللفظة في معجم بلاكستون : وضعة البدن والأطراف ، وبالنسبة إلى الحميل (أو الجنين) بعضها ببعض في الرحم (وهو المقصود هنا في علم القبالة أو التوليد) أما اعتلان

(١) في اللسان : النُكوص الرجوع وراء وهو القَهْقَرى .

(٢) الصفحة ١٠٥ من المجلد الثاني من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع (يونيو ١٩٦٠) . وجاء في شرح اللفظة وتحدث في التهاب الثدي المزمن .

(٣) الصفحة ٤١٧ من الجزء الرابع عشر من مجلة مجمع اللغة العربية (١٩٦٢) وجاء في شرح اللفظة وتحدث في التهاب الثدي المزمن أيضاً .

(٤) في اللسان : آب إلى الشيء رَجَعَ يؤوب أوْباً وإياباً وأوبةً وأيبة على المُعاقبة وإيبة بالكسر رجع . أما أرْبي فهو نسبة إلى أرْب وأرْبية وليس لكليهما أن يفي بالمعنى المطلوب . فقد جاء في اللسان والأُرْبيّة : أصل الفخذ والأُرْبة بالضم العُقْدة التي لا تَنْحَلُّ حتى تُحَلّ حلاً وقال ثعلب الأُربة العقدة ولم يخص بها التي لا تنحل ، ولا أدري إذا كان المراد من الأُرْبي هو العُقْدي .

(٥) في اللسان : ووَضَعَ الشيء في المكان : أثبته فيه وتقول في الحَجَر واللَّبِن إذا بُني به ضَعْه غير هذه الوَضْعة والوِضْعة والضَعَة كله بمعنى .

أو مجيء (وجيئة كما أقرها مجمع اللغة) فينبغي تخصيصها بترجمة (Position) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ذات الرقم ١٠٨٩٣) فهو يدل على الجزء الذي يظهر من الجنين أولاً عند خروجه من الرحم .

1271 Attitude, comportement — استعداد ، قبول ١٢٧١

وأرجح سلوك أو تصرف [1] ، وترك استعداد ترجمة لـ (Receptivité, Aptitude)

1277 Attitude stéréotypée — وَضْع تَوَتُّبي ١٢٧٧

والصحيح وَضْع نَمَطي [2] .

1279 Attitude vicieuse (obs.) présentation anormele — مجيء مَعيب (قبالة) مجيء شاذ ١٢٧٩

والصحيح وَضْعة معيبة ، جيئة معيبة .

1285 Aubépine, crataegus — زَعْرُور ١٢٨٥

والصحيح زُعْرور بالضم كما جاء في لسان العرب وفي معجم الألفاظ الزراعية .

1287 Audi-mutité, aphasie congénitale, alalie idiopathique — بَكَم ، حُبْسة خِلْقية ، بَكامة ذاتية ١٢٨٧

وأرجح خَرَس ، خَرَس خِلقي ، اللا نُطق أو فقد النطق التلقائي . فقد عرفت اللفظة : خَرَس خِلقي لا يَصحبهُ صمم ولا ينجم عن حالة عقلية ويزول

---

(١) فقد جاء في ترجمة اللفظة إلى الانكليزية في المعجم الأصلي (Behaviour , condact) وقد سبقت ملاحظتي على هذه اللفظة (الصفحة ٩٠ من المجلد الخامس والثلاثين في اللفظة ذات الرقم ٢٩٥٣) .

(٢) الصفحة ٥٩٦ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

مع الزمن (١) . وليس للفظة أن تفي بالمعنى المطلوب (٢) .

١٢٩٢ ازدياد الوزن ، تزيد الوزن — 1292 Augmentation pondérale, croissance pondérale

وأرجح ازدياد الوزن والنماء بالوزن أو وزناً .

١٢٩٨ ذَهبية — 1298 Auride

وأرجح اندفاع أو طَفَح ذهبي . وما تعنيه هذه اللفظة الاندفاعات الجلدية البادية في سياق المعالجة بأملاح الذهب .

١٣١١ انحلال ذاتي ، انهضام ذاتي — 1311 Autolyse, autodigestion

وأقر مجمع اللغة انحلال تلقائي ، انهضام تلقائي .

١٣١٢ نامية — 1312 Automatisme

١٣١٣ نامية القيادية — 1313 Automatisme de commendement

١٣١٤ نامية قبضية — 1314 Automatisme de préhension

وأرجح أن تكون ترجمة هذه الألفاظ تباعاً : التلقائية الانقيادية والتلقائية الإطباقية كما درجت على ترجمة اللفظة الأخيرة ويعني بها المنعكس الفيزيولوجي ، الذي يجعل الرضيع يطبق بأصابعه على كل ما لامس راحة يده أو أخمص قدمه ، ويظهر المنعكس المذكور في أورام الفص الجبهي أيضاً .

(١) M. Garnier et V. X J. Delamare : Dictionnaire des Termes Techniques de Médecine

(٢) في اللسان : البَكَمُ الخَرَس مع عِيٍّ وبَلَه وقيل هو الخَرَس ما كان وقال ثعلب البَكَم أن يولد الانسان لا يَنْطِق ولا يَسمَع ولا يُبْصر بَكِم بَكَماً وبَكامة وهو أبكم وبكيمٌ أي أخرس بيِّن الخَرَس إلى أن قال بَيْن الأخرس والأبكم فرقٌ في كلام العرب فالأخرس الذي خُلِق ولا نُطق له كالبهيمة العجماء والأبكم الذي للسانه نطق ولا يعقل الجواب ولا يحسن وجه الكلام . وجاء في اللسان في لفظة خَرَس : الخرَس ذهاب الكلام عياً أو خلقة .

1315 Autoplastie du périnée ١٣١٥ تصنيع العِجان

وأرجح إعادة تكوين العجان أو تقويمه .

1320 Autosérothérapie ١٣٢٠ استمصال ذاتي

وأرجح المعالجة المصلية الذاتية .

1322 Auto-transfusion ١٣٢٢ نقل دم ذاتي

لقد أقر مجمع اللغة ترجمة لفظة (Transfusion) بإصفاق ، فتكون ترجمة اللفظة إصفاق ذاتي . وأرى لفظة نقل الدم أفضل من إصفاق [1] .

1326 Avaler de travers ١٣٢٦ بَلَع عكساً

وأرجح بَلَع بلُقَم كبيرة أو مسرعاً ولم يتضح لي كيف يكون البلع عكساً .

1339 Avoine ١٣٣٩ شُوفان ، عَلَف

خَرْطان هُرْطان ، خافور ، شوفان في معجم الألفاظ الزراعية للأمير الشهابي

1341 A volonté ١٣٤١ طِبْق المُراد

وأرجح كما يراد أو على قدر ما يراد .

1342 Avortement ١٣٤٢ إسقاط

وأقر مجمع اللغة الاجهاض .

1343 Avortement artificiel ١٣٤٣ إسقاط مُصْطَنع

وأقر مجمع اللغة ابتعاث الاجهاض شارحاً اللفظة بإحداثه قصداً .

1344 Avortement complet ١٣٤٤ اسقاط تام

وأقر مجمع اللغة إجهاض كامل .

(١) في اللسان : وصَفَق الشراب وصفَّقه وأصْفَقَه حوّله من إناء إلى إناء ليصفو .

1345 Avortement criminel ou provoqué — إسقاط جنائي أو مُفْتَعَل ١٣٤٥

وأرجح اجهاض جنائي أو مُحْدَث .

1346 Avortement habituel — إسقاط مُعْتاد ١٣٤٦

وأقر مجمع اللغة الاجهاض المعاود ، شارحاً اللفظة كما يلي : إجهاض متتال متكرر في نفس دور النشوء تقريباً ثلاث مرات متتابعات أو أكثر .

1347 Avortement imminent — إسقاط قريب ، ١٣٤٧

menace d'avortement — تهديد بالاسقاط

وأقر مجمع اللغة : الاجهاض المنذر وشرح اللفظة كما يلي : وفيه تظهر علامات وأعراض خروج الجنين فيمنع بالعلاج أو يتم الاجهاض .

1349 Avortement spontané — إسقاط عَفوي ١٣٤٩

وأقر مجمع اللغة : الاجهاض التلقائي .

1351 Avorton — سِقْط ١٣٥١

وأقر مجمع اللغة الجهيض .

1352 Avulsion, extraction, arrachement, évulsion — قَلْع ، إخراج ، نزع ، جَعْف ١٣٥٢

وأقر مجمع اللغة نَتْش ويمكن أن يضاف إليها إخراج وقَلْع .

1362 Axis — فائق ، فقرة العُنق الثانية ١٣٦٢

وأقر مجمع اللغة : الفائق — المحور وشرح اللفظة بأنها الفقارة العُنقية الثانية .

1363 Axonge, saindoux — شحم الخنزير ، شَحْمَنْزير ١٣٦٣

1364 Axonge benzoïné — شحم خنزير مُجوّى ١٣٦٤

والأفضل أن نقتصر ترجمة اللفظة الأولى على شحم الخنزير وأن تكون

اللفظة الثانية شحم الخنزير البانزوئيني أو البانزوآني (حسب الترجمة الانكليزية) .
وقد اشتقته اللجنة لفظة مجوّى من الجاوي ، وبهذه اللفظة في العربية معان أخرى[1] .

1372 Azoté, ée مُنَتْرَج ١٣٧٢

1373 Azotémie تنترج الدّم ١٣٧٣

وأرجح آزوتي في اللفظة الأولى والآزوتميا في اللفظة الثانية .

B

1377 Babeure مَخِيض (شنينة) ١٣٧٧

مخيض وممخوض في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

1405 Bacillémie تعصّون الدم ١٤٠٥

وأرجح التعريب بباسليميا .

1408 Bacilles acido-résistants عُصَيّات مقاومة الحَمْض ١٤٠٨

عصيات مستعصية على الحَمْض

وأقر مجمع اللغة عُصَيّات صامدة للحَمْض .

1413 Bacillus abortus. عُصَيات مُسْقِطة ١٤١٣

bacille de Beng عُصَيّات بنغ

عصيات مُجْهِضة كما أقرها المجمع اللغوي .

1416 Bacillus cutis communis عُصيات جلدية عامة ١٤١٦

وأرجح عصيات جلدية شائعة .

1424 Bactérie راجِبِيّة ١٤٢٤

وأقر مجمع اللغة معرباً اللفظة بكتريا .

(١) في اللسان وفي الوسيط : جَوِيَ فلانٌ يجوى جوًى مرض صدره وجَوِي ضاق صدره من داء لا يكاد تبين عنه لسانه وجَوِيَ تطاول مرضه وجوى الماء تغيّر وأنتن وجوّى السقاء ونحوه رقق والخ .

1425 Bactériémie ١٤٢٥ تجرثم الدم

وأرجح تعريب اللفظة بيكتريميا ما دام مجمع اللغة عرب اللفظة السابقة .

1431 Bactériophage ١٤٣١ مُلتهِمُ الجراثيم

وأقر مجمع اللغة ملتقمة البكتريا .

1450 Bain d'eau-mère ١٤٥٠ حمام ماء أصلي

والصحيح حمّام بماء الملح الكثيف [1]

1465 Bain du pied, pédilave ١٤٦٥ حمّام القدم

وأرجح تغطيس القدم .

1467 Bain de siège ١٤٦٧ حمّام المَقْعَد

والصحيح تغطيس المَقْعَدة [2] .

1471 Bain statique ١٤٧١ حمّام ساكن

وأرجح حمّام بالكهرباء الساكنة . لأن المقصود من اللفظة الحمّام الذي يجري باستعمال الكهرباء الساكنة وعلى ذلك جاءت ترجمة اللفظة إلى اللغة الانكليزية في المعجم الأصلي (static bath) و (Franklinization) أي الفرنكلة ويقصد بها الكهرباء الساكنة .

1474 Bain-marie ١٤٧٤ حمّام مَرْيَم أو مائي

لا أظن أن لفظة (marie) يقصد بها اسم مَرْيَم ولو كان ذلك لكتب الحرف الأول كبيراً وقد اقتصرت الترجمتان الانكليزية والألمانية للمعجم الأصلي على حمّام مائي وأرجح مَغْطس مائي حار أو تغطيس مائي حار أو تغطيس مائي حار وهو المقصود من اللفظة .

(١) معجم بلاكستون في لفظة (Brine bath) .

(٢) في اللسان : والمَقْعَدة السافلة . والمَقْعَد والمَقْعَدة مكان القعود .

١٤٧٥ حمّامات دوائية 1475 Bains médicinaux

وأرجح حمامات طبية لأن النسبة هنا إلى (médicinal) ولو كانت دوائية لوجب في اللفظة الفرنجية أن تكون (médicamenteux) .

١٤٧٦ مَحفَظة الشِدْق ، انظر خد مدلى 1476 Bajoue, V. abajour

وأرجح المَجَنّ [1] .

١٤٨٨ حَوْجَلة ، حَوقَلة 1488 Ballon

وأقر مجمع اللغة قبابة قنينة — قارورة . وشرح اللفظة بقوله أوعية من الزجاج أو نحوه على أشكال شتى . وأرى أن لفظة حَوْقَلة [2] صحيحة الدلالة على معنى لفظة (Ballon) أما القنينة والقارورة والحوجلة فينبغي تخصيصها ترجمة لـ (Bouteille) أو (Facon) .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

---

(١) الصفحة ٣٠١ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : الحوْجلة والحَوْجلّة القارورة فقط . الحَوْفلة القارورة الطويلة العُنق تكون مع السقاء .

كتاب

وصف المطر والسحاب

وما نعتته العرب الرّوّادُ من البقاع

للإمام

أبي بكر محمّد بن الحسن بن دُرَيد الأزديّ

٢٢٣ - ٣٢١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذي علّم الإنسان سحر البيان ، وعلّم الأعرابَ وصف السحاب ، والصّلاة الطيّبة على من بُعث في العرب الأميّين رسولاً منهم يعلّمهم الكتاب والحكمة ؛ ويكونُ لهم وللعالمين في هـذه الحياة هدى ورحمةً إلى يوم الدين .

أمّا بعدُ فإني كنت قد وصفت في مجلة مجمعنا العلمي من ذخائر قبة الملك الظاهر كتاب (وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرُّوّاد من البقاع) من تصنيف أعلم الشعراء وأشعر العلماء وإمام البصريين في زمانه الشيخ الإمام أبي بكـــر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٢٢٣ — ٣٢١ هـ) ، وذكرت أن في كتابه هذا ثلاثين حديثاً منها سبع وعشرون في المطر والسحاب ، وثلاثة أحاديث في الرّوّاد ، والحديث الأول في نعت الرسول العربيّ المُبين للسحاب ، وهو في الأمالي والأزمنة والأمكنة للمرزوقي بهذه الرواية الدريديّة عنها .

وليس في أمالي القالي من هـذه الأخبار غير الحديث النبوي وخبرين في السحاب ، وفي الأزمنة والأمكنة ومخصّص ابن سيده وديوان المعاني لأبي هلال وغيرها بعض الأخبار وأكثرها قصار أو أقوال للأعراب في وصف الغيث والسحاب ، وقد جمعت مختارها في ذيل الكتاب لتتم فائدته ، وشرحت ما غفلَ المصنّف أو الناسخ عن شرحه من غريب اللغة .

ومن المعاصرين مَن ذهب إلى أن الهمذانيّ قد وضع مقاماته على غرار ما ورد في الأمالي عن الأعراب في وصف السحاب مما رواه القالي عن شيخه ابن دريد ، وأنه من إنشائه ، وكأنهم يرون أن من العسير ارتجال أوصاف السحاب بمثل هذا البيان والاتقان ، على أن الأعراب في مظانهم ، وليس بينهم وبين السماء حجاب ، يكثرون بطبيعتهم وحاجتهم إلى الغيث من التحديق في السماء ، فأمسوا بطول الملاحظة والتجريب يميّزون بين البرق الخُلّب والبرق الصادق المغيث ، وبين العارض الممطر الذي يُترع الغُدران والكهام الذي لا يبلّ القيعان ، ولقد رأيت أيام فراري إلى البادية (١) أن صبيان الأعراب لكثرة ما يسمعون من آبائهم من أوصاف السحب

(١) في الحرب العالمية الأولى من بني جمال السفاح ، وكان معي من شهداء شباب العرب : الجلال البخاريّ والأمير عارف الشهابي وعمر حمد وتوفيق البساط وعبد الغني العريسي وأحمد مريود رحمهم الله .

قد حفظوا عن ظهر قلب تلك العبارات الوصّافة ، ومن عرف البوادي والفيافي مثلي وشافهَ الأعرابَ وسمع ألفاظ صبيانهم لا يَرى ما ينقل ابن دريد عن غلمان الأعراب عسيراً عليهم ولا كثيراً ، ولا يزال الأعراب في زماننا هذا في بوادي الشام ونجد والعراق واليمن وعُمان من أبرع الناس في معرفة أنواع السحاب . وفي المطر منه والكهام ، وفي معرفة أشكال البرق الخلب والذي يخلفه الحيا ، والدّيمة التي تحيا بهـا الأرض شهرين أو أربعة أو نصف عام أو عاماً ، وما يبلغ الماء عمقَ شبر أو شبرين أو ذراعاً ، ويعرفون أسماء المطر من الطش والرش والسحّ وأسماء الغمام والقَزَع والرّكام .

مخطوطة الظاهرية . — لعلّ هذه النسخة الخطية هي أجلُّ نسخة في خزائن الأرض ، فقد ذكر كاتبها الحسين بن عليّ بن محمد بن علي الكاتب أنه كتبها سنة ٤٥٥ للهجرة من مخطوطة منقولة عن نسخة مقروءة على أبي سعيد الحسن بن عبد الله السّيرافي ، وفيها خطّه وخبر قراءتها عليه ، ويظهر من صفحة العنوان أن هذا الكتاب قد وقف على المدرسة الضيائية بسفح قاسيون ، ثم انتقلت إلى خزانة المدرسة العمرية المشهورة في الصالحية ، ومنها انتقلت قبل أن تبلغها أيدي اللصوص إلى قبة الملك الظاهر .

ومما يدل على جلالة هذه النسخة أن على صفحة العنوان إجازة بخط الإمام عليّ بن عبد الرحيم السُّلَميّ الرّقي اللغويّ (٥٠٨ — ٥٧٦ هـ) المعروف بابن العَصّار ، قال الصفديّ في الوافي بالوفيات : إنه انتهت إليه رئاسة معرفــة اللّغة والعربية ، قرأ على أبي منصور ابن الجواليقي (صاحب المعرّب) ، وتخرّجَ به أمثالُ العكبريّ شارح المتنبي ، ويظهر أنه اعتمد في شرح المتنبي على شيخه السّلمي الذي قالوا إنه كان عارفاً بديوان المتنبي علماً ودرايةً وقرأ عليه جمع كبير بالعراق والشام ومصر ، ويظهر أيضاً أنّ صاحب الاجازة السّلمي قرأ هذا الكتاب بهذه النسخة

على شيخه موهوب الجواليقي ، فإن كثيراً من التصحيح والتوضيح في الهوامش مبدوء بعبارة (قال موهوب) وبخطّ وحبر واحد .

وعلاقتي بهذه المخطوطة قديمة العهد ترجع إلى ربيع الحياة ومرحلة طلب العلم ، وتمنيت يومئذ أن أوفق إلى نشرها ، وعاقت عوائق الدهر حتى حملني حبّها على وصفها وكلّفت بتحقيقها أخيراً ، ولم أفز بصوّرة من مخطوطة دار الكتب المصريّة ، ولعل تبدل الأحوال بالانفصال كان من الحوائل بيننا وبين معهد المخطوطات بالقاهرة ، ولكني استعنت بخزانة كتب المجمع العلمي وفيها مجموعة (جرزة الحاطب) التي نشرها بليدن المستشرق وليام ريط الانكليزي سنة ١٨٥٩ ، وهي تشتمل من النوادر على كتابين لابن دريد الأول صفة السرج واللجام ، والثاني صفة السحاب والغيث وأخبار الروّاد ، وعلى كتاب تلقيب القوافي لابن كيسان ، وعلى ديوان شعر طهمان بن عمرو الكلابي صنعة أبي سعيد السكري وعلى مقطعات مَراثٍ لبعض العرب رواها ثعلب عن ابن الأعرابيّ ، وكانت هذه النوادر المخطوطة في مكتبة جامعة ليدن ، وقـــد اهتممت بكتاب الغيث والسحاب الذي هو طلبة التحقيق ، وتبيّن لي بعد درس هذه النسخة الليدنية أنها منقولة من نسخة تغلب عليها الصحّة وقد أجاد الناشر عمله في تحقيقها ، وبين النسختين الليدنية والدمشقية اختلاف قليل ، تظهر نسختنا معه أنها أصحّ وأسلم ، وكيف لا تكون كذلك وهي منقولة من نسخة مقروءة على الإمام السيرافيّ ولعلّ شرحه لكتاب سيبويه أجلّ شروحه وهو تلميذ ابن دريد ، والظنّ الغالب أنه قرأ هـذا الكتاب على شيخه مع ما قرأه عليه من كتبه ، وعلى هذه النسخة المقروءة عليه خطّه ، وفي هوامشها تعليقات بخطّ موهوب وهو أبو منصور الجواليقي شيخ علي بن عبد الرحيم الرّقي ، وهو من أئمة اللغة في عصره وذكرنا أنه كتب عليها إجازة لتلميذه الرئيس الأجل أحمد ابن محمد بن الضحّاك ، فهو قد قرأ نسختنا هـــذه على الإمام الجواليقي وأقرأها لتلميذه ابن الضحّاك ، وفي الصفحة ١٨ من نسختنا ما يدل على

أنها قوبلت بنسخة الكندي، ولذلك كله كانت نسخة الظاهرية ولله الحمد لا تحتاج الى معارضة فهي من أجلّ ما في خزائنها من المخطوطات صحةً وضبطاً وإتقاناً .

وصف المخطوطة الظاهرية . — إن هذه النسخة جليلة بمؤلفها وموضوعها وبالأصل المنقولة منه ، وبأئمة اللغة الذين قرأوها وأقرأوها ، وبقدم خطّها لأنها من القرن الخامس ، وقد بلغ عمرها ٩٢٧ سنة ، وهي تتألف من ٩٨ صفحة ، ومسطرتها (١٤٫٥ × ١٣) ، وفي الصفحة سبعة أسطر ، ومعدل السطر خمس كلمات ؛ أمّا الورق فمصفرٌّ متين لأنه مصنوع من القطن وخالٍ من مادة الخشب ، ولذلك صبر على حوادث الأيام أكثر من تسع مئة عام .

أمّا اسمها المكتوب على صفحة العنوان فقد ذكر مرتين : بخط دقيق (المطر والسحاب) وتحته كلمة (الرّوّاد) بخط جليل ، ومن تحتها : (عن أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، ولم يقتصر هذا الاختلاف في الاسم على نسختنا هذه ، فقد كثر التصحيف فيه والاختلاف فهو في الفهرست وإنباه الرواة (رُواة العرب) بدل روّاد العرب ، وعند السيوطي وابن خلكان (زوّار العرب) ، وفي نسخة دار الكتب المصرية (المطر والسحاب) كالاسم المكتوب على نسختنا ، وهو في النسخة الليدنية (السحاب والغيث وأخبار الروّاد وما حمدوا من الكلأ) ، وهو في الوافي بالوفيات للصفدي (المطر والرُّوّاد) ، وقد جاء بين كتب ابن دريد التي سردها الصفدي اسم (زوّار العرب) ومن الناشرين للكتب من يَرى أنه تصحيف (رُوّاد العرب) ، قد يكون هذا صحيحاً ، وقد يكون هنالك لزوّار العرب كتاب لابن دريد ، اذ ذكر الصفدي لهذين الكتابين ، وينبغي لنا البحث عن ذلك ، وهو السبب الذي من أجله ارتبنا فيما كتبه الناسخ على صفحة العنوان . ورأينا دفعاً للخلاف والارتياب أن نسمي هذا الكتاب بما سماه به ابن دريد في خطبته وهو (وصف المطر والسحاب وما نعتته العربُ الرّوّادُ من البقاع) .

ترجمة المصنّف

(٢٢٣ ـ ٣٢١ هـ)

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دُريد بن عَتاهيةَ بن حَنْتَم بن حسن ابن حمامي بن جرو بن واسع بن وهب بن سَلَمة بن حَنَتم بن حاضر بن حنتم ابن ظالم بن حاضر بن أسد بن عديّ بن عمرو بن مالك بن فَهم بن غَنم بن دَوْس ابن عَدنان بن عبد الله بن زهير بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر ابن الأزد بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان الأزديّ العُمانيّ البصريّ اللّغويّ .

قال أبو بكر بن دريد في كتابه الاشتقاق (٢٩٢) : ودُريد تصغير أدرد ، والأدرد هو الذي تحاتّت أسنانه ، وجده حماميّ أول من أسلم من آبائه ، قال ابن النديم وهو (جدّه) منسوب إلى قرية من نواحي عمان يقال لها حماما ، ويقول إمام عمان المجاهد غالب بن علي الثائر على الاستعمار نصره الله : إن ابن دريد حديديّ ، وبنو حديد قومه ما زالوا في (دُما) المعروفة اليوم بالسّيب من الباطنة ، وبعضهم بوادي العين من أودية بني هُناءة من الأزد ، ولا يزال بطون الأزد كبني حديد واليحمد والعتيك وخروص وغيرهم منتشرين في عُمان ، ونبغ منهم الأئمة والقضاة والرؤساء .

وبعد تمصير البصرة وازدهارها بالحضارة واشتهارها بالتجارة ، وقد اشترك العُمانيون في تمصيرها ، أخذوا في انتجاعها ومنهم أسرة ابن دريد فكانت رحلتهم دواليك بين عمان والبصرة ، والبصرة وعمان .

ولادته ونشأته . ـــ قال الحسن بن عبد الله بن سعيد اللغويّ قال ابن دريد : وُلدت بالبصرة في سكة صالح سنة ثلاث وعشرين ومائتين . وذلك في خلافة المعتصم ، وقال الكمال ابن الأنباريّ : ذكر ابن شاذان

أن ابن دريد مات ببغداد سنة إحدى وعشرين وثلثمائة في السنة التي خلع فيها القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد ، وقال أبو الحسن الدريديّ : ودفن بالمقبرة المعروفة بالعباسية في ظهر سوق السلاح ووافقه المرزبانيّ والتنوخيّ وغيرهما .

دراساته . — لقد ولد ابن دريد بالبصرة في سكة صالح ، وفيها عاش طفولته الأولى ، وفي أحد كتاتيبها تعلّم مبادىء القراءة والكتابة بالقرآن وأصول الدين والحساب ، ويقول المرزباني والخطيب البغدادي وغيرهما : إنه نشأ بعُمان ، فلعلّه ذهب مع عمّه الحسين بن دريد وغيره من أقربائه إلى صُحار (١) قصبة عُمان الساحلية وقد نزلتها أسرته للتجارة ، وفي صُحار هذه نَشأ وأيفع ، ثم عاد مع مربّيه الحسين بن دريد عمه إلى البصرة ليتم فيها دراسته الاعدادية ، فقرأ فيها على عمّه وهو معلمه الأول ، ومعلمه الثاني هو أبو عثمان الأشنانداني (٢) ، وقد اشترك مع عمه في تربيته وتعليمه ، وساعده على النجاح في دراساته قوّة حفظه التي ظهرت في صباه دلائلها منها أن معلمه الأشنانداني بينما كان يروّيه يوماً معلقة الحارث بن حِلِّزة اليشكري إذ دخل عليه عمه الحسين بن دريد ، فقال له : إن حفظت هذه القصيدة وهبت الك كذا وكذا ، ثم دعا بمعلّمه أبي عثمان ليأكل معه ، وتحدّثا بعد الأكل ساعة ، وفي خلال هذه المدة كان ابن دريد قد حفظ

(١) قال ياقوت في بلدانه : وهي مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه مبنية بالآجر والساج كبيرة ليس في تلك النواحي مثلها ... والجامع على الساحل له منارة حسنة طويلة ، و (صحار) دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق فتحها المسلمون في أيام أبي بكر الصدّيق في سنة ١٢ صلحاً ، واليها ينسب محمد بن زوزان الصحاريّ العمانيّ الشاعر .

(٢) وقد نشرت له جمعيتنا الرابطة الأدبية بدمشق كتابه معاني الشعر .

ديوان الحارث بن حلزة بأمره ، وعرّف عمّه ذلك فاستعظمه ، واختبره في حفظه ، فوجده صادقاً فأعطاه ما كان وعده به من العطاء .

وقال أحمد بن يوسف الأزرق (١) : إنه لم يُرَ أحفظ منه ، كان يُقرأ عليه دواوينُ العرب كلها أو أكثرها فيسابق إلى إتمامها ، ولو لا قوة حفظه لما استطاع أن يملي كتاب الجمهرة من أوّله إلى آخره حفظاً ، وهو ابن أربع وسبعين سنةً لا يستعين بشيء من الكتب إلاّ في باب الهمزة . فقد طالع له بعض الكتب .

ظهرت عليه في صباه مخايل النجابة ، وفي شبابه آيات النبوغ والبراعة مما أهّله ليأخذ عن أمثال أبي حاتم السجستاني والتوّزي والرياشي والزياديّ وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ وغيرهم ، فبلغ أمنيةَ المتعلّم من اللغة والنسب والأدب ، وأصبح من أكابر علماء العربية والعرب .

رحلاته . — لم يتفق المؤرخون في عددها فقال المرزبانيّ : نشأ بعمان ثم تنقل في جزائر البحر وفارس ثم ورد مدينة السلام ؛ وقال ابن النديم (٢) : أقام بالبصرة ثم مضى إلى عمان فأقام بها مدة ثم صار إلى جزيرة ابن عمر فسكنها مدة ، ثم صار إلى فارس فقطنها ثم صـــار إلى بغداد ؛ وقال ياقوت (٣) : ثم صار إلى عمان ثم إلى جزيرة ابن عمر ثم إلى فارس ثم قدم بغداد ، قلت : وقد فرّ في فتنة الزنج سنة ٢٥٥ هـ مع عمه الحسين بن دريد إلى عمان ، وفي قصبتها صحار كانت أسرته الحديدية الازدية ، وكان عمره يومئذ اثنتين وثلاثين سنة ، إذ ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ للهجرة ، قالوا وأقام فيها اثنتي عشرة سنة ، ومما لا يحتاج إلى بينة أنه قضى هذه المدة في العلم والتعليم .

(١) السبكي ٣/١٤٥ ، والأدباء ٦/٤٨٥ .
(٢) الفهرست لايبزغ ٦٠ .
(٣) الأدباء ٦/٤٨٤ .

وفي إقامته الأخيرة مع عمه بالبصرة قلّد المقتدر بالله عبد الله بن محمد ابن ميكال الأعمال بكور الأهواز فطلب ابن دريد لتأديب ابنه أبي العباس اسماعيل لبعد صيته واتساع شهرته بالعلم والأدب ولغة العرب ، فلبّى ابن دريد الطلب وأقام مع الوالد وابنه بالأهواز نحو ست سنين ، وحصل لابن دريد جاه عظيم بعد أن قلّده عبد الله بن ميكال ديوان فارس ، فكانت كما يذكر التاريخ لا تصدر كتب فارس إلاّ عن رأيه ، ولا ينفذ أمرٌ إلاّ بعد توقيعه .

ويظهر من رواية العمانيّين التي لا يزال يرويها الآباء للأبناء بسند متصل إلى يوم الناس هذا ، أن صلة ابن دريد بابني ميكال كانت وثيقة ، ولعلها كانت قبل أن قلّد المقتدر بالله عبد الله بن ميكال كور الأهواز ، وأن تلك الصلة الوثقى كانت السبب الذي من أجله اختار ابن ميكال أبا بكر ابن دريد لتأديب ولده اسماعيل ، ولتقليده ديوان فارس .

وحدثني صديقي السياميّ العمانيّ بدمشق [1] ، بالقصة الجميلة التالية ، وقد خلت منها عندنا كتب التاريخ ، فآثرت إثباتها لأنها تجلو لنا من حياة ابن دريد صفحة بيضاء ، وجانباً من كرمه وسموّ أخلاقه ، وخلاصة هذه القصة على إحدى الروايتين :

انّ الأميرين الميكاليّين خرجا ذات يوم بسفينتهما من البصرة للنزهة في بحر الخليج العربيّ فهبّت عليهما رياح عواصف ، وصحّت ديمٌ من الأمطار ، ولم يستطيعا أن يلوذا بالسّواحل ، فلبثا في السفينة على ظهر البحر العجّاج أيّاما إلى أن بدت لهما مدينة صحار العمانية ، وبعد أن نزلا إلى مرفئها دلّهما الأهلون على دار الضيافة الدّريدية ، فرحّب بهما ابن دريد كل

---

(١) هو الشيخ سليمان السالمي ممثّل إمامة عمان بدمشق ، وكتب لي بنحو ذلك والده العلاّمة الشيخ محمد السالمي ابن علاّمة عمان ومؤرّخها الشيخ نور الدين عبد الله السالميّ ، وهذه القصة مدوّنة في كتب العمانيين ، وكم أدّى عدم التدوين إلى ضياع كثير من الحقائق والأخبار .

الترحيب وأكرمها إكرام العرب للضيفان ، وهو لا يعرفها ، ولم يعرّفاه بنفسيها ، وكان الوقت شتاءً والمطر مستمراً ، فلم يجد حطباً للوقود ليطبخ لهما الطعام لأن الحطب كان بالماء ريّان ، فكان يأخذ الأثواب من التجّار ويغمسها في الزيت ليوقد بها نار القِرى .

ولما رأى الضّيفان الميكاليّان ذلك قال الوالد لولده : هذا شيء لا يحتمله انسان ، ولا ينبغي للضّيف أن يكون مملًا ومؤذياً ، فأستأذنا بالانصراف وألحّا على ابن دريد في الرّجاء حتى أذن لهما ، فودّعاه ، وكتبا له عنوان مقرّهما وكانا على الأهواز ، وكان من قدر الله المحتوم أن ضاقت به الحالة ، وأضاعته الأيام ، وكان يأبى أن يتكسّب ببلاغته وشعره ، وقد رأي أخيراً أن يزورهما بعد نفاد الصبر ليستعين بهما على صروف الدهر ، فرحل إليهما وحلّ على الأميرعبد الله الميكالي ضيفاً ، ولبث في ضيافته نحو شهر ، فأكرمه كما يكرم سائر الناس ، ولم ير منه ما كان يرجوه من الإكرام والإحسان ، ولكن الأمير الميكاليّ كان قد جهّز لمنزله بصحار سفينتين شراعيتين ، وكتب لأهله بلسان ابن دريد كتاباً يأمرهم به بأن يفتحوا دار الضيافة كعادتها ، فامتثل أهلوه الأمر ، وعاد الضيوف والعفاة إلى قصدها في غيبته ، ولا علم لابن دريد بذلك .

وضاق صدر ابن دريد واستأذن الأميرين بالرجوع الى بلاده ، وفي نفسه أنهما لم يقوما ببعض ما يستحقه ويأمله ، وأنه سيعود خائباً كمن حلّ بوادٍ غير ذي زرع ، وألحّ على الأميرين مستأذناً . ولما أعجزهما بإلحاحه جهّزاه بسفينة مملوءة بما يحتاج إليه ، ولم يخبراه بشيء مما فعلا ، وعهدا إلى ربّان السفينة أن لا يخبر ابن دريد بأن جهاز السفينة له بأسره ، وأقلعت السفينة أخيراً بابن دريد ، وسأل الربان أن ينزله من السفينة إلى

البر ليلاً لكيلا يشمت بسوء حاله العدوّ من أبناء بلده ، فامتثل الربان أمره وأنزله ليلاً كما أحبّ ، وسأله أن يعود إليه غداة غد إلى السفينة .

نزل ابن دريد ليلاً ، ورأى لسوء المنظر وكآبة المنقلب أن لايذهب إلى منزله ، ولجأ إلى بيت عجوز فاستضافها ، وسألها أن تأذن له بالعشاء في منزلها ، فعجبت العجوز لذلك وقالت له أتترك بيت ابن دريد ، وتطلب من مثلي العشاء ! فسألها ابن دريد قائلاً : ومن أين لابن دريد أن يقبل ضيفاً . وقد أفقره الضيفان ؟ فقالت له العجوز : إن ابن دريد بعد سفره كان يجهز لمنزله في كل شهر سفينة مملوءة بالأرزاق ، وأن دار ضيافته اليوم أوسع مما كانت عليه بالأمس ، وعاد ابن دريد بما سمع من العجوز إلى منزله فوجد ما أدهشه ، وما هو فوق ما كان يرجوه من الأميرين ويأمله وفي الصباح زاره ربّان السفينة وأخبره بأن ما في السفينة من وسق وأرزاق هي لدار الضيافة ، وكافأهما ابن دريد بمقصورته الخالدة التي منها : (١)

إنّ العراقَ لم أفارق أهلَهُ ... عن شَنَأٍ أصدّني ولا قِلَى
إن كنتُ أبصرت لهم من بعدهم ... مثلاً فأغضيت على وَخْز السَّفا
حاشا الأميرين اللذين أوفدا ... عليّ ظلاًّ من نعيم قد ضفا
تلافَيا العيشَ الذي رنّقه ... صرف زمانٍ فاستساغ وصفا
وأجْريا ماءَ الحيالي رَغَداً ... فاهتزّ غصني بعد ما كان ذَوى
إنّ ابنَ ميكال الأمير انتاشَني ... من بَعدما قد كنت كالشّيء اللّقا
ومدّ ضَبعيّ أبو العبّاس من ... بعدانقباض الذّرع والباع الوَزى

وأعطاه الأمير عبد الله الميكالي عليها عشرة آلاف درهم ، وحُكي عن تلميذه أبي العباس اسماعيل أنه أعطاه ثلاثمائة دينار . ولم تصل يده إذ ذاك إلى أكثر من ذلك .. واعتنى المتقدمون من العلماء بشرح الدريدية فبلغت

(١) والبيتان الأوّلان هما لسان حالي بعد فراق العراق وأبنائي به الأعزّاء .

نحو خمسة وثلاثين شرحاً وممن شرحها من المتأخرين من أعضاء مجمعنا العلمي العربي صديقنا الشيخ عبد القادر المبارك ولم يزل شرحه مخطوطاً رحمه الله .

رحلته الى بغداد . — ولما مات عبد الله بن ميكال لم يقبل اسماعيل العمالة فرجع إلى خراسان ونيسابور ، ورحل ابن دريد إلى بغداد سيدة البلاد ومدينة السلام ، ودار العلماء والأدباء ودخلها شيخاً سنة ٣٠٨ هـ وعمره خمس وثمانون سنة ، وعلم المقتدر بفضله فأجرى عليه مشاهرة قدرها خمسون ديناراً ولم تزل عليه جارية حتى انتقل إلى دار الرحمة والقرار .

أخلاقه . — منها سخاؤه فقد كان لا يُليق درهماً ولا ديناراً وقد ورث من آبائه هذا الكرم ومن يشابه أبَهُ فما ظلم ، وكان مع سخائه ظريفاً ، ومن ذلك (١) أن سائلاً سأله شيئاً ، ولم يكن عنده سوى دَنّ من نبيذ فوهبه له ، فقال له بعض غلمانه : أتتصدّق بالنبيذ ؟ ثم أُهدي له عشرة دِنان من النّبيذ فقال لغلامه : أخرجنا دنّا فجاءنا عشرة !

ومن خُلقهِ الحِلمُ المبطّنُ بالسُخر فقد أخبر أبو أحمد العسكري (٢) قال : كنا في مجلس ابن دريد ، وكان يتضجّر ممّن يخطىء في قراءته ، فحضر غلام وضيء فجعل يقرأ ويكثر الخطأ ، وابن دريد صابر عليه ، فتعجّب أهل المجلس فقال رجل منهم : لا تعجبوا فانّ في وجهه غفران ذنوبه ، فسمعها ابن دريد ، فلما أراد أن يقرأ قال له : هاتِ يا مَن ليس في وجهه غفران ذنوبه !

(١) الوفيات ١/٤٩٨ .
(٢) الأدباء ٦/٤٩١ .

ومن خُلقه إكرامه لطلاّبه الأذكياء المجدّين منها ما حكي عن السيرافي (١) قال : حضرت مجلس ابن دريد ، ولم يكن يعرفني قبل ذلك ، فجلست فأنشد أحد الحاضرين بيتين يُعزيان لآدم :

تغيّرت البلاد ومَن عليها ... فوجهُ الأرض مُغبرٌ قبيحُ
تَغيّر كلُّ ذي حسنٍ وطيب ... وقل بَشاشةَ الوجهُ المليحُ

فقال ابن دريد : هذا الشعر قد قيل قديماً ، وجاء فيه الاقواء ، فقلت له : إنّ له وجهاً يخرجه عن الإقواء ، نَصَبَ (بشاشةَ) وحذف التنوين منها لالتقاء الساكنين ، فيكون بهذا التقدير نكرةً منتصبةً على التمييز ، ثم رُفع (الوجه) بإسناد (قلّ) إليه فيصير اللفظ « فقلّ بشاشةَ الوجهُ المليحُ » قال فرفعني حتى أقعدني بجانبه .

مذهبه . — ذهب ياقوت (— ٦٣٦ ﻫ) وغيره إلى أن ابن دريد كان من الخوارج فقال (٢) : إن أكثر أهل عمان في زمانه كانوا خوارج إلاّ أنه لا يُرى على ابن دريد أثرُ الخروج بل يشهد شعره بمخالفته للخوارج » قلت : ومن شعره الذي أشار إليه في ديوانه (٧٣) :

يا لقومي لقد بغى العبد مومى ... والعَسيف المدقّع العُضروطُ
سمتِ الأزدُ بالحتوف إلى الأز ... دِ ومومى مُسلّمٌ مغبوطُ
فابلُغوا الجَهد أو فموتوا كراماً ... ليس يغني التّبريقُ والتخطيطُ
أترى الأزدَ يقسم الذلّ فيها ... خارجيٌّ وخاربٌ عُمروطُ
ثم ترضى بذلك الأزدُ أن تر ... ضَى ، فلا ريشَ سهمُها المروطُ

---

(١) السبكي ٢/١٤٥ .

(٢) البلدان في ذكر عمان ، والمسالك لابن حوقل ٣٢ ورحلة ابن بطوطة .

ويرى صديقي العماني أن ابن دريد لم يَعنِ بالخارجي أحد الخوارج فانه بمعنى الغريب الخارج عن قومه ، وأرى أنه أراد بالخارجي المدلول اللغوي ، وابن دريد من أئمة اللغة ، فقد جاء في اللسان : والخارجي الذي يخرج ويشرُف بنفسه من غير أن يكون له قديم ، وعلى ذلك يكون ياقوت قد أخطأ في فهم الخارجي ، وفي قوله « إن أكثر أهل عمان في زمانه كانوا خوارج » ذلك أن أهل عمان ما كانوا خوارج إلا على غلاة الخوارج كالأزارقة والصُّفرية والنجدية ، فهم إباضيّة غير غلاة في خروجهم ، ولا يكفّرون أحداً من أهل القبلة ولا يعترضونه ولا يقاتلونه ، ومذهبهم الإباضي من مذاهب أهل السنة فهم متمسكون بالكتاب والسنة كل التمسّك ، ومن اطلع مثلي على مسندهم الصحيح للإمام الربيع ابن حبيب ، وجلّ أحاديثه في الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجة ، علم صحة قولي ، وفي شرح هذا المسند الصحيح للنور السالمي استشهاد بأقوال أئمة المذاهب الأربعة الموافقة لمذهبهم ، وقد رثى ابن دريد الإمام الشافعي فعده السبكيُّ من الشافعيّة ، جمع الله شمل العرب والمسلمين ونصر العمانيّين على المستعمرين .

سياسته الحكيمة . — لا غرو إنْ حَذقَ ابن دريد علمَ السياسة بعد أن قضى في ديوان فارس بالأهواز نحو سبع سنين مارس فيها الأمور وعالج قضايا الإدارة ، وعرف طبائع الناس ، ويدلّ على بعد نظره السياسيّ ومبلغ تأثيره في تصريف الأمور ، وقوّة شعره الحماسيّ في تأليب عشائر الازد من قومه على أعدائهم الذين ما أوقعوا بهم في وقعة الروضة

إلاّ بتفرقهم وتخاذلهم (١) ، وكان من تأثير شعره أن جمعت عشائر الأزد شملها ، وحملوا على أعدائهم حملة منكرة أخذوا بها ثأرهم وشفوا منهم ما في صدورهم من غِلّ ، وفي ديوانه من شعره السياسيّ المتعلق بشؤون عمان الداخلية (٢) ما يدلّ على نظره الثاقب وسياسته الحكيمة ، ولا يزال من أقرباء ابن دريد وعشائر الأزد مَن يحفظ هـــذا الشعر الحربيّ ويفاخر بابن دريد .

مرضه ووفاته . — وحين كان بفارس سقط من منزله مرّةً فانكسرت ترقوته ، وحين بلغ من عمره ٩٦ عاماً عرضَ له فالج فسقي له الترياقَ فبرئ منه ، وعادَ إلى إسماع تلامذته وإملائه عليهم ، ثم بعد حول تناول غذاءً ضاراً فعاوده الفالجُ فكان يُحرّك يَديه حركةً ضعيفة وبطلَ من مَحزمه إلى قدميه فكان إذا دخل عليه داخل ضجّ وتألّم ، قال أبو علي القالي : فكنت أقول في نفسي : إن الله عاقبه بقوله في مقصورته حين ذكر الدهر :

مارستُ مَن لو هوتِ الأفلاكُ من جوانب الجَوّ عليه ما شكا

وعاش بعد ذلك عامين ، وكنت أسأله عن شكوكي في اللغة فيَرد بأسرع من النّفَس بالصواب ، وقال مرة وقد سألته عن بيت شعر : لئن طَفِئَت شَحمتا عينيّ لم تجد من يشفيكَ من العلم يا بنيّ !

---

(١) الروضة موضع بعمان حصلت فيه وقعة مشهورة بين الازد اليمانية ونزار العدنانية .

(٢) انظر تحفة الأعيان (١/١٩٤) وما قاله ابن دريد في وقعة الروضة التي أذلت قومه الازد وأقضت مضجعه وأجرت مدمعه .

وقال أبو علي : وآخر شيء سألته عنه جاوبني بأن قال : يا بنيّ ، حالَ الجريضُ دون القريض ، وكان كثيراً ما ينشد في ضعفه ما يدلّ على توبته ممّا اتّهموه به :

فواحزَنا أن لا حياةَ لذيذةٌ ... ولا عملٌ يَرضى به الله صالحُ

وممّا رثاه به بعضُ البغداديين ، وقيل (١) هو أبو علي القالي البغداديّ :

عليكَ أبا بكرٍ سَلامٌ ورحمةٌ ... بها في جنان الخلدِ أنتَ مخلّدُ
لِتَبكِكَ أبكار المعاني وعونُها ... وغُرُّ القوافي حين تُروى وتُنشدُ
لأنشَرتَ بالعلم الخليلَ فخلتنا ... نشاهدُه إنْ ضمّنا منك مَشهدُ
وجالستنا بالأصمعيِّ ومَعْمرٍ ... وأَوجَدتنا ما لم يكن قبلُ يوجَدُ
وخلنا أبا زيد لدينا مُمثّلا ... وأنتَ بفضل العلم أعلى وأزيدُ
وشاهدتنا بالمازنيّ وعلمه ... وما غابَ عنا إذ حضرتَ المبرّدُ
وكنتَ إماماً في الروايات كلّها ... يُضاف إليك الصّدق فيها ويُسنَدُ
تَوحّدْتَ بالآدابِ والعلمِ والحجى ... فأنتَ بحسن الذكر منها مُوحّدُ
لقد شملت فيك الرزيّةُ يَعرُباً ... ولَمْ يخلُ منها فيك مَن يَتمعْددُ
فما منكَ مُعتاضٌ ولا عنكَ سلوةٌ ... نظيرُك مَعدومٌ وحزني مُؤبّدُ

ومات ابن دريد يوم الأربعاء لثمان عشرة ليلةً خلت من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ببغداد وعمره ثمان وتسعون سنة ، ويوم مات ابن دريد مات الجُبّائي أيضاً فيه فقال الناس : اليوم ماتَ علمُ اللّغة والكلام .

(١) لقد وقع في نفسي أنه أبو علي القالي البغداديّ ثم رأيتُ عالم الهند صديقي الميمني في سمطه (١٠٦/٢) يشتبه مثلي في ذلك ، ولكنه ظنّ في شك مريب .

مراثي الشعراء . — لم نعرف جميع من رثاه بعد وفاته ، وممن رثوه جحظة البرمكي بقوله :

فقدتُ بابن دريد كل فائدةٍ لما غدا ثالثَ الأحجار والتُربِ
وكنتُ أبكي لفقد الجودِ منفرداً فصرتُ أبكي لفقدِ الجُود والأدبِ

ابن دريد في الميزان

كل ذي نعمة مالية أو علميــــة محسود ، ولذلك كثر في ابن دريد المادحون والقادحون والمدافعون ، فمن المادحين محمد بن رزق الأسدي (١) فقد ذكر أنه كان يقال : إن أبا بكر بن دريد (أعلم الشعراء وأشعر العلماء) وذكره أبو الطيب اللغوي في مراتبه بقوله : ابن دريد هو الذي انتهت إليه لغة البصريين ، كان أحفظ الناس وأوسعهم علماً وأقدرهم على شعر ، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وابن دريد ، وتصدّر ابن دريد في العلم ستين سنة .

ومن القادحين الدّارقطنيّ الذي سأله حمزة بن يوسف عن ابن دريد فقال : تكلّموا فيه ! وقيل : كان يتسامح في الرواية فيسند إلى كل واحد ما يخطر بباله ، والدارقطني من المحدثين ، ومن اللغويين نفطويه وأبو منصور الأزهري الذي يقول في مقدمة تهذيبه : وممّن ألّف في زماننا

(١) نزهة الألباء (٣٢٣) .

الكتب فرمي بافتعال اللغة وتوليد الألفاظ وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامها أبو بكر ابن دريد صاحب الجمهرة ، وقـد حضرت في داره ببغداد غير مرّة فرأيته يروي عن أبي حاتم الرياشي وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، وسألت ابراهيم بن محمد بن عرفة يعني نفطويه عنه فلم يعبأ به ولم يوثقه في روايته ، وقد تصفّحت كتابه الذي أعاره اسم الجمهرة فلم أره دالّاً على معرفة ثاقبة ولا قريحة جيّدة ، وعثرت من هـذا الكتاب على حروف كثيرة أنكرتها ، ولم أعرف مخارجها فأثبتها في كتابي في مواقعها لأبحث أنا وغيري عنها .

ومن المدافعين عنه الإمام السيوطيّ في مزهره (١/٥٨) ، وقوله يغنينا عن دفع ما ظُلم به ابن دريد من حسّاده ، وقد قال : معاذ الله ! هو بريء مما يُرمى به ، ومن طالع الجمهرة رأى تحرّيه في روايته ، ولا يُقبل طعن نفطويه لأنه كان بينهما منافرة عظيمة ، وقد تقرّر في علم الحديث أنّ كلام الأقران في بعضهم لا يقدح .

وإنّما شنّع عليه التهمة بشرب الخمر مخالفوا مذهبه من الشافعية ، فقد كان ابن دريد ممن يرى رأي أهل العراق في النبيذ لا الخمر ، ثم إنه أية علاقة في التحقيق العلمي بين عادة الانسان وبحثه في العلم ؟ على أنه كما يظهر من شعره قد ترك في آخر حياته جميع ما يلام المرء عليه ، ولئن ثبت على رأي حاسديه أو مخالفيه القدح في ديانته ، فلا يثبت في صحة روايته ، فقد كان من تحرّيه فيها أنه كان يذكر اللغات التي لم تصحّ عنده بقوله : لا أحقّه ، أولا أدري ما صحته ، وما كانت عداوة نفطويه والأزهريّ إلا عن حسد أسرّاه في القلب لتأليفه الجمهرة ، أعاذنا الله من ظلم الناقدِ إذا نَقَد ، وشرّ الحاسدِ إذا حَسَد .

شيوخه . — أخذ ابن دريد عن شيوخ نبغوا في القرنين الثالث والرابع ، وهما من أزهر عصور العلم في الإسلام منهم :

١ — أبو إسحاق ابراهيم بن سفيان الزيادي .

٢ — أبو بشر أحمد بن عيسى العكلي .

٣ — أبو العبّاس أحمد بن يحيى (ثعلب) .

٤ — حامد بن طرفة .

٥ — الحسن بن خضر .

٦ — الحسين بن دريد عمّه ومربّيه .

٧ — أبو عثمان سعيد بن هرون الأشناندانى روى عنه (معاني الشعر) الذي نشرته بدمشق جمعية الرابطة الأدبية بمطبعة الترقي سنة ١٣٤٠ ﻫ .

٨ — السكن بن سعيد الجُرموزي وله ذكر في هذا الكتاب ، يروي عن محمد بن عبّاد عن ابن الكلبي .

٩ — أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني .

١٠ — العباس بن الفرج الرياشيّ .

١١ — عبد الأول بن مزيد أحد بني أنف الناقة .

١٢ — عبد الله بن أحمد المهزميّ الشاعر .

١٣ — عبد الرحمن بن عبد الله ابن أخي الأصمعي ، وكثير من أحاديث هذا الكتاب مرويّ عنه .

١٤ — العتبيّ .

١٥ — الفضل بن محمد بن العلاّف .

١٦ — أبو عمران الكلابيّ .

١٧ — محمد بن أحمد الحكيميّ .

١٨ — محمد بن أحمد الصولي .

١٩ — محمد بن الحسين يروي عن المازني .

٢٠ — معروف بن حسّان يروي عن الليث .

٢١ — يزيد بن عمرو الغَنوي .

تلامذته . — وقد اشتهر باللغة والأدب كثير من تلامذته الأعلام ، فكانوا من مفاخر العرب والإسلام منهم :

١ — إبرهيم بن الفضل الهاشمي .

٢ — أحمد بن عبيد الله بن شقير البغدادي .

٣ — أحمد بن علي القاشاني .

٤ — أحمد بن فضل بن شبابة .

٥ — أحمد بن محمد المكتفي بالله .

٦ — أحمد بن محمد بن الفضل الخزّاز .

٧ — أحمد بن منصور اليشكري .

٨ — إسحاق بن إبرهيم بن الجنيد .

٩ — إسماعيل بن عبد الله الميكالي .

١٠ — إسماعيل بن القاسم أبو علي القالي .

١١ — الحسن بن احمد الفارسي (أبو علي) .

١٢ — الحسن بن بشر الآمدي صاحب الموازنة .

١٣ — الحسن بن عبد الله العسكري (أبو أحمد) .

١٤ — الحسين بن أحمد بن خالويه .

١٥ — الحسن بن عبد السلام السيرافي .

١٦ — ابن خير الورّاق .

١٧ — سهل بن أحمد الديباجيّ .
١٨ — عبد الرحمن الزجاجيّ أبو القاسم صاحب الجُمل .
١٩ — عبيد الله بن احمد المعروف بجخجخ .
٢٠ — عبيد الله بن محمد الجراديّ .
٢١ — أبو عبد الله بن زكريا .
٢٢ — علي بن أحمد الدريدي (ورّاق ابن دريد) .
٢٣ — علي بن أحمد بن الصباح .
٢٤ — علي بن الحسين الاصفهانيّ صاحب الأغاني .
٢٥ — علي بن الحسين المسعودي صاحب المروج .
٢٦ — علي بن عبد الله بن المغيرة الجوهريّ .
٢٧ — علي بن عيسى الرّماني النحويّ .
٢٨ — علي بن محمد الكاتب .
٢٩ — علي بن مهدى .
٣٠ — عمر بن حفص المعروف بابن شاهين .
٣١ — عمر بن محمد بن سيف روى عنه كتاب النبات للأصمعيّ .
٣٢ — الفضل بن شاذان ، أبو علي .
٣٣ — محمد بن احمد الأخباريّ .
٣٤ — محمد بن أحمد الكاتب .
٣٥ — محمد بن بكر البسطاميّ .
٣٦ — محمد بن الحسن الحاتميّ .
٣٧ — محمد بن السريّ السرّاج .
٣٨ — محمد بن العباس بن حيويه .
٣٩ — محمد بن علي المعروف ببرمان .

٤٠ — محمد بن علي بن مقلة الكاتب .

٤١ — محمد بن عمران المرزباني صاحب الموشح .

٤٢ — محمد بن عمران الجوري .

٤٣ — المعافى بن زكريا النهرواني .

٤٤ — موسى بن رباح راوي الجمهرة .

كتبه . — ما رأينا لابن دريد كتاباً إلا ممتعاً ، وفيه ما لا يوجد في غيره من الكتب كهذا الكتاب ، وقد حفظ الله لنا معظم آثاره ، منها ما طبع وما لم يزل راقداً في الخزائن بعثها الله من مراقدها ليستفيد العرب من فوائدها ، وكتبه التي عرفناها هي :

١ — الجمهرة أو جمهرة اللغة طبعت في حيدر آباد (١٣٤٤ — ١٣٥٢ هـ) في ثلاث مجلدات والمجلد الرابع في الفهارس ، وهي مع الاشتقاق من أجل كتبه .

٢ — الاشتقاق ، أو اشتقاق أسماء القبائل كما ذكره ياقوت والصفدي والسيوطي ، وقد طبع أولاً في لبزك ١٨٥٤ ثم نشره الأستاذ عبد السلام هرون سنة ١٩٥٨ وأجاد في تحقيقه ووضع فهارسه الفنية المفيدة .

٣ — وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرواد من البقاع وقد كثر في اسمه التصحيف فقد ذكر الصفدي في الوافي بالوفيات زوار العرب ، وذكر المطر والرواد ، فلعل زوار العرب كتاب آخر وجاء اسمه أيضاً رواة العرب ، ونرى أن الصحيح ما كتبه ابن دريد في فاتحته .

٤ — الملاحن ، ذكره ابن النديم والقفطي وياقوت وغيره ، طبع مرتين في أوروبة احداهما بليدن ١٨٥٩ والثانية في جوتا ١٨٨٢ ، ثم نشره الشيخ ابراهيم أطفيش في القاهرة ١٣٤٧ بالمطبعة السلفية .

٥ — صفة السرج واللجام طبع بليدن ١٨٥٩ في مجموعة جرزة الحاطب .

٦ — المجتنى : ذكره ابن النديم والقفطي وابن خلكان ، وقد طبع في حيدر آباد ١٣٤٢ بعناية المستشرق الألماني الكبير سالم الكرنكوي ، ذكر ابن دريد بأنه سمي المجتنى لاجتنائه فيه طرائف الآثار كما تجتنى أطايب الثمار .

٧ — أدب الكاتب ، وقال ابن النديم : على مثال كتاب ابن قتيبة ، وذكره ابن الأنباري باسم ، أدب الكتّاب .

٨ — الأمالي ، وقد لخصها الجلال السيوطي وسماه : قطف الوُرَيد .

٩ — تقويم اللسان ، قال ياقوت : على مثال كتاب ابن قتيبه ولم يجرّده من المسوّدة ولعله كتاب أدب الكاتب الذي مرّ في الرقم السابع .

١٠ البنون والبنات ذكره السيد محمد بدر الدين العلوي في مقدمة ديوان ابن دريد .

١١و١٢ — الخيل الكبير والخيل الصغير كتابان ذكرهما ابن النديم وياقوت وابن خلكان وغيرهم .

١٣ — اللغات في القرآن ، وقد يكون هو كتاب غريب القرآن .

١٤ — المتناهي في اللغة كما جاء في تقديم العلامة عبد السلام هرون لكتاب الاشتقاق ووَجد اسمه في أمالي القالي (٢/٤٤) .

١٥ — الوشاح : قال ياقوت : على حدّ المحبّر لابن حبيب ، وقال ابن خلكان والصفدي : صغير مفيد ، وفي معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ورقتان في الفُلِم (ميكرو فيلم) رقم ١٨٩٥ في مجموعة من مكتبة الاسكوريال .

١٦و١٧ — المقتنى والمقتبس ذكرهما ابن النديم ، وذكر الثاني ياقوت وابن خلكان والسيوطي .

١٨ — فَعلتُ وأفعلت : ذكره ابن النديم وياقوت والسيوطي .

١٩ — ما سُئل عنه لفظاً فأجاب عنه حِفظاً ، قال ابن النديم : جمعه علي بن اسماعيل بن حرب عنه .

٢٠ — التَّوسُّط : ذكره ابن النديم وياقوت والقفطي ، وجمعه أبو حفص في مائة ورقة .

٢١ — المقصور والممدود ، ولعله تلك القصيدة الهمزية المنشورة في صدر ديوانه فقد ذكر فيها أنواع القصر والمدّ في ٥٧ بيتاً ، ومطلعها :

لا تركنَنّ إلى الهوى واذكر مفارقة الهواءْ
يوماً تصير إلى الثرى ويفوز غيرك بالثَّراءْ

هيامه بالكتب . — كان ابن دريد بالعلم منهوماً وبالكتب مفتوناً ، ويرى أن مفاتن الطبيعة إن عُدّت من متنزّهات العيون ، فانّ الكتب الممتعة من متنزهات القلوب ، قال الأمير أبو نصر بن أحمد الميكاليّ : تذاكرنا المتنزهات يوماً ، وابن دريد حاضر ، فقال بعضهم : أنزه الأماكن غوطة دمشق ، وقال آخرون : بل نهر الابلّة ، وقال آخرون : بل سُغد سمرقند ، وقال بعضهم : نهروان بغداد ، وقال بعضهم : شِعب بوّان ، وقال بعضهم : نوبهار بلخ ، فقال : هذه متنزهات العيون ، فأين أنتم من متنزهات القلوب ؟ قلنا : وما هي يا أبا بكر ؟ قال : عيون الأخبار للقتبي ، والزُّهرة لابن داود ، وقلق المشتاق لابن أبي طاهر ثم أنشأ يقول :

ومن تك نزهته قينةٌ وكأسٌ تُحثّ وكاسٌ تُصبّْ
فنزهتنـــا واستراحتنا تلاقي العيون ودرس الكُتُبْ

وكتب محققه وشارحه

دمشق الجديدة في { ٢٦ رجب ١٣٨٢ هـ / ٢٢ كانون الأول ١٩٦٢ م } عز الدين بن أمين التنوخي لطف الله به

ما جاء في صفحة العُنوان

قرأ عليّ الرئيس الأجلّ جمال الرّؤساء أبو المكارم أحمد بن محمد بن الضحّاك(١) أدام الله علوّه هذا الكتاب قراءةً صحيحةً مَرضيّةً ؛ وكنتُ قرأته على الشيخ أبي الفضل محمّد بن الناصر بن عليّ الحافظ ، وأخبرني به عن شيخه أبي الحسن المبارك ابن عبد الجبّار الحمّامي عن عبد الواحد بن الحسين بن قُرْقُر(٢) الحذّاء عن العَدل أبي القاسم اسماعيل بن سعيد بن سُويد عن أبي بكر بن دريد ؛

وأخبرني أيضاً عن شيخه أبي زكرياء يحيى بن علي التبّريزيّ اللّغويّ ،
عن أبي يَعلى محمد بن الحسين بن الفرّاء(٣)، عن أبي القاسم بن سويد عن
ابن دُرَيد ؛ وأخبرني الشّريف الخطيب أبو علي محمد
ابن محمد بن عبد العزيز بن المهديّ إجازةً
عن أبي الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمة البزّاز(٤)
عن القاضي أبي سعيد السيرافي عن
أبي بكر بن دريد

وكتب علي بن عبد الرحيم بن الحسن السُّلَميّ (٥)
الرّقي بمدينة السلام

يوم الأحد لأربعة عشر (خلت) من شهر ... الأول سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة .

(١) لم نجد هـذا العلَم في مراجع الأعلام بأيدينا ، ولعله من آل الضحّاك المشهورين بصناعة الكتابة من مدينة الحلة العراقية .

(٢) هو عبد الواحد بن الحسين بن عمر بن قُرْفُر أبو طاهر الحذّاء سمع علي بن عمر الحربي وأبا الحسن الدّارقطني وأبا حفص بن شاهين وأبا القاسم ابن سويد وعبيد الله بن عثمان بن يحيى ، قال الخطيب البغدادي : كتبت عنه ، وكان سماعه صحيحاً (٣٧٧ – ٤٤٩ هـ) من تاريخ بغداد (١٦/١١) .

(٣) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد ، أبو يعلى المعروف بابن الفَرّاء ، أحد الفقهاء الحنابلة درّس وأفتى سنين كثيرة ، وحدّث عن أبي القاسم بن حبابة وعبد الله بن أحمد بن مالك البيّع ، وعلي بن معروف البزّاز وعلي بن عمر الحربي وعيسى بن علي بن عيسى الوزير واسماعيل ابن سعيد بن سُويد ، كتبنا عنه وكان ثقةً ، (٣٨٠ – ٤٥٨ هـ) من تاريخ بغداد (٢٥٦/٢) .

(٤) محمد بن عبد الواحد بن علي بن ابرهيم بن رزمة أبو الحسين البزّاز : حَدّث عن أحمد بن يوسف بن خلاّد وأبي بكر بن سالم الختليّ وعمر بن محمد بن يوسف وأبي سعيد السيرافي ، كتبتُ عنه وكان كثير السماع (٣٥١ – ٤٣٥ هـ) من تاريخ بغداد (٣٦١/٢) .

(٥) هو عليّ بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك بن ابرهيم السُّلميّ المعروف بابن العَصّار اللغويّ الرَّقيّ ، ورد بغداد وقرأ بها العلم ، وانتهت إليه رياسة معرفة اللغة والعربيّة قرأ على أبي منصور ابن الجواليقي ولازمه حتى برع في فنه ، وتخرّج به جماعة منهم أبو البقاء العكبري الضرير . وكان تاجراً موسراً سافر إلى الديار المصرية وأخذ عن أهلها وروى عنهم . وكان عارفاً بديوان المتنبي علماً وروايةً ، قرأه عليه جمع كبير بالعراق والشام ومصر ، ولم يكن في النحو مثل اللغة ، واجتمع في مصر بابن بَرّي وابن الخلاّل الكاتب (٥٠٨ – ٥٧٦ هـ) . من مصوّرة الوافي بالوفيات للصّلاح الصفديّ (المجلد ١٢ والورقة ٩٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين

قال أبو بكر محمّد بن الحسن بن دُرَيد :

نبدأُ بحمدِ اللهِ عزّ وجلّ على آلائهِ ، ونختم بالصّلوة على خاتَم أنبيائهِ .

هذا كتابٌ جمعنا فيه ما ذكَرته العَربُ في جاهليّتها وإسْلامها من وصفِ المطر والسّحاب ، وما نَعتَتْهُ العرب الرُّوادُ[(١)] من البِقاع ، ونرغب إلى اللهِ عزّ وجلّ في التّوفيق للصّواب .

١ ـ حَدّثنا إسْمعيلُ بن أحمدَ بن حَفصٍ النَّحويّ المعروفُ بسَمعان النَّحويّ قال حَدثنا أبو عمر الضّرير قال حَدّثنا عَبّادُ ابنُ عبّادِ[(٢)] بن حَبيبِ بن المهلَّبِ عن موسى بن ابرهيم التيميّ[(٣)] عن أبيه عن جَدّه[(٤)] قال : بَيْنَا رسولُ الله ﷺ

(١) في نسخة ليدن (جرزة الحاطب) : الرُّوّاد العرب .

(٢) في الأمالي (٨/١) : حدثنا عبّاد بن حبيب بن المهلّب ، وقد ينسب العربيُّ إلى جدّه .

(٣) في الأمالي : إبرهيم التميمي ، وفي الليدنية : التيميّ .

(٤) رواه المرزوقي في كتاب الأزمنة والأمكنة (٩٩/٢) عن أحمد ابن يحيى (ثعلب) عن ابن الأعرابيّ .

ذاتَ يوم جالساً [١] مع أصحابهِ إِذ نَشأتْ سَحابةٌ ، فقالوا : يا رسولَ الله ، هٰذهِ سَحابةٌ ، فقالَ : كيفَ تَرونَ قَواعِدَها ؟ قالوا : ما أحسَنَها وأشَدَّ تمكُّنَها ! قالَ : وكيفَ تَرونَ رَحاها ؟ ، قالوا : ما أحسَنَها وأشَدَّ اسْتِدارَتَها ! قالَ : فكيفَ تَرونَ بَواسِقَها ؟ قالوا : ما أحسنَها وأشَدَّ اسْتِقامتَها ! قال : كيف تَرونَ بَرْقَها : أوَمِيضاً أم خَفْواً ، أم يَشُقُّ شَقًّا [٢] ؟ قالوا : بل يَشُقُّ شَقًّا ، قال : فكيفَ تَروْنَ جَوْنَها [٣] ؟ قالوا : ما أحسَنَهُ وأشَدَّ سَوادَهُ ! فقال صَلَّى الله عليه :

---

(١) وفي الأمالي : ذاتَ يومٍ جالسٌ ، وأصل (بينا) بينَ أشبعوا فتحة النون فحدثت بعدها ألف ، وهي ظرف زمان مثل بينما .

(٢) وفي لسان العرب (خفا) : وخَفَا البرقُ يَخفو خَفْواً ، وخَفَا البرقُ وخَفِيَ خَفْياً فيهما ، الأخيرة عن كراع النمل الهنائي : بَرَقَ برقاً خفيًّا ضعيفاً معترضاً في نواحي الغيم ، فإن لمع قليلاً ثم سكن وليس له اعتراض فهو الوميض وان شَقَّ الغيم واستطال في الجوّ إلى السّماء من غير أن يأخذ يميناً ولا شمالاً فهو العقيقة .

(٣) في نسخة ليدن : جَوْزَها ،

والجَوْن هنا الأسود ، ولعلها الرواية الصحيحة ، وهو من الأضداد ، قال الفرزدق يصف قصراً أبيض :

وجَونٍ عليه الجصُّ فيه مَرِيضَة تَطلَّعُ منها النفسُ والموت حَاضِرُهْ

الحَيَا [١]، فقالوا : يا رسولَ الله ما رأينا الذي هو أفصحُ منك ، فقال : وما يَمنعني ، وإنما أُنزل القرآنُ بلساني لِسانٍ عَربيٍّ مُبين ؛

قال أبو بكر [٢] : قولُه (قواعِدُها) أسافِلُها [٣] ، و (رَحاها) : وسطها ومُعْظَمها [٤] ، و (بَواسِقُها) : أعاليها [٥] ، وإذا

(١) ما تحيا به الأرض من الغيث ، وفي حديث الاستسقاء : اللهم اسقنا غيثا مغيثا وحياً ربيعاً ، والحَيا مقصور ، وقد جاء ممدوداً ، وهو ممدود في كتاب الأزمنة والأمكنة (٢/٩٩) .

(٢) وفي الليدنية : بدل عبارات (قال أبو بكر) : تفسير الكلام

(٣) الواحدة قاعدة ، والقواعد من النساء واحدتهن قاعد ، وهي التي قعدت عن الولد .

(٤) وكذلك رحى الحرب حيث استدار القوم قال ربيعة بن مقروم الضبيّ :

فدارت رحانا بفرسانهم فعادوا كأن لم يكونوا رميا

(٥) الواحدة باسقة . قال جلّ وعز : « والنخل باسقاتٍ » وكثر في كلامهم حتى قالوا : بسق فلان على قومه في العلم والشرف ؛ قال أبو حنيفة (المخصّص ٩/٩٦) : كِفاف السحاب أسافله ، وجماعة الأكِفّة ، وشماريخه أعاليه وبواسقه ، وقواعده أركانه كأركان البنيان ، ورحاه مُستداره ، وروي أن رسول الله ﷺ سأل عن سحائب مرّت فقال : كيف ترون قواعدها وبواسقها ، أجَوْن أم غير ذلك ؟ وقال : كيف ترون رحاها ؟ ثم سأل عن البرق : أخَفْواً أم وميضاً أم يشقّ شقّاً ؟ فقالوا : يشقّ شقّا فقال : جاءكم الحيا .

استطارَ البرقُ من أعاليها ، إلى أسافلِها فهو الـذي لا يُشَك في مَطَرِهِ ، و (الخَفْوُ) أضعَف ما يكون من البَرقِ ، و (الوَميضُ) : نحو التَّبَسُّم الخفيّ يقال : وَمَضَ وأوْمَضَ ؛

٢ ــ أخبَرنا أبو حاتِمٍ قال : أخبَرنا الأصمعيُّ قال [١] :

خَرجَ مُعَقِّرُ بْنُ حِمَارٍ البارقيُّ [٢] ذاتَ يومٍ ، وقد كُفَّ بَصرُهُ ، وابْنَتُه تَقودُه ، فسَمِعَ رَعْداً فقال لابْنَتِه : ما تَرَيْنَ ؟ قالتْ : أراها حَمَّاءَ عَقّاقَةً كأنَّها حُوَلاءُ ناقةٍ لها سَيْرٌ وَانٍ ، وصَدرٌ دَانٍ ، فقالَ : مُرّي لا بأسَ عليكِ [٣] !

ثمَّ سَمِعَ رَعداً آخرَ فقال : ما تَرَينَ ؟ قالتْ : أراها كأنَّها لحمٌ تَنِتُ مِنْه مَسِيكٌ ومِنهُ مُنْهَرِتٌ ، فقالَ : وَائِلي بي إلَى قفْلَةٍ ، فإنها لا تَنْبُت إلاّ بمَنْجاةٍ من السَّيل ؛

(١) جاء هذا الخبر في اللسان (قفل) مختصراً ، قال : ومنه قول معقّر بن حمار لابنته بعد ما كُفّ بَصره ، وقد سمع صوتَ راعدةٍ : أيْ بنية : وائلي بي إلى جانب قَفْلة فانها لا تنبت إلاّ بمنجاةٍ من السيل ، وجاء أيضاً مختصراً في أزمنة المرزوقيّ (٢/٩٧) وفي خبره بعض اختلاف ، وجعل بعض النثر شعراً .

(٢) مُعقّر : بكسر القاف من العقر شاعر جاهليّ وهو القائل :
فألقت عَصاها واستقرّ بها النّوى كما قرّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

(٣) وفي الميدنية : مُرّي ولا بأس عليك .

قال أبو بكر : (الحَمَّاء)[١] : السوداء تَضْرب الى الحُمرة، (العَقَّاقَةُ) تَنْعَقُّ بالبَرقِ ، يُريد[٢] أنَّ البَرقَ يَنْشَقُّ عَقائقَ الواحدة عقيقة ، و (الحِوَلاء)[٣] جلدة رقيقة تقع مع سَليلِ الناقة[٤] كأنها مِرآةٌ ، فشبَّه السَّحابَ في كَثرة مائه بالحِوَلاء ، قولها (لحمٌ ثَنِتٌ) تَريد مُسْتَرخياً قد أنْتَن : بعضُهُ[٥] متماسِكٌ وبعضُهُ مُتَساقِطٌ ، وهو (المُنْهَرِتُ) ،

(١) الحمّاء مؤنث الأحمّ وهو الأسود من كل شيء ، قال ابن سيده : والحُمّة لون بين الدُّهمة والكُمتة .

(٢) ضمير (يريد) ينبغي أن يعود إلى ابنة معقّر البارقي ، ولو جاء (تريد) لكان أصدق .

(٣) قال الخليل : ليس في الكلام فِعَلاء بالكسر ممدوداً إلاّ حِوَلاء وعِنَباء وسِيَراء ، وحكى ابن القوطية : خِيَلاء لغة في خُيَلاء ، ويضربون المثل بالحولاء لأن ماءها أشدُّ ماءٍ خضرةً وشبها بلون العشب ، وعليه قول الشاعر :

بأغنّ كالحِوَلاءِ زانَ جِنابَهُ نَوْرُ الدّكادكِ سُوقُهُ تَتَخضّدُ

(٤) الأصمعي : إذا وضعت الناقة فولدها ساعة تضعه سليلٌ قبل أن يُعلم أذكر هو أم أنثى ؟

(٥) في النسخة التيمورية : فبعضه متماسك .

و (القَفْلَةُ)(١) ضَربٌ من الشَّجر، والجمع قَفْلٌ قال الشاعر(٢):

ومُفْرَهَةٍ عَنْسٍ قدَرتُ لِسَاقِها فَخرّتْ كما تَتَّايَعُ(٣) الرّيحُ بالْقَفْلِ

قالَ (أبو بكر قوله: (تَتَّايَعُ): تَجتمعُ، ومنه تَتَايُعُ الفَراش في النار؛ (المُتساقطُ): أي يَسقطُ ويركب بَعضُها بَعضًا.

(يتبع) عزالدين التنوخي

---

(١) وفي لسان العرب (قفل) القَفْل بالفتح: ما يَبس من الشجر، قال أبو ذؤيب: (ومُفرهةٍ عَنسٍ ...) الشاهد، وهو من القُفول أي اليُبوس، ورجل قافلٌ: يابس الجلد، وواحد القَفْل قَفْلةٌ وقَفَلةٌ الأخيرةُ عن ابن الأعرابيّ حكاه بفتح الفاء، وأسكنها سائرُ أهل اللغة قال ابن المكرّم: فان كان ذلك صحيحاً فقَفْل اسم الجمع.

(٢) هو أبو ذؤيب الهُذَلي يذكر عَقْرَه ناقةً، وأنّها كانت فخرّت على رأسها.

(٣) قال الأزهريّ: إتّايَعَتِ الريحُ بورقِ الشجر: إذا ذهبت به، وأصلُه تَتايعت، والتتايع التهافت في الشرّ واللجاج، والسكران يتتابع: أي يرمي بنفسه.

ساعات جامع دمشق

وكتاب ابن الخراساني عنها

تذكر النصوص، عند الكلام على أبواب جامع دمشق، باباً اسمه « باب الساعات ». تجعله تارةً البابَ الجنوبيَّ المسمى « بباب الزيادة »، وتارة البابَ الشرقيَّ المسمَّى « بباب جَيْرون »[1].

وإذا رتّبنا هذه النصوص ترتيباً تاريخياً يظهر لنا أن باب الزيادة الجنوبي هو الذي سُمّي أولاً باب الساعات. فقد ذكره القاضي محمد بن زبر[1] المتوفى سنة ٣٧٩ هـ/٩٨٩ م — وكان أحد المؤرخين الدمشقيين[2]، ونقل نصَّه النعيمي في « تنبيه الطالب » فقال عند كلامه على المدرسة الأمينية[3]:

« قبليّ باب الزيادة من أبواب الجامع، المسمى قديماً باب الساعات. لأنه كان هناك (بنكاب) الساعات يُعلم منها كل ساعة تمضي. »

فيتبين لنا أن باب الزيادة كان عليه ساعات منذ القرن الرابع الهجري. وما ندري إن كان وضعت عليه أيام الأمويين، أم بعد ذلك، « فقد كانت

---

(١) عن هذين البابين انظر كتابنا: « مسجد دمشق » ص ٢٥، ٢١، ٥؛ وكتابنا « خطط دمشق » ص ١٢٣. والبابان هما من أبواب الجامع الأصلية

(٢) انظر كتابنا « المؤرخون الدمشقيون » ص ١٣.

(٣) انظر الدارس ١ — ١٧٧ (نشرة المجمع العلمي بدمشق) ؛ وقد نقل العمري في مسالك الأبصار ١ — ١٩٨ وصف ابن زبر ؛ وكذلك بدران في منادمة الأطلال ص ٨٦ (نشرة المكتب الاسلامي بدمشق، وهي نشرة سيئة مملوءة بالأغلاط)، وقد أثبت ناشر المنادمة اسم ابن زبر (ابن زير) وهو خطأ.

الساعات معروفة في دمشق زمن البزنطيين ثم أيام الأمويين »[١] .

ويصف ابن زبْر هذه الساعات فيقول :

« ... عليها عصافير من نحاس ، وحية من نحاس ، وغُراب من نحاس . فإذا تمَّت الساعة خرجت الحية ، وصفرت العصافير ، وصاح الغراب ، وسقطت حصاة في الطست . »[٢]

ومن المؤسف أن ابن زبْر لا يذكر صانع هذه الساعات .

فهذا كل ما نعرفه عن ساعات باب الزيادة . ومن المقطوع فيه أنها خربت عند حريق الجامع على أيدي الجنود المصريين سنة ٤٦١ هـ ، لأن النار جاءت إلى الجامع يومئذ من ناحية الخضراء التي رموها بالنار . والخضراء كانت تقابل باب الزيادة ودار الخيل جنوباً .

يؤيد هذا أن القلانسي الذي أرخ لدمشق في الحقبة الفاطمية والسلجوقية لا يذكر هذه الساعات . وكذلك السميساطي الذي أرّخ للحقبة نفسها ، ووجدنا ما كتبه عن دمشق ، عند ابن ايبك الدواداري[٣] ، لا يشير إلى هذه الساعات .

ونحن نعلم أن السلاجقة أصلحوا المسجد وأعادوه إلى سابق عهده . لكننا لا نجد في الكتابات السلجوقية التي عثر عليها في المسجد ذكراً لاصلاح الباب ، أو ذكراً للساعات[٤] .

(١) انظر : علم الساعات والعمل بها . ص ٨ (مخطوطة التيمورية ، صناعة ٢٤) .

(٢) الدارس ١ ــ ١٧٧ ومسالك الأبصار ١ ــ ١٩٨ ، واسقط بدران كلمة « في الطست » في نقله (منادمة ص ٨٦) .

(٣) انظر كتاب الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية ، وهو السادس من كنز الدرر وجامع الغرر . (تحقيقنا) . صدر في مطبوعات المعهد الألماني للآثار في القاهرة .

(٤) انظر : كتابنا « ولاة دمشق في العهد السلجوقي ، المقدمة ص ١٤ ، والمصادر المذكورة فيه .

وعندما دخل نور الدين محمود بن زنكي دمشق سنة ٥٤٩ هـ/ وقضى على السلاجقة ، عُني بالجامع عناية كبرى ، فأصلحه ورممه . وأصبح الباب الشرقي للجامع — أي باب جيرون — هو باب الساعات فقد أمر نور الدين بصنع ساعات جديدة ، وضعت على هذا الباب . وكان الذي صنعها محمد بن علي بن رستم الساعاتي ، وهو عالم من خراسان انتقل إلى الشام وأقام بها إلى أن توفي ، وكان ملازماً هذه الساعات يتعهدها بالعناية والإدارة والإصلاح . وكان أوحد أهل زمانه في معرفة الساعات وعلم النجوم . وكان نور الدين يُغدق عليه الكثير [1] .

وقد حفظ لنا ابن جبير الأندلسي وصف هذه الساعات في رحلته ، عند كلامه على دمشق . قال :

« وعن يمين الخارج من باب جيرون ، في جدار البلاط الذي أمامه ، غرفة ، ولها هيئة طاق كبير مستدير ، فيه طيقان صفر قد فُتّحت أبواباً صغاراً على عدد ساعات النهار ، ودُبّرت تدبيراً هندسياً ، فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنجتان من صفر ، من فمي بازيين مصوّرين من صفر ، قائمين على طاستين من صفر تحت كل واحد منهما ، أحدهما تحت أول باب من تلك الأبواب ، والثاني تحت آخرها ، والطاستان مثقوبتان ، فعند وقوع البُندُقتين فيهما ، تعودان داخل الجدار إلى الغرفة ، وتبصر البازيين يمدّان أعناقهما بالبندقتين إلى الطاستين ، ويقذفانهما بسرعة ، بتدبير عجيب تتخيّله الأوهام سحراً ، وعند وقوع البندقتين في الطاستين يُسمع لهما دويّ ، وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر ، لا يزال كذلك عند كل انقضاء ساعة من النهار ، حتى تنغلق الأبواب كلها وتنقضي الساعات ، ثم تعود إلى حالها الأول . ولها

(١) انظر : ابن أبي أصيبعة ، أطباء الشام ٢ ـ ١٨٤ .

بالليل تدبير آخر ، وذلك أن في القوس المنعطف على تلك الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرّمة ، وتعترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار في الغرفة ، مدبر ذلك كله منها خلف الطيقان المذكورة ، وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة ، فإذا انقضت عمّ الزجاجة ضوءُ المصباح ، وفاض على الدائرة أمامها شعاعُها ، فلاحت للأبصار دائرة محمّرة ، ثم انتقل ذلك إلى الأخرى حتى تنقضي ساعات الليل ، وتحمر الدوائر كلها . وقد وكّل بها في الغرفة متفقّد لحالها ، دَرِبٌ بشأنها وانتقالها ، يعيد فتح الأبواب ، وَصرْفَ الصنج إلى موضعها . وهي التي يسميها الناس المِنْجَانة [1] .

وواضح أن هذه الساعات التي وصفها ابن جبير غير الساعات التي وصفها ابن زبر .

وقد أوتيت هذه الساعات شهرة بين الناس ، كما أوتيت عناية من الحكّام . وظلّ محمد بن علي الساعاتي يرعاها كما ذكرنا ، حتى توفي ، فانتقل أمر تدبيرها إلى غيره فأخربها .

وكان لمحمد الساعاتي ولدان . الأول : الشاعر المعروف بابن الساعاتي (علي بن محمد بن علي) صاحب الديوان . والثاني : كان طبيباً وأديباً ، وله معرفة بصناعة المنطق والعلوم الحكمية ، هو فخر الدين رضوان بن محمد ، وكان يكتب الخط المنسوب ، واشتغل بعلم الأدب على التاج الكندي ، وبلغ به الأمر إلى أن وزر للملك الفائز ابن العادل ، كما وزر للملك المعظم عيسى وكان ينادمه ويلعب بالعود [2] .

---

(١) انظر : رحلة ابن جبير ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤ (ط . صادر بيروت) ؛ وقد نقل هذا الوصف المقري في النفح عن ابن جبير .

(٢) ابن أبي أصيبعة ٢/١٨٤ .

رأى فخر الدين ابن الساعاتي أن الساعات التي صنعها أبوه قد فسدت آلاتها ، وبطل أكثر حركاتها . فآلمه أن يرى ذلك ، فألف كتاباً سماه « علم الساعات والعمل بها » تكلّم فيه كيف صنع أبوه الساعات ، وكيف دبّ فيها الفساد ، وكيف أخطأ في اصلاحها من قام بذلك بعد أبيه ، ثم ذكر كيف تدور ، وكيف تصلح إذا فسدت .

وهذا الكتاب من أعظم ما وقعت عليه عيننا من المخطوطات القديمة شأناً ، لأنه كتاب يدلّ على مبلغ عرفان المسلمين في القرن السادس بشؤون الساعات وتركيبها وإدارتها ، وهو بهذا ، وثيقة تفيد في تأريخ العلوم عند المسلمين . وهو إلى ذلك يمدنا بألفاظ كثيرة تفيدنا اليوم عند وضعنا المصطلحات العلمية لأجزاء الساعات .

ونحن نقدّم هنا قسماً من المقدمة . تبين أغراض الكتاب .

فبعد أن يقول إن الساعات التي أنشأها والده :

« فسد بعد وفاته جميع آلاتها ، وبطل أكثر حركاتها ، وتغيرت حقائق أشكالها ، وعدم جلّ أعمالها ، حتى كادت أن تصير مجهولاً لا يُعرف ، ونكرةً لا تتعرّف ، هذا مع قرب العهد وقصر المدة » .

ينتقل إلى العلماء الذين حاولوا اصلاحها فينتقدهم :

« فظنّ كل واحدٍ ممن أدارها بعده أنه علاّمة الوجود ، ومحط رحال الوفود . أما الفيلسوف المعروف بالشيخ المهذّب ابن النقاش [1] ، رحمه الله ، مع ذكره بالجلالة في العلم ، والبراعة في الفهم ، وشياع صيته في الأقطار ، واشتهاره بالسيادة في جميع الأمصار ، فإنه أبطل منها ساعات الشمس التي هي أغمض جميع آلاتها ، تتحرّك مساوية لجرم الشمس التي في السماء ، فتطلع وقت

(١) انظر ترجمته في طبقات الأطباء ١٦٢/٢ ؛ وتوفي سنة ٥٧٤ هـ .

طلوعه ، وتغرب وقت غروبه ، وتتوسط دائرة البروج والأفق وقت انتصاف النهار سواء ....

وليس العجب من جهل ابن النقاش بعملها ، وضعف فكره فيها ، وعجزه عن إدارتها ، لأنّ والدي رحمه الله لم يُطلع أحداً على سرّها . وإنما العجبُ من كونه عجز عن إدارتها وآلاتها سليمة ، وحركاتها جميعها مستقيمة . ثم إنه لما عجز عن ادارتها لم يتركها على حالها ، بل أفسد جميع آلاتها ، وفكّ منها جرم الشمس ورمى به . وسمر باقي الذي عجز عن فكّه بمسامير لئلا تدور دائرة البروج ، بل توهم أنها مستمرة متداول عملها . مع كونه يعتقد في نفسه أنه علاّمة الوقت وفريد الدهر ، وأنّ اقليدس يقرأ عليه الهندسة ، وأرسطو يتعلم منه المنطق والعلوم الطبيعية ، وبطليموس يأخذ عنه العلوم الرياضية ، وأن ارشميدس دونه في علم الحيل والساعات . وما كان يقنع بهذا وحده ، بل بالزيادة عليه . وتعجبتُ أيضاً من قوله للناس لما طلبوا منه إدارتها أنها لا تدور أصلا . فلما قيل له كانت تدور ، والناس يُشاهدونها أنكر هذا ، وأقام على المكابرة والجهل . وقد كنتُ أسمع والدي رحمه الله ينقص هذا الرجل ويعيبه ، ويقول : إن جميع ما يسمع عنه من الاشتهار بالعلم لا حقيقة له . ولم يزل ذلك مني على ذكر ، حتى حققتُ ذلك بالذي شاهدتُ من أمره . وطالعت كتباً كثيرة بخطه في المنطق وغيره فوجدتُ فيها من السهو والغلط والتصحيف ما لا أحدّه ولا أحصيه . وأبطل أيضاً منها ساعاتِ الليل ، لأن النصف دائرة التي اخترعها والدي رحمه الله لتغطية الجامات لم يعرف المذكور كيفية وضع الحبال عليها ، بحيث تدور وقت ما تصل إلى الجامة السادسة ويصير ثقلها من أسفل دوراناً مناسباً ، وتنكشف شعرة شعرة ، حتى تنكشف عن الجامات الاثنتي عشرة ، بل صارت معه إذا وصل إلى هذا الموضوع المذكور وصار أكثر

ثقلها من أسفل تهبط دفعة واحدة فتنكشف الجامات الست في لحظة واحدة . وسبب هذا أنه لا يعرف السر المانع لهبوطها . وبقي سنةً كاملةً يدأبُ في حيلة يمنع ذلك فلم تنهض قواه بذلك . فمات بغصته منها بعد أن عمل ترسة كانها مفسودة ، وانقضى الزمان والأيام على تجربة ما يعمل فلا يجيء موافقاً ، إلى أن قضى نحبه وما شفي كربه .

وكان تلميذه المعروف بابن الحاجب رحمه الله ممن أعجبته نفسه وعظم خيلاؤه وكبره وتاه بكبر لحيته ، واعتدال قامته ، وتصفيف صدغه وعمامته ، فاعتقد أنّ الأمور توافقه في كبره كما كانت في صغره وان إدارة الساعات مما يقع له بالاتفاق فلم يزل يفسد آلة بعد آلة وهو في شغل دائم وفكر ملازم إلى أن غلبه العجز والضجر على رأيه ، فاعتمد في أمرها على الحكيم أبي الفضل النجار الذي لقب نفسه بالمهندس [١] . وهذا الرجل فقد كنت أحسنُ الظن به لأمور منها انه كان عنده سكون كثير فكنت أعتقد أنه لعلم وثبات ، ومعرفة اناة ، ومنها عدم المسارعة إلى الاجابة عما يُسأل عنه ، فكنت أظن ذلك تثبتاً منه ومعرفة ، إلى أن اطلعتُ على ما عنده وتفاوضنا في أمور تتعلق بالهيئة وغيرها ، فوجدتُهُ كالسراب . واطلعت له على مسائل أجاب عنها تدل على تخلف عظيم منها أنه سئل هل البروج من الكواكب الكرة الثابتة أم لا ؟ فقال : لا . وأشياء غير هذا كثيرة . وكانت أيضاً ساعات الليل معه بطالة وساعات النهار مختلة جداً .

(١) أبو الفضل محمد بن عبد الكريم المهندس الدمشقي . ترجم له ابن أبي أصيبعة ١٩٠/٢ وذكر أنه « هو الذي اصلح الساعات التي للجامع بدمشق . وكان له على ساعاتها وتفقدها جامكية مستمرّة يأخذها . »

ثم تولاها بعده من لا يضيع الوقت في ذكره إذ ليس من هذه الرتبة ولا دونها فأفسدها بالكلية بحيث لم تبق فيها آلة واحدة صحيحة .

فألزمني مَنْ لا يسعني خلافه أنّ أتسلمها وأعيد حركاتها التي فسدت إلى الصلاح والتقويم ، وآلاتها التي بطلت إلى الكمال والتتميم ، وعلمت ما في ذلك من الأجر لما في معرفة أوقات الليل والنهار والصلوات ، في الغيوم والأمطار ، من الثواب الجزيل والأجر الجليل ، مع إحياء ذكر والدي رحمه الله وإعادة ما صار رمياً من صناعته ، وإظهاره بعد العدم إلى حالته . فامتثلتُ أمره وما غمطت سره . فلما تسلمتُها لم أجد فيها آلةً واحدة كما يجب . فأصلحتُ آلاتها وجدّدتها ، وعدّلت حركاتها وقوّمتها ، وأعدتُها إلى ما كانت عليه من حسن الترتيب وهذّبتُها حسبما يستحقه قانونها من التهذيب . فكأنها مَنْ قد عاش بعد الموت ، أو عاد بعد الفوْت . وزدتُ فيها أشياء حسنة تعلم وقت الوقوف عليها . ثم رأيتُ أن أجمع ذلك كله في كتاب يُعتمد عليه ، ويعودُ الانسان في سائر حالاته إليه .

وجملتُه خمسة فصول :

الفصل الأول : في استخراجها ، وذكر المستخرج الأوّل لها ، وذكر ما زيد فيها ، وتسمية آلاتها على طريق الاجمال .

الفصل الثاني : في أسماء آلاتها جميعها ، المقدم ذكرها ، على طريق الشرح والبيان والتلخيص لواحدة منها .

الفصل الثالث : في عمل آلاتها ، وذكر أشكالها وصورها ومقاديرها ، وكيفية عملها ، وذكر مقادير كل واحدة منها .

الفصل الرابع : في صورة العمل بها ، وكيفية دورانها ، وما في ذالك من الشروط ، وذكر وصايا وقت عمل الآلات ، ووصايا يحتاج إليها في كل يوم .

الفصل الخامس : في ذكر الآفات الداخلة عليها ، وكيف يحترز منها لتدور على أحسن الأوضاع وأصحها .

* * *

تلك أخبار ساعات أبواب الجامع بدمشق ، ولعل مجمعنا الدمشقي يعمل على نشر مخطوطة « علم الساعات والعمل بها » ، فإنه يجلو صفحة من تاريخ دمشق الحضاري ، ويمدنا بعدد كبير من الألفاظ الفنية التي يحتاج المربون إليها .

(بيروت) صلاح الدين المنجد

مصادر الفلسفة السياسية
عند الفارابيّ

للفارابي كتاب اسمه في الأغلب : « آراء أهل المدينة الفاضلة » هـذا الكتاب قسمان : قسم فلسفي ما ورائي جمع فيه الفارابي آراءً في الوجود وفي الله وفي النبوّة والخلود وما إليها ، ثم قال ان هذه الآراء يجب أن تكون عقائدَ لأهل المدينة (الدولة) المثلى التي تخيّلها .

من هذه الآراء أن الموجود الأول واحد لا شريك له ولا ضد وهو عقل محض متصف بجميع صفات الكمال ومبرّأ من جميع نواحي النقص ، وهو علة الوجود (سببه) إلا أنه لا يباشر شيئاً من أحوال الوجود : لقد فاض عنه بالضرورة عقل مثله ولكن ليس إياه . هذا العقل الثاني هو الذي تفيض منه الموجودات . أما التفاصيل الباقية من فلسفة الفارابي فأكثرها مأخوذ من أفلاطون وأرسطو خاصةً .

والسعادة عند الفارابي أمر محبوب مطلوب لذاته لا لننالَ به شيئاً آخر (نعيماً في الدنيا أو ثواباً في الآخرة) . والنبوة للقوة المتخيِّلة في البشر كلهم . والنبي عادةً من فاق أهل عصره في الإدراك العقلي لحقائق الأمور وفي صحة التخيل للمقبل من الحوادث . والعدل هو حق الأقوياء يحتازونه عن الضعفاء . والخشوع (الدين) حيلة من الضعفاء يرهبون بها الأقوياء ويحملونهم بها وبما يخيّلون إليهم من الثواب والعقاب في الآخرة على أن يتخلوا لهم عن شيء من المغانم .

وأما القسم الثاني من كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة فيتناول فيه الفارابي هيكلاً خيالياً للدولة .

والدولة عنده طبقات متراكبة أدناها طبقة تخدم أهلَ جميع الطبقات التي فوقها ، وفي أعلاها طبقة فيها رئيس واحد (أو بضعة رؤساء) يخدمه أهلُ جميع الطبقات التي هي دونه . وفي ما بين الطبقة العليا والطبقة الدنيا طبقات عديدة تخدم كلُ واحدة منها ما فوقها ويخدمُها ما تحتها .

ويخصّ الفارابي رئيسَ المدينة الفاضلة بكلام كثير ، فهو الأصل في وجود المدينة (الدولة) ، ولولاه لما وُجدت المدينة . ورئيس المدينة الفاضلة نبي وحكيم في وقت واحد ، ثم هو متصف باثنتي عشرة صفة تخصه بجميع الأمور المحمودة وتنزّهه عن جميع الأمور المذمومة .

والدولة نفسها تتبدّى في أشكال منها المدينة الفاضلة (الدولة المثلى) التي يمكن أن تكون كبرى ووسطى وصغرى وأن تظهر بأشكالها الثلاثة في وقت واحد وفي بيئة واحدة أيضاً . ثم هنالك مدن (دول) غير فاضلة يسميها الفارابي مضادّات المدينة الفاضلة ، وهي أنواع كثيرة منها الجاهلة (التي لا تَعرِفُ الخير فلا تعمل به) ، ومنها الفاسقة (التي تعرف الخير ولكن لا تعمل به) ، ومنها المبدّلة (وهي التي كانت فاضلة ثم أصبحت فاسقة) ومنها البدّالة (وهي التي تهتم بالمكاسب المادية فقط وتعمل في التجارة مثلا) . وجميع الدول غير الفاضلة يمكن أن توجد مع الدول الفاضلة في وقت واحد وجنباً إلى جنب .

* * *

وأكثر الذين يتكلمون على الفارابي يتناولون الموازنة بين « كتاب السياسة » لأفلاطون (وهو المعروف باسم الجمهورية) وبين « كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة » كثيراً أو قليلاً ، وقل منهم من لم يفعل ذلك ، ولا أعلم أحداً فعل غير ذلك .

وفي ما يلي محاولة للموازنة بين كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة وبين كتاب السياسة لأفلاطون من جانب والمصادر الأخرى التي عرفها الفارابي من جانب آخر .

من أين استقى الفارابي آراءه السياسة ؟

ان اسم المدينة الفاضلة وفكرتها الأساسية مستمدّان من أفلاطون . ولكن تفاصيل المدينة الفاضلة تخالف تفاصيل دولة أفلاطون من كل وجه :

يتناول أفلاطون في « كتاب السياسة » (الجمهورية) الكلام على العدالة والأمانة والظلم ، وعلى مدرك الدولة ، وعلى مزاج الحُماة (الجند) وتعليم الذين سيصبحون حماة ، وعلى مراقبة النصوص الأدبية التي تُفرض على الطلاب ، وتأثير الإلقاء والإنشاد ، وعلى الغاية من تعليم الشعر والموسيقى . ثم يتكلم على اختيار الحكام وواجبات الحُماة وعلى الفضائل في الدولة وفي الأفراد ، وعلى أقسام النفس الثلاثة ، وعلى شيوع النساء بين الحماة ، وعلى الملوك الفلاسفة ومدرك الخير والتعليم العالي (الحساب والهندسة والجدل والفلك وعلم الموسيقى) وعلى أنواع الحكم وعلى الصلة بين الفن والحقيقة ، وعلى أن الشعر التمثيلي يخاطب العاطفة لا العقل ، وعلى الخلود والآخرة .

إن معظم هذه الموضوعات لا وجود لها في المدينة الفاضلة . أما الموضوعات المتشابهة عند الفيلسوفين بالأسماء فانها تختلف في الغاية وفي الطبيعة وفي المعالجة :

(أ) الرئيس عند أفلاطون يُختار جسمانياً واستعداداً عقلياً ثم يدرّب على أن يكون في المرشحين للحكم في المدينة بعد الستين من عمره . أما الرئيس عند الفارابي فهو معدّ بالطبع بصفات قد فُطِرَ عليها وليس يمكن أن يكون أي إنسان اتفق ، وهو حكيم ونبي في وقت واحد . ثم إن المدينة عند الفارابي قد وُجدت من أجل الرئيس ، وإن على جميع طبقات المدينة أن يخدموا الرئيس بينما هو لا يخدم أحداً ، لأن طبيعة منصب الرئاسة تجعل الرئيس مخدوماً لا يخدم

أحداً . أما عند أفلاطون فالرئيس فرد فيلسوف ، بينما الفارابي جعله إماماً ثم أجاز أن يكون للمدينة الفاضلة رؤساء عديدون .

(ب) وأفلاطون لم يُجِزْ إلاّ دولة فاضلة واحدة ؛ أما الفارابي فقد أجاز مدينة فاضلة كبرى [1] إلى جانب مدينة فاضلة وسطى إلى جانب مدينة (أو مدن) فاضلة صغرى . وهذا شيءٌ استفاده الفارابي من البيئة الإسلامية يومذاك : إن الخلافة (وهي المدينة الفاضلة الكبرى) كانت موجودة إلى جانب الدولة الحمدانية (وهي تقابل المدينة الفاضلة الصغرى) .

ثم إن الفارابي أجاز وجود مضادّات للمدينة الفاضلة (أو للمدن الفاضلة على الأصح) ، فالدولة الفاطمية كانت مضادّة للخلافة العباسية ، والدولة السامانية كانت مضادّة للدولة البويهية ، والدولة الاخشيدية كانت مضادّة للدولة الحمدانية .

هذه الصورة للدولة الفاضلة ولمضادّاتها تناولها الفارابي من بيئة الإسلامية في القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) . ولا ينكر أحد أن مثيلات هذه الدول المتضادّة كانت موجودة في زمن أفلاطون ، وفي كل زمن ، ولكن المدن الفاضلة الكبرى والوسطى والصغرى كانت صورة خاصة بالبيئة الإسلامية . ولا ريب في أن أفلاطون تكلم على أشكال مختلفة من الحكم (هي في الحقيقة أنواع من الدول) ، ولكن أفلاطون لم يقرّ وجود هذه الدول في الكتاب الذي خصه بالكلام على الدولة المثلى . ولا ريب في أن الفارابي قد نظر في إجازة الدول غير الفاضلة إلى رأي أرسطو في أن الدولة الصحيحة هي الدولة الواقعة التي يقبلها الشعب . فاذا لم يسرّ الشعب بدولة ، وكان يريد تبديلها ويملك القدرة على ذلك ، فانّه يبدّلها . غير أن الفارابي يفارق أرسطو في مدرك أساسي : ان الدولة الصالحة عند أرسطو هي الدولة التي يعمل الحاكم فيها

(١) ان استعمال صيغة التفضيل بعد النكرة لا يجوز ، ولكن الفارابي يستعمل ذلك .

على خدمة الشعب ، أما الفارابي فيرى أن الدولة توجد من أجل الرئيس ولخدمته .

(ج) وتنظيم الدولة عند أفلاطون تنظيم اجتماعي اشتراكي (أو شيوعي على الأصح) : في المال والنساء مع تبني الدولة للأولاد الأصحاء ؛ ولكنه نظام اشتراكي مشوه بإقرار ثلاث طبقات تتميز بعضها من بعض : الحكم في واحدة منها ولا يكون في غيرها ، والعمل (في الأرض والمعمل والتجارة) متروك لواحدة منها على شريطة أن تقدّم للطبقتين الباقيتين ما تحتاجان إليه . ثم أن الرقيق جائز في جمهورية أفلاطون !

أما تنظيم المدينة الفاضلة عند الفارابي فهو تنظيم طبيعي ما ورائي : ان نسبة الرئيس إلى المدينة كنسبة القلب إلى الجسد ونسبة الله إلى العالم . وليس للإنسان عند الفارابي يد في تنظيم الدولة ، لأن الله قد نظم هذه الدولة كما نظم الطبيعة سواءً بسواء . ولعل هذا المزيج عند الفارابي يزاحم في الغرابة مزيج أفلاطون : شيوعية وطبقات جمهورية وأرقاء ! ولكن المزيجين مختلفان لا يمتّ أحدهما إلى الآخر بصلة .

فمن أين جاء الفارابي بهذا التنظيم الغريب ؟

بدأ الفارابي تأليف كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » في بغداد (سنة ٣٣٠ هـ = ٩٤١ م) حيث بدأ دراسة الفلسفة . ولا ريب في أن الفارابي اطلع على كثير من آراء الأقدمين ، مما كان موجوداً في الكتب أو غير موجود فيها ، ومنها آراؤهم السياسية في الدولة . وقد علم الفارابي بلا ريب أن المدن القديمة في امبراطورية العراق كانت مستقلة في بعض العصور ، وكانت تجمعها أحياناً امبراطورية (دول فاضلة صغرى في دولة فاضلة كبرى) كما كانت الحال في أيام الفارابي (دويلات متناثرة في العالم الإسلامي تجتمع اسميا على الأقل في خلافة عباسية) .

على أن العقدة الحقيقية في فلسفة الفارابي السياسية إنما هي الرئيس : هذا الشخص الذي أوجدت المدينة (الدولة) من أجله ، ثم انها وجدت لتخدمه من غير أن يخدم هو أحداً ، ثم في تلك الطبيعة التي أرادها الرئيس حتى يستطيع الرئيس أن يكون نبياً وحكيماً في آن واحد ، ثم قوله صراحةً أن نسبة الرئيس إلى المدينة كنسبة الله إلى العالم .

هذه الخصائص كلها نجدها أيضاً في النظام السياسي الذي ساد في العراق في الزمن القديم ، قبل حمورابي . والفكرة السياسية التي سادت في أقدم عصور العراق السياسية أن كلّ مدينة كانت تابعة لآله ، وأن الحاكم فيها (الملك) كان يمثل ذلك الآله ويحكم باسمه ؛ وكان أهل المدينة يفلحون ويزرعون ويحصدون ويقومون بسائر الأعمال خدمةً لذلك الإله ، ولم يكن على ذلك الإله أن يخدم أهل المدينة في شيء . ثم لما جاء حمورابي لم يختلف من ذلك اختلافاً أساسياً : إن حمورابي تلقى شريعته من إله الشمس وكان يحكم على أنه نائب ذلك الإله .

وصفات الرئيس ترجع أيضاً إلى الفلسفة السياسية القديمة في العراق .

لما قضى الإسلام على الوثنية في كل مكان وصل إليه بقيت جماعات وثنية تعيش في بيئات مغلقة (صغيرة) تُظهر الوحدانية في بعض الأحيان وتبطن الوثنية القديمة ، ومن هذه الجماعات الصابئة (أو الصابة) أو الحرّانيون (أو الحرنانيون) . وكان الحرنانيون يقولون (الفهرست ، مصر ، سنة ١٣٤٨ هـ ، ص ٤٤٤) : إن النبي هو البريء من المذمومات في النفس والآفات في الجسد ، والكامل في كلّ محمود ، وأن لا يقصر عن الإجابة بصواب في كلّ مسألة ، ويخبر بما في الأوهام ، ويجاب في دعوته بإنزال الغيث ودفع الآفات عن النبات والحيوان ، ويكون مذهبه ما يصلح به العالم ويكثر عامره . هذه الصفات

التي أوردها ابن النديم في كتاب الفهرست موجزةً بلا ريب هي الآراء التي فصّلها اخوان الصفا فيما بعد وسموها خصال صاحب الناموس أو صاحب الشريعة . والشريعة عندهم تجمع جانب الدنيا وجانب الدين في المعنى السياسي الواحد . ثم إن اخوان الصفا يرون صراحةً أن الشريعة ليست إلا الدولة . قالوا : « أما اختلاف الشرائع فلا يضرّ بالدين (الرسائل ٤ : ٢٤ — ٢٩) لأنّ كلّ شريعة تكون بحسب بيئة أهلها المقصودين بها وبحسب زمانهم . والشريعة تكون لأتباعها بمثابة مدينة (دولة) روحانية يعيشون فيها عيشة روحية . وكلما كان عدد أتباع الشريعة أكثر كانوا هم أشدّ سروراً وفرحاً » (الرسائل ٤ : ١٨٧) .

وصاحب الشريعة أو الناموس يحتاج في رأي اخوان الصفا إلى خصال كثيرة جملوها ثماني وأربعين (الرسائل ٤ : ٢٧) ثم اختصروها فجملوها اثنتي عشرة (الرسائل ٤ : ١٨٢ — ١٨٦) هي (مع شيء من الإيجاز) : أن يكون تامّ الأعضاء قويّها — جيد الفهم — جيد الحفظ — فطناً ذكياً ذا رأي — حسن العبارة — محباً للعلم إذا جلّدَ عليه — محباً للصدق وحسن المعاملة — غير شره في الطعام والشراب والنكاح — كبير النفس عالي الهمة — زاهداً في المال وأمور الدنيا — محباً للعدل وأهله مبغضاً للجور وأهله — قويّ العزيمة جسوراً .

ومن العجيب أن يكون الفارابي قد افترض في رئيس المدينة الفاضلة أن يتصف باثنتي عشرة صفة هي (مع شيء من الإيجاز) أن يكون : تامّ الأعضاء (وأن تكون القوى في تلك الأعضاء مُعينةً على ما قُصد منها) — جيد الفهم والتصوّر بالطبع — جيد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ويسمعه ولما يدركه — حسن العبارة — محباً للتعليم (للتعلم) والاستفادة سهل القبول له — غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح متجنباً بالطبع للّعب — محباً للصدق وأهله مبغضاً للكذب وأهله — كبير النفس محباً للكرامة — وأن يكون الدرهم والدينار وسائر

أعراض الدنيا هينة عنده — ثم أن يكون بالطبع محباً للعدل وأهله مبغضاً للجور والظلم وأهلها ، يعطي النصف [١] من أهله ومن غيره ويحثّ عليه ، عَدْلاً غير صعب القياد إذا دُعي إلى الحق ، صعبَ القياد إذا دعي إلى الجور — قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي جسوراً عليه .

على أنه ليس من السهل أن نَجْزِمَ في من سبق إلى تعداد هذه الصفات : الفارابي أم اخوان الصفا ! إن الفارابي بدأ تأليف مدينته الفاضلة في بغداد سنة ٣٣٠ هـ (٩٤١ م) ثم أتمها في دمشق في العام التالي . وكانت وفاة الفارابي سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠ م) . أما جماعة اخوان الصفا فالأغلب أنها تألفت في اوائل القرن الرابع للهجرة (أوائل القرن العاشر للميلاد) ، ولكن أمرهم لم يظهر إلا نحو سنة ٣٧٣ هـ (٩٨٣ م) كما ذكر أبو حيّان التوحيدي (المقابسات ٤٥) . في تلك السنة كان جميع الأشخاص الذين نعرف أسماءهم والذين يقال أنهم وضعوا رسائل اخوان الصفا لا يزالون أحياءاً . على أن أهم من ذلك أن رسائل اخوان كانت لا تزال في ذلك الحين متفرّقة لم تجمع في كتاب واحد .

ثم ليس من المعقول أن يأتي فيلسوف كالفارابي ، بعد أن نال شهرة واسعة وأصبح في السبعين من عمره ، فيغرف من رسائل اخوان الصفا غرفاً — واخوان الصفا بعدُ في عالم الغيب والستر . فلا بد إذن من أن يكون الفارابي قد عرف شيئاً من الفلسفة السياسية للعراق القديم ورتب منها آراءه . ولعل إخوان الصفا أنفسهم أخذوا من الفارابي أو عرفوا المصادر العراقية القديمة من الحرنانيين وأمثالهم . إن من العجيب في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية أن تكون تلك الآراء الوثنية التي عمل الإسلام على محوها قد وَجدت بيتاً حصيناً في فرق الغُلاة من أصحاب البِدَع . وأن أحدنا لا يتوسع إلا قليلاً في مذاهب الحرانيين الذين يقال لهم الصابئة وفي ما اتصل بهم أو شابههم من الحركات كالمانوية والدَيصانية

(١) تجوز بالفتح وبالكسر وتجوز بفتح ففتح .

ثم يكرّ البصر في الفرق الغالية من فرق الإسلام حتى يَتضحَ له أن هـذه تلك : مادةٌ كلدانية حرّانية وغشاء باطني إسلامي ؛ ثم يعلم أن هذه الفرق لم تتلبس باسم الدين إلا سعياً وراء أهداف سياسية عنيفة أو لطيفة . وحينئذ فقط يدرك أحدنا الحملة التي حملها الغزالي وابن تيمية خاصةً على أصحاب البدع التي لم تكن مذاهب إسلامية بمعنى أنها تخالف سائر الفرق في شيءٍ من التأويل لفهم الإسلام فهماً صحيحاً ، بل كانت فرقاً سياسية دينية ترمي إلى مكافحة الإسلام خارجياً بالثورات والفتن وداخلياً بمحاولة التمزيق لوحدته الروحية ولعقائده الأولى .

ومما يؤسف له أن عدداً من المفكرين المسلمين من المعتزلة ومن الفلاسفة انساقوا في هذا التيار عفواً وفي الأكثر اغتراراً بانطلاق الفكر حراً في العالم الذي يجول فيه الفكر . ومن هؤلاء كان الفارابي الذي تبنى آراء وثنية لأنها جديدة في تعليل حال البيئة التي كان فيها ، ولأنها في الحقيقة كانت تحل مشكلة وجود عدد من الدول الكبرى والصغرى تتوادّ وتتعادى في البيئة الواحدة والزمن الواحد .

من أجل ذلك كله نرى أن مصادر الفارابي في تأليف كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » هي الآتية مرتبة حسب أثرها في آرائه السياسة :

— البيئة الاسلامية بما فيها من تعدد الدول الصغيرة والكبيرة المتآلفة والمتخالفة .

— تاريخ الدول في العراق القديم والنظرية السياسية الدينية التي عاشت من أيام الكلدانيين الحرانيين إلى أيامه في كتب مؤلفة أو في روايات منقولة .

— آراء أفلاطون وأرسطو خاصةً .

وبعد فهذا عرض لمشكلة اعترضت سبيلي في دراسة الفارابي ومحاولةٌ لحلها . فعسى أن يكون في الدارسين من يَشْرَكني في الرأي أننا أمام مشكلة تحتاج إلى حل . ولعل لبعض هؤلاء رأياً آخرَ ينير سبيل البحث .

عمر فرّوخ

التعريف والنقد

كتاب « حلية البشر ، في تاريخ القرن الثالث عشر »

تأليف : الأستاذ الشيخ عبد الرزاق البيطار

رأى مجمعنا العلمي العربي الموقر أن يطبع هذا التاريخ الكبير في رجال القرن الثالث عشر ، مبقيًا له على حاله ، ليكون مرآة لذلك العصر بأخباره وأحواله ، فلم يسعني إلاّ القبول ، شاكرًا للمجمع العلمي بيض أياديه ، ودفعته إليه ، مستدركًا ومعلقًا عليه ، مميزًا زياداتي وأقوالي بعزوها إلي ، مضيفًا لها ما تتم به الفائدة . ويقع هذا التاريخ في ثلاثة مجلدات ، ويبلغ نحو ألف وثمانمائة صفحة بالقطع المتوسط . وقد كتبه المؤلف في أدوار من عهود شبابه وكهولته وشيخوخته ، وترجم فيه أيضًا لطائفة من رجال القرن الرابع عشر وهم أحياء ، ثم ترك الكتابة والتصحيح فيه قبل وفاته بأكثر من عشر سنين لما أضرّ بيده اليمنى من الأمن والشلل القليل إلى أن توفاه الله تعالى سنة ١٣٣٥ هـ .

وقد تمّ طبع الجزء الأول منه بأكثر من ستمائة وعشرين صفحة ، وتراجع فرائده وفوائده في مقدّماته ، وأراجع الآن الجزء الثاني وأعلّق عليه .

ولما بلغت ترجمة الشيخ سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر القاسمي الشهير بالحلاّق ، الدمشقي ، والد شيخنا الشيخ جمال الدين عليهم الرحمة والرضوان ، رأيت له مصنفات أدبية ، ومجموعات بهية ، من أوسعها وأهمها ما سمّاه : « بدائع الغرف ، في الصنائع والحرف » قلت : هذا الكتاب الوافي

بموضوعه ، مؤلف من جزءين ، فأولها بقلم المترجم (إلى ص ١٨٦) والثاني بقلم ولده السيد جمال الدين وصهرهما خليل بك العظم ، إذ حال أجل الأول دون اكمال حرف السين فما بعده ، فوفقهما الله تعالى إلى اتمام العمل . فبدءا أولاً بفوات بعض الحروف المتقدمة ، ثم في اكمال حرف السين ، ثم في سرد بقية الحروف إلى آخرها ، (من ص ١٨٦ إلى ص ٥٠١) .

بدئ الجزء الأول بكلمة في موضوع الكتاب للمستشرق الشهير لويس ماسنيون ، فمقدمة الأستاذ ظافر نجل الجمال في تاريخ الصناعة وما مرّ عليها من أدوار وأطوار — وبالتعريف في هذا القاموس ، وكلتاهما باللغتين العربية والفرنسية . وفي أول (ج ١) رسم المؤلف وترجمته ، ورسم جامع السنانية الذي كانت الإمامة والتدريس فيه له ، ولولده جمال الدين من بعده . وفي (ج ٢) رسم المؤلفين الجمال والخليل ، وترجمة الأول بقلم ولده ظافر ، باللغتين أيضاً ، وترجمة الخليل بالكلام الوجيز . وفي آخر (ج ٢) وضعت الفهارس للآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، (وقد اشتركت مع الأستاذ الناصر الألباني بتخريجها وبيان درجتها) والقوافي والكتب والأعلام ، وأسواق دمشق ، والصناعات والأدوات والآلات ، والأسعار والأجور . وهذه الفهارس مترجمة إلى الفرنسية . وقد طبع الكتاب بدمشق طبعة متقنة .

وللمترجم (السعيد القاسمي) ديوان شعر لطيف ، جمع فيه جملة من غرره ، وأكثر من ابتكار النوادر . وله فيه قصيدتان في عام تأخر برده عن وقته المعتاد . صاغ الأولى في قالب السؤال ، من فصل الشتاء ، والثانية في جوابه واعتذاره المتضمن تذكير الموسرين ليتفقدوا أولي الفاقة . وقد استحسنا نشرهما في مجلة المجمع العلمي لطافتهما وطرافتهما ، ونختم بهما هذه الكلمة .

أما الأولى فقوله :

ما بال بردك يا شتاء تأخرا وبريق برقك خاب ان يمطرا
أقبلت يا فصل الشتاء ولم نجد من ماء مزنك قطرة بلت ثرى
فصل كأيام الحسوم يجيئنا فالآن في أبداننا ما اثرا
ما هكذا قد كنت تأتي للورى (فارحم حشا بلظى هواك تسعرا
ولذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى)
أين الرياح العاصفات بفصله لا تبق في الأشجار عرقاً أخضرا
أين الجليد مجمد الأرض الذي مثل الزجاج تخاله متصورا
أين الصقيع القاصم الظهر الذي ترك الفتى من رجفه متحيرا
أين الضباب المظلم الجو الذي بظلامه يحكي قتاماً أغبرا
أين اسوداد الجو أين عبوسه أين الغمام وغمه ومتى سرى
أين الزيادة في المياه إذا أتت تحكي لنا في اللون طيناً أحمرا
بل أين برد الزمهرير ولسعه للوجه لكن يستخير المنخرا
أين الرعود المزعجات بصوتها كمدافع يضربن جواً أقفرا
فاذا رأيت رأيت برقاً خاطفاً وإذا سمعت سمعت صوتاً منكرا
أسفي لثلجك يا شتاء فإنه قد كان يبني أذرعاً أو أكثرا
أسفي على البرد الكبير وطيبه مذ كان ينزل جامدا مستحجرا
أسفي علينا ما رأت أبداننا برداً به نلتذ في لبس الفرا
فإلى متى والصحو عم سماءنا والشمس في إشراقها لن تسترا
وبيوتنا أبوابها مفتوحة فكأن حر الصيف ان يتغيرا
وننام لا مزملين بثوبنا كلا ولا احتجنا لأن نتدثرا
وسقوفنا جفت وقد كانت لنا تبكي بدمع الوكف ماء أصفرا
أسفي على يبس الميازيب التي طول الشتاء تصب ماء أغبرا

أسفي على تلك البلاليع التي ... كانت تسد بما يحاكي الأبحرا
أسفي على تلك المناقل لم تذق ... في صفوة فحماً وجمراً أحمرا
أسفي على تلك البرادي وهي في ... أجداثها ملفوفة لن تنشرا
أسفي على الأوحال في الطرقات إذ ... يبست وآن لها بأن تتخمرا
ومتى نرى الانسان يمشي فوقها ... يغدو ويرجع خائضاً ومشمرا
ومزركشا من طينها ومطرزا ... ومدبجا من فرقه وإلى ورا
وبنعله قد شال من أوحالها ... أرطال طين كاد يحني الأظهرا
فلطالما قد قيل أيام الشتا ... زلق الحمار بوحله فتفطرا
والناس يصطرخون هل من منقذ ... غرق الحمار بحمله وتكسرا
أسفي على الحمال لو أبصرته ... لرحمته لما بكى وتحسرا
فإلى متى لا تحمل المكاز بل ... لا يلبس القبقاب بل لا يشترى
ومتى نرى سطح السقوف مكاسا ... ومخمراً بالثلج أبيض نيّرا
لو أنني جمعته وخزنته ... للصيف كنت عملت منه متجرا
فبمثل هذا الحال كان شتاؤنا ... أفلا يحق عليه أن نتقهرا
يا أجرد الكانون جئت مماكسا ... تدع الغصون ونحن ننبذ بالعرا
وكذا الأصم أخوه لا يبغي بأن ... نتطم في وسط البيوت ونقبرا
لو كان يسمع لا يضن ببرده ... لكن أصم فليس يسمع ما جرى
فعسى بآذار يجود بمالنا ... قد ضن فيه شتاؤنا إذ أدبرا

* * *

وأما القصيدة الثانية التي وقعت جواباً عن لسان حاله فهي :

يا من تكلم في الشتاء بما درى ... ورأى بأن البرد فيه تأخرا
برد الشتاء لقد تحول عنكمو ... وأظنه قد ضل في إحدى القرى
جوبوا البلاد لعلكم تجدونه ... في قارة قد فر فيها أو مصرى

ان لم تروه بها تجدوا خلفه   فلعله في حمص زار وزمهرا
أم في حماة أتى إليها يحتمي   فعصى بعاصي نهرها وتسترا
أم راح نحو مدينة الشهباء أم   رام الاقامة في ذرى أم القرى
ليريحهم من حرها في برده   ويزمل الأبدان منهم بالفرا
أم أمّ نحو الروم وهي بلاده   منها نشا وبها استقر بلا امترا
فهناك تلقون الشتاء وبرده   يمشي بسقط رأسه متبخترا
وترون ما تبغون من آفاقه   وزيادة مما يقص الأظهرا
فاذا سمعتم أنه في بلدة   ورأيتموه جامعاً مستنفرا
قولوا له يا ابن الحلال إلى متى   ما آن أن تأتي وتنظر ماجرى
بينا نطوف لعلنا نحظى به   في بعض تلك المدن أو بعض القرى
وإذا به بين الجبال مخيم   إذ لا أنيس له هناك من الورى
قلنا له يا بارداً في طبعه   لكن قطر نداك يحكي السكرا
أنت الذي عاهدتنا من آدم   والعهد منك على المدى ان يخفرا
تأتي إلينا كي تغيث زروعنا   في كل عام مرة أو أكثرا
والآن في ذا العام قد قاطعتنا   وفررت عنا ما الذي منا جرى
أرأيت منا ما يسوءك فعله   من كل ذنب سيئ لن يغفرا
أم بعضنا يجني عليك بذنبه   فأخذت باقي البعض ظلما وافترا
هذا وقد جئناك بعد مشقة   فابدي الجواب ولا تكن مستعذرا
نهض الشتاء وقال كلا فاسمعوا   نصحا يقال لمن يريد تبصرا
لما منعتم مالكم فقراءكم   وعراهمو في فقرهم ما قد عرا
وغنيكم متنعم بطعامه   وشرابه ولباس أنواع الفرا
وفقيركم لا تنظرون لحاله   وترونه في عيشه متكدرا
وترونه بالسوق في وقت المسا   يبتاع زيتونا وخبزاً أسمرا

يغدو حزيناً باكياً وغنيكم يغدو ويرجع ضاحكاً مستبشرا
ويطوف حول الفاكهاني في المسا ء وحول بياع الكنائف للشرا
وان اشترى شيئاً غدا من بخله يخفيه تحت ثيابه متسترا
والمعدمون يبصبصون بأعين حول الغني ويرجعون القهقرا
وإذا الفقير أتاه يبغي كسرة أو جاء ضيفاً يبتغي منه القرا
ما كان إلا بالعصا اكرامه أو بالعطا أعطاه فلساً أحمرا
ولكم تمنى الأغنياء بأن يروا في ساحة الفقراء ريحاً أصفرا
كي لا يروا أبداً فقيراً بل ولا يجدون مسكينا وأشعث أغبرا
يا ويحهم ماذا يكون جوابهم في القبر حين رأوا نكيراً منكرا
للأغنيا ويل من الفقرا غدا يوم القيامة إذ يرون المحشرا
إذ يقبضون عليهم في موقف منه الوليد يشيب من بين الورى
ويقول كل منهم يا ربنا خذ حقنا منهم فلن نتأخرا
يبقى الغني هناك لا مال له فيصير عما قد جنى متحسرا
فالآن أنتم يا ذوي الاموال إن واسيتمو الفقراء آتي ممطرا
وتزوركم رحمات رب لم يزل للمحسنين مساعداً وميسرا
وترون فصلي فصل خصب مقبل في كل خير بالرخاء مبشرا
ولتسمعن رعوده كمدافع ولتنظرن البرق فيه منورا
ولتبصرن هتون مزن سحابه فسيوله في الأرض تحكي الأبحرا
ولسوف ينزل ثلجه ببلادكم فهناك يبني أذرعاً أو أكثرا
ويروج سوق سويقكم في وقته فكلوا السويق مدبساً ومسكرا

وقد ذكر في التحفة لهذا العالم الجليل مؤلفات أكبرها « بدائع الغرف ، في الصنائع والحرف » وأقول : هذا الكتاب الوافي بموضوعه الخ (انظر المقدمة) .

محمد بهجة البيطار

أربعة كتب

للسيدة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)

١ — كتاب : الغفران لأبي العلاء المعري طبع دار المعارف بمصر عام ١٩٦١ ومن سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية . عدد صفحاته (٣٤٢) صفحة .

٢ — كتاب : التفسير البياني للقرآن الكريم ، طبع دار المعارف بمصر عام ١٩٦٢ ومن سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية . عدد صفحاته (١٩٧) صفحة .

٣ — كتاب : قيم جديدة للأدب العربي ، طبع دار المعرفة عام ١٩٦١ عدد صفحاته (١٥١) صفحة .

٤ — كتاب : أم النبي (ﷺ) ، طبع دار الهلال بمصر ، عدد صفحاته (١٦٦) صفحة .

هذه كتب أربعة من تأليف الدكتوره عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطئ » وقد أهدتها إلينا . وابنة الشاطئ أديبة عربية بارزة في الشرق العربي ، ومن شهرتها أنها جمعت بين الثقافتين القديمة والحديثة فقد قرأت الأدب القديم على أساتذة الجامعة المصرية — القديمة — وتتلمذت على أحمد أمين وطه حسين ومصطفى عبد الرازق وأمين الخولي ، وغير هؤلاء ممن يمثلون النهضة الأدبية الحديثة في مصر وكانت نشأتها الريفية الدينية ذات تأثير بالغ في نهجها العلمي كما أعانتها هذه النشأة على تقويم لسانها والتمكن من اللغة العربية الصحيحة ، فهي بهذه الصفات تمثل الجانب التاريخي الديني من الأدب العربي .

والأديبة الكبيرة صلات أدبية لا تنقطع بالمجامع العلمية واللغوية بحكم عملها كأستاذة للأدب العربي بجامعة عين شمس بالقاهرة ، وقد خصت مجمعنا العلمي العربي بدمشق بشذرات قيمة ونظرات صائبة نشرتها في الصحف ، وأضافت إلى

ذلك أنها أهدت إلينا الكتب الأربعة التي أشرنا إليها آنفاً ، فلها الشكر الجزيل .

أما الكتاب الأول (الغفران لأبي العلاء) فهو دراسة مستفيضة لكتاب أبي العلاء المعري الشهير « رسالة الغفران » وهذا الكتاب هو الأطروحة التي قدمتها المؤلفة لجامعة القاهرة عام ١٩٥٠ فنالت به درجة الدكتوراه بالآداب .

يبدأ الكتاب بمقدمة أهدتها المؤلفة إلى أمها .

ثم بمقدمة ثانية للطبعة الأولى من الكتاب بينت فيها منهجها في البحث ، ثم بمقدمة ثالثة للطبعة الثانية تحدثت فيها عن مدى تأثرها برسالة الغفران مما زادها « تقديراً لهذا الأثر الأدبي الفذ ، وانفعالاً به واندماجاً » وتعرضت في هذه المقدمة لكثير من القضايا التي « تشغل أدبنا المعاصر » من مثل : الالتزام الأدبي بقضايا المجتمع ، وعزلة الأديب في الأبراج العاجية ، ثم حرية الأديب . وهي ترى أن رسالة الغفران تعطي رأياً غير الرأي المتعارف عن أبي العلاء ، فأبو العلاء في رأي الكاتبة ، لم يكن راضياً ، ولا زاهداً بكل شيء بل لقد كان صدره يضج بـ « أشواق مكبوته ، وتؤكد أنه لم يسترح قط من حب الدنيا ، ولا نفض يده منها في اللحظة التي قرر فيها الانسحاب إلى محبسه » وهذا الرأي على جدته قد تعرض له بعض دارمي الأدب فيما مضى فأبو العلاء انسان قبل أن يكون فيلسوفاً ولكن حياءه منعه من إظهار حيويته فأصبح رهين حيائه لا رهين محبسه .

ثم بعد ذلك تنتقل الكاتبة إلى نص « الرسالة » فتبحث في بيئتها وأسباب كتابتها والزمن والمكان اللذين كتبت فيهما إلى آخر هذه البحوث النافعة المفيدة ، ثم تنتقل إلى دراسات خاصة تتعلق بالأسلوب والمعاني وصور التعبير الشعرية ، وهكذا حتى تختم الكتاب في ثلاثمائة وأربعين صفحة . وهو من منشورات مكتبة الدراسات الأدبية لدار المعارف بمصر .

وأما الكتاب الثاني فهو : « قيم جديدة للأدب العربي » وهو من منشورات دار المعرفة ويقع في مائة وإحدى وخمسين صفحة ، وقد قدمت الكاتبة للكتاب بكلمة عبرت عن غايتها من تأليفه وذلك بقولها « هذه محاولة متواضعة لتحرير الدرس الأدبي من بعض قيم خاطئة ومقاييس مخرفة » وقد أتت في عرض الكتاب بأمثلة عن الانحراف في النقد ، كما التمست فيه طريقة جديدة لتقييم الشعر وتقديره ونقده .

ونقطة الانطلاق عندها هي : (التفريق بين تراثنا الأدبي وبين أحكام مؤرخيه وآراء ناقديه) وتناول الكتاب أربعة أقسام ١ — قديمنا الأصيل ٢ — شاعر القبيلة ٣ — الشعراء الصعاليك ٤ — شعراء البلاط .

فبالنسبة للقديم حددت المؤلفة الدراسة في العصرين الأخيرين للجاهلية ، وتعرضت في هذا البحث إلى قضية انكار الشعر الجاهلي فاثبتت العكس . وأما بالنسبة لشاعر القبيلة فقد بحثت موقع الشاعر من القبيلة واعتزازها به . وأما القسم الثالث فهو شعراء الصعاليك وقد ألحت المؤلفة على ضرورة الاهتمام والعناية بهؤلاء الشعراء الذين أهملهم التاريخ . ثم تأتي إلى القسم الرابع من الكتاب وهو بحث شعراء البلاط ، وقد عدت من زعمائهم النابغة والأعشى ، وهما وأمثالهما يعتبرون من الشعراء الموظفين الذين يعملون في دائرة رسمية عند ملك أو أمير وذلك ما اهدر شخصية هذين الشاعرين وأشباههما .

ولقد شجبت الكاتبة النقاد الذين أهملوا الصعاليك الصادقين واحتفوا ببضاعة التجار من الشعراء . وأشارت الكاتبة إلى ضرورة انصراف الشعراء عن المديح .

وهنا نصل إلى الفصل الثاني وهو يبحث في الأدب الاسلامي ، وفيه تدفع الفكرة القائلة بأن « الاسلام قد ناهض الشعر وقاومه ، وأن الشعر قد أضاع مكانته وحرم جمهوره وسلب بالاسلام سلطانه » وفي العهد الاسلامي تبحث

المؤلفة موضوع « الخضرمة » وتتعرض في بحثها إلى الخلاف بين مؤرخي الآداب حول جعل شعراء صدر الاسلام جاهليين أو اسلاميين .

وتنتقل الكاتبة إلى الفصل الثالث وهو « في ظل الحكم الفردي الوراثي » وتقصد بهذا الفصل فترة انتقال الحكم إلى بني أمية . وهنا تنتقد الكاتبة الاعتماد على التاريخ السياسي وحده في دراسة التاريخ الأدبي .

ثم الفصل الرابع من الكتاب وهو يتناول الفترة التي عاشها الأدب « من دمشق إلى بغداد » وفيها تتحدث الكاتبة عن تقلب الأحداث وملابسات الانقلاب العباسي ورواسب العهد الأموي في الأنظمة والحياة وكيف كان العباسيون يعتمدون كثيراً على الشعر في دعم ملكهم وخاصة فيما يتعلق بقضية الميراث والخلاف بين العم العباس وابن الأخ علي ابن أبي طالب .

ثم ينتهي الحديث إلى « التيار » الذي كان في خاتمته المتنبي ، وهنا تحمل الكاتبة على المتنبي ، وتحاول النصح في ضرورة تغيير رأي الناس في هـذا الشاعر المستجدى ، وهذا رأي مستغرب فقد أصبح المتنبي في الأدب العربي علماً لا ينكر شأنه وانه أكبر شعراء العربية إطلاقاً . والذي نراه أن نقدر المتنبي بالنسبة لشعره لا بالنسبة لملابسات حياته الخاصة ، ما دام النص بين أيدينا ، أما حياته فقد تعرضت لرأي التاريخ الذي لا يسلم من الخطأ وهو خطأ مقصود أملته ظروف لا صلة لها بالنقد الفني النزيه . وتختتم الكاتبة مؤلفها القيم في الحديث عن القيم الأدبية والعودة إلى المقاييس والأحكام التي قوم بها تراثنا الأدبي ليعاد النظر بها ، وينظر فيها إلى الأثر الأدبي ذاته لا إلى الظـروف التي أحاطت به ، وفي هذه الفكرة الأخيرة نلمح اختلافاً في رأي الكاتبة أشبه بالتناقض إذا قورنت هذه الفكرة مع رأيها بالمتنبي .

وأما الكتاب الثالث : وهو التفسير البياني للقرآن الكريم فهو من مطبوعات دار المعارف بمصر عام ١٩٦٢ ويتألف من (١٩٧) صفحة . وقد قدمت له

بمقدمة أوضحت فيها الغرض من وضع الكتاب ، هذا الغرض الذي يتلخص بأن النصوص القرآنية يجب أن تكون موضوعاً للدراسة للاستفادة من لغتها العالية وبيانها المعجز ، وأن تدرس هذه النصوص أدبياً كما تدرس دواوين الشعراء ورسائل الكتاب . وأن ينتقل درس القرآن من نطاق « التفسير » إلى نطاق « الأدب العربي » على حد تعبير الكاتبة . وهي بعد ذلك تدلي بالمبررات لهذا الرأي : فهو مصدر بياني رائع ، وهو مناط الوحدة الذوقية « للشعوب العربية كلها ، رغم تعدد لهجاتها » وأن في دراسة نصوص القرآن سعي حميد لتخليص القرآن مما أدخل عليه في التفاسير المختلفة من دس إسرائيلي أو فارسي » ، ثم هناك الاختلاف الذوقي والعلمي بين المفسرين وأن التفسير ظل طوال المدة الماضية علماً لم ينضج نضجاً كاملاً ثم تدعو الكاتبة إلى أن يتلاقى العرب عند نصوص كتابهم المنزل ، يلتقون به أدباً وفناً كما التقوا ديناً وعقيدة .

ويبدو من خطة المؤلفة في المقدمة إذن أن الغاية الوحيدة من الكتاب هي البحث عن البيان كما يدل على ذلك عنوان الكتاب .

ثم تبدأ الكاتبة في تفسير السور وهي كلها مكية ذات موضوع واحد لأن السور المكية تناولت الأصول الكبرى للدعوة الإسلامية ، وهي سور : الضحى ، والشرح ، والزلزلة ، والنازعات ، والعاديات ، والبلد ، والتكاثر .

وفي كل هذه الأمثلة تستعرض الكاتبة التفاسير القديمة والحديثة ، ثم تأتي برأيها في التفسير .

الكتاب الرابع : وهو كتاب « أم النبي » عليه الصلاة والسلام . من مطبوعات دار الهلال ، عدد صفحاته (١٦٦) مائة وست وستون صفحة ، والكتاب بحث قيم عن آمنة بنت وهب الزهرية أم النبي العربي محمد ﷺ ، والدكتورة بنت الشاطئ خير من يكتب في مثل هذه الموضوعات التي امتزج فيها التاريخ والادب والدين ، والدكتورة بحكم نشأتها وبيئتها الريفية أديبة

مؤرخة دينة ، يضاف إلى هذا أنها امرأة فهي تستطيع أن تتفهم نفسية المرأة بحكم جنسها .

ويبدأ الكتاب بمناجاة تتمثل فيها الكاتبة أم النبي وتخاطبها مخاطبة المعجب بها الخاشع أمام عظمتها وعظمة ما ولدت للبشرية من رجل هو أعظم مولود .

ثم ينتقل البحث إلى مصادر سيرة آمنة ونشأتها ، وقد شكت الكاتبة من نقص المصادر التاريخية حول هذا الموضوع ، واستعانت بسيرة النبي ذاتها على دراسة تاريخ أمه . كما اعتمدت على ناحية هامة في دراسة هذه المرأة العظيمة ، وهي تلك القصص والأساطير التي دارت حول آمنة وحملها وولادتها مما قد يتريث العقل أمامه ويرتاب العلم الجاف في صحته ، ولكن هذه القصص والأساطير تدل في كل حال على احترام التاريخ لهذه المرأة الخالدة .

ثم تتحدث الكاتبة بعد ذلك عن مقام الأمومة « عند العرب وحرصهم على صراحة نسبها » ثم تتحدث عن الامهات المشهورات في التاريخ ، مثل أم إسماعيل وأم موسى وأم المسيح ، ثم ينتقل الحديث إلى بيئة السيدة آمنة وعشيرتها فتبحث في البيت العتيق وبني زهرة قبيلتها . ثم ينتقل البحث إلى آمنة ، وزواجها من عبد الله والد النبي ﷺ وما لابس ذلك من أفراح وبشارات ثم خاتمة هذا الزواج الذي لم يدم طويلاً ، وما لقيته آمنة من فراق وأحزان ، وبعد هذا ينتقل الحديث إلى أخطر فترة منه وهي فترة الجنين الذي كان منه أعظم رسول جاء إلى هذه الدنيا فتتكلم عن ولادته ورضاعته ، ثم إعادته من عند حليمة السعدية مرضعته وانتقاله إلى يثرب ، وموت آمنة عليها السلام في الطريق بين مكة والمدينة ، ودفنها في قرية « الأبواء » ثم تختتم الكتاب بالحديث عن ذكريات تتعلق بتاريخ آمنة . عليها السلام .

اننا نكرر شكرنا للكاتبة الكبيرة على هديتها القيمة راجين لها التوفيق في العمل لخدمة العلم والأدب .

ديوان دعبل بن علي الخزاعي

طبع وتحقيق وتقديم وتعليق الأستاذ عبد الصاحب الدجيلي الخزرجي

طبع في مطبعة الآداب ـ النجف عام ١٩٦٢ م و ١٣٨٢ هـ عدد الصفحات/٢٥٥/ صفحة

أهدى إلينا الأستاذ عبد الصاحب الدجيلي نسخة من ديوان دعبل بن علي الخزاعي والهدية ذات قيمة أدبية كبيرة لأنها سدت نقصاً وملأت فراغاً ، إذ ليس من الحق في شيء أن تخلو مكتبة من المكتبات من مجموعة شعر هذا الشاعر الكبير الذي كان له أثر أدبي وسياسي وفني في عصره ، وهو أثر قلما يضارعه أثر لأديب أو شاعر آخر . لذلك حمدنا الهدية وشكرنا للمهدي عمله الأدبي القيم متمنين له اضطراداً في النجاح واستمراراً في خدمة الأدب العربي وآثاره .

ولقد قام الأستاذ الدجيلي بكتابة مقدمة للديوان استغرقت اثنتين وثمانين صفحة أوضح فيها الأسباب الدافعة لجمع شعر هذا الشاعر ، والعقبات التي اعترضت مهمته .

وقد تحدث في هذه المقدمة الوافية عن : حياة الشاعر وشاعريته ومواقفه السياسية ، بادئاً باسمه وكنيته ومنتهياً بوفاته .

وهو شاعر عربي صافي العروبة لانتسابه بالتأكيد إلى قبيلة خزاعة المشهورة ، على أن هناك من قال بولائه في خزاعة شاكاً بنسب الشاعر العربي وهو رأي يعزى إلى عبد الله بن طاهر وقد ثبت تاريخياً أن ابن طاهر قصد من وراء ذلك إلى الحط من دعبل لخصومة كانت بينه وبين الشاعر ولأن هذه الطريقة في إخراج الشخص من عروبته طريقة كانت شائعة آنذاك .

كان دعبل تلميذاً لمسلم بن الوليد في الشعر ، فقد انتقل من الكوفة التي ولد فيها عام ١٤٨ هـ على الأصح إلى بغداد ، كما قيل أنه ولد في قرقيسيا « البصيرة عند ملتقى نهر الخابور بنهر الفرات » ولكن المعروف المشهور أنه كوفي .

وكان انتقاله إلى بغداد وفيها عرف أول ما عرف مسلم بن الوليد كما قلنا

ولقد عرف دعبل بظاهرتين هامتين : هما الهجاء أولاً ، والتشيع ثانياً .

أما هجاؤه فقد كان من نوع مؤذ ، كان يعتمد على سلاسة التعبير والديباجة الشعرية السهلة التي يسير بها الشعر حفظاً ورواية ، ولكنه كان هجاءاً أشبه بالشتائم ، إذ لم يكن عنده تصوير أو خيال أو نكتة ، لقد كان جرحاً كله وكان صريحاً كله بحيث أن كل لفظة منه كانت تصوب مقتلاً ، كما كان يوغر عليه صدور الناس ، ويورث فيهم السخائم والضغائن ، حتى لقد قضى الشاعر حياته مطارداً من بلد إلى آخر وحتى صدق فيه قوله هو : (لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك) .

يضاف إلى هذا أن دعبلاً كان مختصاً بهجاء الكبار من الرجال لا يعوقه عن ذلك عائق ولا يستثني من لسانه أحداً ولو كان الخليفة ذاته ، وعلى هذا فقد هجا خلفاء بني العباس ، هجا الرشيد وهجا المعتصم وغيرهما .

والميزة الثانية لدى دعبل هي التشيع وقد كان شعره السياسي في أكثره تعبيراً عن هذا الميل فقد كان هاشمي الهوى علويا في فكرته ، وكان هجاؤه موجهاً لخلفاء بني العباس حتى عرض نفسه للتشرد ثم الموت ، وهذه الفكرة هي التي ملكت عليه لبه وسيرته في كل حياته .

أما شاعريته فكانت تعتمد على متانة اللغة وصفاء الديباجة والبعد عن الابتذال ولعل أول أبيات اشتهرت له هي التي يقول فيها :

أين الشباب وأية سلكا   لا أين يطلب ضل من هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل   ضحك المشيب برأسه فبكا

حتى لقد كانت هذه الأبيات دليلاً على الشاعر يعرف به . وهذه الأبيات هي التي أوصلته إلى الرشيد واعترف له بالشاعرية فيها كل من أبي تمام ومسلم ، وهما من علمت مكانة وشهرة .

أما أشهر قصائده فهي القصيدة التائية الشهيرة التي رثى بها آل البيت وتعرضهم لظلم بني أمية وبني العباس على السواء وهي « مدارس آيات » وقد نظم هذه

القصيدة وقصد إلى الامام علي بن موسى الرضى حين بايعه المأمون ولياً لعهده ، ولهذه التائية عدة شروح ، ولقد بلغ من مكانة هذه القصيدة أن رويت الأساطير عنها وقيل إن الشاعر قد كتبها لتدرج في كفنه حين وفاته ومطلعها :

تجاوبن بالأرنان والزفرات نوائح عجم اللفظ والنطقات
يخبرن بالأنفاس عن سر أنفس أسارى هوى ماض وآخر آت

وما من شك في أن دعبلا ، وان لم يكن أبرز شاعر في العهد العباسي الأدبي ، إلا أنه كان ، من غير شك من أكبر شعراء هذا العهد ، وأنه يمشي في قرن مع مسلم بن الوليد وأبي العتاهية والشريف ولكنه قد لا يصل إلى مرتبة البحتري وأبي تمام وأبي نواس ، وابن الرومي من الشعراء الأعلام .

أما فيما يتعلق بطبع الديوان ، فقد لاحظنا بعضاً من الأغلاط التي كنا نتمنى ألا تقع ولكن لكل أديب عذره ، فقد ورد في الصفحة (١٦٢) وفي الشطر الأول من البيت الأول من المقطوعة الثالثة : « لولا تكون لكاتب » وصوابه لولا تكون « ككاتب » وورد في الصفحة / ١٦٣ / البيت الثالث من المقطوعة الثالثة قوله : أو (كان) مسعدة الكريم بجاره والصواب « أو كابن مسعدة » لأن الممدوح هو عمرو بن مسعدة .

كما لا نتفق في الرأي مع الأستاذ محقق الديوان الذي وجد العذر للشاعر بهجائه الناس على الظن ، أو حين يسيء الاعتقاد في الناس فيتخذ الهجاء ذريعة للارهاب ، كما لا نوافق على أن يتصف الرجل بصفة انكار المعروف وجحود الاحسان ، لأن هذا السلوك مخالف للحياة الانسانية التي تقوم على التعاطف والتآخي وأين قول دعبل فيمن أحسن إليه : (ما كانت لأحد قط عندي منة إلا تمنيت موته) أين هذا القول من قول المتنبي :

وما شكرت لأن المال فرحني سيان عندي اكثار واقلال
لكن وجدت قبيحاً أن يجاد لنا واننا بقضاء الحق بخال

احمد الجندي

آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق في سنة ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م

الأعضاء العاملون

١ — الرئيس : الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

٢ الدكتور اسعد الحكيم
٣ الأمير جعفر الحسني (أمين السر العام)
٤ الدكتور جميل صليبا
٥ 〃 حسني سبح
٦ 〃 حكمة هاشم
٧ 〃 سامي الدهان
٨ الاستاذ شفيق جبري
٩ الاستاذ عارف النكدي
١٠ الاستاذ عز الدين التنوخي
١١ الدكتور عدنان الخطيب
١٢ الشيخ محمد بهجة البيطار
١٣ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
١٤ 〃 محمد كامل عياد
١٥ 〃 امجد الطرابلسي
١٦ الاستاذ محمد المبارك
١٧ الدكتور شكري فيصل

الأعضاء المراسلون

الجمهورية العربية السورية

١ الدكتور عبد الرحمن الكيالي
٢ الاستاذ عمر ابوريشة
٣ 〃 محمد سليمان الأحمد
٤ الدكتور قسطنطين زريق
٥ الاستاذ نظير زيتون

الجمهورية العربية المتحدة

٦ الاستاذ احمد حسن الزيات
٧ الدكتور احمد زكي
٨ الاستاذ احمد لطفي السيد
٩ 〃 خليل ثابت
١٠ الدكتور طه حسين
١١ الاستاذ عباس محمود العقاد
١٢ الأمير يوسف كمال

لبنان

١٣ الاستاذ أنيس المقدسي

١٤ الاستاذ بشارة الخوري
١٥ الدكتور صبحي المحمصاني
١٦ 〃 عمر فروخ

فلسطين

١٧ الأب ا. س. مرمرجي الدومنكي
١٨ الاستاذ قدري حافظ طوقان

المملكة الهاشمية الاردنية

١٩ الاستاذ محمد الشريقي

الجمهورية العراقية

٢٠ 〃 احمد حامد الصراف
٢١ 〃 ساطع الحصري
٢٢ 〃 عباس العزاوي
٢٣ الشيخ كاظم الدجيلي
٢٤ الاستاذ كوركيس عواد
٢٥ الشيخ محمد بهجة الاثري
٢٦ الاستاذ محمد رضا الشبيبي
٢٧ الدكتور مصطفى جواد
٢٨ الاستاذ منير القاضي

السودان

٢٩ الشيخ محمد نور الحسن

المملكة العربية السعودية

٣٠ الأستاذ حمد الجاسر
٣١ 〃 خير الدين الزركلي

المملكة الليبية

٣٢ الاستاذ علي الفقيه حسن

الجمهورية التونسية

٣٣ الاستاذ حسن حسني عبدالوهاب
٣٤ 〃 محمد الطاهر ابن عاشور

الجمهورية الجزائرية

٣٥ الاستاذ محمد البشير الابراهيمي

المملكة المغربية

٣٦ 〃 عبد الحي الكتاني
٣٧ 〃 عبد الله كنون
٣٨ 〃 علال الفاسي

تركية

٣٩ 〃 احمد اتش

ايران

٤٠ الدكتور علي أصغر حكمت

الهند

٤١ الاستاذ آصف علي أصغر فيضي
٤٢ 〃 أبو الحسن علي الحسني الندوي

باكستان

٤٣ 〃 عبد العزيز الميمني
٤٤ 〃 يوسف البنوري

فرنسة

٤٥ الدكتور بلاشير (رجيس)
٤٦ الأستاذ كولان (جورج)

٤٧ الاستاذ لاوست (هنري)
٤٨ 〃 ماسه (هنري)

بريطانية

٤٩ 〃 أربري (أ· ج·)
٥٠ 〃 جيب (ه·ا·ر·)
٥١ 〃 غليوم (الفرد)

المانية

٥٢ 〃 ريتر (هلموت)
٥٣ 〃 هارتمان (ريشارد)

السويد

٥٤ 〃 ديدرنغ (س·)

الولايات المتحدة الاميركية

٥٥ الدكتور ضودج (بارد)
٥٦ الاستاذ فيليب حتي

اسبانية

٥٧ الاستاذ غومز (اميليو غارسيا)

النمسة

٥٨ الدكتور اشتولز (كارل)
٥٩ الاستاذ موجيك (هانز)

ايطاليا

٦٠ 〃 جبرايلي (فرنشيسكو)

هولاندة

٦١ الدكتور شخت (يوسف)

الدانيمرك

٦٢ الاستاذ بدرسن (جون)

فنلاندة

٦٣ 〃 كرسيكو (يوحنا اهتنن)

البرازيل

٦٤ 〃 رشيد سليم الخوري

أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق الراحلون

الجمهورية العربية السورية

١ الشيخ طاهر الجزائري
٢ « سليم البخاري
٣ « مسعود الكواكبي
٤ الاستاذ الياس قدسي
٥ « أنيس سلوم
٦ « جميل العظم
٧ « سليم عنحوري
٨ « عبد الله رعد
٩ « رشيد بقدونس
١٠ « اديب التقي
١١ الشيخ عبد القادر المبارك
١٢ الاستاذ معروف الأرناءوط
١٣ السيد محسن الأمين
١٤ الاستاذ الرئيس محمد كرد علي
١٥ « محمد البزم
١٦ « سليم الجندي
١٧ الشيخ عبد القادر المغربي
١٨ الاستاذ الرئيس خليل مردم بك
١٩ الدكتور مرشد خاطر
٢٠ الاستاذ فارس الخوري
٢١ الأب جرجس شلحت
٢٢ « جرجس منش
٢٣ الاستاذ قسطاكي الحمصي
٢٤ الشيخ كامل الغزي
٢٥ الاستاذ ميخائيل الصقال
٢٦ الشيخ بدر الدين النعساني
٢٧ « راغب الطباخ
٢٨ « عبد الحميد الجابري
٢٩ « عبد الحميد الكيالي
٣٠ « محمد زين العابدين
٣١ الدكتور صالح قنباز
٣٢ الشيخ سليمان الأحمد
٣٣ الاستاذ ادوار مرقص
٣٤ الشيخ سعيد العرفي
٣٥ البطريرك ماراغناطوس افرام
٣٦ الشيخ امين سويد
٣٧ الدكتور جميل الخاني
٣٨ الاستاذ متري قندلفت

الجمهورية العربية المتحدة

٣٩ الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
٤٠ « رفيق العظم
٤١ « احمد كمال
٤٢ « احمد تيمور
٤٣ « احمد زكي باشا
٤٤ الدكتور يعقوب صروف

٤٥ السيد محمد رشيد رضا
٤٦ الاستاذ حافظ ابراهيم
٤٧ 〃 احمد شوقي
٤٨ الشيخ احمد الاسكندري
٤٩ الاستاذ اسعد خليل داغر
٥٠ 〃 داود بركات
٥١ الدكتور امين المعلوف
٥٢ الاستاذ مصطفى صادق الرافعي
٥٣ الشيخ عبد العزيز البشري
٥٤ الدكتور احمد عيسى
٥٥ الأمير عمر طوسون
٥٦ الشيخ مصطفى عبد الرازق
٥٧ الاستاذ انطون الجميل
٥٨ 〃 خليل مطران
٥٩ 〃 ابراهيم عبد القادر المازني
٦٠ 〃 محمد لطفي جمعة
٦١ الدكتور احمد امين
٦٢ الاستاذ عبد الحميد العبادي
٦٣ الشيخ محمد الخضر حسين
٦٤ الدكتور عبد الوهاب عزام
٦٥ 〃 منصور فهمي

لبنان

٦٦ الاستاذ حسن بيهم
٦٧ الأب لويس شيخو
٦٨ الشيخ عبد الله البستاني
٦٩ الاستاذ جبر ضومط
٧٠ 〃 عبد الباسط فتح الله
٧١ الشيخ عبد الرحمن سلام
٧٢ 〃 مصطفى الغلاييني
٧٣ الاستاذ عمر الفاخوري
٧٤ 〃 بولص الخولي
٧٥ الاستاذ امين الريحاني
٧٦ الامير شكيب ارسلان
٧٧ الشيخ ابراهيم المنذر
٧٨ الاستاذ جرجي يني
٧٩ الشيخ احمد رضا
٨٠ الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف
٨١ 〃 فيليب طرازي
٨٢ الشيخ فؤاد الخطيب
٨٣ الدكتور نقولا فياض
٨٤ الشيخ سليمان ظاهر
٨٥ الأستاذ مارون عبود

فلسطين

٨٦ الشيخ سعيد الكرمي
٨٧ الاستاذ نخلة زريق
٨٨ الشيخ خليل الخالدي
٨٩ الاستاذ عبد الله مخلص
٩٠ 〃 محمد اسعاف النشاشيبي

٩١ الاستاذ عادل زعيتر

الجمهورية العراقية

٩٢ 〃 محمود شكري الآلوسي

٩٣ 〃 جميل صدقي الزهاوي

٩٤ 〃 معروف الرصافي

٩٥ 〃 طه الراوي

٩٦ الاب انستاس ماري الكرملي

٩٧ الدكتور داود الچلبي

٩٨ الاستاذ طه الهاشمي

الجمهورية الجزائرية

٩٩ الشيخ محمد بن ابي شنب

المملكة المغربية

١٠٠ الاستاذ محمد الحجوي

تركية

١٠١ 〃 زكي مغامز

ايران

١٠٢ الشيخ ابو عبد الله الزنجاني

١٠٣ الاستاذ عباس إقبال

الهند

١٠٤ الحكيم محمد أجمل خان

فرنسة

١٠٥ الاستاذ فران (جبرئيل) فرنسة

١٠٦ 〃 هوار (كليمان)

١٠٧ 〃 بوفا (لوسيان)

١٠٨ الاستاذ مالنجو

١٠٩ 〃 كي (ارتور)

١١٠ 〃 باسه (رينه)

١١١ 〃 ميشو بلّير

١١٢ 〃 مارسيه (وليم)

١١٣ 〃 دوسو (رينه)

١١٤ 〃 ماسينيون (لويس)

بريطانية

١١٥ 〃 مرجليوث (د· س·)

١١٦ 〃 بفن

١١٧ 〃 براون (ادوارد)

١١٨ 〃 كرينكو (فريتز)

المانية

١١٩ 〃 هومل

١٢٠ 〃 ساخاو (ادوارد)

١٢١ 〃 هوروفيتز (يوسف)

١٢٢ 〃 هارتمان (مارتين)

١٢٣ 〃 ميتفوخ (اوجين)

١٢٤ 〃 بروكلن (كارل)

المجر

١٢٥ 〃 غولد صيهر (اغناطيوس)

١٢٦ 〃 ماهلر (ادوارد)

الولايات المتحدة الاميركية

١٢٧ الاستاذ ماكدونالد (د. ب.)
١٢٨ 〃 هرزفلد(ارنست)
١٢٩ 〃 سارطون (جورج)

الاتحاد السوفياتي

١٣٠ 〃كراتشكوفسكي (أ)
١٣١ 〃 برتلز (ايفيكين)

اسبانية

١٣٢ 〃 آسين بلاسيوس (ميكل)

البرتغال

١٣٣ 〃 لوبس (دافيد)

ايطالية

١٣٤ 〃 جويدي (اغنازيو)
١٣٥ 〃 نالينو (كارلو)
١٣٦ 〃 غريفيني (اوجينيو)

سويسرة

١٣٧ 〃 مونته (ادوارد)
١٣٨ الاستاذ هس (ج. ج.)

بولونية

١٣٩ 〃 كوفالسكي (ت.)

تشكوسلوفاكية

١٤٠ 〃 موزل (الوا)

هولاندة

١٤١ 〃 هورغرنيه (سنوك)
١٤٢ 〃 اراندوك (ك.)
١٤٣ 〃 هوتسما (م. ت.)

الدانيمارك

١٤٤ 〃 بوهل (ف. م. ب.)
١٤٥ 〃 استروب (ج.)

السويد

١٤٦ 〃 سترستين (ك. ف.)

البرازيل

١٤٧ 〃 سعيد ابوجمرة

لويس ماسنيون

١٨٨٣ ــ ١٩٦٢

(ذكريات وأقوال فيه) [١]

مات ماسنيون .

ولقد نشأت في بيتي ، منذ نعومة أظفاري ، وأنا أسمع أن في الدنيا رجلاً فرنسياً ، محباً للإسلام والعرب ، وقد اختص بالتصوف الإسلامي ، اسمه (ماسنيون) . ثم عرفت من أوراق والدي أن مكاتبة بينهما قد ابتدأت في عام ١٩١٢ ، كانت تدور حول بعض المسائل العلمية . ونكب هذا الجزء من البلاد العربية عام ١٩٢٠ بالانتداب الفرنسي ، فكرهنا أو كدنا نكره كل ما له صلة بفرنسا ، فلم أسأل عنه ، ولم يخطر في بالي أن أتصل به بأي شكل من الأشكال . ومضت السنون ، وجلت فرنسا عن البلاد ، وأصبح الحكم للعقل وحده ، إلى أن كنت في باريس عام ١٩٥٨ ، فزرت هذا الرجل مع صديقي (جاك برك Jacques Bergue) استاذ التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في الكوليج دوفرانس . ولقد دونت وقائع هذه الزيارة في حينها ، وسجلت ما أعقبها من اجتماعات ومباحثات فقلت :

كان أول من تتلمذ من الفرنجة على علامة العراق ومصلحه العظيم المرحوم محمود شكري الألوسي . لقيته مرات ، وكنت أجني من لقائي به في كل مرة فوائد ، عزت على الشبيه والنظير . كان أولها خلال شهر حزيران ١٩٥٨ . زرته في بيته ، مع الصديق الأستاذ (جاك برك) أستاذ التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في الكوليج دوفرانس ، فاستقبلنا في غرفة امتدت فيها الكتب

(١) كان لويس ماسنيون رحمه الله من أقدم أعضاء مجمعنا المراسلين . وقد كلف أمين المجمع الأستاذ ظافراً القاسمي أحد أصدقائه أن يكتب بحثاً للمجلة عن ذكرياته وعن أقوال الأدباء والعلماء فيه فكتب هذا البحث .

من أرضها إلى سقفها ، ولم يترك فيها فراغاً للزائرين إلا أريكة صغيرة ، عليها (طراحتان) شرقيتان . بدأنا حديثنا بالفرنسية ، فتناول أول ما تناول قضيتي فلسطين والجزائر . وما كدنا نخوض في الحديث ، حتى امتدت يده إلى كتاب (أو كذا خيل إليّ) دفعه بين يديّ ، وهو يقول بالعربية : (مو حرام ؟) قلت : ماذا ؟ قال : انظر ! وإذا الذي حسبته كتابا مجلة تصدر في باريس باللغة الفرنسية ، اسمها (دراسات متوسطية Etudes Mèditerraniennes) أي دراسات عن الدول المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط . ولم ألحظ بادئ الأمر ما يدعو للحلال والحرام في صدور مجلة هذا موضوعها . قلت : لم أفهم ماذا تعني يا سيدي الأستاذ . قال هذه مجلة يصدرها اليهود في باريس ، ظاهرها دراسات كما ترى عن اسبانية وفرنسة وإيطالية واليونان وسورية ولبنان ومصر وشمال أفريقية وتركية وغيرها من الدول الواقعة على هذه البحيرة اللاتينية ، ولكن الغرض الأصلي منها ، هو هذه الصفحات الثلاث عن إسرائيل . لقد احتجب اليهود وراء عشرين دولة ، باسم العلم ، لينفثوا سمومهم ، تحت ستاره . أليس حراماً أن لا توجد مجلة مقابلة للعالم العربي ؟ أليس حراماً أن يتمكنوا من استخدام كثير من العقول والأقلام لهذا الغرض ، متذرعين بالعلم ؟ لقد طلبوا إليّ أن أكتب في هذه المجلة فرددتهم رداً غير جميل . قال الأستاذ برك : لقد طلبوا إليّ كذلك ، ولكني امتنعت . وقد بقينا ساعة كاملة نتحدث ، ثم انفضت جلستنا لأن شيخ المستشرقين كان على موعد مع الكاتب الفرنسي الأشهر (فرنسوا مورياك) ، لبحث موضوع يتعلق بالجزائر .

قلت لنفسي وأنا أغادر داره والأسى يملؤها : ترى مَن مِن العرب علم بأمر هذه المجلة وسمومها ؟ وماذا أعددنا لمحاربتها ؟

وصل ماسنيون بدمشق في شباط عام ١٩٦٠ ، وتفضل فزارني في بيتي زيارة استغرقت أربع ساعات كاملات . قال فيما قال : كنت في القاهرة ، أحضر اجتماعات مجمع اللغة العربية ، وقد استدعاني محمد الخامس (رحمه الله) لزيارته

في قصر القبة ، بعد أن علم بوجودي فيها من الصحف . إن محمد الخامس صديقي . كنت الفرنسي الوحيد الذي زاره في معتقله بجزيرة مدغشقر . ذلك أنني رأيت بطريق الكشف (كذا : فماسنيون صوفي معتقد متعبد) أنه سيفرج عنه بعد ستة أشهر . لقد لقيت صعوبات كثيرة حتى وصلت إليه ، ولكني وفقت ، وطمأنته عما رأيت . وأحمد الله أن ما رأيت قد تحقق فعلاً بعد ستة أشهر كاملات .

لقد آذاني الجند الفرنسيون في مدغشقر ، ولكني صبرت على أذاهم ، فالصوفي يجد في العذاب عذوبة . وإني لأسعد الناس إذ أرى أن المغرب العربي قد استقل ، وأن محمداً الخامس قد أعيد إلى عرشه السليب . أما الجزائر ، فقد تجهل أنني أصوم من أجلها يوماً في كل أسبوع ، تقرباً إلى الله في أن يعيد إليها السلام ، وفي أن يتمتع أهلها بحقهم في الحياة الحرة الكريمة . قلت : منذ متى تصوم يوماً في الأسبوع ؟ قال : منذ أن وقعت الحرب حتى اليوم .

هذا الذي لم تمنعه السابعة والسبعون من أن يكون في الصف الأول من المظاهرات التي أقيمت في مدينة باريس ، انتصاراً للجزائر .

ولقد وردتني منه رسالة مؤرخة في ٢٨ من تشرين الثاني ١٩٥٩ جاء فيها بعد ذكر قدومه إلى دمشق عام ١٩٢٠ ، وعودته إلى فرنسة في السنة نفسها ، ماترجمته :

« وحيث أنني كنت من أنصار عقد معاهدة مع سورية ، فان حكومتي لم تعدني إليها إلا في عام ١٩٢٧ ، بسبب إعادة تنظيم المعهد الفرنسي ، والمفاوضات مع فوزي الغزي ورياض الصلح وابراهيم هنانو ، التي جرت في بيت عبد الله اليافي ، من أجل تسوية العلاقات الفرنسية والسورية . ما كنت أملك خلال هذه الفترة إلا القليل من الوقت للاهتمام بمخطوطات دور الكتب (الظاهرية وغيرها) . إن النص العربي الوحيد الذي أعطيته لمجلة المجمع العلمي العربي هو محاضرتي عن (ملتقى الأدبين) التي ألقيتها في كلية الحقوق بدمشق يوم ٢٩ من تشرين الثاني ١٩٢٠ » .

حاشية — لقد بقيت في دمشق بين ٢٥ — ٣٠ من تشرين الثاني أدرس أسباب مأساة ميسلون . ولكني خلال مروري بدمشق ، لم يكن قلبي يقوى على التحدث في الأدب إلا للجمهور ، بغية إعادة بعض الأمل إلى القلوب المحطمة . أما بين الخاصة ، فلم يكن باستطاعتي أن أعبر عن أعماق نفسي : ذلك لأن مأساة ميسلون مزقت قلبي ، كما قلت ذلك لهاشم الأتاسي ، الذي ذهبت لزيارته في حمص يوم ٣ من كانون الأول ١٩٢٠ ، حيث انسحب إليها موفور الكرامة . والله يحفظكم .

من العبد الخاضع لربه سبحانه

لويس ماسنيون

وذهبت إلى الجزائر في التاسع والعشرين من تشرين الأول ١٩٦٢ ، وأنا أمني النفس بلقاء هذا الصديق ، في باريس ، بعد انتهاء الاحتفال بالعيد القومي ، الذي صفقت له قلوب جميع المسلمين والعرب ، في جميع الأقطار . وما كنت أدري أن اللقاء لم يعد ممكناً في هذه الدنيا الفانية ، حتى وصلت مدريد في السابع من تشرين الثاني ، ووقع في يدي عدد من جريدة (لوموند Le monde) وإذا بي أقرأ في الصفحة الأولى منها كلمة عن ماسنيون للعلامة (بلاشير) ، وكلمة أخرى لكاتب معروف اسمه (لاكوتور) ، فبلغ مني الأسف مبلغه ، وأيقنت أنه لم تبق بيني وبين هذا الرجل إلا ذكريات قلبي بها ضنين .

وخلال عودتي إلى باريس ، علمت أن ماسنيون قد توفي إلى رحمة الله في الحادي والثلاثين من تشرين الأول ، ونقل غداة وفاته إلى الشمال الغربي من فرنسة ، ودفن في مدينة اسمها (فيومارشه Vieux - Marche) كان يعتقد أن أهل الكهف وجدوا فيها ، وكان يقيم في كل سنة مهرجاناً يتلو فيه أحد القراء المسلمين سورة الكهف ، كما تقام الصلوات المسيحية . ولم يدر أحد بوفاته إلا في الخامس من تشرين الثاني ، فربما كانت تلك وصيته ، احترم أهله إرادته في تنفيذها .

وخلال مروري في باريس ، أقيمت صلاة على روحه ، دعيت لحضورها ، فلبيت ووجدت قرابة أربعمئة عالم ، من مختلف الأديان ، في حال من الخشوع ، ندر أن رأيت مثلها . كانت هذه الصلاة مثلاً رائعاً لتقديس الإيمان ، ولتكريم العلم ، والوفاء للعلماء .

وفي نفس اليوم أصدرت مجلة (الآداب الفرنسية Les lèttres Francaises) عدداً خاصاً عنه ، كتب فيه علماء من الشرق والغرب ، بينهم أعضاء من المجمع العلمي السوفييتي ، وأساتذة وأدباء كثيرون من فرنسة .

وليست هذه الكلمة دراسة لماسنيون ، فليس ممكناً أن يدرس عالم تعددت آثاره ، كما تنوعت مجالاته ، في مثل هذا الوقت القصير . وإنما هي تحية لروحه ، لن أعدو فيها نقل ما كتب عنه عارفوه من أبناء جلدته وغيرهم ، ففيه إيضاح لنظرته إلى العالمين الإسلامي والعربي ، و كثير من الإنصاف للرجل الراحل .

قال برك Berque أستاذ التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في الكوليج دوفرانس : قصرٌ لم تبق منه إلا الطلول ، في سهوب ما بين النهرين ، ونهر عظيم تحوّم فوقه أسراب الطيور ، وسجن متوج ، وربيع في الصحراء ، تلك هي الأرض التي كانت لماسنيون مكاناً للمطلق . فاذا ما وطئ أرض مصر أيام كرومر ، بعد أن روعتها مذبحة دنشواى ، وجد ماسنيون في ذلك كله مكاناً للنزعة الإنسانية .

ان الانتدابات والحمايات تأفل ، ويبزغ الاستقلال ، وماسنيون لا ينى يتنبأ ويستبق ويبارك هذه التحولات الزمنية ، التي لم يكن يوليها من الشأن إلا بقدر ما تحمل من ثبات وسمو .

لقد أورثنا شهادة أراد أن تكون إسلامية مسيحية معاً ، شهادة الإيمان في وجه الكفران .

وقال بلاشير Blachere : كانت الانسانية والعلم عند ماسنيون متكاملين باشراقها وغناهما ، فلم يطغ أحدهما على الآخر .

لقد كان سباقاً في إدراك أن العالم العربي لا يمكن أن يتطور إلا إذا

تحرر . لقد جرّح بعنف عمل الحكومة ، والدور الذي لعبه (الجلاوى) ، وناضل ضد توسع حرب الجزائر ، وفي سبيل توقفها . لقد ساند حركات العالم الإسلامي في سبيل الحرية ، بمثالية يقينية ، بغية ضمان مشاركته في النزعات الإنسانية الحديثة . وفي هذا الموضوع ، قاد حملة شعواء على المسؤولين الفرنسيين الذين كانوا يريدون أن يحفظوا للغة الفرنسية تسلطها في الجزائر . قاد هذا النضال ضد الاستعمار دون هوادة ، على الرغم مما لحقه من تهديد واضطهاد .

وقال مورياك Mauriac عضو المجمع العلمي الفرنسي : لقد عرفنا أكثر من مثال عن عالم ، أو أستاذ متميز أخلص لقضية انسانية ، خصص لها أطيب أيام حياته . ولكن ندر أن رأينا عالماً كماسنيون أخصب الحبُّ العميق علمَه الغزير ، كما اغتنى هذا الحب من العلم ، الذي وجد فيه أعمق أسبابه . فمَن من أتباع ماسنيون ورث عنه سر هذا التعبير ، الذي كان يرد الروح إلى الحرف الميت ؟

وقال غاستون ويت Wiet الأستاذ الفخري في الكوليج دوفرانس : لقد عرض ماسنيون في كتبه ومحاضراته المتعددة قضية الجزائر ، دون تعب أو ملال ، أمام الجمهور . كان بين الأوائل الذين بشروا بالاعتراف بالهوية الجزائرية ، وبحقها في الاستقلال ، وفي ضرورة مواجهة إقامة وضع لا غموض فيه . إن نواب مدغشقر الذين حكم عليهم بالاعدام مدينون لماسنيون بحياتهم لأنه وحده هو الذي تابع قضيتهم حتى وفق للعفو عنهم .

وقال بول فلامان Flamand ، كان هذا العالم المفتون بالعدالة يعلن احتجاجه في الاجتماعات في الطرقات . قلت له مرة : أنت أكثر المسلمين نصرانية ، ان لم تكن أكثر النصارى إسلاماً . وقد بدا لي أن هذا التعبير لم يسؤه . أن حرب الجزائر مزقت قلبه كلياً ، لأنه كان يرى فيها غرق جميع آماله . وعبثاً ردد التحذير بعد التحذير للسلطات العامة التي كانت تستشيره ، وقلما كانت تصغي إليه . كان يذهب عدة مرات في الأسبوع إلى ضواحي باريس ليعلم الجزائريين القراءة . لقد نظم مع (جماعة أصدقاء غاندي) عدة

مظاهرات سلمية صامتة ، قوامها الصوم والصلاة . وكانت في بعض الأحيان مظاهرات عامة ، كما وقع قبل سنين ، حيث التقطه الشرطة وحشروه في سيارة الأمن ....

وقال باتايون Bataillon مدير الكوليج دوفرانس : كان مستمعو محاضراته من المسلمين إذ ينصتون إلى الشواهد العديدة الموثوقة التي كان يستند إليها في دراسة الحياة المعاصرة للشعوب الإسلامية ، يلمسون الحب الذي كان يتدفق وهو يبحث في عقيدتهم وتقاليدهم ، التي كان يعرفها هذا المسيحي أعمق من معرفتهم لها ، كما كانوا يلمسون هذا الكمال في النطق بلغة القرآن والدفاع عنها . ويوم رأى أن حرباً صليبية ضد الإسلام شقت طريقها الملتوي لتنال من تقاليد الاسلام ولغته ، وقف في وجهها وقال : إن عين رجل العلم ينبغي أن تكون بسيطة نقية .

وقال جارده Gardet : لقد علمنا ماسنيون أنه لا يمكن أن توجد دراسة موضوعية علمية حقيقية لثقافة أجنبية ، ما لم يرافقها حرص شريف حار على انصاف القيم الأصلية لهذه الثقافة ، وما لم يوجد جو من المودة الفكرية لتكون العدالة في مكانها .

وقال كلود كاهين Cahen : أستاذ التاريخ الإسلامي في السوربون : إن رجل الدين عند ماسنيون هو الرجل الكلي ، الذي يعمل ، ويناضل ، والذي يعايش مشتركاً مع الناس . إنه الرجل الذي يرى في كرامته روحاً ، والذي خلق كذلك من لحم وعظم . ولهذا ، ولهذه الشعلة الصوفية التي تحييه ، لم يكن ما يدرسه ماسنيون روحاً محضاً ، ولكنه كان كذلك المظاهر المادية والاجتماعية للحياة الانسانية ... ولئن كان هذا الرجل يبحث في الماضي ، فإنه نفسه هو الذي يبحث أيضاً في حياة هذا القرن ، حيث حارب الكذب والاضطهاد .. لقد كان فكره وبحثه في غدو ورواح دائبين بين الماضي والحاضر ..

هذه مقتطفات مما قيل عن الراحل الكبير الذي ترك أثراً عميقاً في الثقافتين الإسلامية والفرنسية . أما دراسة هذا الأثر فليس اليوم زمانه ، ولا بد أن يولى ما يستحق من العناية والاهتمام والاعجاب .

ظافر القاسمي

مراجعة

قرأت في الجزء الثالث من المجلد السابع والثلاثين من مجلة مجمعنا الزاقية نقداً علمياً لكتاب القومية الفصحى الدكتور عمر فروخ بقلم الأستاذ محمود الملاّح استوقف نظري فيه كلامه على بيت امرئ القيس الشهير :

كأن أبانا في أفانين ودقه كبير أناس في بجاد مزمل

أو في عرانين وبله كما رواه الأستاذ . والأمر يتعلق بجر مزمل الذي جعله الأستاذ من قبيل الضرورة لملاءمة القافية وشبهه بما وقع للنابغة في داليته المعروفة من قوله :

زعم الغداف بأن رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغراب الأسود

أو زعم البوارح كما رواها الأستاذ . والأمر على ما يظهر فيه تفصيل . فالمسألة الأولى ذكرها النحاة ، ومنهم سيبويه وخرجوا الجر فيها على وجه له حظ من النظر وهو المجاورة لبجاد ، ومثله ما روي من قول العرب « هذا جُحرُ ضبٍّ خربٍ » ومنه قول الأخطل :

جزى الله عني الأعورين ملامة وفروة ثغر الثورة المتضاجمِ

بجر المتضاجم على جوار الثورة . واشتهرت مسألة جر مزمل حتى ضرب الأدباء بها المثل فقال بعضهم :

عليك بأرباب الصدور فمن غدا مُضافاً لأرباب الصدور تصدّرا

واياك أن ترضى بصحبة ناقص فتنحطّ قدراً من علاك وتُحقَرا

فرفع (أبو مَن) ثم خفض (مزمل) يُبيّن قولي مُغرِيا ومُحذّرا

أشار إلى رفع الأب في (عرفت أبو من زيد) وخفض (مزملِ) في مسألتنا .

وأما المسألة الثانية فهي من باب الإقواء أي اختلاف المجرى بكسر وضم ، وهو عيب من عيوب القافية كما قال الأستاذ ، وكان النابغة يقع فيه كثيراً وقد وقع له في هذه القصيدة مرتين ، في البيت المذكور ، وخرّجه بعضهم على أنه منسوب فقرأه (الأسوديّ) بالياء ، وفي بيت آخر منها حين يقول في وصف المتجردة :

سقط النصيفُ ولم ترد إسقاطَه فتناولته واتقتنا باليدِ
بمخضب رخص البنان كأنه عَنَمٌ يكاد من اللطافة يعقدُ

ومن الواضح أن هذا لا يصح فيه تخريج ولو على وجه ضعيف وبذلك تختلف هذه المسألة عن المسألة الأولى .

قالوا ودخل النابغة يثرب (المدينة المنورة) فغُنّي بشعره وتعمّد أن يكون الذي أقوى فيه ففطن لذلك ولم يعد .

والخلاصة أن مسألة جر مزمل هي من واد غير الإقواء لكونها لها وجه ذكره عدد من النحاة على رأسهم صاحب الكتاب ولها شواهد بخلاف مسألة الإقواء فهي عيب من عيوب القافية لا مسامحة فيه .

وذكر الأستاذ الملاح في مقاله : هذا النحوي ابن آجروم وقال « إنه بربري من أقاصي بلاد المغرب بل لا نكاد ندري أين تقع آجروم ؟ » . وقد توهم حضرته أن آجروم بلدة ، وفي الحقيقة هو اسم بربري لجد مؤلف الآجرومية محمد بن داود بن آجروم الصنهاجي ومعناه بالعربية الفقير الصوفي ، وقد ذكر ذلك جلّ شراح الآجرومية ولنا في ترجمته الحلقة العشرون من سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، وفيها بينا مذهب الرجل النحوي وما كان لمقدمته من انتشار في العالم العربي وما كتب عليها من شروح وحواشٍ وغير ذلك .

وتحيتي لكل من الدكتور فروخ والأستاذ الملاح .

عبد الله كنون

المعجم الوسيط

يحق لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، أن يعتز بما وفق فيه من إصابة الأهداف التي قام من أجل تحقيقها ، لقد عمل المجمع كثيراً في سبيل المحافظة على سلامة اللغة العربية ، وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر ، فإلى جانب المصطلحات العلمية والفنية والحضارية ، التي وضعها أو أقرها ، اتخذ الكثير من القواعد القياسية التي تحيي اللغة وتنميها ، وتساعد على نقل الكثير من المعاني الجديدة إليها فتجاري بذلك التقدم العلمي والفني والحضاري الذي بلغته الأمم المتمدينة في العصر الحديث .

وقانون المجمع الذي صدر سنة ١٩٣٢ ، جعل من أهم أغراضه القيام بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، ولم يستطع المجمع حتى اليوم أن ينجز هذا المعجم ، ولكنه شعر بالضرورة الملحة لوضع معجم حديث ، سهل التناول ، على نمط المعجمات الأجنبية الحديثة ، مشتملاً على مصطلحات العلوم والفنون ، فأقر سنة ١٩٤٠ العمل الجدي على وضع معجم وسيط ، ينتفع به طلاب العلم ، وييسر عليهم تحصيل اللغة ، وها هي سنة ١٩٦٢ ما كادت تنتصف حتى أخرج المجمع للعالم العربي المعجم الذي كان طلاب العربية ومحبوها ينتظرونه بصبر فارغ ، ونفوس متلهفة مشوقة ، وها هو ذا المعجم الوسيط مطبوعاً طبعاً متقناً على ورق صقيل في ١٠٨١ صفحة من الحجم الكبير قسمت على مجلدين ، يشتملان على نحو من ٣٠ ألف مادة ، وما يقرب من ستمائة صورة .

قامت بإخراج المعجم لجنة ألفها المجمع من أربعة من كبار أعضائه هم الأساتذة : إبراهيم مصطفى ، وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر ،

ومحمد علي النجار ، وقد أشرف على طبعه الأستاذ عبد السلام هارون ، وقدمه للقراء الأمين العام لمجمع اللغة العربية الدكتور ابراهيم مدكور ، ذاكراً في تقديمه قضية المعجم مبيناً كيف كانت الإجراءات الإدارية والمالية تعوقه وتمطل إخراجه ، ثم أثنى الدكتور مدكور على اللجنة المكلفة بوضع المعجم قائلاً : « أما فن المعاجم الحديث فقد طبقته اللجنة أحسن تطبيق ، فأحكمت الترتيب والتبويب ، وذلّلت الصعاب الصرفية والنحوية ، ويسّرت الشرح ، وضبطت التعريف ، وصوّرت ما يحتاج توضيحه إلى تصوير ، واكتفت من الشواهد بما تدعو إليه الضرورة في غير ما غموض ولا تعقيد . وبوجه عام كتبتْ بلغة العصر وروحه ، فجاء المعجم دقيقاً في وضوح ، غزيراً في يسر ، يمتّ إلى الماضي بصلة وثيقة ، ويعبر عن الحاضر أصدق تعبير . وبرهنت على أن باب الاجتهاد مفتوح في اللغة ، كما هو مفتوح في الفقه والتشريع ، وأن العربية في آن واحد لغة قديمة وحديثة ، وقد استعادت في القرن العشرين حياة وحركة لم يؤلفا فيها منذ عدة قرون » .

وقدمت اللجنة عملها بمقدمة مُركّزة ، أجابت فيها عن تساؤل افترضت أن القارئ سيلقيه ، حين يتناول المعجم قائلاً : « هل كان قراء العربية في حاجة إليه وبين أيديهم من المعاجم القديم المطوّل ، والمتوسط والموجز ، والحديث المرتب والمصوّر ؟! »

وأجابت اللجنة عن تساؤلها قائلةً : « إن وضع هذا المعجم كان عملاً لا بد منه ؛ لأن المعاجم الأخرى سواء منها القديم والحديث ، قد وقفَتْ باللغة عند حدود معينة من المكان والزمان لا تتعداها ، فالحدود المكانيةُ شبه جزيرة العرب ، والحدود الزمانية آخر المئة الثانية من الهجرة لعرب الأمصار ، وآخر المئة الرابعة لأعراب البوادي » .

ثم أخذت اللجنة في مقدمتها توضح منهجها في العمل وفي ترتيبها مواد المعجم، وكيف أنها استرشدت بما أقره مجلس مجمع اللغة العربية ومؤتمره من ألفاظ حضارية مستحدثة، أو مصطلحات جديدة، موضوعة أو منقولة، في مختلف العلوم والفنون، ومن تعريفات دقيقة واضحة للأشياء، وأخيراً كيف أنها سارت في عملها مستقلةً بتبعته، وانتهت إلى شكر من أسهم معها في إعداد المعجم، ثم توجهت: «بالرجاء إلى رجال اللغة والأدب، أن يبعثوا إليها بما يستدركون عليها من نقص يلازم الإنسان، أو خطأ يفوت جهد الحريص، ليُثْبِت ما يصح منه في الطبعة الثانية».

وقد كتبت هذه الملاحظات تلبية لرغبة اللجنة غيرَ مدعٍ بأني أحطت بجميع ما حواه المعجم من مواد، ولكني تصفحته ورجعت إليه في مسائل كثيرة، فإذا بي أقع على أمور تسترعي الانتباه فسجلت ما استوقف نظري منها لعل في تداركها فائدة في طبعة المعجم الوسيط التالية.

ولا بد لي قبل البدء بإيراد ما سجلته من ملاحظات، من تسجيل الشكر لأعضاء لجنة المعجم وجميع من شاركوا في وضعه وإخراجه، للجهد العظيم الذي بذلوه في عملهم، وإن كان جهدهم قد وُزّع على مواد المعجم توزيعاً متفاوتاً من حيث مبلغ العناية باختلاف المواد، ومن هنا كان المجال الذي في حدوده وجدت ما أسجله، ولقد اجتمع في المعجم الوسيط، وهو أحدث معجم في العربية، «ما لم يجتمع في غيره من خصائص ومزايا»: فمن قبول المعاني الحديثة لبعض الأفعال مثل: (بَرْزَ) و (تطوّرَ) و (ركّزَ)، أو لبعض الكلمات مثل: (الشخص) و (العائلة) و (الفنان) و (الميزانية)، ومن إجازة النسبة إلى الجمع في كلمات مثل: (أخلاقي) و (دُوَلي) و (أحيائي) و (وظائفي)، أو التركيب المزجي أو النحت في مثل (برمائي)

و (لا أخلاقي) و (تَحْتُرِبة) أي تحت التربة ، ومن إيراد كلمات محدثة مع تعريفاتها مثل (القومية) و (الاشتراكية) و (الشيوعية) و (الابتداعية) و (الاتباعية) ، إلى إثبات كلمات معربة حديثة أو قديمة مثل (تكتيك) و (بنكنوت) و (بدروم) و (بيرق) و (نوط) ، إلى ذكر كلمات كانت العربية في غنى عنها ، في نظرنا ، مثل : (القلاووظ) و (السمكري) و (الكبود) و (التفيل) وغيرها .

* * *

ولا شك أن اللجنة الموقرة استعانت لإخراج المعجم الوسيط بالمعجمات المعروفة ، فنقلت عن بعضها ، وكان بعض ما نقلته محتاجاً إلى إعادة النظر فيه ، على أن اللجنة أصبحت تتحمل تبعته لأنها لم تُثبت مع ما نقلته المصدر المنقول عنه ، إلا فيما أخذته من مجمع اللغة العربية ، ومما نُشر في مجلته وفي مجموعات مصطلحاته ، وإلا ما ذكرته من إشارة عابرة في المقدمة تقول فيها : (واستعانت اللجنة في شرحها للألفاظ بالنصوص والمعاجم التي يُعتمد عليها) .

وفي الملاحظات التي سأوردها ، لم أتبع ترتيب المعجم ، بل جعلتها طوائف بحسب موضوعاتها ، على أني سأتبعها بجدول للكلمات التي لا تنتسب إلى طائفة خاصة .

وفي طبع هذه الملاحظات في المجلة أذكر كلمة المعجم وتعريفها ، أو كلماته المتقاربة وتعريفاتها ، ثم أذكر تحتها ما بدا لي من ملاحظات عليها .

(يتبع) الدكتور عدنان الخطيب

بيان مشاريع المجمع العلمي العربي

خلال دورة عام ١٩٦٢/١٩٦٣ (١)

أنجز المجمع في الدورة الماضية امام ١٩٦١/١٩٦٢ جميع مشاريعه التي كان تقرر انجازها في تلك الدورة ، عدا ثلاثة كتب تأخر إتمام طبعها لأسباب قاهرة ، وهي الآن في مراحلها الأخيرة .

المشاريع العلمية — طبع الكتب :

١ — الكتب الثلاثة التي أحيلت من الدورة السابقة إلى هـذه الدورة لاتمام طبعها .

آ — تاريخ دمشق لابن عساكر : المجلدة التاسعة بتحقيق الأستاذ محمد احمد دهمان .

ب — خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الكاتب (الجزء الثالث — قسم شعراء الحجاز واليمن) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل .

ج — أخبار الوزيرين لأبي حيان التوحيدي : بتحقيق الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي .

٢ — الكتب التي أنجز المجمع العلمي طبعها في العطلة الصيفية :

آ — معجم المصطلحات الحراجية بالانكليزية والفرنسية والعربية : بقلم الأستاذ الرئيس الأمير مصطفى الشهابي .

ب — فهرس مجلة المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني — القسم الثاني) : وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة .

(١) ألقاه الأستاذ جعفر الحسني أمين المجمع العلمي العربي في جلسة مجلس المجمع العلمي المنعقدة يوم ١٩٦٢/١٠/٢٥ .

ج — شرح خطبة عائشة أم المؤمنين في أبيها للأنباري : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

د — مختصر من الكلام في الفرق بين من اسم أبيه سلاّم وسلاَم لعمر الجواني : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

هـ — كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي : بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي .

٣ — الكتب المقرر طبعها في هذه الدورة :

آ — حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار .

ب — منتهى الطلب من أشعار العرب لابن ميمون : بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي .

ج — وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرُّواد من البقاع لابن دريد الأزدي : بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي .

د — كتاب الأضداد لأبي الطيب اللغوي : بتحقيق الدكتور عزة حسن .

هـ — الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره لسليم الجندي : (الجزء الثاني) بتحقيق الأستاذ عبد الهادي هاشم .

و — ديوان فتيان الشاغوري (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ أنور العطار .

ز — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم الفقه الشافعي) وضعه الأستاذ عبد الغني الدقر .

٤ — الكتب التي تحقق :

آ — كتاب الحيدة للكناني : بتحقيق الأستاذ الدكتور جميل صليبا .

ب — ديوان النقيب : بتحقيق الأستاذ عبد الله الجبوري . ومراجعة الأستاذ أحمد الجندي .

ج — ما تبنيه على وزن فعال للصاغاني : بتحقيق الدكتور عزة حسن .

د — معجم الفن والآثار : وضعه الاستاذ الأمير يحيى الشهابي .

٥ — مجلة المجمع العلمي العربي :

انتهى في النصف الأول من هذه الدورة المجلد (٣٧) من المجلة وسنواصل خلالها إصدار المجلد (٣٨) وقد صدر الجزء الثاني من فهرس المجلة العام من المجلد الحادي عشر إلى المجلد عشرين والهمة مبذولة لتهيئة مواد الجزء الثالث من هذا الفهرس .

٦ — الشواغر :

يوجد الآن في المجمع ثلاثة مقاعد شاغرة للاعضاء العاملين شغر اثنان منها بوفاة المرحومين الدكتور مرشد خاطر والأستاذ فارس الخوري وشغر المقعد الثالث باسقاط العضوية عن الدكتور منير العجلاني . وللمجلس البت في ملء الشواغر الثلاثة أو بعضها .

ومن الشواغر أيضاً منصب نيابة الرئاسة فمن المصلحة ملء هذا المنصب بعد صدور المرسوم التشريعي للمجمع العلمي العربي .

٧ — المشاريع العمرانية :

أقرت موازنة المجمع لعام ١٩٦٢/١٩٦٣ ورصد فيها مبلغ (١٤٠٠٠٠) ل س للاستملاك والانشاء والتدفئة المركزية للمجمع ودار الكتب الظاهرية . وقد باشر المجمع المعاملة اللازمة لاستملاك مقاسم العقارين المجاورين للمكتبة . وهي المرحلة الأولى

من الخطة الرامية إلى عزل دار الكتب عزلاً تاماً عن جميع الأبنية المجاورة لصيانتها ودفع خطر الحريق عنها وسيعمل المجمع بعد أن يتم هذا الاستملاك على توسيع غرف المطالعة وتحسين المستودعات وإيجاد غرف كافية للموظفين ويكون المجمع قد حقق بذلك هدفاً سعى إليه طويلاً .

٨ — دار الكتب الظاهرية :

ستواصل مديرية دار الكتب الظاهرية تصوير أكبر عدد من المخطوطات في أفلام صغيرة ونقلها مكبرة على ورق لكي تستعمل للمطالعة والمراجعة بدلاً من الأصل ، حرصاً على سلامة المخطوطات .

وستواصل دار الكتب بتهيئة فهارس لبقية المخطوطات ويؤمل أن يصدر بهذه الدورة جزء ثالث لبعض العلوم التي ليس لها فهارس .

٩ — الخاتمة :

ونأمل في الختام أن تكون هذه الدورة أخصب أنتاجاً من الدورة الماضية ، وأن يتمكن المجمع فيها من تحقيق جميع مشاريعه ففي تحقيقها برهان على مدى نشاطه ونمو أعماله .

دمشق في ١٩٦٢/١٠/٢٥ .

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ نيسان « ابريل » سنة ١٩٦٣ م ٨ ذي القعدة سنة ١٣٨٢ هـ

الفكر الفلسفي واللغة العربية [١]

لقد كفانا الباحثون الاختصاصيون من علماء النفس وعلماء الاشتقاق مؤونة البحث عن علاقة الفكر باللغة وانتهوا إلى تقرير صلاتٍ عضويةٍ ملتحمة بين التفكير الذي هو طريقة تصورنا للوجود في جملته — بما في ذلك تصور الذات — وبين اللسان على اعتباره أداةً لنقل ذلك التصور وإبلاغه للآخرين . ولهذا جاز ، من حيث المبدأ ، أن يدور بحث عن طبيعة العلاقة بين فكرٍ ما كالفكر الفلسفي ولغةٍ ما كاللغة العربية . ولذلك أثار بعضهم مشكلة من النوع التالي : هل اللغة العربية أداة ميسورة مطواعة للتفكير الفلسفي ؟ وإلى أي حدٍ يمكن اعتبار هذه الأداة كاملة بالقياس إلى اللغات الأخرى ؟ وأبادر فأعترف لكم ،

(١) محاضرة عامة ألقيت على مدرج كلية الآداب الكبير بجامعة الرباط مساء الاثنين العاشر من كانون الأول سنة ١٩٦٢ .

أيها السادة ، أنه قد يبدو لبعضكم أن من باب المفارقة العجيبة إطلاق لفظ « مشكلة » على مثل هذا التساؤل ، وأنتم على حق في هـذا العجب لأنكم تعلمون مبلغ إيمان العرب أجمعين باتساع هذه اللغة الشريفة التي شاء لها شاعر النيل حافظ إبراهيم أن تنشد :

وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً وما ضقت عن آيٍ به وعظات

وناهيكم بها سعة تروعنا ، نحن الناطقين بالضاد ، وتملأ أذهاننا وقلوبنا وأرواحنا إعجاباً وفتنة وسحراً . بيد أن الأمة العربية بالبداهة ليست وحيدةً في هذا الكون ، وهناك إلى جانبها أمم أخرى ذات شأن لا نشعر بأي « مركب نقص » تجاهها رغم أننا نطويها جميعاً تحت لفظ « الأعاجم » . بل إن من هذه الأمم مجموعةً لا يستهان بها تمضي إلى أبعد من ذلك فتنفس علينا ملكة الإفصاح وحسن التعبير . ومنها من يجادل في قابلية بياننا الصريح لأداء الفكر الذي يرقى عن أغراض الحياة الدنيا إلى اسماء التجريد زاعماً أن العلم يدلل على ذلك . وإذا كانت الفلسفة أرقى أشكال التفكير المجرد كما هو معلوم (اذكروا كيف كان أريستوفان يمثل سقراط في محفة معلقةٍ بين السماء والأرض) وإذا صح قول جان سكوت ايريجين أنْ ما من أحدٍ يلج ملكوت السموات إلا من باب الفلسفة ، فمعنى ما تقدّم أننا عاجزون عن الرقي إلى أجواء التفكير الجدي والنظر العقلي ، وأننا — في تلك الميادين الرفيعة — مقضيٌّ علينا أن نظل ، كالطيور زُغب الحواصل ، قاصرين مقصّرين . وحسبكم من تأكيد كهذا يُرسل باسم العلم أن مآله إلى وَصْمةٍ دائمةٍ على وجه الدهر تلحق بأمةٍ تعتبر نفسها خير أمةٍ أخرجت للناس . ولو لم يكن من خطر هذه الوصمة إلا أنها تُشككك المرء بقيمة ذاته ، فضلاً عن تشكيك الآخرين بمثل تلك القيمة لكفى بذلك حافزاً إلى نخلها وتمحيصها ورَجْع البصر فيها كرّتين . وإذن ،

فنحن نحب في هذه المحاضرة أن نعالج هذه المشكلة متدبرين وجوه القول فيها ، عارضين عليكم حجج أصحابها بصورةٍ موضوعية ، ثم معترضين على ما يكون فيها من مواطن الضعف لا مسوقين بفكرةٍ سابقةٍ ولا صادرين عن غرور واهم أو عصبيةٍ عمياء ، وإنما نمارس في هذا عملية النقد بالمعنى المنزّه عن الغرض الذي كان البدوي الأول أسرع إلى استعماله يوم قال في ناقته :

تنفي يداها الحصا في كل هاجرةٍ نفي الدراهم تنقادَ الصياريفِ

إلا أن هذه العموميات ممعنة في التبسيط ، والمشكلة أعقد مما نظن ، فهي محتاجة إلى جهد تحليلي قد يؤول إلى عكس ما يتبادر إلى الذهن ـ باديءَ الرأي ـ من أن اللغة مرآة الفكر ، فَلْنُنِرْ مصباحنا قليلاً قبل الدخول في جوف الموضوع ، ولنضع الصورة في إطارها العام .

ولنبتدىءْ فنقرر أنه لم يعد يجادل أحد اليوم في معضلةٍ طالما شغلت الباحثين ، وهي التساؤل عن اللغة أهي وحي نُزّل كاملاً على قلوب طائفةٍ من بني آدم ولا يدَ لهم في تبديل خَلقه ، أم هي مجرد اصطلاح اتفق عليه البشر اتفاقاً بصورةٍ من الصور . وقديماً خاض الإمام السيوطي صاحب المزهر في هذه المسألة بالتطويل وعرض لآراء من يقولون إنها « توقيف » متخذين دليلاً من قوله تعالى : « وعلّم آدم الأسماء كلها » ، ثم بيّن حجج مَنْ جَزَموا بأنها « وضع » و « تواطؤ » . كما أن مفكري العصور الحديثة لم ينتهِ الجدل حول هذا الشأن . ومن أواخر أصحاب النظرة الأولى التي تجعل اللغات ضروباً من السجايا الغريزية موهوبةً من تلقاء الفطرة البيولوجية جوزيف دوميستر و دوبونالد ، ومن الذين جعلوها غريزةً عقلية رونان و تين . إلا أن اتجاه العلم البسيكولوجي والسوسيولوجي الحاضر قائم على التسليم بأنها وضع اجتماعي لا مجال للشك فيه . وعلى الرغم من أن تقرير هذا الأمر ينفي كون اللغة ظاهرةً « حيوية »

تتفاوت بتفاوت العروق وتستلزم تثبيتاً لهذا ان تطورها راجع إلى قوانين خارجة عن جبلّة البشر الطبيعية وحتى عن إرادتهم الاعتباطية ، فإن مما لا جدال فيه أيضاً أن اللغة لا تقوم إلا في الأذهان وأن ذلك التطور لا معنى له إلا إذا تمّ في أفهام تتفاعل ديناميكياً مع ما حمل إليها ، فمن هنا ، كانت للمعضلة جانب نفسي يجب أن يؤخذ في الاعتبار ؛ ولا بد من إدخال عوامل تصورية ذاتية إلى جانب عوامل التطور الخارجية الموضوعية . وهذه الملاحظة هي ما اعتمده رجل مثل السيد ڤاندرييس عميد كلية آداب باريز السابق ، وهو من أئمة علم الاشتقاق في كتابه الشهير (Le langage) .

ذهاباً من هذه النقطة ، خاض العلماء في طبيعة اللغة وصلتها بالتفكير ، ولاحظوا أن اللغة إنما هي تعبير رمزي عن التأثرات الداخلية للكائن الحي . فالانفعالات المختلفة التي تعتلج في صدور الأحياء لا تلبث في مبدأ أمرها أن تتلبس سحنة ظاهرة تتجلى بالملامح لكي تفصح عن ذاتها للآخرين . وما ائتلاق الحدق ، وانتفاخ الأوداج وتحريق الأرم ولجلجة الصوت إلا آيات عفوية أولية بها يتميز الحيوان من الغيظ . لكنه مذ يتم للكائن الذكي مستوى عقلي مرتفع من شأنه القدرة على التحكم الإرادي بالصوت جاعلاً إياه إشارة على غرض من الأغراض الباطنة ، أي عندما تتوفر للفرد ملكة الربط بين اللفظ والمعنى يصطنع النطق المفيد أو لغة الخطاب سبيلاً للإبانة عن ذات نفسه . ثم إن هناك أحوالاً من التفكير أشار العلم البسيكولوجي إلى استحالة تلبسها بثوب البيان الكلامي وهذا ما أشار إليه المتنبي منذ ألف سنة في بيته الخالد :

رُبَّ ما لا يعبّر اللفظ عنه والذي يُضمر الفؤاد اعتقادُه

ولكنّ الحال السويّة والعامة إنما هي اتخاذ القول وسيلةً للإفادة عن المشاعر ، وإن يكن من الواجب التحفظ على هذا الإطلاق بالصيغة التي أجملت في بيت الحطيئة على نحو عبقري :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

كيف كان الأمر فإن الألسنة تظل الأدوات الوحيدة لإبلاغ المقاصد؛ وإن شئتم فقولوا إنها ضروب من « التكنيك » نستعين بها على الخروج من ذواتنا والنفاذ إلى الآخرين . وهي ، ككل ضروب التكنيك قيمتها متوقفة على درجة صلاحها للوصول إلى الغرض الذي ابتُغيت من أجله . وعلى مقدار حظها من التطور (الذي هو مرتبط بمبلغ مرونتها وقابليتها للتكيّف) يكون نفعها وجدواها ومردودها . فاللسان المتطور إنما هو ذلك الذي قدّم للفكر من بين جميع المخطّطات و « السيماوات » الصوتية الممكنة خيرها للترجمة عن الدقائق الخفية التي تدور في خلده ؛ هو ذلك الذي وفّر لصاحبه بما وضعه في يده من آلات التحليل قدرةً على تمييز مفاصل الفكر تمييزاً واضحاً بيّناً ؛ هو ذلك الذي وُفّق لاختراع قوالب في التعبير تنصبّ فيها المعاني بيُسر وسلامة ، ولكن دون أن يورثها القالب من جرّاء صلادته تحجراً لا سبيل معه إلى نموٍّ حيّ ؛ وبعبارة أبسط هو ذلك الذي تجاوب مع التفكير في حركته المؤارة فلم يعوّق مجرى تلك الحركة بل أعانها على التقدّم المطّرد .

ولعلّ هـذه الخصلة التي أتينا على بيانها هي التي دعت إلى قيام علم اللغات المقارن لتتضح الخصائص المميزة لكل لغةٍ من اللغات فتتجلّى بذلك خصائص فكر أصحابها ، وعندها يحصل التساؤل بصورة طبيعية : أيّ الألسنة أدّى دوره خير أداء ؟ وأيها أحقّ أن يصطنع لكونه أدنى إلى المثل الأعلى وأشدّها تكاملاً إن لم يبلغ مرحلة الكمال ؟

والواقع أن قد أجريت بالفعل أبحاث مستفيضة في فقه الألسنة (في مظهريْها السيمانتيكي والمورفولوجي) واستندت هذه الأبحاث على دراسة المعاجم من جهة ، وعلى دراسة الآجروميات من جهة أخرى . وانتُهي فيها إلى حقائقَ ثمينةٍ بالنسبة

إلى أكثر اللغات . ولست بحاجة إلى أن أشير إلى الجهد المنقطع النظير الذي بذله علماء العربية الأقدمون في هذا الميدان ؛ وإن كتباً كخصائص ابن جني و « مجمل » ابن فارس و « مزهر » السيوطي هي من الكنوز النادرة التي لا تقل في شأنها بالنسبة للغتنا عن شأن كتاب ككتاب برونو الشهير « الفكر واللغة »⁽¹⁾ بالنسبة للسان الفرنسي . إلا أن هذه الدراسات على جلالة قدرها أشبه بأن تكون « مونوغرافيات » أو تحاليل مستقلة للغة بعينها . وليس يقوم علم اللغات المقارن إلا إذا كانت هذه التحاليل استقصائية تستغرق لغات الأرض بحذافيرها فلا تدع منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها واستوفتها دون تفريط في جانب من الجوانب ليمكن بعد ذلك قيام « تركيب » سليم بالمعنى العلمي الصحيح . وعلى الرغم من أن تركيباً علمياً كهذا لما يتوصل إليه ، فإن المحاولات الجدية التي باشرها أصحاب فقه اللغات المقارن أسفرت عن بعض الحقائق الخطيرة . ومن هذه الحقائق حقيقة أحب أن أشير إليها بصورة خاصة نظراً لأهميتها بالنسبة للموضوع الذي نعالجه ، وهي عدم التوازي بين المنطق والآجرومية . أي أن نظام الفكر وقواعد العبارة غير متلازمين ولا متساوقين . ولذلك استوى من حيث القيمة تقديم الفعل على الفاعل في بعض اللغات وتأخيره عنه في بعضها الآخر ، على الرغم من قيام ترتيب منطقي بينها من حيث الأصل . وبتعبير آخر ، إن « مقولات » المنطق (وهي العلاقات الصورية المختلفة التي يعتبرها الفلاسفة سائدة للتفكير : كالكيف والكم والجوهر والعرض الخ . .) لا تطابق « مقولات » النحو وهي أجناسه الكبرى إن صح التعبير (كالاسم والفعل والحرف والتذكير والتأنيث والبناء والصرف والإفراد والتعديد واللزوم والتعدية وهلمجرا) فهناك — من جهة — لغات تتفاوت في عدد الصور النحوية

---

(1) Brunot, La pensée et la langue

زيادةً ونقصاً ، والتثنية التي عندنا بالعربية لا وجود لها بالفرنسية . كما أن في بعض اللغات مدلولاتٍ لا جنس لها (شأنها كشأن الملائكة) أي أن أرباب تلك اللغات يزيدون على ما عندنا شيئاً « حيادياً » لا ندخله نحن في تأنيث ولا تذكير . ومن جهة ثانية ، ليس لبعض أنحاء التفكير صور نحوية إلا في بعض اللغات فقط . ولئن كانت أكثر اللغات متسعةً للمقولات التقليدية (كالعشر الشهيرة عند أرسطو) فما أبعد مقولات ذهنٍ كذهن « كانط » أن تجد لها كفاءً في سواء اللغات المتطورة العريقة في المدنية بَلْهَ الابتدائية .

إن لهذه الملاحظة في نظرنا لأهمية ممتازة بصدد ما نحن آخذون فيه . ذلك أنه لو صحَّ بمعنى الكلمة الحرفي أن اللغة مرآة التفكير لعكست آجرومياتُ لغاتِ المتمدنين صورةَ منطقهم السليم . والحال أن أهل تلك اللغات الراقية يشاركون غيرهم من أهل اللغات الموهومِ بها التقهقر « لا منطقية » نحوهم على الأقل . وإذن فقد بطل الزعم أن الألسنة مرايا الأفكار فيها ينعكس ظلها وشكلها وهيئتها بل شخصيتها الصحيحة حتى لكأن الناظر إلى التمثال والصورة قد شاهد عين الذات في أصالتها الأولية . ويترتب على هذا — وهنا بيت القصيد — القيمة النسبية فقط التي يجب أن نوليها لضربٍ من الأبحاث ناجم عن تلك النظرات المبسطة : ذلك هو أمر بسيكولوجيا الشعوب المستندة فيما تستند إلى اللغويات المقارنة . إن بعض علماء اللغات المغرمين بالكشوف الطريفة قالوا بإمكان قيام سيكولوجيا « فرقية » لشعب من الشعوب بالاعتماد على طرائقِ تعبيرهِ اللغوية والتغييرات اللاحقة بمدلولات ألفاظه . ونقطة الانطلاق في هذا النهج إنما هو الافتراض بأن اللغة من صنع العقل الجماعي فلا بد أن تكون مستودعاً يستقر فيه كل ما نشأ عن هـذا العقل من آثار . ومن أمثلة ذلك انصرافهم إلى تفحص لغات غنيّ وفقراً من حيث التراث اللفظي الذي يدلُّ

على تنظيم بدوي أو حضري والنهوضُ به دليلاً على عقلية غريزية معينة . فإذا اتفق للإنكليزية أن كانت غنيةً بالألفاظ الاقتصادية ، زعم الزاعمون أن أهلها « مفطورون » على التجارة ، أو اتفق لليونانية رصيد موفور من الألفاظ المجردة وللعبرانية حصيلة لا بأس بها من الألفاظ الدينية قال القائلون : لأمر ما كانت الفلسفة في يونان والنبوءات في بني إسرائيل ! لا جرم أن النقاد أجازوا مباشرةَ مثلِ هذا البحث إلى حدٍ ما من حيث أن هناك لوْناتٍ خاصةً نفسيةً واجتماعية تُفصح عنها دراسة خصائصِ لغةِ قوم من الأقوام ؛ ولكنهم أبَوْا أن يُقرّوا (وهذا موقف ڤاندريس [1] بأن تكون معياراً يعايرون به العقلية القومية اعرق من العروق . ولئن طاب لنا مثلاً أن نستشفّ من وراء إطلاق أسماء الحيوانات على الأشخاص عند الألمان أو الفرنسيين ميلاً نفسيًا عند هؤلاء وأولئك فنتخذ منه شاهداً بحسب الأحوال على عقليتهم المتميزة بالتهكم أو المداعبة أو الاحتقار أو الشتيمة ، فإنه مما لا يجوز بحال من الأحوال أن نتخذه سبيلاً نسقيًا إلى بسيكولوجيا عرقية كتلك التي باشرها إرنست رونان (Renan) بحق الساميّين — والعرب جزء منهم — والتي سنتناولها بشيء من التفصيل . ولكن قبل أن نمضي لشأننا نحب أن نفتح معترضةً تاريخية فنشير إلى أن القضية ليست جديدةً علينا ، نحن العرب ، وأن تاريخنا الأدبي قد سجل منذ القديم آثار المقارنة بين العرب وغيرهم من الأقوام من زاوية اللون المميز للتفكير أو الهيئة التي تبدو بها على الألسنة ثمار القرائح . ومن أمتع ما في هذا الباب كلام للشهرستاني من رجال القرن السادس الهجري (الثاني عشر م .) فقد قال في الملل والنحل [2] : « من الناس من قسم أهل العالم بحسب الأقاليم السبعة ، وأعطى

(١) راجع ص ٢٤٥ Vendryès. *Le langage*.
(٢) راجع طبعة ليزغ ص ٣ . وكذلك مصطفى عبد الرازق ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية (الطبعة الثانية) ص ٣٣ .

أهل كل إقليم حظه من اختلاف الطبائع والأنفس التي تدلّ عليها الألوان والألسن . ومنهم من قسمهم بحسب الأقطار الأربعة التي هي الشرق والغرب والجنوب والشمال ، ووفر على كل قطر حقه من اختلاف الطبائع وتباين الشرائع . ومنهم من قسمهم بحسب الأمم فقال : كبار الأمم أربعة : العرب والعجم والروم والهند ثم زاوج بين أمةٍ وأمة فذكر أن العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم إلى تقرير خواص الأشياء والحكم بأحكام الماهيات والحقائق واستعمال الأمور الروحانية . والروم والعجم يتقاربان على مذهب واحد وأكثر ميلهم إلى تقرير طبائع الأشياء والحكم بأحكام الكيفيات واستعمال الأمور الجسمانية » وسواء أُحمِل هذا النص — كما فعل أحمد أمين في فجر الإسلام (ص ٤٩) — على محمل الشبه بالرأي الذي قرره بعض المستشرقين من أن « طبيعة العقل العربي لا تنظر إلى الأشياء نظرةً عامة شاملة » أم لوحظ فيه — بمثل براعة مصطفى عبد الرازق — استعداد العرب وميلهم إلى « الأحكام الكلية والأمور العقلية والمجردات » ونزوعهم إلى « الروحانيات » ، فإن فيه التفاتاً إلى قيام رابطةٍ من شأنها أن تتميز بالدقة والإحكام بين تفكير العرب ومظهر هذا التفكير . وقد سبق لصاعد الأندلسي (المتوفى قبل الشهرستاني بزهاء بضعة عقود من السنوات) أن تحدث بهذا المعنى في طبقات الأمم [١] فقال عن العرب : « وأما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله عزّ شيئاً منه ، ولاهيّأ طباعهم للعناية به . ولا أعلم أحداً من صميم العرب شُهر به إلا أبا يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي وأبا محمد الحسن الهمداني » . هذا ، ولا ننسى أن ننبه في هذا المقام على موقف ابن خلدون حول المقارنة التي نحن

(١) ص ٤٥ (طبعة بيروت) .

بصددها ، ذلك الموقف الذي ربما رُمي بالشعوبية من أجله - ولكن ظلماً وبهتاناً - . فالمعروف أن الرجل خاض في انصراف العرب عن الفلسفة والعلوم العقلية . ولكن التحليل الدقيق الذي تجلت به نظرية مفكرنا العبقري الفذ إنما يستند إلى الشرائط الاجتماعية التي أحاطت بالعرب من جراء « أحوال السذاجة والبداوة » ثم مشاغل الرياسة و « القيام بالملك » و « والأنفة عن انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع »[1] أكثر مما يعتمد على اعتبارات عرقية راجعة إلى الجبلة الأصلية .... ولعل في وسعنا أن نصل بين كل دعوى من هذا القبيل وما كان جرى على قلم الجاحظ في البيان والتبيين (ج ٣ ص ١٣/١٢) فقد قرر أبو عثمان صادراً ولا شك عن أسلم نابر وأطيب نية « أن كل كلام للفرس وكل معنى للعجم فإنما هو عن طول فكرة ، وعن اجتهاد وخلوة ، وعن مشاورة ومعاونة ، وعن طول التفكير ودراسة الكتب ، وحكاية الثاني علم الأول ، وزيادة الثالث في علم الثاني ، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم . وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام » .

بعد هذا الاستطراد التاريخي الذي لجأنا إليه ، نرتد إلى صلب الموضوع لنستعرض رأياً خطيراً لا يزال يتمتع بالأهمية حتى يومنا هذا ؛ بل لعل أهميته اليوم أشد خطراً مما كانت عليه أي يوم .

منذ قرن من الزمان كتب المستشرق الفرنسي الكبير أرنست رينان كتاباً اسمه (مترجماً للعربية) « تاريخ عام ونظم مقارن للغات السامية » . ولقد طارت شهرة هذا الكتاب وأصبحت مادته زاداً يطعمه كل من تناول أمتنا ولسانها برأيه ولسانه . ومحصل ما ادعى إليه من مذهب في أمرنا يقوم على اكتشاف دعوى واحدة كانت له بمثابة المفتاح يفتح به أبواب التعليل جميعاً

(١) ص ٥٤٠ (طبعة بولاق) .

ألا وهي دعوى «الوحدانية» التي هي آية السذاجة والبساطة في العقل السامي. الساميون موحِّدون بالطبيعة ، والتوحيد من شأنه البساطة والسذاجة فعلى ذلك تخريج كل الاستنباطات التي ولدها بنبوغه وطول باعه في الفيلولوجيا . ومن ذلك أن الساميين لا يمكن تعريفهم إلا بالسلب : ليس لهم — والعرب أصفى عناصرهم — لا علم ، ولا فلسفة ، ولا شعور بالشوَيْنات ، ولا خيال خلاّق ، ولا فنون تشكيلية ، ولا آداب ملاحم ، ولا أساطير تُبنى على التصور ، ولا سياسة معقدة ، ولا تنظيم مدني ولا عسكري ، ولا أخلاق موضوعية . شعرهم رتيب وذاتي ، وفكرهم ينقصه التطلع والمتناقضات لا تفعل فيه : ترى العربي أمام الروايات العجيبة والمشاهد المذهلة خلواً من كل تفكير مكتفياً أن يقول لك : إن الله على كل شيء قدير ! كما أنه في حالات الشك بين المذاهب المتناقضة ، يفرّ من حيرته بقوله : والله أعلم . . . ومن غير الوارد أن تحتجّ للعرب بما لديهم من فلسفة ؛ إنما هي تلفيقات منتزعة من الاغريق كتبت بالعربية ، وليس لها أصل ولا « جذر » في شبه جزيرة العرب ، لأن العرب غير قادرين على شيء من التعقيد والتركيب ؛ فبدلاً من اعتبارها نتاجاً طبيعياً لعقل ساميّ ، أَولى بالمرء أن يعتبرها بمثابة ارتكاس على الاسلام واجهته به عبقريةُ الفرس الهندو - أوروبية [1] .

ولقد مضى رونان إلى اللغات يستمدّ منها تأييد هذه الدعوى فلاحظ أن اللغات الآرية هي لغات التجريد والميتافيزياء ، على حين أن اللغات الساميّة لغات الواقعية والحسّ . وهذا نموذج من كلامه : « إن اللغات الآرية تنزع قبل كل شيء إلى المثالية [. . .] وذلك بمرونتها الرائعة ووجوه إعرابها المختلفة ،

(١) راجع الفصل الأول من كتابه (الطبعة ثالثة) :
E. Renan, *Histoire générale et système comparé des langues sémitiques*

وأدوات ربطها الدقيقة ، وكلماتها المركبة ، وعلى الأخص ، اسرها العجيب فيما يعرف عند اللغويين بـ « القلب » (Inversion) تلك الطريقة التي تتيح الاحتفاظ بنظام الأفكار الطبيعي دون إضرار بالعلاقات النحوية . أما إذا تأملنا اللغات السامية ، فسرعان ما يسوغ لنا الظن بأن الإحساس وحده ساد أوائل التفكير البشري ، وأن اللسان ما كان — باديَ الرأي — إلا انعكاساً للعالم الخارجي . ولو استعرضنا سلسلة الجذور السامية ، لصعب علينا أن نجد فيهـا ما يخلو من الابتداء بمعنى مادي يُنتقل منه فيما بعد إلى الأمور العقلية بوسائط تتفاوت في درجتها المباشرة زيادة ونقصا »[1] . ثم يسرد بضعة أمثلة عبرية يؤخذ منها أنه للإبانة عن غرض نفسي لا بد من اللجوء إلى مدلولات تتّسِمُ بسيماء الحوادث الفيزيولوجية . فالغضب يُلحظ فيه التَّنفَّسُ الحار والغليان ، واليأس انحلال القلب ، والهلع انخلاع الكُلى ، والكبرياء ارتفاع الرأس . ويجد مثل هذا في العربية فيأتي بمثالين : « غفر » للمسـامحة — وهو ما اقتضى تصوّر طلاء يمحو الذنوب — و « فرض » لتقرير أمر من الأمور — وهو ما يلحظ فيه « حزّ » و « قطع » قطعاً مادياً . وينتهي بعد ذلك إلى تقرير أن « ما يميز أسرة اللغات السامية هو أنها لا تزال تحتفظ احتفاظاً دائماً بالاتحـاد المبدئي بين الإحساس والفكرة . . وبالاختصار ، لم تتمّ في تلك اللغات عملية التجريد المثـالي (Idéalisation) على نحو كامل ، الأمر الذي تُشتمّ منه كما يرى رائحة « طفولة التفكير البشري »[2] .

وكتاب رونان مشحون بالأحكام العـامة التي هي من هذا القبيل . فهو يؤكد مثلاً أن اللغـات الآرية لغات « تركيبية » على حين أن السامية

(١) ص ٢٢ من المصدر نفسه .
(٢) ص ٢٤ : « L'enfance de l'esprit humain »

« تحليلية » ، وأن العربية على رغم غناها من حيث المادة وأن فيها على ما أحصاه دوهامر خمسة آلاف وسبعمائة وأربعة وأربعين اسماً للجمل ، لا تقاس في جانب اللغات الهندية الأوروبية من حيث الضبط والدقة ؛ وأن أساليب البيان العربي على سعة جوانبها تتصف بالجفوة الرتيبة وبالتنطع [1] ؛ وأن المرء إذ يتأمل كتاب العرب في مادتهم وطريقتهم من الهند وخراسان إلى إسبانيا ومراكش ليُداخله الشعور أنه أمام ثقافة متجانسة « صُنعيةٍ وعليمة » [2] [ولكن بالمعنى الرديء] .

هكذا نجد أن الأمر آل برونان إلى إيصاد باب التفكير الفلسفي في وجه أهل هذه اللغة لا من جهة أن هذا التفكير غير مستساغ بالنسبة لأذهان طائفةٍ منهم ولا من جهة أنه لم يتهيأ لهم في عهد من العهود لأسباب خارجة عن إرادتهم بفعل العقائد الدينية مثلاً أو السلطة الزمنية بل من تلقاء علةٍ أزلية سرمدية ضُربت علينا في أصل ذكائنا وما رُكّب عليه عقلنا من فطرةٍ ترتبت عليها طريقتنا في رواية الأمور . وهذه العلّة لا يُرجى منها شفاء (كالخطيئة الأصلية لزمنا وزرها إلى يوم القيامة مع جميع الساميين) .

ونحن لا ندعي أننا أوتينا المعرفة العميقة التي تميز بها هذا المستشرق النحرير ولا سعة إحاطته : فقد كان علاّمةً فهّامة من الطراز الأول ، استوعب فنون الاشتقاق في عصره ، وأبعد النظر في دراسات الفيلولوجيا المقارنة التي باشرها فطاحل الألمان أمثال إيوالد ، ولاسّن ، وشپيغل ، وغيرهم ، ووقف على لغات مختلفة شرقية وغربية وقوفاً واعياً بصيرا . ولكننا مع ذلك نأذن لأنفسنا أن نبدي بعض التساؤلات والاعتراضات بصدد مقالاته لا سيما وأن الرجل — إلى جانب إلحاده الذي لا يعنينا نحن أن ننكره عليه — متهم بعرق من العصبية

(١) ص ٣٨٥ : « Une roideur monotone et pédante »

(٢) « Artificielle et savante » .

الشعوبية على كل ما هو غير أوروبي . فلعله تحت تأثير منطق عواطفه الخاص ، انزلق إلى نظريات تتجاوز حدّ الحيطة العلمية ، وقد يكشف « التحليل النفسي » ذات يوم عن بواعثها الدفينة .

وأول ما نريد بيانه هو وهن الموضوعة الأساسية التي اعتمدها رونان في دراسة البسيكولوجيا السامية . لا شك أن من عناصر البسيكولوجيا دراسة الظاهرات اللغوية على اعتبار أن اللغة تكشف عن خصائص العقول . وهذا صحيح بشرط واحد هو ألاّ نربط هذه الخصائص بالتكوين البيولوجي الحيوي وألا نجعلها ناشئة عن صورة ذهنية فطرية لصقت بها كالطين اللازب ، بل أن نأخذ بعين الاعتبار الظروف الاجتماعية كالسكنى وطراز العيش وتمازج الثقافات والشعوب . يقول فاندرييس : « كما أنه من التحكم أن نستنبط اللغة من الذهن ، فكذلك من الاعتباط أيضاً أن نستخرج العقلية من اللسان . إن كلا الأمرين من فعل الظروف ، إنهما من الوقائع الحضارية » [١] . والحال أن رونان ربط تلك الخصائص التي اكتشفها بالتكوين الغريزي عند الساميين ، فإذا لم يجد عندهم ملاحم فذلك عن أنهم سذج لا خيال لهم . وبديهي أن ما فعل صادر عن نزعة عرقية باطلة لم تعد ترضي العلم الحديث في قليل ولا كثير .

ثانياً : إن طريقة الاستقرائية غير مستوفاة . فالمعلوم أن الاستقراءات التي تصلح لأن تُستخرج منها القوانين العلمية إنما هي الاستقراءات الكاملة لا الناقصة . لأن مأتى السفسطة الأول من التعداد الناقص . فلنعرض على محك

(١) « Il est aussi absurde de faire sortir la langue de la mentalité que de faire sortir la mentalité de la langue. Toutes deux sont le produit des circonstances; ce sont des faits de civilisation » (Vendreys, *Le Langage* p. 277).

النظر دعواه في أن « اللغات السامية لغات الواقعية والحسّ بالقياس إلى اللغات الآرية التي هي لغات التجريد والميتافيزياء » لقد بقيت هذه الدعوى على الزعم بأننا لو استعرضنا سلسلة الجذور السامية لصعب علينا أن نجد فيها ما يخلو من الابتداء بمعنى مادي . ولكنّ هذا يستدعي قبل كل شيء أن تتوفر « مونوغرافيات» مفصلة أتمّ تفصيل للعبرية والكنعانية والفينيقية والسريانية والآرامية والآشورية والبابلية والنبطية والعربية فضلاً عن جميع اللغات الأخرى الساميّ منها والآري ، وأن تصاحب هذه الدراسات المفردة إحصاءات مضبوطة للألفاظ الحسية والألفاظ المجردة في كل لغة مع نسبتها المئوية . فماذا فعل رونان هنا ؟ إنه اكتفى في أغلب الأحيان بإيراد أمثلة تنحصر في بضع كلمات من العبرية ، وأحياناً من العربية ، ورتّب عليها مثل هذه التعميمات الضخمة . ثم ، بافتراض أن مثل ذلك قد جرى إلى حد ما (وما أبعد مثل هذا الواقع عن ضرورات البحث العلمي !) فلامَ تشهد كثرة الألفاظ الحسية على الألفاظ المعنوية في لسان ما ؟ — ربما كان فيه دليل على أن ذلك اللسان احتفظ بصوت التطور أكثر من غيره (وقد أورد هذا الاعتراض على رونان كما صرّح بذلك هو نفسه) . ونحن نضيف : لماذا نتخذ من نقل الألفاظ عن معانيها الأصلية دليلاً على اتصاف الفكر بطابع ثابت ، مع أن مجرد النقل يدلّ على حركة فكرية . ان من المعلوم أن الكلمات تتغير معانيها على أنحاء ثلاثة :

(ا) التخصيص (وهو المضي من الجنس الى النوع : كالصلاة التي اختص لفظها بضرب من الدعاء) ؛

(ب) التعميم (أي التوسع في اطلاق الجزء على الكل ، نحو « الهجين » وهو في الأصل للمجاوزات غير ذات النسب الصريح ثم استعمل لكل خلاسي من البشر) ؛

(ج) النقل من مجال الى مجال بسبب المجاورة (ونلفت النظر الى أننا هنا نسوّي بين المجاورة المادية والذهنية لكي نطوي تحتها ما يعرفه لغويونا بـ « الإشراب » الذي يكون مثلاً باستعمال الألفاظ الحسية لمعاني مجردة كقولك « الجزم » — وهو القطع المادي — تريد به « التوكيد » ، وكقولك « الاعتماد » — وهو أصلا التوكؤ — في مقام « الوضع موضع الثقة ») وقس على ذلك ضروب الاستعارات والمجازات .

ونحن نظن أن مجرد لجوء العرب الى اشراب الألفاظ الحسية معاني مجردة دليل على عكس نظرية رونان لأنه يفرض بالضرورة قيام المعاني المجردة في الذهن ، والا لما حصل الانتقال من الحسي الى غيره . واذا كانت اللغات ، على ما يعتقده رونان في أعقاب هوردمان ، « الحصيلة المباشرة للشعور البشري » [1] فان الاشراب يعكس على أفضل وجه تلك الفاعلية الديناميكية الأصيلة في الذهن العربي القائمة على تصور المجرد وربطه بالمحسوس ، وذلك للاقتران بين ضربَيْ الانطباعات التي تركها في شعورهم كل من النطاقين (نطاق المجرد ونطاق المحسوس) .

ثالثاً : ان أكبر ما نأخذه على رونان تعسفه في التعميمات التي تجاوز حدود المقدمات . والحقيقة أنه اجترأ على تراكيب فضفاضة ، فوقع في مثل ما رمى به أولئك الذين يستهويهم وضع النظريات الكبرى بعد نظرهم نظراً غير مستوفى في كتب اللغة وفي النصوص . ولئن انحى باللائمة على هؤلاء صارفاً اليهم قوله : « ان الفضاضة التي تلحق بالمرء من أن يكون خيالياً أكبر من الفضاضة اللاحقة به من التقصير » [2] فغالب الظن أن رونان وقع في العيب

(١) راجع مقدمة ١٨٥٥ .

(٢) " Il est moins fâcheux d'être incomplet que chimérique "

الذي أنكره على غيره يوم رمانا مع الساميين جميعاً بأننا لا فلسفة لنا أصيلة ، ولا خيال خلاّق ، وأن فكرنا يرضى بالمتناقضات . ويظهر أن رونان أدرك ما يمكن أن يوصم به من جراء تعمياته فاعتذر عن ذلك في المقدمة بأن لولاه لبقي التاريخ محصوراً في نطاق الواقعات المادية دون إقدام على استخراج مغزى تلك الواقعات . ولكن إذا كان استخراج المغزى يؤدي إلى مثل هذا التكاذب والافتئات ، فكم كان أجدر به وهو في مقرانه وبسطة علمه « كراكب الأسد يهابه الناس » أن يكون « لمركبه أهيب » كما يقول كاتبنا العظيم عبد الله ابن المقفع .

وبعد ، فلننظر نظرةً أخرى في تاريخ فكرنا من الناحية السوسيولوجية . لقد كانت لنا حياة فكرية قبل الاسلام صوّرها الشعر الجاهلي . فهل كان هذا الشعر غير مفصح عن خوالج النفس الدقيقة ؟ نعم إنه لم يكن شعرَ ملاحمَ طويلةِ النفَس (كالإلياذة) . ولكن ما بالنا لا نقيم وزناً لخيالٍ إلا إذا جاء على طريقة الاغريق ؟ إن ملكةَ التصوُّر الخلاّق تتخذ أشكالاً مختلفة ، والشكل الأسطوري واحد من عديدها . ولئن كانت الوثنية طوراً من أطوار التاريخ وجاءت الأسطورة معبرة عن خياله ، فإننا لا نطالب شعراء عصرنا الحاضر مثلاً أن يظل خيالهم دائراً على الأساطير . هذا هو الشعر الفرنسي في الأزمنة القريبة منا من رونسار الى سان جون پرس أهو منحطٌ في مرتبة خياله لأنه لا يدور على خلق أساطير ؟ وهل نتخذ شاهداً من ذلك على ضعف ملكة التخييل عند أكبر من تمثّلَ تراث الاغريق أعني الأمة الفرنسية ؟

ثم لقد كان لنا لسان صالحٌ لأن يكون محملاً لدين جليل على ما انبعث عن هذا الدين من عقيدةٍ وشرع وفقه ونحو وصرف وكلام وجدل ومنطق وعلوم عقلية . فكيف استطاع لسان يعتبر رونان أن آجروميته تمثل طفولة الفكر

الانساني أن يقوى على النهوض بكل ذلك ؟ بل لقد اتسع لساننا بالذات لاستيعاب حكمة فارس ورياضيات الهند وفلسفة يونان ، فبأي لغة يا ترى وصلتنا آثار إفلاطون وأرسطو والاسكندر الأفروديسي وبقراط وجالينوس وإقليدس وأرخميدس وذيوفانت وباليناس وبطليموس ؟ وهل عجز آل بختيشوع وآل الكرخي وبنو موسى بن شاكر وثابت بن قرة والحجاج بن مطر ويوحنا البطريق وابن ناعمة الحمصي وأبو عثمان الدمشقي ومتى بن يونس القنائي ويحيى بن عدي والبلاذري أحمد بن يحيى وإسحق بن يزيد وعلي بن زياد التميمي والحسن بن سهل وعشرات غيرهم عن أداء المعاني المجردة العويصة بالعربية وبالسريانية وحتى بالعبرية ؟ بل كيف فهم عنا تراجمة العصر الوسيط اللاتيني حكمة اليونان الرفيعة التي نقلناها أولا ، فحملوها إلى أوروبا عن طريق لساننا ليغنى بها التفكير الغربي ؟

ليس هذا كل ما في الأمر . لقد كان لنا فلسفة خاصة يوم لم يكن للفرنجة ولا للقوط ولا للهون ولا للسلت ولا للكرولنجيين ولا المروفنجيين فلسفة . أفيكفي في الحط من شأن هذه الفلسفة أن يقال إنها دخيلة علينا ؟ أو لم يعترف لنا رونان بأصالة علم الكلام وهو جدل رفيع نبت في جو إسلامي صافي العروبة . وهب أن من صنعوا الفلسفة بمعناها الأضيق كانوا من أصل فارسي أو أعجمي ، فليت شعري بأي لسان فكروا ؟ ولمَ اختار الفارابي لغة العرب لبيان نظرية « العقول » والشيخ الرئيس ابن سينا لغة العرب لكتابة الشفاء والنجاة ؟ ولمَ تناول الغزالي « مقاصد الفلاسفة » ، ثم بيّن « تهافتهم » بلسان غير الفارسي ؟ وكيف صلحت مؤلفات ابن رشد أن تكون ، كما يقول جلسُن ، مصدراً « له أبعد الأثر وأقواه في الاسكولائية المسيحية » وينبوعاً رَويت منه فلسفة اللاهوتيين ، أمثال غيليوم الأوفيرني ، وروجه باكون ، وحنا بيكام ؟

لم يكن العرب ، أمة غالبةً دائما حتى نقول إن لسانهم إنما انتشر بقوة السيف . نعم لقد امتد ملكهم ذات يوم من جبال البرانس وأعمدة هرقل الى الهند والصين . ولقد كانوا على رأس العالم المتمدن في عهود زاهرة كحقبة بغداد في القرن الثامن المسيحي أيام الرشيد والمأمون ، ويوم أشمت مملكة الأغالبة على سردينية وصقلية ونابولي ، وكعهد قرطبة في القرن العاشر في ظل الحكم الثاني والحاجب المنصور محمد بن أبي عامر ، ثم في حقبة القاهرة الفاطمية وفي المغرب الاسلامي على عهد المرابطين والموحدين . ولكنهم واجهوا نكبات ومصائب كان من حقها منطقيًا أن تمحو امتهم محواً كأداةٍ حضارية . ومع ذلك ، لا هولاكو البوذي الذي ذبح أهل بغداد ذبحاً وجعل مياه دجلة سوداء من مداد ثقافتنا ، ولا الحروب الصليبية التي عاشت في أرضنا قرنين كاملين ، ولا الفتح المغولي ولا الغزو الطوراني ، ولا غلبة الأعاجم علينا من كل ملة ونحلة ، ولا الاستعمار الغربي نالت من عنفوان العربية . لماذا ؟ لأن هذه اللغة أثبتت حيويتها أمام الكوارث ، لأنها وقد ألقحتها الثقافات الفارسية واليونانية البيزنطية والهندية ، عرفت كيف تستصفي عصارة تلك الثقافات فيتمثلها نسغُها اليَعْرُبيُّ الأصيل . إن سر حياتها القوية العنيفة قائم في مرونتها وقابليتها للتكيُّف . وهذه هي النهضة العربية اليوم تأتي شاهداً مصدِّقاً لما نقول : ففي أقل من قرن من الزمان استطاع أهل هذه اللغة أن يتناول لسانُهم ما شئت من علم وفن وفلسفة وتكنيك ، وكثير من جامعات العالم العربي ومن مراكز البحوث تتولى معالجة العلوم الايجابية المضبوطة بفكرٍ أداته هذه اللغة المُضَرية لغةُ معدٍّ وعدنان .

وإذا بدت هكذا مقاتل نظرية رونان ، فما أحرانا أن نردد مع صديقنا

لويس غارديه [1] أن الخميرة العربية العاملة في جوف كل الشعوب التي استهواها الإسلام إنما هي (والتعابير ها هنا للمستشرق المرحوم ماسينيون [2] الذي ستجبي الكلية ذكراه غدا) « وهذا اللسان الرائع ذو الأزمنة « الثيوسانطريه » — أي المركّزة حول الذات الإلهية — ؛ هذا الضبط في الصورة تتلبّس بها [مادّة] موّارة مضطربة مرجحنّة ، هذا المزاج الرقراق من مجردات [عرّيت عن كل زيادة] وإفادات أذعنت بتمام الجدوى ؛ هذا القِرانُ المدهش بين آثارٍ عليها مسحة الخشونة وبيّناتٍ تتميز برونق منقطع النظير »

وبذلك نرى أن أمجد مظهر لعبقرية العرب لسانهمُ العظيم وأن أبا الريحان البيروني — نضّر الله جنّة خلده بالرّوح والريحان — كان على حقٍ يوم أن قال : لأَن أُهجا بالعربية خير من أن أُمدح بالفارسية ؟

الرباط : الدكتور حكمة هاشم

---

(١) ص ٥٨ L. Gardet. *Connaître l'Islam*

(٢) Louis Massignon, Lexique technique de la mystique musulmane ص ٣٤٦ — ٣٤٨ .

التمييز

في اللاتينية	Discriminatio, Discrimen
في الفرنسية	Discrimination, discernement
في الانكليزية	Discrimination

ميّز الشيء عزله وفرزه ، والتمييز بين الأشياء فصل بعضها عن بعض ، وتمييز الشيء من الشيء التفريق بينهما ، وفي التنزيل العزيز : « حتى يميز الخبيث من الطيب » .

والتمييز في النحو إسم يرفع الابهام عن ذاتٍ مذكورةٍ مثل : لَيسَ ثوبين حريرا ، أو مقدّرةٍ مثل : لله درّه فارسا .

والتمييز قوة نفسية تستنبط بها المعاني . قال الغزالي : « فيخلق فيه التمييز (أي في الطفل) وهو قريب من سبع سنين ، وهو طور آخر من أطوار وجوده ، فيدرك فيه أموراً زائدة على عالم المحسوسات لا يوجد منها شيء في عالم الحس » (المنقذ من الضلال ، الطبعة السادسة ، مطبعة جامعة دمشق ص ١٠٨) .

وسن التمييز عند الفقهاء هو وقت معرفة المضار والمنافع .

والتمييز عند قدماء الفلاسفة هو التفريق بين الشيئين بحسب الفصل الذي

يقال على أحدهما . وهم يسمون كل معنى تميز به شيء عن شيء ، شخصياً كان أو كلياً ، فصلا ، ثم نقلوه بعد ذلك إلى ما يتميز به الشيء في ذاته . قال ابن سينا : « مثل الناطق الذي يميز الإنسان عن الفرس وهما حيوانان » (النجاة ص ١١٢) .

والتمييز عند الفلاسفة المحدثين هو التفريق بين الأمرين المشخّصين نفسيين كانا أو حسيين ، مثال ذلك تمييز الحالات الشعورية أو تمييز المحسوسات . والفكرة المتميزة (idée distincte) هي الفكرة البيّنة .

ويطلق التمييز عند علماء الاجتماع على التفريق بين العروق البشرية أو الطبقات الاجتماعية أو غيرها . ومنه التمييز العنصري (Discrimination raciale, Ségrégation raciale) الذي ينكر المساواة بين الأجناس البشرية فلا يعترف للأسود مثلاً بما يعترف به الأبيض من حقوق طبيعية أو اجتماعية .

التناسخ

في اللاتينية	Metempsychosis
في الفرنسية	Métempsychose
في الانكليزية	Metempsychosis

وهو لفظ يوناني مؤلف من لفظين : (ميتا) ومعناه الانتقال و (بسيشه) ومعناه النفس .

تناسخ الشيئان نسخ أحدهما الآخر . وتناسخوا الشيء تداولوه ، وتناسخت الأزمنة تتابعت . وفي الحديث : لم تكن نبوّة إلا تناسخت ، أي تحولت من حال إلى حال .

والتناسخ في الفرائض والميراث أن تموت ورثة بعد ورثة وأصل الميراث قائم لم يقسم .

والتناسخ عقيدة شاعت بين الهنود وغيرهم من الأمم القديمة مؤداها ان روح الميت تنتقل إلى موجود أعلى أو أدنى لتنعم أو تعذب جزاء على سلوك صاحبها الذي مات . ومعنى ذلك عندهم ان نفساً واحدة تتناسخها أبدان مختلفة — انسانية كانت أو حيوانية أو نباتية .

قال ابن سينا في بطلان القول بالتناسخ : « وإذا فرضنا نفساً تناسختها أبدان وكل بدن فانه في ذاته يستحق نفساً تحدث له وتتعلق به فيكون البدن الواحد فيه نفسان معاً » (النجاة ص ٣٠٩) .

وإذا قيل ان من مقتضيات هذه العقيدة القول بخلود النفس قلنا إن تناسخ النفس لا يوجب بقاءها اضطراراً ، لأنها قد تنتقل من بدن إلى بدن حتى تنتهي إلى العدم ، أو تغور في حقيقة روحية كلية تفقد معها فرديتها .

التناقض

في اللاتينية	Contradictio
في الفرنسية	Contradiction
في الانكليزية	Contradiction

نقض الشيء أفسده بعد إحكامه ، ونقض اليمين أو العهد نكثه ، ونقض ما أبرمه فلان أبطله ، وناقض في قوله مناقضة تكلم بما يخالف معناه ، وناقض غيره خالفه وعارضه . وتناقض القولان تخالفا وتعارضا ، والكلام المتناقض هو الذي يكون بعضه مقتضياً إبطال بعض .

والتناقض في اصطلاح الفلاسفة هو اختلاف تصورين أو قضيتين بالايجاب

والسلب . مثل قولنا (ب) و (لا — ب) ، أو قولنا (ب) صادقة و (ب) غير صادقة أي كاذبة . قال ابن سينا : التناقض هو اختلاف قضيتين بالايجاب والسلب بحيث يلزم عنه لذاته أن تكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة . (منطق المشرقيين ص ٧٤) . وإنما تكونان كذلك إذا اتفقتا في الموضوع والمحمول لفظاً ومعنى ، واتفقتا في الكل والجزء والقوة والفعل والشرط والاضافة والزمان والمكان ، أما إذا اختلفتا في شيء من هذه الأشياء لم يجب أن تقتسما الصدق والكذب ، وإذا كانت القضيتان مخصوصتين كفى في تناقضهما هذه الشروط ، أما إذا كانتا محصورتين زاد شرط آخر وهو اختلافهما في الكمية أعني الكلية والجزئية . مثال ذلك ان الكلية الموجبة والجزئية السالبة متناقضتان ، لأنك إذا قلت : كل انسان كاتب كان نقيضه ليس بعض الناس بكاتب ، والكلية السالبة والجزئية الموجبة متناقضتان ، لأنك إذا قلت : ولا واحد من الناس بكاتب كان نقيضه بعض الناس كاتب .

والتناقض أيضاً هو الجمع في تصور واحد أو في قضية واحدة بين عنصرين متنافيين كقولنا دائرة مربعة أو الضياء مظلم . الخ . .

وقد يكون التناقض صريحاً كالتناقض الذي نعبر عنه بقضيتين متناقضتين ، وقد يكون ضمنياً كالتناقض المقدر بين القضية الظاهرة ونتائجها أو مقدماتها الخفية . وإذا حملت على الموضوع صفة مناقضة لتعريفه كان التناقض إضافياً (Contradiction in adjecto) .

والتناقض عند الأصوليين هو تقابل الدليلين المتساويين على وجه لا يمكن معه الجمع بينهما ، ويسمّى بالتعارض أو المعارضة .

والنقيضان (Contradictoires) هما الأمران المتنافيان بالذات بحيث يقتضي تحقق أحدهما انتفاء الآخر . ونقيض كل شيء رفعه ، والمراد بالرفع

ما يستفاد من كلمة (لا) و (ليس) كقولنا الانسان واللا انسان .

ومبدأ التناقض (Principe de Contradiction) بديهي وهو القول ان الشيء نفسه لا يمكن أن يكون حقاً وباطلاً . وهذا القول انما هو نتيجة لمبدأ الهوية (Principe d'idendité) أي لقولنا (ما هو هو) .

وعلى ذلك فالشيء المتناقض مناف للمعقولية ، لأن من شرط العقل أن يكون متفقاً مع نفسه ، فإذا كان العقل يقع في التناقض أحياناً فرد ذلك الى انشغاله بأمور تمنعه من تذكر ما قاله سابقاً ، ولو قرب بين الحكمين المتناقضين اللذين صدق بهما في زمانين مختلفين لأثبت أحدهما وأبطل الآخر . لذلك قيل ان الزمان هو علة الوقوع في التناقض . والوسيلة الوحيدة لاجتناب الوقوع في التناقض هي التحليل . (راجع : التحليل ، والقياس ، ومبادىء العقل) .

التوازن

في الفرنسية Équilibre

في الانكليزية Équilibrium

توازن الشيئان تساويا في الوزن .

يقال في علم (الميكانيك) إن جملة من الأجسام تكون متوازنة إذا كانت محصلة القوى المؤثرة فيها مساوية للصفر . ومعنى ذلك انك تستطيع أن تحذف هذه القوى المؤثرة من غير أن يؤدي ذلك إلى تغيير حال الجملة أو حركتها . إن في كل زمن من أزمنة حركة النقطة المادية توازنا بين القوى المؤثرة فيها والقوة التي تحددها وتجعلها معطلة . وهذا كله يدل على أن التوازن غير مرادف للسكون . فتوازن الجسم إما أن يكون مستقراً ، وإما أن يكون لا مستقرا . فإذا أزحت الجسم المتزن إتزاناً مستقراً عن موضعه عاد إليه ، وإذا

أزحت الجسم المتزن اتزاناً لا مستقراً عن موضعه لم يعد إلى وضعه الأصلي واختل التوازن .

ويقال في علم (الفيزياء) إن الجملة الخاضعة لتأثير بعض القوى الخارجية لا تكون متوازنة إلا اذا كان من شأنها ، وهي متأثرة بهذه القوى ، أن تبقى على حالها الى غير نهاية .

وهذا يصدق أيضاً على علم الكيمياء ، فيقال فيه إن التوازن صفة جسم أو جملة من الأجسام خاضعة لشروط البيئة المحيطة بها (درجة الحرارة ، الضغط الخ . .) بحيث يقابل كل حالة محددة من هذه الشروط المسماة بعوامل التوازن حالة معينة من أحوال ذلك الجسم أو تلك الجملة من الأجسام مهما يكن اتجاه التغيرات الطارئة .

وتوازن الميول في علم النفس إنما يطلق على الحالة التي تعتدل فيها الميول فلا يبلغ أحدها درجة من الشدة يستطيع معها أن ينفرد بتوجيه نشاط العقل .

والإرادة المتزنة هي التي لا يكون في إقدامها على الفعل أو احجامها عنه افراط ولا تفريط .

والمتزنون من الناحية العقلية هم الذين يكون تقيدهم بالمنطق فطرياً وطبيعياً وغريزياً بخلاف الذين يناقضون أنفسهم أو الذين لا تنكشف لهم الأمور بالمقاييس العقلية الا لماماً .

والتوازن العقلي أيضاً هو الحالة التي تكون فيها القوى العقلية تامة الانسجام تامة الاتساق لا تسيطر احداها على الأخرى .

وحاسة التوازن هي الحاسة التي تطلع الانسان والحيوان على أوضاع بدنيهما وتقيهما من السقوط الى الأرض عند وقوفهما أو سيرهما . اذا اختلت هذه الحاسة اختلت حركات الحيوان وأصيب بدوار . وقد بين علماء النفس أن آلة

هذه الحاسة هي المجاري نصف الدائرية الموجودة في الأذن الداخلية ، وأن المصابين ببعض الأمراض العصبية يفقدون اتزانهم لاختلال هذه الحاسة فيهم .

حرية التوازن . — اذا انقسمت الأسباب المؤثرة في الارادة الى جملتين متعارضتين ومتساويتين حصل بينهما توازن تام . ولكن الإنسان يستطيع بالرغم من توازن هاتين الجانبين أن يختار أحداهما . ولولا اتصافه بالحرية لما استطاع أن يختار شيئاً ، بل لظل متردداً بين جهتي السلب والايجاب لا يفعل شيئاً أبدا .

التوحيد (مذهب)

في الفرنسية Monothéisme

في الانكليزية Monotheism

وهو مشتق من لفظين يونانيين (مونو) ومعناه الواحد
و (تيوس) ومعناه الله

وحّد الشيء جعله واحدا ، ووحّد الله سبحانه أقرّ وآمن بأنه واحد . فالتوحيد اذن هو الإيمان بالله وحده لا شريك له . قال الجرجاني : « التوحيد في اللغة الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد . وفي اصطلاح أهل الحقيقة تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصوّر في الافهام ويتخيل في الأوهام والأذهان » (التعريفات) فإذا قلنا انه تعالى واحد عنينا بذلك أنه منفرد الذات في عدم المثل والنظير ، وانه لا يقبل التجزيء والانقسام والتكثير ، وانه لم يزل وحده ، ولم يكن معه آخر . وأهل العربية يجوزون أن ينعت الشيء بأنه واحد ولكنهم لا يجوزون أن ينعت بالأحدية غير الله لخلوص هذا الاسم الشريف له . ومعنى ذلك كله أن للتوحيد معنيين :

الأول هو القول أن الله تعالى واحد لا يوجد في ذاته تغير ولا كثرة ، وليس له أجزاء تجتمع فيقوم منها ، بل هو واحد من جميع الوجوه .

والثاني هو القول بإله واحد لا شريك له مباين للعالم ومدبر له ، لأن الوجود الذي يوصف به لا يمكن أن يكون لغيره ، خلافاً للثنوية القائلين بإلهين أو لأصحاب التكثير القائلين بتعدد الآلهة .

لذلك قيل ان التوحيد هو معرفة الله تعالى بالربوبية والإقرار له بالوحدانية ونفي الأنداد عنه جملة . ومعنى الوحدانية ان للحق سبحانه وتعالى كمالاً لا يشاركه فيه غيره ، وانه منفرد بالإيجاد والتدبير بلا واسطة ولا معالجة وانه لا مؤثر سواه .

والفرق بين مذهب التوحيد ومذهب وحدة الوجود أن وجود العالم في مذهب التوحيد متوقف على وجود الله ؛ وأن وجود الله غير متوقف على وجود العالم ، على حين ان وجود كل منهما في مذهب وحدة الوجود يلزم عن وجود الآخر اضطرارا ، لأن نسبة الله الى العالم كقياس الجوهر من اعراضه . الجوهر واحد والأعراض متكثرة ، ولكن لا جوهر بلا أعراض ، ولا أعراض بلا جوهر (راجع : وحدة الوجود) .

التوليد المباشر (مذهب)

في الفرنسية Nativisme

في الانكليزية Nativism

وهو مشتق من اللفظ اللاتيني (Nativus) و (Nativitus) .

ولّد الشيء من الشيء أنشأه ، وتولد الشيء من الشيء نشأ عنه .

والتوليد عند المعتزلة هو الفعل الصادر عن الفاعل بوسط ويقابله المباشرة .

أما في الفلسفة الحديثة فالتوليد نوعان توليد مباشر وتوليد غير مباشر . ومذهب التوليد المباشر هو القول أن بعض الحواس أو كلها أو حاسة البصر على الأخص تدرك خواص المكان إدراكاً طبيعياً ومباشراً .

ويطلق اصطلاح التوليد المباشر أيضاً على جميع المذاهب القائلة بفطرية الصفات والوظائف والأفكار ، بمعنى انها تتولد في العقل مباشرة بلا وسط ، من هذه المذاهب أيضاً القول ان الانطباعات الناشئة عن شبكة العين تولد في النفس صوراً حسية مكانية تجعل النفس تدرك الأشكال والمسافات ادراكاً مباشراً بغير كسب ولا تربية سابقة . ومنها القول ان الاحساسات الناشئة عن شبكة العين ، وان كانت غير مشتملة على مخصصات مكانية معينة ، إلا أنها في الأصل ذات حجم وامتداد تضجهما التربية . ومنها القول باشتمال النفس على معان أو مبادئ فطرية .

وعلى ذلك فإن مذهب التوليد المباشر مرادف للتجريبية ومضاد لمذهب التكوين . (راجع : التجربة ، والتكوين) .

التوفيق (مذهب)

في الفرنسية Éclectisme

في الانكليزية Eclecticism

أصله في اليونانية اكلكتيكوس (Eklektikos) ومعناه المنتخب ويقابله في اللاتينية (Eligere) .

طريقة التوفيق (Méthode éclectique) هي أن تتخير من المذاهب الفلسفية المختلفة أو المتقابلة آراء متطابقة ، وان تحاول الجمع بينها في رأي واحد ، أو هي الكشف عن وجهة نظر عالية تطابق بين الآراء الفلسفية المتعارضة .

ومذهب التوفيق (Eclectisme) هو الجمع بين الآراء والمذاهب المختلفة ومحاولة التأليف بينها لتكون مذهباً واحداً متماسكاً . من أمثلة ذلك مذهب المدرسة الاسكندرانية (أو على الأخص مذهب (بوتامون « Potamon »

من فلاسفة الاسكندرية) ومذهب الفيلسوف (فكتور كوزان ـ Victor Cousin) من فلاسفة القرن التاسع عشر . (راجع مذهب التلفيق) .

حرف الثاء

الثالث (نفي)

في الفرنسية Tiers exclu

مبدأ نفي الثالث من المبادئ الأولية ، تقول إذا صدقت إحدى القضيتين المتناقضتين كذبت الثانية والعكس بالعكس ولا ثالث بينهما . ويشترط في المتناقضتين أن يكون موضوعها ومحمولها واحداً وان لا تختلفا إلا بالإيجاب والسلب ، فإذا كانت إحداهما صادقة كانت الثانية غير صادقة ، ولا وسط بينهما . وينطبق مبدأ نفي الثالث على القياسات الاستثنائية المؤلفة من الشرطيات المنفصلة ، فإذا استثنيت عين أيهما كان نتج عن ذلك نقيض الآخر ، مثاله : اما أن يكون العدد زوجاً واما أن يكون فرداً ، لكنه زوج فينتج أنه ليس بفرد ، أو فرد فينتج أنه ليس بزوج ، وإذا استثنيت نقيض أيهما كان نتج عن ذلك عين الآخر ، مثاله : اما أن يكون العدد فرداً ، واما أن يكون زوجاً ، لكنه ليس بزوج فهو إذن فرد ، ولكنه ليس بفرد فهو إذن زوج ، ولا وسط بينهما .

الثروة

في الفرنسية Richesse

في الانكليزية Wealth

الثروة هي الكثير من المال والناس ، يقال ثروة رجال وثروة مال . وفي

الحديث : ما بعث الله نبياً بعد لوط إلاّ في ثروة من قومه . والثراء المال الكثير . قال حاتم :

وقد علم الأقوام لو أن حاتماً أراد ثراء المال كان له وفر

والثروة عند علماء الاقتصاد هي كل ما يرضي حاجة الانسان أو رغبته ، وهم يقولون بنوعين من الثروة ، الأول مشترك ، كالماء والهواء ونور الشمس وإن كان حظ الناس منه غير متساو ، والثاني خاص ، وهو كل ما يملكه الفرد أو الجماعة من متاع أو عروض تجارة أو عقار أو نقود أو حيوان الخ .. ومعنى قولنا يملكه أنه يستطيع أن يبيعه أو أن يهبه ، لأنه ذو قيمة ، ويسمى هذا النوع أيضاً مالاً ، والكلام عليه يشمل البحث في انتاجه وتوزيعه وتداوله واستهلاكه .

وإذا كان الانسان كثير المال كان غنياً أو ثرياً ، وأنا ثري بك عن الناس أي غني بك عنهم . ويطلق ذلك مجازاً على من كان غني الألفاظ ، غني الأفكار والعواطف ، وهذه نظرية غنية بالحقائق ، ومن قبيل ذلك أيضاً قولنا الثروة الفكرية ، والثروة الأدبية ، والثروة العلمية ، الخ ..

الثقافة

في اللاتينية	Cultura
في الفرنسية	Culture
في الانكليزية	Culture

ثقف الرجل ثقافة صار حاذقاً ، وثقفتُ الشيءَ حذقته ، والرجل المثقف الحاذق الفهم ، وغلام ثقف أي ذو فطنة وذكاء ، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه .

والثقافة بالمعنى الخاص هي تنمية بعض الملكات العقلية أو تسوية بعض الوظائف البدنية ، ومنها تثقيف العقل ، وتثقيف البدن . ومنها الثقافة الرياضية ، والثقافة الأدبية أو الفلسفية .

والثقافة بالمعنى العام هي ما يتصف به الرجل الحاذق المتعلم من ذوق وحس انتقادي وحكم صحيح ، أو هي التربية التي أدت إلى إكسابه هذه الصفات . قال (روستان) «العلم شرط ضروري في الثقافة ، لكنه ليس شرطاً كافياً ، إنما يطلق لفظ الثقافة على المزايا العقلية التي أكسبنا إياها العلم حتى جعل أحكامنا صادقة . وعواطفنا مهذبة» (D. Roustan, La culture au cours de la vie)

ومن شرط الثقافة بهذا المعنى أن تؤدي إلى الملاءمة بين الانسان والطبيعة وبينه وبين المجتمع ، وبينه وبين القيم الروحية والانسانية .

وإذا دلّ لفظ الثقافة على معنى الحضارة (Civilisation) كما في اللغة الألمانية كان له وجهان وجه ذاتي وهو ثقافة العقل ، ووجه موضوعي وهو مجموع العادات والأوضاع الاجتماعية والآثار الفكرية والاساليب الفنية والأدبية وانماط التفكير والاحساس والقيم الذائعة في مجتمع معين ، أو هو طريقة حياة الناس وكل ما يملكونه ويتداولونه اجتماعياً لا بيولوجياً (قاموس التربية وعلم النفس التربوي للدكتور فريد جبرائيل نجار ، بيروت ١٩٦٠) تقول بهذا المعنى : الثقافة اليونانية ، والثقافة العربية ، والثقافة اللاتينية ، والثقافة المدرسية (الكلاسيكية) والثقافة الحديثة . وتقول أيضاً : امتزاج الثقافات ، والنشاط الثقافي ، والعلاقات الثقافية والتخلف الثقافي الخ ...

ومذهب الحتمية الثقافية هو القول أن الحضارة تولد الحضارة بمعزل عن العوامل الطبيعية المؤثرة في سلوك الإنسان وعمله .

الثنوية

في الفرنسية Dualisme

في الانكليزية Dualism

وهو مشتق من الأصل اللاتيني Dualis

الثنوية فرقة تقول بالهين إثنين إله الخير وإله الشر ، قالوا انا نجد في العالم خيراً وشراً ، والواحد لا يكون خيراً وشراً بالضرورة ، فكل من الخير والشر فاعل إذن على حدة ، وفاعل الخير هو النور ، وفاعل الشر هو الظلمة ، والمجوس منهم ذهبو إلى أن فاعل الخير هو (يزدان) وفاعل الشر هو (أهرمن) ثم ذهبوا الى عبادة النار لأنها عندهم أساس الحياة وأصل الوجود .

والاثنينية هي كون الطبيعة ذات وحدتين أو هي كون الشيء الواحد مشتملاً على حدّين متقابلين ومتطابقين كتقابل الفكر والعمل في الحالات الثلاث التي يتألف منها قانون التطور الانساني عند (اوغوست كومت) وهي الحالة الالهية المطابقة للمجتمع الحربي ، والحالة الفلسفية المطابقة للمجتمع الاقطاعي ، والحالة الوضعية المطابقة للمجتمع الصناعي ، أو كالتقابل المنطقي الذي نجده بين العلوم العقلية والعلوم التجريبية ، فان فيه اثنينية كاثنينية العقل والتجربة ، والخيال والحقيقة ، والامكان والوجوب ، والحق والواقع .

ومن معاني الاثنينية (Dualité) أيضاً كون الشيء مشتملاً على مبدأين مستقلين لا ينحل أحدهما إلى الآخر كاثنينية الحقية والخلقية في فلسفة القديس توما الاكويني ، أو الهوى والحرية ، أو الإرادة والعقل ، أو الجسم والروح في فلسفة ديكارت ، أو الخير والشر أو النور والظلمة في المانوية . ومن معاني الاثنينية أخيراً الثنائية

كما في قانون التناقض ، وهو أن (آ) لا يمكن أن يكون (ب) و (لا — ب) في وقت واحد ، ويسمى ذلك بقانون الاثنينية ويمثل في الجبر المنطقي بـ (س) × (١ — س) = ٠ أو بـ س — س^{٢} = ٠ أي س^{٢} = س ومعناه أن ضرب الحد في نفسه أو القضية في نفسها معادل لمجرد تصور ذلك الحد أو التصديق بتلك القضية تصديقاً بسيطاً . والقضية الثنائية هي القضية الحملية التي لم تذكر الرابطة فيها ، كقولنا : زيد قائم ، بخلاف القضية الثلاثية التي ذكرت الرابطة فيها ، كقولنا : زيد هو قائم . (راجع : الجمع المنطقي ، والضرب المنطقي) .

جميل صليبا

استدراك وتعليق

ونظرة إلى تاريخ بني العباس

— ٩ —

القادر بالله (١) :

مولده سنة ٣٣٦ ـ خلافته سنة ٣٨١ (٩٩١ م) — وفاته سنة ٤٢٢ (١٠٣١ م) .

لم يُروَ له شعر . غير أنه كان ينشد أبياتاً في الزُهد منها :

سبق القضاء بكل ما هو كائنُ　　والله يا هذا لرِزقك ضامنُ
تُعنى بما يَفنى وتترك ما به　　تَغنى كأنك للحوادث ضامن
واعلم بانك لا ابا لك في الذي　　اصبحتَ تجمعه لغيرك خازن

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن إسحق بن المقتدر . أمه أَمَة اسمها : دِمنة ، وقيل تَمني .

كان في غاية الديانة والعبادة ، والفضل والسيادة : كثير الصدقات ، حسنَ الطريقة . صنف كتاباً في الرد على القائلين بخلق القرآن . عدّه ابن الصلاح في علماء الشافعية ، وذكره في طبقاته .

طالت خلافته حتى بلغت إحدى وأربعين سنة وأربعة أشهر .

تفقه على العلاّمة أبي بشر الهروي وصنف كتاباً في الأصول .

ومن دلائل ما كان عليه من مكارم الأخلاق ، ومن مخالفته لما درج —

يا عامر الدنيا ! اتعمِرُ مَنزلاً لم يبقَ فيه مع المنية ساكن
الموت شيءٌ انت تعلم أنه حق وانت بذكره متهاون
ان المنية لا تُؤامِر مَن أتت في نفسه يوما ولا تستأذن[1]

ـــ عليه الخلفاء ، ولا سيا العباسين ، من إساءة الخليفة القائم إلى سلفه في الخلافة ، أنه لما جيء إليه بالطائع ، أنزله حجرة من خاص حجَره ، ووكّل به من ثقاته مَن يقومُ بخدمته ، وأحسن ضيافته . وكان يطلب الزيادة في الخدمة ، فيؤمر له بذلك .

وأرسل إليه يوماً القادر عدَسية ، فقال : ما هذا ؟ قالوا عدس وسلق ! قال : أأكل أبو العباس من هذا ؟ قالوا نعم !

قال : قولوا له عني . أما وقد أردت أن تأكل عدسية ، لِمَ اختفيت ؟ فما كانت العدسية ، تعوزك ، ولِمَ تقلدت هذا الأمر ؟

فأمر حينئذ القادر أن يُفرَد له جاريةٌ من طبّاخاته تطبخ له ما يلتمسه كل يوم . فأقام على هذا إلى أن توفي .

وكان القادر يخرج من داره في زي العامة . وإذا وصل إليه حال ، أمر فيه بالحق . (نقول الحال هنا بمعنى الشكوى ومنه أخذ (عرضحال) .

(١) قال أبو الحسن الأبهري : أرسلني بهاء الدولة في رسالة إلى القادر ، فسمعته ينشد هذه الأبيات . فقلت له : الحمد لله الذي وفق أمير المؤمنين لانشاد مثل هذه الأبيات .

فقال : بل لله المنة إذ ألزمنا بذكره ، ووفقنا لشكره !

الم تسمع قول الحسن البصري في أهل المعاصي : « هانوا عليه ، فعصوه ، ولو عزوا عليه لعصمهم »

يقول بعض من كتب عنه من المؤرخين : إنه في أيامه تراجع وقار ـــ

ـــ الدولة العباسية ، وغا رونقها ، وأخذت أمورها في القوة ، وكانت الخلافة قبله قد طمع فيها الترك والديلم . فلما وليها القادر ، أعاد جدّتها ، وجدّد ناموسها ، وألقى الله هيبته في قلوب الخلق ، فأطاعوه أحسن إطاعة وأتمّها .

حتى قال فيه الشريف الرضي :

شرفُ الخلافة يا بني العباس اليومَ جدّده أبو العباس

ذا الطودُ ابقاه الزمانُ ذخيرةً من ذلك الجبل العظيم الراسي

ليس من شك أن القادر كانت له حُرمة في النفوس . قد يكون مردها إلى أمور منها :

آ ــ أن الترك والديلم الذين كانوا بلاء الخلافة ، وقتلة الخلفاء ، كان قد ضعُف في عهد القاهر أمرهم ، فزال عن الدولة خطرهم ، وسكنت ثوراتهم المتعاقبة . كما أن القرامطة كان قد انتهى أمرهم أو زال .

ب ــ مسلكه المعتدل ، وتعففه عن الأموال ، وتحرجه من سفك الدماء .

ج ــ ما كان عليه من تدين وزهد ، وحسن سيرة ، أوقع له في النفوس حرمة وهيبة .

أما أن يكون أعاد للدولة العباسية وقارها ، وأنه جعل أمورها تأخذ في القوة ، وأنه كان الذخيرة « من ذلك الجبل العظيم الرامي » .

فمحاباة مؤرخ ، ومغالاة شاعر ، قد يشفع لهما في بعض ما قالاه : أنها قاسا الامور بما كان قبله . وإلاّ فالحكم كان للملوك ، وكانت الخلافة في عهده ـ كما كانت في عهد أكثر الخلفاء المتأخرين ـ شبه منصب ديني ، كمثل البابوية في يومنا هذا .

القائم بأمر الله (١) :

مولده سنة ٣٩١ — خلافته سنة ٤٢٢ (١٠٣١م) — وفاته سنة ٤٦٧ (١٠٧٥م) .

هو أبو جعفر عبد الله بن القادر . أمه أم ولد أرمنية وقيل رومية اسمها « بدر الدُجى » وقيل « قطر النَدى » .

---

(١) كان القائم من أفاضل خلفائهم وصُلحائهم . وطالت مدته في الخلافة . وزاد به وقار الدولة ، وتمت قوتها — وفي أيامه انقرضت دولة بني بويه ، وظهرت دولة بني سلجوق .

يقول ابن الأثير : كان القائم ورعاً ديناً زاهداً عالماً ، قويّ اليقين بالله ، كثيرَ الصدقة والصبر . له عناية بالأدب ، ومعرفة حسنة بالكتابة ، ولم يكن يرتضي أكثرَ ما يُكتب من الديوان ، فكان يصلح فيه أشياء ، وكان مؤثراً للعدل والاحسان ، وقضاء الحوائج ، لا يرى المنع من شيء يُطلب منه .

قال محمد بن علي بن عامر الوكيل :

دخلت يوماً إلى المخزن . فلم يبقَ أحد إلاّ أعطاني قصة ، فامتلأت أكمامي منها . فقلت في نفسي : لو كان الخليفة أخي ، لأُعرض عن هذه كلها . فألقيتها في بِركة . والقائم ينظر ، ولا أشعُر . فلما دخلت إليه أمر الخدم باخراج الرِقاع من البِركة . فأخرجت . ووقف عليها ووقّع فيها بأغراض أصحابها . ثم قال لي :

يا عاميُّ ! ما حملك على هذا ؟

قلت : خوف الضجر منها .

فقال : لا تعُدْ إلى مثلها ! فانّا ما أعطيناهم من أموالنا شيئاً ، انما نحن وكلاء .

ولم يزل أمره مستقيما إلى أن قُبض عليه . —

— وكان السبب في ذلك : أن أرسلان التركي البساسيري ، كان قد عظُم أمره ، واستفحل شأنه ، لعدم نظرائه ، وانتشر ذكره ، وتهيبته أمراء العرب والعجم ، ودُعي له على المنابر ، وجبى الأموال وخرّب القرى . ولم يكن القائم يقطع أمراً دونه . ثم صح عنده سوء عقيدته ، وبلغه أنه عزم على نهب دار الخلافـة ، والقبض على الخليفة . وهاجم البساسيري بغداد ، ومعه الرايات المصرية . وقبض على الخليفة القائم ، وسيّره إلى غانة وحبسه بها . ثم غُلب البساسيري ، وظُفر به ، فقتّل . وأعيد الخليفة القائم من محبسه في غانة إلى بغداد ، فدخلها بأبهة عظيمة ، والأمراء والحجاب بين يديه .

ولما رجع القائم إلى داره ، لم ينم بعدها إلا على فِراش مُصلاّه ، ولزِم الصيام والقيام ، وعفا عن كل من آذاه ، ولم يسترد شيئاً مما نُهب من قصره ، إلا بالثمن . وقال :

هذه أشياء احتسبناها عند الله . ولم يضع رأسه بعدها على مِخدّة . ولما نُهب قصره لم يوجد فيه شيء من آلات الملاهي .

وروي : أنه لما سجنه البساسيري كتب قصته ، وأنفذها إلى مكة . فعلّقت في الكعبة وفيها : « إلى الله العظيم من المسكين عبده . اللهم انك العالم بالسرائر ، المطلع على الضمائر . اللهم انك غني بعلمك واطلاعك على خلقك ، عن اعلامي . هذا عبد قد كفر نِعَمك وما شكرها ، والغي العواقب وما ذكرها . أطغاه حلمك حتى تعدى علينا بغياً ، وأساء إلينا عتواً وعدواناً . اللهم قلّ الناصر ، واعتز الظالم ، وأنت المطلع العالم ، والمنصف الحاكم . بك نعتز عليه ، وإليك نهرب من يديه . فقد تعزز علينا بالمخلوقين ، ونحن نعتز بك . وقد حاكمناه إليك ، وتوكلنا في انصافنا منه عليك ، ورفعنا ظُلامتنا هذه إلى حَرمك ، ووثِقنا في كشفها بكرمك . فاحكم بيننا بالحق ، وأنت خير الحاكمين » . —

المستظهر بالله [١] :

مولده سنة ٤٧٠ — خلافته سنة ٤٨٦ (١٠٩٤ م) — وفاته سنة ٥١٢ (١١١٨ م) .

هو أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله .

من شعره :

اذاب حرّ الهوى في القلب ما جمَدا   لما مددتُ الى رسم الوداع يدَا

وكيف اسلكُ نَهج الاصطبار وقد   ارى طرائقَ في مَهوى الهوى قِدَدا

— يقول السيوطي : « زوج الخليفة القائم بنته لطغرلبك ، بعد أن دافع بكل ممكن ثم لان لذلك بوغم منه ، وهذا أمر لم يفعله أحد من ملوك بني بويه ، مع قهرهم الخلفاء ، وتحكمهم فيهم .

قلت : والآن زوج خليفة عصرنا ابنته من أحد مماليك السلطان ، فإنا لله وانا إليه راجعون .

(١) كان المستظهر لين الجانب ، كريم الأخلاق . يحب اصطناع الناس ، ويسارع إلى أعمال البر والمثوبات ، لا يرد مكرمة تطلب منه ، كثير الوثوق بمن يوليه ، غير مصغ إلى سعاية ساع .

غير أن أيامه كانت مضطربة ، نجمت فيها الفتن ، وكثرت الحروب .

استولى العبيديون على بقاع من الشام وانفجرت ثورات الباطنية .

وجاءت الفرنجة ، فما زالت تأخذ البلاد : بلدةً بلدة ، وينهبون ويستبيحون ما يستولون عليه ، إلى أن سقطت القدس في يدهم ، فقتلوا منها ما زاد على السبعين ألفاً ، فيهم جماعة من العلماء والعباد والزهاد . وهدموا المشاهد ، وجمعوا اليهود في الكنيس ، وأحرقوه عليهم .

هذا وملوك المسلمين ، مشغولون عن عدوهم بنازعاتهم الشخصية ، —

— وبحروبهم الداخلية ، وفيهم ، وفي ما كان من الخطب العظيم على البلاد يقول الآبيوردي من قصيدة طويلة :

مزجنا دماءً بالدموع السواجم فلم يبقَ منا عُرضة للمراحم
وشرُّ سلاح المرء دمع يُفيضه إذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فايهاً بني الاسلام إن وراءكم وقائعَ يلحِقن الأذى بالمناسم
أتهويمة في ظِل أمن وغِبطة وعيش كنوّار الخميلة ناعم
وكيف تنام العين مِلءَ جفونها على هبوات أيقظت كل نائم
واخوانكم في الشام يضحي مَقيلهُم ظهورَ المذاكي أو بطونَ القشاعم
تسومهم الرومُ الهوانَ وأنتم تجرون ذيلَ الخفض فِعلَ المسالم

★ ★ ★

وتلك حروب من يَغِب عن غِمارها ليسلم ، يقرع بعدها سن نادم
أترضى صناديد الأعارب بالأذى ويُغضي على ذلٍّ كماة الأعاجم
فليتهم إذ لم يذودوا حمية عن الدين ضنوا غَيرةً بالمحارم
وان زهدوا بالأجر إذ حمي الوغى فهلا أتوه رَغبةً في الغنائم
دعوناكم والحربُ ترنو مُلحةً إلينا بألحاظ النسور القشاعم
تراقب فينا غارةً عربيةً تطيل عليها الروم عضَّ الأباهم

وجاء مودود صاحب الموصل بعسكر ليقاتل الفرنجة ، وبينما هو يصلي الجمعة في الجامع بدمشقَ وثب عليه باطني فقتله .

وزعموا أن ملك الفرنجة كتب إلى صاحب دمشق كتاباً فيه :

« ان أمة قتلت عميدها ، في يوم عيدها ، في بيت معبودها ، لحقيق على الله أن يبيدها » وهذا الكتاب المسجع .... ان لم يكن صدر عن ملك الفرنجة ، فهو وصف لواقع الحال .

قدأخلف الوعدَ بدرٌ قد شُغفت به من بعد ما قدوفى دهري بماوعدَا
انكنت انقِض عهدالحب ياسَكَني من بعد هذا فلا عاينته ابدَا

وفي رواية :

« انكنت انقض عهدالحب في خلدي »

وهي أبيات مقبولة من خليفة على كثرة ما فيها من « قد » .

* * *

المسترشد بالله العباسي (١) :

مولده سنة ٤٨٥ خلافته ٥١٢ (١١١٨ م) — مقتله ٥٢٣ (١١٢٥ م) .

من شعره لما أسره السلطان مسعود السلجوقي :

ولا عجبًا للأُسد ان ظفِرت بها كلاب الاعادي من فَصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حَمزةَ الردى وموت عليٍّ من حسام ابن مُلجَم

وله ، وقد كسر ، وأشير عليه بالهزيمة فلم يفعل وثبت حتى أسر .

قالوا تقيم وقد احاط بك العدو ولا تفر ؟!

---

(١) هو أبو منصور بن المفضل بن المستظهر .

قال فيه السيوطي : « كان ذا همة عالية ، وشهامة زائدة ، وإقدام ورأي ، وهيبة شديدة ، ضبط أمور الخلافة ، ورتبها أحسن ترتيب ، وأحيا رسم الخلافة ، ونشر عظامها ، وشيّد أركان الشريعة ، وطرّز أكمامها ، وباشر الحروب بنفسه . »

وذكره ابن الصلاح في طبقات الشافعية وتاهيك بذلك فقال :

« هو الذي صنف له أبو بكر الشاشي كتاب العُمدة في الفقه ، وبلقبه اشتهر الكتاب . فانه كان حينئذ يُلقب عُمدة الدنيا والدين . » ـــ

فاجبتُهم : المرء ما لم يتعظ بالوعظ غِر

لا نِلتُ خيْرا ما حييـــــت ولا عداني الدهرَ شر

ان كنت اعلم أن غير الله ينفع أو يضر

(له بقية) عارف التكدي

— وذكره ابن السبكي في طبقات الشافعية ، وقال : «كان في أول أمره تنسك ولبس الصوف وانفرد في بيت للعبادة .

وكان مليح الخط ، ما كتب أحد من الخلفاء قبله مثله . يستدرك على كُتّابه ، ويصلح أغاليطَ في كتبهم . »

وكانت أيامه مكدرة بكثرة التشويش والمخالفين . وكان يخرج بنفسه لدفع ذلك ، إلى أن وقع في أمر السلطان مسعود .

وأكبَرَ أهلُ بغداد ذلك ، حتى قيل : إنهم مشَوا في الأسواق ، وحثوا التراب على رؤوسهم ، وبكَوا وضجوا ، وخرجت النساء حاسرات يندبن الخليفة . ومنعوا الصلوات والخطبة .

ووقعت زلازل يومئذ دامت أياماً . فكتب السلطان سنجر إلى ابن أخيه مسعود يقول :

« ساعةَ وقوف الولد غياث الدنيا والدين على هذا المكتوب ، يدخل على أمير المؤمنين ، ويقبل الأرض بين يديه ، ويسأله العفو والصفح . ويتنصل غايةَ التنصل . فقد ظهر عندنا من الآيات السماوية والأرضية ، ما لا طاقة لنا بسماع مثلها ، فضلاً عن المشاهد من العواصف والبروق والزلازل .... وتشويش العساكر ... وامتناع الناس من الصلاة في —

ـــ الجوامع ... ومنع الخطباء . فالله الله تتلافى أمرك وتعيد أمير المؤمنين إلى مقر عزه ... »

غير أن سبعة عشر باطنياً من العسكر ، هجموا على الخليفة في خيمته ، فقتلوه وجرحوه ما يزيد على عشرين جراحة ، ومثّلوا به ، فجدعوا أنفه ، وأذنيه وتركوه عرياناً . وأطلقوا ما ظهر من الآيات السماوية والأرضية ... وقتلوا معه جماعة من أصحابه . قيل ان مسعوداً ما علم بهم ، وقيل بل علم ، وقيل بل هو الذي دسهم .

وفي المسترشد يقول وزيره : جلال الدين الحسن بن علي بن صدقة :

وجدت الورى كالماء طعماً ورقةً وأن أمير المؤمنين زُلاله
وصوّرت معنى العقل شخصاً مصوَّراً وأن أمير المؤمنين مِثاله
ولولا مكانُ الدينِ والشرعِ والتقى لقلت من الاعظام جل جلاله

ومن قول المسترشد :

« اللهم أصلحني في ذريتي ، وأعني على ما وليتني ، وأوزعني شكر نعمتك ، ووفقني وانصرني » .

ما كُتب عن الشاعر

دعبل بن علي الخزاعي

في القديم والحديث

– دراسة نقدٍ وتقويم –

كان ينبغي أن تجتمع لدينا – منذ بدأنا نعنى بفهم تراثنا الأدبي ودرسه – دراساتُ نقدٍ وتقويم، تجمع ما كتب عن كل شاعر وكاتب ولغوي، فتصنفه وتعرض بعضه على بعض، وتنقده وتبين قيمته وتظهر خطأه وصوابه؛ فتكون – بذلك – في يد الباحث دليلاً ميسراً جامعاً يسهل له طريق البحث ويوسع رقعته، ويجنبه بعض مزالقه .

ولو عني الدارسون فينا – كلٌّ في نطاق درسه – أن يصنع هذا الصنيع لاجتمع لدينا من ذلك مقدار لا يسهل حصره، وتيسر لمن بعدنا ما لم يتيسر لنا . وإني عنيت بدرس شاعر آل البيت دعبل بن علي الخزاعي دراسة منهجية خرجتُ منها بهذا التقويم؛ فأرجو أن يكون فيه نفع لكل من له بالشعر السياسي أو بهذا الشاعر الكبير وشعره صلة .

* * *

يمكن أن يجعل ما كتب عن هذا الشاعر – في القديم والحديث – في ثلاث فئات :

١ – كتب التراجم قديمها وحديثها : وهي التي تضم ترجمة للشاعر تطول أحياناً حتى تجاوز الصفحات، وتقصر أحياناً حتى لا تجاوز السطور .

٢ — كتب الأخبار : وهي التي لا تضم ترجمة للشاعر ، ولكنها تسوق أخباراً عنه تأتي في مواضعها ، فهذه قديمة كلها .

ويمكن أن تعد بعض كتب الترجمات السابقة في هذه الفئة أيضاً ، لأنها تحوي أخباراً عن الشاعر ، فضلاً عن الترجمة التي جمعتها له .

٣ — الدراسات التي كتبت عن الشاعر وشعره . ونعد منها :

(أ) المقالات المتفرقة التي نشرت في بعض الدوريات أو صدرت في الكتب .

(ب) والكتب الصغيرة التي كتبت عن الشاعر وشعره .

(ج) والبحوث التي كانت لها بالشاعر وشعره صلة من الصلات .

— ١ —

فأما الترجمات فقد وقفنا منها على ما يقرب من الأربعين [١] ، يعود أقدمها إلى عصر الشاعر (القرن الثالث) ، وينتهي بعضها في هذا العصر .

وتعتبر الترجمتان اللتان كتبتا في عصر الشاعر مصدرين ثمينين : فقد كتب الأولى عالم عرف الشاعر وسمعه وحدثه . وكتب الثانية شاعر كانت أخبار الشاعر وشعره في يديه ، ولعله عرف من عرف الشاعر ولقيه .

فالترجمة الأولى كتبها ابن قتيبة [٢] (ت ٢٧٦ هـ) في كتابه : الشعر والشعراء . وهي ترجمة صغيرة مثل الترجمات الصغيرة التي كتبها ابن قتيبة للشعراء الآخرين . وأثمن ما فيها الرأي الذي أبداه دعبل في شعره على مسمع من

(١) يقع كثير من هذه الترجمات في الكتب التي عنيت برجال الحديث ، لأن دعبلا روى بعض الأحاديث عن المأمون ومالك بن أنس وشريك بن عبد الله وغيرهم (انظر تاريخ دمشق ٣/ ورقة ٢٧ و — ظ) .

(٢) الشعر والشعراء ٢/٨٢٥ — ٩ ؛ وفي الكتاب أخبار أخرى عن الشاعر (ارجع إلى فهرس الأعلام) .

ابن قتيبة . ويلفت نظرنا في الترجمة — وكاتبها من أعلام رجال السنة في عصره — خلوها من الطعن والتشنيع على الشاعر . وهي — فيما عدا ذلك — نقول مختصرة من شعره في الهجاء ، مع تعقيب سريع على بعضها .

والترجمة الثانية كتبها ابن المعتز [1] (ت ٢٩٦ هـ) في كتابه : طبقات الشعراء . وهي مثل الترجمات في هذا القرن : صغيرة تجتمع فيها بعض الأخبار على غير صلة . وخير ما فيها لقاء المبرد (ت ٢٨٥ هـ) — وهو شاب — لدعبل ، فان شيئاً هاماً يمكن أن يستخلص منه . ويلفت نظرنا أيضاً خلو الترجمة — وكاتبها ممن ينعتون بالنصب وبغض الشيعة — من الطعن والتجريح . بل ان فيها النص على مكانة دعبل وشعره في عصره ، وبعد عصره قليلاً .

وفي القرن الرابع يكتب أبو الفرج الأصفهاني [2] (ت ٣٥٦ هـ) في موسوعته الكبيرة : الأغاني أوفى ترجمة للشاعر . فهذه الترجمة تعتبر — إلى اليوم — أوفى ما جاءنا عن الشاعر . وعنها أخذ الذين ترجموا للشاعر بعد أبي الفرج ، بحيث اقتصر جديدهم على بعض الأخبار المتفرقة القليلة . وما كان يمكن أن يُعرف دعبل على نحو ما نعرفه اليوم لولا ما كتبه أبو الفرج .

والترجمة طويلة في أكثر من سبعين صفحة ، يمكن أن تستخلص منها ملامح الشاعر الأساسية . والأخبار فيها مسندة كلها ، ولكن الاسناد لا يخليها — حين نجمع بعضها الى بعض — من التناقض في بعض الأحيان . وقد يصعب على الباحث أن يوفق بين الروايات المتضاربة في بعض المواضع . وليست هناك صلة بين هذه الترجمة والترجمتين المتقدمتين ، فقد أخذها أبو الفرج عن رواة عرفهم .

(١) طبقات الشعراء ٢٦٤ ـ ٨ ، وفي الكتاب أخبار كثيرة أخرى عن الشاعر : (فهرس الأعلام) .

(٢) الأغاني ٦٨/٢٠ ـ ١٤٥ ، وفي الموسوعة أخبار كثيرة أخرى عن الشاعر .

وكتب المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) — في هذا القرن أيضاً — ترجمة أخرى في كتابه : تلخيص أخبار شعراء الشيعة [١] ، وانفرد فيها بايراد روايات شاذة تفسح المجال للبحث والنظر .

وفي القرن الخامس كتبت ثلاث ترجمات للشاعر . الأولى كتبها رجل من رجال الشيعة ، والأخريان كتبهما رجلان من كبار رجال السنة .

فالترجمة الأولى للنجاشي [٢] (ت ٤٥٠ هـ) في كتابه المعروف بكتاب الرجال . وليس فيها شيء غير التعريف بنسبه وتشيعه ومؤلفيه . ولكن ترجمة أخرى مفيدة — على قصرها — كتبها النجاشي في الكتاب [٣] لأخي دعبل (علي بن رزين) وروى خبرها — بالاسناد — عن ولده إسماعيل ، تعتبر مكملة لترجمة دعبل . وقد أفاد منها الخطيب البغدادي [٤] (ت ٤٦٣ هـ) — كاتب الترجمة الثانية — في الترجمة الصغيرة التي كتبها للشاعر في تاريخه الكبير : تاريخ بغداد . وقد طعن الخطيب — وهو من رجال السنة — على دعبل ، وروى من صفاته ما يقبح في العين وينقض ما نعرف من صفات الشاعر في المصادر المتقدمة . وتعتبر هاتان الترجمتان — على كل حال — مفيدتين في تحقيق بعض الأخبار وتوقيت بعض الأحداث في حياة دعبل .

والترجمة الثالثة وردت في الكتاب الموسوم بتراجم الشعراء والمنسوب إلى

---

(١) وصلت إلينا نبذة مختارة من الكتاب فيها ترجمات ٢٨ شاعراً بينهم دعبل . وهي مخطوطة بمكتبة محسن الأمين ، نقل ما فيها من شعر الشاعر وأخباره في كتابه : دعبل الخزاعي .

(٢) كتاب الرجال ١١٦ — ١٧ .

(٣) المصدر نفسه ١٩٧ — ٨ .

(٤) تاريخ بغداد ٣٨٢/٨ — ٨٥ .

الثعالبي [١] (ت ٤٢٩ هـ) ، وجاءت في موضعها من الكلام على بيوتات الشعر العريقة . وهي تتميز بالعطف الواضح على الشاعر . وفيها أحكام استقرئت من مجموع شعره . وفيها جديد في الأخبار لا يوجد في غيرها [٢] ، فهي — بهذا — تعد ترجمة فريدة لا غنى عنها للباحث .

وفي القرن السادس كتب مؤرخ دمشق الحافظ ابن عساكر [٣] (ت ٥٧١ هـ) في تاريخه الكبير : تاريخ دمشق ، ترجمة كبيرة لدعبل اهتم في مطلعها بما حدّث من الحديث عن المأمون ومالك بن أنس وغيرهما . ونقل جملة من هذه الأحاديث وضعفها . ثم انصرف إلى أخباره لجمع الروايات المتعارضة عن اسمه ونسبه . ونقل ما جاء في تاريخ بغداد عن صفاته . وأعاد رواية بعض الأخبار التي نجدها في الأغاني بإسناد جديد خاص . والجديد عند ابن عساكر — من أخبار الشاعر — تسميته امرأة الشاعر ورده خبر قتله على يد المعتصم . وقيمة الترجمة في أن أخبارها كلها تقع باسناد دقيق حتى يحسنه رجال الحديث ، فهذا يعين على التحقيق والموازنة .

وفي القرن السابع كتبت ثلاث ترجمات للشاعر . فأما الأولى فكتبها ياقوت [٤] (ت ٦٢٦ هـ) في معجمه الكبير : معجم الأدباء (ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب) . وهي قصيرة ليس فيها جديد . ولكن احاطته بالترجمات السابقة واطلاعه على شعر الشاعر هيأ له أن يوازن بين بعض الأخبار ويصدر بعض الأحكام . فهذا هو الجديد عنده . ولم يبد ياقوت تحاملاً على الشاعر ،

(١) يغلب أن يكون ذلك خطأ لأننا عارضنا بعض ما فيه من شعر دعبل على ما ورد منه في كتب الثعالبي الأخرى فاختلفا .
(٢) تراجم الشعراء ورقة ٨٤ ــ ٩٨ .
(٣) تاريخ دمشق ٣/ ورقة ٢٧ و ــ ٣٣ و .
(٤) معجم الأدباء ١١/١٠١ ــ ١٠٦ .

على ما يرى به في بعض كتب الشيعة . وقد كان قادراً على أن ينقل من صفات الشاعر ما تفرق في بعض التراجم السابقة ، ولكنه لم يفعل .

والترجمة الثانية كتبها ابن العديم [١] (ت ٦٦٠ هـ) في تاريخه الكبير الذي سماه : بغية الطلب في تاريخ حلب . وهي طريقة أخذ فيها كثيراً عن ابن عساكر ، وزاد عليه أشياء هامة لا يستغنى عنها في تأريخ حياة الشاعر .

والترجمة الثالثة كتبها بعده ابن خلكان [٢] (ت ٦٨١ هـ) في وفيات الأعيان معتمداً الأغاني وتاريخ بغداد . وليس فيها جديد على الاطلاق . إلا أنه جعل الشاعر في أولها خزاعياً صليبة ، ثم جعله في آخرها خزاعياً بالولاء ! وقد نقل عنه القولين — على ما يبدو — ابن حجر [٣] (ت ٨٥٢ هـ) بعد ذلك في لسان الميزان .

وفي القرن الثامن كتبت سبع ترجمات للشاعر لا يكاد يكون فيها جديد . فالثلاث الأولى كتبها الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) في ميزان الاعتدال [٤] وسير أعلام النبلاء [٥] وتاريخ الاسلام [٦] . وأكبرها ما جاء في تاريخ الاسلام ، وأصغرها في ميزان الاعتدال . والجديد فيها رأي الذهبي الصريح — وهو من أعلام رجال السنة — في دعبل . وهو رأي لا ينتهي قبحه . ثم إضافة قبيحة أيضاً إلى صفاته الجسدية التي بدأ خبرها عند الخطيب البغدادي . وما تبقى — في تاريخ الإسلام — فمأخوذ كله عن المصادر المتقدمة دون اسناد . وفي إيراده

(١) بغية الطلب ٥/ ورقة ٣١٨ وما حولها .
(٢) وفيات الأعيان ٢/٣٤ ـ ٨ .
(٣) لسان الميزان ٢/٤٣٠ ـ ٣٢ .
(٤) ميزان الاعتدال ١/٣٢٨ .
(٥) سير أعلام النبلاء ٨/ ورقة ١٣٨ ظ .
(٦) تاريخ الاسلام ٣/ ورقة ١٨٧ ـ ٩٤ .

التفات خاص إلى أخبار مجانه وتقول من شعره فيه ، بحيث تومئ كلها إلى شذوذ الشاعر وتمثل ما أعلن — في الميزان والسير — من « رفضه » و « خبث لسانه ونفسه » .

وقد عني الذهبي — بصفته من رجال الحديث — عناية خاصة برد الأحاديث التي حدث بها دعبل رداً صريحاً قاطعاً ، وأعاد قول الخطيب البغدادي فيها ، وسمى الذين روى عنهم ورووا عنه .

والترجمة الرابعة كتبها ابن فضل الله العمري [1] (ت ٧٤٩ هـ) في كتابه الكبير : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، بلغته المسجوعة . وهو ممن يبغضون الشاعر بغضاً شديداً لأنه أطلق لسانه في الناس . ويبدو أنه متأثر — في ذلك — ببعض المصادر المتقدمة التي أكثرت من ذم الشاعر . وليس فيها جديد على كل حال .

والترجمة الخامسة التي كتبها ابن شاكر الكتبي [2] (ت ٧٦٤ هـ) في عيون التواريخ لخص فيها أخباراً من تاريخ دمشق وتاريخ بغداد كان ابن خلكان نقلها من قبل ، فليس فيها إذن شيء خاص نقف عنده . ولم يبد ابن شاكر ميلا إلى النظر في أي خبر ليقول فيه قوله .

ويصح ما قلناه هنا أيضاً على الترجمة السادسة التي كتبها الصفدي [3] (ت ٧٦٤ هـ) في الوافي بالوفيات . على أنه أفاد — على عادته — من جهد ابن شاكر في التلخيص ، ونظر فيما كتبه الذهبي في تاريخ الاسلام ، ونقل قوله فيما حدث دعبل من الحديث .

---

(١) مسالك الأبصار ٩/ ورقة ٢٨٤ ـ ٨٨ .
(٢) عيون التواريخ ١/ ورقة ١٦٣ و ـ ١٦٥ و .
(٣) الوافي بالوفيات ٨/ ورقة ٥٣ و .

والترجمة الأخيرة كتبها اليافعي [1] (ت ٧٦٨ هـ) في مرآة الجنان ، وهي أسطر تحمل أخباراً قليلة معروفة عن موته ونسبه ورثاء البحتري له ، وما رواه دعبل — ونقله الجاحظ وردده بعده بعض المصادر — عن ديك سهل ابن هارون .

وفي القرن العاشر كتبت ترجمتان سنيتان . الأولى قصيرة كتبها طاشكبري زاده [2] (ت ٩٦٢ هـ) في مفتاح السعادة ، وليس فيها شيء : نقل بعض ما تفرق من صفات الشاعر الجسدية التي أبرزتها بعض مصادر أهل السنة منذ الخطيب البغدادي في القرن الخامس كما قلنا ، وذكر « تخرجه » على مسلم بن الوليد ، وقوله في فضل الشعر ، وحدد تاريخ وفاته .

والثانية طويلة كتبها عبد الرحيم العباسي [3] (ت ٩٦٣ هـ) في معاهد التنصيص ، ونقل فيها أطرافاً من أخبار الشاعر في الأغاني ووفيات الأعيان من الكتب المتقدمة .

وفي القرن الثاني عشر كتبت ترجمتان . كتبها يوسف بن يحيى [4] (ت ١١٢١ هـ) في : نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر ، والبيتي العلوي [5] (ت ١١٨٢ هـ) في مواسم الأدب ، واتكأا فيها على مصادر أهل السنة ، ونقلا أشياء عن معاهد التنصيص والأغاني . ويبدو أن زيدية الكاتب الأول

(١) مرآة الجنان ٢/١٤٦ — ٧ .
(٢) مفتاح السعادة ١/٢٠١ — ٢٠٢ .
(٣) معاهد التنصيص ٢/١٩٠ — ٢٠٦ .
(٤) نسمة السحر ١/ ورقة ١٨٩ ظ وما بعدها .
(٥) مواسم الأدب ١/١٦١ — ٦٤ ولدعبل فيه أخبار أيضاً : ١/ ١٧٣ — ٧٥ و ١/١٧٧ و ٢/١٣٩ .

(يوسف بن يحيى) حجزته عن الارتقاء في مصادر الامامية ، فبدا — في ترجمته — قريباً من أهل السنة ، متحرراً — في بعض أحكامه — من اعلال المذهب .

وكتبت في القرن الذي نحن فيه ترجمات يمكن أن تلحق بالترجمات القديمة : فما أورده المامقاني [1] (ت ١٣٥١ هـ) — وهو من رجال الشيعة — في تنقيح المقال تعريف بمقام الشاعر في أهل الحديث من الشيعة ، نقل مادته عن رجال النجاشي وغيره من مصنفات الشيعة . وتنفعنا فيه لمحات يمكن استغلالها في تحديد صلات الشاعر ببعض الأئمة من آل البيت .

وما كتبه حسن الصدر [2] (ت ١٣٥٤ هـ) — وهو من رجال الشيعة أيضاً — في : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام أخذه عن جملة من كتب الأخبار والترجمات القديمة سنية وشيعية . على أنه حاول أن ينظر في بعض الأخبار التي تعنيه ويحققها .

* * *

هذه هي جملة الترجمات القديمة وشبه القديمة التي كتبت عن الشاعر [3] ، يمكن أن نخلص منها بالملاحظات التالية :

---

(١) تنقيح المقال ٤١٧ ـ ١٩ .

(٢) تأسيس الشيعة ١٩٣ ـ ٩٥ .

(٣) أغفلنا ترجمات أخرى لا غناء فيها مع ما ذكرنا . ويمكن الرجوع إليها في الكتب التالية : كتاب الرجال للطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ونهاية الأرب للنويري (ت ٨٢١ هـ) وخلاصة الأقوال في معرفة الرجال لابن المطهر الحلي (ت ٧٢٦ هـ) . ولسان الميزان لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ) وجامع الرواة للأرديلي (ت ٩٩٣ هـ) وشذرات الذهب لابن العماد (ت ١٠٨٩ هـ) ومنتهى المقـال لأبي علي المازندراني (ت ١٢١٥ هـ) وهدية العارفين للبغدادي (ت ١٣٣٩ هـ) ومنهج المقال لميرزا محمد (ت ١٣١٢ هـ) والذريعة إلى تصانيف الشيعة لآغا بزرك . وترجمات أخرى صغيرة في بعض كتب الحديث .

ا — بعد ما كتبه أبو الفرج في الأغاني عمدة هذه الترجمات وما جاء من الجديد في بعض الكتب بعده — حتى القرن السادس — يسير قد ينفع في التحقيق والموازنة . وليس بعد ذلك شيء يضاف إلى ما تقدم .

ب — ينتهي الاسناد في أخبار الشاعر ، في القرن السادس . وما جاء بعده نقل عن المصادر المتقدمة نقلا ولم يؤخذ بطريق الرواية الحية .

ج — تفترق مصادر أهل السنة عن مصادر الشيعة في تصوير الشاعر : فعلى حين تصوره الأولى شاعراً شاذا خبيث اللسان أصم أحدب في قفاه سلعة ، تعده الثانية بطلاً من أهل الإيمان والمنزلة ، لا تأخذه في الحق لومة لائم .

د — تكون هذه الترجمات — على اختلافها — من أخبار مخلخلة تتوقلت — أحياناً — اطرافها وإثارتها . على أنها تعتبر مادة أساسية يمكن أن تستغل في كتابة حياة الشاعر أو تحديد ملامحها على الأقل ، على أن تخضع النقد ، وتصفى ، وتسد ثغرها ، وتوضع الأحداث في مواضعها — قدر الامكان — حتى يبدو عمل الحياة فيها نمواً واطراداً .

ولننظر الآن في الترجمات الحديثة التي كتبت عن الشاعر ، في ضوء هذه الملاحظات :

فأما الترجمة الأولى فقد كتبها شاده (A. Shaade) في دائرة المعارف الاسلامية [1] ، معتمداً فيها — على ما يبدو — الأغاني وحده ، مع نظرات في معجم البلدان ، وان جهد أن يحيط بكل ما كتب عن الشاعر ، مما ذكره في مصادر المادة التي كتبها . فهذا قصر خطوه ، وأغرقه في افتراضات كان يمكن أن ينفصل في بعضها لو وسع الإحاطة بالمصادر الأخرى ، فإن فيها

(١) Encyclopédie de l'Islam 1/994 — 5 وانظر الترجمة العربية ٩/٢٤١ — ٤٤ ، وقد لاحظنا أن هذه الترجمة لا تتسم بالدقة في أكثر من موضع .

— كما رأينا — روايات تنفع في التحقيق والموازنة ، وقد تسد بعض الثغر • وأغفل — من ناحية أخرى — حقائق في حياة الشاعر لعل الترجمة المختصرة لم تسعها •

على أنه يحمد له أن يسلم — منذ مطلع الترجمة — بعجزه عن كتابة حياة الشاعر ، ويقصر الترجمة على استخلاص بعض الحقائق ومحاولة ترتيبها ترتيباً تاريخياً ، وان بدأ ذلك في بعض جوانبه مختلا • على أنه لما انتهى إلى أن ينظر في شعر دعبل « نظرة نقدية » — على نحو ما سماها — أخطأ خطأً بليغاً ظهر أثره فيمن كتب بعده عن الشاعر من المستشرقين •

والترجمة الثانية كتبها بروكلمان C. Brockelmann في كتابه الكبير : تاريخ الأدب العربي (١) ، واعتمد فيها الأغاني أولاً ، ثم بعض الإشارات المتفرقة في معجم البلدان والعمدة ورسالة الغفران • ولعله نظر نظرة خاطئة إلى ما كتبه Schaade في دائرة المعارف الاسلامية ، فقد لحق به حيناً ثم اختط لنفسه سبيلاً أخرى أكثر اعتدالاً وحرصاً على الارتباط بالنصوص • ولكنه أخطأ في أكثر من موضع ، وذلك — في النصف الثاني من الترجمة — على أنه لم يحرص على ترتيب حقائق حياة الشاعر ترتيباً تاريخياً بقدر حرصه على أن يعرف به تعريفاً عاماً •

ويبقى فضل ما كتبه — باعتباره فهرسة مفيدة — قائماً •

والترجمة الثالثة كتبها جرجي زيدان (٢) (ت ١٩١٤م) في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية • وهي مكونة من مجموعة صغيرة من أخباره وشعره انتقاها

---

(١) Geschichte der Arabischen Litteratur : الأصل 1/77 والملحق : 2 — 1/121 وانظر الترجمة العربية (ترجمة النجار) ٢/٣٩ ـ ٤١ (وقد ضم فيها الملحق إلى الأصل) .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٨١ ـ ٢ .

من الأغاني أولاً ، ورصفها بحيث قدر أن تبدو منها « شاعرية » دعبل وقدرته على « انتقاء الألفاظ » وتسلطه على الهجاء وانصرافه إلى مدح آل البيت بمدائح « بغاية البلاغة » . فالترجمة إذن تعريف سريع بالشاعر لم يرم كاتبها إلى أبعد منه . وقد تبدو بعض الأخبار التي ساقها نابية في موضعها ، وقد يحتاج بعضها إلى أن ينظر فيه .

والترجمة الرابعة كتبها هيوار Cl. Huart في كتابه أدب عربي (١) . وهي مختصرة أفاد فيهـا من الأغاني ومما كتبه Schaade في دائرة المعارف الإسلامية . ولم يرم إلى أكثر من أن يعرف بالشاعر وبمكانته الفنية تعريفاً عاماً . وبعض ما قاله في حاجة إلى تصحيح .

والترجمة الخامسة كتبها بطرس البستاني (٢) في كتابه : أدباء العرب في الأعصر العباسية ، فأحسن — أحياناً — فهم الأخبار . ولكنه ظن أن ما قرأه منها جامعاً لأخبار حياة الشاعر كلها فأجاز لنفسه أن يخطئ ويصوب ويقرر الأحكام في غير حرج . ويؤخذ عليه — في الجملة — ابرامه الأحكام القاسية العامة في غير كلفة ، من مثل قوله : « فليس في أخلاق دعبل ما يستحق الحمد والثناء ، فهو عصارة اللؤم المصفى » . ولو قدر له أن يطلع على أخبار الشاعر في كتاب الفهرست لابن النديم لرجع عن كثير مما قاله . ولو اطلع على نماذج أخرى من شعره — غير التي قرأها — لغير ذلك مما قاله في شعره ومسلكه فيه . وربما كان اطلاعه على ترجمة الشاعر في تاريخ دمشق لابن عساكر ينفعه في نقد بعض الروايات التي قرأها في الأغاني ، عن طريق مقابلتها بروايات أخرى في تاريخ دمشق أكثر اتفاقاً مع ما نعرف من أحداث حياة الشاعر وما نقرأ من شعره .

---

(١) Litterature arabe P. 78 — 9

(٢) أدباء العرب في الأعصر العباسية ١٢٣ ـ ٣٦ .

والترجمة السادسة كتبها محمد سيد كيلاني [1] في كتابه : أثر التشيع في الأدب العربي ، ووفق فيها — من حيث لا يدري على الأغلب — إلى أن عد الشاعر كيسانياً مثل كُثَيِّر والسيد الحميري ! ولم يفرق بين موضع ولادته وموضع موته . ولم يكن الكاتبها — فيما يبدو — غرض غير التعريف بالشاعر على الوجه الذي اختاره !

والترجمة السابعة كتبها حنا الفاخوري [2] في كتابه : تاريخ الأدب العربي ، فأحسن فيها قراءة النصوص فلم يشذ عنها . واقتصر على ملامح حياته الكبيرة المقررة . وأفاد مما كتبه العقاد في المراجعات فخرج — في دراسة سلوكه باعتماد النص — بحكم عاثل حكمه . ويؤخذ عليه التعميم الذي يضيع في ثناياه كثير من المفارقات الانسانية ذات الأثر الواضح في تكوين ملامح الإنسان النفسية وتفسير سلوكه . على أن الترجمة — وهي تعتبر دراسة أيضاً — تؤدي غرضها المدرسي الذي كتبت من أجله . وقد بث فيها نظرات نقدية سليمة على الاجمال أفاد في بعضها مما كتبه مارون عبود في الرؤوس .

والترجمة الثامنة كتبها الدكتور ناصر الحاني [3] في كتابه : النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي ، واعتمد فيها الأغاني وحده تقريباً . وكان غرضه أن يصور مسلك الشاعر في الهجاء (وهو المسلك التقليدي في رأيه) فأكثر من عرض النماذج التي تدال على « شرة الشاعر واستعداده للهجاء » .

والترجمة التاسعة — وهي الأخيرة — كتبها الدكتور محمد نبيه حجاب [4]

---

(١) أثر التشيع في الأدب العربي ١٢٦ ـ ٣٠ .
(٢) تاريخ الأدب العربي ٥٠٥ ـ ٨ .
(٣) النقد الأدبي وأثره في الشعر العباسي ١٤٦ ـ ٦٣ .
(٤) مظاهر الشعوبية في الأدب العربي ١٠٣ ـ ٤ .

في كتابه : مظاهر الشعوبية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري . وهي — كلها — ورطة كبيرة ساقه إليها وهم وقع فيه ابن خلكان إذ أخرج الشاعر من العرب ، وزاد عليه هو فأدخله في الفرس ! وقد كان نظر بسيط في خبر ابن خلكان يعطفه على مطلع الترجمة كفيلاً أن يجلو الأمر . ثم لم يكفه ذلك فأخرج الشاعر من الشيعة أيضاً وعد تشيعه « لمآرب سياسية فارسية » ! ودلل على ذلك بما ذكره من افتراء الشاعر لحديث على أنس بن مالك — ولم يقل بذلك أحد غير الكاتب — وبما قاله فيه أبو العلاء في رسالة الغفران ! ثم فسر — بعد ذلك — بعض هجائه تفسيراً يصله بهذه المقدمات .

☆ ☆ ☆

نخرج من تقويمنا للترجمات الحديثة [1] التي كتبت عن الشاعر بغير طائل كبير . وقد كتب معظمها للتعريف بالشاعر . وما كتب منها للدراسة والبحث قصر عن الإفادة من مصادر كثيرة ونماذج مدفونة من شعره كانت تعين على تصحيح بعض الأحكام وجلاء بعض الغوامض . ويبقى ما كتبه Schaade في دائرة المعارف — على ما فيه — أقربها إلى التدقيق والالتزام بنهج من المناهج ، وأكثرها شعوراً بالتبعة ورغبة في مواجهة الصعاب . ثم يليه في ذلك بطرس البستاني وحنا الفاخوري .

— ٢ —

فأما كتب الأخبار فليست كثيرة . والأخبار فيها متفرقة مبتورة . وهي

(١) أغفلنا ذكر الترجمتين الواردتين في كتاب عصر المأمون لمحمد فريد الرفاعي (٣/٢٠٥ — ٦٤) والحياة الأدبية في العصر العباسي لعبد المنعم خفاجي (١٧٨ — ٨٩) لأنهما مجموعة من النقول عن الأغاني بخاصة ، ويمكن أن تلحقا بالترجمات شبه القديمة التي ذكرناها هنا من قبل .

أكثر ما تعين على دراسة شعر الشاعر ومعرفة قدره في الرواية وذوق الشعر . وقد يعنى بعضها بتفصيل واقعة من الوقائع في حياة الشاعر أو حياة بعض من كانت له بهم صلة لصيقة ذات أثر في حياته . وربما عجزنا عن استغلال بعض الأخبار فيها لما يتخلل حياته من غموض وانقطاع في بعض الأحيان .

وأهم هذه الكتب [1] :

كتاب بغداد لابن طيفور (ت ٢٨٠ هـ) وهو يلقي ضوءاً حسناً على صلات الشاعر ببعض رجال العصر في خلافة المأمون .

وديوان ابن الرومي المخطوط بدار الكتب المصرية (١٢٩ أدب) . وهو لا غنى عنه في دراسة تأثير شعر الشاعر على كبار الشعراء بعده ، وما سبق إليه من طرق الهجاء .

وكتاب الورقة لابن الجراح (ت ٢٩٦ هـ) ويكاد يحفظ لنا ملامح كثيرة متكاملة من كتاب دعبل الضائع : طبقات الشعراء ، ويصور لنا منهجه الذي اتبعه في تصنيفه . وربما أعان على تقدير مكانته في الدراية بالشعر والشعراء وصلته ببعض معاصريه منهم .

وكتاب الوزراء والكتاب للجهشياري (ت ٣٣١ هـ) ويعين على فهم صلات الشاعر ببعض وزراء العصر وكتابه .

وكتاب أخبار أبي تمام والأوراق للصولي (ت ٣٣٥ هـ) صانع ديوان دعبل .

(١) أغفلنا الكتب الثانية لأن في بعض ما سنذكره غناء عنها : الفرج بعد الشدة للتنوخي (ت ٣٨٤ هـ) ومعرفة أخبار الرجال للكشي (القرن الرابع) والارشاد للشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ) وبشارة المصطفى للطبري الآملي (القرن السادس) وروضة الواعظين للفتال النيسابوري (القرن السادس) والغرر والصور للوطواط (ت ٧١٨ هـ) .

ويعنى الأول ببعض أخبار الشاعر مع أبي تمام . وقد يفتح بذلك باباً لتبين صلات الشاعر بشعراء عصره . ويعنى الثاني بأخبار الشاعر مع إبراهيم بن المهدي ؛ وهي أخبار معروفة تعين على توثيق ما جاء منها في المصادر الأخرى .

وكتاب الولاة (لولاة مصر) للكندي (ت ٣٥٥ هـ) ويجلو أحداثاً وصلات تتصل بحياة الشاعر في مصر .

وكتاب الموازنة والمؤتلف والمختلف للآمدي (ت ٣٧٠ هـ) والموشح ومعجم الشعراء للمرزباني (ت ٣٨٤ هـ) وتنفع في دراسة شعره وأحكامه النقدية ومعرفته بالشعراء وشعرهم ، وفي استكمال ملامح نافعة من كتابه الضائع : طبقات الشعراء .

وكتاب عيون أخبار الرضا لابن بابويه (ت ٣٨١ هـ) وهو من كتب الشيعة المتقدمة ، وينفع في تصوير ما عنوا به من أخبار مقابلة الشاعر للإمام الرضا في خراسان ، وما تناقلوه - من بعد - عن انتفاعه بجبة الإمام .

وكتاب مرآة المروءات للثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) وفيه خبر هام يعين على تقدير ما عرف في عصر الشاعر من حسبه ومروءته .

وكتاب الإبانة عن سرقات المتنبي للعميدي (ت ٤٣٣ هـ) وينفع في دراسة مكانة شعره وتأثيره على كبار الشعراء من بعده .

وكتاب الأمالي للطوسي (ت ٤٦٠ هـ) وهو من مصادر الشيعة ، وينفع في تصوير مقابلة دعبل للمأمون وانشاده رائيته الكبيرة .

وكتاب العمدة لابن رشيق (ت ٤٦٣ هـ) وفيه أخبار متميزة تنفع في دراسة شعره وتلقي ضوءاً على بعض أحداث حياته .

وكتاب معجم البلدان لياقوت (ت ٦٢٦ هـ) وفيه أخبار كثيرة هامة ترد

في مواضعها من الكلام على بعض البلدان والمواقع . وهي أخبار تنفرد بها بالفوت بحيث لا يمكن أن يستغنى عن معجمه هذا في معرفة الشاعر .

وكتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي (أواخر القرن السابع) وينفع في معرفة ما وقع لدعبل مع الشاعر التاهرتي بكر بن حماد الذي كان يزور بغداد أيام المعتصم . ويبين جانباً من عطف أبي تمام على دعبل ودفعه المكروه عنه . وخبره في ذلك فريد .

وكتاب الفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ المالكي (ت ٨٥٥ هـ) وهو من كتب الشيعة المتأخرة . وقد نقل وصف زيارة الشاعر الإمام الرضا في خراسان ، على نحو ما وردت في كتب الشيعة من قبل . على أن فيه ما يعين على فهم عقيدة الشاعر فهما حسناً .

☆ ☆ ☆

ونعتقد أنه لا يمكن أن يستغنى عن كتاب من هذه الكتب في كتابة حياة الشاعر وفهم تجاربه ودراسة شعره ، فان في كل منها أخباراً ينفرد بها بحيث يضيء جانباً ليست للكتب الأخرى صلة بها [1] .

---

(١) يمكن أن نضيف الى ما ذكرنا الكتب التالية ــ وفيها أخبار متفرقة ينتفع ببعضها : العقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) ، والأمالي وذيله للقالي (ت ٣٥٦ هـ) ، وزهر الآداب وذيله للحصري القيرواني (ت ٤٥٣ هـ) ، والأمالي والحماسة لابن الشجري (ت ٥٤٢ هـ) والحماسة البصرية للبصري (ت ٦٥٩ هـ) ، وجمهرة الإسلام للشيزري (ت ٦٢٢ هـ) ومعالم العلماء لابن شهرآشوب (ت ٥٨٨ هـ) ، ومقتل الحسين لأخطب خوارزم (ت ٥٦٨ هـ) والدر الفريد لابن أيدمر (ت ٦٩٤ هـ) ، وكتب التذكرات لابن حمدون (ت ٥٦٢ أو ٦٠٨ هـ) والصفدي (ت ٧٦٤ هـ) ، وتحفة المجالس للسيوطي (ت ٩١١ هـ) والمنتخب في المراثي والخطب لابن طريح النجفي (ت ١٠٨٥ هـ) والمجموعة المخطوطة (٨٧٠ أدب تيمور) بدار الكتب المصرية .

أما الدراسات التي كتبت عن الشاعر فلا تتعدى — كما قلنا من قبل — :

أ — مقالات قليلة نشرت في بعض المجلات والكتب .

ب — وكتبا صغيرة صدرت في بغداد ودمشق .

ج — وآراء وأحكاما تتصل بالشاعر وشعره ، في بعض البحوث .

نعد من المقالات ما كتبه العقاد في كتابه : مراجعات في الآداب والفنون ، وما كتبه مارون عبود في كتابه : الرؤوس ، وما نشره عبد الحليم عباس وعبد العظيم علي القناوي في مجلة الرسالة .

ونعد من الكتب كتاب السيد محسن الأمين الذي سمي (دعبل الخزاعي) ، وهو طبعة مستقلة لما نشر — في الأصل — في كتابه الضخم أعيان الشيعة . والكتاب الصغير الذي أصدره جرجس كنعان وسماه (دعبل الخزاعي) أيضاً . والفصل الذي عقده خليل رشيد في كتابه الصغير : ثلاثة من الأعلام .

ونعد من البحوث التي وردت فيها آراء وأحكام تتصل بالشاعر وشعره كتاب ابن الرومي : حياته من شعره للعقاد ، وكتاب صريع الغواني للدكتور جميل سلطان ، وكتاب المدائح النبوية في الأدب العربي للدكتور زكي مبارك وكتاب تاريخ الشعر السياسي لأحمد الشايب ، وكتاب Langue et littérature arabes لإبلا (Cl. Pellat) ؛ كتاب Un poète arabe du III : Buhture siècle de l'Hégire للدكتور صالح الأشتر ، وكتاب حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق للدكتور محمد جابر عبد العال ، وكتاب أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري لعبد الحسيب طه حميدة ، وكتاب الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري للدكتور أحمد عبد الستار الجواري ، وكتاب مسلم بن الوليد صريع الغواني لفؤاد حنا ترزي ، وكتاب فن الهجاء لايليا حاوي .

* * *

١ — ونعتبر مقالة العقاد [١] — على قصرها وضعف التثبت من النصوص التي اعتمدتها والرغبة العميقة في التعميم — مقالة رائدة ، ألقت ضوءاً كاشفاً على نفس الشاعر ، فأعطت بهذا تفسيراً جامعاً لسلوكه . وقد أفاد منها كثير من الباحثين تابعوا العقاد ، على غير وعي أحياناً بما يضيعه التعميم من مفارقات عظيمة الخطر .

ونقل عنها كثيراً المقالة التي كتبها مارون عبود [٢] ، فقد درج فيها على نهجه الذاتي المفرط . ولم يفلح تظرفه وأسلوبه المسرحي في إلقاء الأحكام في أن يخفي ابتسارها . وغرق — وهو يسبح وراء العقاد — في محاولة لقياس شخصية الشاعر بمقياس واحد مستخلص من فروق ذهنية غامضة بين كلمتي : الظرف والشطارة .

فأما مقالة عبد الحليم عباس : دعبل الخزاعي الشاعر المتمرد [٣] ، فقد انطلق فيها مما كتبه العقاد . ولكنه فرط — في النصف الأول منها — بالكلام على شعره ، فلما بدأ — في النصف الثاني — الكلام على قصة لتفسير تمرده بدا معوله كليلا ، فاكتفى بأن ضرب أمثلة من هجائه ، ثم انتهى إلى أن نفسه « فطرت على الشعر » ، « فالسر في تركيبه » !

ومقالة عبد العظيم علي القناوي : دعبل الشاعر الشجاع الوفي [٤] ، محاولة رقيقة — نظر فيها إلى العقاد أيضاً — لتفسير ما قرر الكاتب من شجاعة الشاعر ووفائه . ولكنه اضطرب بين الأسباب والمسببات فقرر — في البدء — أن « السر في شجاعته أنه كان أول أمره وبدء نشأته من الطريق وولغة دمه

(١) مراجعات في الآداب والفنون ١٦٤ وما بعدها (مع كلامه على بشار بن برد) .
(٢) الرؤوس ١٣٦ ـ ٩ .
(٣) الرسالة : السنة ٥ ص ١٠٨٧ ـ ٩ .
(٤) الرسالة : السنة ١٤ ص ١٠٦٠ .

البشر » ! ثم عاد فتحدث عن « نفسيته الحانقة على البشر » ، ثم رآه – مع ذلك – وفيا لآل البيت !

فمقالة العقاد إذن هي المقالة الأصيلة التي تحكم هذه المقالات وتأمرها ، بحيث تضطرب كلها في شباكها .

ب – فأما كتاب السيد محسن الأمين : دعبل الخزاعي [١] ، فمجموعة من النقول عن المصادر القديمة – سنية وشيعية – جهد أن يرتبها من حول الموضوعات التي قررها ، فأخفق أحياناً . وقد يعجز الباحث أن يلقى الكاتب على صفحات الكتاب إلا في مواضع قليلة ، في مثل الموضع الذي اتهم فيه ياقوتاً بالنصب [٢] . ويبقى للكتاب فضل جمع النصوص من بعض مصادرها الشيعية التي تبعد عنا أحياناً .

وكتاب جرجس كنعان : دعبل الخزاعي [٣] ، محاولة لترتيب مادة الأغاني ترتيباً تاريخياً مع النظر إلى بعض المراجع القليلة الأخرى . وغرضه « إظهار الوجه الأبيض من حياة دعبل » و « الطلوع على العامة بأثر هذه الشدة التي كان يقاسيها أصحاب العقائد [٤] » . وقد كلفه التزام العمل لهذا الغرض أن يصطنع التأويل والافتراض ، ليغطي على القارئ بعض الحقائق . فكان يتلمس لدعبل

(١) يقع في حوالى مائة صفحة من القطع المتوسط .

(٢) دعبل الخزاعي للأمين ٧٥ ، وبذلك يبين خطأ من قال فيه : « أن المؤلف يمحص الأخبار ويطرح الزائف منها وينقد المشكوك فيه ، ويقارن ويوازن : وقد يستنبط فوائد كثيرة تدل على ميله إلى التحليل العميق » : ابراهيم الوائلي : كلمة في الكتاب : الرسالة : السنة ١٨ ص ٢٣٠ – ٣١ .

(٣) يقع في ١١٤ صفحة من القطع المتوسط .

(٤) دعبل الخزاعي لكنعان ٤ ؛ وهو – في الأصل – رأي السيد محسن الأمين الذي أبداه في كتابه : دعبل الخزاعي للأمين ٨ و ١٩ .

الأعذار جاهداً في كل خطوة ، ويلقي على معاصريه - ممن خالفهم - إصر ما فرط من دعبل !

على أن الكتاب لم يؤت من هنا بقدر ما أتى من معرفة الكاتب بالرجال والأحداث معرفة ناقصة ، ومن جرأته - مع ذلك - على إصدار الأحكام وتخطئة أعلام المؤرخين في أيسر كلفة !

والفصل القصير الذي كتبه خليل رشيد في كتابه : ثلاثة من الأعلام[1] ، نظر فيه نظراً حاداً إلى كتاب جرجس كنعان وترسم طريقه ، ولكنه لم يبلغ مبلغه . فما زاد الفصل على أن يكون تعقيبات انشائية - ذات صبغة مذهبية واضحة - على بعض الأحداث والنصوص الشعرية .

وتبقى بعد ذلك محاولة مدرسية كتبها بدر المقداد - في جامعة دمشق - بعنوان : حياة دعبل بن علي الخزاعي[2] ، وقدم لها بوصف « الحالة السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية والأدبية » في عصر دعبل . وتطرق إلى الكلام على عقيدته ونفسيته واتصاله بالخلفاء والأمراء وبعض شعراء العصر . والمحاولة في مستوى مدرسي لا يضير صاحبها .

فليس يكاد يكون في هذه الكتب إذن ما يضيف إلى القديم إضافة حقيقية ملحوظة . ويبقى كتاب الأمين خيرها ، لأنه يجمع بعض المواد المشتتة أو البعيدة فيقربها إلينا .

ج - ويذكر العقاد في كتابه : ابن الرومي : حياته من شعره ، دعبلا

(١) يقع الفصل في اثنتين وعشرين صفحة من القطع الصغير : ثلاثة من الأعلام ٩٤ - ١١٦ .

(٢) تقع في تسع وثلاثين صفحة من القطع الكبير .

في موصفين : الأول كلامه على هجاء ابن الرومي [١] ، ويأتي فيه برأي في هجاء دعبل لا تؤيده الشواهد القريبة من شعره . والثاني كلامه على ابن الرومي وشعراء عصره [٢] ، وفيه بيان لتأثر ابن الرومي — في مطلع حياته — بدعبل ، قائم على شواهد صحيحة مما حفظ ديوان ابن الرومي من معارضة لبعض قصائد دعبل . وفيه رأي جريء في تأثير دعبل على ابن الرومي ليس هذا موضع تفصيله .

وعرض الدكتور جميل سلطان [٣] في كتابه : صريع الغواني ، لصلة دعبل بأستاذه مسلم بن الوليد بما لا يخرج عن الروايات المعروفة في المصادر القريبة .

وخصص الدكتور زكي مبارك [٤] في كتابه : المدائح النبوية في الأدب العربي فصلا للكلام على تائية دعبل في مديح آل البيت . ولكنه لم يتكلم عنها ، وانما نقل — في آخر الفصل — أخباراً عنها وردت في الأغاني ثم أوردها كلها عن معجم الأدباء . فأما الجزء الأول من الفصل فخصصه للنظر في « المشكلة الحقيقية في نفسية دعبل » وهي — في رأيه — اجتماع « الشر » و « التصوف في حب أهل البيت » في نفسه . وقد انتهى — في « حلها » — إلى مقالة العقاد سابقة الذكر ، وما أشك أن الكاتب قرأها قبل أن يكتب هذا الفصل . على أنه قدر أن يتلمس — لأسباب لعلها لا تبعد كثيراً عن نفس الكاتب — عقدة الهزيمة في نفس دعبل ، فهذا وحده إضافة كبيرة .

وفطن أحمد الشايب [٥] في كتابه : تاريخ الشعر السياسي إلى صفة عامة من

(١) ابن الرومي : حياته من شعره ٢١٧ — ١٩ .
(٢) المصدر السابق ٢٣٥ — ٨ .
(٣) صريع الغواني ٢٨ — ٣٦ .
(٤) المدائح النبوية في الأدب العربي ١٠٢ — ١١٦ (الفصل الخامس) .
(٥) تاريخ الشعر السياسي ١٦٢ وقد عرف الكاتب بالشاعر في مواضع أخرى من كتابه : ص ٩ و ١٧١ — ٢ .

صفات شعر الشاعر السياسي، في انصرافه عن الحجاج إلى التصوير المؤثر. ولكنه قصر ذلك على الثانية لأنه — على ما يبدو — وقف عندها من دون شعره السياسي كله.

وضرب Charles Péllat[1] في كتابه Langue et littératures arabes شعر دعبل مثلا على اختلاط الهجاء بالمديح عند شعراء العصر. وأظهر — في حكمه على شعره — تأثره بما كتبه Schaade في دائرة المعارف الاسلامية.

وعرض الدكتور صالح الأشتر — في مواضع كثيرة من رسالته[2]: Un poète arabe du III_e siècle de l'Hégire : Buhturi. اصلة البحتري بدعبل، فنحا في تفسيرها نحواً مذهبياً حقيقاً بالنظر، لما لمس من ميل البحتري إلى التشيع ميلا جهد في اخفائه كي لا يفسد حياته[3].

وذكر الدكتور محمد جابر عبد العال[4] في كتابه: حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق، دعبلا، فوضعه في الشعراء المجان الذين اتسم هجاؤهم — لتأثرهم بجرأة «الرافضة» في الكوفة بخاصة على الثلب والطعن — بالفحش والاقذاع. وضرب لذلك أمثلة من شعره السياسي. وانتهى إلى أن الشاعر أمامي يدين بعقيدة الامامية!

وورد ذكر الشاعر في كتاب: أدب الشيعة إلى نهاية القرن الهجري، لعبد الحسيب طه حميدة مرات قليلة حشر فيها في زمرة الامامية المنادين بالرجعة والواصلين «إلى قمة التصوف في الحب الشيعي والإخلاص في الرأي والفناء في العقيدة[5]».

(١) Langue et littérature arabes p. 114

(٢) V. l'index des noms propres p. 347

(٣) Une poète arabe du III siècle ... p. 93, 1645

(٤) حركات الشيعة المتطرفين ١١٤ - ١٥، ١٢٢ - ٢٥ (على التعاقب).

(٥) أدب الشيعة ٩٢، ١٠٥، ١٥٩ - ٦٠ (على التعاقب).

وذكر الدكتور أحمد عبد الستار الجواري [١] في كتابه : الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث ، دعبلاً في مواضع كثيرة : فضرب من شعره أمثلة من المعاني التي كان شعراء العلوية في عصره يرددونها ، من رثاء آل البيت وهجاء الخلفاء العباسيين . وأشار إلى إسهامه في إثارة العصبية القبلية وتأثره — في أول حياته الفنية — بأستاذه مسلم بن الوليد ، ثم خروجه عليه وعوده إلى « تقليد القدماء واتباع طريقتهم » . وضرب من شعره أمثلة على الهجاء الساخر الذي شاع عند شعراء القرن الثاني وأخذ به دعبل .

وعرض فؤاد حنا ترزي [٢] في كتابه : مسلم بن الوليد صريع الغواني ، لصلة دعبل بمسلم ، فأشار إلى الرعاية الفنية التي شمل بها مسلم دعبلا في مطلع حياته . ولكنه لم يبين أثرها في شعر دعبل ، واكتفى بأن أعاد ماروته المصادر المختلفة من اتفاقهما على المجون يوماً ، وافتراقهما على أثر زيارة دعبل لأستاذه في جرجان .

وعقد ايليا حاوي [٣] في كتابه : فن الهجاء وتطوره في الشعر العربي ، فصلاً تكلم فيه على هجاء الشاعر ودلالاته النفسية . ولكنه قصر اطلاعه على ما في الاغاني ، وعمم أحكامه أحياناً حتى ليعد كلامه — فيها — صورة أمينة لما تحفل به بعض دراساتنا العامة من تفصيلات خاطئة . فاذا تجاوزنا ذلك وأغضينا عن كلف الكاتب — في بعض الأحيان — بالتعبير الغريب الغامض ، خرجنا

---

(١) الشعر في بغداد ١٠٦ — ٩ ، ١١٧ ، ١٤٠ — ٤٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٢ ، — ٤٣ ، ٢٤٦ (على التعاقب) .

(٢) مسلم بن الوليد ١٧٧ — ٨٠ .

(٣) فن الهجاء ١٣٥ — ٥٢ .

من الفصل بتفسير نفسي مهوش لهجاء الشاعر ، ولكنه – على هذا – لا يخلو من صدق التصوير وحسن التقويم في عرضه للنماذج المختلفة .

ويعد هذا الفصل – إلى جانب ما كتبه العقاد ومبارك والجواري – أحسن ما وقفنا عليه من هذه البحوث [1] ، لأنها خرجت عن مجرد التعريف والعرض إلى التفسير والنقد ، فأضافت بذلك جديداً يعين على تقويم القديم وفهمه وتذوقه ، وهو ما لم توفق إليه البحوث الأخرى .

الدكتور عبد الكريم الأشتر

---

(١) أغفلنا ما كتبه محمد جواد مغنية في كتابه : الشيعة والحاكمين ، لأنه تكرار لما توصف به التائية ، في بعض مصادر الشيعة : الشيعة والحاكمون ١٧١ – ٢ .

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

— ٣ —

رقم المصطلح			رقم المصطلح
1497	Ballonné, ée météorisé, ée	مُتَطَبِّل ، حَبِط	١٤٩٧
1498	Ballonnement, gonblement V. météorisme	تَطَبُّل ، انْبِاج ، انظر حَبَط	١٤٩٨

وأرجح في ترجمة اللفظة الأولى منتفخ البطن وفي الثانية انتفاخ البطن وانتباجه (١)

1507	Bandage, pansement	رَبْط ، تَضْمِيد	١٥٠٧

(١) ليس في اللغة فعل تطبّل ونحن في غنى عن استعماله ما دامت لفظة انتفاخ تفيد المعنى نفسه وكذلك لفظة حبَط وحبِط فهي الانتفاخ أيضاً . فقد جاء في اللسان : والحَبَط وجع يأخذ البعير في بطنه من كلاء يستوبله وقد حبط حبَطاً فهو حَبِط، إلى أن قال : وحَبِطت الشاة بالكسر حبَطاً انتفخ بطنها عن أكل الذرق .

وأقر مجمع اللغة ضِمادة للفظة (Bandage) .

1527 Bandelette, ruban سبيبة ١٥٢٧

وأرجح شُرَيطة تصغير شَريط . أما سبيبة فهي خاصة بخُصلة الشعر [١] .

1529 Bandelettes du colon, Taenia coli سَبائب القولون ١٥٢٩

وأرجح شُريطات القولون ، شريط القولون (وقد أهملته اللجنة) .

1533 Barbe de plume, barbe de caoutchouc بُرائل الريشة ، بُرائل المَطّاط ١٥٣٣

وأرجح أن يقال خيوط الريشة ونواتئ المَطّاط . فقد جاء في معجم لاروس في شرح اللفظة الأولى الخيوط (Filaments) المفروشة في جوانب ريشة الطير ، وفي شرح اللفظة الثانية الخيوط التي تبدو في حافات بعض الأشياء بعد قطعها . ولا أرى لفظة بُرائل تدل على المعنى المطلوب [٢] .

1575 Bassin nain حَوضة قَزمة ١٥٧٥

وأرجح حوضة صغيرة أو حُويضة .

1584 Bassin transversalment rétreci par ankylose, bassin de Robert حَوضة ضَيِّقة عرضانياً بالجسأة حوضة روبير ١٥٨٤

والأفضل حوضة ضيقة عرضانياً بالقَسَط [٣] ، حوضة روبير .

1591 Bâton de pommade قَلَمٌ من مرهم ١٥٩١

(١) في اللسان : والسَّبيب والسَّبيبة الخُصلة من الشعر .

(٢) في لسان العرب : البُرائل ما استدار من ريش الطائر حول عنقه وهو البُرْؤُلة ، وخص اللحياني به عُرْفَ الحُبارى فاذا نَفَشه للقتال بَرْأل ، وقيل هو الريش السَّبْط الطويل لا عرض له على عُنُق الديك فاذا نَفَشه للقتال قيل قد ابْرأل الديك وتبرأل والخ .

(٣) الصفحة ٤٧٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

وأرجح عُود مرهم ان لم يكن أنبوب مرهم أو قلم مرهم .

1598 Bandruche ١٥٩٨ جِلْدة مصنوعة من المرغة

وأفضل جُليدة مصران .

1611 Béchique ١٦١١ دَافِعُ سُعال ، صدري

1612 Béchiques, pectoraux ١٦١٢ دَافِعات السُعال ، صدريات

وأرجح مهدئ للسعال في الأولى ومهدئات السُعال أو صدريات في الثانية .

1613 Bégayment bégaiement ١٦١٣ تأتأة ، الكَنّ ، جَلْجَة

ودرجت على ترجمة اللفظة بالكن مخصصاً لفظة جَلَجة ترجمة لـ (Paraphasie)

وقد أهملها المعجم الأصلي .

1618 Belladone (fruit de la) ١٦١٨ البَلادون ، الحسناء (ثَمَرُ) اللُفّاح

وأقر مجمع اللغة ست الحسن .

1655 Bile, fiel ١٦٥٥ صفراء ، مِرّة

وأقر مجمع اللغة المِرّة معرفاً إياها بسائل يفرزه الكبد . وخصص لفظة الصفراء للمزاج الصفراوي أو الخلط الصفراوي (Biliary humour) .

1659 Bilirubine ١٦٥٩ يافوتين

والأفضل تعريبها بيليروبين .

1669 Biscuit ١٦٦٩ كُبَيْبَة (بِسْكوت)

1670 Biscuit pour diabétique ١٦٧٠ كُبَيْبَة السكريين

1671 Biscuit sec ١٦٧١ خُشْكنان (بُقْساط)

والأفضل استعمال هذه اللفظات معرّبة بسكوت . أما كُبَيْبَة فهي الخبزة كما جاء في لسان العرب . وليس المقصود من هذه اللفظات الخبز بل نوع من

المعجّنات الجافة شائعة الاستعمال . وعلى ذلك فقد جاء في ترجمة اللفظة إلى الألمانية في المعجم الأصلي الخبز السكري [1] وأصبح الترجمة لهذه اللفظات الثلاث : بسكوت وبسكوت السكويين وبسكوت جاف .

1680 Bistouri ١٦٨٠ مِبْضَع ، مِشْرَط

وأقر مجمع اللغة مِبزَغ .

1683 Bitume ١٦٨٣ قار ، قِير ، زِفت

وجاءت ترجمة هذه اللفظة في معجم الألفاظ الزراعية : حُمَر ، كُفْر ، قُفر ، قفر اليهود وزِفت البحر .

1686 Bivitellin, ine ١٦٨٦ ذو مُحَيِّنين

والصحيح ذو مُحَّين أو ذو البيضتين [2] إذا لم نقل ثنائي الوتيللوس تعريباً وكذلك ذات مُحَّين أو بيضتين .

1686 Bizarreries, v. humeur capricieuse ١٦٨٦ غَرابة ، انظر غرابة المزاج

والأرجح غَرابة ، انظر غرابة الأطوار .

1692 Blastoderme ١٦٩٢ أدَمَة جِذْعية

1693 Blastomère ١٦٩٣ قُسَيْمَة جِذْعية

1694 Blastophtorie ١٦٩٤ مُفسِد الجِذْعة

1695 Blastula, Vésicule blastodermique ١٦٩٥ جُذَيْمة ، حُوَيْصِل جِذْعي

وأقر مجمع اللغة ترجمة Blast بجرثومة ، وتصبح ترجمة هذه الألفاظ

(١) (Zuckerbrot)

(٢) كذا جاءت في الترجمة الألمانية (Zwei - eig) .

أدَمَة الجرثومة أو غشاؤها ، قُسيمة جرثومية ، أذى الجرثومة ، جُريثمة ، حويصل جرثومي . وعندي إن تعريب هذه الألفاظ أفضل بأن يقال بلاستودرما ، بلاستومير ، أذى البلاستا وبلاستولا لحويصل بلاستولي .

1698 Blennorragie, gonorrhée (تعقيبة) حُرْقَة البول ١٦٩٨
blennorrhée Chaudpisse سيلان بُنّي

1699 Blennorragique متعلق بحرقة البول ١٦٩٩

وأقر مجمع اللغة السيلان وتصبح اللفظة الثانية سيلاني .

1707 Bleu de méthylène زُرْقَة المتيلين ١٧٠٧

1709 Bleu sombre زُرْقُم ، أزرق قاتم ، زرقة قاتمة ١٧٠٩

وأرجح أزرق المتيلين في اللفظة الأولى ، وزرقة قاتمة في الثانية .

1732 Bomber, saillir حَدَّبَ ، قَبَّبَ ، سَنَّم ١٧٣٢

وأرجح بَرَز ، نتأ .

1737 Bord alvéolaire des حافة عظمي الفكين النُخْروبية ١٧٣٧
(os maxillaires)

حافة عظمي الفكين السنخية كما أقرها مجمع اللغة[1] .

1745 Borgne أعور ١٧٤٥

وأقر مجمع اللغة أصم[2] .

1750 Bosse sanguine, حَدْبة دَمَوية ، ورم دَمَوي ١٧٥٠
hématome

وأقر مجمع اللغة الدَّمة .

(١) الصفحة ٦٥٠ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) ترجمة للفظة (Blind) الصفحة ٤١٠ من الجزء الرابع عشر من مجلة المجمع .

1756 Botulisme, allantiasis إنسمام بالبَخَص، انسمام نصيدي ١٧٥٦

وأقر مجمع اللغة البيتولية تعريباً وسبق لي أن استعملت الانسمام الوشيقي [1]

1771 Bouchon vitellin سِدادة مُحِينيّة ١٧٧١

وأرجح سِدادة مُحية [2] .

1777 Boue, minérale طين، معدني ١٧٧٧

وأقر مجمع اللغة وَحْل معدني .

1807 Bouillotte مِغلاة ، مِحَمَّة ١٨٠٧

وأرجح قِرْبة ماء حار . وهي كيس من المطاط يملأ ماءاً حاراً .

1811 Boulimie سُعار ، ضَوْر ١٨١١

وأقر مجمع اللغة أخيراً الضور [3] .

1814 Bourdonnement دَوِيّ ، طنين ١٨١٤

1815 Bourdonnemenet d'oreilles دَوِيّ الأذن ، ١٨١٥

tintement de l'oreille طنين الأذن

وأفضل طنين في الأولى وطنين الأذنين في الثانيـة مخصصاً لفظة دَوِيّ ترجمة لـ (Clangor) .

1831 Bourse caudale جِراب ذنبي أو جِراب ١٨٣١

ou copulatrice المزاوجة

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Bourse) بجزدان ولا شك أن جراب أفضل .

---

(١) الصفحة ٦٢٨ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٢٤٩ من هذا العدد .

(٣) سبقت ملاحظتي عن هذه اللفظة في الصفحة ٦٣٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

١٨٥١ قِصَر الأصابع 1851 Bradydactylie

وأقر مجمع اللغة الكَزَم .

١٨٥٣ غَلاصِم 1853 Branchies, ouïes

وأقر مجمع اللغة خَياشيم (مفردها خيشوم) وعرفها بأنها أعضاء التنفس في كثير من الحيوانات المائية كالأسماك .

١٨٦٦ صِنة ، عَرَق مُصِنٌّ 1866 Brom(h)idrose, Osmidrose

والأفضل سَهَك (1) .

١٨٧٢ بروم النُّشادِر 1872 Bromure d'ammonium

وأرجح بروم الأمونيوم تاركاً النشادر ترجمة لـ (Ammoniac) .

١٨٧٥ قَصَبة 1875 Bronche

وأقر مجمع اللغة شُعْبة هوائية .

١٨٨٢ توسع القصبات ، تمدد القَصَبات 1882 Bronchectasie, bronchiectasie, dilatation des bronches

وأقر مجمع اللغة توسع الشُّعَب .

١٨٨٣ قصيبات 1883 Bronchiole

وأقر مجمع اللغة شُعيبة هوائية .

١٨٨٥ التهاب القصبات 1885 Bronchite

وأقر مجمع اللغة التهاب شُعبي .

---

(١) في اللسان : السَّهَكُ ريح كريهة تجدها من الانسان إذا عَرِق تقول إنه لسَهِك الريح وقد سَهِك سَهَكاً فهو سَهِك .
وأما الصنة فليست خاصة بالعَرَق فقد جاء في اللسان : والصِّنان ذَفَرُ الإبط أصن الرجل صار له صِنان .

١٨٨٧ التهاب القصبات والرئة — Bronchopneumonie 1887

وأقر مجمع اللغة التهاب شعبي رئوي .

١٩١٧ دُبَيْلة — Bubon 1917

وأقر مجمع اللغة دبل .

١٩١٩ فَوْهي — Buccal 1919

وأقر مجمع اللغة شدقي .

١٩٣١ التهاب الأكياس الآحينية — Bursite 1931

وأقر مجمع اللغة التهاب الجُزْدان ولا شك أن الكيس الآحيني أو الجراب افضل .

C

١٩٥٠ كِنفافات ، رُكْن الحَباب (أشعة) — Cadres - Supports d'ampoules (rd.) 1950

وأرجح إطار حامل الأمبولة أو المصباح (أشعة) [1] .

١٩٥٠ هَرِم ، هَرِمة ، ساقط (زائل) — Caduc, Caduque 1950

(١) وعَبَل (في أوراق الشجر) [2]

١٩٦٤ مُتكلِّف الزُّهد ، مُتَلَهْوِق — Cagot 1964

والصحيح كَرَتيتي [3] جبال البرانس [4] كما جاء في ترجمة اللفظة الانكليزية في المعجم الأصلي ولا صلة بها بتكلف الزهد ولا التقشف .

---

(١) الصفحة ٦٥٣ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة ،

(٢) معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

(٣) الصفحة ٢٨٦ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) (Cretin of the Pyrenees) وجاء في الترجمة الألمانية (Kretin der Pyrenäen) .

1977 Calcinose ١٩٧٧ داء كلسي ، استكلاس

وأرجح الكلسية (أي الحالة الكلسية) قياساً على ما يشابهها من الألفاظ .

2005 Calenture ٢٠٠٥ هذيان هائج

وحمى شديدة كما جاء في ترجمة اللفظة الألمانية (Hitziges Fieber)

وجاء في معجم بلاكستون (Blakiston's) أنها لفظة تستعمل في جزر الفيليبين للدلالة على حمى وافدة تصيب الخيل والعامل فيها المثقبيات (Trypanosome) .

2006 Calibrage, jaugeage ٢٠٠٦ عيار الحيّز ، قياس السّعة

وأرجح معايرة ومقايسة .

2023 Calotte aponévrotique ٢٠٢٣ قلنسوة غشائية ، غشاء العضلات

aponévrose épicranienne حول الجمجمة

والأفضل قلنسوة صفاقية [1] ، صفاق ما حول الجمجمة وتخصيص لفظة غشاء ترجمة لـ (Membrane) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٨٣٨٢) .

2026 Calque ٢٠٢٦ تقليد ، نقل صورة ، نَسْخ

والأفضل تَرَشّم وتَرْسيم ومُرَسّمة كما جاء في المعجم العسكري .

2028 Camisole de force ٢٠٢٨ قميص جَبْري

وأرجح قميص التقييد . وهو ما يُلبس للمريض الهائج بغية تقييد حركة .

2036 Canal alvéolaire ٢٠٣٦ قناة نُخروبية

والأرجح قناة سنخية [2] .

2044 Canal cystique ٢٠٤٤ قناة مرارية

وأقر مجمع اللغة المَسال المراري والمَسيل المراري .

---

(١) الصفحة ٤٧٥ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٦٥٠ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

2049 Canal gynécophore (parasit.) — ٢٠٤٩ مَحْمَل الزوجة (طفيليات)

والأفضل القناة الأنثوية .

2077 Cancer, carcinome — ٢٠٧٧ سَرَطان و سرطان غدي

سرطان ، كرسينومة كما أقرها مجمع اللغة .

2080 Cancer encephaloïde — ٢٠٨٠ سَرَطان نظير الدماغ ، شبه دماغي

سرطان نظير الدماغ فقط .

2092 Cannelure — ٢٠٩٢ مَخارِم

والصحيح فرضة ، تفريض [1] كما جاء في المعجم العسكري .

2114 Capsule (lab.) — ٢١١٤ جُفَيْنة (مُختبر)

وأقر مجمع اللغة كبسولة تعريباً .

2114 Capsules surrénales glandes surrénales — ٢١٢٦ كُظْر ، غدد فوق كلوية

وأرجح محفظتا فوق الكلوتين والكُظران .

2172 Caroncule — ٢١٧٢ لَحَمَة ، رَعْثة

وأقر مجمع اللغة لُحَيْمة .

2176 Carotène, carotine, provi- -tamine A — ٢١٧٦ كاروتەن ، كاروتين جَزَرِين طليعة الحَيَمِين آ

2177 Caroténémie, carotinémie — ٢١٧٧ تَجَزْرُنُ الدم

وأرجح التعريب في هذه الألفاظ فأقول كاروتان و كاروتين وطليعة الفيتامين A في الأولى و كاروتينيميا في الثانية .

---

(١) في اللسان : والفُرْضة كالفَرْض والفَرْض والفُرْضة الحَزّ الذي في القوس وفرضة القوس الحز الذي يقع عليه الوتر . اقول المقصود من هذه اللفظة الحز أو الشق الذي يحمله المِنْبار وغيره ، ولم اهتد إلى معنى مخارم .

2181 Carphologie, crocidisme عَبَث يَدَوي ، نتف ٢١٨١

عبث يَدَوي في اللفظة الأولى وتمزيق الدثار في الثانية [1] وليس للفظة نتف أن تدل على المعنى المقصود .

2185 Carreau, tuberculose des ganglions mésentériques تَصَلّب البَطْن ، سل العُقَد المساريقية ٢١٨٥

وأرجح قساوة البطن أو يبوسته ، تدرن العقد المساريقية ، مخصصاً لفظة تصلب ترجمة لـ (Sclérose) . وما يحدث في هذه العلة هو قساوة البطن .

2203 Cas (malade) مُصاب (مريض) حادث ٢٢٠٣

وأرجح حادث فقط .

2109 Cas désespéré حالة ميئوس منها ٢٢٠٣

وأفضل حادثٌ حَرِض أو مُحْرَض [2] .

2204 Cas limite حد أقصى ٢٢٠٤

وأرجح حادث في الحد [3] تاركاً حد أقصى ترجمة لـ (Maxima) .

2205 Cas sujet à l'inter -nement مُصاب مُعَدٌّ للحَجْر ، حادثة تستحق الحَجْر ٢٢٠٥

وأرجح حادثٌ أو حالة حرّي أو حَرِيّة بالايواء . والمقصود إيواء العليل

(١) فقد جاء في الترجمة الانكليزية للفظة الثانية في المعجم الأصلي (Picking at bed clothes) .

(٢) في فقه اللغة للثعالبي : عليل حَرِضٌ ومُحرَضٌ وهو الذي لا حيٌّ فيرجى ولا ميت فينسى . وفي لسان العرب : وحَرَّضه المَرَض وأحرضه إذا اشفى منه على شرف الموت ، والمُحْرَض الهالك مرضاً الذي لا حي فيرجى ولا ميت فيوأس منه .

(٣) في اللسان : وحَدُّ كل شيء منتهاه ، لأنه يرده ويمنعه عن التمادي .

المصاب بإحدى العاهات النفسية في المأوى أو دار العجزة وما إليها تاركاً الحَجْر إلى منع المصاب عن التصرف بأمواله وحقوقه المدنيــة وإقامة وصي عليه وهو ما يقابل لفظة (Interdiction légale) وقد أقرها مجمع اللغة .

2218 Catalepsie, Rigidité catale- -psique آخذة ، تَصَلُّب آخذي ٢٢١٨

وأقر مجمع اللغة الجُمْدة .

2219 Catalyse وساطة ٢٢١٩

2220 Catalyseur وسيط ٢٢٢٠

وأقر مجمع اللغة حَفَّاز وعامل حَفَّاز في ترجمة اللفظتين وقد عرفها بأنها كل مادة تزيد عادة في سرعة التفاعل دون أن تتأثر هي بهذا التفاعل .

2220 Cataphorèse إدخال العلاجات بالتيارات المتواصلة ٢٢٢٠

وأقر مجمع اللغة الكتفرة تعريباً ويقابلها الأنفرة [1] .

2221 Cataplasme كادة ٢٢٢١

لَصوق (لبخة) في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

2223 Cataracte ساد ٢٢٢٣

وأقر مجمع اللغة السد ، ولعلّ الساد أفضل .

2285 Cavité naso- -pharyngienne cavum, nasopharynx, épipharynx, pharynx nasal, rhinopharynx جَوْف انفي بَلْعومي ، كهف بلعوم أنفي فو ـ بُلْعوم أنفي خيشوم ٢٢٨٥

(١) الصفحة ٦٥٤ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

وأفضل أن تكون ترجمة هذه الألفاظ : جوف أنفي بلعومي ، كهف بلعوم أنفي ، ما فوق البلعوم ، بلعوم منخري وحلقوم فقد سبق استعمال خيشوم من قبل مجمع اللغة ترجمة لـ (Branche) [1] .

2286 Cavité pleurale جوف غشاء الجنب ٢٢٨٦

تجويف الجنبة كما أقرها مجمع اللغة .

2296 Cellule quadrillée d'un hématomètre خلية معد الكريات المشطرجة ٢٢٩٦

وأرجح خلية مقياس الكريات المربعة .

2305 Cellules engrais, labrocytes, leucocytes polynucléaires basophiles (Mastzellen) خلايا إنباتية ، كريضات كثيرة النوى قاعدية (ماستسيلين) ٢٣٠٥

ودرجت على ترجمة لفظة (Mastzellen) بالخلايا البدينة أو السمينة وكذلك تدل لفظة (Engrais) . وأقول الخلايا الصاخبة في ترجمة (Labrocytes) الحرنية (وقد أهملتها اللجنة) ثم الكريات البيض الكثيرة النوى المستقعدات (كما أقر مجمع اللغة ترجمة لفظة basophiles معرفاً إياها بكريات بيض تألف الأصباغ القاعدية) .

2311 Cellules germinales (1)Gonocytes خلايا منتشة (١) خلايا منوية ٢٣١١

والصحيح خلايا التبذير لأن هذه الخلايا ليست خاصة بالانطاف .

2316 Cellules indifférenciées embrionnaires, cellules-souches خلايا غير مميزة مضغية أصلية خلايا ذراري ٢٣١٦

(١) الصفحة ٢٠٢ من هذا العدد .

وأرجح في ترجمة هذه الألفاظ : خلايا لا مُمَيَّزة جنينية (كما أقرها مجمع اللغة) بَدْئية وخلايا أرومة . إذ المقصود منها الخلايا البدئية التي تتوالد منها الخلايا الأخرى فهي إذن أرومتها لا ذراريها .

٢٣٢١ خلايا مُهاجرة 2321 Cellules migratrices

وأقر مجمع اللغة خلايا جَوّالة .

٢٣٢٥ خلايا وَحْمية 2325 Cellules nœviques,

والصحيح خلايا شامِيَّة نسبة إلى شامة كما أقرها مجمع اللغة ولا صلة لها بالوَحْم .

٢٣٢٦ (٦) تَشَجُّر انتهائي 2326 Arborisation terminale

(للمحور العصبي) (du cylindre - axe)

والأرجح الغصون الانتهائية (للمحور العصبي) [1] .

٢٣٤٣ نُساج ، التهاب النسيج الخلالي 2343 Cellulite

وأقر مجمع اللغة التهاب هَلَلي معرفاً إياه بأنه التهاب يصيب الأنسجة الهَلَلية أو الليفية .

٢٣٤٤ خَلِيُوز ، سلولوز 2344 Cellulose

وأقر مجمع اللغة سليلوز .

٢٣٤٧ حِس مُشترك ، حس باطن عام حسيات عامة 2347 Cénesthésie, sensibilité interne commune, sensation générales

وأرجح إحساس شامل ، حس باطن عام وإحساسات عامة .

٢٣٦٥ مَرْكز التَّخَيُّب والتخلية 2365 Centre de triage et d'évacuation

---

(١) الصفحة ٧٣ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

وأرجح مركز التصنيف وإخلاء السبيل أو التسريح . ويقصد الموضع الذي يتم فيه تفريق الجرحى في الحروب أو في الحوادث وإخلاء سبيل من لا تستدعي حالته البقاء .

2374 Céphalée musculaire cellulitique ُصداع عَضَلي نُساجي ٢٣٧٤

ُصداع عضلي هَلَلي كما أقره مجمع اللغة .

2377 Céphalique الأكحل (وريد رأسي) ٢٣٧٧

وأقر مجمع اللغة القيفال وهي اللفظة التي استعملها الأطباء العرب معربة ، وعرَّفها المجمع بالوريد في الجانب الوحشي من العضد .

2386 Cercle (d'un os fracturé) تَطْويق (عظم مكسور) ٢٣٨٦

وأقر مجمع اللغة تحويط .

2392 Cerfeuil مَقْدونس إفرنجي ٢٣٩٢

سَرْفيل ، مقدونس إفرنجي في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي . وقد ذكر أن الأولى معرّبة شاعت والثانية مترجمة .

2397 Cerumen صِمْلاخ ، آف ٢٣٩٧

الصِملاخ — الصُلاخ كما أقره المجمع اللغوي .

2401 Cervelet مُخَيخ ٢٤٠١

الرُخ — المُخيخ كما أقره مجمع اللغة .

2407 Cétogènes مُخَلْوِن ٢٤٠٧

2408 Cétones, alcanones خلالين ، آلكانون ٢٤٠٨

2409 Cétoses (corps cétoniques) خلونوز (أجسام خلونية) ٢٤٠٩

وأرجح التعريب في هذه الألفاظ بـ كتوجن (اومولد الكتون) ، كتونات ، آلكانونات ، كتوزات (أجسام كتونية) .

2411 Chagriné, ée محبّب ٢٤١١

وأرجح خَشِن وخَشِنة [1] تاركاً لفظة محبّب ترجمة لـ (Granuleux) .

2419 Chalage مُرَّة داخلية ، خُيوط البيضة ٢٤١٩

وأرجح خيوط الآح (حول المُحّ) .

2420 Chalazion بَرَدَة ٢٤٢٠

وأقر مجمع اللغة البَرَد وأرجح الطَّبْطاب [2] أو الورم الظِفْري . وللفظة بَرَدَة معنى معروف [3] . ويقصد من هذه اللفظة ورم صغيرة ملتصق على الجفن .

2427 Chalicose, caillouts, mal de St- Roks, phtisie des tailleurs de pierre, Silicose pulmonaire تَصَوُّن الرئة داء الرئة الصواني داء القديس روكس ، سل النحاتين ٢٤٢٧

وأقر مجمع اللغة السُّعار [4] الرخامي .

(١) في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي : (Shagreened, rough) .
(٢) في اللسان : الطبطاب البَثْرة في جفن العين .
(٣) في اللسان : البَرَدة التخمة وفي حديث ابن مسعود كل داء أصله البَرَدة وكله من البَرْد . البَرَدة بالتحريك التخمة وثقل الطعام على المعدة .
وفي الوجيز في أمراض العين للأستاذ الدكتور ممدوح الصباغ ، وقد استعمل البَرَدة في ترجمة (Chalazion) انها سميت البرَدَة لأن علماء العرب قديماً ظنوها ماء يتجمد في الأجفان ومنه شبهه بالبرَد كما جاء في تذكرة الكحالين لعلي بن عيسى . أقول لا أرى هذه اللفظة تصلح في المعنى المقصود طالما استعملت للدلالة على علة أخرى .
(٤) في اللسان : السَّحر الرئة والجمع أسحار وسُحُر وسحور .

2433	Chambre d'ionisation	حجرة التشرد	٢٤٣٣

حجرة التأين كما أقرها مجمع اللغة تعريباً .

2437	Champ cortical	ساحة قشرية	٢٤٣٧
2438	Champ électrique	ساحة كهرباوية	٢٤٣٨
2438	Champ magnétique	ساحة مغناطيسية	٢٤٣٨
2439	Champ opératoire	ساحة البضع	٢٤٣٩
2440	Champ de regard	ساحة النظر	٢٤٤٠
2441	Champ visuel	ساحة بصَرية	٢٤٤١
2442	Champ visuel pour les couleurs	ساحة رؤية الألوان	٢٤٤٢

وأقر مجمع اللغة ترجمة Champ بمجال . فتكون ترجمة هذه الألفاظ : مجال قشري ، مجال كهربائي ، مجال مغناطيسي ، مجال البضع أو التوسط الجراحي ، مجال النظر ، مدى البصر ، مجال تمييز الألوان .

2450	Chancre simple, mou	قرحة بسيطة، لينة ، قريحة	٢٤٥٠

وأقر مجمع اللغة قرحة رخوة ترجمة لـ (Chancre mou) .

2467	Charbon symptomatique	جمرة عرَض (بيطرة)	٢٤٦٧

وأرجح الجمرة العرَضية .

2471	Chariot d'induction	عجلة تحريض	٢٤٧١

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Induction) بالتأثير ، فتصبح اللفظة عجلة التأثير .

2481	Chataigne, marron	كستنة	٢٤٨١

قسطلة في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

2488	Chauve	صلع ، جلَه	٢٤٨٨

2488 Chauve أصلع ، أجلح ٢٤٨٨

وأرجح معّر وزعر في الأولى وأمعر [1] وأزعر في الثانية . وما يقصد بهذه اللفظة هو ذهاب شعر الرأس كلياً أو جزئياً . بينما الصلع هو انحسار شعر مقدم الرأس وكذلك الجلح . وسبق للجنة أن ترجمت لفظة (Calvitie) بصلع وجلح (اللفظة ٢٠٢٧) .

2495 Chélidoine إهليلج أصفر، بقلة الخطاطيف، عروق صفر ٢٤٩٥

بقلة الخطاطيف ، عروق الصباغين ، العروق الصفر . في معجم الألفاظ الزراعية الأمير مصطفى الشهابي .

2497 Chémo - récepteur مستقبل التنبهات الكيمياوية المنشأ ٢٤٩٧

الصحيح مستقبل الإثارة الكيميائية . لأن المقصود هنا الجانب من الخلية الذي باستطاعته ضبط المواد الكيميائيـة وكذلك تكسين الجراثيم (عن بلاكستون Blakiston's) .

2498 Chémosis قمع ، وردينج ٢٤٩٨

وأقر مجمع اللغة كيموزس تعريباً وورْدينج (عن ابن سينا) ويعني بهذه اللفظة وذمة التهابية تحيط بالقرنية وليس للفظة قمع [2] هذه الدلالة .

(١) في المخصص : المعر ذهاب شعر الرأس وغيره معر فهو أمعر وهي معراء . والزعر قلة الشعر في الرأس أو أن يذهب أطوله وأحسنه وقد زعر زعراً فهو أزعر وزعير وهي زعراء وزعيرة .
وفي اللسان : المعر سقوط الشعر ومعر الشعر والريش معراً فهو معر ، وأمعر قل ومعرت الناحية معراً وهي معراء ذهب شعرها كله حتى لم يبق منه شيء وخص بعضهم به ناصية الفرس . والزعر في شعر الرأس وفي ريش الطائر قلة ورقة ومعر .
(٢) في اللسان : والقمعة قرحة تكون في العين وقيل ورم يكون في موضع العين والقمع فساد في موق العين واحمرار ، والقمع كمد لون لحم الموق وورمه والقمع بثرة تخرج في أصول الأشفار ، والقمع قلة النظر من العمش والنخ .

2501 Chenilles urticantes ٢٥٠١ أساريع حاكّة

وأقر مجمع اللغة يساريع (جمع يسروع) وأساريع صحيحة [1] . أقول أساريع مشروبة أي محدثة للشرى . بينا حاكة يبغي تخصيصها لـ (Prurigineuses) .

2502 Chercheur scientifique ٢٥٠٢ طالبُ عِلم ، بَحاثة

وأرجح باحث عِلمي .

2503 Chère, nourriture ٢٥٠٣ رَتمة ، غذاء

وأرجح طعام ، غذاء . ورتمة [2] لا تفي بالمعنى . إذ المقصود كما جاء في معجم لاروس صفات المآكل .

2504 Chevalet protège - point ٢٥٠٤ حِمارَة ، سِباج

وأرجح حافظة الابر . إذ ما يعنى بهذه اللفظة العلبة التي تحوي إبر الحاقن محافظة على نهايتها المؤنفة . ولم أهتد إلى معنى سباج إلا إذا كانت مصحّفة عن سباي ، ولا تفي حِمارة [3] بالمعنى المقصود .

(١) في اللسان : واليَسْروع واليُسْروع والأَسْروع والأُسْروع دودٌ يكون على الشوك والجمع الأساريع وقيل الأساريع دود حُمْرُ الرؤوس بيض الأجساد تكون في الرمل تشبَّه بها أصابع النساء وقال الأزهري هي ديدان تظهر في الربيع مخطّطة بسواد وحمرة .

(٢) في اللسان : الرَّتْع الأكل والشرب رَغَداً في الرِّيف رَتَع يَرْتَع رَتْعاً ورُتوعاً ورِتاعاً والاسم الرِّتْعة والرَّتَعة . يقال خرجنا نَرْتَع ونلعب أي نتنعّم ونلهو .

(٣) في اللسان : الحمائرُ حجارة تنصب حول قُتْرة الصائد واحدها حِمارة ، والحمارة أيضاً الصخرة العظيمة والحمارة حجارة تنصب حول الحوض لئلا يسيل ماؤه وحول بيت الصائد أيضاً إلى أن قال : حمارة من جريد هي ثلاثة أعواد يشد بعض أطرافها إلى بعض ويخالف بين أرجلها تعلّق بها الأداة لتبرد الماء ويسمى بالفارسية سِباي .

٢٥٠٨ مِقوَد ، زِمام 2508 Chevêtre, chevestre

والصحيح ضمادة [1] الفك السفلي وجاء في الترجمة الانكليزية لهذه اللفظة في المعجم الأصلي (Jaw bandage) وفي معجم غارنيه (Garnier) [2] : ضمادة خاصة لمسك كسور الفك السفلي أو خلوعه . وكذلك في معجم لاروس القرن العشرين .

٢٥١٧ انجذاب كيماوي ، انحياز كيماوي 2517 Chimiotaxie, Chimiotropisme Chimiotactisme

وأقر مجمع اللغة مجاوبة كيمياوية ، وسبق لي أن أبديت ملاحظتي على هذه اللفظة [3] .

٢٥٢٨ جراحة مُهَيْكِلة ، جراحة مُرَمِّمة مُعَمِّرة 2528 Chirurgie plastique, réparatrice reconstructive

وأقر مجمع اللغة جراحة تقويمية .

٢٥٣٦ تكلُّور الدم 2536 Chlorémie

وأرجح كلوريميا تعريباً .

٢٥٦٥ مفرغات الصفراء 2565 Cholagogues

مفرغات المرة كما أقرها مجمع اللغة .

٢٥٧٥ إفراغ الصفراء 2575 Cholerèse

٢٥٧٦ ما يتعلق بافراز الصفراء 2576 Cholérétique

(١) الصفحة ٢٤٦ من هذا العدد .

(٢) M. Garnier et V. X J. Delamare: Dictionnaire des Termes Techniques de Médecine

(٣) الصفحة ٨١ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

2577 Cholérétiques ٢٥٧٧ مدرات الصفراء

إفراز المرة ، ما يتعلق بإفراز المرة ، ومفرزات المرة (مدراتها) كما أقره مجمع اللغة .

2585 Cholurie ٢٥٨٥ بيلة صفراوية

بيلة مرّية أو كولوريا تعريباً .

2587 Chondriomes, Cytomi- -crosomes, bioblastes, mitochondries, chondriomites ٢٥٨٧ تحبيات الهيولى أو تخيطها ، جسيمات خلوية ، جذيمات حيوية تحبيات الهيولى الخرزية

لقد أقر مجمع اللغة ترجمة (Protoplasme) بجبلة ، لذلك تصبح ترجمة هذه الألفاظ : حبيبات الجبلة ، جسيمات الخلية ، الجرثومة الحيوية ، الحبيبات الخيطية ، الخيطات الحبية .

2594 Chorée électrique myoclonie ٢٥٩٤ رقص كهرباوي ، ارتجاج عضلي

كورية [1] كهربائية كما أقرها مجمع اللغة ، وارتجاج عضلي .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

---

(١) الصفحة ٨٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

المعجم الوسيط

- ٢ -

أولاً : تعريف الوحدات الزمنية [1]

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
الساعة	جزء من أربعة وعشرين جزءاً من الليل والنهار .	الدقة العلمية في التعريف توجب أن يقال : من (اليوم) بدلاً من (الليل والنهار) .
اليوم	زمن مقداره من طلوع الشمس الى غروبها .	هذا التعريف وإن ورد في معجمات اللغة، الا أن التعريف العلمي الصحيح غيره . قال صاحب التاج : وشاع عند المنجمين أن اليوم من الطلوع إلى الطلوع أو من الغروب إلى الغروب ، وصحته : من منتصف الليل الى منتصف الليل [2] .
الليلة	الليل ، وتقابل اليوم .	هذا التعريف غير دقيق لعدم الدقة في تعريف اليوم ، وكان من المستحسن

(١) لن أذكر من أسماء هذه الوحدات ما ليس لي عليه ملاحظة .
(٢) انظر معجم متن اللغة لأحمد رضا مادة [يوم] .

		أن يقال : وتقابل النهار ، أو : وتقابل اليوم في أحد معانيه (الذي أورده المعجم) أي: من غروب الشمس إلى طلوعها .
الصباح	أول النهار .	قال الجواليقي عن ثعلب : الصباح عند العرب من نصف الليل الأخير إلى الزوال ، ثم المساء من الزوال إلى آخر نصف الليل الأول ؛ هكذا جاء في المصباح المنير[1] ، وليت المعجم الوسيط أخذ به .
المساء	زمان وقته بعد الظهر إلى صلاة المغرب أو إلى نصف الليل .	
الأحد	أحد أيام الأسبوع .	إن التعريف بوحدات متماثلة يجب أن يكون متماثلا فيكون بتماثله أكثر دقة وأجمل تعبيراً .
الاثنان	يوم من أيام الأسبوع .	
الثلاثاء	من أيام الأسبوع .	
الأربعاء	اليوم الرابع من الأسبوع بين الثلاثاء والخميس .	
الخميس	اليوم الخامس من أيام الأسبوع	
الجمعة	ما يلي الخميس من أيام الأسبوع .	إن (ما) وردت هنا خطأً وذلك للإبهام الذي تعطيه ، والأصح أن يستبدل بها (يوم) .
الشَّهْرُ	جزء من السنة القمرية ، يقدَّر بدورة القمر حول الأرض	يستحسن الاكتفاء بالقول بأن الشهر : (جزء من إثني عشر جزءاً من السنة)

(١) انظر المرجع السابق ذكره .

	ويسمّى الشهرَ القمريّ ، أو بقدّر بجزء من اثني عشر جزءاً من السنة الشمسية ، ويسمّى الشهر الشمسيّ .	وذلك لتفادي عدم الدقة في المقابلة بين تقدير الشهر القمري والشهر الشمسي . كما يستحسن إضافة بعض معاني الشهر الواردة في المعجمات القديمة ، كالعالِم والهلال ، والمعنى الحديث الشائع : مدة من الزمن تبدأ من أي يوم في الشهر إلى مثله في التاريخ من الشهر التالي . وقد ورد مثل هذا المعنى في تعريف السنة .
السَّنَة	مقدار قطع الشمس البروج الاثني عشر ، وهي السنة الشمسيّة . و — تمام اثني عشرة دورةً للقمر ، وهي السنة القمرية . الخ ..	هذا التعريف قديم وغير دقيق في معجم حديث ، فالشمس لا تقطع بروجاً ، وللقمر أكثر من دورة ، فأرى أن يكون التعريف : الزمن الذي تدور فيه الأرض حول الشمس دورة كاملة ، وهي السنة الشمسية . و — تمام اثنتي عشرة دورة للقمر حول الأرض ، وهي السنة القمرية . ويستحسن أن يشار في التعريف إلى عدد أيام كل من السنتين . كما يستحسن الإشارة إلى كل من السنتين الهجرية والميلادية ، ولا سيما

أنها لم تذكرا في مادة (أرخ) ولا في مادتي (هجر) و (ولد) .

كما أني أرى أن يضاف إلى التعريفات الكثيرة الواردة في المعجم تعريف كل من : السنة المالية ، والسنة المدرسية ، والسنة الضوئية ، والسنة الكبيسة ، أو الاشارة إلى ورود تعريف كل منها في مادة ثانية ، وقد فعلت هذا أكثر المعاجم الأجنبية الحديثة .

الكبيسة	السنة الكبيسة « في التقويم الميلادي » هي الخ ..	الدقة العلمية في التعريف توجب أن يقال فيه : « في التقويم الشمسي » .
العام	ما يشتمل على الصيف والشتاء متواليين . (ج) أعوام .	أرى أن يستبدل بهذا التعريف تعريف أكثر دقة ، لأن العام فيه يمكن أن يكون تسعة أشهر ، وفي اللسان : العام الحول يأتي على شتوة وصيفة . وفي القاموس ومختار الصحاح : العام السَّنَة . وإذا كان العام السنة ، فهو : ما يشتمل على الفصول الأربعة متوالية .
الربيع	أحد فصول السنة الأربعة بين الشتاء والصيف .	
الصيف	أحد فصول السنة الأربعة ،	

	ويمتد من أواخر يونيه إلى أواخر سبتمبر .	لا يمكن القول في هذه التعريفات الأربعة أكثر من أنها ترد في أربعة معجمات لا في معجم واحد . ويلاحظ في تعريف الخريف وجوب إثبات (إلى) بدلاً من (الواو) فيقال : إلى أول الشتاء .
الخريف	أحد فصول السنة وهو ثلاثة أشهر من آخر الصيف وأول الشتاء .	
الشتاء	أحد فصول السنة الأربعة ، يبتدئ جغرافياً في الثاني والعشرين من ديسمبر ، وينتهي في الحادي والعشرين من مارس .	
الفصل	أحد فصول السنة وهي : الربيع ، والصيف ، والخريف ، والشتاء .	كان من حق السنة في هذا التعريف أن تضاف إلى (الشمس) لأن الفصول لا تثبت إلا في السنة الشمسية [1] .
الكانون	كانون الأول : (ديسمبر) ، وكانون الآخر : (يناير) ، شهران في قلب الشتاء بين تشرين الثاني وشباط ولا شهر بينهما ، ويسميها العرب : شهري قِماح .	هذا تعريف لا غبار عليه ، إلا أن المتأخر من الشهرين يعرف اليوم بـ (كانون الثاني) . ويلاحظ ورود ذكر شهر (شباط) في هذا التعريف ، بينما أغفل المعجم ذكره في مادتي (شبط) و (شبأ) .
آذار	الشهر السادس من الشهور السريانية يقابله أبريل من الشهور	لم يذكر هذا التعريف في مادة (أذر) انما ذكر في مادة (اءذ) ، خلافاً

(١) انظر مقال الأمير مصطفى الشهابي في مجلة المجمع العلمي العربي ج ١ من المجلد ٣٤ .

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

السريانية ، تشرين الأول وهو (أكتوبر) وتشرين الثاني وهو (نوفبر) ج . تشارين [1] .

السنة ، خلافاً لما فعل المعجم في بقية الأشهر .

مارِسُ الشهرُ الثالثُ من الشهور الرُّومية . (مع) .

سِبْتِمبِر الشهر التاسع من السنة الرُّومية .

دِيسمبَر كانون الأول (في شهور السُّريان) ، وهو الشهر الثاني عشر من السنة الروميّة . (د) .

هذه هي الأشهر الثلاثة التي وردت في المعجم الوسيط ، من أشهر السنة الشمسية الميلادية المستعملة في وادي النيل وما في غربه من البلاد العربية، وجاءت تعريفاتها غير متماثلة ، فمارس من الشهور الرومية وهو معرب ، وديسمبر من السنة الرومية وهو دخيل ، أما سبتمبر فلم يشر المعجم إلى صفته .

ومما يلاحظ على هذه التعريفات أيضاً ، أن مارس ورد في مادة (مرس) لا في مادة (مار) ؛ وأن من حق سبتمبر أن يشار في تعريفه إلى أنه كان الشهر السابع في السنة الرومانية التي كانت تبدأ في مارس ، فاحتفظ باسمه رغم تبدل موقعه من السنة الشمسية ، وأن تعريف ديسمبر امتاز بذكر الشهر الذي يقابله ، إلا أن هذا الشهر جعل من شهور (السُّريان)

(١) في المنجد : ويستعملون كلمة تشارين للدلالة على فصل الخريف .

لا من الشهور السريانية ، كما درج المعجم على تسميتها •

أما بقية الأشهر التي لم يعرّفها المعجم ، فيلاحظ بالنسبة اليها أن (يناير) ورد ذكرُه في تعريف شهر كانون ، وأن (أبريل) ورد ذكره صحيحاً في تعريف شهر نيسان ، ومغلوطاً في تعريف شهر آذار ، كما أن (مايو) ورد ذكره في تعريف شهر أيار ، و (يونيه) ورد ذكره في تعريف حزيران ، و (أغسطس) ورد في تعريف آب ، و (أكتوبر)[1] ورد ذكره في تعريف شهر تشرين ، كما ورد فيه ذكر (نوفمبر) • بينما لم يرد ذكر (فبراير) و (يوليه) في تعريف الأشهر قط •

المُحرَّم	أول الشهور العربية •
صفر	الشهر الثاني من السنة القمرية •
الربيع	منْ الشهور شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر •

(١) يلاحظ أن القلقشندي في صبح الأعشى ذكر شهور الروم وبدأها باكتوبر ـ انظر مقال الأمير مصطفى الشهابي الملمع إليه .

جُمادى	من الشهور العربية . وهما جماديان جمادى الأولى للشهر الخامس ، وجُمادى الآخرة للشهر السادس .	
رَجَب	أحد الشهور العربية ، بين جمادى الآخرة وشعبان ، وهو من الأشهر الحُرُم .	انظر كيف تتفاوت هذه التعريفات دقةً ، وكيف اختلف التعريف بين شهر وشهر ، فذكرت الشهور العربية تارةً ، وتارةً ذكرت السنة القمرية ، وأخرى ذكرت الشهور القمرية . وكان من المفيد أن تكون التعريفات دقيقة متماثلة .
شعبان	الشهر الثامن من السنة القمرية .	
رمضان	الشهر التاسع من الشهور العربية . (ج) رمضانات . ورماضين .	
ذو القِعْدة	الشهر الحادي عشر من الشهور القمرية ، سمي بذلك لأنهم كانوا يقعدون فيه عن الأسفار والغزو والمِيرة (ج) ذوات القعدة .	
ذو الحجة	آخر الشهور العربية ، وهو شهر الحج (ج) ذوات الحجة .	
الشهر الحرام	واحد الأشهر الأربعة التي كان العرب يحرمون فيها القتال ، وهي : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب .	ورد هذا التعريف في مادة (حرم) ، ولم يرد شيءٌ منه في تعريف أي شهر سوى رجب .
النَّاجِر	كل شهر في صميم الحر ، اسم لشهر صفر في الجاهلية ، إذ كان	يلاحظ أن المعجم لم يذكر من شهور العرب في الجاهلية غير (ناجر) [1] وسبق

(١) جاء في لسان العرب : وشهرا ناجر وآجر أشد ما يكون من الحر - انظر حسن وفقي الحيمي « تقويم المنهاج القويم » القاهرة ١٩٢٧ ص ٨٨ وما بعدها .

لا يجيءُ إلا في الحرّ ، وكان التوقيت شمسياً .

له أن أشار عند تعريف شهري (كانون) إلى شهري (قماح) ولكنه أغفلها في مادة (قمح)[1] .

توت	أول الشهور في السنة القبطية .
طوبة	خامس الشهور القبطية .
أمشير	الشهر السادس من الشهور القبطية .
برمهات	الشهر السابع من الشهور القبطية . وفيه يحصل . الربيع .
برمودة	الشهر الثامن من الشهور القبطية وهو من فصل الربيع (د) .
بشنس	الشهر التاسع من الشهور القبطية وهو من فصل الربيع .
أبيب	الشهر الحادي عشر من السنة القبطية .

هذه هي الشهور القبطية التي عرّفها المعجم ، وقد جاءت التعريفات متفاوتة غير دقيقة ، وامتازت أشهر الربيع فيها بالإشارة إليها .

ويلاحظ أن المعجم أغفل كلا من (بابه) و (هاتور) و (كيهك) و (بؤونة) و (مسري) وهي بقية الشهور في السنة القبطية .

(يتبع)

عدنان الخطيب

---

(١) جاء في لسان العرب : وشيبان وملحان شهرا قماح ، وهما أشدّ شهور الشتاء برداً وهما اللذان يقول من لا يعرفها : كانون وكانون ، قال الكميت :

إذا أمست الآفاق غبراً جنوبها ... بشيبانَ أو ملحان واليوم أشهبُ

كتاب

وصف المطر والسحاب

وما نعتته العرب الروّاد من البقاع

للإمام

أبي بكر محمّد بن الحسن بن دُرَيد الأزديّ

٢٢٣ - ٣٢١هـ

-٢-

٣ ـ أخبرنا عبدُ الرحمن بنُ عبدِ اللهِ ابنُ اخي الأَصمعيِّ عن عَمّهِ قال : سُئِل أعرابيٌّ عن مَطرٍ فقالَ :

إِسْتَقَلَّ سَدٌّ مع انْتشار الطَّفَلِ فَشَصَا[1] واحزَألَّ ،

(١) وفي الأصل : فشَصَا .

ثم اكْفَهَرَّتْ أرْجاؤهُ ، واحمَوْمَت أرْحاؤهُ [1] ، وابْذَعَرَّت فوارِقُهُ ، وتَضاحَكَت بَوارِقُهُ ، واسْتطار وَادِقُهُ ، وارْتَتَقَتْ جُوَبُهُ ، وارْثَعَنَّ هَيْدَبُهُ ، وحَشَكَتْ أخْلافُهُ ، واستَقَلَّت أرْدافُهُ ، وانْتَشَرَتْ أكنافُهُ ، فالرَّعدُ مُرْتجِسٌ ، والبَرقُ مُخْتَلِسٌ ، والماءُ مُنْبَجِسٌ [2] فأَتْرَعَ الغُدُرَ [3] وأنْبَثَ الوُجُرَ ، وخَلَطَ الأوْعالَ بالآجالِ ، وقَرَنَ الصِّيرانَ بالرِّئالِ ، فَلِلْأَودِيةِ هَديرٌ ، وللشِّراجِ خَرِيرٌ ، وللتِّلاعِ زَفِيرٌ ، وحَطَّ النَّبْعَ والعُتْمَ من القُلَلِ الشُّمِّ إلى القِيعانِ الصُّحْمِ ، فلم يَبقَ في القُلَلِ إلا مُعْصِمٌ مُجْرَنْثِمٌ ، أو داحِضٌ مُجَرْجَم ، وذلك من قَضَاءِ رَبِّ العالَمين على عبادِهِ المُذْنِبين .

قال أبو بكر قولُهُ :

(إسْتَقَلَّ) : ارتفعَ في الهواء ، و (السَّدُّ) السَّحابُ

(١) نسيها الناسخ (واحمومت أرحاؤه) في المتن ، وأثبتها في الشرح ، وجاءت في الليدنية .

(٢) وفي الهامش : قال الله تعالى : فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً أي نبعت .

(٣) وفي الليدنية : الغَدْر ، بسكون الدال والصواب بضمها جمع غَدير مثل كَثيب وكُثُب .

الذي يَسُدُّ الأُفقَ ، و (الطَّفَلُ) اختلاطُ الظَّلامِ بعدَ غروبِ الشمسِ ، و (شَصَا) ارتفع يعني السّحابَ ، و (اْحزَأَلَّ) أي اْنتَصبَ ، و (اكْفَهَرّ) تَرَاكَم وغَلُظَ ، و (أرْجاؤهُ) نواحيه ، الواحد رَجًا مقصور ، (احموْمَت) اسودّت ، وهو سَوادٌ تَخْلِطه حُمرة ، (أرْحاؤُهُ) أوْساطُه ، و (ابْذَعَرَّتْ) تَفَرّقت ، و (الفوارقُ) الواحدة فارق ، وهي قِطَع من السّحاب تَتفرّق عنه مثل فُرّقِ الإِبلِ ، وهي النّوقُ إِذا أرادت الولادةَ فارقَتِ الإِبلَ وبَعُدَت عنها حَيثُ لا تُرى فأَنْتَجت ؛ (تَضاحكت بَوارِقُهُ) شبّه لَمعانَ البَرقِ بالضّحك ، و (اسْتطار) انْتشَرَ ، و (الوَدْق) قَطْرٌ كبارٌ يَخرجُ من خَلَل السّحاب قبلَ احْتفالِ المَطَر ، (ارْتَتَقَت جُوَبُهُ) أي تَلاءمتِ ، و (الجُوَبُ) الفُرَجُ ، الواحدة جُوبة ، و (والهَيْدبُ) : ما تَدَلّى من السّحاب في أعْجازهِ فكأنّه كالهُدْب له ، و (حَشكتْ أخْلافُهُ) هذا مَثَلٌ ، (يقال) حَشَك[1] ضَرْعُ الناقةِ إِذا امتلأ لبنًا ، والأَخْلافُ : الواحد خِلْفٌ ، وهو الضَّرْعُ للناقةِ خاصّةً ، وأرْدافُهُ : مآخيرُهُ ، وأكْنافهُ : نَواحِيه ؛ قولُهُ : (الرّعدَ

(١) في اليدنية : يقال حشك ضرع الناقة .

مُرْتَجِس) أيْ تَسمَع له رِجسًا ، وهو الصَّوتُ بِهَدَّةٍ شَديدة ، و (مُنْبَجِسٌ) مُنْصَبٌّ ؛ (والبَرق مُختَلِس) كأنه يَختَلِسُ الأَبصارَ من شِدَّةِ لَمعانِهِ ، (فأَترَعَ الغُدُرَ) أيْ مَلأَها . و (الغُدُرُ) جمع غَدير ، و (أَنبَثَ الوُجَرَ) أيْ حَفرها وخَرَّبها ، و (الوُجُرُ) جمع وِجار ، وهو سَرَبُ الضَّبُع ، وللذِّئْبِ والثَّعلَب ؛

وقوله : (خَلَطَ الأَوْعالَ بالآجال) يُريد أنه حَطَّ تلكَ الأَوْعالَ من رُؤوسِ الجبال فخلطَها بالآجالِ ، و (الآجالُ) واحدها إِجلٌ ، وهي قُطْعانُ الوَحش ، وانه حَطَّ تلك من رؤوس الجبال ، فجمعَ بَينَها وبينَ البَقرِ التي مَراتِعُها القِيعانُ لاحتمالِ السَّيل لها[1]؛ وقوله : (قَرَنَ الصِّيرانَ بالرِّئال)، والصِّيرانُ : جمع صُوار ، وهو القَطيع من بَقَر الوحش ، والرِّئالُ : واحدُها رَأْلٌ ، وهي فِراخُ النَّعامِ ؛ وإنَّما يُريدُ بهذا كُلِّهِ أنَّ السيلَ غَرَّقَ هذهِ الوحوشَ فجمعَ بين السُّهلِيِّ[2] والجبلِيِّ ؛ وقوله : (للأَوْدِيَة هَدير) : أي تَهدِر كهدير الإبلِ لكثرةِ السَّيلِ ؛

(١) وفي الميدانية : فاحتَملها السَّيلُ .
(٢) أبو عمرو بن العلاء : يُنسبُ إلى الأرض السهلة سُهلِيٌّ بضم السين .

والشِّراج : الواحدُ شَرْجٌ ، وهي مَجاري الماءِ من الغِلَظِ [١] إلى بُطونِ الأَوْدِيَةِ ،

و (التِّلاعُ) أَفواهُ الاوْدِيَةِ ، الواحدُ تَلْعَةٌ ، أيْ تَزْفِر بالماءِ لفَرْطِ امْتلائها ، و (النَّبْعُ والعُتْمُ) [٢] : ضَربانِ من الشَّجَر لا يَنبُتانِ إلاَ في الجبلِ [٣] ، يَقول : فَحَطَّ السَّيلُ هذا الشَّجَر من رُؤوسِ الجبالِ إلى القِيعانِ ؛

وَقولهُ (لم يَبْقَ إلاَ مُعْصِمٌ) يُريدُ أنَّ الوُعولَ خافت

---

(١) الغِلَظ في الأصل ضد الرِّقة في الخَلق والطَّبع والفعل والمنطق والعيش ونحو ذلك ، وأرض غَلِظَة غير سهلة ، وربما كُني عن الغليظ من الأرض بالغِلَظ ، قال ابن سيده : فلا أدري أهو بمعنى الغليظ أم هو مصدر وُصِف به ؟ والغَلْظ : الغَليظ من الأرض رواه أبو حنيفة عن النضر ورُدَّ ذلك عليه ، قالوا : ولم يكن النضر ثقةً ، والغَلْظ عن كُراع الصُّلب من الأرض من غير حجارة ، وهو تأكيد لقول أبي حنيفة .

(٢) وفي هامش الأصل : خ والعُتْمُ بسكون التاء : زيتون البَرّ ، وفي اللسان أيضاً بالتحريك قال أمية :

(تلكم طَروقتهُ والله يَرفعُها فيها العَذاة وفيها يَنبُت العَتَمُ)

(٣) أمّا النبع فتتخذُ منه للدونه ومتانته القسيّ والسهام ، وأما العُتْم بسكون التاء وضمها فهو ما يسمّى بالفرنسية Oleastre وبلسان العلم (Olea Oleaster) وهو نوع بَريٌّ من جنس الزيتون ينبت في جبل اللكام شرقيّ الشام وثمرته تسمّى الزَّغْبَج (معجم الألفاظ الزراعية) .

الغَرَقَ واسْتَعْصَمتْ بالصُّخورِ (١)، فَنَجا ما اسْتَعْصَمَ مِنها، وتَجَرْجَمَ (٢) ما لم يَعْتَصِمْ : أي صُرِعَ فاحْتَمَلَهُ السَّيلُ ؛ و (المُجْرَنْثِمُ) المُتَقَبِّضُ .

٤ ــ أخبرَنا أبو حاتم وعبدُ الرّحمن عن الأَصْمعيّ قال : (٣)

(١) وفي البدنية : فاعتصمت بالصخور فنجا ما اعتصم .

(٢) وقالوا : جَرْجَمَ البيتَ هدَمه أو قوّضه فتجرجَم ، والرجلَ صَرَعهُ فتجرجَم .

(٣) وجاء هذا الخبر الدُّريدي في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (٢/٤) وقال فيه : « من أبلغ ما جاء في ذلك (أي في صفة السحاب) ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعي قال : سألت أعرابياً من عامر ابن صعصعة عن مطر أصاب بلادهم . . . إلى آخر هذا الخبر مع اختلاف قليل في الألفاظ مثل (فاعترض الأمطار فأغشاها) وفي نسختنا : فاعتنّ في الأقطار فأشجاها ؛ ومثل (وبغش ثم انطلط) وفي نسختنا : وبَغَشَ وطَشَّ ثم قطقط ؛ ومثل (ثم ركدَ فأجثَم) وفي نسختنا : فأثجمَ ؛ ومثل (ثم وَبَل فسحّ) وعندنا : وَبَلَ فسَجَم ، وهو أقوى لموافقة السجع ؛ ومثل (لا يريد انقشاعاً) وعندنا : ما يوبل انقشاعاً ؛ وليس في القاموس ولا اللسان أوبل ، فلعلّ هنالك تصحيفا ؛

أما (أبو أحمد) الذي جاء في السند فهو خال أبي هلال العسكري ، وهو من تلاميذ ابن دريد ونفطويه ، وكان من علماء اللغة والنحو والأدب ، ولعل أبا الطيب اللغوي قد أخذ عنه في عسكر مكرم مع رفيقه أبي هلال العسكري ، وهو بلديه وصفيه .

سَألتُ أعرابِيًّا من بَني عَامِر بن صَعْصَعَةَ عن مَطَرٍ صَابَ[١] بلادَهم، فقالَ: نَشَأ عارِضاً فَطلعَ ناهِضاً، ثمّ ابْتَسمَ وامِضاً، فأَعْتَنَّ في الأَقْطارِ فأشْجَاها، وامْتَدَّ في الآفاقِ فغطَّاها، ثمّ ارْتجز فهَمْهَمَ، ثم دَوَّى فأَظْلَمَ، فأَرَكَّ ودَثَّ وبَغَشَ وطَشَّ، ثم قَطْقَطَ فأَفْرطَ، ثم دَيَّمَ فأَغْمَطَ، ثُمَّ رَكَدَ فأَثْجَمَ، ثمَّ وَبَلَ فسَجَمَ، وجادَ فأنعَمَ، فقَمَسَ الرُّبَى، وأفرطَ الزُّبَى، سَبْعاً تِباعاً، ما يُريدُ انْقِشاعًا، حتّى إذَا ارْتَوتِ الْحزونُ، وتَضَحْضَحت الْمتونُ، سَاقَهُ رَبُّكَ إلى حَيثُ شاء، كما جَلَبهُ من حَيثُ شاء.

قال أبو بَكر: قولُه (نَشَأَ عارِضاً) أي اسْتقلَّ، و (العَارِضُ) سَحابٌ يَعْترِضُ في أُفق السماء؛ وقوله: (طَلَع) ارْتَفعَ[٢]، و (الوامِضُ) البَرقُ، يُقال: وَمَضَ السَّحابُ وأَوْمَضَ: إذا رأيتَ البرقَ في عُرْضِهِ يَلمعُ لمَعاناً خَفِيًّا كالتَّبسُّمِ؛ وقولُهُ: (فأشْجَاها) أي مَلأها؛ وقوله (ارْتجزَ) يَعني ارْتجازَ الرَّعدِ؛ و (هَمْهَمَ) وهو أنْ تَسمعَ للرّعدِ هَمْهمةً

(١) وفي ديوان المعاني: أصابَ، و (صابَ) هنا عربيّ جيد.

(٢) وفي الأصل: فارتفع، وجاء في الليدنية: والوَمض البرق.

كهَمهَمةِ الأَسَدِ ؛ وقوله (دَوّى) أيْ سمعتَ له دَوِيًّا ؛ وقوله : (فأَرَكّ) أيْ مَطَرَ رِكًا ، و (الرِّكُّ) : مَطرٌ ضَعيفٌ ، وكذلكَ (الدّثُّ) والجمعُ دِثاثٌ [١] ورِكاكٌ ؛ و (البَغْشُ) دونَ الطّشِّ ، و (القِطْقِطُ) قَطْرٌ مُتَتابعٌ أكثرُ من قَطرِ الطّشِّ [١] ؛

وقوله : (دَيَّمَ [٢] الدِّيمَةَ) : (الدِّيمةُ) مَطرٌ يَبقى أياماً لا يُقلِعُ ؛ وقولهُ (أغمَطَ) أيْ دَامَ [٣] ، و (رُكودُهُ) دَوامُـــه ثابتاً لا يَتحرّك ، وقولهُ (أثجَمَ) أيْ أقامَ [٤] :

---

(١) وقال المرزوقيّ في كتابه الأزمنة (٢/٨٧) : وأوّل أسماء المطر (القِطْقِط) وهو أصغر المطر و (الرذاذ) فوق القطقط ، يقال قطّطتِ السماء وأرذّت ، ومنه (الطّشّ) وهو فوق القطقط ، و (البَغْش) وهو فوق الطّشّ ، قلت : وكلها من صغير المطر ودقيق القطر .

(٢) أي أمطرَ ديمةً ، وأصلها (دِوْمة) قلبت الواو ياءً بعد كسرة ، وهي من دام يدوم دواماً .

(٣) وفي ل (غمط) : وأغمطت السماء واغبطت : دام مطرها ، وسماء غَمْطَى وغَبْطَى دائمة المطر ، ويقال : أغمطت عليه الحمّى كأغبطت ، والميم بدل من البـــاء ، قلت : وهما شفويان من مخرج واحد ، يتعاقبان كثيراً .

(٤) الإثجام سرعة المطر ودوامه أياماً متوالية ، وفي الصحاح أثجمت السماء ثم انجمت .

(وَبَلَ) من الوابِل ، والوابلُ : المَطَرُ للكبارِ القَطْرِ ، الشّديد الوَقْعِ ؛ والسَّجْمُ : الصَّبُّ ؛ وقولهُ (أنعَمَ) أيْ بَالغَ فيهِ[١] ، ومنه قولهم : دَقًّا نِعِمًّا : أيْ مُبالِغًا ؛

وله : (قَمَسَ الرُّبَى) أي غَوَّصَها في الماء ، و (الرُّبَى) جمع رَابيةٍ ؛ وقولهُ (أفْرَطَ) أيْ مَلأ ، و (الزُّبَى) جمع زُبْيةٍ ، وهي الحُفرةُ[٢] تُحْفَر للأسدِ والذئبِ أيضًا[٣] ، والزُّبْيَة لا تُحفَر إلاّ في مَوضعٍ مُرتفعٍ ، فإذا بلغَ السَّيلُ إلى مَوضعِ الزُّبيةِ فقد بلغَ الغايةَ[٤] ؛ وقولُه (ارْتَوت الحُزون) افتعلت من الرِّيّ ، و (الحُزونُ) الغِلَظُ من الأرضِ ، الواحدُ حَزْنٌ ؛

---

(١) الأزهريّ : ودَقَقتُ دواءً فأنعمتُ دقّه : أي بالغت وزدت ، قلت : ومن هنا جاء معنى الزيادة ، وقال ابن منظور في ل (نعم) : ودققته دقًّا نِعِمًّا : أيْ نعم الدقّ .

(٢) في الليدنية : وهي حفيرة تحفر للأسد .

(٣) ويجعل فيها طُعم فيجيء الأسد أو الذئب حتى يقع فيها .

(٤) وكان جارفاً مُجحفاً وفي المثل : بلغ السيل الزُّبَى ، يُضرب لما جاوز الحدّ ،

وقوله (تَضَحْضَحَتِ المُتونُ) : أيْ صارَ فوقَها ضَحْضَاحٌ من الماء ، وهو الماءُ يَجري على وَجهِ الأَرض رَقيقاً ، و (المَتْنُ) : صَلابَةٌ من الأرضِ فيها ارتفاعٌ ، وهو دُونَ الحَزْنِ .

٥ ــ أخبرنا عبدُ الرحمن عن عَمّهِ قال : سُئِلَ رجلٌ من العَرَبِ عن مَطَرٍ كانَ بعدَ جَدْبٍ فقال : نَشَأَ حَمَلاً سَدا[1] ، مُتَقاذِفَ الأحضَانِ ، مُحْمَوْمِيَ الأَركانِ . لَمَّاعَ الأَقرابِ ، مُكْفَهِرَّ الرَّبابِ ، تَحِنُّ رُعودُهُ حَنينَ الطِّرابِ ، وتُزَمْجِرُ زَمْجَرَةَ اللُّيوثِ الغِضابِ ، لِبَوارِقِهِ التِهابٌ ، ولِرَواعدِهِ اضطرابٌ ، فجاحَفَتْ[2] صُدورُهُ الشِّعافَ ، ورَكِبَتْ أعجازُه القِفافَ ، ثُمَّ أَلقَى أَعْباءَهُ ، وحَطَّ أثقالَهُ ، فتأَلَّقَ وأصْعَقَ ، وانْبَجسَ

(١) التهذيب : السَّدُّ مصدر قولك سددتُ الشيءَ سدًّا ، وجاء السُّدُّ بالفتح والضمّ بمعنى الجبل والحاجز ، وحكى الزجاج وأبو عبيدة والأخفش : ما كان مَسدوداً خِلقةً فهو سُدٌّ ، وما كان من عمل الناس فهو سَدٌّ ، وعلى ذلك وُجِّهت قراءة من قرأ (حتى إذا بلغ بين السدَّين) بالفتح والضمّ ؛ وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب بضم السين .

(٢) أصل الجَحْف القَشْر والجَرْف ، وسيل جُراف يجرف كل شيء ، وجاحفَ به : زاعَمه وداناه والجِحاف بكسر الجيم مزاحمة الحرب مصدر جاحفه مجاحفة وجِحافا .

وانْبَعَقَ ، ثُمَّ أنْجَمَ فانْطَلَقَ ، فعادَتِ النِّهاءُ مُتْرَعَةً ، والغِيطانُ مُمْرِعةً ، حَياً للبِلاد ورِفْداً للعِباد [1] .

قال أبو بكر : (الحَمَلَ) السَّحاب الكثيرُ الماء ، و (السَّدُّ) الَّذي قد سَدَّ الأُفُقَ ؛ (مُتَقاذِف الأَحْضان) يُريد النَّواحي [2] ؛ وقولَهُ : (مُحْمَوْمِي) [3] هو مُفْعَوْعِلٌ من الحُمَّة ، وهي سَواد تَخلطُه حُمرةٌ يَسيرةٌ ؛ و (الأَقرابُ) الخُصورُ ، الواحِدُ قُرْبٌ ، والقُرْبُ والإِطْل والكَشحُ والخَصْر واحِدٌ ؛ و (المُكْفَهِرّ) المُتراكِبُ ، و (الرَّبابُ) سَحابٌ تَراه كأنه مُتَعَلِقٌ بالسَّحابِ ، الواحدةُ رَبابَةٌ ؛ وقولهُ (حَنينَ الظِّرابِ)

(١) وفي الليدنية : ورزقاً للعباد .

(٢) الأزهري : حِضْنا الجبل ناحيتاه ، والرجل جنباه ، ونواحي كل شيء أحضانه . و (المتقاذف) أي السريع الانقذاف في جوانب الأرض ، وقالوا : فرس متقاذف : سريع العَدْو كأنه يقذف بنفسه أمام الخيل في عدْوه ، والناقة القَذوف : تَرمي بنفسها من مرعتها أمام الإبل .

(٣) مُحْمومي الأركان : قال ابن منظور : واحْمَوْمَى الشيء اسودّ كالليل والسحاب ، والمُحْمومي من السحاب : المتراكم الأسود ، قال في صفة السحاب ،

تألّقَ واحْمَوْمَى وخيّم بالرُّبى أحَمُّ الذُّرَى ذو هَيْدَبٍ مُتَراكِبِ

أرادَ الإبلَ النوازعَ إلى أوطانِها ، فَهِيَ تَحِنُّ ، فشَبَّهَ حَنينَ الرّعدِ بحَنينِ الإبلِ إلى أوْطانِها .

وقولهُ (جاحفَ) أيْ زاحَمَ ، و (الشَّعافُ) رؤوسُ الجبالِ الواحدةُ شَعَفَة [1] ، و (القِفَافُ) [2] (جمع قفّ وهو) الغِلَظُ من الأرض لا يَبلغُ أنْ يكونَ جبلاً : يُريدُ أنَّ أعاليَ هذا السَّحاب مُطِلَّةٌ [3] على الجبالِ ، ومآخيرُهُ على القِفافِ دانيَةٌ منَ الأرضِ ؛

(ألْقَى أعْباءهُ) أيْ أثْقالَهُ ، يُريد الماء ، و (التَّألُّقُ) شِدَّةُ اللَّمَعانِ ؛ و (الانْبجاسُ) الانْفجارُ بالماءِ ، و (الانْبعاقُ)

(١) وفي نسخة : شَعَف كما جاء في الهامش ، وكذا في الليدنية . وفي الأصل تحت شَعَفة كتب الناسخ كلمة (شعف) وكان ينبغي أن تكتب تحت (الشعاف) لأن الشَعَف جمع شَعَفة ، وهي من كلّ شيء أعلاه ، وشَعَفة الجبل رأسُه ، وتجمع أيضاً على شِعَاف وشُعُوف .

(٢) وفي الليدنية : والقفاف جمع قُف ، ويجمع على أقفاف عن سيبويه ، وهو جمع قِلّة ، قال ابن شميل : القُفّ جبل غير أنه ليس بطويل في السّماء فيه إشرافٌ على ما حوله وما أشرف منه على الأرض حجارة ، ويكون في القُفّ رياض وقيعان ، قال أبو منصور الأزهري : وقِفافُ الصمّان على هذه الصفة ، وهي من حُزون نجد .

(٣) وفي الأصل (مُطِلٌ) ، وكذا في الليدنية ، وهي خبر (أعالي) فيقتضي تأنيثها وتأنيث (دانٍ من الأرض) كما فعلنا .

الصَّبُّ الكثيرُ في سَعة [1] ، وقولهُ (أنجَمَ) أيْ أقلَعَ وانْقَشَعَ و (النِّهاءِ) جمعُ . نِهْيٍ ، وهو الغَديرُ الذي له نَاءٍ يَنهاهُ أنْ يَفيضَ [2] ؛ و (الغِيطانُ) جمع غائط ، وهو البَطنُ الغامِضُ مِنَ الأرضِ المُطْمئِنُّ ، (مُمْرِعَة) مُخْصِبة .

بلغ الأولَ قراءةً عليَّ أيده الله .

٦ ــ أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي [3] قال : سَمعت أعرابيًا من غَنِيٍّ يذكر مَطراً أصابَهم في غِبِّ جَدْبٍ فقال : تَدارَكَ رَبُّكَ خَلقَه ، وقد كَلِبَتِ الأمحالُ [4] ، وتقاصرتِ

---

(١) الانبعاق : مصدر انبَعَق المطرُ بالماء : إذا اندفَع مُنهمراً : وتَبعّقَ مثلُه ، وسيل بُعاقٌ وبِعاق : شديد الدَّفعة ، وأنشد ابن بَرّي : (تَبعّقَ فيه الوابلُ المُتَهطِّلُ) .

(٢) وفي اللسان (نهى) : والنِّهيُ : الموضع الذي له حاجزٌ ينهى الماءَ أن يَفيض منه ، وقيل : هو الغدير في لغة أهل نجد قال :

ظلّت بِنِهْيِ البَرَدانِ تَغتسِلُ تَشربُ منهُ نَهَلاتٍ وتَعِلْ

(٣) وترى هذا الخبر في أمالي القالي (١ : ١٧٣) يَرويه أبو علي عن شيخه ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعيّ .

(٤) قوله (كَلِبَت) : اشتدّت و (الأمْحال) جمع مَحل وهو الجَدْب ، يقال : كَلِبَ على الشيء كَلَباً : حَرَصَ عليه حرصَ الكلب ، وفي حديث عليّ : كتب إلى ابن عبّاس حين أخذ من مال البَصرة : فلمّا رأيتَ الزمانَ على ابن عمّك قد كَلِب ، والعَدوّ قد حَرِب ؛

الآمالُ ، وعَكَف اليأسُ (١) ، وكظمَت الأنفاسُ (٢) ، وأصبحَ الماشي مُصْرِمَا (٣) ، والمُتْرَفُ مُعْدِما (٤) ، وجُفيَت الحَلائِل ، وامتُهِنَتِ العَقائل (٥) ، فأنشأ اللهُ سحاباً رُكاما كَنَهْوَراً سجّاما (٦) ، بُروقُهُ مُتَأَلِّقَةٌ ، ورُعودُهُ مُتَقَعْقِعَةٌ (٧) ، فسَحَّ سَاجِياً

(١) أي أقامَ في النفوس .

(٢) يقال : كَظَمَ الرجل غَيظَهُ إذا اجترعه وردّه وصبر عليه وفي التنزيل الجليل : « والكاظمين الغيظ » ، وقوله (وكظِمت الأنفاس) أيْ من الغيظ والألم .

(٣) وفي حاشية الكتاب : الماشي ذو الماشية الكثيرة ، أراد أنّه فَنِيَت ماشيته من الجدْب فلم تبقَ إلا صِرْمة : أي قطعة صغيرة من الإبل وهي ما بين العشرة والعشرين أو الثلاثين ، والمعنى : وأصبح الغنيّ فقيراً والمترف مُعدِماً ، فَكُرِهت النساء وابتُذلت الكرائمُ منهنّ بالخدمة .

(٤) قوله (والمترف معدما) وفي أمالي القالي (١/١٧٣) وفي اليدنية أيضاً : والمترب معدماً ، وكلا القولين صحيح ، فإن (أَتْرَبَ) بمعنى قل ماله وكثر ماله من الأضداد . وهي هنا بمعنى استغنى وكثر ماله فصار كالتراب .

(٥) قوله (امتُهِنَت) أي ابتُذلت بالخدمة ، والعقائل كرائم النساء الواحدة عقيلة .

(٦) ومن أسماء السحاب (الكَنَهْوَر) كغَضَنْفَر وهو المتراكم ، و(السّجّام) الصبّاب ، و (متألقة) لامعة .

(٧) التَقَعقع والقَعْقعة : صوت الرعد في شدّة ، واشتقاقه من صوته ، ومنه قعقعة السلاح وما أشبهه .

رَاكداً[١] ثلاثاً غيرَ ذي فُواقٍ[٢]، ثم أمرَ ربُّكَ الشمالَ فطَحَرتْ[٣] رُكامَهُ[٤]، وفرّقتْ جَهامَهُ، فانقشعَ محموداً، وقد أحيَا فأغنَى، وجادَ فأروَى، فالحمدُ للهِ الذي لا تُكَتُّ[٥] نعمُهُ، ولا تنفَدُ قِسَمُهُ، ولا يَخيبُ سائلُهُ، ولا يَنزُرُ[٦] نائلُهُ.

---

(١) قوله (فسحّ ساجياً راكداً) أيْ صبَّ ماءه بسكون وركود ودوام مدةَ ليالٍ ثلاثٍ ، قال أبو علي القالي : أنشدني أبو بكر ابن دريد قال أنشدني عبد الرحمن عن عمه (الأصمعي) لدريد بن الصمّة :

وربَّتَ غارةٍ أوْضَعتُ فيها كسحّ الخاجريّ جريمَ تَمرِ

(٢) الفُواق بضمّ الفاء : أن يَصُبَّ صَبّةً ثم يسكن ، ثم يصبّ أخرى ثم يسكن ، وهو من فُواق الناقة الذي هو ما بين الحَلبتين .

(٣) جاء في الهامش (طَحَر) دفعَ وأزال ؛

(٤) من أسماء السحاب وهو ما تراكم منه ، والجَهامُ في نظام الغريب للربَعي : السحابُ الذي قد هَراقَ ماءه واحدتها جَهامة .

(٥) وجاء في الهامش على يسار (تكتّ) : تُكَتُّ تعدّ ، وفي حاشية : يقال بَحْرٌ لا يغضغضُ ولا يُكتّ ولا يُفنج : أي لا يُنزف ، قال أبو علي في أماليه (١٧٥/١) : وتُكتُّ تُحصَى أنشدني أبو بكر ابن دريد :

إلاّ بجيشٍ لا يُكتُّ عديدُهُ سُودِ الجلود من الحديد ، غِضابِ

(٦) أي : ولا يقل ، ومنه يقال : امرأة نَزور ونَزِرة إذا كانت قليلة الولد ، وقد يستعمل في الطير كما قال كثير :

بُغاثُ الطير أكثرُها فِراخاً وأمُّ الصقرِ مِقلاةٌ نَزورُ

٧ ــ أخبرنا أبو حاتم (عن الاصمعيّ [١]) قال : كانَ شَيخٌ من الأَعراب في خِبائهِ ، وابنةٌ له بالفِناء إذْ سَمِعَ رَعْداً فقالَ : ما ترينَ يا بُنَيَّةُ ؟ قالتْ :

ــ أراها حَوّاء قَرْحاء كأنّها أقرابُ أتانٍ قَمْراء [٢] ؛ ثم سَمِعَ راعِدةً أُخرَى فقالَ : كيفَ تَرينَها ؟ قالتْ :

ــ أراها جَمّةَ التَّرْجاف ، مُتَساقِطَةَ الأكْناف ، تتألّقُ بالبَرْقِ الوِلاف ، قال : هَلُمّي المِعْزَقَةَ وانْأَيْ نُؤْياً [٣] .

قال أبو بكر : (حَوّاء) سَوداء إلى الحُمرةِ كلَونِ الفَرس الأحْوَى ؛ (قَرْحاء) يُريد أنّ البَرقَ في أعاليها فكأنّها قَرْحاء

(١) ما بين القوسين من الميدنية .

(٢) وفي المخصص (٩/١٠٣) قيل لأعرابيّ : أيّ السّحاب أمطرُ ؟ فقال : إذا رأيتَها كأنها بطن أتانٍ قمراء فهي أمطر ما تكون .

(٣) وفي الأصل : إنإي نُؤيًا بكسر الهمزة ، وهو خطأ . لأنه ليس من رمَى يرمِي بل من سَعَى يسعَى ، وفي الميدنية : انْأَى نُؤْيًا ، وهو الصواب لأنه ، إن كان من الثلاثيّ (نَأَى يَنْأَى) فالتعبير الصحيح أن يقال : (إنأَيْ نُؤياً) ، وإنْ كان من الرباعيّ (أنْأَى يُنْئِي) فإنه يقال : (أَنْئِي نُؤيًا ، و (النُّؤْي) : كلّ ما حَجزَ الماءَ عن الخيمة أكانَ حفرةً أم تُرابا ، وفي اللسان : ونأَيْتُ النُّؤي أنأَى ، وأنأَيته ، وأنأيتُ الخِباءَ عملتُ له نُؤيا ،

مثلُ الفَرسِ الاقرحِ [١] ، و (الأَقرابُ) الخُصورُ ، شَبَّهها ببطنِ الأَتانِ القَمْراء ، و (القُمرةُ) بَياضٌ كَدِرٌ ، (جَمّة) كثيرة ، و (التَّرجافُ) الاضطِرابُ ، و (الاكْناف) النَّواحي ، تَقول : قد استَرْخَت نَواحيها لكثرة مائها ؛ و (البَرقُ الوِلافُ) [٢] الذي يَبرُقُ بَرقَتينِ مُتَواليتينِ ، وهو لا يَكاد يُخلِفُ . و (المِعْزَقةُ) المِسْحَاةُ [٣] ، و (النُؤيُ) تُرابٌ يُجمعُ حولَ البَيتِ لِئَلاً يَدخُلَه المَطرُ .

(١) وفي حاشية إلى جانب (الفرس الأقرح) الأقرح : الذي له نقطة بيضاء في موضع القرحة ، قلتُ وفي مبادىء اللغة للاسكافي : ومن شيات الوجه إذا كان في جبهته بياض كالدرهم أو أقل فهو أقرحُ ، فإن زادَ عليه فهو أغرُّ .

(٢) أي المتواصل قال رؤبة (ويومَ ركضِ الغارة الوِلافِ) قال ابن الأعرابيّ أراد بالولاف الاتصال : قال أبو منصور : كان معناه في الأصل إلافاً فصيّر الهمزة واواً .

(٣) تعريف المِعزقة بالمسحاة غير دقيق لأنها أداتان مختلفتان : أمّا (المِعْزقة) فمن عزقَ الأرضَ إذا شقّها لاخراج الأعشاب الضارة منها ، وفي اللسان (عزق) : « ويقال لتلك الأداة التي تشقّ بها الأرض مِعْزقة ومِعزق وهي كالقَدوم وأكبر منها » ، وأمّا (المِسْحاة) فمن سحوت أو سحيت الطينَ عن وجه الأرض إذا جرفته ، فهي مجرفة كبيرة من حديد يستعلمها ساحيان في بلاد الشام ، والمعزقة والمسحاة غير المرّ أيضاً ، وللأدوات الزراعية تعريفات دقيقة في كتب اللغة .

٨ ــ أخبرنا أبو حاتمٍ عن الأصمعيِّ قال :

وَقفَ أعرابيٌّ على أبي المَكْنُون النَّحويِّ وهو في حَلْقته ، فسألَهُ فقال : مَكانَكَ حتَّى أَفرُغَ لكَ ، فدَعا واسْتَسْقَى فقال :[1] اللهُمَّ ربَّنا وإلَهنا ومَولانا ، صَلِّ على نَبيِّنا محمَّدٍ ، ومَن أرادَنا بسُوءٍ[2] فأَحِطْ ذلكَ السُّوءَ بهِ كإحاطةِ القلائد بترائبِ الوَلائدِ[3] ، ثم أرْسِخْهُ على هامَتهِ كرُسُوخ السِّجِّيلِ[4] على أصحابِ الفيلِ ، اللهُمَّ اسْقِنَا غَيثاً ثَرِيًّا[5] طَبَقاً مَرِيعاً مُجَلْجِلاً مُسْحَنْفِراً ، هَزِجاً سَحًّا سَفوحًا غَدَقاً مُثْعَنْجِرًا ، قال : فَولَّى الأعرابيُّ مُدْبِرًا ، فقالَ له : مَكانَكَ حتَّى أَقضِيَ حاجَتكَ ، فقالَ :

(١) وفي الليدنية : ثم قال

(٢) وكتب الناسخ فوق بسوء : بشرّ ، وكأنه أراد التفسير أو الاشارة إلى نسخة أخرى .

(٣) القلائد ج قلادة ، والولائد ج وليدة ، وجمع الوليد ولدان ، وهو كقولهم : (إحاطة السوار بالمعصم) .

(٤) السجّيل : حجارة من طين قال تعالى : (ترميهم بحجارة من سجّيل) وهو فارسي معرّب من (سنك) بمعنى حجر ، و (كيل) بمعنى طين .

(٥) ثريًّا أي كثيراً ، وفي الليدنية (مَريًّا) بتسهيل الهمزة ، وفيها (مَرِيعاً تامًّا) بدل (مريعاً) .

الطُّوفانُ وربِّ الكعبةِ ! حتّى أُأوي [١] عيالي إلى جبل يعصمهم [٢] من الماء !

قال أبو بكر : (الطَّبَقُ) المطرُ الّذي يُطبِّقُ الأَرضَ ، و (المَرِيعُ) الّذي يُمْرِعُ أي يُخْصِبُ ، و (المُجَاجِلُ) : الّذي تَسمعُ لرَعدِهِ جَلْجَلَةً أيْ صوتاً وهَدَّةً ، و (المُسْحَنْفِرُ) الجاري [٣] ، و (السَّحُّ) الصَّبُّ ، و (السَّفوحُ) المُنْسَفِحُ ، و (الغَدَقُ) الكثيرُ الماءِ ، و (المُثْعَنْجِرُ) الجاري حتّى يَمْلأَ الأَرضَ [٤] .

(١) وفي الأصل آوي ، وإلى جانبها أأوي ، وفي البدنية (أُورِي) بتسهيل الهمزة الثانية ، و (حتّى) قبلها تدلّ على أنه يريد أن يقول : انتظر حتى أووي عيالي ثم أرجع إليك لتقضي حاجتي .

(٢) وفي الهامش يعصمني ، وبعدها خ أي كما جاء في نسخة أخرى .

(٣) قال أبو حنيفة : المُسْحنفر الكثير الصّبّ الواسع قال :

أغرُّ هزيمٌ مُستهِلٌّ ربابُهُ　　له فُرقٌ مُسْحنفراتٌ صَوادِرُ

(٤) وفي ل (ثعجر) الثّعْنجرة انصبابُ الدمع . ثعجر الشيء والدّم وغيره فاثعنجرَ : صبّه فانصبّ ، قال امرؤ القيس حينَ أدركه الموت ربّ جفنةٍ مُثعَنْجِرة ، وطَعنة مُسْحنفرة . تَبقى غداً بأنقرة : فالمثعنجرة الملأى تفيضُ ودَكَهاً ، والمثعنجر والمسحنفر : السيلُ الكثير ، وبلغني أن قبر امرىء القيس على ربوة بأنقرة ، ويسميه الترك قبر ملك العرب .

٩ ـ أَخبرنا أبو حاتم عن الأَصمعيّ، وأَخبرنيه أبو عثمان عن التّوّزيّ عبد الله بن هرون عن مَنْ حدَّثه قال: مررتُ بغِلمةٍ من الاعراب يتماقلون[1] في غديرٍ، فقلتُ لهم: أيُّكم يَصِفُ لي الغيثَ وأُعطيه درهماً، فخرجوا إليَّ وقالوا: كلُّنا يَصِفُ، وهم ثلاثةٌ، فقلتُ: صِفُوا، فأيُّكم رَضِيتُ[2] صِفَتَهُ أعطيتُهُ الدرهمَ، فقال أحدُهمْ:

عَنَّ لنا عارِضٌ قَصْراً تَسوقُه الصَّبا، وتَحْدُوهُ الجَنوبُ[3]، يَحبُو حُبُوَّ[4] المُعْتَنِك، حتّى إذا اذْلأمّتْ صُدورُهُ، وانْثَجَلَتْ خُصُورُهُ، ورَجَّعَ هَديرُهُ، وأَصْعَقَ زَئيرُهُ، واسْتَقَلَّ نَشاصُهُ، وتَلاءَمَ خَصَاصُهُ، وارْتَعَجَ ارْتِعاصُهُ، وأَوْفَدَتْ[5] سِقابُهُ،

(١) من (تَماقَلَ) والمَقْلُ: الغَمْس في الماء، قال في اللسان (مقل): ويقال للرجلين إذا تَغاطَسا هما يَتماقلانِ.

(٢) وفي الميدنية: ارتضيتُ.

(٣) الصَّبا ريح الشرق، والجَنوب ريح الجنوب سميت باسم الجهة.

(٤) وفي الميدنية: حَبْوَ.

(٥) وفي الهامش: أَوفدَت أي علت وكلاهما صحيح لأنه يقال: أوفَدَ الشيءَ رفعه وأوفد الشيءُ ارتفع قال ابن مقبل (الديوان (١٩/٦٥)):

تَراءت لنا يومَ النّسارِ بفاحمٍ ... وسُنّةِ ريمٍ خاف سمعاً فأوفدا

أي رفع الريم رأسه ونصبَ أذنيه.

وامْتَدَّتْ أطنابُهُ تَدارُكَ وَدْقُهُ ، وتَأَلَّقَ برقُهُ ، وحُفِزتْ تَواليهِ ، وانْسَفَحتْ عَزاليهِ [١] فغادَرَ الثَّرى عَمِداً ، والعَزازَ ثَئِداً ، والحُثَّ عَقِداً ، والضَّحاضِحَ [٢] متواصِيَةً ، والشِّعابَ مُتَداعِيةً ،

وقال آخر [٣] :

تَراءت المَخايلُ من الأقْطارِ ، تَحِنُّ حَنينَ العِشارِ ، وتَترامَى بشُهُبِ النَّارِ ، قواعِدُها مُتَلاحِكَةٌ ، وبواسِقُها مُتَضاحِكَةٌ ، وأرْجاؤها [٤] (متقاذفة ، وأرحاؤها) مُتَراصِفةٌ ، فواصَلت [٥] الغَرْبَ بالشَّرقِ ، والوَبْلَ بالوَدْقِ ، سَحًّا دِراكا ؛ مُتَتابعاً لِكاكاً ، فَضَحْضَحَتِ الجَفاجِفَ ، وأنْهَرَتِ الصَّفاصِفَ ، وحَوَّضَت

(١) وفي الهامش : وانفسحت عَزاليه ، لديَّ من أصل الكنديِّ ، وفي هامش بعده جاء ما نصّه : [قال موهوب (انسفحت) هو الصّحيح ، والضحاضح أيضاً] ؛ قلت : وصاحب (الاجازة) التي في صفحة العنوان وهو عبد الرحيم بن عليّ السّلمي ، قد أخذ العلم عن مَوهوب الجواليقي ، فاملّ هذا التصحيح هو بخط موهوب صاحب المعرّب رحمه الله .

(٢) وفي الميدنيّة (الضحاضيح) على القياس .

(٣) هو الغلام الثاني .

(٤) وما بين القوسين من الميدنية ، وقد سها عنه الناسخ في المتن هنا ، وأثبته في الشرح التالي ، فدلّ على صحة الميدنية .

(٥) في الميدنية : فوصلت .

الاصالِفَ ، ثم أقلعتْ مُحْسِبَةً محمودَةَ الآثارِ ، مَوْمُوقةَ [١] الَحبار ؛

وقال الثالث : ووالله ما خلتُه بلغَ خمساً [٢] :

هَلُمَّ الدِّرهَم أصِفْ لكَ ، قلتُ : لا ، أوْ تقولَ كما قالا ، فقال [٣] : والله لَأُبذَّنَّهما وَصْفاً ، ولأَفوقَنَّهما رَصْفا ، فقلت : هاتِ لِلهِ أبوكَ ! فقال :

بينا [٤] الحاضِرُ بين الناس والإِبلاس ، قد غمرهمُ الإِشْفاقُ ،

---

(١) وفي الأصل واليدنية (موقوفة) . وفي الهامش : خ مومومة و خ مرموقة ، مما يدل على نسخ المعارضة حين قراءة الكتاب ، والخط يشبه خطَّ موهوب ، وكثير من الهوامش بهذا الخط أيضاً ، و (الحَبار) بفتح الحاء الأثر ، مفرد ، والجمع حَبارات ولا يكسَّر .

(٢) وقلت لمن عجب أو استنكر من أصحابي فصاحة هؤلاء الصبيان وظنّها من صناعة المؤلف : لا تعجبنّ فلعلّ من مُبَشِّراتِ ذلك عليهم أنّ هؤلاء الصبيان كانوا في السنين المجدبة كثيراً ما يسمعون ، وهم في حلقات آبائهم في الخيام عبارات وصف الغمام فحفظوا كثيراً من جُمَل الصّفات ، فهم يُنضّدونها عند الطلب كما تنضّد الحروف في المطابع ، ولو أنني وجدتُ لعمري أحداً من صبيان هذا الزمان يَصف لي بلغته العاميّة سحابةً أو ضبابة لأعطيته ديناراً لا درهما !

(٣) وفي نسخة : فقلت ، كما جاء في الهامش .

(٤) وفي نسخة : بينما .

ورَهبة الإملاق ، وقد حقبت [١] الأنواء ، ورَفرفَ البَلاء ، واستولَى القنوطُ على القلوب ، وكثُرَ من الذنوب : ارْتاحَ ربُّكَ لعبادِهِ فأنشأَ سَحاباً مُسْجَهِرًّا [٢] كَنهوراً مُعْنَوْنِكاً مُحْلَوْلِكا ، ثم استقلَّ واحزَألَّ فصارَ كالسَّماء دونَ السَّماء وكالأرضِ المَدْحُوَّةِ فوْقَ لوحِ الهَواءِ ، فأحسَبَ السُّهولَ ، وأتأقَ الهُجُول [٣] ، فأحيا الرَّجاء وأمات الضَّرَّاء ، وذلك قضاء [٤] ربِّ العالمين. قال : فَمَلأَ واللهِ اليَفَعُ [٥] صَدري ، فأعطيتُ كلَّ واحدٍ منهم درهماً وكَتبْتُ كَلامَهم .

قال أبو بكر : (عَنَّ) اعترضَ ، و (العارِضُ) السَّحابُ يَعترِضُ في الأُفقِ ، وأكثرُ ما يكون ذلكَ معَ إقبالِ الليلِ ، (والقَصرُ) : العَشِيُّ ؛ وقولُهُ (يَحبُو حُبُوَّ المُعْتَنِكِ) فالحَبْوُ دُنُوُّ الصَّدرِ من الأرضِ ، من ذلكَ حبَا الصَّبِيُّ إذا زَحفَ وصَدرُهُ دانٍ

(١) وفي الهامش جاء تفسير (حقبت) : ضاقت وشحّت .
(٢) المُسْجَهِرّ : اي يترقرق فيه الماء كما ذكره في الشرح ابن دريد ؛ واسجهرّ السَّرابُ إذا ترَيَّهَ وجرَى .
(٣) وفي الهامش : الهَجْلُ المطمئنّ من الأرض .
(٤) وفي الهامش : من فضلِ ، بدل قضاء .
(٥) وفي نسخة : الغلامُ .

من الأرضِ ، و (المُعْتَنِكُ) البَعيرُ وغيرُهُ أيْضاً الّـذي يَصعَد في العَانِكِ من الرَّملِ ، وهو الكَثيبُ المُتَداخِلُ مِن الرَّملِ يَشُقُّ على الصّاعدِ فيه ، والبَعيرُ إذا كُلِّفَ صُعودَهُ زَحفَ فَشَبَّهَ نُهوضَ السَّحابِ لِثِقَالِهِ بما فيه من الماءِ بِهِ قال رُؤبة[١] :

أُوْدَيْتَ إِنْ لم تَحبُ حَبْوَ المُعْتَنِكْ

وقَوُلَهُ (ازْلأَمّتْ صُدورُهُ) أيِ انْتَصَبَتْ[٢] ، و (النَّشاصُ) ما انْتَصَبَ من السَّحابِ[٣] ، و (الخَصاصُ) الفُرَجُ ؛ وقولُه

---

(١) في الأصل جاء في الشطر : (حُبُوَّ المُعْتَنِكْ) وبه ينكسر الشّطر من الرّجز ، والحَبْو المصدر والحُبوّ وزن دُنوّ الاسم ؛ وفي اللسان (عنك) وقد استشهد بقول رؤبة هذا ، وقال في شرحه على التشبيه ، هلكت إن لم تحمل حَمالتي بجَهد وقوله (أوديت) أي هلكت واعْتَنكَ البعيرُ وامْتَعنكَ : حَبا في العانك فلم يقدر على السير .

(٢) وارتفعت ، ويقال للرجل إذا نَهَضَ فانتصب : قد ازلأمْ ، وازلأمّ النهار والشيء إذا ارتفع قال كثير عزة :

تأرّضُ أخفافُ المُناخةِ منهمُ مكانَ التي قد بُعِّدتْ فازْلأمّتِ

أي ارتفعت في سيرها .

(٣) وقيل : النّشاص هو السحاب الذي يرتفع بعضه فوق بعض وهو من نَشَصَ ينشُص : ارتفع ، واستَنشصت الريح السحاب : أنهضته ورفعته ونَشَصت المرأة عن زوجها ونشزت بمعنى واحد ، وهي ناشص وناشز ، والإبدال بين الزاي والصاد غير قليل .

(انْثَجَلَتْ) أي اتَّسعَتْ من قولِهِم : بَطنٌ أثْجَلُ[١] ؛ وقولُهُ : (ارْتَعَجَ ارْتِعاصُهُ) الارْتِعاجُ : تَدارُكُ الحركاتِ ، والارْتِعاص : الاضطرابُ كما يَرْتَعِصُ الجَدْيُ من النَّشاطِ[٢] ؛ وقولُه (أُوقِدَتْ سِقابُهُ) هذا مَثَلٌ ، والسِّقابُ : أعْمِدَةُ الخِباءِ ، فشبَّهَهُ بالخباءِ الذي قد وقعَ ، و (الإيفـــاد) الرَّفع ، و (الأَطْنابُ) حِبالُ الخِباءِ الَّتي تُشَدُّ بالأوتادِ ،

وقوله (حُفِزَتْ تَوالِيهِ) أيْ أُعجِلتْ ، وتَوالِيهِ : مآخِيرُهُ ، و (انْسَفَحتْ عَزالِيهِ) أي انْصَبَّت ، والعَزالي : عَزالِي المَزادةِ ، وهيَ مَخارِجُ الماءِ من أسافِلِها ؛ وقولُهُ (تَركتِ الثَّرَى عَمِداً) أيْ رَطْباً يَجْتَمِعُ في اليَد إذا جُمِعَ ؛ و (العَزازُ) الغِلَظُ منَ الأَرضِ ؛ (ثَئِداً) نَدِيًّا ؛ و (الحُثُّ) الرَّملُ اليابِسُ ،

---

(١) أي ضخم متسع .

(٢) ارتعج وارتعش بمعنى متقارب وهو على البدل بين الجيم والشين قال أبو سعيد (الأصمعي) : الارتعاج والارتعاش والارتعاد واحد ، والارتعاج في البرق كثرته وتتابعه ؛ أمّا (الارتعاص) فهو الاضطراب والاهتزاز ، وارتعصت الشجرة اهتزّت ورَعَصتها الريح وأرعصتها ، وارتعص الجَدي والفرس طَفَرا من النشاط .

يقول : تَرَطَّبَ(١) حتَّى تَعقَّد بعضُهُ ببَعضٍ(٢) [قال الشاعرُ ، أنشدناه عبد الرحمن عن عمّه :

حتى ترى في يابس التَّرْباء حُثْ   يَعجِزُ عن رِيِّ الطُّلَيِّ المُرْتَعِثْ]

و (الضَّحاضِحُ) ما تَضَحْضَحَ على الأرضِ من الماء ؛ و (المُتَواصِي) المُتواصِلُ ، وقولُه (الشِّعابُ مُتَداعِيَة) أيْ قد تَداعَتْ بالسَّيل .

وقول الثّاني (تَراءتِ المَخايِلُ) جمعُ مَخيلةٍ ، وهو السَّحابُ الّذي تَستَخِيلُ فيه المَطَرَ ؛ وقولُه (قَواعِدُها) يُريد أسافِلَها ،

---

(١) في الأصل يرطبه .

(٢) إن ما بين الحاصرتين قد كتبه الناسخ في الهامش ، ونراه من صُلب شرح ابن دريد شاهداً على معنى (الحُث) ، يؤيّده ما جاء في اللسان (حثث) وهو ، الحُثُّ : الرَّملُ الغليظ اليابس الخَشِن قال :

حتى يرى في يابس التَّرْباء حُثْ   يعجز عن ريِّ الطُّلَيِّ المرتعِثْ

ثم قال اللسان : أنشده ابن دريد عن عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه الأصمعيّ اهـ . قلت : و (الطُّلَيُّ) في الشاهد تصغير طَلَى ، قال الجوهريّ : (الطَّلا) الولد من ذوات الظِّلفِ والخُفّ ، وقيل من أولاد الناس والبهائم والوحش من حين يولد إلى أن يَشتدّ ، والجمع أطلاء وطَليّ وطِلْيان ، فالطُّلَيّ بضم الطاء وفتح اللام تصغير الطَّلَى ، قال زُهير بن أبي سلمى :

بها العِينُ والآرامُ يَمشِينَ خِلْفَةً   وأطلاؤُها يَنهضْنَ من كلِّ مَجْثَمِ

(مُتَلاحِكَةٌ) مُتَداخِلٌ بَعضُها في بعضٍ ، و (بَواسِقُها) أعاليها . (مُتَضاحِكَة) بالبَرقِ ؛ و (أرْجاؤُها) نَواحيها ؛ (مُتَقاذِفَةٌ) متباعِدةٌ ؛ و (أرْحاؤها) أوساطها ؛ (مُتَراصِفَةٌ) مُتَراكبة قد انْضمَّ بَعضُها إلى بعضٍ ؛ وقولُهُ (واصَلت الشَّرقَ بالغربِ) أيِ امْتدَّتْ من المَشرِقِ إلى المَغْرِبِ ؛

وقولُهُ : سَحًّا دِراكاً : أيْ صَبًّا مُتَدارِكاً ، و (اللّكاكُ) الزِّحامُ اللاَّصِق بَعضُه ببَعضٍ [1] ؛ و (الحَفاحِفُ) الغِلاظُ منَ الأرضِ ، الواحدُ حَفْحَفٌ [2] و (الصَّفَاصِفُ) [الواحد صَفصَف] وهيَ الأَرْضُ الصُّلْبةُ المَلْساءِ دونَ الحجارةِ ، وأصْلبُ من الطّينِ [3] ، و (حَوَّضَتْ) جَعلتْ فيها حِياضاً ؛

(١) ويقال : التكّ الوِرْد التكاكا : إذا ازدحم وضرب بعضه بعضاً ومنه قول الراجز يذكر قليباً :

صَبَّحنَ من وَشحى قَليباً سُكّا   يَطمو إذا الوِردُ عليه التكّا

(٢) وقد خلت المعاجم المطبوعة من هذا الحرف فما هو في القاموس بهذا المعنى ولا لسان العرب ، والذي جاء في القاموس : حَفْحَفَ (الرجل) شاقت معيشته .

(٣) وفي اللسان : وارض صَفصفٌ : ملساء مستوية ، وفي التنزيل : فيذرها قاعاً صَفصَفاً ، قال الشاعر :

(إذا رَكِبَتْ داوِيَّةً مُدلَهِمَّةً   وغَرَّدَ حاديها لها بالصَّفاصِفِ)

و (الأصالِفُ) واحدها أصْلَفَ وصَلْفَاء ، وهو الصّلبُ منَ الأَرْضِ (١) .

وقولُ الثَّالثِ : (هَلُمَّ الدِّرْهَم) : أيْ هاتِهِ ، قال الأزهريُّ : هَلُمَّ ، بمعنى أعْطِ ؛ وهيَ هنا بهذا المعنى ، وقد تكون بمعنى تَعالَ وأقبِلْ ؛ وقوله : (لأُبُذَّنّهما وَصْفاً) من قولهم : بَذَّ القومَ يَبُذُّهم إذا سَبَقهم وغَلَبهم ؛ و (الوَّصْف) التَّركيب ؛ و (الإبلاسُ) هو اليأس وهو مصدر قولهم أبلسَ الرجل إذا قُطِعَ به ، وأبلس من رحمة الله أي أُويِسَ كما أويس ابليسُ ، وهو مشتق من ذلك ، و (الإشفاق) الخوف ، و (الإملاق) الفقر قال تعالي « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق » أو « خَشْيَةَ الإِمْلاقِ » في الآيتين ؛

وقوله : (حَقَبت الأَنْواء) : أي احتبست الأمطارُ يقال : حَقَبَ المطر حَقَباً : احتبسَ ، و (الأنواء) جمع نَوْء ، وهو

(١) قلت : ولم يفسر لنا ابن دريد (موموقة الحبار) فهي بمعنى (محمودة الآثار) التي قبلها لأن الحبار هو الأثر ، وكتب الناسخ بعد (من الأرض) في الهامش : (ولم يفسر قول الثالث) . وهو الغلام الوصاف ولا غير ، وقد فسرنا ألفاظه في الصفحة التاليـــة على الطريقة الدريدية لإكمال فائدة الكتاب .

وقت طلوع نجم في المشرق وانحدار نظيره في المغرب ، ويقول الأعراب : مُطِرنا بنَوء النجم الفلانيّ ؛ و (السَّحاب المُسْجَهِرُّ) هو الذي يترقرق فيه الماء ، و (الكَنَهْوَر) من السُّحب : المُتراكبُ الثخينُ ، وقال الاصمعيّ وغيره : هو قطع من السحاب أمثال الجبال ؛ و (المُعْنَوْنِكُ) من السحاب : المرتفع و (المحلولك) الشديد السّواد من احلولك الشيء ، وقالوا حالك ، وحانك على البدل ومحلولك وحُلْكوك بمعنىً واحد.

وقوله : (ثم استَقَلَّ واحزَألَّ) : فاستَقلَّ بمعنى ارتفعَ يُقال : استقلَّ الطائرُ في طَيرانه نهضَ للطَّيران وارتفعَ في الهواء ، ويُقال : احزألَّ السحابُ إذا ارتفع نحو بطن السماء ، والسماء أيضا المطر نفسُه يقال : وقعت في أرضهم سَماء وأصابتهم السماء قال جرير :

إذا سقط السماء بأَرض قوم   رعَيناه وإن كانوا غِضابا

وقوله : (كالأرض المَدْحُوّة) أي المنبسطة قال تعالى : « والأرضَ بعد ذلك دحاها » و (لوح الهواء) اللّوح : الهواء بين السماء والأرض ، و (أحسَبَ السهولَ) كفاها من المطر ، و (أتأَقَ الهُجولَ) : أتاقَ مَلأ ، والهُجول والهِجالُ والأَهجال

جمع هِجْل رزان عجل : الغائطُ يكون منفرجًا بين الجبال مطمئناً موطئه صلب ؛ و (اليَفَع) واليَفعَة واليافع : الشابّ وأيفعَ وتَيفَّع الغلام إذا شارف الاحتلام .

١٠ ــ أخبرنا أبو حاتمٍ عن الأصمعيّ قالَ : سَألتُ أعْرابيًّا عن مَطرٍ أصابَهم بعدَ جَدْبٍ فقال :

إرْتاحَ لنا ربُّك [١] بعدَ ما اسْتَولَى اليَأسُ على الظُّنُون ، وخَامَرَ القُلوبَ القُنُوطُ ، فأنْشأ بنَوءِ الجَبْهَةِ قَزَعَةً كالفَرْضِ من قِبَلِ العَيْن ، فاحزَألَتْ عِندَ تَرَجُّلِ النَّهار لإزْميمِ السَّرار ، حتَّى إذا نَهَضَت في الأُفقِ طالِعةً أمرَ مُسَخِّرُها الجَنوبَ فَتَنسَّمتْ لها فانْتَشَرتْ أحضَانُها ، واحمَوْمَتْ أرْكانُها ، وبَسَقَ عَنانُها ،

(١) عبارة دالّة على جفوة الأعراب ، وهي بمعنى حنّ علينا الله برحمته بعد قسوته ، وأصل الارتياح النشاط : قال رؤبة :

(فارْتاحَ ربّي وأراد رحمتي ونعمةً أتمّها فتمّتِ)

قال ابن منظور : أراد بقوله (فارتاح) : نظرَ إليّ ورحمني ، قال الأزهري : قول رؤبة في فعل الخالق قاله بأعرابيّته ، قال : ونحن نستوحش من مثل هذا اللفظ لأن الله تعالى إنّما يوصف بما وصف به نفسه ، ولولا أن الله تعالى ذِكرُه هدانا بفضله لتمجيده وحمده بصفاته التي أنزلها في كتابه ما كنا لنهتديَ لها أو نجترئ عليها ، قال ابن سيده : فأما الفارسيّ (أبو علي) فجعل هذا البيت من جفاء الأعراب كما قال :

لاهُمَّ إنْ كنتَ الذي كعهدي ! ولم تُغيّرك السنونَ بعدي

واكْفَهَرّتْ رَحاها ، وانْبَعَجَتْ كُلاها ، وذَمَرَت أُخْراها أُولاها ، واسْتَطارَت (١) عقائقها ، فارْتَعَجت (٢) بوارقُها ، وتَقَعْقَعتْ صَواعِقُها ، ثمّ ارْثَعَنَّتْ جَوانبُها ، وتَداعَتْ سَواكبُها ، ودَرّتْ حَوالِبُها ، فكانَتْ للأرضِ طَبَقًا سَحّ فَهَضَبَ ، وعَمَّ فأَحْسَبَ ، فَعَلّ القِيعانَ ، وضَحْضَحَ الغِيطانَ ، وجَوّخَ الأضْواجَ ، وأَتْرعَ الشِراجَ ، فالحمدُ للهِ الّذي جَعَلَ كِفَاء إساءتنا إِحْسَانا ، وجَزاء ظُلمنا غُفْرانا .

قال أبو بكر : قولُهُ (بِنَوْء الجبهة) الجَبْهةُ نجمٌ من نجوم الأَسَدِ ، (و) نَوْءها مَحْمودٌ عندَهم (٣) ؛ وقولُه (قَزَعَة) هي القِطعة من السّحاب صَغيرة ؛ و (الفَرْضُ) التُّرس الصّغير (٤) ؛ و (العَيْنُ) عَينٌ عن يمين القِبْلة ، وقولُه (فاحْزَأَلَّتْ) أي

(١) وفي الميدنية : ثم استطارت .

(٢) وفي الميدنية : وارتعجت .

(٣) وفي اللسان (جبه) : الجبهة : اسم مَنزلة من منازل القمر، الأزهريّ : الجبهة النجم الذي يقال له : جبهة الأسد وهي أربعة أنجم ينزلها القمر ، قال الشاعر :

إذا رأيتَ انجماً من الأسدْ
جبهتَه أو الخَراتَ والكَتَدْ
بالَ سُهيلٌ في الفضيخِ ففسَدْ

(٤) وللفَرْض معانٍ منها التُرس قال صَخر الغَيّ الهذليّ :

أرقتُ له مثل لمعِ البَشيرِ يُقلّبُ بالكفّ فَرْضاً خَفيفاً

ارتفعت ؛ و (تَرَجُّلُ النهار) انبساطُ الشمس ؛ و (الإِزْميمُ) إِحدَى ليالي السِّرار ، وهي ثلاثُ ليالٍ من آخرِ الشهر [١] ؛ وقوله (انتَشرت أحضانها) أي انبَسطت ، والأحضان : النَّواحي ؛ وقوله (احمَوْمت أركانُها) أي اسودَّت بلَونِ الحُمَّةِ [٢] ، وهو سواد تخلطه حُمرة ؛ و (بَسَق) ارتفعَ ، و (العَنان) السَّحاب ، وقوله (اكْفَهَرَّت) أيْ كَثُفت ، و (رَحاها) وسَطها ، وقوله (انبَعجت كُلاها) هذا مَثَلٌ ، والكُلْية [٣] ما تَعَيَّنَ من السِّقاء أو القِرْبة حتّى رَقَّ ورَشَحَ منه الماء ، فَشَبَّهَ مَخارجَ المطرِ من السَّحاب بذلك ،

(يتبع) عز الدين التنوخي

---

(١) التهذيب : والإزميم الهلال إذا دَق في آخر الشهر واستقوس وقال ذو الرّمة :

قد أقطع الخَرقَ بالخَرقاءِ لاهيةً كأنما آلُها في الآلِ إزْميمُ

(٢) وفي الأصل : الحُوّة ، وفي الهامش (الحُمّة) وهي أصحُّ لمناسبة (احمَومت) ، والحُمّة في اللغة دون الحُوّة .

(٣) وفي حاشية : والكُلْية رقعة تكون تحتَ عُروة المزَادةِ والدّلو ، و (انبعجت) انشقت صح .

المقدمة

من كتاب المسائل والأجوبة

« مسألة رُبَّ »

ابن السيد البطليوسي عبد الله بن محمد النحوي الأندلسي [1] المتوفى سنة ٥٢١ هـ من علماء العربية المشهورين . سكن مدينة بلنسية من مدن الأندلس . وكان الناس يجتمعون إليه ، ويقرؤون عليه ، ويقتبسون منه . وكان ثقة من الثقات ، صاحب التصانيف العديدة .

تصانيفه :

(١) كتاب المثلث (وهو كتاب ضخم أتى فيه بالعجيب وزاد على ما جاء به قطرب) .

(٢) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب (طبع ببيروت سنة ١٩٠١ م) .

(٣) الانصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف (وهو مطبوع في مصر سنة ١٣١٩ هـ) .

(٤) شرح سقط الزند لأبي العلاء المعري .

(٥) كتاب في الحروف الخمسة ، وهي السين والصاد والضاد والطاء والدال .

(٦) كتاب الحلل في شرح أبيات الجمل .

(٧) كتاب شرح الموطأ .

---

(١) انظر : بغية الملتمس ص ٣٢٤ ، الصلة ٢٨٧ ، قلائد العقيان ١٩٣ ، ابن خلكان ٢٨٢/٢ القاهرة ١٩٤٨ .

وقال ابن خلكان : « وسمعت أن له شرحاً لديوان المتنبي ولم أره » .

وذكر الزركلي في الأعلام أن له « كتاب الخلل في أغاليط الجمل » وأغلب الظن أنه الكتاب الآنف الذكر ، كما ذكر أن له « كتاب الحدائق في أصول الدين » .

(٨) كتاب المسائل والأجوبة .

وهو الكتاب الذي نعني بنشر مختارات منه من ضمنها « مسألة رب » هذه . والكتاب يشتمل على مسائل كان ابن السيد قد سئل عنها فكتب أجوبته وألف من مجموع الأجوبة كتاباً ضخماً يتناول ما ينيف على مئة مسألة .

ومادة الكتاب تتضمن مسائل في النحو واللغة والأدب والتفسير والأصول . والمخطوط من مخطوطات العلامة الجليل السيد حسن حسني الصمادحي من تونس الأعلام . وقد اطلعت على المخطوط وأفدت منه فوائد عدة ، واخترت منه مسائل اثبتها في مجموع لنصوص لغوية معدّ للنشر .

والمخطوطة بخط تونسي جيد حديثة الخط ، إذ أن تاريخ نسخها سنة ١٢٩٩ للهجرة وهي بخط محمد الطيب بن ابراهيم الرياحي التونسي .

أما بروكلمان فهو يذكر في كتابه أن للكتاب نسختين خطيتين الأولى في ليدن والثانية في فاس ، ولم يشر إلى مخطوطتنا هذه .

المسألة الخمسون في « رُبّ » :

سألت أدام الله عزتك ، وحمى من النوائب حوزتك ، وملكك نواصي النعم ، وبلغك أقاصي الهمم ، عن قول النحويين : إن رُبّ للتقليل ، وقلت : كيف يصح ما قالوه وكلام العرب المنظوم والمنثور يشهد بضد ما زعموه ، لأن القائل إذا قال : رب عالم لقيته ، ورب طعام طيب أكلته ، فانما غرضه أن يكثر من لقيه للعلماء ، وما أكله من الطعام الطيب وكذلك قول امرئ القيس :

ألا رب يوم صالح لك منهما ولا سيما يوم بدارة جلجل[١]

وقال الأعشى :

رب رفد هرقته ذلك اليوم وأسرى من معشر أقتال[٢]

لا يليق بها التقليل لأن بيت امرئ القيس بيت افتخار بكثرة الأيام الصالحة التي تنعَّم فيها بالنساء ، وان « يوم دارة جلجل » كان أجلها وأحسنها ، وبيت الأعشى بيت مدح ولم يمدح الذي مدحه بأنه أراق رفداً واحداً . ومثل هذه الأبيات — أدام الله عزك — حمل القائلين على أن يقولوا : إن « رب » للتكثير ، مع أن سيبويه قال في باب « كم » ومعناها كمعنى « رب » فتوهموا أن مذهبه أنها للتكثير .

وقد كان أشكل علي من أمرها قبل فوقي في هذه الصناعة مثل ما أشكل عليك ، وحسبت أن أبا القاسم الزجاجي وأبا جعفر بن النحاس ونحوهما من صغار النحويين غلطوا في ذلك ، فجعلت أبحث عما قاله فيها جلة النحويين فوجدت كبراء البصريين ومشاهيرهم مجمعين على أنها للتقليل وأنها ضد « كم » في التكثير كالخليل ، وسيبويه ، وعيسى بن عمر ، ويونس ، وأبي زيد الأنصاري ، وأبي عمرو بن العلاء ، والأخفش سعيد بن مسعدة ، والمازني ، وأبي عمر الجرمي ، وأبي العباس المبرد ، وأبي بكر السراج ، وأبي اسحاق الزجاج ، وأبي علي الفارسي ، وأبي الحسن الرماني ، وابن جني ، والسيرافي ، وكذلك جلة الكوفيين

---

(١) رواية التبريزي في شرحه للمعلقات كالآتي :

ألا رب يوم لك منهن صالح ..

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

ما بكاء الكبير بالاطلال وسؤالي وما ترد سؤالي

كالكسائي ، والفراء ، ومعاذ الهراء ، وابن سعدان [١] ، وهشام [٢] ، ولم أجد لهم مخالفاً في ذلك الا صاحب كتاب العين فانه صرح بأنها للتكثير ولم يذكر أنها جاءت للتقليل . وهذا من أظرف شيء لأن (رب) قد كثر استعمالها في مواضع لا يسوغ فيها التكثير سنذكرها إذا انتهينا إليها إن شاء الله تعالى .

ورأيت الفارابي قد ذكر في كتاب الحروف : أنها تكون تكثيراً وتقليلاً .
ورأيت قوماً من نحويين زماننا هذا ومن قرب زمانه من زمانهم يعتقدون أنها للتكثير مثل « كم » وكأنهم يعتقدون أن النحويين المتقدمين غلطوا فيها ورأيتهم يتكلفون بالمواضع التي ظاهرها التكثير ويغفلون المواضع التي لا تحتمل الا التقليل .

ورأيت قوماً منهم يحتجون بقول سيبويه في « كم » أن معناها كمعنى « رب » وقد يتعين على المصنف إذا رأى رأياً يخالف ما رآه المبرزون في صناعة من الصنائع أن يتهم رأيه ولا يتسرع في تخطئتهم وانما ينبغي أن يلتمس حقيقة ما قالوه ، فلسنا نشك في أن الخليل وجميع من سميناه من البصريين والكوفيين قد رأوا الأبيات التي ظاهرها التكثير كما رآها هؤلاء المعترضون عليهم لأنها كثيرة جداً ، وليس مجيئها للتكثير شاذاً قليلاً فيتوهم أنه غاب عنهم لقلته ، بل تكاد المواضع التي ظاهرها الكثرة تكون موازية للمواضع التي تقع فيها القلة . فهذا إتفاق جميع ما ذكرناه على أن أصل « رب » للتقليل و « كم »

(١) هو أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير المتوفى سنة ٢٣١ هـ . انظر ترجمة في السيوطي بغية الوعاة ٤٥ ، طبقات النحويين للزبيدي ١٥٣ ، نزهة الألباء لابن الأنباري ص ١٠٧ ، ارشاد الأريب لياقوت ٢٠١/١٨ .

(٢) هو هشام بن معاوية الضرير النحوي الكوفي المتوفى سنة ٢٠٩ هـ أنظر ترجمته في أنباه الرواة ٣٦٤/٣ ، نزهة الألباء ١١٣ ، بغية الوعاة ٤٠٩ ، ابن خلكان ١٩٦/٢ طبقات النحويين للزبيدي ١٤٧ نكت الهميان ٣٠٥ .

للتكثير دليل على أن لهم في ذلك غرضاً ينبغي أن يعلم ويوقف عليه، وكذلك قال سيبويه : إن « كم » معناها كمعنى « رب » لا دليل فيه على أنها للتكثير من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن سيبويه لم ينازع غيره في قولهم: أن « رب » للتقليل و « كم » للتكثير .

والثاني : أن سيبويه إذا تكلم في الشواذ في كتابه فمن عادته في كثير منها [قوله] « ورب شيء هكذا » يريد أنه قليل نادر كقوله في باب « ما وقد » في بيت الفرزدق :

فاصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريش واذ ما مثلهم بشر [١]

وهذا لا يكاد يعرف . كما « لات حين مناص » و « رب شي » هكذا ، وهو كقول بعضهم « هذه ملحفة جديدة في القلة ، فكيف يتوهم عليه أنه أراد بقوله : أن معنى « كم » كمعنى « رب » أنها مثلها في الكثرة وهو يستعملها في كلامه ، وما يستعمله يتكلم عليه في مسائل كتابه بضد ذلك .

والوجه الثالث أن كل من شرح كتاب سيبويه لم يقل أحد منهم أن سيبويه أراد بهذا الكلام أن « رب » للتكثير . وقد فسر أبو علي الفارسي هذا الموضع فقال : انما قال : أن معنى « كم » كمعنى « رب » لأنها تشارك « رب » في أنها يقعان صدراً ، وأنها لا يدخلان إلا على النكرة ، وان الاسم المذكور الواقع بعدهما يدل على أكثر من واحد ، وان كان الاسم الواقع بعد « كم » يدل على كثير ، والاسم بعد « رب » يدل على قليل فيختلفان في هذا الوجه ، ويختلفان أيضاً في أن « كم » اسم ، و « رب » حرف ، وكذلك قال ابن درستويه والرماني وغيرهما في شرح هذا الموضع من كلام

(١) من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز مطلعها :

زارت سكينة اطلاحا أناخ بهم شفاعة النوم للعينين والسهر

سيبويه ، وإن كانت المواضع التي ظاهرها التكثير عنده أولاً توجب أنها التكثير ، فقد يجب أن تكون المواضع التي ظاهرها التقليل توجب أن تكون للتقليل . ولا أقل من أن يتعادل الأمران عندهم فيقول : إنها تكون تقليلاً وتكثيراً كما قال أبو نصر الفارابي . وأنا أؤصل في (رب) أصلاً ينبغي تفريع مسائلها عليه ، ويصرح بما أشاره أهل هذه الصناعة المتقدمون إليه إن شاء الله تعالى .

«باب الكلام على (رُبَّ) وحقيقة وضعها»

إعلم أن « رب » و « كم » بنيا على التناقض في أصل وضعها . لا أن أصل « رب » للتقليل ، وأصل وضع « كم » للتكثير . هذه حقيقة وضعها ثم يعرض فيها المجاز للمبالغة وغيرها من الأغراض فيقع كل واحد منها موقع صاحبتها ، وهذا سبيل المجاز لأنه عارض يعرض للشيء فيستعار في غير موضعه ، ولا يبطل ذلك حقيقته التي وضع عليها ، ومثال ذلك المدح والذم وأنها وضعا على التناقض في أصل وضعها ، ثم يعرض لها المجاز فيستعمل الذم مكان المدح كقول القائل « أخزاه الله ما أشعره ، ولعنه الله ما أفصحه » ويستعمل المدح مكان الذم فيقال للأحمق : « يا عاقل » وللجاهل « يا عالم » وللبخيل « يا جواد » وذلك على سبيل الهزء . قال الله تعالى حكاية عن قول شعيب أنهم قالوا له : « إنك لأنت الحليم الرشيد » [1] ، وقال لفرعون « ذق أنك أنت العزيز الكريم » [2] ومثله قول الشاعر :

وقلت لسيدنا يا حكيم   انك لم تأس سوءاً رفيقا

(١) سورة هود ، الآية ٨٧ .
(٢) سورة الدخان ، الآية ٤٩ .

وقال بعض شعراء اليمن يخاطب جريراً :

أبلغ كليباً وابلغ عنك شاعرها ... اني الأعز واني زهرة اليمن

فأجابه جرير فقال :

ألم يكن في وسوم قد وسمت به ... من حان موعظة يا زهرة اليمن [١]

فسماه « زهرة اليمن » حكاية لقوله ، وهزءاً به ، وكذلك التذكير والتأنيث نقيضان في أصل وضعها ثم يلحقها المجاز فيقع كل واحد منها موقع صاحبه مع حفظه لأصله الذي وضع عليه ، فيقولون للرجل : علاّمة ونسّابة ، ويرون أنه أبلغ من قولهم : علاّم ونسّاب ويقولون : امرأة طاهر وعاقر وحاسر ، ويرون ذلك أبلغ من التأنيث لو جاؤوا به ههنا . ووجه المبالغة عندهم في هذا أن النقيضين انما بينها حد يفصل بعضها من بعض ، فاذا زاد أحدهما في حده انعكس إلى ضده ، لأنه لا مذهب له يذهب إليه إذ لا واسطة بينها ولذلك قال الشاعر :

... ... وشر الشدائد ما يضحك

وقال أبو الطيب المتنبي :

ولجدت[٢] حتى كدت تبخل حائلاً ... للمنتهى ومن السرور بكاء [٣]

---

(١) ورد البيت في الديوان على الوجه الآتي :

ألم يكن في وسوم قد وسمت بها ... من حان موعظة يا حارث اليمن

وكان جرير قد هجا زهرة القناني ص ٥٦٦ في قصيدة مطلعها :

عرفت منازلاً بلوى الثاني ... وقد ذكّرت عهدك بالغواني

(٢) هكذا في الديوان ، أما في المخطوطة : وجدت .

(٣) من قصيدة مطلعها :

أمن ازديارك في الدجى الرقباء ... إذ حيث أنت من الظلام ضياء

وقال أبو العلاء المعري :

[فلا تحسبوا دمعي لوجد وجدته] فقد تدمع العينان من شدة الضحك[١]

وعلى الثاني هذا السبيل من المجاز يضعون النفي موضع الايجاب ، والايجاب موضع النفي ، ويخرجون الواجب بصورة الممكن ، والممكن بصورة الواجب وغير ذلك من المجازات التي تكثر إن ذكرناها وخرجنا عن الغرض الذي نحن بصدده ، وقاصدون نحو مقصده . فكما أن وقوع بعض هذه الأشياء موضع بعض لا يبطل أصل وضعها ، فكذلك موقع « رب » موقع « كم » و « كم » موقع « رب » لا يبطل أصل وضعها على ما نذكر إن شاء الله تعالى .

« باب ذكر المواضع التي تقع فيها « رب » للتقليل والتخصيص على حقيقة وضعها »

فمن ذلك قول العرب إذا مدحوا الرجل « ربه رجلاً » وهو شبيه بقولهم : لله دره رجلاً . وهذه مسألة قد اتفق عليها البصريون والكوفيون قاطبة ونص عليها سيبويه في كتابه . وهذا تقليل محض لا يتوهم فيه كثرة . لأن الرجل لا يمدح بكثرة النظراء والأشباه ، وانما يمدح بقلة النظير أو عدمه بالجملة . وكذلك في التعجب : أنه ما خفي سببه وخرج عن نظائره ، وانما يريدون بقولهم : « ربه رجلاً » أنه قليل غريب في الرجال ، فكأنهم قالوا : ما أقله في الرجال .

---

(١) رواية الديوان :

فلا تحسبوا دمعي لوجد وجدته فقد تدمع الأحداق من كثرة الضحك

ومطلع القصيدة :

وصفراء لون التبر مثلي جيدة على نوب الأيام والعيشة الضنك

وما أشده فيهم . ويدل على ذلك تصريحهم في المدح بلفظ القلة في نحو قولهم: « قل من يقول هذا ، وقل من يعلم ذلك الا زيد ونحو ذلك » .

وقال أبو زيد الأنصاري : بيد بمعنى غير ، وربما كانت بمعنى من أجل .

قال أبو عبيدة : الأسد توصف بالفَدَع [١] وهو أن تقبل الرجل الواحدة على الأخرى وربما كان الفَدَع أن ينقلب الرسغ إلى الجانب الوحشي . أراد أن هذا قليل والأول هو الأكثر .

وقال أبو العباس المبرد في « الكامل » : « وكانت الخنساء وليلى مبايِنتين في أشعارهما لأكثر الفحول وربما امرأة تتقدم في صناعة وقلما يكون ذلك » [٢] . والجملة ما قال الله عز وجل : « أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين » [٣] ومما جاءت فيه « رب » بمعنى القلة قول العرب : وربما خان الأمير وربما سفه الحليم . أي أن هذا قد يكون ، وان كان الأكثر غيره كما قال قيس بن زهير : [٤]

أظن الحلم دل علي قومي ... وقد يستجهل الرجل الحليم [٥]

---

(١) لم تشر كتب اللغة إلى قول أبي عبيدة في الفدع ، فليس هو مختصاً بالأسد بل مطلق عام .

(٢) ورد الخبر في الكامل للمبرد (تحقيق زكي مبارك) ١٢١٣/٢ على الوجه الآتي : « وكانت الخنساء وليلى بائنتين في أشعارهما ، متقدمتين لأكثر الفحول ، ورب امرأة تتقدم في صناعةٍ ، وقلما يكون ذلك » .

(٣) سورة الزخرف الآية : ١٨ .

(٤) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، أمير عبس وداهيتها وأحد السادة القادة في عرب العراق توفي سنة ١٠ هـ انظر الميداني ١٨٤/١ ، ابن أبي الحديد ١٠٠/٤ خزانة الأدب ٥٣٦/٣ سمط اللآلي ٥٨٢ .

(٥) انظر شرح الحماسة للتبريزي ٣٩٧/١ والبيت من قصيدة مطلعها :

تعلم أن خير الناس ميت ... على جفر الهباءة لا يريم

وقال سالم بن وابصة :[١]

لا تغترر بصديق أنت تمحضه وخفه خونك من ذي الغدر والملق
إن الزلال وان انجاك من غصص دأبا فربتما أرداك بالشرق

وقال أعشى باهلة :[٢]

لا يبطرن ذا مقة أحبابه فربما أردى الفتى لعابه

وقال حاتم الطائي[٣] :

اني لأعطي سائلي ولربما أكلف ما لا يستطاع فأكلف

وقال زهير :

وأبيض فياض يداه غمامة على معتفيه ما تغب فواضله[٤]

وهذا خصوص لا وجه فيه للتكثير ، لأنه انما أراد بالأبيض حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ، ولم يرد جماعة كثيرة هذه صفتهم . ألا تراه يقول بعده :

حذيفة ينميه وبدر كلاهما إلى باذخ يعلو على من يطاوله

وقال خوّات[٥] بن جبير الأنصاري صاحب ذات النحيين[٦] :

---

(١) هو سالم بن وابصة بن معبد الأسدي ، أمير شاعر ، من أهل الحديث ، دمشقي سكن الكوفة ، انظر سمط اللآلي ص ٨٤٤ .
(٢) هو أعشى باهلة عامر بن الحارث بن رياح الباهلي من همدان يكنى أبا قحطان . أنظر خزانة الأدب ٩٠/١ سمط اللآلي ٧٥ .
(٣) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي ، أبو عدي فارس جواد . أنظر الشعر والشعراء خزانة الأدب ٤٩٤/١ الشريشي ٣٣٢/٢ .
(٤) قال زهير بن أبي سلمى من قصيدة مطلعها :
صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرّي أفراس الصبا ورواحله
(٥) هذا هو الصحيح بتشديد الواو ، أما في المخطوطة : خراث .
(٦) ذات النحين : قصة لأمرأة من تيم الله بن ثعلبة ومثلها مشهور . انظر اللسان مادة « نحا » .

وذات عيال واثقين بعقلها خلجت لها جار استها خلجات

وانما أراد بقوله : ذات عيال ذات النحيين وحدها ، ولم يرد أنه فعل هذه القصة مراراً كثيرة . وكذلك قوله [1] في هذه القضية :

وأهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل أنا آجله

وانما أراد هاج بين حيه وحيها من الحرب فسبب هذه النعمة ولم يرد أهل أخبية كثيرة . وقال صخر بن عمرو بن الشريد أخو الخنساء [2] :

وذي أخوه قطّعت أقران بينهم كما تركوني واحداً لا أخا ليا[3]

وانما أراد بذي ههنا زيد بن حرملة الحربي ، وهو الذي قتل أخاه معاوية فلما قتله بأخيه أنشد هذا الشعر . وقوله : « كما تركوني واحداً لا أخا ليا » يبطل معنى الكثرة ههنا ، لأن الذين تركوه بلا أخ انما كانوا بني حرملة ولم يكن له أخ قتل غير معاوية . وقال بعض شعراء غسان يصف وقعة كانت بينهم وبين مذحج في موضع يعرف بالبقلاء :

وقوم على البقلاء لم يك مثله على الأرض قوم في بعيد ولا دان

وأنشد سيبويه وغيره من النحويين :

ويوم شهدناه سليماً وعامراً قليل سوى الطعن النهال نوافله [4]

وقال ابن مخلاة الحمار في يوم مرج راهط :

ويوم ترى الرايات فيه كأنها حوائم طير مستدير وواقع

---

(١) المقصود هو زهير بن أبي سلمى .

(٢) هو صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحي السلمي سنة ١٠ للهجرة وهو أخو الخنساء ، من الفرسان والغزاة . انظر النويري ، عيون الأخبار ١٥/٣٦٦ ، المبرد الكامل ٢/٢٦٦ ، التبريزي ، شرح الحماسة ٣/١١٠ .

(٣) هكذا في المراجع ، أما في المخطوطة : « وذي أخوة قطعت أعراق بينهم »

(٤) انظر سيبويه (الكتاب) ١/٩٠ ونسبة البيت إلى رجل من بني عامر .

فهؤلاء إنما وصفوا أياماً مخصوصة بأعيانها يرى ذلك أيضاً إذا نظر في أخبار هذه الأشعار التي قيلت فيها ، وما أنشده النحويون من قوله [١] :

ونار قد حضأت بعيد وهن [٢] بدار ما أريد بها مقاما

وهذا شعر مشهور ، ولا معنى فيه للكثرة لأنه إنما وصف قصة جرت له مع الجن مرة واحدة . ونحن نذكر أبياتاً كثيرة من أشعار المحدثين في جميعها أن « رب » للتقليل كثر استعمالها فلم ينكر أحد من العلماء عليهم فصارت لذلك كأنها حجة فمن ذلك قول أبي تمام الطائي :

عسى وطن يدنو بهم ولعلما وإن تعتب الأيام فيهم فربما [٣]

يريد ربما اعتبت في بعض الأحيان ، وقال أبو الطيب المتنبي :

ربما تحسن الصنيع لياليـــه ولكن تكدر الأحسانا [٤]

وقال :

ولربما أطر القناة بفارس وثنى فقومها بآخر منهم [٥]

وقال :

ويوم كليل العاشقين كمنته أراقب فيه الشمس أيان تغرب [٦]

---

(١) البيت لتأبط شرا انظر « اللسان » مادة « حضأ » .
(٢) هكذا في المخطوطة أما في اللسان : هدء .
(٣) مطلع قصيدة يمدح بها محمد بن يوسف الثغري .
(٤) من قصيدة مطلعها :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عنانا

(٥) من قصيدة مطلعها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخلت أني أسلم

(٦) من قصيدة مطلعها :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وقال يهجو كافوراً :

وأسود أما القلب منه فضيق نخيفاً وأما بطنه فرحيب [١]

وقال يمدحه :

وأبلج يعضي باختصاصي مشيره عصيت بقصديه مشيري ولوّمي [٢]

وانما عنى بالأبلج كافوراً وبمشيره ابن حنزابة وزيره وكذلك قوله لسيف الدولة :

علينا لك الإسعاد إن كان نافعاً بشق قلوب لا بشق جيوب

ورب كئيب ليس تندى جفونه ورب كثير الدمع غير كئيب [٣]

وقد أوضح ما أراده من التقليل ههنا في موضع آخر فأخرجه بغير لفظ « رب » وهو :

وفي الأحباب مختص بوجد وآخر يدعى معه اشتراكا [٤]

ومن أشعار المحدثين قوله :

الحر طلق ضاحك ولربما تلقاه وهو العابس المتجهم

وقال آخر :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرّه

فلربما انقلب الصديـــق فكان أعلم بالمضرّة

---

(١) لا توجد هذه القصيدة في الديوان (شرح العكبري) .

(٢) هكذا البيت في الديوان ، أما في المخطوطة : « وأبلج يعضي باختصاصي مشيره »
وهو من قصيدة مطلعها :

فراق ومن فارقت غير مذمم وأمّ ومن يممت خير ميمم

(٣) هكذا البيت في الديوان ، أما في المخطوطة :

ورب لبيب ليس تندى جفونه ورب كثير الدمع غير لبيب

(٤) من قصيدة يمدح بها أبا شجاع عضد الدولة ويودعه مطلعها :

فدى لك من يقصر عن مداكا فلا ملك إذن الا فداكا

وقال عدي بن زيد [١] وقد أغفلنا ذكره في الشعراء المتقدمين :

يا لبينى أوقدي النارا ان من تهدين قد جارا [٢]
رب نار بت أرمقها تقضم الهندي والغارا
عندها ظبي يؤرثها عاقد في الجيد تقصارا

فبين في الشعر أنه أراد ناراً تبين وحدها وقد أوضح ذلك المعري بقوله :

ليست كنار عديّ نار عادية باتت تُشَبّ على أيدي مصاليتا [٣]
وما لبينى وان عزت بربتها لكن غذتها رجال الهند تربيتا [٤]

ومما تأتي فيه رب للتقليل والتخصيص احياناً مطرداً ويرى ذلك من تأمل الأشعار التي في الألغاز والأشعار التي يصف فيها الشعراء أشياء مخصوصة بأعيانها ، فانهم كثيراً ما يستعملون « رب » في أوائلها مصرحاً بها أو الواو التي تنوب مناب « رب » كقول ذي الرمة :

وجارية ليست من الانس تشتهى ولا الجن قد لاعبتها ومعي ذهني
فأدخلت فيها قيد شبر موفر فصاحت ولا والله ما وجدت تزني [٥]
فلما دنت أهراقة الماء أنصتت لأعزله عنها وفي النفس أن أثني

(١) هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي المتوفى سنة ٣٥ ق. هـ. شاعر جاهلي من أهل الحيرة . أنظر خزانة الأدب للبغدادي ١/١٨٤ ، الأغاني (دار الكتب) ٢/٩٧ ، السيوطي شرح الشواهد ص ١٦١ ، الشعر والشعراء ص ٦٣ ، المرزباني ص ٢٤٩ .

(٢) رويت الأبيات في الأغاني ٢/١٤٧ .

(٣) من قصيدة يخاطب بها أبا القاسم علي بن أبي الفهم القاضي التنوخي ، مطلعها :

هات الحديث عن الزوراء أوهيتا وموقد النار لا تكرى بتكريتا

(٤) هكذا البيت في الديوان (طبعة صادر) أما في المخطوطة .

وما تبين وان عزت بربتها لكن عزتها رجال الهند تربيتا

(٥) هكذا البيت في الديوان ، أما في المخطوطة :

فادخلت فيها قيد شبر موتر فصاحت ولا واقه ما وجدت تزني

وانما وصف بكرة ليستقي عليها ماء . وكذلك قول الآخر :

رب نهر رأيت في جوف خرج يتراءى بوجهه الزخار
ونهار رأيت منتصف الليل وليل رأيت نصف نهار
وثلاثين ألف شيخ قعوداً فوق غصن ما ينثني لانكسار

يعني بالخرج الوادي الذي لا منفذ له ، وبالنهار فرخ الحبارى ، وبالليل فرخ الكروان ، وبالشيخ الرذاذ الصغير من المطر .

وقال الأغلب العجلي (١) ووصف ثعلباً أرسل عليه كلباً فعقره :

وثعلب بات قرير العين لاقى مع الصبح غراب البين
وقد غدا مجتمع الشخصين فاستقبلته بحضور الحين
طامة كلب أغضف الأذنين قمر يهوي ثابت الساقين
إلى وجار بين صخرتين والكلب منه راكب المتنين
فلم يرعه غير روغتين حتى رأيت شلوه نصفين

وقال يصف صقراً :

يا رب صقر يفرس الصقورا ويكسر العقبان والنسورا
فرّ الأوز منه مستجيرا

وقال ابن الرومي :

ورازقي مخطف الخصور كأنه مخازن البلور (٢)

---

(١) هو الأغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة من بني عجل . شاعر راجز معمر أدرك الجاهلية والاسلام ، استشهد في واقعة نهاوند انظر خزانة الأدب للبغدادي ٣٣٣/١ والمؤتلف والمختلف ص ٢٢ سمط اللآلىء ٨٠١ .

(٢) من أرجوزة يصف فيها العنب الرازقي . انظر الديوان .

وقال أبو الطيب وقد أمره أبو العشائر أن يصف بطيخة مر عليها عقد :

وسوداء منظوم عليها لآلئ   لها صورة البطيخ وهي من الند

وكذلك قوله في نزهة أمره أبو علي الأوراجي أن يصفها [١] .

ومنزل ليس لنا بمنزل   ولا لغير الغاديات العطّل

وكذلك قوله في صفة صيد شاهده مع ابن طغج [٢] :

وشامخ من الجبال أمرد   جرد كيأفوخ البعير الأصيد[٣]

وانما أراد منزلاً معيناً وجبلاً معيناً ، ويدل على ذلك قوله :

[في مثل متن المسد المعقد]   زرناه للأمر الذي لم نعهد

وكذلك قوله في اللعبة التي امتحنه فيها ابن طغج [٤] :

وذات غدائر لا عيب فيها   سوى أن ليس تصلح للعناق

قال الأستاذ — أعزه الله — فهذه المواضع كلها « رب » فيها للتقليل ، وهي كثيرة جداً وانما تخيرت منها أوضحها . وهذه حقيقة « رب » وموضوعها والله أعلم .

(يتبع)   الدكتور ابراهيم السامرائي

---

(١) في الديوان : قالها ارتجالاً يصف كلبا أرسله أبو علي الأوراجي على ظبي .
(٢) في الديوان : واجتاز أبو محمد ببعض الجبال فأثارت الغلمان خشفاً فالتقفته الكلاب فقال أبو الطيب مرتجلاً .
(٣) هكذا في المخطوطة ، اما رواية الديوان :
وشامخ من الجبال اقود   فرد كيأفوخ البعير الأصيد
(٤) جاء في الديوان : وقال في وصف لعبة عند بدر بن عمار .

التعريف والنقد

تاريخ الأدب العربي في العراق

بين ٦٥٦ هـ و ٩٤١ هـ

للمحامي عباس العزّاوي

عضو المجمع العلمي العراقي والمجمع العلمي العربي بدمشق

مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٨١ هـ ، ويشتمل مع فهارسه على ٤٢٢ صفحة

للمجمع العلمي العراقي بيض أيادٍ على العلم والأدب ونشر تراث العرب ولا سيما الكتب المصنفة في تاريخ العراق ، ومنها ما هو للمؤرخين المتقدمين من علماء العراق كابن الفوطي وابن الساعي ، ومنها ما هو للمعاصرين كالاستاذ عباس العزّاوي ومن تصانيفه المجلّد الأول من هذا الكتاب وسيتلوه المجلد الثاني في التاريخ العلمي ، ونشر له من قبل تاريخ العراق بين احتلالين وتاريخ علم الفلك في العراق ، والتعريف بالمؤرّخين وعشائر العراق تحت الطبع ، وغير ذلك من الوسائل التاريخية .

وبحث الأستاذ العزّاوي مقصور في هذا المجلد الأول على عهد المغول والتركمان من سقوط الدولة العباسية إلى دخول العثمانيين بغداد ، ولقد عاين المصنف الأمرّين في التحرّي والتنقيب لإظهار المادة التاريخية قائمة على وثائق التاريخ التي تصف لنا الحركة الأدبية في ذلك العهد ممّا لا يتسنّى إلاّ لأمثال العزّاوي الذي اشتملت خزانة كتبه على نوادر مخطوطات لم تتوفر لغيره من رجال البحث والتحقيق .

والمصنف الفاضل يوافق ابن الطقطقي على أن الدولة المغولية رفضت علوم العرب والعربية كالنحو واللغة والشعر والتاريخ وعلوم الدين لأنها كانت وثنيّة ، وتفقت فيها علوم أخرى كالحساب لضبط المملكة وحصر الدّخل والخرج ، وعلم النجوم لاختيار الأوقات ، وما يفيد المغانم والمنافع ، وليت الأستاذ المؤرخ بحث للعرب عن ذخائر كتبهم الأدبية التي قضى عليها الاحتلال المغولي بعد سقوط الدولة العباسية ، ولو عرفنا جميع ما أغرق أو أحرق من دواوين الشعر التي صنعها أئمة الشعر الثقات ، ومنها ما كان بأيديهم مكتوباً ومشروحاً ، ومنها ما لا نجد له اليوم أثراً في خزائن الأرض ، وقد يضطر الباحث منا إلى جمع شعر الفحول منها من كتب اللغة والأدب ، لو عرفنا ذلك كله أو بعضه لامتلأت قلوبنا لهفاً وأسفاً .

ويقسم المصنف أبحاث كتابه هذا الممتع على عهود ثلاثة :

١ — عهد المغول (الايلخانيين) من ٦٥٦ هـ — ٧٣٨ هـ ،

٢ — عهد الجلايرية من ٧٣٨ — ٨١٤ هـ ،

٣ — عهد التركمان من ٨١٤ — ٩٤١ هـ .

وفي كل من هذه العهود أو الأدوار قد جعل المصنف القسم الأوّل في اللغة وعلمائها والعلوم العربية وعلمائها ، وجعل القسم الثاني للمنثور والمنظوم ، وخصّ الثالث بالنقد الأدبيّ ومصادره ؛ وأما الآداب العربية المرتبطة بغيرها من العلوم فقد أرجأ البحث عنها إلى (التاريخ العلمي) في العراق ، وهو المجلد الثاني من هذا الكتاب الذي سيطبع قريباً .

إن هذا الكتاب المفيد سيكون بما اشتمل عليه من وثائق تاريخية مرجعاً للباحثين عن تاريخ أدب العرب ، ذلك لأن مصنفه الفاضل من المنهومين المولعين بجمع المخطوطات النوادر من الوثائق والكتب الجليلة ، وفي صُلب الكتاب

ذكر كثير منها ، وفي حواشيه عزو إلى تلك الوثائق والمصادر ، فهو بذلك مرجع ينشده الباحثون يريحهم من عناء البحث عمّا للمؤلفين المترجمين من آثار مخطوطة أو مطبوعة ، ويطلعهم على حركة العلم والأدب في الدول الأعجمية مما لم يبحث عنه الباحثون إلاّ بحثاً مجملا ، فجزى الله الأستاذ العزاوي عن الأدب وتاريخ قومه العرب أفضل ما يجزى به من أحسن عملا .

التنوخي

تأريخ بغداد لابن السويدي

الجزء الأول

بهذا العنوان صدر في بغداد كتاب أصل اسمه كما هو مرسوم على الغلاف (حديقة الزوراء في سيرة الوزراء) تأليف الشيخ عبد الرحمن السويدي لكن محققه الدكتور صفاء خلوصي الأستاذ في جامعة بغداد أحب أن يعلي عليه العنوان الأول لغرض تقديمه في ذكرى بغداد على ما فهمت .

وقدم له مقدمة تقع في ٣٢ صفحة ولكن لحظت في ص ٩ منها كلاماً منسوباً إلى الأستاذ عز الدين التنوخي في حينه فهمت منه أن نسخة الكتاب في المدينة المنورة في مكتبة عارف حكمت والذي فهمته من لسان بعض المطامين أن الذي في المكتبة المذكورة (النفحة المسكية في الرحلة المكية) للجد الأعلى الشيخ عبد الله السويدي (رض) ولعل الأستاذ التنوخي ينورنا برأيه الجديد والمحقق يؤكد (النسخة المكية) في الصفحة نفسها وما أدري .

ولا يتسع وقتي لتتبع ما في المقدمة فأنا اقتصر — لظروف خاصة — على

ما خفت مؤونته ولا يحوجني إلى مراجعة لأن المراجعة تولد مراجعات وفي ذلك ارهاق لراحتي التي أنا في أشد الحاجة إليها في هذه الأيام .

في ص ٥ من أصل الكتاب س ١٥ « توزري بابلة البصرة وصعد سمرقند » باهمال العين والصواب باعجامها قال شاعر الحماسة الذي كان يرابط هناك : —

وخافت من جبال السغد نفسي   وخافت من جبال ~~خوارزم~~ خوارزم (١)

وقد تكتب بالصاد ومما أذكره للدكتور أنه كان نشر مقالا في تصنيف الجند العباسي ذكر فيه (الفراعنة) بالأهمال وفسرهم بالأقباط ! بل (الفراغنة) صنف من الترك منسوبون إلى فرغانة .

وفي ص ١٥ « وأبرقت الصوارم وأزمعت — كذا — اللهاذم » .

وفي ح ٣ « اللهذم الحاد القاطع من السيوف » وهذا غير ملائم لسبق الصوارم كأنه لم يسمع بقول زهير : —

ومن يعص أطراف الزجاج فانه   يطيع العوالي ركبت كل لهذم

وفي الصفحة عينها —

صرعت ثعالبه الأسود فأصبحت   محشورة بحواصل الغربان

وفي الح ٥ « في الأصل بالرفع — أي بضمة مرسومة على الباء — وهو عكس المقصود » وفاته أخذ المعنى من قول بشار في ص ٤١ : —

وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى   وبالشوك والخطى حمرا ثعالبه

وفي الح ٦ — في رواية أخرى (حمر ثعالبه) — فاختار الخطأ في المتن والصواب في الحاشية وكان عليه أن يأخذ معنى الثعالب من هنا .

في ص ١٦ — (فصل في توليه آمد) وفي الح ٦ « آمد ديار بكر وتعرف

---

(١) هكذا ورد في ديوان الحماسة وفيه : وضاقت) .

أيضاً بارونه » وقد سبق في ص ١٣ — (فصل في توليته منصب الرهى) — كذا — وازها اسم آخر لاورفه كما أن آمد اسم آخر لديار بكر .

في ص١٨ « وسار بخيول سوابق ولتوت سواحق » وفي الح ٤ كلمة أقران فقط بل ان (لتوت) جمع (لت) آلة ثقيلة قد تختلف أشكالها وأسماؤها .

في ص ٣٢ حكاية مذهب غريب في جهة الجنوب يبيح تسع نساء وكنا نسمع بهذا حتى وجدناه هنا ! والظاهر أنه يستند الى قوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع) — ولأصحاب هذا المذهب أن يقولوا باباحة ١٨ !؟؟

في ص ٤٤ ورد في المتن (ذاعنين) وفي الح ٤ (ضاعنين) وكان على المحقق أن يصححها بالظاء لا بالضاد .

في ص ٤٨ « وأكلة للتوت اللهاذم » لا تستغني العبارة عن واو عطف لأن المراد نوعان من السلاح لا (توت الأكل) .

(فصل في بيان غزوة زبيد واذلال كل ذي قوة عنيد) فان السجعة تفيد كسر باء زبيد مع أن الجاري على الألسنة بالتصغير فالعامة تقول (ازبيد) كما تقول (اعبيد) بالاماله وتفخيم الباء كما تقول (احميد) بالتفخيم أيضاً .

وجاء في أغانيهم (احبيب) ولالفنا هذا عجبت من شاب تونسي تخرج عندنا في هذه السنة كان يقرأ اسم نفسه (محسن الحبيّب) بالترقيق وتعجب هو من قراءتنا مراعاة للعامية . فويل لدعاة العامية المفرقة ! [1] .

وفي الصفحة نفسها (ولما سمعت بهذا الحال زبيد جمعوا كل طارف وتليد) وفي ذلك تأكيد الخطأ [2] .

(١) كان لنا صديق لبناني يقول (كِتاب) بالترقيق وكنا نضحك منه مع أنه الفصيح .
(٢) أن لفظ زبيد بالكسر اسم مدينة في اليمن منها الزبيدي شارح القاموس .

كما أنه استعمل صيغا عامية لغير ضرورة مثل (استرّ) و (احترّ) على البهجة البغدادية — ص ٤٧ — ٦٤ — ٦٧ .

ومن هذا الباب ما وقع في ص ١١٤ « نقطع الأعداء اربا اربا وفرق أحزاب المارقين وسبا » فهذا يدل على أنه كان بفتح الراء مع أنها بالسكون !

وفي ص ٤٨ « فهربوا هرب الفرى » فسرها في ح ٤ بالجبناء وهذا تفسير غير علمي لأن (الفرأ) بالهمز حمار الوحش وقد تسهل الهمزة فيقال (الفرا) ومنه المثل (كل الصيد في جوف الفرا) وفي التنزيل (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) كناية عن الجبناء والتفسير العلمي أن تفسر الكلمة من حيث اللغة أولاً .

في ص ٥١ « هذه اللغوب » أن تأنيث اسم الإشارة يوهم أن اللغوب جمع فالتبعة إما على المؤلف وإما على المحقق حيث فسره بالمتاعب بل هو مصدر مفرد كالنزول والصعود وفي القرآن (وما مسنا من لغوب) أي تعب فينبغي تذكير اسم الاشارة .

في ص ٦٤ « فلم يلبث العدو زهى ساعة » وفي الح ٢ « الظاهر زهاء » لقد فات المعلق ما هو أدق من هذا في ص ٢١ س ٣ (١) .

ومثله في ص ٤٤ س ١٥ (٢) ولعل الناسخ كان ضعيفاً جداً .

في ص ٦٥ مسألة عجيبة انصدرت عن قلم المؤلف ولم يحسن الدكتور تدارکها فقد جاء في المتن « وهؤلاء قوم يقال لهم اليزيدية يحبون زيد بن علي » فما اقحم زيد بن علي في قوم ينتسبون إلى يزيد بن معاوية ؟ وما أكثر الخابطين في

(١) نص العبارة « الان ، هي ثلاث ساعات .

(٢) نص العبارة « الانهى جذب الهند » والظاهر أن المؤلف كان يستعمل (الا زهاء) بمعنى (الا ربما) ثم يقصرها ويرسمها زهى .

تحقيق أصل هذه الطائفة كأنها لغز من الألغاز والمؤلف عراقي واليزيدية طائفة عراقية بينها وبين بغداد عشرة أيام في القديم وعشر ساعات في الحديث . وممن خاظ في هذا جماعة أحدهم (الزعبي) ألفوا كتباً خبطوا فيها خبط عشواء وممن تورط في هذا البحث مؤلفا حلقة (العراق) من سلسلة (شعوب العالم) رقم ١٠ ص ٣١ .

وكان تعليق الدكتور في ح ٣ — « هذه نظرية جديدة لم يسمع بها من قبل » وكان عليه وهو بحاثة أن يتداركها لا أن يتعجب ويكتفي بالتعجب ! — ان النحلة اليزيدية في أصلها (طريقة عدوية) نسبة إلى عدي بن مسافر الأموي الذي اتخذ له زاوية في جبال الموصل وكان له هناك شأن فجاء من خلفائه من أفسدها بالغلو وكانت يجاورها (طريقة صفوية منسوبة إلى الشيخ صفي الدين الاردبيلي في جهات آذربيجان فكان بينهما مباراة في الغلو المفرق بين المسلمين فكانوا (طرائق قددا) .

وجاء في المتن « ان المنلا حيدر رجلا من الأكراد كان يغزوهم » وفي اح . « الأصح رجل لا (رجلاً) » وهو اعتراض متكلف ووجه النصب ظاهر ! وحيدر هذا يحتمل أن يكون من الصفوية . ومن رواسب الصفوية طوائف متاخمة لليزيدية عندهم كتاب اسمه (بويوروق) بالتركمانية منسوب إلى الشيخ صفي .

في ص ٦٨ ح ٥ « الباج اتاوة تؤخذ على الغنم » وهو تفسير يخالف المستفاد من المتن وفي الأمثال العامية (الزم الحمل وخذ باجه) . أهل بغداد إلى الجنوب يفتحون الجيم وأهل الموصل يضمون الجيم [1] والأصل لهجة مضرية تنتهي إلى الأندلس وما أدري أصل لهجة الجنوب هل هي يمانية ؟ فاذا خرجت من البصرة لاقيت اللهجة المضرية في الكويت الخ ...

(١) مثلهم أهل تكريت وكل عرب الجزيرة وتقلب الهاء واواً .

في ص ٧٤ « دخل والد المؤلف والشيخ حسين الراوي على أمير الحويزة وكان ينظم قصيدة فوافقاه عند قوله :

ان كنت ازمعت هجراً أو ولعت به من بعد ودّ فانا حسبنا الله

فقال لها أتزويان الشعر ? فقالا له : — نعم وننظمه ... فأنشده الشيخ قصيدة على بحر قصيدته ورويها مطلعها :

عج بالمطي فان السعد وافاه والمجد يعرف مأواه ومعناه

وفي ح ٢ تعليق يفيد أن الدكتور يحفظ شيئاً في مصطلحات العروض وادعى أن الأفضل الراوي أن يأتي بضرب مخبون لا مقطوع » مع أنه لا شأن للضرب في هذا المقام.بل الشأن للبحر والروي دع أن بيت الراوي مطلع والمطلع يجوز فيه التصريع وبيت الخان واقع في وسط القصيدة وليس هناك أفضل ومفضل عليه ولا مجال للمقارنة ودع أن التصريع أقوى مما ليس فيه تصريع .

وفي ص ٧٤ بحث في (موضوع الرؤية) عند المتكلمين قال الدكتور في ح ٤ « الكلمة غير واضحة فقد تكون الرؤية أو الرواية » ولم يكتف بذلك بل أضاف « والأرجح الثانية » أي الرواية !?

وفي ص ٨١ مناظرة بين عالمين جاء في متنها لفظ (مضاددة) وفي ح ٤ « الأصل (مصادره) وهو غير واضح » .

في ص ٩٢ « حيث ظلت أعناق الناس لها خاضعة » وفي الح ١ « والأصل خاضعين » أي أن الدكتور أقام (خاضعة) مكان خاضعين مصححا ! وفاته أن المؤلف رمى إلى قوله تعالى (نظلت أعناقهم لها خاضعين) لملاءمة السجعة باعتبار أن الأعناق باضافتها إلى العقلاء أخذت حكم العقلاء تجوزاً .

ثم إن تأليف السويدي لا يأتي عصره بأحسن منه إلا أن في تتبع مجماته

ما يهدم الهرم لا سيما أن الطبع غير متقن ومن يصبر على تنجير مائة سجة ليحظى منها بجرعة ؟

والحق أن قيمة الكتاب بوثائقه لا برقائقه فالعمل مشكور من هذه الجهة وهو لا يستغني عن باحث يتتبع مطالبه التأريخية والأدبية وليس في وسعي إلا ملتقطات في غضون المطالعة ولست مسؤولاً عما فاتني فقد أغمض عيني وأتخطى بعض السطور خوف الأرهاق .

وعسى أن لا يكون عملي مثبطا لعزيمة الدكتور عن طبع الجزء الثاني وأنا مستعد لمساعدته ان شاء .

الطائفة اليزيدية في شمالي العراق

قرأت في حلقة (العراق) رقم ١٠ من سلسلة (شعوب العالم) من مصدرات (دار المعارف بمصر) لمؤلفين كبيرين الأستاذين حسن محمد جوهر وكيل وزارة التربية ... ومحمد الحنفي شمس الدين المفتش ... فصلا عنوانه : (اليزيديون) — ص ٣١ — جاء في أوله : « هم طائفة تدعي نسبتها إلى الإسلام فيحملون القرآن الكريم ويسمون أولادهم بالأسماء الإسلامية » إلى أن يقولا : وكلمة يزيدية مشتقة من أصل فارسي وهو (يزدان) وهو اله الخير عند الزردشتيين ... » وهذه العبارة تتضمن أكثر من عجب فليس هناك اشتقاق بل نسبة بإضافة ياء مشددة والنسبة إلى يزدان يزداني لا يزيدي وما علاقة إله الخير بعد اقتصارهم على تقدير إله الشر ؟

انها زلة كبيرة من المؤلفين الكبيرين بعد دعواهما انتساب اليزيدية إلى

الإسلام والحمل القرآن ... ويغلب على الظن أنهما لم يكلفا نفسيهما مطالعة الكتب المعتبرة ولعلهما لم يسمعا بها ... بل اكتفيا ببحث مستشرق قاصر أو مبشر ماكر أو رجعي خاسر يريد الرجوع بالمسلمين إلى الأديان البائدة متخذاً من حال اليزيدية ذريعة دنيئة لتفريق العناصر الإسلامية . وربما شجعوا (البهائية) أيضاً لهذا الغرض ! ومنهم من يشجع احياء (المواقد) !

لقد نضج البحث عن أصل اليزيدية وألف فيه متقدمون ومتأخرون ولا نريد أن نكرر مكرراً لولا اضطرارنا إلى تنبيه اخواننا في البلاد النائية ونحن نحيلهم على كتاب في اليزيدية للمرحوم أحمد تيمور باشا في مصر وكتاب للأستاذ العزاوي في العراق وعلى رسالة للإمام ابن تيمية في مجموعة رسائله الكبرى وعلى كتاب المقريزي الذي يذكر (الزاوية العدوية) بين الزوايا المصرية وعلى وفيات الأعيان لابن خلكان — حرف العين — .

أما تقديس اليزيدية للشيطان فهو بدعة نكراء جاءتهم من طريق غلاة التصوف وكان الشيخ حسن العدوي لقي ابن عربي المشهور وانظر (حوادث المائة السابعة) المطبوع في بغداد والمنسوب إلى ابن الفوطي خطأ ! ص ٢٧١ .

ووجهة نظر غلاة التصوف أن الشيطان أبى السجود لغير الله وتحمل الإهانة والحرمان في سبيل توحيد الله فكان سيد الموحدين ! لقد ضلوا وأضلوا وموهوا وكذبوا فإن الشيطان لم يأب السجود لغاية نبيلة إذ عارض الله وقال له (خلقتني من نار وخلقته من طين) ! (وقال أأسجد لمن خلقت طيناً) ؟ فحرفوا مقاصد الكتاب ولم يستحوا من رب الأرباب .

واليزيدية في أصلهم مسلمون متعصبون للإسلام وكانوا على المذهب الشافعي كسائر الأكراد المجاورين لهم ولأنهم صوفية لا تزال بينهم مصطلحات صوفية كالقوّال وهو المنشد والفقير وهو المريد ونحن أخبر بهم لمجاورتنا لهم وممارستنا

لأحوالهم ولولا فشو الجهل بينهم لأمكن إعادتهم إلى الإسلام بالطرق الطيبة وبينهم عرب [1] لهجتهم قريبة من اللهجة السورية لأن أصل عدي (رح) سوري وأكثريتهم يتكلمون باللغة الكردية بحكم المجاورة وهم متوغلون في الشمال من القفقاس إلى الأنضول إلى سورية وكانت روسية تحميهم في العهد العثماني لما أراد العثمانيون إعادتهم إلى الإسلام بالقوة .

أما طائرهم الذي يجمعون به الصدقات ويقال له : (الديك) فانه رمز إلى (عزازيل) الذي كان سيد الملائكة في حينه ... وكان يتمتع بجمال فائق كجمال الطاووس بين الطيور !

ومن مصطلحاتهم (طاووس ملك) وهذه العجالة تكفي للتبصرة .

ان هذا المقال كتتمة وتفصيل لما استطردت إليه في تعليقي على تأريخ بغداد .

(بغداد) محمود الملاح

---

(١) العرب منهم يسكنون في بعشيقة وبحزاني من قرى الموصل ومن المنتسبين إلى بعشيقا الشيخ شمس الدين الذي غدر بأبناء بدر الدين لؤلؤ ملك الموصل الذي كان نكل برجال الطريقة وفي الأمثال (الالحاح يفت الحجار) ؛ وفي الموصل مرقد يقال له مرقد (الشيخ شمس) يزعم اليزيدية أنه منهم ! ومن السهل ربط هـذا الاسم بسجود اليزيدية للشمس عند طلوعها . ينظر مختصر تاريخ الدول لابن العبري ص ٤٩٣ إلى ص ٤٩٦ .

آراء وأنباء

أنور الجندي

مؤرخ الأدب العربي المعاصر

مهما قيل في توجيه النظرية الإقليمية في الأدب والتنويه بالمذاهب المتفرعة عنها فان الذي نراه هو أن الأدب العربي يتلاقى على صعيد الفكرة الجامعة والاتجاه الموحد ، وأن أنصار الاقليمية ينهزمون كل يوم في ميدان الأدب وفي ميدان السياسة على السواء . لأن أمر العرب إلى وحدة وكلتهم إلى جمع وان جد المستعمرون وأذنابهم في تفرقتهم والتضريب بينهم .

ولقد كنا وما زلنا نعتقد أن الأدب العربي وحدة لا تتجزأ ، وأن ما يجد فيه من مذاهب واتجاهات هي وليدة تفاعل أفكار الأدباء العرب والتيارات الفكرية الحديثة التي طرأت على الأدب العربي بواسطة الترجمة عن الآداب العالمية والاطلاع على الثقافات الأجنبية المختلفة ، وليس شيء منها متولداً عن طبيعة الاقليم والسكان وخصائص الجنس والوراثة كما يحلو لبعضهم أن يعلل ذلك ، ولا نستدل إلا بأن أي مذهب أو اتجاه ظهر في بلد من بلاد العرب ، لا يلبث أن يتردد صداه في بقية هذه البلاد وينمو ويزدهر على يد أبناء العرب كافة كما كان الأمر فيما مضى حين كانت طريقة المتنبي التي ظهرت في المشرق تجد من أبي القاسم ابن هانئ راعياً لها في الأندلس حتى سمي بمتنبي المغرب . وكان البحتري يتمثل في ابن زيدون . والمعري وابن شهيد ، هذا في رسالة التوابع والزوابع وذلك في رسالة الغفران ، يكادان يردان من نبع واحد .

ولما ظهر التوشيح في بلاد المغرب وراجت سوقه بين أدبائها لم يمتنع أبناء المشرق أن اصطنعوه واستكثروا منه حتى ألفوا فيه كتبا مخصوصة .

كذلك كان الأمر في الوقت الحاضر ، فما أن ظهر بعد الحرب العالمية الأولى ما يسمى بالأدب المهجري من انتاج الأدباء اللبنانيين والسوريين المستوطنين في الأمريكتين حتى انتشر في العالم العربي وقلده الأدباء هنا وهناك . وفي فجر ظهوره وانتشار آثاره الأولى لجبران ونعيمة وأمين مشرق وغيرهم كان عندنا في طنجة محمد الحداد يكتب بذلك الأسلوب ويضرب على تلك النغمة حتى تحسبه أحد رواد ذلك المذهب . والآن نرى انتشار ما يسمى بالشعر الحر في العالم العربي وتجاوب دعاته وتحمسهم لبدعتهم بحيث لا يخلو قطر من الاقطار العربية من حامل لراية هذا المذهب ، فكيف يكون ذلك الآ إذا كان الأدب العربي مظهراً لوحدة العرب ومادة عضوية في تكوين هذه الوحدة .

ان الذين يفهمون هذه الحقيقة كثيرون ، ولكن نشاط دعاة الاقليمية كان يطغى عليهم . ثم وقع الجزر في مد هذه الطائفة فاختفت أو كادت تختفي أمام الشعور الفياض الذي يغمر الشعوب العربية بوحدة تراثهم نتيجة لوحدة جنسهم ولغتهم وآمالهم وآلامهم .

وأمامي الآن عمل من أضخم الأعمال التي تشهد لهذه الفكرة وتدعم هذا الاتجاه ، وهو ثلاثة مجلدات ضخام من تأليف الأديب المصري المعروف الأستاذ أنور الجندي ، كل مجلد منها يؤرخ لناحية من نواحي النشاط الأدبي الذي قام في بلاد العرب منذ فجر النهضة الحديثة الى الآن . فأولها يتناول موضوع « المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر » وثانيها يهتم بدراسة « المعارك الأدبية » في الشعر والنثر والثقافة واللغة والقومية والحضارة في العالم العربي

الحديث ، وثالثها يختص ببحث « الأدب الحديث » في معركة المقاومة والتجمع من المحيط إلى الخليج .

وهذه العناوين ليست دعاية فارغة بل هي واقع وحقيقة يتلمسها القارئ في كل صفحة من صفحات هذه الكتب التي لا تقل في اصغرها عن خمس مئة صفحة .

ومن عرف نشاط الأستاذ أنور الجندي وما له من عشرات المؤلفات في مسائل الأدب والتاريخ والفكر عامة ، يدرك مبلغ الإحاطة التي لكتبه هذه بالشاذة والفاذة من المسائل التي تناولها فيها .

فالمجهود جبار لا يتأتى إلا لجماعة من المختصين المنقطعين لهذا النوع من التأليف لو كانوا هناك ، ولكن واحداً من ذوي الهمم العالية والصبر المنقطع النظير والفهم العميق للأوضاع الفكرية القائمة في مختلف بلاد العرب التي تتداعى فيها الاتجاهات والأنظار ، هو أنور الجندي ، استطاع أن يقوم بهذه المهمة الشاقة وأن يؤديها بمفرده على أتم وجه .

انها في الحقيقة موسوعة أدبية تضاهي في قيمتها التاريخية ، بالنسبة للأدب العربي الحديث ، تاريخ الأدب العربي لبركلمان الشهير ، على أنها حسب برنامج الأستاذ المؤلف ما يزال لها ذيول طويلة تخرج بها في عشرة مجلدات تتناول معركة التغريب في الفكر العربي والصحافة السياسية في الأدب العربي المعاصر والشعر العربي المعاصر والقصة العربية المعاصرة ومعالم الأدب العربي المعاصر بين الحربين ومعالمه بعد الحرب الثانية ، وحقائق السياسة والفكر والاجتماع في الأمة العربية ، وهو برنامج حافل نرجو للأستاذ أنور الجندي أن تتاح له وسائل تحقيقه مع متمنياتنا له بدوام الصحة والعافية وأنه لمحققه بحول الله .

عبد الله كنون

غير ــ الغير

المعاجم ، أم المعجمات ، أو كلاهما

اللغات ، مجلة عربية اللغة والنزعة ، تصدر في تونس الخضراء ، وتُعنى عناية خاصة بالأدب والنقد .

ومن كتابها الذين ينبهون على ما تقع فيه الألسنة والأقلام من أخطاء : الدكتور الطاهر الخميري ، والدكتور ابراهيم السامرائي .

أنكر الدكتور السامرائي على زميله الخميري في المآخذ التي أخذ بها غيره من الكتاب : أن ادخل (ال) على «غير» في قوله «التعبير الغير الدقيق» وأنه جمع مُعْجم على « معاجم » وحقها أن تجمع على « مُعْجمات » .

وكتبتُ كلمة بعثت بها إلى مجلة « اللغات » التونسية لصلة لي بها . ثم رأيت أن مثل هذه الموضوعات من حق المجامع أن تُعرض عليها ، لتبت فيها .

وهذا بعض ما كتبته في هذا الموضوع . أعرضه على أعضاء المجمع وقراء مجلته ، ليكون الرأي رأي جماعة ، لا رأي فرد .

١ ــ غير ــ هل يجوز دخول أداة التعريف عليها أم لا يجوز ؟ هذه مسألة من المسائل التي كثر النقاش فيها . أنكر تعريفها كثيرون ، بحجة أن (غير) متوغلة في الابهام فلا يفيدها التعريف تعريفاً .

وعرفها بأل كثيرون من المتقدمين والمتأخرين . قال السجاعي في باب كان وأخواتها : (كيف ، للاستفهام الغير الحقيقي) وقال الموربني في مقدمته على المحيط : (ويترك الكلمات الغير المفتوحة) .

ادخل السجاعي والموربني (ال) على (غير) في حيث كانا في غنى عن ادخالها ، لتمام المعنى من دونها . فلو أنهما قالا (للاستفهام غير الحقيقي) أو (الكلمات غير المفتوحة) لما اختلف المعنى ، ولكان التعبير أخف وأرشق . والله تعالى يقول : (غير المغضوب عليهم) وهو الأسلوب العربي المستساغ ، به يقتدي وعلى منواله ينسج [1] .

بقي أن القول : بأنه لا يجوز دخول أداة التعريف على (غير) لتوغلها في الابهام قول فيه نظر . فالنكرة تعرف بالإضافة ، كما تعرف (بال) فكيف جاز لنا أن نقول (غيري) وقال (غيره) وهل قولنا : (غيري فعل هذا) أكثر تعريفاً من قولنا (الغير فعل هذا) ؟

أما وقد جاز تعريف (غير) بالإضافة ، فلِمَ لا يجوز تعريفها (بال) حيث تقضي الضرورة ؟ قد يكون السبب في هذا المنع ، أن غير إذا دخلت عليها أداة التعريف ، لا يجوز أن تضاف إلى معرفة مثلها فقولنا : (الغير المغضوب عليهم) مما تنبو عنه الآذان ، ولا تستسيغه قواعد اللغة .

ثم ان (غير) إذا دخلت عليها (ال) منقطعة عن الإضافة كانت أخف وقعاً وأكثر سواغية . أليس في قول الموربني في مقدمته على المحيط : (توجيه الكلام نحو الغير) اوقع في الأذن من قوله نفسه ، في المقدمة نفسها (ويترك الكلمات الغير المفتوحة) ومن قول السجاعي : (كيف للاستفهام الغير الحقيقي) ؟

---

(١) وأسوأ من دخول (ال) على المتضايفين ، وأبعد عن قواعد اللغة ، وأعرق شذوذاً في الاعراب ، دخولها على المضاف دون المضاف إليه . في مثل قولهم (الغير دقيق) و (الغير حقيقي) .

واستئناساً بهذا ، استعمل رجال القانون ، ومن قبلهم رجال الشريعة (اعتراض الغير) [1] والغير هنا لها مدلول واضح ، ينفي عنها الابهام .

* * *

٢ — المعاجم ، ومما أنكره الدكتور السامرائي جمع (مُعجم) على (معاجم) قال :

ان (مُعْجَم) بصيغة اسم المفعول ، ولا تعرف في العربية أن (مُفْعَلاً) تجمع على (مفاعل) فهو جمع مُستحدَث مبني على التوهم .... والوجه أن يقال (مُعْجَمات) .

قال :

« وقد وقع شيءٌ من ذلك في مطلع هذا القرن . فقامت خصومة لغوية بين أسعد داغر والأب أنستاس الكرملي [2] ... وقد ظن جماعة أن « المصاحف » مثل المعاجم ظناً منهم أن المفرد هو « مُصْحَف » بصيغة المفعول . وفصيحه (مِفْعل) بزنة اسم الآلة . »

نقول : ليس من خلاف في أن (مُفْعَل) بصيغة اسم المفعول يجمع قياساً على (مُفْعلات) غير أن لفظة (مُصْحَف) التي عدها الناقد بزنة اسم الآلة هي (مُصْحَف) اسم مفعول من أصحِف : أي جمعت فيه الصحف .

فلا علاقة له باسم الآلة .

ومثل المُصْحف :

(١) اعتراض الغير طريقة يلجأ اليها شخص ثالث اعتراضاً على حكم مجحف بحقه .
(٢) ليت الدكتور السامرائي ذكر لنا شيئاً عن هذه الخصومة اللغوية فنفيد منها في كلمتنا هذه .

المُجْسَد ، اسم مفعول من « أجسد » أي ألزق بالجسد .

والمُطرَف ، اسم مفعول من « أطرف » وهو الثوب يجعل فيه علمان .

والمُغزَل ، اسم مفعول من أغزل : أي أدير وفُتل .

لا اسم آلة من غزَل وان كان له وجه صحيح .

والمُخدَع : وهو اسم مفعول من أخدع أي كُتم وأخفيَ أو هو اسم مكان .

وجعله سيبويه اسماً .

هذه الألفاظ جاءت كلها بصيغة اسم المفعول (مُفعَل) وجُمعت على (مفاعل) فقالوا مَصاحف ، ومَجاسد ، ومَطارف ، ومَغازل ، ومَخادع ، جمعاً لمُصحَف ، ومُجسَد ، ومُطرَف ، ومُغزَل ، ومُخدَع ، على الأصل ، ولغة قيس . أما تميم فقد استثقلوا الضم فعدلوا عنه إلى الكسر . وكتب اللغة ، تذكر اللغتين : الضم والكسر . ونحن بعد في الخيار ، نضم متابعةً لقيس وللأصل ، أو نكسر مشايعة لتميم وللتخفيف .

ولو أن العرب استعملوا (مُعجَم) في ما أُستعمِل له اليوم ، لما ترددوا في جمعه على (معاجم) .

وأصحاب (المعجم الوسيط) ولهم مكانتهم اللغوية . جمعوا (مُعجَم) على معاجم وعلى (معجمات) .

وكثيرون غيرهم ممن يستأنس برأيهم جمعوه هذا الجمع .

والرأي بعد ، في هاتين اللفظتين للثقات من أساتيذ اللغة .

عارف النكدي

عالَم الأندلس البكر

متى يكتب له النور

عالَم الأندلس ، ما زال عالماً بكراً ، لا نعرف عنه إلا الأقل . ولا يمكن أن يُغتفر في هذا العصر الذي انحسرت فيه جميع القيود والحدود ، أن يظل تراثنا الأندلسي مجهولاً عند الخاصة ، بله العامة ، لا سيما وأن العرب قد طالت مدة ضيافتهم [(١)] في هذه البقعة الأوربية حتى بلغت ثمانية قرون . فما يدرّس في مدارسنا إلا النزر اليسير عن تاريخ هذه الحقبة التي كادت تبلغ ثلثي مدة عيش الإسلام في الدنيا . وعناية الباحثين لا تنقع غلة حتى اليوم . وليس بين أيدي الذين يريدون أن يتبعوا ما كان في هذا الفردوس المفقود من علم وحضارة وعمران وتاريخ أي دليل منظم ، ولا غير منظم ، إلا ما وضع الفرنجة ، إما بشكل موجز ، يعرّفون فيه الناس على ما في أراضي دولتهم ، وإما دراسات لبعض علماء المشرقيات ، ليس فيها ، على جلالتها ، الغناء أو كل الغناء . وكلاهما بلغات غريبة عن العربية ، قلّ أن ينتفع بها طلاب المعرفة من أبناء العروبة . وما أدري ماذا صنعت جامعة الدول العربية ، ومعهد مخطوطاتها ، الذي صور قرابة مئة ألف مخطوط ، كثير منها عن مكتبات اسبانيا ؟ وهل قنعت في رصّ هذه الأفلام في خزائنها ؟

واقد دلتني الرحلتان القصيرتان اللتان قمت بهما إلى اسبانيا ، في نيسان وتشرين الثاني من عام ١٩٦٢ ، على أن تراثنا ما زال بعضه بين أيدي الناس ، ولعله لا يقل أهمية عما في الخزائن العامة ، إن لم يكن أهم منه . ذلك أنني تعرفت

(١) استعرت تعبير (الضيافة) من الكتاب الجليل الذي بدأه ولم يتمه العلامة الأمير شكيب أرسلان رحمه الله وسماه (الحلل السندسية ، في الأخبار والآثار الأندلسية) . ولم يصدر منه الا ثلاثة أجزاء . والأجزاء الباقية بقيت في طي الغيب . (راجع الجزء الأول — صفحة ١٥٤) .

في مدريد على القائم بأعمال الجمهورية اللبنانية فيها ، الأستاذ عادل اسماعيل ، وهو رجل مثقف مطلع ، مختص بالتاريخ الإسلامي ، وأطلعني على مخطوطة عربية ابتاعها من الأسواق ، اسمها (نظام الحلل في تاريخ الدول) للسان الدين ابن الخطيب . والكتاب معروف ومطبوع ، ولكن الذي استرعى انتباهي أمران اثنان :

أولها — أن هذه المخطوطة قد كتبت في عصر المؤلف[1] ، فقد جاء في آخرها : كتب يوم السبت في ٢٠ جمادى الثانية ٧٦٣ هـ ، فهي إذن من أصح النسخ ، وأوثقها .

وثانيها — وهو أهمها أن الأستاذ عادل اسماعيل ، قد ابتاع هذه المخطوطة من وراق عادي في مدريد القديمة . وهذا الوراق قد وصلت إليه من إحدى التركات . وهذا يدل على أن الكثيرين من الإسبانيين ما زالوا يحتفظون حتى اليوم بالمخطوطات العربية في دورهم ، بدون أن يعرفوا قيمتها ، ولا محتواها . ولعلنا لو بحثنا عما في أيدي الناس من هذه المخطوطات لوجدنا الشيء الكثير ، ولعل البحث يكشف عن كنوز أعظم وأثمن من الكنوز التي تحتويها خزائن المكتبات العامة .

إننا نرى البعثات الأجنبية الأثرية (دانمركيـة وفرنسية وأمريكية وغيرها ...) تفد إلى البلاد العربية لبحث والتنقيب عن آثار الحضارات القديمة ، على اختلاف أعراقها وأزمانها ، وتنفق حكوماتها في هـذا السبيل الأموال الطائلة ، وهي لا تبغي من وراء ذلك إلا خدمة العلم ، خدمةً خالصة ، من دون أن تكون لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بهذه الحضارات ، ولا بأهليها ، وهي ليست منتسبة إليها من قريب أو بعيد ، إلا بنسبة الإنسانية والعلم والحضارة ، وأكرم بها من نسبة .

(١) توفي لسان الدين عام ٧٧٦ هـ أي أن هذا المخطوط كتب قبل ثلاثة عشر عاماً من وفاته .

ونرى إلى جانب ذلك دولاً عربية حرة ، منتشرة من الخليج إلى المحيط ، وفيها وزارات الثقافة والإرشاد ، وفيها مجامع علمية وجامعات ، ولها سفارات ، ولم نعرف أن واحدة منها قد فكرت في أن تخدم آثار حضارتنا نحن في الأندلس ، التي عاشت حية ثمانمئة سنة ، ثم امتدت إلى ما بعد ذلك بقرون ، ولا أبالغ إذا قلت أنها ممتدة إلى يوم الناس هذا ، وهي بحر زاخر ، قد يستغرق الإلمام به عدداً عديداً من السنين ، هذا إذا جند له المختصون من العلماء ، الخاصون في خدمة العلم ، وليسوا قلة ولله الحمد ، بل هم عدد وفير ، ومنهم من يتلهف على تحقيق هذا الغرض النبيل .

وقد تعجب حينما تعلم أن بعض الاسبانيين ، الذين يفاخرون بأن أصلهم عربي ، قد عادوا اليوم إلى تزيين دورهم بالأحرف والأرقام العربية ، فلقد رأيت بأم عيني كتابات وأرقاماً عربية في الطريق بين مدريد وطليطلة ، على جدران البيوت الخارجية ، اعتزاز بها وتمجيداً لأصحابها ، ثم ترى عزوفنا ، نحن العرب ، عن أن نعرف ماذا كان في هذه الرقعة من الأرض ، وماذا فعل العرب فيها ، ومَن أنجبت ، وماذا تركوا من مخلفات ، في شؤون الفكر والعلم ، أو في شؤون العمران ، أو في غير ذلك .

ولم يكن يخطر لي في بال ، أن اللغة العربية ، بقيت لغة الناس في طليطلة خمسمئة سنة بعد جلاء المسلمين عنها ، حتى قرأت ما أورده الأمير شكيب رحمه الله في معلمه الأندلسية — الحلل السندسية — نقلاً عن المستشرق الإسباني (أنجل غوانزاليز بالانسيه Angel Gonzalez Palencia) الذي كان أستاذاً للأدب العربي في مجريط [1] « لقد جمع هذا الأستاذ تحت عنوان (نصف العرب ، أو موزاراب طليطلة ، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر) عدداً كبيراً من الصكوك والوثائق التي كانت تكتب في طليطلة لذلك العهد ، فبلغ ذلك

(١) راجع ص ٣٦٦ من الجزء الأول .

ثلاثة مجلدات ، فيها ما يناهز ألف صفحة بالقطع الكبير مع ترجمتها بالإسبانيولي » .

وقد ساق الأمير رحمه الله نماذج من هذه الوثائق والصكوك [١] ، وكلها مكتوب بعد عام ١٠٨٥ للميلاد ، أي بعد أن خرجت طليطلة من أيدي المسلمين . ومواضيع هذه الصكوك كثيرة التنوع ، بحيث لم تترك ناحية من نواحي المجتمع الطليطلي إلا امتدت إليها ، وفي هذه دلالة واضحة على أن العربية كانت لغة المجتمع بأمره ، لا لغة حاجة معينة ، ولا لغة المترفين أو المثقفين أو الارستقراطيين . فترى في هذه النماذج مثلاً عقود بيع وشراء ، وفي بعضها إشارة إلى بوار البساتين وقطع الثمار ، وفي عقد آخر تصريح بأن حدود الدار المبيعة في الشرق إسطبلٌ كان مسجداً في القديم (كذا) ، وفي غيرهما دلالة على أن الأسرى من النصارى والمسلمين كانوا يباعون بالمناداة وبالوثائق ، وفي صك رابع ترى شراء المسلمين لحريتهم ، وهي (المكاتبة) المعروفة في الشريعة الإسلامية ، وفي بعض الوثائق سندات دين ، أكثرُ المتعاملين فيها من اليهود . ومن غريب هذه الصكوك صك يتضمن استرهان الأسارى ، والتعامل بهم ، كأنهم من جملة الأموال . وأعجب منه صك وقف ، كان الواقف فيه مسيحياً ، وكان القاضي عربياً أو مستعرباً ، بعد نحو مئة وسبعين سنة من جلاء المسلمين عن طليطلة ، كما كان صاحب المدينة منهم . كذلك عقود النكاح بين النصارى كانت تدون باللغة العربية ، كما يدل على ذلك صك مكتوب عام ١٢٢٣ م أي بعد مئة وثمان وثلاثين سنة من الجلاء . ومن بينها أيضاً عقود الوصية . ومما هو حري بالبحث والدرس لغة هذه الصكوك والوثائق ، والاصطلاحات الكثيرة الواردة فيها . وقد اجتهد الأمير رحمه الله في حل كثير من غامضها .

هذا بعض الأثر الذي تركه العرب في إسبانيا ، حتى بعد جلائهم عن بعض مناطقها . لقد انتدب هذا الأستاذ الإسپاني نفسه لجمع هذه الصكوك والوثائق ،

(١) من صفحة ٣٦٦ إلى صفحة ٤٢١ من الجزء الأول .

ولعل فيما لم يثل به الأمير رحمه الله ، في النزر اليسير الذي نقله ، نواحي أخرى خليقة بأن تكشف لنا عن بعض حقائق تاريخنا ، أو امتداد تاريخنا في اسبانيا .
وكم يا ترى مثل هذه الكنوز ، في الأرض الأندلسية ، ولا يدري أحد عنها شيئاً ؟

ومن أعظم ما كشف الأمير الأرسلاني عنه رحمه الله في كتابه هو المراسلات السلطانية بين ملوك ووزراء العرب والفرنجة ، وهي وثائق أهداها إليه الحاج محمد العربي بنونة من أعيان تطوان ، وقد ساقها مع التعليق عليها في قرابة مئة وعشرين صفحة من الجزء الثاني [1] . والذي يفهم مما أورده الأمير أن هذه الوثائق أهديت إلى أخ الحاج محمد العربي بنونة ، ولكنها ناقصة ، فقد ورد في الكتاب الذي بعث به إلى الأمير قوله [2] : « ولم يقدموا المجموعة للمرحوم أخي كاملة ، لأن أرقامها غير مرتبة . ولست أدري هل ذلك مقصود منهم ، أم من باب المصادفة ؟ » .

ومما يدخل في هذا الباب ولا يقل عنه شأناً وثائق أخرى رآها الحاج المشار إليه في مدينة (سلا) وقال عنها ، تتمةً لكتابه السالف الذكر : « أقول هذا لأني أذكر أنني رأيت عدة ظهائر [3] موجودة بهذه المجموعة عند المرحوم محمد بن الحسن سامي ، أحد الغواة (كذا) بجمع الآثار بمدينة سلا ، وأذكر أنها واضحة الكتابة أكثر من هذه ، وبها تهديد مثالب بعض الأمراء الاسبانيين ، رأيتها سنة ١٣٤٨ ، في آخر مرة زرت فيها المنطقة السلطانية ، أي قبل صدور الظهير البربري الذي منع دخولنا إلى تلك المنطقة . ثم توفي سامي إلى رحمة الله . ولست أدري ما صنع الله بمجموعته . »

(١) من صفحة ٢٢٩ من الجزء الثاني حتى آخر الكتاب .
(٢) الجزء الثاني صفحة ٢٨٦ .
(٣) كأنها تفيد : المراسيم بلغة هذا العصر .

هذا غيض من فيض ، أو نقطة من بحر ، مما عرف الناس عن حكم العرب لاسبانيا . كشف بعضه الفرنجة ، وما زال الباقي ينتظر همم العرب من أبناء هذا الزمان للكشف عنه .

ان المدة الطويلة التي عاشها المسلمون في اسبانيا ، تؤلف جزءاً ضخماً من تراثنا الضخم . ولست أفاضل بين مشرق ومغرب ، كما كان يفعل الأقدمون ، بدافع من العصبية التي محاها الإسلام ، لا سيما وأنه لم يبق لنا من الأندلس إلا التراث والذكرى . ولكني أعتقد أن العبقريات الكبيرة التي نبغت في أرض الأندلس [1] ، وكاد ذكرها يندرس ، لا تقل عن العبقريات التي نبغت في المشرق . وقد وجد شاميون حرصوا على نشر بعض ما يتعلق بالشام ، ووجد قاهريون نشروا بعض ما ألف عن القاهرة أو فيها ، وكذلك في بغداد وتونس والمغرب . أما الأندلس فقد أضحت في زماننا هذا ، ومنذ نحو خمسمئة عام يتيمة ليس لها من يكشف محاسنها ، ويجلو مفاخرها . الا ما اتفق لبعض الأفراد من العرب أو الفرنجة ، وهو أقل من القليل . فينبغي أن يعتبر تراثها تراثاً مشتركاً بين العرب كافة يأخذ كل فريق منهم بنصيب في خدمة آثارها ، ولا أغالي إذا قلت : أحجارها الباقية . واني لأهيب بالدول العربية ، وبالمجامع العلمية ، وبالجامعات ، وبوزارات المعارف ، أن تولي هذا الموضوع الخطير حقه من العناية والاهتمام ، وأن تختار جلة من العلماء ، يصحبهم فريق من الشباب المثقف ، ليتصرفوا إلى أحصاء مخلفات العرب في الأندلس ، في جميع الميادين ، احصاء علمياً دقيقاً ، قائماً على البحث ، متذرعين بالصبر الطويل ، وإن تمادى ، وأن يُنشر من المخطوطات ما هو خليق بالنشر ، سواء أكان يتعلق بالعلم ، أم بتاريخ العلم ، وسواء أكان في الأدب ، أم في غير ذلك من الشؤون . فلقد

(١) رأيت عجباً من العجب في تراجم من نبغ في طليطلة وحدها من الأئمة . ولعلي أفرد لذلك بحثاً خاصاً .

أشار الأمير الأرسلاني رحمه الله إلى العناء الذي كابده في زيارة خزائن الكتب العامة(١) ، وكم قضى فيها من الأيام ، باحثاً منقباً ، وناسخاً أحياناً .
وليس هذا العمل ، في هذه الأيام ، من عمل الأفراد ، وانما هو منوط بالدول أو المؤسسات العامة التابعة لها ، فهي وحدها القادرة على الإنفاق ، وهي وحدها المسؤولة عن احياء التراث . أما عمل الأفراد ، فلا يعدو أن يكون رغبة اعتلجت في النفس ، أو هوى استأثر بها واستبد . وليس فيه الغناء المنشود ، وإن كان لا يخلو من نفع .

انا نرى الباحثين في عصرنا هذا من علماء الغرب ، يحرصون على قصاصة ورق تتعلق بتاريخ أمتهم ، أو على نقش تافه باق على حجر قديم ، أو على أي أثر من الآثار التي تتصل بحضارتهم ، مهما قل شأنه . وترى العالم منهم يطوي البراري ويركب البحار ، ليبحث عن موضوع صغير ، أثيرت حوله شبهة ، أو ظهرت فيه روايتان . ونحن نرى بين سمعنا وأبصارنا عشرات الألوف من المجلدات ، وما لا يحصى من الآثار الشواهد البواقي ، ولا ندري عنها شيئاً ، ولا نسعى لنشرها بين الناس ، ولا نعلّم أبناءنا ما ينبغي أن يعلموا في المدارس . ولو كتب الله أن تلقي نظرة على برامج التاريخ في جميع مراحل التعليم ، لأنكرت كل الإنكار هـذا الاهمال الذي شمل الأندلس ، وهي كما قلت ، ثلثا عمر المسلمين في الدنيا .

اني لأرجو أن تلقى هـذه الدعوة حقها من العناية ، وأن لا تكون صيحة في واد .

ظافر القاسمي

---

(١) راجع في الصفحة ٣٥٠ وما بعدها الوصف الرائع لخزانة الكتب الوطنية في مجريط وحدها .

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثامن والثلاثين

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء

REVUE DE L'ACADÉMIE ARABE DE DAMAS
Vol. XXXVIII, N° 2.

مطبعة الترقي

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تموز « يوليو » سنة ١٩٦٣ م — ٩ من صفر سنة ١٣٨٣ هـ

أخطاء شائعة

في ألفاظ العلوم الزراعية والنباتية

(وكلمات مولَّدة يفيد إقرارُها)

(١)

تمهيد. — تكلم معظم اللغويين، في القديم والحديث، على موضوع اللحن، لحن العامة، ولحن الخاصة، وعلى الخطأ في الألفاظ أو في المعاني، وعلى الانحراف عن القوانين اللغوية المتبعة: كالتوهم في الإعراب أو في بناء بعض المفردات، وكالانحراف للإتباع والمزاوجة، أو للضرورة الشعرية. وتكلموا على ما شذّ عن القياس مما جاء عن القدماء فعُدّ مقبولاً وليس من الخطأ الخ.

ومن المعلوم أن اللحن قديم، ولا سيما في الحواضر. ويرى بعضهم أنه بدأ في قراءة القرآن الكريم وذلك عندما استغلق المعنى على أحد القارئين فقرأ: « إن الله بريء من المشركين ورسوله » بجر كلمة « رسوله ».

وأقدم كتاب في اللحن اطلعتُ عليه هو «كتاب ما تلحن فيه العوامّ» وضعه لهارون الرشيد علي بن حمزة الكسائي المتوفى سنة ١٩٢ للهجرة ، وحققه وعلّق عليه الأستاذ الفاضل عبد العزيز الميمني ، وطبعته المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٤ ، وأصدرته مع رسالتين صغيرتين حققهما الأستاذ المشار اليه الأولى في « كلاّ » وما جاء منها في كتاب الله سبحانه ، لأبي الحسين أحمد بن فارس صاحب مجمل اللغة المتوفى سنة ٣٩٥ للهجرة . والثانية رسالة الشيخ محيي الدين بن عَرَبي الى الإمام الفخر الرازي .

أما آخر كتاب اطلعت عليه في اللحن والأغلاط اللغوية فهو كتاب «الأخطاء اللغوية الشائعة» للأستاذ اللغوي محمد علي النجار زميلنا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة . والكتاب جماع محاضرات ألقاها في معهد الدراسات العربية العالية . وهي قسمان قسم أول ألقي في سنة ١٩٥٩ للميلاد ، وقسم ثان ألقي في السنة التالية أي سنة ١٩٦٠ «١٣٧٩ هـ» .

وبين التاريخ الذي صدر فيه كتاب الكسائي ، والتاريخ الذي صدر فيه كتاب النجار صدرت كتب كثيرة تناولت موضوع الأخطاء اللغوية ، منها ما ذكره الأستاذ النجار في محاضراته ، ومنها ما أغفل ذكره . فمن الكتب التي ذكرها وذكر أمثلة على الأخطاء الواردة فيها :

(١) كتاب «إصلاح المنطق» للإمام اللغوي المشهور ابن السكّيت ، وهو أبو يوسف يعقوب بن اسحق توفي سنة ٢٤٤ هـ . وكتابه هذا من أجلّ كتب اللغة . طبع أخيراً وجاء في تضاعيفه ذكر لبعض ما يخطئ فيه العامة .

(٢) كتاب «ما يلحن فيه العامة» لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني أستاذ المبرد وابن دريد . كانت وفاته سنة ٢٤٨ هـ . على ما ذكره ابن خلكان . وكتابه هذا مفقود .

(٣) «أدب الكاتب» لابن قُتَيْبة . وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة من أئمة الأدب واللغة . كانت وفاته سنة ٢٧٦ للهجرة . وكتابه الجليل هذا له شروح قديمة ، طبعه بعض المستشرقين ، ثم أشرف الأستاذ محب الدين الخطيب على طبعه في مطبعته السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٦ هـ . وقد جاء في تضاعيفه ذكر لبعض أغلاط العامة . وذكر الأستاذ محمد علي النجار أن من تآليف ابن قتيبة كتاب إصلاح الغلط ، وأنه لم يقف عليه .

(٤) «الأمالي» لأبي علي القالي . وهو إسماعيل بن القاسم بن عَيْذون ... قال أبو الغيث خير الدين الزركلي صاحب قاموس «الأعلام» إنه كان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب . ولد ونشأ في منازجرد على الفرات الشرقي ، وتعلم في بغداد أخذاً عن ابن دريد وابن الأنباري وابن قتيبة وأشباههم ورحل الى الأندلس ، واستوطن قرطبة حيث كانت وفاته سنة ٣٥٦ هـ . وكتاب «النوادر» المعروف بأمالي القالي من أجود كتب الأدب واللغة ، وهو مطبوع ويشتمل على بعض أخطاء العامة .

(٥) «ما تلحن فيه العامة» للزُّبَيْدي . وهو محمد بن الحسن بن عبيد الله الزبيدي الأندلسي ، عالم باللغة والأدب ، أخذ عن أبي علي القالي ، وتوفي في قرطبة سنة ٣٧٩ للهجرة . وكتابه هذا لا يزال مخطوطاً ، وفي مكتبة الإسكوريال نسخة منه .

وذكر الأستاذ الفاضل الشيخ محمد علي النجار أن لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ كتاباً جليلاً هو «تصحيح التصحيف» جمع فيه ما في عدة كتب ، منها كتاب الزُّبَيدي في اللحن ، ورتب ما جمعه على حروف المعجم ، ورَمَزَ لكل كتاب بحرف ، ورَمْزُ كتاب الزبيدي عنده حرف الزاي . قال : وهذا الكتاب منه نسخة مصورة في الخزانة الزكية بدار الكتب المصرية .

(٦) كتاب «دُرّة الغَوّاص في أوهام الخواص» لمؤلفه أبي محمد القاسم ابن علي الحريري صاحب المقامات المشهورة . توفي سنة ٥١٦ هـ . وفي خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق نسختان مطبوعتان من الدرة، إحداهما طُبعت سنة ١٣٠٠ هـ . في قسطنطينية، والثانية طبعت سنة ١٨٧١ م في هَيْدابرغ من مدن ألمانية . وممن كتبوا على درة الغواص الخفاجي والألوسي وكتاباهما مطبوعان .

وقال الأستاذ النجار: «ألّف في لحن الخاصة قبل الحريري أبو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ . ولم نقف على كتابه لنصف منهجه فيه» .

قلت: في خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق الجزء الأول من كتاب مطبوع سُمي «كتاب التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه، تأليف فيلسوف اللغة الإمام العلامة أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري طُبع بمطبعة الظاهر بشارع الاستئناف بالقاهرة سنة ١٣٢٦ بعد الهجرة — ١٩٠٨ إفرنكية» .

وفي المكتبة الظاهرية التابعة للمجمع مخطوط صغير سمي «كتاب أخبار المصحفين تأليف أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري» .

وأبو أحمد العسكري كانت وفاته سنة ٣٨٢ هـ . وهو خال أبي هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ . ونحن أيضاً لم نطلع على كتاب أبي هلال في «ما تلحن فيه الخاصة» . أما الجزء الأول المطبوع من كتاب أبي أحمد فقد جاء في ١١٣ صفحة . وهو يشتمل على عدد غير قليل من الألفاظ المصحفة التي وهم فيها العلماء البصريون والعلماء الكوفيون وغيرهم، على ما يراه المؤلف .

(٧) «تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة» لأبي منصور موهوب بن أحمد ابن محمد بن الخضر الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ . وقد ذكر الأستاذ النجار تكملة الجواليقي هذه، ولم يذكر أن زميلنا الأستاذ عز الدين التنوخي قد حققها ونشرها سنة ١٩٣٦ م في مجلة مجمعنا بدمشق .

(٨) « لغة الجرائد » للغوي المشهور الشيخ إبراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٩٠٦ م . وكتابه هذا طبع في مصر . وليس للنسخة التي هي عندي تأريخ .

(٩) « تذكرة الكاتب » لأسعد خليل داغر من الأدباء المعاصرين . توفي سنة ١٩٦٠ م .

وللأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي نقد وملاحظات شملت نحو ربع ما سرده المؤلف من الانتقادات[1] .

والكتب التي لم يذكرها الأستاذ الفاضل الشيخ محمد علي النجار في محاضراته الملمع اليها كثيرة منها القديم ومنها الحديث . فمن الكتب القديمة :

« المزهر » لمؤلفه الجلال السُّيُوطي المتوفى سنة ٩١١ للهجرة . ففي المزهر المشهور ذكر لعثرات نبه عليها الإمام السيوطي .

ومنها « ما يلحن فيه العامة » لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢ هـ (وهو التاريخ المرجح[2]) وهذا الكتاب لم نعثر عليه .

ومنها أيضاً كتاب « التنبيه على اللحن الخفي » لهاشم بن أحمد بن عبد الواحد الحلبي ، الخطيب المتوفى سنة ٥٧٢ للهجرة .

ومنها « التنبيه على غلط الجاهل والنبيه » لابن كمال باشا التركي المتوفى سنة ٩٤٠ للهجرة . وهو أحمد بن سليمان بن كمال باشا كان مفتياً في قسطنطينية ، وتسمى اصطنبول . وقد نشر المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي هذا الكتاب في مجلة المجمع العلمي العربي (المجلد السادس ، بدءاً من الصفحة ٤٣) .

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ج ٤ ص ٢٥٩ ، وكذلك ص ٣٠٧ .
(٢) ذكرتُ ذلك في البحث الذي عنوانه « أبو حنيفة الدينوري والجزء الخامس من كتاب النبات » . وهو منشور في الجزء الثالث من المجلد ٢٦ من مجلة المجمع العلمي العربي (ص ٣٤٦) .

ولا شك أن للقدماء في هذا الباب كتباً ورسائل أخرى لم نهتد اليها أو لم نبحث عنها ·

ومن الذين ردوا كلمات عاميـة الى الصحيح ابن الحنبلي الحلبي المتوفى سنة ٩٧١ للهجرة في كتابه « بحر العوّام فيما أصاب فيه العوام » ، وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي طبعه سنة ١٩٣٧ بعد أن حققه زميلنا وصديقنـا اللغوي الأستاذ عز الدين التنوخي ·

أما كتب المعاصرين التي لم يرد ذكرها في المحاضرات التي مر ذكرها فقد عرفنا بعضها ومنهـا :

« إصلاح الفاسد من لغة الجرائد » للأستاذ المرحوم محمد سليم الجنـدي المتوفى سنة ١٩٥٥ للميلاد · وكتابه هذا طُبع في دمشق سنة ١٩٢٥ م · وفيه نقد وتخطئة للشيخ ابراهيم اليازجي في بعض ما ذكر في كتابه « لغة الجرائد » أنه غير صحيح ·

ومنها « كتاب المنذر الى المجمع العلمي العربي في دمشق » ففي الجزء الأول منه بحث في عثرات الأقلام ومفردات اللغة العربية · وهذا الكتاب مطبوع في بيروت طبعة ثانية سنة ١٩٢٧ م · وكانت وفاة المرحوم إبراهيم المنذر سنة ١٩٥٠ م ·

ومنها « عثرات اللسان في اللغة » للمرحوم الشيخ عبد القادر المغربي المتوفى سنة ١٩٥٦ م · وهذا الكتاب طبعه المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٤٩ م ·

ومنها أيضاً « مغالط الكتّاب ومناهج الصواب » بقلم الأب جرجي جنين البولسي، جمع فيه الأغلاط التي ذكرها اليازجي في كتاب « لغة الجرائد » وأضاف اليها أغلاطاً أخرى وردت في مجلة « الضياء » خاصةً ، ورتبها على حروف المعجم · والكتاب مطبوع بمطبعة القديس بولس في حريصا (لبنان) ·

ومنها كتاب قاموس العوام لمؤلفه حليم دَمُّوس . وفي ج ٤ ص ١٣٨ من مجلة المجمع العلمي العربي ملاحظات لسليم الجندي على كثير من ألفاظه .

ومنها كتاب «أخطاؤنا في الصحف والدواوين» لمؤلفه صلاح الدين سعدي الزعبلاوي . طبع في دمشق سنة ١٩٣٩ م .

ويطول بنا نفس الكلام إذا ما رحنا نذكر ما اشتملت عليه مجلة المجمع العلمي العربي من تصويبات لأخطاء الكتب والكتّاب . ففي تضاعيف مجلداتها (ونحن اليوم في المجلدة الثامنة والثلاثين) بحوث ثمينة في هذا الباب بأقلام أعضاء المجمع وغيرهم من اللغويين والأدباء . وقد عهدتُ الى الأستاذ عمر رضا كحالة مصنف معجم قبائل العرب ، ومعجم المؤلفين ، وفهارس مجلة المجمع ، بأن يخرج لي من مجلدات المجلة مسرداً لبحوث الآراء والمثرات في الكلمات اللغوية والاصطلاحية فاذا به يحصي في هذه الموضوعات أكثر من ١٦٠ بحثاً .

وفي مجلة المجمع العلمي العراقي ، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ومجلة المشرق في بيروت ، ومجلة المقتطف المحتجبة في القاهرة وغيرها بحوث مفيدة في هذا الباب .

وبعد لا تخلو الألفاظ الزراعية والنباتية من أخطاء شائعة كثيرة أشرتُ الى بعضها في معجم الألفاظ الزراعية ، وفي معجم المصطلحات الحراجية ، وفي المجلة الزراعية التي تصدر في القاهرة ، وفي بحوث شتى نشرتها في مجلة مجمعنا هذه . وها كم في هذا المقال جملة من الأخطاء . ومن المعلوم أن تحريفات العامة للألفاظ هي كثيرة . ولذلك نقصر معظم بحثنا هذا على ما تخطئ فيه الخاصة من أساتيذ وكتّاب ؛ وعلى مصطلحات غير صحيحة أو مرجوحة ، وعلى شوائب علمية في ألفاظ بعض المعجمات القديمة والحديثة وعلى بعض كلمات مولدة يفيد إقرارها :

١ — الأَحْراج لا الأَحراش : — اعتاد الناس في معظم البلاد العربية كتابة هذا اللفظ بالشين في آخره ، على حين أنه بالجيم . وهو جمع حَرَجة . وكذلك الحِراج والحَرَجات والحَرَج . والأخيرة أي الحَرَج تطلق على المفرد والجمع . واستعمل القدماء في كتبهم كلمة الحَرَجة وجمعها لما يسمى بالفرنسية Forêt فقالوا في زمن الأيوبيين مثلاً « الأَحراج والحراج السلطانيـة » ، ولم يقولوا الغابات السلطانية . أما في أيامنا هذه فكلا اللفظين شائع بهذا المعنى . ومن الأفضل جعل كلمة الغابة أمام كلمة Futaie الفرنسية . وهي الحرجة العالية أي التي سَوَّقت أشجارها ودامت وصارت صالحة للصناعة . والحراجيون يعرفون أن أشكال الأحراج كثيرة مثل أحراج الدولة وأحراج القرى والأحراج المشاعة والمحمية والمنتظمة والمختلطة الخ .

٢ — الخَضْراوات لا الخُضْروات : — الخَضْراوات جمع خَضْراء . والخضراء صفة مؤنثة على وزن فَعلاء أنزلت منزل الاسم فجُمعت جمع المؤنث السالم كقول القدماء بَجْماوات ووَرْقاوات وبَطْحاوات ، وكقولنا حديثاً مَلْساوات وهي رتبة من السمك العظمي ، وقَطْعاوات وهي رتبة من الضفدعيات لا أذناب لها وهكذا .

والخَضْراء والخُضْرة والبَقْل تدل كلها زراعياً على ما يسمى بالفرنسية : Légume ، والجمع خضراوات وخُضَر وبقول . وتطلق على جملة النباتات العشبية التي يتغذى الانسان بها أو بجزء منها دون تحويلها صناعياً . وهي أشكال على حسب أجزائها التي تؤكل : كالبقول البصلية والثمرية والحبية والجذرية والورقية . وهذه الأخيرة التي يؤكل ورقها ، كالخس والهندبا وأشباهها ، تسمى أحرار البقول .

٣ — القَطانيّ أو القَرْنيات لا البقول : — يخص بعضهم كلمة البقول بنباتات الفصيلة القرنية كالحمص والعدس والبيقية والجلبان والكرسنة والماش وأشباهها .

وهذا غلط لا مسوغ له . فالبقل والبقول في المعجمات وفي كتب الزراعة القديمة والحديثة تدلان على شيئين : الأول العشب عامةً أي Herbe بالفرنسية ، والثاني الخضراوات خاصةً أي Légumes . أما النباتات المشار اليها التي ثمرتها تسمى القَرْن والسِنْفة والحُبْلة فاسمها العربي الصحيح القطاني مفردها قُطْنِيَّة . وكلمة القطاني مشهورة في الشام . وهي تطلق على هذه النباتات وعلى حبوبها . ويمكن تسميتها القرنيات والنباتات القرنية بالنسب الى ثمارها وهي القرون .

ولا يُدرج من القرنيات في جملة البقول أي الخضر إلا النباتات التي تزرع لأكل قرونها وهي رخصة لم تيبس كالبـلة الخضراء والفاصوليـا الخضراء والفول الأخضر .

٤ — الفصيلة القَرْنية لا الفصيلة البَقْلية : — من الأغلاط الشائعة تسمية الفصيلة النباتية التي تدعى بالفرنسية Légumineuses باسم الفصيلة البقلية . وقد نشأ هذا الغلط من أن الفرنسية Légume لها معنيان الأول البقـل أي الخضرة ، والثاني القرن والسنفة أي ثمرة نباتات هـذه الفصيلة وهي بالفرنسية Gousse . والمعنى الثاني هو المراد . ولذلك أقر مجمع اللغة العربية منذ ست سنين تقريباً اطلاق اسم الفصيلة القرنية على هذه الفصيلة .

٥ — التَبْغ لا الطُبّاق : — التبغ والطباق نباتان يختلف واحدهما عن الثاني اختلافاً كبيراً . وعلماء النبات في مصر والشام لا يجهلون ذلك . فالطباق في المعجمات وفي كتب المفردات اسم يدل على أنواع نباتية من جنس Inula منها نوع مشهور في سورية ولبنان يسميه الناس « الطَيُّون » ويستعمل لصد الزنابير عن العنب الذي يُزَبَّب أي يجفف في الشمس ليصير زبيباً .

أما التبغ فهو نبات أمريكي المهد لم يعرف إلا بعد الكشف عن أمريكا . وليس له ذكر في المعجمات القديمة ، ولا في كتب الزراعة والأدب والمفردات .

وكلمات التبغ والدخان والتُتُن كلها مولدة . وتاء التبغ مفتوحة خلافاً لما ورد في قاموس « المنجد » قبل أن أنبه الى ذلك . وهي تعريب الفرنسية Tabac تعريباً محرفاً . وقد شاعت فوجب الاحتفاظ بها . والفرنسية من الاسبانية تاباكو . وهذه من لغة قبائل أرواك في جزيرة هيتي الأمريكية . وأنواع التبغ وأصنافه كثيرة . ولزراعته شأن في محافظة اللاذقية .

٦ ــ الجَنْبة لا الشُجَيرة ولا النجْم : يطلقون أحياناً كلمة شُجيرة أو كلمة نجم على ما يسمى بالفرنسية Arbuste ، وكلاهما خطأ . فالفرنسية تدل في علم النبات على كل شجرة تظل صغيرة وإن شاخت . وهذه هي الجَنْبة بالعربية تطلق على الواحد والجماعة . وهي الجنبات . وفي اللسان الجنبة ما فوق البقل ودون الشجر . وقد أقرها مجمع اللغة العربية . وتصغيرها الجُنَيبة أي Arbrisseau.

أما الشُجيرة فهي تصغير شجرة . وهي تدل على الشجرة في بدء حياتها . فمتى كبرت تصير شجرة أي انها لا تظل صغيرة .

وأما النَجْم فهو في المعجمات ما نجمَ أي ما طلع من النبات على غير ساق . فهو إذن غير الجنبة . ويمكن استعماله اصطلاحاً في كتب الأشجار المثمرة للدلالة على مثل البطيخ أو « الفراولة ، الشالك » وأشباههما من نباتات الفواكه التي ليست شجراً ولا جنبة .

٧ ــ اليَرَقانة لا اليَرَقة : أقر مجمع اللغة العربية قديماً وحديثاً كلمة اليرقانة لما يسمى بالفرنسية Larve ، وهي تدل على الطور الذي تكون فيه بعض الحيوانات ، كالحشرات مثلاً ، عند خروجها من البيضة ، قبل بلوغها شكلها الكامل . وكلمة اليرقانة هذه من اليرقان ، وهو في المعاجم دود الزرع الذي ينسلخ فيصير فراشاً . أما اليرقة فلم ترد .

٨ — مصطلحات تصنيف الأحياء : من المعروف في علم النبات والحيوان أن الكائنات الحية تقسم في التصنيف الحديث حلقات و جماعات شتى على حسب تقاربها وتشابهها . ولكل حلقة من تلك الحلقات اسم ثابت في اللغات الأوربية الكبيرة . أما في العربية فقد اختلف علماؤنا اختلافاً كبيراً في ترجمة تلك الأسماء ، وذلك منذ أوائل النهضة الحديثة في القرن الماضي الى يومنا هذا ، وكان مجمع اللغة العربية بعد تأسيسه ترجمها بأسماء تدل على جماعات الإنسان كالأمة والشعب والعشيرة والعمارة وأشباه ذلك ، فلم يتقبلها الأثبات من علمائنا لسببين : الأول لأن لهذه الأسماء العربية في جماعات الإنسان معاني مشهورة تختلف عن معاني الأسماء المستعملة في تصنيف الأحياء . فالأمة مثلاً مشهورة بمعنى Nation الأعجمية ، والشعب بمعنى Peuple الخ .

والسبب الثاني هو أن الإنسان نفسه ليس في التصنيف سوى جنس صغير من الكائنات الحية ، وهنالك فوق الجنس بضع حلقات كبيرة من حلقات التصنيف .

ومنذ بضع سنوات استقر رأي لجنة الطب ولجنة علوم الأحياء والزراعة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة على أصلح مصطلحات في نظري ، وهي التي ذكرتها في الطبعة الثانية من « معجم الألفاظ الزراعية » . وقد قبلها مجلس المجمع ، ثم أقرها مؤتمر المجمع في جلسة أول يناير « كانون الثاني » من سنة ١٩٥٩ . وأنا أثبتها فيما يلي ليرجع اليها مهندسو الزراعة وغيرهم في كتبهم وبحوثهم :

عالَم Reigne - Kingdom

شُعبة Embranchement - Phylum ولا تقل أمّة .

طائفة Classe – Class ولا تقل شَعْب .

رتبة Ordre – Order ولا تقل قبيلة .

فصيلة Famille – Family ولا تقل أسرة ولا عائلة .

قبيلة Tribe - Tribu ولا تقل عمارة ·

جنس Genus - Genre ·

نوع Species - Espèce ·

سُلالة Strain - Souche ou Race ·

صنف · ضَرْب Variety - Variété ·

ومن المعروف عند النباتيين أن بين كل حلقة وأخرى من تلك الحلقات حلقة صغيرة يدل عليها الفرنسيون باضافة الصدر أي الزائدة الصدرية Sous ، والإنجليز باضافة الصدر Sub ، كقولهم Sous - Reigne و Sub - Kingdom · فهذه الأسماء جميعاً تنقل الى لساننا بتصغير الأسماء العربية ، وهو ما أقره المجمع فيقال : عُوَيلِم وشُعَيبة وطُوَيْئفة ورُتَيبة وهلم جرا ·

٩ — عِرْق السُّوس لا العرقسوس : النبات المسمى بالفرنسية Réglisse هو السوس بالعربية · وعرقه أي جذره الذي يُقلع ويسحق ويستعمل شراباً أو في الصيدلة هو عرق السوس · ولا حاجة الى قلب الإضافة تركيباً مزجياً ·

١٠ — التَّمر الهندي لا التمر هندي : النعت يتبع المنعوت · فمتى عُرِّف التمر وجب تعريف الهندي · ولهذا الشجر المشهور أسماء أخرى صحيحة منها الصُّبَّار والصِّبَار والحُمَر والحَوْمَر ·

١١ — الحِنَّاء لا الحِنَّا : لم أجد هذه الكلمة مقصورةً في كتب اللغة ولا في كتب الزراعة والمفردات القديمة فيجب مدها ·

١٢ — السَّنا المَكّي لا السَّنامكي ولا السِّنامكي : السَّنا هو جنس النبات المسمى بالفرنسية Cassier والسنا المكي منسوب الى مكة المكرمة · وهذا النوع يسمى أيضاً السنا الحجازي والسنا الحَرَمي نسبة الى الحجاز والى الحرم · واسمه العلمي Cassia acutifolia · وترجمته السنا الحاد الورق · ويسميه الفرنسيون Séné وهي من سنا العربية ·

١٣ — الكَرَوْيا والكَرَوْياء لا الكراوية : هو النبات المسمى بالفرنسية Carvi وثبت من العربية أي من المعربة قديماً من اليونانية . ومن أسمائه التَقْرِد والنَقْدة .

١٤ — الأَنِيسُون لا اليَنْسُون ولا اليانسون : الأنيسون وبالمد أي الآنيسون هما المعربان الصحيحتان من الأصل اليوناني . ومن أسمائه القديمة النَقْدة والرازيانج الرومي والكَمُّون الحلو . واليَنسون عامية مصرية وشامية . وكذلك اليانسون . ويسمونه في المغرب الحبة الحلوة .

١٥ — الدواجن هي الحيوانات الأهلية كافةً : اعتاد الكتاب في مصر تسمية الطيور الأهلية بكلمة الدواجن . وهذا التخصيص بدأ يشيع على حين أنه لم يرد في اللغة . فالدواجن فيها ما دُجن من الحيوان عامةً كالخيل والماشية والطير وغيرها ، والواحد داجن . ويقال أيضاً راجن وأهلي وآهِل وأليف وآلِف وغير ذلك . وتخصيص دواجن الطير أي الطيور الأهلية وحدها بكلمة الدواجن هو اصطلاح حديث من قبيل إطلاق معنى الكل على الجزء . فلكي لا يستغلق المعنى على القراء في غير القطر المصري من البلاد العربية ، يكون من الراجح أن يضيف الكتاب كلمة الطيور على كلمة الدواجن فيقولوا الطيور الدواجن أو الطيور الأهلية كلما أرادوا الاقتصار على ما دُجن من الطير في بلادنا وهي الدجاج والبط والوز والحمام والديك الرومي «الديك الحبشي في الشام» والغِرْغِر «ويسمى الحُبَيْش ودجاج فرعون Pintade» والطاووس والتَّمّ «ويسمى الوَز العراقيّ أو الإوز العراقي Cigne» .

١٦ — القُنَّبِيط لا القَرْنَبِيط : المعربة من أصل يوناني . وهي القنبيط في المعاجم والكتب الزراعية القديمة . أما القرنبيط فمن تحريف العامة في مصر والشام . وتسمى هذه البقلة بالفرنسية Chou - fleur .

١٧ — البِسِلَّة والبِسِلَّى لا البَزِلْيا : الأولى ذكرها ابن البيطار في

مادة جلبان من مفرداته . والثانية ذكرها الزبيدي في التاج وقال انها لغة مصرية . والثالثة عامية شامية . فالصحيح هو اللفظ المعروف في مصر سواء أكتب بتاء مربوطة أم بألف مقصورة .

١٨ — الذُّرَة لا الأُذْرة : الاسم الصحيح هو الذرة . ولم ترد بألف قبل الذال . وهي مؤنثة . وما عرفته العرب وزرعته هو Andropogon sorghum وله أصناف . أما ما يسمى الذرة الشامية في مصر ، والذرة الصفراء في الشام أي Zea Mays فلم يعرفها القدماء لأنها من أصل أمريكي .

١٩ — الأَفْسَنْتِين لا الأَبْسَنْث : مما أوصى به مجمع اللغة العربية النطق بالأسماء المعربة على الصورة التي نطق بها العرب . فالاسم القديم لهذا النبات هو الأفسنتين . وقد جاء ذكره في المعجمات وفي كتب النبات والمفردات الطبية . وهو معرب من Apsinthion اليونانية ، فلا يجوز العدول عنه الى اسم يعرب حديثاً من إحدى اللغات الأوربية ، مع علمنا بأن الأعاجم قد اقتبست مثلنا الاسم اليوناني ، ونطقت به على حسب قواعد النطق بألسنتها .

٢٠ — القَسْطَل لا أبو فَرْوة : القسطل هو الاسم القديم الصحيح لهذا الشجر . وكذلك الشاهبلوط . وقد ذكرتا في التاج «مادة بلط» وفي مفردات ابن البيطار «مادة بلوط وشاهبلوط» ، وفي شرح أسماء العقار لابن ميمون الأندلسي ، وفي تذكرة داود الأنطاكي وغيرها . وهو الكَسْتَنَة في الشام ، وأبو فروة في مصر . واسمه العلمي : Castanea vulgaris . وثمرته المعروفة هي القَسْطَلة . والقسطل من اليونانية ، والشاهبلوط أي بلوط الشاه من الفارسية ، والكستنة من اللاتينية ، وسمي في مصر أبا فروة لأن قشرة ثمرته تشتمل في باطنها على شعر كالفروة .

٢١ — المَحفُوظات لا الكُونسروة : عندما أنشأ الدماشقة مصانع لحفظ ثمار الفوطة وبقولها ، أي خضرها ، سموها « معامل الكونسروة » . وشاعت عندهم هذه الكلمة المعربة الثقيلة على حين أننا لسنا في حاجة إلى مثل هذا التعريب . فكلمة المحفوظات الشائعة في مصر تفيد معنى Conserves الفرنسية . يقال محفوظات الثمار ، ومحفوظات البقول ، والمحفوظات الغذائية ، كما يقال مثلاً بامية محفوظة ، وتفاح محفوظ ، أو قل محفوظ البامية ، ومحفوظ التفاح وهكذا .

٢٢ — الأوكالِبْتُوس لا الكافور ولا الكينا : يطلق بعض المصريين على شجر الأوكالبتوس اسم شجر الكافور . ويسميه بعض الشاميين باسم شجر الكينا وكلا الفريقين قد وهم . والصحيح أن كل شجر من الأشجار الثلاثة المذكورة مستقل عن الآخر . فشجر الكافور من الفصيلة الغارية اسمه العلمي Cinnamomum camphora ، وهو الذي تستخرج من ورقه تلك المادة العطرية البيضاء التي تستعمل في الطب .

أما شجر الكينا فهو الشجر الذي يستعمل لحاؤه دواء للحمى . واسم جنسه Cinchona وفيه أنواع . وليس له اسم عربي . وكلمة كينا معربة بتصرف .

وأما شجر الأوكالبتوس فهو مشهور ومبذول . وقدماء العرب لم يعرفوه . واسمه معرب من Eucalyptus ، وهي من اليونانية بمعنى الستر أو العمامة ، اشارةً الى شيء كالعمامة يغطي الزهرة قبل تفتحها . وأنواعه كثيرة ذكرت منها تسعة عشر نوعاً في معجم الألفاظ الزراعية .

٢٣ — المَقْدُونِس لا البَقْدُونس : المقدونس من كلمة مقدونيا . وهي الواردة في الكتب القديمة . وكتابتها بالباء من تحريف العامة . ومن أسماء المقدونس القديمة الكَرَفْس الرومي والبَطْراسَلِيُون . وهذه الأخيرة من اليونانية . ومنها اسم الجنس العلمي Petroselinum .

٢٤ – الإسْفاناخ لا السَّبانخ ولا السِّبَّيْنخة : تسمى هذه البقلة المشهورة Épinard بالفرنسية . وهذا الاسم الفرنسي من اسفاناخ العربية أي المعربة قديماً من الفارسية . وكثيراً ما كانت العرب تعرب الباء الفارسية المشددة فاء . ولذلك قالوا « اسفاناخ » بدلاً من « اسپاناخ » بثلاث نقط تحت الباء .

أما السبانخ في القاهرة ودمشق ، والسبينخة في لبنان فعاميتان . والرَّجى اسم صحيح لهذه البقلة .

٢٥ – الهِلْيَون لا الهَلْيُون ولا كشك الماس : هاء كلمة الهليون مكسورة ، وياؤها مفتوحة . وهذا هو الضبط الصحيح . أما فتح الهاء وضم الياء فمن كلام العامة . وكذلك كشك الماس أو كشك الماز . ولم أتبين وجه هذه التسمية في القطر المصري .

وفي جنس الهليون Asparagus أنواع ، منها النوع الزراعي الشائع وله بالعربية اسمان صحيحان وهما الضُّغْبُوس والبَرَاميع . ومنها أنواع للتزيين مبذولة كهليون اسبرنجر ، والهليون الريشي ، وأنواع برية ينبقلها القرويون في الشام ويطبخونها كالهليون الحاد الورق وغيره .

٢٦ – حَمام الزَّاجِل لا الحمام الزاجل : الزاجل هو الذي يزجل الحمام أي يرسلها الى بُعد . ويسمى أيضاً الزجّال للمبالغة . والحمام أضيف اليه .

وتسمى هذه السلالة أيضاً الحمام الهادي . والجمع الهُدّاء . وذلك لأنها تألف الاهتداء الى تماربدها أي بيوتها من مسافات بعيدة . ومن المعروف أنها كانت تُستخدم في نقل الرسائل ، وهي بالفرنسية : Pigeon voyageur ou messager .

٢٧ – الوَزّ والرُّزّ والخَرُّوب : يتحاشى بعض الكتّاب ذكر هذه الأسماء ، ذاهبين الى أنها عامية ، على حين أنها صحيحة كالإوَزّ والأُرُزّ والخَرْنُوب . والأسماء الثلاثة الأولى أخصر من الأسماء الثلاثة الثانية .

٣٨ — الحَرْشَف لا الخُرْشُوف ولا الإنكنار ولا الأرضي شُوكي : الحرشف هو البقل المعروف المسمى بالفرنسية Artichaut، فقدماء العرب عرفوه وزرعوه وذكروه في المعجمات وفي الكتب الزراعية وسموه الحَرْشَف البستاني كما سموا نوعه البري الحرشف البري . ونقل الفرنسيون كلمة الحرشف الى لسانهم، وحرفوها حتى صارت عندهم أرتيشو . وتناولت العامة في دمشق كلمة أرتيشو هذه فنقلتها الى لساننا باسم «أرضي شوكي» . فتأملوا كيف ترد العامة الينا كلماتنا العربية مشوهةً ! وذلك شبيه بتسمية بعض دور السينما باسم الحمبرا بدلاً من «الحمراء»، وباسم الكازار بدلاً من القصر .

وكلمة الخرشوف حديثة لم ترد في المعجمات ولا في كتب الزراعة والمفردات القديمة . واعتقد أنها من حرشف الصحيحة . وقد شاعت كثيراً حتى أنه ربما جاز إقرارها . والحرشف هي بالحاء المهملة . ولم أجدها بالخاء المعجمة .

ومن أسماء هذا البقل القديمة الكَنْكَر وهي من الفارسية . وكان اليونان يسمونه قنارة وسقوليموس، ومنها اسمه العلمي Cynara scolymus . ولعل كلمة إنكنار المستعملة في الشام محرفة من قنارة اليونانية .

٣٩ — العَكُّوب لا الكَعُوب ولا الكَعيب : العَكُّوب بقلة برية من الفصيلة المركبة مشهورة في جبال الشام، ينقلونها في الربيع، ويبيعونها في دمشق محلاةً على ظهور الحمير، وينادون عليها «عكوب الجبل» . وهي تُقلى بالزيت، أو تطبخ كالحرشف «الخرشوف» .

وكلمة العكوب هذه وردت في التاج وفي كتب المفردات ، أما الكعوب والكعيب اللتان ذكرتا في بعض الكتب الحديثة فلم تردا في كتاب قديم موثوق به ، ولم نسمع بهما .

٣٠ — إرتفاع المطر لا مقدار المطر : كثيراً ما نقرأ في الصحف أن المطر

قد هطل في مثل القاهرة أو الاسكندرية ، وأن مقداره كان كذا بالمليمترات . والحقيقة التي يعرفها مهندسو الزراعة أن مقاييس المطر تبين بالمليمترات ارتفاع الماء الذي يهطل في كل مَطَرَة على بقعة معلومة أي حيث يكون مقياس المطر . وتُجمع هذه الارتفاعات على طول السنة ، فيقال مثلاً بلغ ارتفاع المطر في سنة كذا ٣٠٠ مليمتر في دمشق و ٧٠٠ مليمتر في اللاذقية ، و ٤٠٠ مليمتر في حلب وهكذا . ولا يقال فيها كلها «بلغ مقدار المطر» ، لأن المقادير تحسب بالأمتار المكعبة على مساحة محدودة ، ولا تقاس بالمليمترات .

٣١ — الإخصائي الأول بالدخان لا اخصائي أول الدخان : قرأت في إحدى الجرائد المصرية خبراً بعنوان «مرعي واسنينو يسافران إلى دمشق اليوم» . وجاء في هذا الخبر أنه يرافقها «اخصائي أول الدخان في وزارة الزراعة» . ويراد بذلك الإخصائي الأول بالتبغ في تلك الوزارة .

وكثيراً ما نقرأ في الصحف مثل قولهم «قسم أول الجيزة» ، و «مفتش ثاني البيطرة» الخ . فالدخان أي التبغ ليس له أول ولا ثاني ولا ثالث . وكذلك الجيزة والبيطرة . والأول والثاني هما صفتان للمضاف أي للإخصائي والقسم والمفتش ، لا للدخان ولا للجيزة ولا للبيطرة . ولهذا يقال الإخصائي الأول بالتبغ ، أو يقال إخصائي التبغ الأول ، كما يقال قسم الجيزة الأول ، ومفتش البيطرة الثاني وهكذا ، لأنه لا يجوز فصل المضاف والمضاف اليه بوصف يُطلق على المضاف . ويكثر اليوم استعمال المختص والاختصاصي بدلاً من الإخصائي .

٣٢ — الكَرَنْب لا الملفوف ولا اللَّخنَة : البقلة المسماة بالفرنسية Chou هي الكَرَنْب بالعربية . وهذا الاسم المستعمل في القطر المصري هو الصحيح . أما اسم الملفوف الشائع في القطر السوري فهو عامي أُطلق على هذا البقل لالتفاف ورقه . وأما اسم لخنة (ومثله اسم يخنة) الشائع في دمشق فهو أيضاً عامي من التركية وليس بعربي .

وكلمة كرنب الصحيحة من أصل يوناني أي Krambê وهي اليوم تطلق في القطر السوري على البقل الذي يعرف في القطر المصري باسم «أبو ركبة» واسمه الفرنسي Chou - rave وكذلك Colrave وهو نباتياً كرنب تغلظ ساقه فويق الأرض وتستدير .

٣٣ — الحوامض والمُحَمِّضات والحَمْضَات أفضل من الموالح : تطلق كلمة الموالح في القطر المصري على ما يسمى بالفرنسية Agrumes ، وهي أشجار البرتقاليات وأثمارها كالبرتقال والأترج والترنج وأصناف الليمون الحامض وغيرها . ولم أجد كلمة الموالح بهذا المعنى في كتاب قديم ، بل وجدت كلمة «المُحَمِّضات» وتفسيرها التي تجعل الشيء حامضاً . وقد ورد في المعجمات على الثمار المذكورة ان ما في جوف الأترج يسمى الحُمَّاض . ومن المعروف أن كلمة الحماض تدل أيضاً على نبات مشهور

وفي القطر السوري لا يستعملون إلا لفظي الحوامض والحَمْضِيّات . وقد وجدت أخيراً أن بعض الزراعيين في القطر المصري أخذوا يضيفون كلمة الحوامض الى جانب كلمة الموالح ، وحسناً يفعلون ، فالأولى أرجح من الثانية [1] .

٣٤ — الأسماء الصحيحة لأشجار مشهورة : يطلق سكان لبنان والقطر السوري اسم الإنجاص على شجر الفاكهة المسمى بالفرنسية Poirier . وهذه التسمية هي لغة شامية على ما جاء في قاموس الفيروزابادي . والاسم الصحيح للشجر المذكور وثمره هو الاسم المستعمل في القطر المصري أي الكُمَّثرى .

ومن الواضح أن كلمة انجاص الشامية محرفة من كلمة إجّاص الصحيحة . ولكن الإجاص في المعجمات الأصلية وفي كتب الزراعة القديمة ليس الكمثرى ،

(١) أنظر بصدد هذه الكلمات ما ذكرته في البحث الذي عنوانه « كلمات مولدة مشهورة في كتاب قوانين الدواوين لابن مماتي » ج ٣٣ ص ٥٠٦٠ من هذه المجلة .

بل هو الشجر المسمى باسم «البُرْقوق» في مصر ، وهو بالفرنسية Prunier ٠ والبرقوق لغة مصرية جاء في القاموس أنها مولدة تطلق على إجّاص صغار ٠ وهي اليوم تطلق في مصر على أصناف الإجاص جميعاً ٠

ومن الغريب أن الشاميين يسمون الإجاص أي البرقوق خوخاً ٠ وهذا أيضاً غلط لغوي ، لأن الخوخ والدراقن والفرسك مترادفات تدل لغوياً على ما يسمى بالفرنسية Pêcher ، وتسمية هذا الشجر في مصر باسم الخوخ هو الصحيح ٠ وكذلك تسميته بالدُّراقِن في سورية ولبنان ٠

وتدل كلمة القَراصيا في كتب النبات والزراعة القديمة على الشجر المعروف باسم الكرز ٠ وهو بالفرنسية Cerisier ٠ والقراصيا والكرز من أصل يوناني ٠ ولكن الكرز أحدث تعريباً ٠ وقد ذكرها صاحب كتاب « نزهة الأنام في محاسن الشام» وهو من رجال قرن التاسع للهجرة ٠ أما الكراز بالألف فحديثة ٠

وفي مصر يُطلق اليوم اسم القراصيا على ثمار مجففة من البرقوق أي من الإجّاص لغوياً ، وهي بالفرنسية Pruneaux ٠ أما في الشام فيطلق هذا الاسم على صنف من نوع الإجاص المعروف له ثمار بيضية خضر الى سواد ٠

ويلخص كلامنا على هذه الأشجار أو الفواكه المشهورة بما يلي :

الاسم في القطر المصري	في القطر السوري	الاسم الصحيح لغوياً	الاسم الفرنسي
كُمَّثْرَى	إنجاص . نجاص	كُمَّثْرَى	Poirier
بُرْقُوق	خَوْخ	إجّاص ، « بُرْقُوق »	Prunier
خَوْخ	دُرَاقِن	خوخ . دُراقن . فِرْسِك	Pêcher
كَرَز	كرز	قَراصيا ، « كرز »	Cerisier

ولا بد من إقرار الكرز والبرقوق لاشتهارهما ولأنه لا لبس في استعمالها ٠

أما إطلاق الشاميين اسم الخوخ على الإجاص أي البرقوق فلا أرى له وجهاً . وكذلك تسميتهم الكمثرى باسم الانجاص ، لأن الانجاص تلتبس بالإجاص ، وشجر الإجاص غير شجر الكمثرى على ما مر ذكره . وقد خلطت المعجمات العربية الحديثة أسماء هذه الأشجار بعضها ببعض . والصحيح ما ذكرته .

٢٥ — الثَّلْج والبَرَد والجَلِيد والصَّقيع وغيرها : لا يميز كثير من سكان البلاد الحارة أشكال الماء الجامد بعضها من بعض . وسبب الخلط في التسمية أن ماء المطر في تلك البلاد قلما يجمد في الجو فيسقط على الأرض رضاباً وهو الثلج Neige ، أو قلما يجمد فيه فيسقط على شكل حبات كروية مختلفة الحجم وهي البَرَد Grêle .

أما الجليد (ويسمى الجَمَد والصَّقيع Glace) فهو لا يتكون في الأجواء أيّاً كانت ، ولا يسقط على الأرض ، بل يحصل إما طبيعياً بتجمد الماء على سطح الأرض أو على سطح النبات أو في داخل أنساجه ، وإما صناعياً بتجميد الماء فيما يسمى الثلاجات في مصر والبَرّادات أو المُبَرِّدات في الشام . فالماء الجامد المشهور الذي يُصنع قوالب في تلك الآلات ليس ثلجاً بل جليداً أو قل جَمَداً أو صقيعاً . وهو شبيه بما يحصل من تجمد الماء طبيعياً في أنهار البلاد الباردة وبحيراتها . والشاميون يسمونه البُوز . وهو اسم عامي مقتبس من التركية .

ومهندسو الزراعة يعرفون هذه الأشكال وغيرها من الماء الجامد لأنهم يدرسونها في علم الجويات الزراعية . وقد حداني على ذكرها جمل أراها بين حين وآخر في الصحف العربية منها مثلاً : « سقط في الاسكندرية ثلج كروي كبير الحجم الخ . » والصحيح أن ما سقط هو البَرَد . ومنها : « ان سقوط الصقيع قد أثر في قتل الجراد » . والصقيع لا يسقط بل يحصل كما قلت من تجمد ماء

الأرض لهبوط الحرارة . وقد أقر مجمع اللغة العربية أخيراً ما ذكرت من أسماء عربية صحيحة أمام الأسماء الأعجمية .

وهبوط الحرارة حتى يجمد الماء هو الجَلَد بفتح الجيم واللام Gelée . واشتهرت أيضاً كلمة الصقيع بهذا المعنى ، أي بالمعنى المصدري . والجلد أشكال منها جلد الشتاء (أو صقيع الشتاء) ويسمى الجلد الأسود لأنه يحرق البراعم والأغصان الطرية فتسود . ومنها جلد الربيع (أو صقيع الربيع) وهو كثير الضرر في القطر السوري عندما يحصل في الزمن الذي ينعقد فيه زهر الأشجار المثمرة ، ولا سيما المشمش ، فيقل جناه في تلك السنة ، ويغلو ثمن « قمر الدين » في رمضان .

« للبحث تتمة » مصطفى الشهابي

لغة الشعراء

لسع زنبورٌ عبد الرحمن بن حسان ، فجاء أباه يبكي ، فقال له : مالك ! فقال : لسعني طائر كأنه ملتفٌ في بُردَي حبرة ، قال حسان : قلت والله الشعر !

على هذا النحو يرى حسان بن ثابت أن الشعر إنما هو كلّ نمطٍ من الكلام لا يخلو من التصاوير ، فكأن الكلام الذي يخلو من مثل هذه التصاوير ليس صاحبه بشاعر ، فمن قول أبي فراس في بعض شعره :

نطقت بفضلي وامتدحت عشيرتي   وما أنا مدّاح ولا أنا شاعر !

أصحيح أن أبا فراس ليس بشاعر ، انه شاعر كل الشاعر ، ويرى إمام من أئمة البيان في هذا العصر أنه في بعض شعره أشعر من المتنبي ، فلماذا نفى الشاعرية عن نفسه ؟ أظن ، والله أعلم ، أن الشعر في نظر أبي فراس وفي نظر كثير من رجال الأدب إنما هو نوع من المبالغة في تصوير فكرة أو عاطفة ، وأبو فراس لمّا نطق بفضله وامتدح عشيرته لم يبالغ في هذا النطق وهذا المدح ، أي لم يقل إلاّ الحق المجرّد ، فلم يفرغ فكرته المجرّدة في صورة محسوسةٍ فيها شيء من المبالغة ، لأنها في غنىً عن كل غلوّ ، فهي ناطقة بنفسها ، فاذا قال : ولا أنا شاعر ، فانه يعني بذلك أنه ترك فضله على سجيته ، لم يحسّنه بصورة من الصور حتى يكون كلامه شعراً .

فالشعر ، في نظر حسان ، وفي نظر أبي فراس ، يحتاج الى ألوان وأشكال ، أي الى صور محسوسةٍ حتى يكون شعراً ، فاذا قال ابن حسان : لسعني زنبور ،

ووقف ، أو إذا قال أبو فراس : نطقت بفضلي وامتدحت عشيرتي ، ولم يمزج هذا النطق ، ولم يقرن هذا المدح بصورة من الصور ، إذا قال كل واحد منهما قوله على سجيته دون شيء من التزويق فهو ليس بشاعر ، فلا بدّ في الشعر بحسب رأيهما من تشبيه أو استعارة أو غير ذلك ، فكأن الزنبور لا يحسّ ابن حسان بلسعته إلاّ إذا كان ملتفاً في بُرْدي حبرة ، فإذا التفّ الطائر في هذين البردين ، وظهرت ألوانهما الزاهية كان الشعور باللسعة أقوى .

ومن أجل حمل الناس على مثل هذا الشعور القوي لجأ بعض المؤرخين في كتبهم الى لغة الشعراء .

إذا تصفحنا تراجم المؤرخين الفرنسيين في القرن التاسع عشر وجدنا أن طائفة منهم ظهرت على لغتهم آثار الشعر ، آثار هذه الصور التي استعملها ابن حسان في بكائه من لسعة الزنبور ، فالمؤرخ Thierry يرى أن كتابة التأريخ لا بدّ فيها من أسلوب ملوّن لإحياء عصر من العصور ، فاذا قيس هذا المؤرخ بمؤرخ آخر في عصره تبيّن انه اذا احتاج الى بعض الفلسفة في تأريخه اعتاض عنها فنّ القصص والوصف ، ولا شك في أن الوصف يستلزم لغة الشعراء ، وهي لغة التصوير .

وقد جاء بعد Thierry مؤرخ آخر وهو : Michelet ، الذي يرى أن التأريخ إنما هو معرض تشيع فيه الحياة والشعر ، وقد دفعت نظرته الى التأريخ من هذه الزاوية بعض رجال النقد إلى أن يعيبوه بأنه لا يقابل ولكنه يصف ، ولا يحلّل تحليلاً فلسفياً ، فلا يُعنى بتسلسل الأسباب ، ولا يربط النتائج بالمقدمات ، ولكن التأريخ في مذهبه إنما هو ضرب من الإحياء ، إحياء للعصور والمدن والرجال ، والإحياء لا غنى له عن لغة الشعر ، أي عن الصور ، وقد

أتزنوه بعد «فيكتور هوغو» بمنزلة الكاتب الذي رزق في القرن التاسع عشر موهبة الصورة واللون .

من كل ما تقدّم نستنتج أن لغة الشعر تميزت عن لغة النثر بالأمور المحسوسة ، أي بالألوان والأشكال ، بالصور ، فمن جملة شروط الشعر ، فضلاً عن الأوزان التي تضبط الفكرة والعاطفة شيوع الصور فيه ، فلا بدّ من تشبيه كتشبيه جناح الزنبور ببُرْدَي حبرة ولا بدّ من استعارة أو من وجه من وجوه البديع ، فالشعراء يعيشون في عالم يختلف عن العالم الذي يعيش فيه الناس ، انهم يخلقون لأنفسهم آفاقاً تكثر فيها الأشكال والألوان والأصوات ؛ وهي آفاق محسوسة ليس فيها شيء من التجريد الذي يستوجب جهد الذهن في إدراك الحقيقة وجوهرها ؛ ولهم في عالمهم لغة خاصة ، وقد يجدون لذّةً في العيشة في هذا العالم ، وعلى قدر تمكنهم من خلق الصور في شعرهم ، ومن الاهتداء الى لغة هذه الصور ، يكون تمكنهم من نفوس الناس والتغلغل في بواطنها والتأثير في شعورهـا .

هذه جملة من شروط الشعر لم يختلف فيها رجال الأدب والنقد ، فان الكلام المجرّد من الصور يدخل في النثر ، ولكن أفلا نجد شعراً إلاّ اذا وجدنا صوراً ، أفلا نرى بعض الغلوّ في هذه الشروط ، أفلا يدلنا تاريخنا الأدبي في مختلف عصوره على شعرٍ منسلخ من الصور ، مقذوف به على سجيته وطبعه دون قليل أو كثير من التنميق ، ومع هذا كله نرى له من الأثر البليغ في القلوب ما لا نكاد نراه للشعر المنمق في أبراد الحبر ؟

يروى أن ابنة لابن الرقاع وقف بباب أبيها قوم يسألون عنه ، فقالت : ما تريدون اليه ؟ فقالوا : جئنا لنهاجيه ، فقالت وهي صبية :

تجمعتم من كل أوب ووجهـة على واحدٍ ، لا زلتم قرن واحد !

هل نعرف بيتاً أشد إيلاماً في الهجاء من هذا البيت في المعنى الذي أرادته صاحبته ؟ ومع هذا فلا نرى فيه تشبيهاً ولا استعارة ، على ما أظن ، وانما هو كلام مجرّد ، مرسل على سجيته ، بلاغته في بساطته ، وقوته في بعده عن مذاهب البلاغة .

ومثل هذا البيت في الطبع بيت آخر ولكنه أقوى منه ، لقوة من قيل فيه :

بنات زياد في القصور مصونة وآل رسول الله في الفلوات !

لمّا قال دعبل هذا البيت لم يلجأ الى باب من أبواب البديع ، وإنما استوحى عظمة البيت من عظمة الأمر الواقع ، وخلق الألم فيه من ألم تشتت آل البيت في الفلوات ، فراشهم الأرض وغطاؤهم السماء ، فان حالةً مثل هذه الحالة في غنى عن كل زخرف ، وتصويرها على بساطتها جدير بأن يستفزّ النفوس لأشدّ ثورة .

وما بي حاجة الى الاستكثار من ذكر الشعر الخالي من الألوان والأشكال في شعر العرب ، العامل في النفوس ما لا يعمله الشعر الملوّن ، فاذا كان لا بدّ في الشعر من الصور فليس معنى ذلك أن الشعر لا يكون إلاّ حيث تكون الصور ، ولو صدق هذا القول لبطل كثير من شعر الفحول من شعرائنا ولا استثني أبا الطيب المتنبي .

من قصائد أبي فراس قصيدته الى سيف الدولة لمّا قيّده الروم بخرشنة فاعتلّت أمه من الحسرة ، فقال في مطلعها :

يا حسرةً ما أكاد أحملها آخرها مزعج وأوّلها

إنا نجد في هذه القصيدة الأبيات الآتية :

بأيّ عذر رددتَ والهةً عليك دون الورى معوّلها

جاءتك تمتاح ردّ واحدها ينتظر الناس كيف تقفلها

سمحتُ مني بمهجةٍ كرمت أنت ، على يأسها ، مؤمّلها

إن كنت لم تبذل الفداء لها   فلم أزل في رضاك أبذلها
تلك الموَدّات كيف تهملها   تلك المواعيد كيف تغفلها
تلك العقود التي عقدت لنا   كيف، وقد أحكمت، تحلّلها

***

يا واسع الدار كيف توسعها   ونحن في صخرة نزلزلها
يا ناعم الثوب كيف تبدِلُه   ثيابنا الصوف ما نبدّلها

ففي هذه القصيدة، وقد خلا معظم أبياتها من صور الشعر، قامت مقام هذه الصور حركات النفس في أشد فجيعتها، وأكرم عاطفتها، وأبلغ وفائها، وأرق عتابها.

وقد نجد مثل هذا الشعر المجرّد من الصور في أدب الغرب نفسه، فهذا «راسين» المصوّر الكبير للحبّ في شعره، الذي حلّل الحب من جميع وجوهه، وعرض أشكاله المختلفة، حتى عرض حقد الحب، قرّب الشعر من النثر حتى يتاخمه، فلا يستعمل إلاّ الألفاظ والتراكيب العادية في اللغة، حتى ألفاظ الأحاديث وتراكيبها، ولكن الإنسان، مع هذا كله، يتتبع في بعض شعره المجرّد حركات الأهواء على اختلافها، فاذا لقي الحبيب حبيبه في بيت من الأبيات أو مقطع من المقاطع، انكشفت في هذا اللقاء أهواء النفس بأجمعها، فمن هوى مستعد للظهور ثم يخفيه صاحبه، الى هوًى مستعد للخفاء ثم تظهره كلمة من الكلمات، ومن جفن يكتم دمعه ثم يبديه، إلى جفن يبدي الدمع ثم يكتمه. إنّا نكاد نسمع الأصوات، ونتصوّر الحركات، نكاد نسمع شهقات النفس، ونرى تهديدات الأيدي والأذرع، فتقوم هذه الحركات كلها، كما تقوم السؤآلات والتعجبات مقام صور الشعر.

ما هي لغة الشعراء ، إنها لغة الأهواء في أتم نجائعها ، تشيع فيها الحياة ، كأنها جرح من الجراح ، يفيض الدم منه من ثنايا الأصابع قطرةً قطرةً .

***

وسواء أكان الشعر في حاجةٍ الى الصور أم كان بعضه في غنى عن هذه الصور إني أرى أنّا لجأنا في حياتنا كلها على اختلاف مذاهبها الى لغة الشعر ، أي الى البعد عن واقع الأمور ، والى الاشتطاط في الخيال ، فلا نكاد نعالج مشكلةً من المشكلات إلاّ تشبهنا بالشعراء في لغتهم فأبعدنا هذا التشبه عن حقيقة الحياة ، وأغرقنا في الأوهام والخيالات . وإذا أفرطت بعض الأمم في حياتها المادية فلجأت في مخاطباتها ومعاملاتها الى لغة هذه الحياة فاني أرى أنّا أفرطنا في حياتنا الخيالية فلجأنا في المخاطبات والمعاملات الى لغة الخيال .

وأظن أن إسرافنا في لغة الشعر حتى في حياتنا العامة راجع في الأصل الى خصائص الشعوب السامية ، فان الفكر في هذه الشعوب مختلف بعض الاختلاف عن الفكر في شعوب ثانية ، فالفكر مثلاً في العبري لا يستطيع أن يتجرّد من الصورة المادية التي تستره وتغطيه ، ولذلك فانّا نجد لغة التوراة لغة شعرية ، إلاّ أنها تعجز عن بيان الفكرة المجرّدة ، فالذهن في الأمم السامية عنيد ؛ انه يحتفظ بالصورة ويحرص على طابع الانفعال المادي ، أمّا الذهن في الشعوب الآرية فانه أمرن وألين ، فهو ينسلخ من المادة ويرتفع الى تصور الفكرة المجرّدة وإدراكها . ولعلنا نجد في هذا التباين السبب في شيوع الفلسفة في الجنس الآري ، لأن التجريد من خصائص الفلسفة ، والشعوب السامية أصحاب خيال ، فهم بعيدون عن التجريد .

وإذا كان في بعض القواعد العامة شيء من الاستثناء فان الاستثناء الذي يقع في خصائص الشعوب السامية التي أشرت اليها إنما نجده في طائفة من شعراء العرب وعلى رأسهم المتنبي ، فقد استطاع ذهن أبي الطيب أن ينسلخ من المادة ويرتفع الى الصورة المجرّدة ، وفي أكثر هذه الأبيات التي أختم بها مقالي دليل على ما قلت وإن كان بعضها لا يخلو من يسير من لغة الشعر :

هوّن على بصرٍ ما شقّ منظره ... فانما يقظات العين كالحلم
ولا تشكّ الى خلقٍ فتشمته ... شكوى الجريح الى الغربان والرخم
وكن على حذرٍ للناس تستره ... ولا يغرّنك منهم ثغر مبتسم
غاض الوفاء فما تلقاه في عدةٍ ... وأعوز الصدق في الاخبار والقسم
سبحان خالق نفسي كيف لذّتها ... فيما النفوس تراه غاية الألم
الدهر يعجب من حملي نوائبه ... وصبر نفسي على أحداثه الحُطُم
وقت يضيع وعمر ليت مدته ... في غير أمته من سالف الأمم
أتى الزمانَ بنوه في شبيبته ... فسرّهم وأتيناه على الهرم

شفيق جبري

استدراك وتعليق

ونظرة إلى تاريخ بني العباس

— ١٠ —

الراشد بالله (١) :

مولده سنة ٥٠٢ — خلافته سنة ٥٢٩ (١١٣٥ م) — خلعه سنة ٥٣٠ (١١٣٦ م) — مقتله ٥٣٢ هو أبو جعفر المنصور بن المسترشد .

---

(١) كان فصيحاً شجاعاً سَمْحاً ، حسن السيرة يُؤثِر العدل ، ويكره الشر . قالوا كان شاعراً ولم أطلع على شيء من شعره .

خلعه السلطان مسعود السلجوقي ، بعد أن كتبوا محضراً ، بما كان منه من الظلم ... (كذا) وأخذِ الأموال ، وسَفْكِ الدماء ، وشُرب الخمر . واستفتوا الفقهاء ، في من فعل ذلك : هل تصح امامته ، وهل إذا ثبت فِسقُه ، يجوز لسلطان الوقت أن يخلَعَه ، ويستبدل خيراً منه ؟ فأفتوا بجواز خلعه .

فانظر ! بين ما وُصِف به من حسن السيرة ، وإيثار العدل ، وبين ما قيل فيه ، في هذا المحضر .

وهي صورة تمثل أفاعيل الساسة ، في الأمس واليوم ، وكيف كان خليفة الله ، وإمام المسلمين ، آلة بيد السلطان .

المقتفي لأمر الله (١) :

مولده سنة ٤٨٩ — خلافته سنة ٥٢٩ (١١٣٦ م) — وفاته سنة ٥٥٥ (١١٦٠ م) هو أبو عبد الله محمد بن المستظهر .

(١) بويع بالخلافة على أن لا يكون عنده خيل ولا آلة سفر . وكان السلطان مسعود قد أخذ جميع ما في دار الخلافة من دوابّ وأثاث ، وذهب وستور وسُرادق . ولم يُترك في اصطبل الخلافة سوى أربعة أفراس ، وثمانية بغال ، برسم الماء . وعاد السلطان فأخذ جميع تعلق الخليفة ، ولم يبق له إلا العقار الخاص ، ثم بعث يطلب منه مئة ألف دينار .

فقال المقتفي : ما رأيت أعجب من أمرك ! أنت تعلم أن المسترشد سار إليك بأمواله ، فجرى ما جرى ، وأن الراشد وُلّي ، ففعل ما فعل ، ورحل وأخذ ما تبقى . ولم يبق إلاّ الأثاث ، فأخذته كلّه ، وتصرفت في دار الضرب ، وأخذت التركات والجوالي . فمن أي وجه نقيم لك هذا المال ؟! وما بقي إلاّ أن نخرج من الدار ونسلمها ، فأني عاهدت الله ، أن لا آخذ من المسلمين حبةً ظلماً .

ويوم قدم السلطان مسعود بغداد ، عمل دار ضَرْب . فقبض المقتفي على الضرّاب ، الذي أقام دار الضرب . فقبض مسعود على حاجب الخليفة . فغضب الخليفة ، وغلّق الجامع والساحة . فأطلق السلطان الحاجب ، فأطلق الخليفة الضرّاب . وسكن الأمر .

ثم إن أمرَ السلطان أخذ بالضعف ، لاستيلاء الأمراء على غلات البلاد وعجزِ السلطان عنهم ، فتضعضع أمرُه ، فتمكّن الخليفة المقتفي عندئذ ، وعلت كلمته ، فارتفعت حرمته ، وعادت بغداد والعراق إلى يده ، لا يجري أمرٌ وإن صغُر إلا بتوقيعه .

المستنجد (١) :

مولده سنة ٥١٨ — خلافته سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) — وفاته ٥٦٦ (١١٧١ م) من شعره :

عيّرتني بالشيب وهو وقار ليتها عيّرت بما هو عار
ان تكن شابت الذوائب مني فالليالي تزينها الأقمار

وله — البيتان اللذان بنينا عليهما هذا المقال ، وقد سبق أن أشرنا إليهما .

وباخل أشعل في بيته تكرمةً منه لنا شمعة
فما جرت من عينها دمعة حتى جرت من عينه دمعة

ومما نسب إليه ، قوله في وزيره ابن هُبيرة (٢) : وقد رأى منه ما يعجبه في تدبير مصالح المسلمين :

(١) هو ابن المظفر يوسف المقتفي . أمه أم ولد كرجية ، وقيل : رومية اسمها طاووس وقيل نرجس . كان المستنجد موصوفاً بالعدل والرفق . أطلق من المكوس شيئاً كثيراً . وكان شديداً على المفسدين .
قال ابن الجوزي : كان المستنجد موصوفاً بالفهم الثاقب ، والرأي الصائب ، والذكاء الغالب . له نظم بديع ، وفكر بليغ ، ومعرفة بعمل آلات الفلك والاسطرلاب وغير ذلك .

(٢) ابن هبيرة ، وكان لقبه جلال الدين إلى أن ولي الوزارة فلقب عون الدين . ولما جهزوا له التشريف على عادة الوزراء ، فلبسه ، ثم استدعى ، فقبل الأرض ودعا بدعاء أعجب الخليفة . ثم أنشد قول الصولي :

سأشكر عمري ما تراخت منيتي أياديَ لم تمنن وان هي جلّت
رأى خلّتي من حيث يخفى مكانها فكانت بمرأى منه حتى تجلت —

ضفت نعمتان خصتاك وعمّتا فذكرهما حتى القيامة يؤثر
وجُودك والدنيا إليك فقيرةٌ وَجُودك والمعروف في الناس منكر
فلو رام يا يحيى مكانَك جعفرٌ ويحيى لكنّا عنه يحيى وجعفر
ولم أرَ من ينوي لك السوء يا أبا المظفرِ الا كنتَ أنت المظفر (كذا)

والبيتان الأولان من هذه الأبيات الأربعة لابن حيوس من قصيدة يمدح بها نصر بن محمود بن بني مرداس . ومطلعها :

هل العدل الا دونَ ما أنت مظهر أو الخيرُ الا ما تُذيع وتضمر

الخلاصة

الخلافة العباسية : عاشت هذه الخلافة ثمانية قرون (٧٧٩) سنة ، منها (٥٢٤) سنة في بغداد . تولاها (٣٧) خليفة . أولهم ابو العباس عبد الله ، ولقبه السفاح . وآخرهم عبد الله المستعصم . ومنها (٢٥٥) سنة في مصر . تولاها (١٥) خليفة ، وجعلهم بعضهم (١٧) ، أولهم أبو القاسم أحمد ولقبه المستنصر ، وآخرهم أبو عبد الله محمد ولقبه المتوكل .

--- والأصل : « فكانت قذى عينيه حتى تجلت » .

وأصل البيت الثاني وهو :

فتى غيرُ محجوبِ الغنى عن صديقه ولا مظهرُ الشكوى إذا النعل زلت

غيّر وبدّل تأدباً بالنسبة إلى مقام الخلافة والخليفة . فأعجب بذلك كل من حضر . ولابن هبيرة التآليف الحسان في العلم واللغة .

أخذَه السلطان سليم العثماني معه من مصر — بعد أن احتلها — إلى الاستانة . وأقام بها أربع سنوات محجوراً عليه . فلما أن توفي السلطان ، أطلق سَراحهُ ، فعاد إلى مصر . وتوفي فيها سنة ٩٤٥ ولم يُروَ شيء من الشعر لغيره من الخلفاء العباسيين المصريين .

والمتوكل وقد ضمنه قول الطغرائي :

لم يبقَ من مُحسن يُرجى ولا حَسنٍ ولا كريم إليه مُشتكى حَزَني
وانما ساد قومٌ غيرُ ذي حَسَب ماكنت اوثر أن يمتدّ بي زمني

* * *

هذا ما اتصل بنا من شعر الخلفاء العباسيين ، بعد أن امتد بنا نفس الكلام إلى أبعد ما كنا قصدنا له . وما أردنا من الشروح ، وان طالت حواشيها ، إلا أن نرسم صورة سياسية وأدبية للخلافة العباسية وأصحابها من الخلفاء ، تكشف لنا عن بعض نواحي حياتهم ، وما كان من إدارتهم وسياستهم وأنه كان في المتأخرين منهم — أيامَ ضَعفهم وذُلهم — إلى جانب الضعيف والمستكين — كما كان في صدر دولتهم — أيام عزهم وسؤددهم — القوي والمتين ، والجبار والعنيد . والتقي الأمين . أمثال الناصر(١) ،

(١) كان الناصر (مولده سنة ٥٥٣ — خلافته سنة ٥٧٥ = ١١٨٠ م — وفاته سنة ٦٢٢ — ١٢٢٥ م) من عيون الخلفاء : صاحب مكر ودهاء ، طالت أيامه : « وكانت غُرةً في وجه الدهر ، ودُرة في تاج الفخر » دخل في طاعته من كان من المخالفين ، وذلت له العُتاة والطُغاة وكانت لا تخفى عليه خافية من أحوال الرعية . يطالعه أصحاب أخباره بكبريات الأمور وبجزئياتها . ويبعثون إليه من أطراف البلاد بأحوال الملوك ، الظاهرة والباطنة . بلغ من أمره ، أن رجلاً ببغداد ، عمل دعوة ، وغسل يده قبل اضيافه ، فطالعه بذلك صاحب أخباره . فكتب في جواب ذلك : —

والظاهر (١) ، والمستنصر (٢) ولكن ماذا يستطيعه الآحاد في خلافة تغلغل فيها الفساد ، فنخر السوس في أصولها ، ودب الضعف فالانحلال في أجهزتها وفروعها ، لضعف السواد الأعظم من تلك الزمرة المتأخرة من خلفائها ، وسوء سياستهم وسيرتهم . فأدبر أمرهم ، والأمر إذا أدبر فلا رادّ له . بل الإدبار يتعدى ، على ما قاله نصر ابن شَبَث العقيلي (٣) .

--- سوء أدب من صاحب الدار ، وفضول من كاتب المطالعة .

وكان إذا أراد أن يولي أحداً عملاً من أعماله ، أشاع ذلك أولاً ، ثم انتظر ما يأتيه به عنه أصحاب أخباره ، مما له وعليه ، فاذا غلب صلاحه ولاه ما هو صالح له ، وإلاّ صرف رأيه عنه .

وهذا غاية ما يكون من حسن الادارة ، وبعد النظر في سياسة الرعية ، والسهر على مصالحها ورعاية شؤونها . ومع هذا فقد كان مائلاً للظلم والعسف ، حتى فارق أهل البلاد بلادهم ، وأخذ هو أموالهم وأملاكهم .

(١) الظاهر (مولده ٥٧١ — خلافته سنة ٦٢٢ = ١٢٢٥ م — وفاته ٦٢٣ = ١٢٢٦ م) . كان ورعاً محسناً . قيل فيه : إنه أظهر من العدل ، ما أعاد سنة العمرين . وردّ من الأموال المغصوبة ، والأملاك المأخوذة شيئاً كثيراً .

(٢) والمستنصر

لم يكن أقل من أبيه الظاهر عدلاً في الرعية ، ونصرة للإسلام ، وحفظاً للثغور ، وفتحاً للحصون على قِصَر أيامه .

(٣) ثار نصر على بني العباس في آخر القرن الثاني . وقويَ أمره بالجزيرة ، وكثر جمعه . وحصر حرّان . وأتاه نفر من شيعة الطالبيين ، فقالوا له : —

أما ضعف الدولة العباسية ، فتفككها ، فانحلالها . فقد يكون من الأسباب الرئيسة في ذلك .

١ — طول عهدها حتى ملّ العربُ والمسلمون وجهها على سوء حالها في أواخر أيامها .

٢ — ما تقدم بما ذكرناه من أحوال جمهرة الخلفاء المتأخرين ، وسقوط همتهم ، وسلوكهم بعض مسلك السُوقة والسِفلة . (١)

— وتَرت بني العباس ، وقتلت رجالهم ، وأعلقت (دفعت) عنهم العرب ، فلو بايعتَ لخليفة كان أقوى لأمرك .!

فقال : من أي الناس ؟

قالوا : تبايع لبعض آل علي بن أبي طالب !

فقال : أبايع بعض أولاد السوداوات ؟

فيقول هو خلقني ورزقني .

قالوا : فبايع لبعض بني أمية !

قال : أولئك قد أدبر أمرهم . والمدبر لا يُقبل أبداً ... ولو سلّم علي رجل مُدبِر لأعداني إدبارُه . وانما هواي في بني العباس . وانما أحاربُهم محاماةً عن العرب ، لأنهم يُقدمون عليهم العجَم .

(١) يقول ابن الأثير : وكان العباسيون — عدا البيت القادري — يخالطون العامة في البلد ، ويجرون مجرى السوقة ، فلو اضطر الناس إلى خلافة أحدهم ، لم يكن له ذلك القَبول ، ولا تلك الهيبة .

وينقل السيوطي عن ابن فضل في المسالك ، في ترجمة الواثق بالله ابراهيم : « وعهد إليه جده ، ظناً أن يكون صالحاً ، أو يجيب لداعي الخلافة صائحاً . فما نشأ إلاّ في تهتك ، ولا دان الاّ بعد تنسك (!) أغوي بالقاذورات ، وفَتَعَنّل ما لم تدع إليه الضرورات ، وعاشر القَتَلة والأرذال ، وهان عليه من عِرضه ما هو باذل . وزُيّن له سوء —

٣ – خيانة عمالهم وولاتهم وقوادهم ، الذين كان الكثير منهم يظهرون الإسلام ، ويبطنون الخيانة والكفر ، والعمل على هدم الخلافة الاسلامية ، والعود إلى المجوسية ، واليهودية والنصرانية .

٤ – استبداد مماليكهم وأمرائهم عليهم ، في أمور المملكة ، إلى أن صيروهم ، « أسماء بلا مسميات ، وصوراً هيولى ، يتصرف بها في المحو والاثبات . »

وبلغ الأمر أن صار السلاطين يصادرون الخلفاء في أموالهم ، وأثاث دورهم ! يولون الخليفة ساعة يرضون عنه ، ويخلعونه ساعة يغضبون عليه . ثم ينهون حياة الكثيرين من الخلفاء بالسَّمْل والسَّحْل والقتل .

وبلغ الأمر من الأخلوقة أن كان بعض عمال الخلفاء ، يضمّنون المدن اللصوص ، على مال مقطوع ، يؤدونه كل عام .

يضاف إلى هذا الذي هم جناته ، وعليهم تقع تبعته ووزره ، أسبابٌ أخرى انتهت إليهم إرثاً عن آبائهم ، فكانت من العوامل المُضعِفة للخلافة ، فالقاضية عليها بالانحلال فالضياع ، عوامل لم يكن للمتأخرين يدٌ فيها .

فالدولة والأمة لا تعيش إلا إذا كانت لها وحدة تشد أطرافها بعضها إلى البعض . فتأمن معها غائلة التصدع والتفكك . فهل كانت للدولة العباسية مثلُ هذه الوحدة ؟

ـــ عمله فرآه حسناً ، وعَمي عليه فلم يرَ سيئاً الا حسناً ، وغواه اللعب بالحمام ، وشَرى الكِباش للنِطاح ، والديوك للنِقار . والمنافسة في المعز الزرائبية الطِوال الأذان . وأشياء من هذا ومثلِه ، مما يُسقط المروءة ويثلِم الوقار ، وانضم هذا إلى سوء معاملة ، ومُشترى سِلَع لا يُوفي أثمانها ، واستئجار دور لا يقوم بأجرها ، وتحيُّلٍ على درهم يملأ به كفه ، يجمع به فمه . وحَرامٍ يُطعَم منه ويُطعِم حرمه . حتى كان عِرضة للهَوان ، وأكلة لأهل الأوان » .

قامت الدولة الأموية على نزعة قومية هي العصبية العربية . فنازعها العباسيون الملكَ بدعوى أنهم أمسّ برسول الله رحماً . وأعلنوها حرباً شعواء على العرب والعربية .

يقول السفاح لأبي مسلم ما معناه واحسب أنه لفظه :

« اقتل من شككت فيه ، وان استطعت أن لا تدع بخرسان من يتكلم العربية فافعل . »

ومعنى هذا أنهم عدلوا عن السياسة العربية إلى السياسة الاسلامية .

وهي سياسة أوتيت من جهتين :

ان دعوى القرابة مردودة بالطالبيين ، الذين ما فتئوا يطالبون بالخلافة وأنهم أقرب إلى رسول الله ، فهم أولى بالخلافة من العباسيين (١) .

الثانية أن السياسة العباسية لم تكن سياسة اسلامية آخذة بسنة الرسول ، ولا بسيرة الخلفاء الراشدين ، وانما كانت سياسةً كسياسة الأمويين ، وسائر رجالات الدول في جميع الأمم من متقدمين ومتأخرين ـ الوصول إلى الحكم والاحتفاظ به .

لذلك كثرت الثورات عليها . في الداخل من عرب وترك وفرس وديلم ، ينشئون الدول مستقلةً عن الخلافة استقلالاً يكاد يكون تاماً ، أو مرتبطة بها ارتباطاً وهمياً . وكانت ثورات العلويين من أشد الثورات وقعاً مادياً ومعنوياً .

---

(١) قال الرشيد يوماً لبعض جلسائه :

بلغني أن العامة يظنون فيَّ بغض علي بن أبي طالب ، ووالله ما أحبُّ أحداً حبي له ، ولكن هؤلاء (يريد العلويين) أشدُّ الناس بغضاً لنا ، وطعناً علينا ، وسعياً في فساد مُلكنا ، بعد أخذنا بثأرهم ، ومساهمتنا إياهم ما حويناه . حتى أنهم لأميلُ إلى بني أمية ، منهم إلينا ...

لذلك عاشت الدولة العباسية في وضع متبلبل متضعضع لا رابطة قومية عربية، ولا رابطة اسلامية صحيحة. حفظت وحدتها القوة، فلما منيت بالضعف، ذهب بوحدتها.

يقول المؤرخون: «وفي دولة بني العباس، افترقت كلمة الاسلام، وسقط اسم العرب من الديوان، وأدخل الأتراك في الديوان. واستولت الديلم ثم الأتراك، وصارت لهم دولة عظيمة، وانقسمت ممالك الأرض عدة أقسام، وصار بكل قطر قائم، يأخذ الناس بالعسف ويملكهم بالقهر».

ويقول آدم ماز (Adam Mez) أستاذ اللغات الشرقية في جامعة (بازل) بسويسرة:

«ان الفرق الكبير بين الامبراطورية الإسلامية، وبين أوربة، أن هذه كانت كلها على النصرانية، في القرون الوسطى، على حين كان في الامبراطورية الإسلامية عدد هائل من أصحاب الديانات الأخرى يعيشون بين المسلمين. أولئك هم «أهل الذمة» الذين كان وجودهم حائلاً بين شعوب الإسلام، وبين تكوين وحدة سياسية.

واستند «أهل الذمة» في بقائهم، وفي تمتعهم بما كانوا يتمتعون به من حرية دينية، الى ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود، وما منحوه من حقوق، فلم يرضوا بالاندماج في المسلمين.

وقد حرص اليهود والنصارى على أن تظل «دار الإسلام» دائماً غير تامة التكوين».

ويقول فازيليف الروسي في كتابه «العرب والروم»:

«ووضع الاكليروس المسيحي كتباً أريد إيصالها إلى أيدي المسلمين تعلي من شأن المسيحيين، وفيها طعن خفي في دين المسلمين».

هذه العوامل كان كل منها منفرداً كافياً للقضاء على الوحدة في الدولة العباسية فكيف بها مجتمعة.

وينضم إلى هذه الأسباب ، الزواج بالأجنبيات وهو زواج كان يطلب المتعة ، لا للنسل ، على غير ما كان في سياسة العرب أيام منعتهم في جاهليتهم وأيام صولتهم في صدر الإسلام .

(انتهى) عارف النكدي

لاحقة :

الأبيات المطربة :

أرض مربعة حمراء من أدَم . . . .

التي نسبناها إلى المأمون ، اعتمادا على السيوطي ، رأيناها بعد ، في كتاب « ترتيب الدول » منسوبة إلى علي بن الجهم . وهي أبيات أخلق بشاعر كعلي بن الجهم ، منها بخليفة ـ ولو أنه المأمون .

الاصطلاحات الفلسفية

- ١٦ -

الجائز

في اللاتينية	Contingens
في الفرنسية	Contingent
في الانكليزية	Contingent

١ — الجائز ضد الضروري والممتنع ، وهو كل ما تتصور إمكان وجوده أو إمكان عدم وجوده . يقال يجوز أي لا يمتنع . وله عدة معان . (الأول) هو ما لا يمتنع عقلاً ، (والثاني) هو ما استوى فيه الوجود والعدم ، (والثالث) هو المشكوك فيه . ويسمى المحتمل أيضاً .

٢ — والجواز (Contingentia) عند الحكماء هو الإمكان الخاص أو الإمكان العام ، فالإمكان الخاص هو سلب الضرورة عن الطرفين نحو كل إنسان كاتب ، فان الكتابة وعدم الكتابة ليسا بضروريين له . والإمكان العام هو سلب الضرورة عن أحد الطرفين ، كقولنا : كل نار حارة ، فإن الحرارة ضرورية بالنسبة إلى النار وعدمها ليس بضروري ، وإلا لكان الخاص أعم مطلقاً .

٣ — إذا كان الجائز ضد الضروري كان له معنيان ، الأول هو ما نتصور عدم وجوده أو وجوده على غير ما هو عليه عقلاً . والثاني هو ما يمكن أن يكون غير موجود أو موجوداً على غير حاله فعلاً . ففي الحالة الأولى يدل

الجائز على الأمر الذي لا توجبه قوانين العقل ، وفي الحالة الثانية يدل على الأمر الذي لا توجبه قوانين الطبيعة .

٤ — والجائز معنى مطلق ، وهو الجائز في المستقبل ، ومعناه ان الشروط إذا ظلت على حالها ، فقد يحدث الشيء في المستقبل أو لا يحدث ، أي ان حدوثه وعدم حدوثه متساويان في الإمكان .

وله أيضاً معنى نسبي ، تقول : الحادث جائز الوقوع بالنسبة الى بعض قوانين الطبيعة ، وتعني بذلك أن قوانين الطبيعة ثابتة ، إلا أن وقوع الحادث أو عدم وقوعه يرجع إلى بعض الظروف الخاصة به .

٥ — والقضية الجائزة في المنطق هي القضية الممكنة ، ونعني بذلك ان صدقها وكذبها تابعان لشروط التجربة ، لا لقوانين العقل .

٦ — ومن الأدلة على وجود الله الدليل المستند إلى جواز العالم (a Contingentia mundi) . مثال ذلك الدليل الذي استنبطه أبو المعالي في رسالته المعروفة بالنظامية ، ومبناه على مقدمتين : إحداهما أن العالم بجميع ما فيه جائز أن يكون على مقابل ما هو عليه ، حتى يكون أصغر مما هو ، أو أكبر مما هو أو بشكل آخر غير الشكل الذي هو عليه ، أو عدد أجسامه غير العدد الذي هو عليه ، أو تكون حركة كل متحرك منها الى جهة ضد الجهة التي يتحرك إليها . والمقدمة الثانية أن الجائز محدَث وله محدِث أي فاعل صيّره بأحد الجائزين أولى منه بالآخر . وكل أمر جائز أو ممكن فلا بدّ له من علة محدثة متقدمة عليه ، فإذا كانت هذه العلة جائزة تسلسل الأمر الى غير نهاية ، والتسلسل باطل في حكم العقل ، فلا بدّ إذن من علة أولى ضرورية ، وهذه العلة هي الله (راجع : متناقضات العقل ، في لفظة عقل) .

الجبر

في الفرنسية Algèbre

في الانكليزية Algebra

الجبر في اللغة خلاف الكسر . ومعناه في اصطلاح الرياضيين نقل الكمية السالبة من أحد طرفي المعادلة إلى الطرف الثاني وقلبها إلى كمية موجبة .

أول من تصور العلاقات الجبرية الرياضي الإسكندراني (ديوفانت Diophante) في القرن الرابع للميلاد . ولكنه لم يستعمل في الدلالة عليها رموزاً كالتي نستعملها اليوم ، بل استعمل اصطلاحات مختزلة من الألفاظ ، فلما جاء العرب أعادوا النظر في هذا العلم وأكملوه ووسعوه حتى نسب إليهم ، ثم نقلوه في القرن الرابع عشر الى الأوربيين فسمي جبراً أيضاً في لغاتهم .

والفرق بين علم الجبر وعلم الحساب أن علم الحساب يعبّر عن الأشياء بالأعداد ، على حين أن الجبر يعبّر عن الأعداد بالحروف ، فنسبة الجبر الى الحساب كنسبة الحساب الى الأشياء . مثال ذلك ان العلاقة الجبرية : $(ب + ج)^٢ = ب^٢ + ج^٢ + ٢ ب ج$ صادقة على كل عدد يرمز اليه بـ (ب) أو (ج) أياً كانت قيمته . أما العلاقة الحسابية ٥ + ٧ = ١٢ فلا تصدق إلا على الأشياء أياً كان نوعها . وعلى ذلك فالجبر أكثر تجريداً من الحساب ، لأنه يتناول العلاقات المجردة وتغيراتها من غير أن يعنى بقيمها العددية .

وعرفوا علم الجبر بقولهم :

(١) الجبر هو العلم الذي يبحث في العلاقات الرياضية المجردة ، ويستعين بالحروف للدلالة على الكميات المجهولة والمعلومة . أو هو كما قال (ليبنيز) علم الأعداد غير المعينة ، والأولى أن يسمى بعلم الحساب الكلي .

(٢) الجبر هو الطريقة العامة لتمثيل العلاقات والتوابع الرياضية والمنطقية بوساطة الرموز .

٣ — الجبر هو العلم بخواص الجمل الكثيرة الحدود ، أو العلم بخواص المعادلات الرياضية وكيفية حلها .

وجبر المنطق (Algèbre de la logique) عنوان كتاب لشرودر (Schröder) وكتاب آخر لكوتورا (Couturat) ، وهو قسم من علم اللوجيستيك (Logistique) .

أول من استعمل اصطلاح جبر المنطق العالم الانكليزي (بول Boole) وكان غرضه من هذا العلم استعمال الرموز والإشارات الجبرية للتعبير عن قواعد المنطق الصوري . ضمّن كتابه قوانين الفكر (Laws of thougt) معظم قواعد هذا العلم (سنة ١٨٥٤) فلم يقصر بحثه على التصورات من جهة شمولها فحسب ، بل طبق ذلك أيضاً في حساب القضايا .

والغرض من علم اللوجيستيك عند (برتران رسّل) و (كوتورا) تطبيق طريقة الجبر في علاقات منطقية لم يتناولها المنطق الصوري بالبحث ، حتى لو أدى ذلك إلى اختراع إشارات جديدة ، ثم البرهان على أن الجبر المنطقي إذا عُمّم يمكن أن يشمل مبادئ العلوم الرياضية كلها . (راجع لفظة اللوجيستيك) .

الجبرية

في الفرنسية Fatalisme

في الانكليزية Fatalism

الجبرية مذهب من يرى أن إرادة الإنسان العاقلة عاجزة عن توجيه مجرى الحوادث ، وأن كل ما يحدث للإنسان قد قدّر عليه أزلاً ، فهو مسيّر لا مخيّر .

ويطلق لفظ الجبرية أيضاً على معتنقي هذا المذهب ، وإذا ذكرت الجبرية مع القدرية جاز تحريكها للازدواج .

والجبرية فرقة من الفرق الإسلامية كالجهمية ، وهم أصحاب جهم بن صفوان قالوا : لا قدرة للعبد أصلاً لا مؤثرة ولا كاسبة . بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها . والله لا يوصف عندهم بما يوصف به غيره كالعلم والحياة ، إذ يلزم من ذلك تشبيهه بالمخلوقات ، والجنة والنار تفنيان حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى . وهم يوافقون المعتزلة في نفي الرؤية ، وخلق الكلام ، وايجاب المعرفة بالعقل قبل ورود الشرع .

وكثيراً ما يكون القول بالجبر نتيجة للقول بقدرة الله على كل شيء ، وبإحاطة علمه بالأشياء كلها . ومعنى ذلك أن كل ما يحدث إنما يحدث وفقاً لما أراده الله ، وأن المستقبل إذا كان داخلاً في علمه تعالى كان حدوثه بحسب علمه واجباً . فهذه الجبرية هي الجبرية اللاهوتية (Fatalisme théologique) . واذا قلنا بوحدة الوجود جعلنا وجوب العالم وحقيقة الله شيئاً واحداً .

والجبرية مختلفة عن الحتمية (Déterminisme) لأن الجبرية تعلق ضرورة حدوث الأشياء على مبدأ أعلى منها يسيرها كما يشاء فهي إذن ضرورة متعالية . وليس في مذهب وحدة الوجود إنكار لهذا التعالي ، لأن الله عند أصحاب هذا المذهب هو الطبيعة الطابعة ، والعالم هو الطبيعة المطبوعة . ومن الجبريين من قال بجبرية متوسطة بين الجبر والتفويض ، لأنهم يثبتون للعبد كسباً بلا تأثير فيه أو اختيار الفعل بلا قدرة عليه . مثال ذلك أن الجندي يستطيع أن يزج نفسه في المعركة ، أو ان يهرب منها ، ولكنه اذا كان مقدراً عليه أزلاً أن يموت فموته واقع لا محالة . وكذلك الرواقي الذي يظن نفسه حراً أمام ما يحدث له ، فإنه مهما يفعل سائر إلى مصيره المحتوم سواء أرضي به أم قاومه .

أما الحتمية فهي مذهب من يرى أن لظواهر الطبيعة عللاً تحدثها، وهي مبدأ السببية بعينه، العلة توجب حدوث المعلول، والضرورة محيطة بالأشياء كلها. (راجع لفظة الحتمية).

الجدل

في الفرنسية Dialectique

في الانكليزية Dialectic

وأصله في اليونانية Dialektiké

جدل جدلاً اشتدت خصومته، وجادله مجادلة وجدالاً ناقشه وخاصمه، وفي القرآن الكريم «وجادلهم بالتي هي أحسن».

والجدل في اصطلاح المنطقيين قياس مؤلف من مقدمات مشهورة أو مسلمة. والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان (تعريفات الجرجاني)، فإنْ كان الجدلي سائلاً معترضاً كان الغرض من الجدل إلزام الخصم وإسكاته، وإنْ كان مجيباً حافظاً للرأي كان الغرض منه أن لا يصير ملزماً من الخصم.

والجدل في الأصل فن الحوار والمناقشة. قال أفلاطون: الجدلي هو الذي يحسن السؤال والجواب (كراتيل ٣٩٠) والغرض منه الارتقاء من تصور الى تصور، ومن قول إلى قول، للوصول الى أعم التصورات وأعلى المبادئ. وهذا الذي ذهب اليه أفلاطون كان سقراط قد قرره قبله، فزعم أن العِلْم لا يعلَّم ولا يدوَّن في الكتب، بل يكشف بطريق الحوار، فلا يمكنك أن تلزم الخصم بنتيجة القياس إلاّ إذا استخرجتها من مبدأ مسلَّم به عنده، ولا يمكنك أن تخطو خطوة واحدة إلى الأمام من دون أن تتيقن أن الخصم يتبعك.

على أن الوصول الى الحقيقة لا يقتضي اتباع طريقة الحوار دائماً ، لأنك تصل اليها بتعريف المعاني الكلية وتصنيفها ، فالجمال هو المعنى الكلي المحيط بالأشياء الجميلة ، والعدل هو المعنى الكلي المحيط بالأمور العادلة . فما على الفيلسوف إذن إلا أن يعرّف هذه المعاني ، ويصنفها ، لتحديد محل كل منها في سلسلة المعقولات . والفرق بين المنطقي والجدلي أن الأول يرى أن الأجناس كلما كانت أفقر تضمناً كانت أغنى شمولاً ، وأن العقل كلما ارتقى في سلسلة التصورات من جنس أدنى إلى جنس أعلى أفقر تضمنه وأغنى شموله ، حتى يصل الى تصور الوجود الذي هو أعلى الأجناس وأقلها تعيناً ، على حين أن الثاني (أعني الجدلي) يرى أن الجنس مركب من الأنواع ، لأنه يتضمن مفاهيم الأنواع وشيئاً آخر زائداً عليها ، ولأنه أغنى من كل واحد منها على حدته . وعلى ذلك فالجنس الأعلى عند الجدليين هو تصور الكمال أو الخير ، لا تصور الوجود ، لأن الكمال الكلي محيط بجميع الكمالات الجزئية ، والجنس الأعلى محيط بما يندرج تحته من الأنواع ، لا من جهة شموله فحسب ، بل من جهة تضمنه أيضاً . فالجنس إذن أحق بالوجود من النوع ، والجنس الأعلى هو الموجود الأعلى .

ذلك مجمل رأي أفلاطون خلاصته أن الغرض من الجدل الارتقاء من تصور الى تصور للوصول إلى أعم التصورات وأغناها . وقد اقتبس المحدثون هذا المعنى ، فأطلقوه على الارتقاء من المدركات الحسية الى المعاني العقلية ، ومن الحقائق المشخصة الى الحقائق المجردة ، ومن الأمور الجزئية الى الأمور الكلية .

أما (أرسطو) فقد فرق بين الجدل والتحليل المنطقي ، لأن موضوع التحليل المنطقي عنده هو البرهان ، أعني الاستنتاج المبني على المقدمات الصحيحة ، على حين أن موضوع الجدل هو الاستدلال المبني على الآراء الراجحة . فالجدل إذن وسط بين الأقاويل البرهانية والأقاويل الخطابية - ومعنى ذلك أن الأقاويل

الجدلية تهدف الى أمرين: أحدهما أن يلتمس السائل بالاستناد الى الأشياء المشهورة والمسلمة إلزام الخصم وإفحامه، والثاني أن يلتمس إيقاع الظن القوي في رأي قصد تصحيحه حتى يوهم أنه يقيني. وهذا المعنى كما ترى قريب من المعنى الذي نجده عند سقراط وأفلاطون.

وأما المتأخرون من فلاسفة اليونان فقد أطلقوا لفظ الجدل على معنيين: الأول هو القدرة على الاستدلال الصحيح، والثاني هو المراء المتعلق باظهار المذاهب وتقريرها، والتفنّن في ايراد ما لا نفع فيه من البيانات الدقيقة.

وأما (كنت) فقد أطلق لفظ الجدل على المقاييس الوهمية. قال ان الجدل هو منطق الظاهر، بخلاف التحليل الذي هو منطق الحقيقة. وهذا الظاهر إما أن يكون منطقياً كما في المصادرة على المطلوب، أو يكون تجريبياً كما في تضخم حجم القمر عند تقربه من الأفق، أو يكون متعالياً نتيجة لطبيعة العقل الذي يتوهم أنه يستطيع أن يذهب إلى ما وراء التجربة، وأن يدرك حقيقة الله والنفس والعالم بالمقاييس العقلية. ويسمّى هذا التوهم في فلسفة (كنت) بالجدل المتعالي. وهو القسم الثاني من المنطق المتعالي في كتاب نقد العقل المحض.

وأما (هيجل) فقد زعم أن الجدل هو التطور المنطقي الذي يوجب ائتلاف القضيتين المتناقضتين واجتماعهما في قضية ثالثة. ولهذا التطور الذي هو تطور الفكر والوجود معاً ثلاثة أركان: الأول هو الرأي أو الايجاب، والثاني نقيض الرأي أو السلب، والثالث التركيب، وهو التأليف بين الرأيين المتناقضين والجمع بينهما في رأي واحد أعلى منهما. وعلى ذلك فالمنطق عند (هيجل) مبني على عدم تساوي النقيضين في الإمكان، أما الجدل فمبني على تقابل الضدين لاستخراج نتيجة جامعة بينهما.

وجدل السيد والعبد عند (هيجل) هو التطور الذي يبدل السيد عبداً والعبد سيداً ، لأن فراغ السيد وسعيه في سبيل اللذات يجعلانه عبداً لحاجاته وشهواته ويهبطان به إلى مستوى الحيوان ، على حين أن عمل العبد يكسبه سيطرة على نفسه وعلى الطبيعة ، ويجعله في النهاية سيداً .

والجدل عند الماركسيين هو التوفيق بين مثالية (هيجل) ومادية زعيمهم (كارل ماركس) ، لأن التطور الجدلي عند (هيجل) هو تطور الفكرة ، أما عند (ماركس) و (أنجلس) فهو تطور المادة .

ويطلق الجدل في أيامنا هذه على المعاني الآتية :

١ — الجدل هو طريقة الفكر الذي يعرف ذاته ويعبر عن موقفه بتأليف حكم مركب جامع بين الأحكام المتناقضة .

٢ — الجدل هو طريقة الفكر الذي يوجه حركته الى جهات متعارضة تؤثر فيه تأثيراً متقابلاً يفضي في النهاية الى تقدمه كجدل الحدس والقياس ، والحب والواجب ، والعبد والسيد .

٣ — الجدل هو موقف الفكر الذي يقرر أن حكمه على الأشياء لا يمكن أن يكون نهائياً ، وان هناك باباً مفتوحاً لإعادة النظر دائماً .

٤ — الجدل هو اتصاف الفكر بالحركة ، وميله الى مجاوزة ذاته ، على أن تكون طريقته في تفهم كل شيء إرجاعه الى المحل الذي يشغله في تيار الوجود المتحرك .

والمحمولات الجدلية أربعة : التعريف ، والجنس ، والخاصة ، والعرض .

والقياس الجدلي ضد القياس اليقيني .

واللحظة الجدلية هي الانتقال من حد إلى آخر مناقض له ، أو هي انطلاق الفكر بتأثير حاجته الى مجاوزة التناقض .

والجدلي أخيراً هو الحركي ، أو التقدمي ، أو التطوري .

الجديدة (النتيجة)

Nouveauté de la conclusion

اصطلاح مألوف في اللغة الفرنسية يستعمل للدلالة على المسألة المنطقية التالية، وهي : كيف يمكن أن تكون نتيجة الاستدلال البرهاني وبخاصة نتيجة القياس ضرورية وجديدة معاً ؟ لأنها إذا كانت ضرورية كانت متضمنة في المقدمات، وإذا كانت جديدة كما في العلوم الاستنتاجية أو الاستنباطية كانت مضافة على المقدمات . وبين الأمرين كما لا يخفى اختلاف يحاول الفلاسفة إزالته بالتأويل (راجع غوبلو : كتاب المنطق الفصل ١١ – Goblot : Traité de logique, ch. XI) .

الجذب

في الفرنسية Attraction

في الانكليزية Attraction

إذا كان الجذب ظاهرة فيزيائية دل على تقرب الأجسام بعضها من بعض دون دفع بدائي . وإذا كان قوة ميكانيكية دل على قانون الجذب العام . ومن قبيل ذلك الجذب الكهربائي، والجذب المغنطيسي، والجاذبية العامة .

وقد يدل الجذب على النزوع الداخلي مادياً كان أو روحياً . قال (اولر) : « من المهم أن نعلم كيف تؤثر الأجسام السماوية بعضها في بعض، هل يتم ذلك بالدفع أم بالجذب . هل هناك مادة دقيقة غير مرئية تدفعها، أم هناك قوة خفية كامنة فيها تجذبها . الفلاسفة في هذا الأمر فريقان : فريق يقول بالدفع، وفريق يقول بالجذب » (Euler, Lettre à une princesse d'Allemagne LIV) ، فهذا الجذب مادي خالص . أما الجذب النفسي فهو النزوع العفوي الى شخص

معين أو الى هدف معين . كقولنا بين هذين الشخصين تجاذب ، أو كقول (فوريه) : لقد حدّد (نيوتون) قوانين الجذب المادي ، أما أنا فقد حددت قوانين الجذب العاطفي أو النفسي .

والجاذبية أيضاً هي الحالة التي يجذب بها صاحبها غيره .

والجذب في اصطلاح الصوفية عبارة عن جذب الله تعالى العبد الى حضرته . والمجذوب من جذبه الحق الى حضرته ، وأولاه ماشاء من المواهب بلا كلفة ولا مجاهدة ورياضة .

الجذر

في الفرنسية Racine

في الانكليزية Root

الجذر هو الأصل . قال ابن سيده : جذر كل شيء أصله . والجذر في علم الحساب هو العدد المضروب في نفسه ، فجذر مائة عشرة وجذر خمسة وعشرين خمسة . والعدد المضروب في نفسه يسمّى في علم الحساب جذراً وفي الهندسة ضلعاً وفي الجبر والمقابلة شيئاً ، والحاصل يسمى مجذوراً ومربعاً ومالاً .

والجذر قسمان ناطق أو منطق ، وهو ماله جذر صحيح كالتسعة ، فان جذرها ثلاثة ، وأصم ، وهو ما ليس له جذر صحيح كالعشرة ، فإن جذرها لا يمكن إيجاده إلاّ على وجه التقريب . والتجذير هو تحصيل الجذر .

الجُرم أو الجريمة

في الفرنسية Crime

في الانكليزية Crime

الجُرم في اللغة التعدي والذنب ، وهو الجريمة ، وأجرم عليهم واليهم جريمةً

جنى جناية ، والجناية هي كل فعل محظور يتضمن ضرراً . فإذا كان الفعل الذي ارتكبه المرء شديد المخالفة لقواعد الأخلاق في مجتمع معين سمي جرماً أو جريمة ، وإذا كان قليل المخالفة لها سمّي ذنباً .

والجرم في القانون هو الفعل الذي يحاسب عليه المرء باسم المجتمع كله لا باسم الفرد الذي تضرر به ، أو هو الفعل الذي يعاقب عليه المرء عقاباً شائناً ومؤلماً ، لا عقاباً تأديبياً . وعلم الإجرام (Criminologie) هو البحث في أسباب الجرائم وشروطها وصفاتها المشتركة . ومنه أيضاً البحث في أحوال المجرمين من الناحيتين النفسية والاجتماعية .

الجزاء

في اللاتينية	Sanctio
في الفرنسية	Sanction
في الانكليزية	Sanction

الجزاء هو الثواب والعقاب ، والجزاء المكافأة على الشيء . والمكافأة مقابلة نعمة بنعمة هي كفؤها . تقول جَزَى الشيءُ جزاء كفى وأغنى . وجزى فلاناً بكذا وعليه كافأه ، وجزى فلاناً حقه قضاه .

والجزاء في الأصل هو الفعل المؤيِّد للقانون ، كالعقاب الذي يفرض على من ارتكب أمراً محرماً أو محظوراً ، أو كالوسام الذي يجزى به من نال أصحابه فضلاً .
وقد يطلق الجزاء على كل فعل يجعل القانون نافذاً ، كالتصديق على إحدى المعاهدات ، فهي لا تصبح نافذة إلا إذا اقترنت بتأييد المجلس النيابي . ويطلق الجزاء أيضاً على كل عقاب وثواب وضعها الناس ، أو أمر بها الله ، أو أوجبتها

الطبيعة . وهذا المعنى عام ، ومنه الجزاء الانساني ، والجزاء الالهي ، والجزاء الطبيعي . وقد يكون الجزاء لازماً عن طبيعة الفعل : كاللذة ، وراحة الضمير والصحة ، فهي جوازٍ طبيعية ، وكالعقوبات والمكافآت التربوية والمدنيّة والمعنوية فهي جوازٍ اجتماعية . واذا كان الجزاء أمراً غير لازم عن طبيعة الفعل كان خارجياً . مثال ذلك قول (دوركهايم) : مهما أحلل فعلي الذي أخالف به قاعدة (لا تقتل) فإنني لا أجد فيه شيئاً يوجب اللوم أو العقاب . ذلك أن هذا الفعل ونتيجته غير متجانسين . ويستحيل علي أن أستخرج بالتحليل معنى اللوم أو العقاب من معنى القتل . فالجزاء هو النتيجة المرتبطة بالفعل ارتباطاً تركيبياً أو خارجياً .

والجزاء أنواع منها (الجزاء الطبيعي) وهو ما يجزى به الانسان على الفضيلة أو الرذيلة . فالمرض جزاء عدم الاعتدال ، والملل جزاء الفراغ . (والجزاء الشرعي) وهو ما يجزى به الإنسان من عقاب وثواب يوجبهما القانون . و (جزاء الرأي العام) وهو ما يجزى به الانسان من مدح أو ذم أو سمعة طيبة أو مجد أو عار . و (جزاء الضمير) أو الجزاء الداخلي وهو الرضا والاطمئنان أو الندم وتأنيب الضمير . و (جزاء الآخرة) وهو العقاب والثواب اللذان أعدهما الله لعباده في الحياة الثانية .

الجزء

الجزء (Partie) هو ما يتركب الشيء منه ومن غيره سواء كان موجوداً في الخارج أو في العقل . وهو أصغر من الكل ، إلاّ أنه قد يكون أبسط منه فيسمّى عنصراً أو ركناً أو أصلاً ، وقد يكون مساوياً له في التركيب فيسمى قطعة .

والجزء الذي لا يتجزأ جوهر ذو وضع لا يقبل القسمة أصلاً لا قطعاً ولا كسراً ولا وهماً ولا فرضاً ، تتألف الأجسام من آحاده بانضمام بعضها الى بعض ، أثبته المتكلمون ونفاه بعض الفلاسفة .

والجزء في علم الحساب هو العدد الأقل الذي يعدّ الأكثر . والجزء مرادف للكسر ، فاذا جزّئ الواحد الصحيح بأجزاء معينة سميت تلك الأجزاء مخرجاً ، والجزء العشري هو الجزء الكسري من النسبة إذا وضع على صورة كسر عشري ، والجزء المحصور من مستقيم ما هو قسمه الواقع بين نقطتين .

الجزئي

في اللاتينية	Particularis
في الفرنسية	Particulier
في الانكليزية	Particular

الجزئي هو المنسوب الى الجزء ، ويطلق على معنيين : (الأول) هو الجزئي الحقيقي ، وهو كون المفهوم بحيث يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه . ويسمى في علم النحو عَلَماً شخصياً كمحمد وعلي . ومنه الجواهر الجزئية (عند ليبنيز) وهي آحاد يؤثر بعضها في بعض ويمنع تصورها من وقوع الشركة فيها . (والثاني) هو الجزئي الإضافي ، وهو كون المفهوم مندرجاً تحت كلي أعم منه : كالانسان بالنسبة الى الحيوان ، أو كخواص المثلث بالنسبة الى المثلث . والجزئي الحقيقي أخصُّ من الجزئي الاضافي ، ويقابل الجزئي الحقيقي الكلي الحقيقي ، والجزئي الإضافي الكلي الإضافي .

والقضية الجزئية في المنطق هي القضية التي يكون الحكم فيها على بعض أفراد الموضوع ، وهي إما موجبة كقولنا : بعض الناس كاتب ، أو سالبة مثل قولنا : ليس بعض الناس بكاتب . والقضية التي يكون موضوعها جزئياً تسمى مخصوصة كقولنا : سقراط حكيم ، وتكون موجبة ، وتكون سالبة . ويكفي في تناقض القضيتين المخصوصتين اختلافهما في السلب والايجاب بعد اتفاقهما في كل شيء سوى الإيجاب والسلب .

والعلوم الجزئية هي العلوم التي موضوعاتها أخص من موضوع علم آخر كعلم الطب بالنسبة الى العلم الطبيعي .

جميل صليبا

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا ٠ ل ٠ كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

— ٤ —

رقم المصطلح			رقم المصطلح
2607	Chou blanc	مَلفوف أبيض (لَخَنَةٌ بيضاء)	٢٦٠٧
2612	Chou rave	كُرُنْب	٢٦١٢

كَرَنْب ، كُرُنْب ، كُرُنْب للفظة الأولى ، وكَرَنْب ساقي للفظة الثانية في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي [1] .

---

(١) لقد جاء في تعريف اللفظة الأولى في معجم الألفاظ الزراعية : بقلة زراعية من الفصيلة الصليبية تسمى المَلْفوف واللَّخَنة في الشام ، والأولى عربية مولدة لالتفاف ورق هذا النبات والثانية عامية تركية . ولا يطلق الشاميون لفظ الكرنب إلا على (Chou - rave) على حين ان هذه الكلمة العربية تدل في اللغة على هذا النبات أي (Chou) ، والمصريون يسمونه اليوم بها ، وهي من أصل يوناني (Kramté) . ويفيد انوار ضبط كُرُنْب بضم الكاف والراء خلافاً لما ذكره الزبيدي في التاج من أنه ضبط عامي .

وجاء في المعجم المذكور في شرح (Chou - rave) : اسم الكُرُنْب في الشام وابو ركبة في مصر . وهو نباتياً ملفوف اي كَرَنْب تغلظ ساقه فُوَيق الأرض وتستدير .

2625 Chrysothérapie, aurothéraphie — مداواة بالذهب ، إستذهاب ٢٦٢٥

وأرجح المداواة بمركبات الذهب .

2632 Chylifères (vaisseaux) — مرابض (عروق الكيلوس) ٢٦٣٢

وأرجح عروق الكيلوس أو ناقلة الكيلوس ، وللفظة مرابض معان أخرى غير هذه [1] .

2638 Cicatrice, balafare — نَدْبَة ، شجة ٢٦٣٨

وأرجح نَدْبة ، شَجَج . إذ أن ما يعنى باللفظة الأولى هو أثر الجرح اطلاقاً ، والثانية أثر الشجة لا الشجة ذاتها [2] .

2648 Ciguë — شوكران ٢٦٤٨

وأقر مجمع اللغة : السيكران المُنتِن وعرّفه : جنس من النبات سام من الفصيلة الخيمية .

2652 Ciment, agglutinant — مِلاطٌ ، مُلصِق ٢٦٥٢

والمدارج الأسمنت [3] تعريباً .

2655 Circiné, e — مقوّس ٢٦٥٥

وأرجح ذو دوائر وذات دوائر . ويعنى بهذا المصطلح الآفات الجلدية البادية بشكل دوائر متوازية بينما يبقى المركز فيها خلواً منها .

---

(١) في اللسان : الرَّبْض والمَرْبَضُ والمَرْبِض والرَّبيضُ مجتمع الحوايا ، والرَّبْض أسفل من السرّة والمَرْبِض تحت السرّة وفوق العانة .

(٢) في اللسان : النَّدَبَة أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد . والجمع نَدَب وأنداب ونُدوب . وفي المخصص : الشَّجَج أثر الشجة في الجبين . وفي اللسان : الشجة الجُرْح يكون في الوجه والرأس فلا يكون في غيرهما من الجسم وجمعها شِجاج . والشَّجج أثر الشجة في الجبين .

(٣) في اللسان : المِلاط الطين الذي يجعل بين سافتي البناء ويُملَطُ به الحائط .

2679 Circuit de chauffage (radiol.) دورة التدفئة (أشعة) ٢٦٧٩

والأفضل دارة التدفئة وهي الدارجة ، وتخصيص دورة ترجمة لـ (Cycle) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٢٧٠٩) .

2680 Circuit induit دورة مُحَرَّضة ٢٦٨٠

دارة مُتأثِّرة كما أقرها مجمع اللغة .

2682 Circuit primaire ou inducteur دورة ابتدائية أو محرِّضة ٢٦٨٢

وأرجح دارة بَدْئية أو مُؤثِّرة كما أقرها مجمع اللغة .

2705 Cirrhose اشقرار ٢٧٠٥

سبقت ملاحظتي على هذه اللفظة [١] . وأقر مجمع اللغة التعريب بسيرّوز والترجمة بتليف وتلييف .

2723 Civière, brancard حَرَج ، رِحالة ، مَحْمَل ٢٧٢٣

والأفضل نَقّالة وهو الاسم الشائع ، وأثبته المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة .

2727 Clapet, soupape, valve valvule صِدادَة ، مِصْراع ، صِفْق ، مُصْفَق ٢٧٢٧

ويعنى بهذه اللفظة الجزء المتحرك من الدسام ، لذا أرجح ترجمة اللفظة بمصراع ، دِسام ودُسَيم .

2728 Clapier purulent, bourse pyorrhéique (stomat.) مَكْو قيحي ، كيس النجيع ٢٧٢٨

ويعنى بهذه اللفظة بؤرة التقيح التي ينز منها القيح بصعوبة [٢] وجاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (Pus pocket) أي جيب القيح . لذا أرجح

---

(١) الصفحة ٨٥ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) M. Garnier et V. et J. Delamare, Dictionnaire des Termes Techniques de Médecine .

توجمة اللفظة بنجيج[1] وكيس تقيح اللثة (أمراض الفم) ولا أرجح لفظة مكو[2] التي يرجح أن اللجنة استعملتها استناداً الى أصلها اليوناني المشتقة منه .

2730 Claquement; frappement (en hydrothérapie) لطس، صفق (في الاستمواه) ٢٧٣٠

وأرجح تدليك ولكز[3] (في المداواة المائية) ، ويعنى بها حركة التدليك والضرب في أثناء المعالجة بالماء .

2731 Claquement valvulaire قرقعة المصاريع ، قرقعة الصفيقات ٢٧٣١

وأرجح القرقعة المصراعية ، لأن هذه يغلب لها أن تتم بين مصراعين .

2736 Claudication, boiterie عرج ، كسح ٢٧٣٦

والصحيح عَرَج فقط ، وسبقت ملاحظتي على كَسَح[4] .

2738 Clava (renflement mamelonné du bulbe rachidien) نبثوت (انتبار البولة السيسائية) ٢٧٣٨

وأرجح انتفاخ البصلة الحليمي[5] .

(١) في اللسان : نجت القرحة تنجج بالكسر نجاً ونجيجاً رشحت وقيل سالت بما فيها .
(٢) في اللسان : المكْوُ والمكا بالفتح مقصور جُحْرُ الثعلب والأرنب ونحوها .
(٣) في اللسان : دلكْتُ الشيءَ بيدي أدلكُه دلكاً قال ابن سيده دلك الشيء يدلُكه دلكاً مَرَسَه وعركه . وتدلّك الرجُلُ أي دلك جسده عند الاغتسال .
في اللسان : لَكَزَه يَلْكُزه لكزاً وهو الضرب بالجُمْع في جميع الجسد . وفي المخصص : اللكز الضرب على الصدر والجنب بالكف أو الضرب بجُمْع الكف في الصدر وربما أُطلق على جميع البدن ، لكز كقتل .
في لسان : اللطْسُ الضرب الشيء بالشيء العريض لطَسَه يَلْطُسُه لطساً .
(٤) الصفحة ٨٣ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .
(٥) في معجم بلاكستون أن لفظة (Clava) تطلق على إحدى الشامختين البيضيتين من النهاية الذيلية للبطين الرابع .

2739 Claveau ٢٧٣٩ لقاح النبخ

والصحيح الحمة الراشحة (Virus · النبخ أو جدري الضأن ·

2741 Claviceps purpurea ٢٧٤١ فطر مهازي فرفري

فطر الدائرة الأرجواني كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي ·

3742 ٢٧٤٢ ترقوة

وأقر مجمع اللغة الناحرة ، وشرح اللفظة بأنها الترقوة وهما ناحرتان · ولا شك في أن الاكتفاء بالترقوة أفضل لورودها في القرآن الكريم ·

2745 Cleptomanie, Clopémanie, Kleptomanie ٢٧٤٥ دَغر ، جِنّة الاختلاس ، هَوَس السرقة

ويعنى بهذه اللفظة الاندفاع المرضي الى السرقة دون أن يشترط الانتفاع بالمتاع المسروق · لذا أرجح ترجمتها بوَلَع السرقة أو هَوَسها ولا أرى لفظة دَغر[1] تفي بهذا المعنى ·

2747 Clientèle, pratique ٢٧٤٧ صاغية ، ممارسة

وأرجح زبائن ، ممارسة · وقد أثبت لفظة زبون المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة ، ولا أرى في لفظة صاغية [2] الدلالة على المعنى المطلوب ولا سيما في صدد من يتردد على الطبيب الممارس من مرضى للاستشفاء ·

---

(١) في اللسان : الدَّغر توثب المختلس ودغمته تفشه على المتاع ليختلسه . والدَّغرة أخذ الشيء اختلاساً . والدَّغر سوء غذاء الولد وأن ترضعه أمه فلا ترويه فيبقى متجبجباً يعترض كل من لقي فيأكل ويمص ويتدقى على الشاة فيرضعها .

(٢) في اللسان : صاغية الرجل الذين يميلون اليه ويأتونه ويطلبون ماعنده ويغشونه . الصاغية كل من ألم بالرجل من أهله .

2751 Clinique — ٢٧٥١ مَمريريَّات

وعِيادة كما أقرها مجمع اللغـة .

2762 Clocher thermique — ٢٧٦٢ قِمَّة خطالحرارة، ذُرْوة خط الحرارة

وأرجح بُرَحاء الحمى [٢] .

2774 Coagglutinines — ٢٧٧٤ راصّات شاملة

مُلزنات شاملة بعد ما أقر مجمع اللغة ترجمة (Agglutinine) بملزن [٤] .

2775 Coagulants — ٢٧٧٥ مُخَثِّرات

2776 Coagulation — ٢٧٧٦ تَخَثُّر ، تَخْثِير

وأقر مجمع اللغة : ١ – تجلط (ونطلق على تكوين الجلطة من الدم) . ٢ – تخثر ـ تخثير (ونطلق على تكوين الخثرة من اللبن) . هذا بالنسبة الى اللفظة الثانية ، وأرجح مُجلِّطات ومُخَثِّرات بالنسبة الى اللفظــة الأولى . وبذلك يكون المجمع قد فرّق بين الحدَث الواحد البادي منه في الدم وفي اللبن . وتصبح ترجمة (Coagulum) أو (Caillot) جُلْطة [١] بالنسبة إلى الدم وخَثْرة بالنسبة الى اللبن .

---

(١) في اللسان : البُرَحاء الشِدة والمشقّة وخص بعضهم به شدة الحمّى . وبُرَحاء الحمى وغيرها شِدّة الأذى ويقال المحموم الشديد الحمّى أصابته البُرحاء .

(٢) الصفحة ٦٤٥ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) ان استعمال لفظ جُلْطة لما تجمد من الدم هو من قبيل التخصيص والتمييز بين ماحدث من التجمد في الدم وما كان منه في اللبن ، وبذلك تصبح في هذا المعنى مولّدة (كما أشار إلى ذلك المعجم الوسيط) كما أن استعمال الخثرة والتخثر بالنسبة إلى الدم هو كذلك أيضاً . وعندي أن هذا التمييز حسن . في التاج : الجُلْطة بالضم الجزعة الخاثرة من الرائب . وفي اللسان : الخُثورة نقيض الرّقة ، والخُثورة مصدر الشيء الخاثر ، خَثَر اللبن والعسل ونحوها بالفتح يَخْثُر . وخَثِر وخَثُر بالضم خَثْراً وخُثورا وخثارة وخُثورة وخَثَراناً .

٢٧٩٣ حلزوني ، قوقعي ، محاري — 2793 Cochléaire

وأقر مجمع اللغة قوقعي .

٢٧٩٥ بطني — 2795 Cœliaque

سبقت ملاحظتي على ترجمة (Cœliaque)(١) فيما يختص بالعلة المعروفة . وقد أقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بالشريان الجوفي بالنسبة الى الشريان المعروف بـ (Artère Cœliaque) .

٢٧٩٨ تقعر الظفر — 2798 Cœlonychie

أو الظفر الملعقي كما جاء في الترجمتين الانكليزية والألمانية من القاموس الأصلي (٢) .

٢٨١٠ قلب قبقابي (أشمة) — 2810 Cœur en sabot

ويعنى بهذه اللفظة التغير الطارئ على شكل القلب وحجمه بحيث يصبح على هيئة القبقاب الفرنجي ذي المقدم المرتفع وهو غير القبقاب الدارج استعماله في بلادنا . لذا أفضل ترجمة اللفظة بقلب على هيئة القبقاب الفرنجي أو الأرجح الحذائي مطابقة لما جاء في ترجمتي اللفظة الانكليزية والألمانية في المعجم الأصلي (٣) .

٢٨١٧ مسكة ، صماد (قبالة) — 2817 Coiffe

٢٨١٨ ذو مسكة ، مصمد ، مقنع ، (وليد) — 2818 Coiffé (vé)

ويعنى باللفظة القطعة المستديرة من أغشية البيضة والتي تستر رأس الجنين حين الولادة لذا جاءت ترجمتها القلنسوة في كتاب فن التوليد (٤) . وأفضل

(١) الصفحة ٨٧ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) (Spoon - nail) في الانكليزية و (Löffel Nagel) في الألمانية .

(٣) (Boot Shaped heart) في الانكليزية و (Schuhform des Herzens) في الألمانية .

(٤) للأستاذين شوكت القنواتي ومحمود برمدا .

أن تترجم بقلنسوة الحميل تمييزاً لها من لفظة (Casque)[1] وأصبح اللفظة الثانية حُميل ذو قلنسوة . ولا أرى في لفظي مسكة وصِماد الدلالة المطلوبة[2] .

2819 Coin, Cuneus — وَتِد ، قُرْنة ، زاوية ٢٨١٩

ويعنى به أحد أجزاء الدماغ وقد أقر مجمع اللغة الوَتِد في ترجمة اللفظة .

2823 Col de l'uterus — قُرْنة ، عُنُق الرَّحم ٢٨٢٣

2824 Col de la vessie, col vésical — قُرْنة المثانة ، عنق المثانة ٢٨٢٤

وأفضل أن يقتصر في ترجمة اللفظة الأولى على عُنُق الرَّحم ، وعلى الثانية بعُنُق المثانة ، وليس لكلمة قُرْنة الدلالة في كلتا اللفظتين[3] .

2827 Colchique d'automne — سُورَنْجان الخريف ، لحلاح ٢٨٢٧

وأقر مجمع اللغة اللحلاح . وسُورنجان الخريف في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي وأنها من الفارسية .

2833 Colique appendiculaire — قُولنج زائدي ٢٨٣٣

وأقر مجمع اللغة مَغْص زائدي . وأرى لفظة قولنج وهي معرّبة من القديم أفضل .

2863 Colliquatif, ve — مُذيب ، مُوهِن ٢٨٦٣

(١) الصفحة ٨٠ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : المَسْكة والماسكة قشرة تكون على وجه الصبي أو المهر وقيل كالسَّلى يكونان فيها . وقال ابو عبيدة الماسكة الجلدة التي تكون على رأس الولد وعلى أطراف يديه فاذا خرج الولد من الماسكة والسّلى فهو بَقير وإذا خرج الولد بلا ماسِكة ولا سَلىً فهو السَّليل .
في اللسان : وصَمَّدَ رأسه تصميداً وذلك إذا لف رأسه بخرقة أو ثوب أو منديل ما خلا العمامة وهي الصِّماد . والصِّماد سِدادُ القارورة .

(٣) في اللسان : قُرْنة الرَّحِم ماثنأ منه ، وقيل القُرْنتان رأس الرحم وقيل زاويتاه وقيل شُعْبتاه كل واحدة منها قُرْنة .

وأرجح مُميع ومُميعة . لأن ما يعنى بهـذه اللفظة النسبة الى ما يوجب تميع النسيج .

2866 Colloïdes protecteurs ٢٨٦٦ شَبْغريات واقية

2867 Colloïdome miliaire hyalome ٢٨٦٧ وَرَم شَبغري ، ورم شفّاف

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Colloïde) بغراواني [1] ، فتكون اللفظة الأولى غرواينات واقية وورم غرواني دخني ثم ورم شفاف في اللفظة الثانية .

2869 Collyre ٢٨٦٩ قَطرة ، شِياف

وأقر مجمع اللغة القَطرة .

2880 Colonies R (formes rugu--euses de colonies bactériennes) ٢٨٨٠ مُستَعمَرات حُرْش

2881 Colonies S (formes lisses de colonies bactériennes) ٢٨٨١ مُستَعمَرات مُلْس

وأرجح أن تكون الترجمة في اللفظة الأولى مستعمرات R (أو خ اذا أريد التعريب) (الأشكال الخشنة من المستعمرات الجرثومية) و حرف R من الانكليزية (Rough) وفي اللفظة الثانية مستعمرات S (أو م إذا أريد التعريب) (الأشكال الملس من المستعمرات الجرثومية) وحرف S من الانكليزية (Smouth) .

2882 Colonie de vacances ٢٨٨٢ مُستَعمرات الفُرَص أو العُطَل

وأفضل أن تترجم بمخيمات الفُرَص أو العُطَل ، لأن المقصود هنا كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [2] المخيمات التي تقام لقضاء عطلة الصيف وتمييزاً مما كنا في صدده من مستعمرات الجراثيم .

---

(١) الصفحة ٨٩ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) لقد جاء في الترجمة الانكليزية (Holiday camps , Summer school) أي مخيمات العُطَل والمدرسة الصيفية و (Open air schools) أي مدارس الهواء الطلق .

٢٩١٠ تسيمّم تبولني أو استبوالي — 3910 Coma urémique

وأقر مجمع اللغة غيبوبة بولية . وسبقت ملاحظاتي على هذه اللفظة [1] مرجحاً السبات الأوريائي .

٢٩١٤ مُوَحِّد وَطُفَيل — 2914 Combinateur de Wattevilh

أرجع مُشْرِك وطفيل .

٢٩٢٦ صِواري صِماغي — 2926 Comissural, le

٢٩٢٧ ملتقى (صوار الشفتين ، صماغا الفم) — 2927 Comissure

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Comissure) بوصيلة . فتكون ترجمة اللفظة الأولى وصيلي وأقر ترجمة ملتقى الشفتين (صوار الشفتين) بالصامغ [2] .

٢٩٣١ ارتجاج دِماغي — 2931 Commotion cérébrale

وأقر مجمع اللغة ارتجاج مُخي .

٢٩٣٦ مُغَيِّر ، مُحَوِّل التيار — 2936 Commutateur, renverseur de courant

وأقر مجمع اللغة عاكس التيار .

٢٩٤٠ مُكْتَنِز ، كثيف — 2940 Compact

وأقر مجمع اللغة لسم أصم (ولا سيما فيما يختص بالعظم) ويجدر تخصيص لفظة كثيف ترجمة لـ (Condense) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٣٠٠٥) .

٢٩٤٢ مُزْدَوِج ، مُلائِم ، مُؤْتَلِف — 2942 Compatible

---

(١) الصفحة ٩٠ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : العَشَمان مُلتقى الشفتين مما يلي الشدقين ، والصمغتان والصامغان والصاغفان جانبا الفم وقيل هما مؤخر الفم وقيل هما مُجتمع الريق من الشفتين الذي يمسه الانسان ، وفي التهذيب مجتمع الريق في جانب الشفة ويسميا العامة الصِيَوارين .

٢٩٤٣ موافقة إئتلاف — 2943 Compatibilité

وأرجح الاقتصار على لفظة مؤتلف في الأولى وإئتلاف في الثانية .

٢٩٤٦ مُكْمِل — 2946 Complémentaire

وتكميل كما أقرها مجمع اللغة .

٢٩٤٨ مُشْتَرَك أذيني — 2948 Complexe auriculaire resseaut P (E C G)

٢٩٤٩ مُشْتَرَك بدائي ، القسم البدائي من المشترك البطيني — 2949 Complexe initial, partie initiale du complexe ventriculaire, Complexe Q R S (E C G)

٢٩٥٠ مُشْتَرَك بُطَيني ، مخطط بطيني — 2950 Complexe Q. R. S. T. Complexe ventriculaire (E C G) ventriculogramme

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Complexe) بمركب وسبقت ملاحظتي على هذه اللفظة بأن ترجمها بمجموعة والمركب[1] . ويصبح ترجمة الألفاظ تباعاً المركب الأذيني اشارة P (م ق ك) أي مخطط القلب الكهربائي ، والمركب البدئي ، الجزء البدئي من المركب البطيني مركب (Q. R. S.) (م ق ك) والمركب البطيني (م ق ك) والمخطط البطيني .

٢٩٥١ إختلاط ، عرقلة — 2951 Complication

٢٩٥٢ مختلط ، معرقل — 2952 Compliqué, ée

وأقر مجمع اللغة مضاعفات في اللفظة الأولى وتكون ترجمة الثانية متضاعف ومتضاعفة .

(١) الصفحة ٩ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

2954 Comportement psychique — ٢٩٥٤ احتمال نفسي

وأرجح سلوك نفسي[1] .

2984 Concentration ionique — ٢٩٨٤ تركيز شاردي

تركيز ايوني كما أقرها مجمع اللغة .

2994 Concotion — ٢٩٩٤ طبخ مادتين معاً

وأرجح طبخ مشترك لأن اللفظة تعني طبخ مادتين فأكثر .

2999 Concrétion (calcul) — ٢٩٩٩ رسوب (حصاة)

وأقر مجمع اللغة حصية (ج . حصيات) .

3010 Conducteur, transmetteur — ٣٠١٠ ناقل ، موصل

وأقر مجمع اللغة موصل

3012 Conductibilité électrique — ٣٠١٢ ناقلة كهربارية

وأرجح ايصال كهربائي .

3018 Conduction de l'excitation — ٣٠١٨ نقل الاستفزاز

وأرجح ايصال الإثارة .

3025 Conduits séminifères, vaisseaux séminifères, tubes séminifères — ٣٠٢٥ قنوات ناقلة المني ، عروق منوية ، أنابيب منوية

وأرجح مجاري ناقلة النطفة (وقد أقر مجمع اللغة ترجمة Sperme بنطفة) عروق ناقلة النطفة وأنابيب ناقلة النطفة .

3027 Condylarthrose, articulation condylienne — ٣٠٢٧ مفصل لقمي ، مفصل حيدي

(١) الصفحة ٩٠ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

٣٠٣١ شِبْه اللقمة — 3031 Condyloïde

وأرجح مَفْصلية لقمية ، ومفصل لقماني (كما جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي) في اللفظة الأولى ولقماني في اللفظة الثانية وقد أقرها مجمع اللغة[1] واللفظة حيد معانٍ أخرى[2] .

٣٠٣٣ أورام قُنَيبطية مؤنّفة ، أورام عُرفية — 3033 Condylomes

ناميات زُهَريّة سليمة — acuminé crête - de coq,

tumeur en chou - fleur

végétations simples vénériennes

٣٠٣٤ أورام قنَّيبطية مُسَطّحة — 3034 Condylomes plats

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Condylomes) بالسَّمْدانة (ج · سمدانات) وعرفها بأنها أورام زُهَرية (سفلسية) ثانوية متقرحة · فتكون الترجمة في اللفظة الأولى سمدانات مؤنفة ، عُرْف الديك ، ورم على هيئة القنبيط ، تنبتات افرنجية بسيطة ، وفي اللفظة الثانية سمدانات مسطّحة ، ولما كان للفظة السَّمدانة معانٍ[3] أخرى فاني أرجح تعريب اللفظة بكونديلوما .

---

(١) في الترجمة الانكليزية (Condyloid joint) .

(٢) في المعجم الوسيط : الحَيْد ما نتأ من نواحي الشيء يقال حيد الجبل وحيد الرأس والحيد المثل والنظير والحيد كل ضلع شديدة الاعوجاج والحيد لعسر خروج الجنين من بطن أمه عند الولادة .

(٣) في اللسان : السَّمْدانة : السَّمْدُوَة ، وهو ما استدار من السواد حول الحَلَمة وقال بعضهم : سمدانة الثدي ما أطاف به كالفَلْكة ، والسَّمْدانة كِركِرة البعير سميت سمدانة لاستدارتها والسمدانة مَدْحَل الجُرْدان من ظبية الفرس . والسَّمْدانة الأست وما تقبّض من حتارها . والسمدانة عُقدة الشِّسع مما يلي الأرض والقِبَالُ مثل الزِّمام بين الإصبع الوسطى والتي تليها . والسمدانة العقدة في أسفل كفّة الميزان وهي السمدانات .

٣٠٥٢ الجماد ، تجمُّد ، انظر صَرَد Congélation V. froidure 3052

وأقر مجمع اللغة الانعقاد .

٣٠٥٨ احتقان دماغي Congestion cérébrale 3058

وأقر مجمع اللغة : احتقان مخي .

٣٠٦٣ تَلَزُّج Conglutination 3063

وأقر مجمع اللغة التلازُق .

٣٠٧٥ التهاب الملتحمة الفُقَّاعي البثري ، رَمَد سُلّي Conjonctivite phlycténulaire, pustuleuse, ophtalmie, scrofuleuse 3075

وأقر مجمع اللغة التهاب الملتحمة الوَدْقي [1] ترجمة للفظة الأولى . ثم البثري فالرمد الخنازيري وأقر مجمع اللغة اللفظة الأخيرة أيضاً . وتخصص لفظة سُلّي ترجمة لِـ (Tuberculeux, euse) .

٣٠٧٧ تزاوج (كيمياء) اشتقاق Conjugaison (chim.) 3077

وأقر مجمع اللغة ازدواج .

٣٠٧٩ تزاوُج ، تزويج (طراز انتاج أو تناسل) Conjugation (mode de reproductiou) 3079

وأقر مجمع اللغة اقتران . وهو أفضل للتمييز بين هذه اللفظة وسابقتها .

---

(١) في اللسان : والوَدْقة والوَدَقة نقطة في العين من دم تبقى فيها شرقة ، وقيل هي لحمة تعظم فيها ، وقيل هو مرض ليس بالرَّمَد تَرِم منه الآذن وتشتد منه حمرة العين والجمع وَدَق . وَدِقت عينه فهي وَدِقة يقال في عينه وَدَقة خفيفة إذا كانت فيها بَثْرة أو نقطة شَرِقة بالدم .

٣٠٨٤ مَعْرِفة ، إدراك Connaissance 3084

٣٠٨٥ سريرة، وجدان، شُعُور Connaissance, conscience 3085

٣٠٨٦ إدراك (بلا) بلا شعور Connaissance (sans) 3086
inconscient, ente

وأرجح أن تكون الترجمة في اللفظة الأولى مَعْرِفة (وقد جاءت ترجمتها الانكليزية في المعجم الأصلي Knowledge) وفي الثانية شعور ووعي وفي الثالثة بلا وعي أو فقد الوعي .

٣٠٨٧ رابط ، مُوصِل Connectif, ve 3087

وأقر مجمع اللغة ضام .

٣٠٨٨ ربط ، ارتباط ، اتصال Connexion 3088

وأقر مجمع اللغة اتصال .

٣٠٩٣ شاعِر ، ذو حِسّ Conscient, ente 3093

وأرجح وَاعٍ ومُدرِك .

٣٠٩٥ حِفظ القُدْرَة Conservation de l'énergie 3095

وأقر مجمع اللغة حفظ الطاقة .

٣١١٦ سَمْفِطُون طبي (أذن الحمار) Consoude officinal 3116

سَنفيطُون ، سَمفُوطُن في معجم الألفاظ الزراعية .

٣١٢٢ قَبْض ، إمساك Constipation 3122

وأقر مجمع اللغة إمساك .

٣١٢٤ مُكوّن مائي Constituant hydrique 3124

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Constituant) مُقَوِّم (ج مُقَوِّمات) .

3125 Constitution, complexion بُنْيَة، مِزاج، جِبِلَّة ٣١٢٥

وأقر مجمع اللغة البِنْيَة بكسر الباء لا بضمها وعرفها بأنها جماع ما تركب من الجسم من حيث عناصره الجوهرية [1] ، وأرجح تخصيص البِنْيَة ترجمة للفظة دون سواها .

3128 Constitution névropathique جِبِلَّة عصابية ٣١٢٨

وأرجح بِنْيَة الاعتلال العصبي .

3131 Constricteur عَضَلَة قابضة ، عَضَلَة صارَّة ٣١٣١

3132 Constricteur de la vulve قابضة الفَرْج، صارَّة الفرج ٣١٣٢

3133 Constricteurs de la glotte قابضات المِزْمار ، صارَّات المِزْمار [2] ٣١٣٣

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Constricteur) بمُضَيِّقة ولا شك أنها أفضل ، لا سيما وقد ترجمت اللجنة لفظة (Fléchisseur) بقابضة أيضاً ، (اللفظة ٨٨٠٩) وعليه تكون ترجمة هذه الألفاظ : مُضَيِّقة ومُضَيِّقة الفرج ثم مُضيقات المِزْمار .

3134 Constrictif, ive قبيض ، صار ٣١٣٤

أقول مُضَيِّقي قياساً على ما تقدم .

3136 Constriction, compo- -sition (chim.) إنشاء ، تركيب (كيمياء) ٣١٣٦

وأقر مجمع اللغة البنيان .

(١) في اللسان : والبِنْيَة والبُنْيَة مابَنَيْتَهُ وهو البِنى والبُنى إلى أن قال : والبُنى بالضم مقصور مثل البِنى . يقال : بُنْيَةٌ وبُنىً وبِنْيَة وبِنىً بكسر الباء مقصورة ، مثل جِزْيَة وجِزى وفلان صحيح البِنْيَة أي الفِطرة .
في المعجم الوسيط : البُنْيَـــة مابُني (ج بُنىً) . البِنية مابني (ج بِنىً)
والبِنْيَة هيئة البناء ومنه بِنْيَة الكلمة أي صيغتها وفلان صحيح البِنْيَة .
(٢) الصفحة ١٠٦ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

3141 Contact direct, immediat — إتصال مُباشر ٣١٤١

3142 Contact imparfait, mauvais — إتصال ناقص ، سَيِّئ ٣١٤٢

3143 Contact indirect, mediat — إتصال غيرُ مباشر ٣١٤٣

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بتماس ثم بمخالطة في المواضع المتعلقة بالعدوى وهي المقصودة كما يبدو في هذه الألفاظ الثلاثة ، لذا تصبح ترجمتها خِلاط مباشر أو مخالطة مباشرة ، خلاط ناقص وسيء وخلاط لا مباشر .

3144 Contact tournant, commutateur tournant — إتصال دوَّار ، مُغَيِّر دوّار ٣١٤٤

عاكس التيار الدوار والمُغيرة الدوارة كما أقرها مجمع اللغة .

3147 Contagion — عَدْوى ٣١٤٧

وأقر مجمع اللغة لفظة سَرَيان وسراية ترجمة هذه اللفظة مخصصاً عدوى ترجمة لـ (Infection) ، وأرى أن الأفضل ترك عدوى للفظة (Contagion) .

3148 Contagion mentale — عدوى رُوحانيّة ٣١٤٨

وأرجح عدوى فكرية أو نفسية وقد جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي (Psychic contagion) .

3152 Contenant des poils, pilifère — فيه شَعَر ، مُشْعَر ٣١٥٢

وأرجح ذو زَغَب ، مزَغَّب تاركاً الشعر ترجمة لـ (Cheveux) والشعر ترجمة للفظة (Chevelu) شأن مافعلته اللجنة (اللفظة ٢٥٠٦) مخصصاً ترجمة (Poils) بزُغَب [1] .

(١) في اللسان : الزَّغَب الشُّعيرات الصفر على ريش الفرخ وقيل هو صغار الشعر والريش وليّنه . وقيل هو دقاق الريش الذي لايطول ولا يجود . والزَّغَب مايعلو ريش الفرخ ، وقيل الزَّغَب أول مايبدو من شعر الصبي والمُهر وريش الفرخ واحدته زَغَبة . إلى أن قال والزَّغَب مايبقى في رأس الشيخ عند رقّة شعره .

3153 Contigu, uë — ٣١٥٣ مُجاوِر ، مُجانِب ، مَتاخِم ، مُقارِب

وأفضل الاقتصار على مُجاوِر

3161 Contractile — ٣١٦١ قَلَوص (قابل التقلص) مُتَقَلِّص

ونابض أيضاً (مجمع اللغة) .

3173 Contraction secondaire ou induite — ٣١٧٣ تَقَلُّص ثانوي أو مُحَرَّض

تقلص ثانوي أو مُتأثِّر كما أقره مجمع اللغة .

3175 Conracture — ٣١٧٥ تقفع

وأقر مجمع اللغة قُفاع .

3177 Contracture des fléchisseurs crampe en flexion — ٣١٧٧ تقفع القابضات ، مَعَص انقباضاً

وأقر مجمع اللغة ترجمة (flexion) بالثني ، فتصبح ترجمة اللفظة قُفاع الثانيات ومَعَص[1] (بفتح العين) بالثني .

3185 Contre épreuve — ٣١٨٥ ضد التجربة ، ضد الاختبار

وأقر مجمع اللغة الرَّوز[2] (الرَّوْز) الضابط شارحاً اللفظة بقوله :

---

(١) في اللسان : ومَعِصَت قدمُه مَعَصاً إلتوت من كثرة المشي وقيل المَعَص وجع يصيبها كالخفا . قال ابو عمرو : المَعَص بالتحريك إلتواء في عصب الرجل كأنه يقصُرُ عصبه فتعوجّ قدمه ثم يدوّيه بيده وقد مَعِص فلان بالكسر يمعَص مَعَصاً .

(٢) في اللسان : الرَّوْز التجربة ، رازه يروزه روزاً جرّب ما عنده وخبره . وقال الرَّوز الامتحان والتقدير يقال رُزْتُ ما عند فلان إذا اخبرته وامتحنته وقال وراز الحَجَر رَوْزاً رزّته ليعرف ثقله .

وفي اللسان : ووَزَنَ الشيء يزِنُه وَزْناً راز ثقله ورفعه لينظـر ما ثقله من خفته .

وتجري جنباً إلى جنب مع أية معايرة وذلك لمقابلة النتائج بعضها ببعض [1] .

3187 Contre - indication تضاد الاستطباب ٣١٨٧

وأقر مجمع اللغة النواهي ولا شك أنها أفضل .

3195 Contraction cérébrale رض دماغي ٣١٩٥

وأقر مجمع اللغة رض مُخي .

3198 Convection de la chaleur حَملان الحرارة ٣١٩٨

وأرجح تَحمّل الحرارة أو نقلها .

3199 Convergent, ente لامّ جامع ٣١٩٩

وأقر مجمع اللغة متقارب ومتقاربة .

3200 conversion, changement brusque إنقلاب ، تحوُّل ، تحويل ، تبدل فجائي ٣٢٠٠

وأقر مجمع اللغة انعكاس ثم تحول مفاجئ .

3201 Convexe مُقبّب ٣٢٠١

3202 Convexité تقبّب ٣٢٠٢

وأقر مجمع اللغة محدّب في اللفظة الأولى وتحدّب في الثانية .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

---

(١) الصفحة ٩٣ من المجلد الخامس والثلاثين حيث سبقت ملاحظتي على هذه اللفظة .

كتاب

وصف المطر والسحاب

وما نعتته العرب الرّوّاد من البقاع

للإمام

أبي بكر محمّد بن الحسن بن دُرَيد الأزديّ

٢٢٣ - ٣٢١ هـ

-٣-

وقوله : (ذَمَرَت أُخراها أُولاها[١]) هذا مَثَلٌ (أيضاً)[٢]،

---

(١) الذّمْر الحَثّ والحَضّ مع لوم واستبطاء، والقوم يَتذامرون: أيْ يحض بعضهم بعضاً على الجِدّ في القتال ومنه قول عنترة :

لما رأيت القومَ أقبل جمعُهم يَتذامرون كررتُ غيرَ مُذَمَّمِ

(٢) مابين القوسين من الميدنية ، والمعنى يقتضيه .

كأنه حضَّ بعضُها بعضًا على المطرِ ؛ و (اسْتَطارَتْ عَقائِقُها) أي انتشرت ، والعَقائِقُ واحدتها عَقيقةٌ ، وهي البَرْقَةُ المستطيلة في عُرْض السَّحاب ؛ وقوله (ارْتَعَجتْ بَوارِقُها) أيْ تَدارَكَ بعضُها في إثْر بَعضٍ ؛ وقوله (تَقَعْقَعَتْ صَواعِقُها) : أيْ سُمِعت لها قَعْقَعةٌ ، وهي حكاية صوتِ الرّعد ؛ وقوله (ارْثَعَنَّتْ جَوانبُها) يقول اسْتَرخت لكثرة ما فيها من الماء [1] ؛ وقَوله (تَداعت سَواكبها) كأنَّه دَعا بعضُها بعضاً بالماء ؛ (درَّت حَوالبُها) هذا مَثَلٌ [2] (أيضًا) ، (كانت للأرض طَبَقًا)

---

(١) وارثعنَّ الرجلُ : استرخى لضعفه ، وجاء مُرثعناً : ساقطَ الأكتاف أي مسترخيا ، قال ابن برّي وشاهد الارثعنان بمعنى الاسترخاء قول أبي الأسود العجلي :

لمّا رآهُ جَسْرَةً مُجِنّا
أقصرَ عن حسناءَ وارْثَعَنّا

(٢) وفي أمثال الميداني (١/٢٦٦) دَرّت حَلوبةُ المسلمين : يعني بذلك فيأهم وخراجَهم حين كثرا ، وفي ل (حلب) وحوالب البئر منابع مائها ، وكذلك حوالب العيون الفوّارة قال الكميت :

تدفّق جُوداً إذا ما البحا ... رُ غاضَتْ حوالبُها الحُفَّلُ

أي غارت موادّها ، قلت ومثل ذلك حوالب السّحاب .

أي غطّت الأرضَ كلها فَرضَبَت : أيْ جاءت بالماء دُفْعَةً بعدَ دُفْعة ؛

وقوْله (فعَمّ وأحسَبَ) أي عَمّت الأرضَ[١] ولم تخُصَّ مَوضعًا دون موضع ، وأحسَبَها : أيْ أعطاها ما هو حَسْبُها ؛ (فَعلَّت القِيعانَ) العَلَلَ السَقيةَ الثانية ؛ (ضَحْضَحَ الغيطانَ) أيْ تركَ فيها ضَحاضِحَ ، وهو الماء الرقيق السائح على وجه الأرض ليسَ بالكثير ، واحدُ الغيطانِ غائطٌ . وهو البطن الغامض من الأرض ؛ وقوْله (جَوّخَ الأضواجَ) أيْ هَدّمَ الأجرافَ ، والضَّوْجُ : المُنعطَف من الوادي ، و (الشّراجُ)[٢]

(١) وفي التيدنية : أي عَمَّ الأرض ولم يَخُصَّ موضعاً دون موضع والضمير هنا يعود إلى الطّبَق ، وهو مذكر ، وفي (عمّت الأرض) يعود إلى القزَعة .

(٢) الشّراجُ : جمع شَرج بالتسكين : مَسيل الماء من الحِرار إلى السهولة ، والجمع أشراج وشِراج وشُروج ، وفي الحديث : فتنحّى السحابُ فأفرغَ ماءَه في شَرْجَةٍ من تلك الشّراج : الشّرجةُ مَسيلُ الماء من الحَرّة إلى السهل ، والشّرْجُ جِنسٌ لها ، وقال أبو ذؤيب يصف سحاباً :

لهُ هَيدبٌ يَعلو الشّراج وهَيدبٌ مُسِفٌّ بأذنابِ التّلاعِ خَلوجُ

أَمْسِلَةُ الماء من الغِلَظِ إلى بُطونِ الأَوْدِيةِ وهي المُسْلان [١].

بلغت قراءة علي أيده الله تعالى

١١ ـ أخبرنا عبدُ الرّحمن عن عَمّهِ قال سَمعتُ أعرابيًا من بَني عامر بن لُؤيّ بنِ صَعْصَعَةَ [٢] يَصِفُ مَطرًا فقال:

نَشأَ [٣] عند القَصْرِ بنَوءِ الغَفْرِ حَبِيًّا عارِضًا، ضاحكًا وامِضًا، فكَلا ولا ما كانَ حتّى شَجِيتْ بهِ أقطارُ الهواء، واحْتجبتْ به السّماء، ثمّ اطّرَقَ فاكْفَحرَّ، وتراكَم فادْلَهمّ، وبَسَقَ فازْلأمّ، ثم حدَتْ به الريحُ فحنّ، فالبَرقُ مُرتَعِجٌ والرّعدُ مُتبوّجٌ، والخُروجُ تَنْبَعِجُ، فأَثجَمَ ثلاثًا، مُتَحيّراً هَثْهاثاً، أخلافُهُ حاشِكَةٌ ودُفَعُهُ مُتَواشِكَةٌ وسَوامُهُ مُتَعارِكَةٌ؛

(١) قال الأزهريُ: الاكثر في كلام العرب في جمع مَسيل الماء مَسايل غير مهموز (لأنه من سال يسيل) ومن جَمَعَه أمْسِلةً ومُسْلانًا فهو على توهّم أن الميم في مَسيل أصلية، وأنه على وزن فعيل اه، ويطلق السيل على ماء المطر إذا سال، وعلى المكان الذي يسيل فيه ماء السيل.

(٢) ومرّ بنا وصف المطر لأعرابيّ من بني عامر بن صعصعة في الخبر الرابع مما يدلّ على قدرة بني عامر على وصف السحاب.

(٣) والفاعل محذوف للعلم به وهو السحاب.

ثمّ ودّعَ مُنجِماً ، وأقْلَعَ مُتْهِما ، محمودَ البَلاء ، مُتْرَعَ النَّهاء ، مَشكور النَّعْماء ، بِطَـوْلِ ذي الكِبْرياء .

قال أبو بكرٍ : (القَصْرُ) [١] العَشيُّ ؛ و (الغَفْر) من نُجوم الأَسد [٢] ؛ و (الحَبِيُّ) الدّاني من الأَرض [٣] ؛ و (العارض) المُعترض في الأُفق : و (الوامض) الذي برقُهُ وَميضٌ يقال : وَمَضَ البرقُ وأَوْمَضَ إذا لَمع كالتّبسُّمِ ؛ وقوله : (فكَلاَ وَلاَ ما كانَ) أيْ كقولكَ : لا وَلا ، في السُّرعة [٤] ؛

(١) القَصْر والمقصِر والمقصرة العَشيّ ، يقال : أتيتُه قَصراً كما تقول : جئته عَصْراً أي عشيّاً ، وقَصَّرَ العشيُّ إذا أمسيت قال العجاج :
(حتى إذا ما قَصَّر العَشيُّ)

(٢) وفي الهامش : العقرب بدل (الأسد) ، وفي اللسان (غفر) : الغَفر منزل من منازل القمر ثلاثة انجم صغار ، وهي الميزان .

(٣) الجوهريّ : والحَبيُّ من السحاب الذي يعترض اعتراض الجبل قبل أن يُطبّق السّماء قال امرؤ القيس :

أصاحِ ترى برقاً أريكَ وميضَه كلمع اليدين في الحَبيّ مُكلّلِ

ويقال : سُمّي حَبيّاً لدنوّه من الأرض فعيل بمعنى فاعل كأنه لدنوّه يحبو على الأرض وهو بهذا يشبه تفسير ابن دريد .

(٤) والعرب إذا أرادوا تقليل مدة فعلٍ أو ظهور خفيّ قالوا كان فعله (كَلاَ) في سُرعة اللفظ ، وربما كرّروا (لا) فقالوا : كلا ولا ، وعليه قول الشاعر : (يكون نُزول القوم فيها كلا ولا) .

مُحمّد بن عَبّادٍ (المهلّبيّ) [١] عن ابن الكلبيّ ، عن أبيهِ ، عن أشياخٍ من بَني الحرث بن كَعب قالوا : أجدَبتْ بلاد مَذْحِج ، فأرسَلوا رُوّادًا من كلّ بَطْنٍ رَجُلاً ، فبَعثت بَنو زُبَيْد [٢] رائِدًا ، وبَعثت جُعْفِيٌّ [٣] رائدًا ، وبَعثت النَّخَعُ [٤] رَائدًا ، فلّما رجَع الرُّوّادُ قيلَ لرائد زُبَيد : ما وَراءكَ ؟ قال : رأيتُ أرضاً مُوشِمَةَ البِقاعِ ناتِحَةَ النِّقاعِ مُسْتَحلِسَةَ الغِيطانِ

(١) ما بين الأقواس من اليدنية .

(٢) زُبَيد قبيلة من اليمن ، وزُبيد بطن من مذحج رهط عمرو بن معد يكرب الزُّبيدي .

(٣) وإلى جانبه من الهامش : جُعْفُ ؛ قلت وجاء اسم القبيلة بالوجهين ، وفي اللسان (جعف) : وجُعْفيٌّ من هَمْدان (أبو قبيلة من اليمن) وهو جُعْفيٌّ بن سَعد العشيرة من مذحج ومنهم عُبيد الله بن الحرّ الجُعفيّ قال لبيد :

قبائل جُعْفيِّ بنِ سَعدٍ كأنّما سَقَى جمعَهم ماءَ الزُّعاف مُغيمُ

قال ابن بري : جُعْفيٌّ مثل كُرسيٌّ في لزوم الياء المشدّدة في آخره ، فإذا نسبتَ إليه قدّرت حذف الياء المشدّدة والحاق ياء النسب مكانها ، وقد جمع جمعَ روميٍّ فقيل جُعْفُ قال الشاعر :

جُعْفٌ بنجرانَ تجرُّ القَنا ليس بها جُعْفيٌّ بالمَشْرعِ

(٤) النَّخَع قبيلة من الأزد من ولد سعد العشيرة رهط إبرهيم النّخعيّ الذي كان من أكابر التابعين حفظاً للحديث وصلاحاً وصدقَ رواية .

ضاحكةَ القَرْيانِ واعِدَةً وأَحْرِ بوَفائها ، راضِيةً أرضُها عن سَمائها ؛

وقيلَ لرائدِ جُعْفِيٍّ : ما وَراءكَ ؟ فقالَ :

رأيتُ أرضاً جمعت السّماء أقطارَها فأَتْرَعَتْ أصْبارَها ودَيَّثَتْ أوعارَها ، فبُطْنَانُها غَمِقَةٌ ، وظُهْرانُها غَدِقَةٌ ، ورياضُها مُسْتَوسِقَة ، ورَقَاقُها راتِخٌ وَواطِئها سائِخٌ ، ومَاشِيها مَسْرورٌ ، ومُصْرِمُها مَحْسُورٌ ؛

وقيل النَّخَعِيِّ : ما وَراءكَ ؟ قالَ :

مَداحِي سَيْلٍ ، وزُهَاء لَيْلٍ ، وَغَيْلٌ يُواصِي غَيلاً [(١)] ، قد ارْتَوتْ أَجرازُها ودُمِّثَ عَزازُها والْتَبَدتْ أَقوازُها ، فَرائِدُها أَنِقٌ ، وراعِيها مُسْنِقٌ ، فلا قَضَضَ ولا رَمَضَ ، عَازِبُها لا يَفْزَعُ ، ووارِدُها لا يُنْكَعُ ، فاخْتارُوا مَراد النَّخعِيِّ .

قولَ الأَوّل . ـــ قال أبو بكر قوْلُهُ : (رأيتُ أرضاً موشِمَة البقاع) : (يقال) أوْشَمتِ الأَرضُ ، إذا بَدا فيها النباتُ ؛ و (الناتِحةُ) : الراشِحةُ ؛ (اسْتَخْلَسَتِ الأَرضُ) : إذا

(١) وفي التيدنية : وغَيل مُواصي غَيل ، ولعله الصواب مجاراةً للسجع .

تجلَّلَت بالنبات ؛ و (الغائطُ) : مُطمئِنٌ من الأرضِ ؛ و (القُرْيانُ) : واحدُها قَرِيٌّ ، وهي مَجاري الماء من الغِلظ إلى الرّياض ؛

قولُ الثاني . ـ قال أبو بكر قولُهُ : (رأيتُ أرضاً جَمعتِ السَّماءُ أقطارَها) يُريد أنّ السماء أَلَطَّت [1] علَيها ، وكأنّها جَمَعتْ أكْنافَها ، والسماءُ : المطر ههنا ، يقال : أَصابتنا سماءٌ ، وما زِلنا نَطَأُ السّماءَ حتى جئناكم : أيْ مواقع الغَيث ؛ وقولُه : (أترعَتْ) : أيْ مَلأت ؛ أصْبارَها : أعاليها ؛ وقَوله : (دَيَّثَتْ) : أيْ ليَّنتْ [2] ؛ (أوْعارَها) : غِلَظَها ، و (الغَمِقَةُ) : النَّدِيّةُ ؛ و (البُطْنانُ) : ما غَمُضَ من الأَرضِ ، و (الظُّرْانُ) : ما غَلُظَ ، و (الغَدِقَةُ) : الكثيرةُ

---

(١) وفي الليدنية : أطلّت عليها فكأنّها جمعت أكتافها ، ولكلٍ من التعبيرين وجه ، فإنّ أطلّت أي ارتفعت السماء عليها ، والسماء هنا السحاب ، والتطّ الشيءَ ستَره وأخفاه ، وفي هامش الأصل : ألطّت صحّ ، وهي بخط موهوب .

(٢) دَيَّثَ الطريقَ وَطَّأه ، ومثله : دَيَّثت السماء أوعارها ودَيَّث البعيرَ : ذلّله حتى ذهبت صعوبته ، وفي حديث عليّ : ودُيِّث بالصَّغار : أي ذُلِّلَ ، ومن المجاز : دَيَّث الأمر ليَّنه بعد ما كان صعباً .

النَّباتِ والنَّدَى ، (المُسْتَوسِقَة) هُهنا : المتَّصلُ بعضُها ببَعضٍ ؛ و (الرّقاقُ) : الأَرض التي يَركبها رملٌ يَسيرٌ يَخلطه طينٌ[١] ؛ و (الرّاتِخ)[٢] الطينُ الذي قد أُكثِر ماؤهُ حتى صارَ كالعجينِ اللَّيِّنِ ، يَقول : فمن وَطِئَها ساخَ فيها ؛ و (الماشي) : صاحبُ الماشِية ، و (المُصْرِمُ) هُهنا الذي لا ماشيةَ له[٣] ، مَحْسُورٌ لما يَرَى .

قولُ الثالث . — قوله : (مَداحِي سَيلٍ) : أيْ قد جَرى فيها السيلُ ودَحاها حتى اسْتَوت ولانَ وجْهُها ؛ (زُهاءُ لَيلٍ) : أيْ كأنها ليلٌ من شِدّة خضْرتها ، والزُّهاءُ الشَّخصُ ، و (الغَيْلُ) : الماءُ الجاري في بُطون الأوديةِ يَتخلّلُ الحجارةَ[٤] ؛ (يُواصي) :

(١) وفي الهامش : الطّين ، والرَّقاق بالفتح (ل / رقق) : الأرض السهلة المنبسطة اللينة التراب تحت صَلابة ؛ وقال الأصمعيّ : الرَّقاق الأرض اللينة من غير رمل وأنشد :

كأنها بينَ الرَّقاقِ والخَمَرْ إذا تَبارينَ شآبيبُ مَطَرْ

(٢) الرَّتوخ اللّصوق ، ورَتَخَ العجينُ رَتْخاً إذا رَقَّ فلم يَتخمّر ، وكذلك الطينُ فهو راتخ زَلِقٌ ، ل (رتخ) .

(٣) وقد سبق لنا في الخبر السادس تفسير الماشي والمصرم .

(٤) وفي الهامش : هذا قول الأصمعي ، وقال أبو عبيدة : الغلل الماء بين الشجر .

يُواصل ؛ (والأجْرازُ) : الأَرَضونَ التي لم يُصبها مَطَرٌ ؛ (دُمِّثَ عَزازُها) أيْ لُيِّنَ : صار دَمِثاً ، والدّمث الأرض السهلة ، والعَزاز : الأَرض الصلبة الغليظة [1] ، و (التَّبددتْ) دَخلَ بعضُها في بَعضٍ ؛ و (الأَقْواز) : واحدها قَوْزٌ [2] ، وهي رمالٌ تستدير وتَنعطِف نحو الأَحقاف ؛ (رائدُها أَنِقٌ) ، الأَنِق : المعجَب بها ؛ و (راعيها مُسْنِقٌ) ، تقول : تَسْنَقُ ماشيتُه أيْ تَبْشَمُ من كثرةِ المَرْعَى ؛

وقوله : (فلا قَضَضَ ولا رَمَضَ) ، يقول : الأَرض قد

---

(١) وقال ابن شميل : العَزاز ما غلظ من الأرض وأسرعَ سيلُ مطره ، وقال أبو عمرو في مسايل الوادي أبعدُها سيلًا : الرُّحبة ثم الشُّعبة ثم التَّلعة ثم المِذْنَب ثم العَزازة .

(٢) وفي الهامش : وجمعُ القَوز أقواز وقِيزان قال الراجز : (لما رأى الطير وقيزانَ الغَضا) وفي المخصّص (١٠/١٣٦) : والقَوز نقًا مُستدير ، ابن دريد : جمعه أقواز وأقاوز وقيزانٌ وأنشد :

وُمخلِّشات بالنَّجيَين كأنّما أعجازُهنّ أقاوِزُ الكُثْبانِ

أبو حنيفة : القَوْزُ يَنعطف من الرّمل فيكون مثل الهلال ، وهو يُنبت نباتاً كثيرًا .

أَبَسها النبتُ فليسَ فيها قَضَضٌ ، والقَضَضُ : الحصَى الصِّغار [1] ، والرَّمَضُ : أن تَحْمَى الأَرضُ من الشمسِ ، يقول : فليس هناكَ رَمَضٌ لأنَّ الأَرض مُجلَّلَةٌ بالنَّبت ، فلا يُرمَضُ واطِئُها ، وقولُه : (عازِبُها لا يفزعُ) : أي من عَزَبَ فيها ، وبَعُد من النَّاس لم يَخفْ ، (وَمن رَعاها لم يُنكَعْ) [2] : أيْ لم يمنَع : لأنَّه غير مَحظورٍ عليه لكثرتهِ [3] .

بلغت قراءته عليّ أيّده الله

١٣ ـ أَخْبَرَني عَمِّي عن أَبيهِ عن ابن الكَلبيِّ قالَ : خَطَبَ ابْنَةَ الخُسِّ الإِيَادِيَّةَ [4] ثلاثةَ نَفَرٍ من قَومِها ،

---

(١) ومثله قولُ الأَعرابيِّ قيل له : (كيف رأيتَ المطرَ قال : لو أَلقيتَ بَضعَةً ما قَضَّتْ : أيْ لم تَترِبْ من كثرة العشب ولم تقعْ على القَضَض ، وهو الحصى .

(٢) وفي ل (نكع) ونكَعَهُ حقَّه حبسه عنه ونَكَعهُ الوِرْدَ منعه إياه وأنشد سيبويه (١/٤٣٦) :

بني ثُعَلٍ لا تنكَعُوا العنزَ شِرْبَها بني ثعلٍ من ينكَعِ العنزَ ظالمُ

أنشده لرجل من بني أسد شاهداً على حذف الفاء من الجواب ضرورة .

(٣) وليس في اليدنية (لكثرته) .

(٤) هي هند أو جمعة الإيادية من شهيرات نساء العرب بالفصاحة .

فارْتَضَت أنسابَهم وجمالَهم ، وأرادتْ أن تَسبُرَ عقولَهم ، فقالت لهم : إنّي أريدُ أن تَرْتادُوا لي مَرعىً ، فلَمّا أتوْها قالت لأحدِهم : ما رأيتَ ؟ قالَ : رأيتُ بَقلاً وبُقيْلاً ، ومَاءٍ غَدَقًا سَيْلا [1] يَحسَبه الجاهلُ لَيلاً ؛ قالتْ : أمْرَعتَ ؛ وقال الآخر :

رأيتُ دِيمةً بعدَ دِيمةٍ ، على عِهَادٍ غيرِ قَديمةٍ ، فالنّابُ تَشْبَعُ قبلَ الفَطيمة [2] ؛ وقال الثّالث :

رأيتُ غَيْثًا ثَغْدًا مَعْدًا ، مُتَراكِبًا جَعْداً ، كأفخاذِ نِساء بني سَعدٍ تَشبَعُ منه النّابُ ، وهيَ تَعْدو .

تفسيرُ قول الأول . ــ قال أبو بكر قوله : (بَقلاً وبُقَيلاً) ، يقول : بَقلٌ قد طالَ وتحتَه غُميرٌ قد نَشَأَ [3] ؛ و (ماءٍ

---

(١) ورواية اللسان (سيل) وماءً غللًا سيلا .

(٢) وسيمر بنا هذا القول في المطر مستدلًا في الخبر العشرين من هذا الكتاب .

(٣) وشرحه اللسان فقال : منه ما أدْرَكَ فكبِرَ وطالَ ، ومنه ما لم يُدرك فهو صغير .

غدَقاً سَيْلا) : أيْ كثيراً ؛ (يحسَبه الجاهلُ ليلاً) : من كثافتهِ وشِدة خُضرتهِ .

قَول الآخر . ــ قال أبو بكر : (دِيمة بعدَ دِيمة) : على إِثْرِ ديمَة ، الدِّيمة : المَطرُ يدوم أياماً في سُكونٍ ولِين ، (والعِهادُ) : أوّلُ ما يُصيب الأرضَ من المطَرِ ؛ (تشبعُ منه النّابُ قبلَ الفَطيمةِ) : يُريدُ أنَّ العُشبَ قدِ اكْتَهَلَ وتَمّ ، فالنّابُ ، وهي المُسِنّةُ من الإبلِ تَشبع قبل الصّغيرة ، لأنّها تَنال [1] الكَلأَ ، وهي قائمة لا تطلُبُهُ ، ولا تَبْرح من مَوْقفها ، والفَطيمةَ تَتَبعُ ما صَغُر من النبتِ .

قولُ الثالث . ــ قال أبو بكر : (الثَّعْدُ) : الغَضُّ ، و (المَعْدُ) إتباعٌ ؛ و (الثَّرَى الجَعْدَ) : الذي قد كثُر نَداهُ ، فإذا ضَمَمْتَه بيَدكَ اجتمعَ ودَخلَ بعضُهُ في بعضٍ كالشّعَر الجَعْدِ ؛ وقوله : (كأفخاذِ نِساء بني سَعدٍ) : أرادَ في غِلَظِ الأفخاذ ، وخَصّ نساء بني سعدٍ لأنَّ الأَدْمَةَ فيهم

(١) وفي الميدنية : تناوَل الكلأ .

كثيرةٌ ؛ وقولهُ : (تَشبَعُ النّابُ وهي تعدو) : هذا نحو كلامهم الأوّلِ يقول : النَّبتُ قد ارتفعَ وطالَ ، فالنّابُ : أي المسِنَّةُ من الإبلِ تعدو وتأكلُ لا تطأطِئ رأسَها .

١٤ ــ أخبرنا أبو حاتم عن أبي عُبيدة [١] قال : خرجَ النُّعمانُ في بَعض أيامهِ في عَقِبِ مَطَرٍ [٢] ، فلقِيَ أعرابيًّا على ناقةٍ لهُ ، فأَمَرَ فأُتِيَ بهِ ، فقالَ : كيف تَركتَ الأرضَ وراءكَ ؟ فقالَ : فيحٌ رحابٌ ، منها السُّهولُ [٣] ومنها الصّعابُ ، مَنْشوطَةٌ [٤] بجبالِهَا ، حاملةٌ لأثقالِها ، قال : إنّما أسألكَ عن السّماء ، قالَ : مُظِلَّةٌ مُستَقِلَّةٌ على غير سِقابٍ ولا أطْناب ، يختلفُ

---

(١) وسند هذا الخبر في ديوان المعاني (٨/٢) : أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة .

(٢) وفي الهامش : عقِب سماء ، وفي الليدنية كذلك ، ورواية ديوان المعاني مثل روايتنا بنزع الخافض ، والسماء والمطر هنا واحد .

(٣) في ديوان المعاني : السهولة .

(٤) في ديوان المعاني : منوطة بجبالها ، ولهذه الرواية وجه ، وروايتنا (منشوطة) بمعنى مُثَبَّتة ومثقلة بأوتاد الجبال ، وفي الحديث : كانت الأرض تميد فوق الماء فنشطها الله بالجبال فصارت لها أوتاداً ، وفي الحديث أيضاً : كانت الأرض هيفًا على الماء فنشطها الله بالجبال أي أثبتها وثقلها .

عَصْراها ، ويَتعاقَبُ سِراجاها ؛ قال : ليس عن هذا أسألك ، قال : فَسَلْ عَمّا بدا لك ، قالَ : هل صَابَ [1] الأَرضَ غَيْثٌ يُوصَف ؟ قال : نعمْ ، أَغْمَطَتِ السّماءُ في أرْضنا ثلاثاً رَهْوًا [2] فثَرَّتْ ، وأَرْزَغَتْ ورسّغَتْ ، ثمّ خَرجتُ من أرضِ قومي أَقْرُوهَا مُتَواصِيَةً لاخَطيطَةَ بينها حَتّى هَبَطْتُ تِعْشَارَ [3] . فتَداعَى السحابُ من الأَقطار ، فجاء السَّيلُ [4] الجَرّار ، فَعَفَّى [5] الآثارَ ، ومَلأَ الجِفارَ ، وقَوَّبَ عَاديَّ الأَشجار ، فأَجْحَرَ الحُضَّار ، ومَنَع السُّفَّار ، ثمّ أَقلَعَ عن نَفْعٍ وإضْرار ، فلَمّا اتلأَبّتْ ليَ القِيعانُ [6] ، ووَضَحت السُّبُل في الغِيطان ، تَطَلَّعتْ رِقابُ العَنانِ من أقطارِ

(١) وفي الديوان : هل أصاب الأرض غيث ، و (صاب) هو الصواب .

(٢) في الأصل (زَهْواً) ولها وجه لقول الأصمعي : يقال لكل ساكن لا يتحرك : ساجٍ وراهٍ وزاهٍ .

(٣) موضع بالدهناء ، أو ماء لبني ضَبّة قال ابن الطريف :

الا لا أرى وصلَ المُسِفّة راجعاً ... ولا لياليِنا بتعشارَ مطلبا

(٤) وفي الميدنية : فجاء بالسيل الجرّارَ .

(٥) وفي ديوان المعاني : فعفا الآثار .

(٦) وفي ديوان المعاني : (فلمّا اتلأبّت في الغيطان ووضحت السبل في القيعان) ورواية (اتلأبت لي) أصح وأوضح ، فانّ (اتلأبّ) بمعنى انتصب وارتفع : أي فلما ارتفعت وظهرت لي القيعان بعد انحسار السيل الجرّار .

الأَعْنانِ، فلم أجِدْ وَزَرًا إلا الغِيرَان ، فقاءتْ جَارُ الضَّبُعِ [١] فغادَرتِ السُّهولَ كالبحَارِ تَتَلاَطَمُ بالتَّيار ، والحُزُونَ مُتَلَفِّعَةً بالغُثاء ، والوُحُوشَ مَقذُوفَةً على الأَرجاء ، فما زلتُ أطَأُ السَّماء ، وأخوضُ الماء ، حتَّى طلَعتُ أرضَكم .

قال أبو بكر : (رِحابٌ فيحٌ) : واسِعة ؛ (الصَّعابُ) : الحزونُ والغِلَظُ ؛ (مَنْشوطة) [٢] : مُثْبَتَةٌ لا تَزُول ؛ (حامِلَةٌ لِأَثقَالِها) : لِمَن عليها من الناسِ وغيرهم ؛ (مُطِلَّةٌ) : أيْ مُرْتفعة ، وكذا مُستَقِلَّة ؛

وقوله : (بغير سِقابٍ ولا أطْنابٍ) : فالسِّقابُ : أعمِدةُ الخِباء ، والأطْنابُ : الحِبالُ المَشدودةُ إلى الأَوْتادِ ، هذا مَثَل ؛

وقَوله : (يختلفُ عَصراها) : الليل والنهار ، و(سِراجاها)

---

(١) وفي ديوان المعاني (فقات وجار الضب) والرواية الدريدية هي الصحيحة . وتفسير ابن دريد يؤيد ذلك ، ويؤيده ابن الأعرابي بقوله : يقال للمطر الذي لا يدع شيئاً إلا أساله وجَرَّه : جاءنا جارُ الضبع ، ولا يجرّ الضبُع إلا سيل غالب ، على أن السيل الجرّار يجرّ الضّباع والضبابَ والأوبار .

(٢) وكتب الناسخ تحتها : منوطة .

الشمس والقمر ؛ (وأغمَطتِ السّماء) : أي دامَ مَطرُها ؛ وقوله : (رَهْوًا) أي ساكنًا ؛ وقوله : (فَثَرّتْ) : أيْ تركت الأرضَ ثَرِيّةً ؛ وقوله (أرْزَغَتْ) : أيْ تَركت في الارضِ رَزَغَةً ، والرّزَغَةُ والرّدَغَةُ واحدٌ ، وهو الطينُ الذي لا يَغَطّي القَدمَ ؛ وقوله : (ثمّ رَسّغَتْ) ، يقول : بَلغ الماء الرُّسْغَ ؛ قوله : (أطأَ السّماء) : أي آثار السّماء من المطرِ ؛ (مُتواصِيةً) : مُتّصلةً بَعضُها ببَعضٍ ؛

و (الخَطيطةُ) : أرضٌ لم يُصبها مَطرٌ ، بين أرضينِ مَطورتين و (تِعْشار) : موضع ؛ (تَداعَى السّحابُ) : أيْ أقبَلَ [يدعو بعضُها بعضاً] ؛ و (الأَقْطارُ) : النّواحي ؛ (فَعَفّى الآثار) : أي طَمَسَ الطُّرقَ ؛ (وقوّبَ عادِيّ الأشجار) : أيْ قَلَعَها من أُصولِها ؛ (أجحَرَ الُحضّار) : أيْ ألزمهم بُيوتَهُم ، ومنعَ المسافِرين عن الحركة ؛ (وأقْلعَ عن نَفْعٍ وإضْرار) : يقول : نَفَعت عواقِبُهُ ولو ضَرّ[1] لِكثرته ؛ (إتلأَبّت القِيعانُ) : أيْ وَضحت ؛ (ووَضحتِ الغيطان) : أيْ استَبانَت الطُّرقُ ؛

---

(١) في الأصل : (وضَرّ) ، والتصحيح من الهامش ، ولو ضَرّ لكثرته .

(العَنانُ) : السَّماء[١] ، الواحدة عَنانةٌ ، و (الأَعْنــانَ) : نَواحي السَّماء ، واحدها عَنَنٌ وعَنٌ ، قال الأصمعيُّ : لاأعرفُ لها واحداً .

وقوله : (فلم أجِدْ وَزَرًا) : أيْ مَلْجأً ؛ و (الغيران) : واحدها غارٌ ، وهو الكهف في الجبل ؛ (فقاءتْ جارٌ الضَّبُع) : قاءت من القَيْءِ ، وهٰذا غاية ما يُوصَف به المطر من[٢] الكَثْرةِ ، والمَعنى أنَّه يَجُرُّ الضَّبعَ من وِجارها ؛ غَادرت: تركت السّهول كالبحار ، يقول : كَثُرَ الماءُ فلمْ يَسُخْ في السهول لكثرته ، وسَرب السَّهل من الماء أكثر من الحَزْنِ ؛ فاذا بَقِيَ الماء عَلى السَّهلِ فهو الغايةُ ؛ و (التَّيارُ) : المَوْجُ ؛ و (الحُزُونُ مُتَلَفِّعَةٌ بالغُثاء) : الحُزونُ : الغِلَظُ من الأرض ، فاذَا حملَ السَّيلُ الغُثاء فصار على الحُزُون نَضَبَ الماء من تحتِهِ فبقيَ في موضعه ، والوُحُوشُ مَقْذوفةٌ على الأَرْجاء ، يقول: قد غَرِقتِ الوحوشُ فهي مَطروحة على أَرْجاء الأَرض أيْ نواحيها .

(١) وفي الليدنية : السّحاب .
(٢) وفي الليدنية : في الكثرة .

وقولهُ : (فما زِلتُ أطأُ السّماء) : أيْ أطأُ المطرَ ، والعَرَبُ تسمّي آثارَ المطرِ في الأرضِ السّماء [١] .

١٥ ــ أخبَرَنا أبو حاتمٍ عن أبي عبَيدةَ قالَ :

وقف أعرابيٌّ على قَوْمٍ من الحاجِّ فقالَ : يا قوم ، بَدْوُ شَاني [٢] ، والذي ألْفَجَني إلى مَسألتكم ، أنَّ الغَيْثَ كان قد قَوِيَ عنّا ، ثمّ تكَرْفأ السّحابُ ، وشَصأَ الرّبابُ ، فادْلهَمَّ سَيِّقُهُ ، وارْتجَسَ رَيِّقُهُ ، وقلنا : هذا عامٌ باكِرُ الوَسْمِيِّ ، محمُودُ الشّمِيِّ ؛ ثمّ هَبّتْ له الشّمالُ ، فاحزَألّتْ طَخاريرُهُ ، وتقَزّعَ كِرْفِئُهُ مُتَياسِرًا ، ثمّ تَتابَعَ [٣] لَمعانُ البَرْقِ حَيْثُ تَشِيمُهُ الأَبْصارُ وتَحُدُّهُ النُظّارُ ؛ ومَرَتِ الجنوبُ ماءهُ ، فَقَوّضَ الحيُّ مُزْلَئِمّينَ نَحْوَهُ ، فَسَرَحْنا المالَ فيه ، وكان وَخِمًا [٤] ، فَأَسافَ المالَ ، وأَضفَّ الحالَ ، فرحِمَ اللهُ امرءًا جادَ بِمَيْرٍ ، أوْ دَلَّ عَلَى خيرٍ [٥] .

---

(١) على سبيل المجاز المرسل من إطلاق السبب وإرادة المسبَّب .

(٢) وفي الميدنية : بَدْءُ شأني ، ومعنى الأصل : ظهور شأني من بَدا يبدو بَدْواً .

(٣) وفي الميدنية : تَتَبّعَ .

(٤) وفي الميدنية : وخماً وخيماً .

(٥) أو دلّ على الخير في الميدنية .

(*) تفسيره ــ . قوله : أَلْفَجَني ، أي اضطرَّني ، قال أبوزيد : أَلْفَجَني إلى ذلك الاضطرارُ إلفاجاً .

وقوله : (الغَيْث قَوِيَ عَنَّا) : أيْ احتَبَسَ عَنَّا ، قال أبوعمرو الشَّيْباني : وقد قَوِيَ المطر يَقْوَى إذا احتبس .

وقوله : (شَصَا الرَّبابُ) ارتفع .

وقولِه : (فادلهمَّ سَيِّقُهُ) ، ادلهمَّ أظلم ، والسَّيِّقُ من السحابِ مَا طَرَدَتْهُ الرِّيحُ ، و (ارتجَسَ رَيِّقُهُ) : رَيِّق المطر أوَّل شُؤبوبِهِ ، وارتجَسَ سمعتَ لهُ رِجسًا ، وهو صَوْتُه بِهدَّةٍ شديدة .

و (السُّمِيّ) جمع السَّماء أي السَّحاب ، وتجمع على أسْمِيَة وسَمٰوات .

و (احزَأَلَّتْ طَخارِيرُه) : أي انتصبت سَحائبُه الرِّقاق جمع طُخرور وطُخرورة ، وهي سحابة رقيقة مُستَدِقَّة .

و (تَقَزَّع كِرْفِئُهُ) أي تَفرّق مُتَراكِمَه ، وفي الصّحاح : الكِرْفِئُ السَّحاب المرتفعُ الذي بعضُهُ فوق بعْض ، والقَزَعُ في الأصل : كلّ شيء يكون قِطَعًا متفرِّقة ، ومنهُ قيلَ لِقِطعِ السَّحابِ قَزَعٌ .

(*) هذا التفسير للناشر ، وفي هذا الكتاب عدة أخبار خلت من تفسير أبي بكر ابن دريد ومن قوله في أولها : (قال أبو بكر) وقد فسّرناها وجعلنا أول تفسيرنا : (تفسيره) كذا وكذا .

وقولُه : (مُزْلئِمِّينَ نحوه) ، المُزْلَئِمُّ الذاهِبُ مُسْرِعًا ، أو المُرْتَفِعُ في سيرِه ، ومَرَّ بنـا (ازْلأَمَّتْ صُدُورُه) أي ارْتَفَعَتْ وانتَصَبَتْ .

قولُهُ : (فَأَسَافَ المالَ) ، قال ابنُ السِّكِّيت : أَسَافَ الرَّجُلُ إذا هَلَكَ مَالُهُ ، ويُقالُ : أسافَ اللهُ مَالَهُ (وإبلَهُ) أي أهلكَهُ ورماهُ اللهُ بالسُّوَافِ : وهو الموت في المال والنّاس أيضًا .

و (أضفَّ الحالَ) : أي ضَيَّقَها ، قال أبُو زَيْد : الضَّفَفُ الضِّيقُ والشِّدَّةُ .

١٦ ــ أخبَرَنا أبُو حاتم عن أبي عُبَيدةَ [1] قال : قلتُ لأعرابيّ : ما أَسَحُّ الغيثِ ؟ فقالَ : مَا أَلْقَحَتْهُ الجنوبُ ومَرَتْهُ الصَّبَا ، ونَتَجَتْهُ الشَّمالُ ؛ ثمَّ قالَ : أَهلَكَ واللَّيْلَ [2] ، ما يُرَى إلاَّ أَنَّهُ قد أخذَهُ المَطَرُ .

١٧ ــ أخبَرَنا أبُو حاتمٍ عن العُتْبِيِّ [3] قال : حدَّثَني أبي قالَ :

---

(١) جاء هذا الخبر في الأزمنة (٢/١٣٤) عن أبي عبيدة أيضاً .

(٢) كما جاء في الهامش ، وفي الأزمنة وفي الأصل : أصابتنـا .

(٣) وجاء هذا الخبر في الأزمنة (٢/١٣٣) عن غير ابن الأعرابيّ باختلاف قليل .

خَرَجَ الحَجّاجُ إلى ظَهْرِنا هذا ، فَلَقِيَ أعراباً قد انْحَدَرُوا لِلْمِيرَةِ فقالَ : كَيفَ تَرَكْتُم السَّماءَ وراءَكُمْ ؟ فقال مُتَكَلِّمُهُمْ :

أصابتنا سَماءٌ بالمِثْلِ [١] مثلِ القَوائِمِ حَيثُ انْقَطَعَ الرِّمْثُ [٢] بضرب فيه تَقْتِيرٌ ، وهو على ذلك يُعَضِّدُ وَيُرَسِّغُ [٣] ؛ ثم أصابَتنا سَماءٌ أُمَيْثِلُ [٤] منها تُسِيلُ الدِّمَاثَ [٥] والتَّلْعَةَ الزَّهِيدَةَ ، فلما

(١) وكذا في التيدنية ، وفي الأزمنة ، وقوله (بالمثل) يريد بالتشبيه ، أي بلغ نزول الماء في التراب بطول القوائم .

(٢) الرِّمْثُ (Haloxylon Schveinfurthü) نبات برّي من الحمض في بادية الشام ينسب الى الفصيلة السّرمقيّة ، وهو قريب من جنس الحَرَض الذي تستخرج منه الصودة (معجم الألفاظ الزراعية) .

(قلت) وهذا القول صحيح فهو يشبه الحرض وهو من الحمض الذي تحبّه الإبل ، ولا يزال عرب بادية الشام يسمونه الرّمث ، وقد رأيته وعرفته أيام فِراري من جور الترك ببادية الشام .

(٣) وقوله (يُعَضّد) يُقال : أعْضَدَ المطرُ وعَضّد : بلغَ ثَراه العَضُدَ ، أي غاصَ ماؤه في التراب فبلغ طول العَضُدِ ، وكذا يقال : أرْسغَ المطرُ ورَسَّغَ : أي بلغ ماؤه قدرَ الرُّسغ في التربة ولا يزال أعرابنا اليوم في بواديهم يستعملون مثل هذا التعبير في تقدير عمق الثرى في التربة الزراعيّة .

(٤) وفي الأزمنة : (أمثل منها) أي أفضل ، وفي نسختنا (أُمَيثل منها) بالتصغير أي أمثلُ منها قليلاً ، و (الدّهاث) في الأزمنة : (الدماث) .

(٥) الدّماثُ والأدماثُ جمع دَمْثٍ ، وهي السّهول من الأرض التي لا يَسيل ماؤها بسُرعةٍ لأنه يمكث فيها لاستوائها فتمتصه ، والمطر النهر يَسيل ماؤه لشدّته فيها ؛ وقد جاءت (الدّماث) في التيدنية وفي نسختنا (الدهاث) مصحّفة ، لأن الدّهث بالمثلثة معناه الدفع في القاموس واللسان .

كنّا حِذاءَ الحَفَر أصابَنا (١) ضِرْسٌ جَوْدٌ مَلأَ الإخاذَ (٢) ، فأقبلَ الحجّاجُ على زيادِ بن عمرو العَتَكيّ (٣) فقال : ما يَقولُ هذا الأعرابيُّ ؟ فقال : وما أنا وما يقول ؟ إنّما أنا صاحبُ رُمحٍ وسيفٍ فقال : بل أنتَ صاحبُ مِجْذاف (٤) وقَلْسٍ ، اسْبَحْ ، فجعل يَفْحَصُ الثَّرَى ، ويقولُ : لقد رأيتُني ، وإنّ المُصْعَبَ (٥) ليُعْطِيني مائةَ ألفٍ ، وهاأناذا أَسْبَحُ بينَ يَدَي الحجّاج !

(يتبع) عز الدين التنوخي

(١) وفي الأصل والأزمنة : أصابتنا ، وفي الهامش : أصابنا ، وهو الصّواب .

(٢) وهي المصانع جمعُ إخْذ .

(٣) نسبة إلى العَتيك وهم من أسْد عُمان الذين منهم المهلّب بن أبي صُفرة ، ونُعام بن الحارث كانَ من فرسان عُمان في آخر الجاهلية وأوّل الإسلام ، وهو أوّل رجل أغار على الفرس بعُمان ، ومنهم زياد بن عمرو العَتَكيّ الذي رأسَ الأسْدَ بعد مقتل مَسعود بن عمرو المعني . وكان الحجاج ولّى زياداً هذا شُرطهُ ، ثم ولاّه الاهواز . (الاشتقاق لابن دريد) . وفرسان عمان اليوم يقارعون الاستعمار بزعامة إمامها البطل الغالب بن علي حمد الله بلاءه وخذل أعداءه ، وضمّ نجم عمان إلى لواء قومه العرب قريباً !

(٤) وفي الميدنية : بالدال المهملة ، واللفظان صحيحان ، و (القَلْس) حبل السفينة الغليظ .

(٥) هو المصعب بن الزبير بن العوام (٢٦ – ٧١ هـ) شقيق عبد الله ابن الزبير أحد الولاة الابطال في صدر الإسلام .

سؤال في يزيد بن معاوية

لشيخ الإسلام ابن تيمية

تمهيد

١

كان الخليفة الأموي الثاني يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، أحد الذين تركوا في التاريخ الإسلامي آثاراً عميقة . فالحوادث المؤلمة التي قدّر أن تجري في أيامه ، على أيدي قواده ، رافقها طعن شديد عليه لدى فئة من الفئات الإسلامية ، فدفعت طائفة ثانية الى التعصب له وتعظيمه تعظيماً بلغ الغلوّ . وما زالت الفئتان مختلفتين ، واتخذ أهل السنّة طريقاً وسطاً ، فذكروا محامد الرجل ولم يغفلوا عن مساوئه ، لكنهم لم يُغالوا في الحق ولا في الباطل .

وكانت الأسئلة عن يزيد تتردّد في القرن الثامن الهجري أيضاً . فوُجّه الى شيخ الإسلام ابن تيمية سؤال سألوا فيه : هل كان يزيد يُعدّ في الصحابة ، وما حكم من يعتقد أنه كان صحابياً أو نبياً . فأجاب ابن تيمية جواباً مستفيضاً شافياً ، عرض فيه حوادث التاريخ الإسلامي من وفاة الرسول ، صلوات الله عليه ، إلى أن تولّى يزيد الخلافة .

عثرنا على جواب شيخ الإسلام هذا في مكتبة جامعة برنستن بالولايات المتحدة (مجموعة يهودا) ضمن مجموع مخطوط ، كان من قبل في دمشق ، وملكه العالم الدمشقي الشيخ عبد السلام الشطي المتوفى سنة ١٢٩٥ هـ . فرأينا نشره لأنه

يتعلق بخليفة أمويّ دمشقي ، ولأنه ينير جوانب من التاريخ الإسلامي في إحاطة شاملة ، وعرض واضح هادئ .

لم يذكر ابن قيّم الجوزية هذه الرسالة في مؤلفات ابن تيمية ، بل ذكر له رسالة ثانية اسمها (رسالة في أمر يزيد هل يُسَبّ أم لا ؟) [1] . وما ندري هل كانت الرسالتان شيئاً واحداً ، فأثبت ابن قيم الجوزية الاسم مختلفاً عما هو في رسالتنا .

ولم نجد في مختصر الفتاوى المصرية [2] اقتباساً ما من رسالتنا هذه . مما يدلّ على أنها لم تنشر وتعرف من قبل . وكم لشيخ الإسلام من رسائل ما تزال مدفونة لم يكشف عنها ولم تنشر .

ويظهر مما ورد في آخر الرسالة أنها قوبلت على الأصل الذي نقلت منه . وهذا مما يدعو الى الاطمئنان الى النص .

وها هي ذي الرسالة :

***

(١) انظر : مؤلفات ابن تيمية (تحقيقنا) ، رقم ٥١ .

(٢) انظر : البعلي ، مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية . بإشراف عبد المجيد سليم وتصحيح الشيخ محمد حامد الفقي (القاهرة ، ١٩٤٩) .

سؤال في يزيد بن معاوية

لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم
بن عبد السلام
رحمه الله

في نوبة أحقر الورى
عبد السلام ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمان
الشطي الحنبلي عفى عنه
سنة ١٢٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين

سئل شيخ الإسلام الإمام العلاّمة تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رضي الله عنه :

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين في يزيد بن معاوية هل كان صحابياً ؟ وما حكمُ مَنْ يعتقدُ أنه [كان] صحابياً أو أنه كان نبياً ؟ وهل في الصحابة مَنْ اسمه يزيد ؟

فأجاب رضي الله عنه فقال :

الحمدُ لله رب العالمين

يزيدُ بن معاوية بن أبي سُفيان الذي تولّى على المسلمين بعد أبيه معاوية ابن أبي سفيان لم يكن من الصحابة ، ولكن عمه يزيد بن أبي سفيان من الصحابة . فإنّ أبا سفيان بن حرب كان له عدّة أولاد : منهم يزيد بن أبي سفيان ، ومنهم معاوية بن أبي سفيان[1] ، ومنهم أمُّ حبيبة أم المؤمنين[2] ، تزوّجها رسولُ الله ﷺ ، وكانت قد آمنت قبل أبيها وأخويها ، وهاجرتْ مع زوجها الى الحبشة ، ثم تخلّتْ من زوجها[3] ، فخطبها النبيُّ ﷺ وزَوّجُها[4] (كذا) ابنُ عمها خالدُ بن سعيد . وأصدقَ النجاشيُّ صداقَها عن النبي ﷺ .

(١) توفي معاوية سنة ٦٠ هـ .

(٢) توفيت سنة ٤٤ هـ . واسمها رملة (الاستيعاب . ط البجاوي ، ٤ ـ ١٨٤٥) .

(٣) افتتن زوجها عُبيد الله بن جحش الأسدي وتنصّر بالحبشة ، ومات نصرانياً وأبت أم حبيبة أن تتنصر (الاستيعاب ٤ ـ ١٨٤٤) .

(٤) لعل الصحيح زوجه إياها . وفي الاستيعاب « وعقد عليها خالد بن سعيد بن العاص » فهو الذي تولى العقد على قول .

وزوجة أبي سُفيان هندُ بنت عتبة بن ربيعة .

فلما كان عامُ فتحِ مكة أسلم أبو سفيان وامرأته وأولاده ،

وأسلم سائرُ رؤساء قريش مثل سُهَيل بن عمرو [١] ،

والحارث بن هشام أخي أبي جهل بن هشام [٢] ،

وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب [٣] (١ ب) وهو ابن عمّ النبيّ ﷺ ، وغير هؤلاء . .

وأسلم أيضاً عِكرِمةُ بن أبي جهل [٤] ، وصفوان بن أمية ، وغيرُهما .

وهؤلاء كانوا ساداتِ قريش وأكابرَهم بعد الذين قُتلوا منهم ببدْر [٥] ، وكانوا قبل ذلك كُفّاراً مُحاربين لله ورسوله ، قد قاتلوه يوم أُحُد ويوم الأحزاب ، ثم لما فتح النبيُّ ﷺ مكة مَنّ عليهم وأطلقهم فسُمّوا الطلقاء [٦] .

---

(١) سهيل بن عمرو بن عبد شمس . أحد أشراف قريش وساداتهم في الجاهلية . توفي يوم اليرموك أو بعدُ في طاعون عمواس (الاستيعاب ٢ : ٦٧٢ . ط. البجاوي) .

(٢) الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي . من كبار قريش . مات سنة ثمان عشرة في طاعون عمواس (الاستيعاب ١ : ٣٠١) .

(٣) أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب القرشي . أخو رسول الله من الرضاع . كان من الشعراء المطبوعين ، وكان هجا الرسول . ثم حسن اسلامه . توفي سنة خمس عشرة أو سنة عشرين (الاستيعاب ٤ : ١٦٧٣) .

(٤) عكرمة بن أبي جهل ، من فرسان قريش . وفي الاستيعاب أنه أسلم بعد الفتح سنة ثمان . قُتل في فتوح الشام : يوم اليرموك ، أو يوم أجنادين أو يوم مرج الصفّر وكان سنة ثلاث عشرة (الاستيعاب ٣ : ١٠٨٢) .

(٥) صفوان بن أمية بن خلف الجُمَحي . من سادات قريش . وفي الاستيعاب أنه هرب يوم الفتح ، وكان اسلامه بعد ذلك . مات بمكة سنة اثنتين وأربعين (الاستيعاب ٢ : ٧١٨) .

(٦) يتبيّن من رواية الاستيعاب أن عكرمة وصفوان أسلما بعد يوم الفتح .

وكان قد أخذ بعضادتي الباب فقال : ماذا أنتم قائلون ؟

قالوا : نقولُ : أخٌ كريم وابنُ عم كريم ،

قال : إني قائل لكم ما قال يوسف لإخوته : ﴿ لا تَثريبَ عليكمُ اليومَ يغفرُ اللهُ لكم ، وهو أرحمُ الراحمين ﴾ [١] .

وكان إسلامُ أبي سفيان قبل دخول النبيِّ ﷺ مكة بمرّ الظهران [٢] .

وهرب منه عِكرمة [٣] ثم رجع فأسلم . وصفوانُ وغيره شهدوا حُنيناً وهم كُفّار ، ثم أسلموا بعد ذلك .

وعامةُ هؤلاء الذين أسلموا عام الفتح حَسُنَ إسلامُهم ، مثل سُهَيل بن عمرو ، ومثلُ عِكرِمة بن أبي جَهل ، ومثل يزيد بن أبي سُفيان ، ومثل الحارث بن هشام ، ومثل أبي سفيان بن الحارث . فإنّ هؤلاء صاروا من خيار المسلمين .

فلما توفي رسولُ الله ﷺ واستُخلِفَ أبو بكر وقام بجهاد المرتدّين والكافرين أمّر الأمراء لقتال النصارى (٢ آ) بالشام وفتحِ الشام . فكان ممن أمّره يزيدُ بن أبي سفيان أخو معاوية وعمُّ يزيد الذي تولّى الملك . وأمّر خالدَ بن الوليد [٤] ، وأمّر عمرَو بن العاص [٥] ، وأمّر شُرَحبيل بن حَسَنَة [٦] ، وهؤلاء كلهم من الصحابة .

---

(١) سورة يوسف ، ٩٢ ، الآية ١٢ .

(٢) الذي في الاستيعاب (٤ : ١٦٧٨) والاصابة (٢ : ١٧٢ . ط . التجارية) وغيرهما من كتب الصحابة أنه أسلم بمكة يوم الفتح . وانظر مقالة « أبو سفيان ابن حرب » لنا في دائرة معارف البستاني الجديدة . ومَرُّ الظهران موضع على مرحلة من مكة على ما ذكره ياقوت (مادة مَرّ) .

(٣) في الاستيعاب أنه هرب إلى اليمن .

(٤) توفي سنة احدى وعشرين . (الاستيعاب ٢ : ٤٣٠) .

(٥) توفي بمصر سنة ثلاث وأربعين على الأصح . (الاستيعاب ٣ : ١١٨٨) .

(٦) توفي بالشام في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة (الاستيعاب ٢ : ٦٩٨) .

ومشى أبو بكر الصديق في ركاب يزيد بن أبي سفيان ووصّاه بوصيّة معروفة عند العلماء ذكرها مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة وغيرهم ، واعتمد عليها العلماء في الجهاد .

ففي «الموطأ»[١] عن يحيى بن سعيد أنّ أبا بكر الصدّيق بعث جيوشاً الى الشام ، فخرج معه يزيد بن أبي سفيان وكان أمير ربع من تلك الأرباع . فزعموا أنّ يزيد قال لأبي بكر :

— إمّا أن تركب وإما أن أنزل .

فقال أبو بكر : ما أنت بنازلٍ وما أنا براكبٍ . إني أحتسب خُطاي هذه في سبيل الله .

ثم قال : إنك ستجدُ قوماً حبَسوا أنفسهم لله ، فذَرْهُمْ وما زعموا انهم حبسوا أنفسهم له . وستجدُ قوماً فحَصُوا عن أوساط رؤوسهم ، فاضربْ ما فحَصُوا عنه بالسيف . وإني موصيك بعشرٍ : لا تقتلنّ امرأةً ، ولا صبيًّا ، ولا كبيراً هَرِماً ، ولا تقطعنّ شجراً مثمراً ، ولا تخربنّ عامراً ، ولا تعقرنّ شاةً ، ولا بعيراً ، إلاّ لمأكلة ، ولا تحرقنّ نخلاً ولا تغرقنّه ، ولا تجْبُنْ ولا تغلُلْ[٢] .

وذكر وصية أخرى :

ويزيد هذا الذي أمّره الصدّيقُ وكان من الصحابة هو عند المسلمين من خيار المسلمين ، وهو رجلٌ صالحٌ ، وهو عند المسلمين خيرٌ من أبيه أبي سفيان (٢ ب) ومن أخيه معاوية .

---

(١) انظر الموطأ .

(٢) قارن هذا بما أورده الحافظ ابن عساكر في تاريخه . (تاريخ دمشق ١ : ٤٥٤ وما بعدها : نشرتنا) ثم روايات أكثر سعة وأكمل .

فلما فتح المسلمون بلاد الشام في خلافة أبي بكر وعمر وتُوفي أبو بكر واستُخلِفَ عُمر، كان أبو عبيدة بن الجرّاح ويزيدُ بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وشُرَحبيلُ بن حَسَنَةَ نُوّاباً لعمر بن الخطاب على الشام.

وكان الشامُ أربعةَ أرباع:

الربعُ الواحد ربعُ فلسطين: وهو بيتُ المقدس الى نهر الأُردُنّ الذي يقال له الشريعة.

والربعُ الثاني: ربعُ الأُردُنّ وهو من الشريعة الى نواحي عَجْلون الى أعمال دمشق.

والربعُ الثالث: دمشق.

والربعُ الرابع: حمص.

وكانت سِيْس وأرضُ الشمال من أعمال حمص.

ثم إنه في زمن معاوية أو يزيد جُعل الشام خمسة أجناد، وجُعلت قِنّسْرين والعواصمُ أحدَ الأخماس[1].

وكان المسلمون قد فتحوا الشام جميعها الى سِيْس وغيرها، وفتحوا قبرص. كان معاويةُ قد فتحها في خلافة عثمان بن عفّان. وكان النبيُّ ﷺ قد أخبر بغزوات البحر، وأخبر أمَّ حَرام بنت ملحان[2] أنها تكون فيهم (كذا)، فكان كما أخبر به النبيُّ ﷺ.

(١) انظر عن الأجناد ما ذكره ياقوت. (مادة: أجناد).

(٢) كانت زوج عُبادة بن الصامت. صحابيّة كان الرسولُ يُكرمها. ماتت في قبرص (الاستيعاب ٤: ١٩٣١).

فلما كان في أثناء خلافة عمر بن الخطّاب مات في خلافته أبو عُبيدةُ بن الجرّاح[١] ، ومات أيضاً يزيد بن أبي سفيان[٢] .

ولما كان المسلمون يُقاتلون الكفّار ، ويزيدُ بن أبي سفيان أحدَ الأمراء كان أبوه أبو سفيان (٣ آ) وأخوه معاوية يُقاتلان معه تحت رايته[٣] ، وأصيب يومئذٍ أبو سفيان ، أصيبتْ عينه في القتال .

فلما مات يزيد بن أبي سفيان في خلافة عمر ، ولى عمر مكانه على أحد أرباع الشام أخاه معاوية بن أبي سفيان .

وبقي معاوية أميراً على ذلك ، وكان حليماً كريماً ، إلى أن قُتل عمر . ثم أقرّه عثمانُ على إمارته ، وضمّ اليه سائرَ الشام ، فصار نائباً على الشام كُلّه .

وفي خلافة عثمان وُلد لمعاوية ولدٌ سمّاه يزيد باسم أخيه . وهذا يزيد الذي وُلد في خلافة عثمان هو الذي تولّى الملك بعد أبيه معاوية[٤] ، وهو الذي قُتِل الحسينُ في خلافته[٥] ، وهو الذي جرى بينه وبين أهل الحرّة[٦] ما جرى .

وليس هو من الصحابة ، ولا من الخلفاء الراشدين المهديّين ، كأمثاله من خلفاء بني أمية ، وبني العباس .

وهؤلاء الخلفاء لم يكنْ فيهم مَنْ هو كافرٌ ، بل كلهم كانوا مسلمين ، ولكن لهم حسَنَاتٌ وسيِّئات ، كما لأكثر المسلمين ، وفيهم مَنْ هو خيرٌ

(١) مات أبو عبيدة سنة ثمان عشرة في طاعون عمواس .
(٢) مات أيضاً سنة ثمان عشرة في الطاعون .
(٣) انظر وصية أبي سفيان لابنه يزيد أثناء القتال . (تاريخ دمشق ١ ـ ٥٤٢) .
(٤) ولي يزيد الخلافة سنة ٦٠ وبقي حتى سنة ٦٤ هـ .
(٥) استشهد الحسين بن علي رضي الله عنه في يوم عاشوراء من سنة احدى وستين .
(٦) هي حرّة واقم بظاهر المدينة . وكانت الوقعة سنة ثلاث وستين ، وكان قائدها مسلم بن عقبة ، وهو الذي استباح المدينة (انظر العبر للذهبي ١ ـ ٦٩ ، تحقيقنا) .

وأحسنُ سيرةً مِنْ غيره ، كما كان سليمانُ بن عبد الملك الذي وَلّى عمرَ بن عبد العزيز الخلافة من بني أمية ، والمهديُّ [١] والمُهْتَدِي [٢] ، وغيرُهما من من خلفاء بني العباس (٣ ب) ، وفيهم مَنْ كان أعظم تأييداً وسلطاناً ، وأقهرَ لأعدائه من غيره ، كما كان عبدُ الملك والمنصورُ . وأما عمرُ بن عبد العزيز فهو أفضل من هؤلاء كلهم عند المسلمين ، حتى كان غيرُ واحدٍ من العلماء كسُفيان الثَّوْرِيّ وغيره يقولون : الخلفاء خمسة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ ، وعمرُ بن عبد العزيز . وإذا قيل سيرة العمرين ، فقد قال أحمد بن حنبل وغيرُه : العُمران عمرُ بن الخطاب وعمرُ بن عبد العزيز . وأنكر أحمد على من قال : العمران أبو بكر وعمر .

وكان عمر بن عبد العزيز قد أحيا السُنّة ، وأمات البدعة ، ونَشَرَ العدل ، وقَمَعَ الظَّلَمَةَ مِنْ أهل بيته وغيرهم ، وردّ المظالم التي كان الحجاجُ بن يوسف وغيرُه ظلموها المسلمين ، وقمع أهلَ البِدَع كالذين كانوا يسبّون عَلِيّاً ، وكالخوارج الذين كانوا يكفّرون عَلِيّاً ، وعثمان ، ومَنْ والاهما ، وكالقدرية مثل غَيْلان القَدَرِيّ وغيره ، وكالشيعة الذين كانوا يثيرون الفتن بعلمه ودينه وعدله [٣] .

---

(١) هو الذي تتبع الزنادقة وأبادهم وبحث عنهم وقتلهم على التهمة . توفي سنة ١٦٧ هـ . تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧٣ ، ط . محيي الدين عبد الحميد) . لكنه كان شهيد شهواته . (انظر كتابنا : الحياة الجنسية عند العرب ص ٥٩) .

(٢) قال الخطيب : ظلّ صائماً منذ وُلي إلى أن قتل . أراد أن يتشبه بعمر بن عبد العزيز لئلا يكون في بني أمية من هو أحسن من بني العباس (تاريخ الخلفاء ص ٢٦١ . توفي سنة ٢٥٦ بعصر خصيتيه) .

(٣) عن هذه الفِرَق ارجع الى مقالات الاسلاميين للاشعري ؛ والملل والنحل للشهرستاني ؛ وفرق الشيعة للنوبختي .

وأما غيره من الخلفاء فلم يبلغوا في العلم والدين والعدل مبلغه ، ولكن كانوا مسلمين باطناً وظاهراً ، لم يكونوا معروفين بكفرٍ ولا نفاقٍ ، وكان لهم حسناتٌ كما كان لهم سيئاتٌ . (١٤ آ) وكثيرٌ منهم أو أكثرُهم له حسناتٌ يرحمُه اللهُ بها ، وتترجح على سيئاته ، ومقاديرُ ذلك على التحقيق لا يعلمه إلاّ الله .

ويزيدُ هذا الذي ولي الملك هو أول مَنْ غزا القسطنطينية ، غزاها في خلافة أبيه معاوية(١) . وقد روى البخاري في «صحيحه» عن ابن عمر قال : قال رسولُ الله ﷺ : أوّل جيشٍ يغزو القسطنطينية مغفورٌ له . ومَن قال إنّ يزيد هذا كان من الصحابة فهو كاذب مُفْتَرٍ ، يُعَرَّفُ أنه لم يكن من الصحابة ، فإن أصرّ على ذلك عوقب عقوبةً تردعُه .

وأما مَنْ قال إنه كان من الأنبياء فهو كافرٌ مرتدٌّ يُستتاب ، فإنْ تاب وإلاّ قُتل .

ومَنْ جعله من الخلفاء الراشدين المهديّين فهو أيضاً ضالٌّ مُبْتَدِعٌ كاذب .

ومَنْ قال أيضاً إنه كان كافراً ، وإنّ أباه معاوية كان كافراً ، وإنه قتل الحسينَ تشفّياً وأخذَ بثأر أقاربه من الكفار فهو أيضاً كاذبٌ مفترٍ .

ومَن قال إنه تمثّل لما أُتي برأس الحسين :

لمّا بدتْ تلكَ الحمولُ وأشرقتْ   تلك الرؤوسُ على رُبى جَيْرونِ
نَعَقَ الغُرابُ فقلتُ نُحْ أولا تَنُحْ   فلقدْ قضيتُ مِنَ النّبيِّ دُيوني

أو «من الحسين ديوني» ، فقد كذب .

---

(١) كانت أولى غزوات يزيد سنة خمسين ، وقيل سنة إحدى وخمسين (العبر ١ ـ ٥٦) .

والديوان الشعر الذي يُعزى اليه عامته (٤ ب) كذب ، وأعداء الإسلام كاليهود وغيرهم يكتبونه للقدح في الإسلام ، ويذكرون فيه ما هو كذب ظاهر ، كقولهم أنه أنشد :

لَيْتَ أشْياخي بِبَدْرٍ شَهِدُوا جَذَعَ الخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الأَسَلْ
قَدْ قَتَلْنَا الكَبْشَ مِنْ أقرانِهم وعَدَلْنـاهُ بِبَدْرٍ فَاعْتَدَلْ

وأنه تمثل بهذا ليالي الحرّة . فهذا كذب .

وهذا الشعر لعبد الله بن الزِّبَعْرَى أنشده عام أُحُدٍ لما قتل المشركون حمزة ، وكان كافراً ثم أسلم بعد ذلك وحَسُنَ إسلامُهُ ، وقال أبياتاً يذكر فيها إسلامه وتوبته [١] .

فلا يجوز أن يُغلا في يزيد ولا غيره ، بل لا يجوز أن يتكلم في أحدٍ إلا بعلم وعدلٍ .

ومن قال إنه إمامٌ ابنُ إمام فإن أراد بذلك أنه تولّى الخلافة كما تولاّها سائر خلفاء بني أمية والعباس فهذا صحيح ، لكن ليس في ذلك ما يوجب مدحه وتعظيمَه ، والثناء عليه وتقديمه ، فليس كلُّ مَنْ تولّى كان من الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ، فمجرّدُ الولاية على الناس لا يُمدحُ بها الإنسانُ ولا يستحقُّ على ذلك الثواب ، وإنما يُمدحُ ويُثابُ على ما يفعلُه من العدل والصدق ، والأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكر ، والجهادِ ، (٥ آ) وإقامةِ الحدودِ ، كما يُذمُّ ويُعاقَبُ على ما يفعلُه من الظلم والكذبِ والأمرِ بالمنكر والنهي عن المعروف وتعطيلِ الحدودِ ، وتضييع الحقوق ، وتعطيلِ الجهاد .

(١) كان عبد الله بن الزِّبَعْرَى ، من أشعر قريش بل كانوا يقولون انه اشعر قريش . (الاستيعاب ٣ : ٩٠١) .

وقد سُئل أحمدُ بنُ حنبل عن يزيد أيُكتبُ عنه الحديث ؟ فقال : لا ، ولا كرامة ، أليس هو الذي فعل بأهل الحرّة ما فعل .

وقال له ابنه : إنّ قوماً يقولون إنا نحب يزيد . فقال : هل يحبّ يزيد أحدٌ فيه خير ؟ فقيل له : فلماذا لا تلعنه ؟ فقال : ومتى رأيتَ أباكَ يلعنُ أحداً ؟

ومع هذا فيزيدُ لم يأمر بقتل الحسين ، ولا حَمَلَ رأسه الى بين يديه ، ولا نكتَ بالقضيب على ثناياه ، بل الذي جرى هذا منه هو عُبيدُ الله بن زياد ، كما ثبت ذلك في « صحيح البخاري » ، ولا طيف برأسه في الدنيا ، ولا سُبي أحدٌ من أهل الحسين ، بل الشيعة كتبوا اليه وغرّوه ، فأشار عليه أهلُ العلم والنُصح بأن لا يقبلَ منهم ، فأرسل ابنَ عمه مسلم بن عقيل فرجع أكثرهم عن كتبهم ، حتى قُتل ابن عمه ، ثم خرج منهم عسكرٌ مع عمر بن سعد حتى قتلوا الحسين مظلوماً شهيداً ، أكرمه الله بالشهادة كما أكرم بها أباه وغيره من سلفه سادات المسلمين [١] (٥ ب) .

يتبع : (بيروت) الدكتور صلاح الدين المنجد

---

(١) انظر ابن كثير في البداية . فقد أورد الروايات المتعلقة بقتل الحسين رضي الله عنه وتحّصها بفهم . (٨ : ١٦٤ ـ ٢٠٨) .

شاعر آل البيت

دعبل بن علي الخزاعي

دراسة نقدية لآخر المجموعات من شعره

[صنعة الدكتور محمد يوسف نجم]

— ١ —

نعرف من المجموعات الحديثة المصنوعة من شعر شاعر آل البيت دعبل بن علي الخزاعي خمساً . فأولها مجموعة المرحوم الشيخ محمد السماوي النجفي المخطوطة التي ورثها الشيخ محمد علي اليعقوبي النجفي ، وما تزال في مكتبته . والثانية مجموعة المرحوم السيد محسن الأمين التي ضمنها كتابه (دعبل الخزاعي) الذي صدر في دمشق سنة ١٣٦٨ ه . والثالثة مجموعة المستشرق ليون زولندك ، ولم يتهيأ لنا الاطلاع عليها . والرابعة مجموعة الأستاذ عبد الصاحب الدجيلي التي نشرت في العراق سنة ١٩٦٢ . والخامسة الأخيرة - التي نقف عندها اليوم - مجموعة الدكتور محمد يوسف نجم مدير فرع مؤسسة فرنكلين للنشر في بيروت ، وقد صدرت في بيروت بعد مجموعة الدجيلي بما يقرب من ثلاثة أشهر .

فهذه المجموعات التي رأيناها مجموعات صغيرة كان يمكن أن تغنى كثيراً لو كان أتيح لأصحابها أن يطلعوا على مصادر - من المخطوط والمطبوع - لم يتيسر لهم الاطلاع عليها . إن أحدهم مثلاً - وهو الدكتور محمد يوسف نجم - سمع أشياء عن مجموعة السماوي ، ولكنه لم يكلف نفسه مشقة السعي وراءها . وأحدهم - وهو الأستاذ عبد الصاحب الدجيلي - عرف أن لدعبل « قصيدة طويلة جداً » ينبغي أن تستخرج من منافضة عثمان بن سند البصري (ت ١٢٤٠ ه)

ولكنه لم يعثر عليها بسبب «وجودها في المجموعات المخطوطة» ! وهم كلهم لم يتهيأ لهم التوسع في الاطلاع على المخطوط ، فوقعت مجموعاتهم ـ ما خلا مجموعة الدجيلي ـ في دون الألف من الأبيات المختلطة ، فيها المنحول الصراح والمختلف عليه والمشكوك فيه .

وهم ـ من ناحية أخرى ـ لم يوفقوا إلى الأخذ بنهج علمي محدد في جمع الشعر وتحقيقه . والذي ميز فيهم بين المختلف عليه من شعره وغير المختلف عليه ـ وهو الدكتور نجم ـ ارتكب أخطاء فاحشة ، لضعف اطلاعه على المصادر ، فلم يعد لتمييزه هذا معنى كبير .

على أنه لم يدّع أحد من أصحاب هذه المجموعات أنه جمعها ونشرها على نهج علمي ، وإن أوحى صاحب المجموعة الأخيرة ـ وهو الدكتور نجم كما عرفنا ـ لقارئه بما يشبه ذلك ، في نقده اللاذع لمجموعة المستشرق ليون زواندك ورميه إياها «بالقصور والخطأ والإخلال» .

والحق أن مجموعة الدكتور نجم تفضل المجموعات الثلاث الأخرى التي رأيناها من حيث تنظيمها وطباعتها . فينبغي إذن أن نطيل الوقوف عندها ، لأن نقدها يحدد موضع المجموعات الأخرى ، وإن لم يذهب بالميزات الخاصة بكل منها .

— ٢ —

وقد كان الأستاذ عبد الستار أحمد فراج ـ العامل في مجمع اللغة العربية في القاهرة ـ صنع نواة هذه المجموعة ، ولكنه لم يفز من المحقق ـ الذي صدرت المجموعة باسمه وحده ـ بأكثر من سطرين في آخر المقدمة .

وأجاز المحقق لنفسه ـ كما فعل الدجيلي قبله ـ أن يسمي مجموعته : ديوان دعبل بن علي الخزاعي . ولكنه لم يشر فيها إلى مجموعة الدجيلي ، فلعله لم يطلع عليها .

ورأى الدكتور نجم أن يجعل مجموعته في قسمين ، يضم الأول منهما الشعر الذي لم تختلف المصادر في نسبته إلى دعبل ، ويضم الثاني المختلف عليه من شعره . ومجموع القسمين لا يصل إلى ألف بيت كما قلنا . فهي إذن مجموعة صغيرة ، أصغر من مجموعة الدجيلي .

ولم يميز المحقق في مجموعته الشعر الذي انفردت كتب الشيعة بنسبته إلى دعبل ، فجاء مختلطاً بشعر الشاعر . ويبدو أن المحقق أحس بخطئه هذا ـ على نحو ما ـ (١) فاقتصر من هذا الشعر ـ دون اختيار ـ على نصوص قليلة لم تتعد التسعة ، فوقع ـ من هنا ـ في خطأ آخر هو نسيان الشعر الكثير الذي روي للشاعر في هذه الكتب . فهكذا اضطرب منهجه اضطراباً عميقاً ، فلا هو أغفل هذا الشعر ، ولا هو جمعه كله ووضعه في يد القارئ ، ولا هو استن منهجاً مفهوماً في اختيار بعض هذا الشعر الذي ذكر هو نفسه أنه رأى فيما وقع عليه منه « تزيداً ووضعاً » . ولا هو لجأ إلى ما كان ينبغي أن يلجأ إليه ، فجمع هذا الشعر كله ووضعه في يد القارئ ، على صورة من صور التمييز .

والطريف ـ بعد ذلك ـ أنه كان على علم بمجموعة السماوي ، فذكر في مقدمته أنه يقدر أن يكون لهذه المجموعة « شأن خاص ، إذ لا بد أن يكون الشيخ السماوي قد خرّج شعره من المصادر الشيعية المخطوطة » ، ثم لم يكلف نفسه ـ وهو المتصدي لإخراج ما سماه : ديوان دعبل بن علي الخزاعي ـ الرجوع إليها . وقد ذكرنا أن الدجيلي قبله رجع إليها وأفاد منها . وكان صديقنا الأستاذ محمود محمد شاكر أخبر المحقق ـ منذ أكثر من ثلاث سنوات ـ أني رجعت إليها أنا أيضاً . فلو كان المحقق اتصل بي لوضعتها في يده .

(١) انظر المقدمة ص ٦ .

- ٣ -

ونعود الآن إلى مجموعته على الصورة التي اختارها ، فنجد نصوصاً كثيرة في القسم الأول (غير المختلف عليه) كان ينبغي أن تنقل إلى القسم الثاني (المختلف عليه) لو لم تقصر بالمحقق مصادره القليلة التي رجع إليها ، ولو كان استخلص حقاً من كل مصدر رجع إليه كل ما فيه من شعر دعبل :

١ — فالنص الثاني والعشرون الذي أوله :

وإني لأَرثي للكريم إذا غَدا على مطمع عند اللئيمِ يُطالبُهْ

نسب أيضاً إلى عبيد الله بن عكراش (عيون الأخبار ١/٨٩) .

٢ — والنص الثاني والأربعون الذي أوله :

هُمْ قَعدوا فانتَقَوْا لهم حَسَباً يجوز بعد العِشاء في العَرَبِ

نسب أيضاً إلى بشار بن برد (العقد ٦/١٣٧) .

٣ — والنص الخامس والسبعون الذي أوله :

سألتُ أبي وكان أبي عليّا بساكنةِ الجزيرة والسَّوادِ

نسب أيضاً الى الحسن بن وهب (الأغاني ٢٢/٥٥٣) .

٤ — والنص الثالث والثمانون الذي أوله :

تَخْضِبُ كفاً ـ قُطِعت من زَنْدِها ـ

نسب أيضاً إلى أعشى سُليم (تشبيهات ابن أبي عون ورقة ٣٢٩) .

٥ — والنص السادس والتسعون :

وإن طُرَّةٌ راقتك فانظر فربّما أَمَرَّ مذاقُ العودِ والعودُ أخضَرُ

ذكر أن سليمان بن عبد الملك (في القرن الأول) تمثل به يوماً (العقد ٢/٢٤١) .

٦ — والنص الرابع بعد المائة ، الذي أوله :

وقد كان هذا البحر ليس يجوزه سوى خائف من ذنبه ومخاطر

نسب أيضاً إلى أبي الغول (طبقات الشعراء ١٤٩) .

٧ — والنص العاشر بعد المائة الذي أوله :

ما زال عِصْيانُنا لله يُرذُلنا حتى دُفِعنا إلى يحيى ودِينارِ

نسب أيضاً إلى عمارة بن عقيل (البيان والتبيين ٣/٢٢٨ والمنتخب ١٢٨) .

٨ — والنص الثامن والثلاثون بعد المائة ، الذي أوله :

سألوني اليمينَ فارتَفعْت عنها كي يُغَرّوا بذلك الارتياع

نسب أيضاً إلى البحتري (تشبيهات ابن أبي عون ورقة ٢٥٩ ومحاضرات الراغب ١/٢٩٩) .

٩ — والنص الثالث والأربعون بعد المائة الذي أوله :

الله أجرى من الأرزاق أكثرَها على يديكَ بخير يا أبا دُلَفِ

نسب أيضاً إلى علي بن جبلة (الأغاني ١٩/٣٠٥ ومسالك الأبصار ٩/ ورقة ٤١٧) وإلى عبد الله بن أبي السمط (محاضرات الراغب ١/٣٦٢) .

١٠ — والنص الرابع والسبعون بعد المائة ، الذي أوله :

كيف احتيالي لبَسْطِ الضَّيْفِ من حَصَرٍ عند الطعام فقد ضاقتْ به حِيَلي

نسب أيضاً إلى ابراهيم بن هرمة (شرح المقامات ٢/٣٢١) .

١١ — والنص السادس والثمانون بعد المائة الذي أوله :

إذا انتقموا أعلنوا أمْرهم وإن أنعموا أنعموا باكتتام

نسب أيضاً إلى المتنبي (محاضرات الراغب ٢/٨٣) .

١٢ — والنص الخامس والتسعون بعد المائة ، الذي أوله :

فلا تحسد الكلبَ أكلَ العظا م فعند الخراءة ما ترحمهْ

نسب أيضاً إلى الجلاج الحارثي (التمثيل والمحاضرة ٨٦ ونهاية الأرب ٢/٩٠) .

١٣ — والنص التاسع بعد المائتين ، الذي أوله :

سمتُ المديحَ رجالاً دونَ مالهمُ ردٌّ قبيحٌ وقولٌ ليس بالحسَنِ

نسب أيضاً إلى عمر بن عبد العزيز الطائي (عيون الأخبار ٢/٣٣) .

١٤ — والنص الثالث عشر بعد المائتين ، الذي أوله :

رأيتُ من الكبائرِ قاضيين هما أحدوثةٌ في الخافقينِ

نسب أيضاً إلى أبي العبر الهاشمي (الأغاني ٢٣/٨٥) وإلى الجماز (تاريخ الطبري ١١/٤٦ وتاريخ ابن الأثير ٥/٢٨٩ والشعور بالعور ٦٠) .

١٥ — والنص الرابع عشر بعد المائتين ، الذي أوله :

فلو أني بُليتُ بهاشميٍّ خُؤولتُه بنو عَبْدِ المَدانِ

نسب أيضاً إلى زياد بن عبد الله الحارثي (أخبار أبي تمام ٣٩ والمنتحل ١٣٦) .

١٦ — والنص التاسع عشر بعد المائتين ، الذي أوله :

لم يُطيقوا أن يَسمعوا وسمعنا وصبرنا على رحى الأَسْنانِ

نسب أيضاً إلى « غير دعبل » (محاضرات الأدباء ١/٤٠) .

وتبقى نصوص أخرى مثلها ما شك أن المحقق لو كان أتيح له الوقت للنظر فيها لألحقها بهذه النصوص أو لعدى عن بعضها (النصوص : ٢٣ ، ٣٤ ، ٧١ ، ٩٣ ، ١١٦ ، ١٤٠ ، ١٦٢ ، ١٦٧) .

— ٤ —

وفي مقابل هذه النصوص نجد نصوصاً عدها المحقق في المختلف عليه (القسم الثاني) ، وكان ينبغي أن لا يتردد في نقلها إلى القسم الأول (غير المختلف عليه) فإن النص الرابع عشر مثلاً ـ من القسم الثاني ـ الذي مطلعه عنده :

يا أُمةَ السوءِ ما جازَيْت أحمدَ عن حُسْنِ البَلاءِ على التّنْزيلِ والسُّوَرِ

قصيدة من أشهر شعر الشاعر وأوثقه . ولو كان المحقق رجع إلى مصادر أخرى كثيرة غير التي رجع إليها ، مثل تلخيص أخبار الشيعة أو الدر الفريد أو أمالي الطوسي أو التذكرة الحمدونية أو الوافي بالوفيات أو عيون أخبار الرضا وغيرها ، لوقع على تمام القصيدة ، ومطلعها :

تأسفتْ جارتي لما رأت زَوَري وعدّت الحِلْمَ ذنباً غيرَ مُغْتَفَرِ

وهي في أربعة وعشرين بيتاً ، لا في أحد عشر بيتاً كما هي عنده . وقد أثبت ياقوت نفسه ـ الذي نقل عنه جامع الشعر نسبة بيتين منها إلى ابن حيرون من شعراء الرافضة ـ نسبتها إلى دعبل في ثلاثة مواضع (معجم البلدان : انظر المواد : طوس وخزر ومخلاف جيشان)

— ٥ —

على أن هذا ـ على خطره ـ يهون إلى جانب ما أثبت المحقق في القسم الأول (غير المختلف عليه) من شعر لم يختلف عليه فحسب ، وإنما تحققت نسبته إلى شعراء بأعينهم :

١ — فالنص الحادي عشر مثلاً :

لِيَهْنِكَ دولةٌ حدثتْ فأحدثَ عِزُّها نَسَبا

بيت من أبيات ثلاثة لمحمد بن عبد الملك الزيات ، قالها في خصمه أحمد بن أبي دواد (ديوان ابن الزيات ٢) .

٢ — والنص السادس عشر المؤلف عنده من ثلاثة أبيات ، ومطلعه :

ذهبتُ وما أدري إلى أين أذهبُ وأيَّ الأمورِ في العزيمة أركبُ

من قصيدة لعمرو بن المدبر من خمسة عشر بيتاً (العقد ٦/٢١٦ – ٧) .

٣ — والنص السادس والعشرون ، ومطلعه :

فلو أنني أصبحتُ في جود مالكٍ وعزّتِه ما نالَ ذلك مطلبي

بيتان من مقطوعة معروفة لبكر بن النطاح (العمدة ٢/٤٠ ومحاضرات الأدباء ١/٣٥٧ ونهاية الأرب ٧/١٢٠ ومعاهد التنصيص ١/٣٨٥) .

٤ — والنص الثامن والأربعون بعد المائة :

عَيْرٌ رأى أَسَدَ العرينِ فراعَهُ حتّى إذا ولّى تولّى يَنْهَقُ

بيت من قصيدة مشهورة جداً لأبي تمام في هجاء عتبة بن أبي عاصم (ديوان أبي تمام ٤٩٩) .

٥ — والنص الثامن والتسعون بعد المائة :

هذي هديّةُ عَبْدٍ أنتَ مُلْبِسُهُ ثوبَ الغنى فاقبلِ الميسورَ من خَدَمِكْ

بيت من أبيات للحسين بن دعبل ، وهو شاعر مثل أبيه (التحف والهدايا ١٥٣) .

ولو كان المحقق وضع لنفسه منهجاً لسهل عليه أن يرد اثنى عشر نصاً آخر من القسم الثاني (النصوص ١ ، ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠) إلى أصحابها أيضاً كما ترد النصوص السابقة .

ولولا مخافة الإملال لرددتها واحداً واحداً . فإذا شاء المحقق أن يكتب إليّ لأعينه على ردها فعلت إن شاء الله .

— ٦ —

على أن التعجل والاقتصار على مصادر قليلة لم يورطا المحقق في هذا وحده ، فإن كثيراً من النصوص مجتزأة مبتورة المطلع أو النهاية أو ممزقة على نصوص متعددة أو مخلخلة خلخلة لا يستقيم معها الكلام أحياناً . وسأكتفي هنا بإيراد أمثلة قليلة من ذلك تكفي في الدلالة وإن لم تكف في الحصر ، فهذا يطول كثيراً :

١ — فالنص الثاني عشر (من القسم الأول) الذي مطلعه عنده :

عَطاياهُ تغــدو على سابحٍ وطَوْراً على بَغْلَةٍ نَدْبَهْ

نقصت من مطلعه أبيات يخاطب فيها المطلب بن عبد الله الخزاعي ، ومطلعها :

أمطلب دعْ دعاوى الكُماةِ فتلكَ نحيزةُ لا رُتْبَــهْ

٢ — والنص الثامن والثلاثون ، ومطلعه :

يا سلمَ ذاتَ الوَضّحِ العِذابِ

نقصت من نهايته أبيات هي :

جاء مشيبي ومضى شَبــابي

وزال عني أهوجُ التّصــابي

فلم أُجزْ عن مَنْهج الصّوابِ

٣ — والنص الحادي والسبعون بعد المائة الذي يخاطب فيه الشاعر الفضل ابن مروان بقوله :

نصحتُ فأخلصتُ النصيحةَ للفضلِ وقلتُ فسيَّرتُ المقالةَ في الفَضْلِ
ألا إنَّ في الفضلِ بن سهلٍ لَعبرةً إذا اعتبرَ الفضلُ بنُ مروانَ بالفضلِ
وللفضلِ في الفضلِ بن يحيى مواعظٌ إذا فكر الفضلُ بنُ مروانَ بالفضلِ

حتى يقول بعد ذلك :

فإنّكَ قد أصبحتَ للمُلْكِ قَيّماً وصرتَ مكانَ الفَضْلِ والفَضْلِ والفَضْلِ

فهؤلاء ثلاثة حلَّ الفضل بن مروان محلهم لا اثنان على نحو ما ذكر في البيتين السابقين ، فأين الفضل الثالث ؟ إنه في قول دعبل ـ وقد سقط من النص في المجموعة ـ :

وفي ابن الربيع الفضلِ للفضلِ زاجرٌ إن ازدجر الفضلُ بن مروانَ بالفضلِ
إذا ذكروا يوماً وقد صرتَ رابعاً ذُكرتَ بقدْرِ السَّعْيِ منكَ إلى الفَضْلِ

وبذلك يصبح بعده قول دعبل السابق مفهوماً :

فإنّكَ قد أصبحتَ للمُلْكِ قيّماً وصرتَ مكانَ الفَضْلِ والفَضْلِ والفَضْلِ

٤ – والنصوص ذوات الأرقام (٢٠٤ – ٢٠٧) كلها نص واحد كان يمكن أن يجتمع في يد المحقق لو اطلع على مصادر أخرى غير التي اطلع عليها . وكان يمكن أن يضيف إليه أيضاً ستة أبيات أخرى . وهذا النص الذي مطلعه :

أفيقي من ملامكِ يا ظَعينا كفاكِ اللومَ مَرُّ الأَرْبعينا

هو نونية دعبل اليمانية المشهورة التي يقال إنها كانت تبلغ ستمائة بيت .

٥ – والنص التاسع والثلاثون ، وهو قول دعبل :

أحسَنُ ما في صـــالحٍ وَجْهُهُ فقِسْ على الشاهـــدِ بالغائبِ

خطأ ، فوجهه هو الشاهد . وصوابه :

فقِسْ على الغائبِ بالشّـــاهدِ

وبعده البيت :

تَأملتْ عيـــني له خِلْقَةً تدعو إلى تَزْنيـــةِ الوالدِ

ومن عجب أن المحقق وضع للبيت الخطأ رقماً ، وجعله نصاً في روي البـاء (النص ٣٩) ثم أعاده على وجهه الصحيح – مع البيت الثاني – وجعله نصاً آخر في روي الدال (النص ٨٦) ! ولم يكتف بذلك بل جعل كتـاب المنتحل – الذي أورد صورة البيت خطأ – من مصادر النص في صورته الصحيحة ! كأن المحقق يدفع بالنصوص إلى المطبعة ، ثم يبدأ يحققها من بعد !

فهذه أمثلة قليلة نجد مثلها في نصوص كثيرة (النصوص : ٧ ، ١٠ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٤١ ، ١٥٣ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٩٤ ، ٢١١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ و ١ و ٢ من أنصاف الأبيات « وهما – في الأصل – مقطوعتان كاملتان في الحماسة ٤/٣٦١ و ٣٦٨ – ٧٠ » والنصوص : ٣ و ١٤ « سبقت الإشارة إليــه » و ٢٣ و ٢٩ و ٣٢ من القسم الثاني) . هذه كلها – إلى جانب الأمثلة التي ذكرناها – نصوص ناقصة أو مبتورة أو مختلطة .

– ٧ –

ثم نسأل : أي نهج نهج المحقق في ترجيح رواية على رواية ؟ لقد كان – في مواضع كثيرة – يعدي عن الرواية الواردة في مصدر متقدم ليأخذ بالرواية الواردة في مصدر متأخر ، على حين يستقيم الكلام بالرواية الأولى .

إن قوله ـ مثلاً ـ (في النص ٥٤) :

ضيفٌ أَلَمَّ بِمَفرِقي فقريتُــه رَفْضَ الغَوايةِ واقْتِصادَ المَنْهَجِ

رواه على هذه الصورة ابن أبي عون (ت ٣٢٢ هـ) ، على حين ورد في الروايات المتأخرة عنه :

ضيفٌ أحلَّ بيَ النُّهى فَقَرَيْتُهُ . . . .

فلِمَ نرجح الرواية المتأخرة على الرواية المتقدمة ؟

والنص الواحد والثلاثون بعد المائة ، الذي مطلعه :

أبا مَخْلَدٍ كنا عَقيدَيْ مَوَدَّةٍ هوانا وقلبانا جميعاً معاً معـــا

روي أكثره في عيون الأخبار لابن قتيبة (في عصر الشاعر) ، فلِمَ نرجح على روايته رواية أخرى أبعد منها ؟

إن الاستهانة بالمنهج في ترتيب المصادر ترتيباً زمنياً ، والنظر في الروايات المختلفة في ضوء هذا المنهج كلفا المحقق ـ أحياناً ـ ثمناً غالياً يقدره الباحث في شعر دعبل وإن لم يقدره المحقق . إن قوله مثلاً (في النص ٩٤) :

إن بـــني عمروٍ لأعجوبةٌ تَعْجِزُ عن وصفِهِمُ الفِكْرَهْ

صحيحه الذي تكون له نتائجه البعيدة :

إن بني طوقٍ . . . .

فهذه الرواية الصحيحة تعين الباحث ـ مع روايات أخرى غيرها ـ على فهم صلة الشاعر بعمرو بن طوق فهماً يسهل معه تقدير الرواية التي تقول إن منية الشاعر كانت على يديه .

ومثل هذا الذي نقوله كثير يتعذر علينا ـ هنا ـ أن نفصل الكلام عليه (١) .

بل إن الاستهانة بلغت بالمحقق ـ وهو يصدر ديواناً ! ـ أن يرجع ـ في مصادره ـ إلى الكتب المهذبة المطبوعة ويغفل أصولها المخطوطة الكاملة ! وأبلغ مثل على ذلك رجوعه إلى تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ، وتاريخه المخطوط ملء عين المحققين والدارسين . ولعل تقصيره في الرجوع إلى المخطوطات عام لو تلافاه لأصلح كثيراً من الأخطاء التي وقع فيها ، مما سنأتي على أمثلة منه بعد قليل .

ثم إن رجوعه ـ في بعض الأحيان ـ إلى كتب حديثة نقل فيها أصحابها المحدثون شعراً لدعبل ، دون أن يرجع إلى الأصول التي أخذت عنها هذه الكتب ، خطأ فادح ورطه في أخطاء أخرى لعل أبرزها نقص هذه النصوص . فالنص الثاني والستون ـ مثلاً ـ الذي نقل بيتيه عن كتاب أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين أصله في مناقب آل أبي طالب ـ الذي ذكر المحقق أنه رجع إليه ـ خمسة أبيات . والنص الثامن والثمانون الذي وجد بيتاً من بيتيه في مناقب آل أبي طالب كان يمكن أن يجد بيته الآخر في عيون أخبار الرضا لابن بابويه لو تلمسه فيه بدلاً من أن يقف عند أعيان الشيعة .

— ٨ —

وكان ينبغي لمحقق مثل هذا الشعر المنتزع من مواضعه وأحداثه ومناسباته أن يحسن حكاية المناسبات والأحداث التي تتصل النصوص بها ، ويحسن

(١) سجلنا ملاحظات عنه وقعت في الصفحات التالية : ٧٢ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٥٥ .

التعريف بأعلام الأشخاص والمواضع والمواقع التي تحفل بذكرها هذه النصوص . ولكن المحقق لم يفرغ لهذا أيضاً ، فوقعت كثير من النصوص دون أن يتقدمها بيان يعين القارئ على فهمها . وخلت الحواشي القصيرة المتعجلة - في أغلب الأحيان - من التعريف والشرح .

كيف يتيسر لنا - مثلاً - أن نفهم مديح الشاعر للهيثم بن عثمان الغنوي وهجاءه لأحمد بن أبي دواد إن لم نعرف من هما ؟ ومن هو المطلب بن عبد الله الخزاعي الذي أطال دعبل ذكره ؟ ومن هو غسان بن عباد وعلي بن عيسى الأشعري وعمرو بن عاصم الكلابي وأحمد بن أبي خالد ؟

ولماذا - مثلاً - جعل الحسن بن وهب الكاتب حائكاً ؟ (النص ١٥٤) وما يوم الشراة الذي عيّر به الشاعر مهجوه المطلب الخزاعي ؟ (النص ١٦٩) ومن هو دينار والي الجبال ؟ (النص ١٨٣) وأي الموصليين رثى الشاعر ؟ (النص ٢١٥) .

وكيف يفهم القارئ - مثلاً - قول دعبل في هجاء الحسن بن وهب (النص ١٢٧) :

أَحِبُّ بغالَ البُرْدِ حُبّاً مُداخَلاً يكلِّفه إثباتَها في الشَّرائطِ

إن لم يعرف أنَّ هذا الكلام قيل فيه لما ولي البريد ؟ وكيف نستلّ الشعر من مناسباته ونحن نجهمه منها ؟ ولِمَ نفعل ذلك ؟

إن معرفتنا بأن الشاعر توجه (في النص ١٧٠) بالكلام إلى طاهر بن الحسين في خراسان بعد أن اطرح الشاعر على بابه يفتح لنا مغاليق النص . ومعرفتنا بالظرف الذي هجا فيه دعبل الفضل الرقاشي الشاعر (النص ٢٠١) ضرورة لجلائه وفهمه .

ثم إن استلال النصوص من مناسباتها ـ ونحن نصنع « الديوان » من النصوص المبعثرة ـ إفساد لحقيقتها وموضعها . إن الشاعر ـ مثلاً ـ لم يقل الأبيات الأربعة (في النص ٧٤) « في غمدان وملوك اليمن » فحسب ، وإنما قالها في القصيدة التي رد بها على خصمه الشاعر النزاري أبي سعد المخزومي . والشاعر لم يقل بيتيه (في النص ١٤٧) عبثاً ، دون مناسبة . بل قالها ـ لو وسع اطلاع المحقق مصدراً أو مصدرين آخرين ـ في شفاعة فيلسوف العرب يعقوب بن إسحق الكندي إلى القاسم بن محمد الكندي في وظيفة كانت لدعبل عنده .

ويتصل بهذا الذي نقوله تمزيق المحقق محاورات الشاعر الشعرية لبعض معاصريه ، على القوافي المختلفة (انظر النصوص : ١٢٥ ، ١٤٥ ، ١٥٢) فبمثل هذا التمزيق تضيع وحدة الأبيات ، ولا يمكّن القارئ من فهمها . ومن عجب أن المحقق نفسه أدرك ذلك ـ أحياناً ! ـ لجمع أطراف بعض المحاورات بخط صغير (النص ١٤٤) أو نقلها إلى الحاشية (النص ٢١٠) دون أن يتبع منهجاً ثابتاً !

وكيف يمر القارئ أخيراً ـ وهو يقرأ الشعر ـ بهذه المجموعة الكبيرة من الألفاظ غير المألوفة ، دون أن يقدّم إليه شرح مختصر يعينه على فهم الكلام وتقريبه ، على حين تشرح ـ في أكثر الأحيان ـ الألفاظ القريبة التي لا تستدعي الرجوع إلى المعجمات والانكباب على معاني المواد فيها ؟

ففي قول الشاعر مثلاً (النص ٢٥) :

أرقتُ لبرقٍ آخرَ الليل مُنْصِبٍ خفيٍّ كبطن الحيّـةِ المتقلّبِ

نشرح (منصباً) ونترك (خفياً : لامعاً) بالمعنى غير المألوف الذي لا يفهم البيت بدون معرفته ؟

وكيف يفهم القارئ بيت الشاعر (النص ١٣٠) :

رُفِعَ الكَلْبُ فاتَّضَعْ ... لَيسَ في الكلبِ مُصْطَنَعْ

إن لم يفهم معنى الاصطناع ؟

وبيت الشاعر (النص ١٥٦) :

وسَلُّوا من الأجفانِ كلَّ مُهَنَّدٍ ... بصيرٍ بضربِ للطُّلى مُتَدارِكِ

يستدعي أن نشرح فيه كلمة الطلى (الأعناق) .

وقول الشاعر في رثاء المطلب بن عبد الله الخزاعي :

هذا أبو القاسمِ الثاوي ببَلْقَعَةٍ ... تَسْفِي الرِّياحُ عليه من سَوافيها

هبتْ وقد علمَتْ أنْ لا هُبوبَ له ... وقد تكونُ حَسيراً إذ يُباريها

لا تفهم حقاً المباراة فيها بين المطلب والريح حتى يفهم أن « العرب تشبه الجواد الذي يعم نواله بالريح لأنها تعم ولا تخص » (انظر : الحماسة ٣/٣١) .

هذا قليل من كثير ، لا نرمي فيه إلى أكثر من ضرب المثل .

« للبحث تتمة » الدكتور عبد الكريم الأشتر

نظرات في

المعجم الوسيط

- ٣ -

ثانياً : تعريف المقاييس والمكاييل والموازين[1]

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
الفَرْسَخ	مقياس من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال ، أو ثمانية عشر ألف قدم ، أي نحو خمسة آلاف وأربعمائة ذراع فرنسيّة . معرب (فَرْسَنْك) .	الفرسخ مقياس قديم مضى زمن استعماله ، مما يوجب عند تعريفه في معجم حديث ، أن ينسب إلى وحدة قياسية معروفة غير مختلف عليها ، أما أن يقال إنه يقدر بثلاثة (أميال) فأي ميل هذا ، أهو (الروماني) أم (الهاشمي) أم (الإنكليزي) ؟ أو أن يقاس بالذراع (الفرنسية) فما هي هذه الذراع ؟ أو يقاس بـ (الياردة) فما هي هذه الياردة ؟ لقد عرّف المعجم الفرسخ ونسبه إلى مقاييس تحتاج إلى تعريف ، وقد أغفل تعريف أكثرها ، وعرّف بعضها تعريفاً غير دقيق[2] .

(١) من إتقان صناعة المعاجم الحديثة ، اعتماد منهج موحد للربط بين مواد المعجم المتصلة بموضوع واحد ، فلا يكفي تعريف كلة بعدد من الكلمات ، إذا كانت هذه الكلمات أو بعضها بحاجة إلى تعريف ، وسنرى في هذه الملاحظات ، ماذا صنع المعجم الوسيط في تعريف المقاييس والمكاييل والموازين القديم منها والحديث .

(٢) أنظر ماصنعه مؤلف متن اللغة في معجمه ، إذ عرف الفرسخ فقال : « الفرسَخ في المسافات : ثلاثة أميال هاشمية أو ستة أو اثنا عشر الف ذراع أو عشرة آلاف ذراع . والتحقيق المعتمد فيه أنه ثلاثة أميال . وبتقدير الميل الهاشمي يكون : ٥٧٦٠ متراً الخ . . . » .

المِيلُ	مقياسٌ للطول قُدِّر قديماً بأربعة آلاف ذراع، وحديثاً بستين وسبعمائة وألف ياردة .	الميل مقياس للطول قديم ، عرفه العرب واختلفوا في تقديره، والأغلب في تحقيقه أنه ثلث الفرسخ . وفي المصباح : هو عند القدماء ثلاثة آلاف ذراع ، والذراع عندهم اثنتان وثلاثون إصبعاً ، وهو عند المحدثين أربعة آلاف ذراع ، والذراع أربع وعشرون إصبعاً . فهو يعادل بالحساب العشري ألفاً وتسعمائة وعشرين متراً[1] . والتعريف الوارد في المعجم الوسيط ، يخلط بين الميل كما عرفه العرب ، وبين (الميل الانكليزي)[2] الذي يعادل ١٦٠٩ أمتار . ويلاحظ أن المعجم أغفل الإشارة إلى (الميل البحري) وهو يعادل ١٨٥٢ متراً . كما أنه نسب (الميل) إلى الياردة وأغفل تعريف هذه (الياردة) .
القَدَم	وحدة قياس توازي ثلث يَرْدة . وتساوي إثنتي عشرة بوصة . (ج) أقدام .	كان من المفيد ذكر القوم الذين يعتبر القدم وحدة قياس ، فالعرب لم يعرفوها مقياساً للطول خلافاً للإنكليز .

(١) أنظر معجم متن اللغة .
(٢) كلمة (ميل) في الإنكليزية والفرنسية تعود في أصلها إلى اللاتينية ، وكانت (الميل) عند الرومان يساوي الف خطوة . أنظر Larousse .

ويلاحظ أن التعريف جاء على ذكر (بوصة) وأغفل المعجم ذكرها وتعريفها في مكانها ، كما أن كلمة (يَرْدة) أثبتت في التعريف برسم يخالف رسمها في تعريف (الميل) .

الذّراع

و — العود يقاس به .

. . . . . .

والذّراعُ مؤنث . يقال : ذراعٌ قصيرة . وقد يذكّر . (ج) أذرعٌ وذُرعان .

الذّراع قبل أن تكون عوداً ، كانت (ساعد إنسان) لذلك اختلف العلماء في تحديدها ، وأشهر ذراع الذراع الهاشمية وهي ٣٢ إصبعاً وتعادل ٦٤ (سنتيمتراً) .

ويلاحظ في التعريف إغفاله الإشارة إلى (الذراع الفرنسية) وقد ذكرها المعجم في تعريف الفرسخ .

وفي التعريف تصحيف صحته : (والذّراع) ، ونلاحظ أن جملة (والذّراع مؤنث . . .) وردت متأخرة ، ومن حقها أن تكون في صدر التعريف ، كما في الأمّهات .

المِيْدازة

اسم لمقياس تقاس به الأطوال ، وشاع استعماله في بعض الأقاليم ، وطوله ستة وسبعون سنتيمتراً (مع) .

امتازت (الميدازة) في المعجم عن غيرها من مقاييس الطول بذكر مايعادلها بالمقياس المتري الحديث ، ولكن لم يوضح التعريف (الأقاليم) التي شاع

استعمال هذا المقياس فيها ولعلها من أقاليم مصر . وفي أقرب الموارد : (المنداز) اسم للذراع الذي تُذرع به الثياب ونحوها . وفي متن اللغة : (المِنداز) الذراع تُذرع به الثياب ، وهو نحو ٦٥ / ١٠٠ من المتر .

المِتْرُ

وحدةٌ للقياس ، وهي فرنسية في الأصل ، ثم استعملها أكثر الأمم ، وهي تمثل $\frac{١}{٤٠,٠٠٠,٠٠٠}$ من محيط الكرة الأرضية تقريباً ، وتساوي مائة سنتي .

هذا تعريف علمي صحيح لا شك فيه ، لكنه كان يستحسن أن يشار فيه إلى أن (المتر) أسّ النظام العشري المعروف في العالم باسم (النظام المتري) ، وإلى أنه من (الدخيل) .

وكان من المستحسن أيضاً أن يشار في التعريف إلى (المتر المربع) وخاصة وقد ورد ذكره في تعريفات أخرى ، ومثل ذلك يقال في (المتر المكعب) وأمثال كل منها وأجزائه .

الكيلو

كلمة إذا أفردت دلت على ألف وتضاف إلى المتر والجرام فتعني ألفاً منها؛ يقال: كيلو متر وكيلوجرام . (د) .

كلمة (كيلو Kilo) مصدر إغريقي الأصل يعني ألفاً ، وفي (النظام العشري) إذا أضيف إلى وحدة قياسية يدل على ألف منها ، والذي يبدو من صياغة التعريف ، أن الإضافة محصورة في (المتر والغرام) بينما هي تستعمل في الوحدات الأخرى مثل : الوات

والجول والفلت ، وغيرها من مقاييس الكهربا[1] .

ونلاحظ أن كلمة (كيلو) قد تستعمل للدلالة على وزن (الكيلوغرام) أي اجتزاءاً من كلمة (كيلوغرام)[2] .

الفَدّان	مقدار من الأرض الزراعية مساحته ٣٣٣ $\frac{1}{3}$ قصبة مربعة أو ٤٢٠٠ متر مربع بتقريب الكسر . (ج) فدادين (مصرية) .	ليس الفدان والقصبة مقياسين مصريين فحسب ، بل هما معروفان في كثير من البلاد العربية حتى عصرنا هذا ، فكان من المستحسن أن لا يعرفا على أنهما مصريان فقط .
القَصَبَة	مقياس مصريّ من القصب طوله ثلاثة أمتار وخمسة وخمسون من المائة من المتر ؛ وتمسح به الأرض . (ج) قصب وقصبات .	ويلاحظ أن تحديد الفدان والقصبة ، يختلف باختلاف البلاد التي تستعملها مقياسين لمسح الأرض[3] .

(١) لم يرد في المعجم الوسيط من تعريفات هذه الوحدات القياسية ، سوى تعريف (الأمبير) .

(٢) هذا هو المتعارف عليه في البلاد التي تأخذ بالنظام (المتري) أنظر مادة (Kilo) في Larousse .

(٣) تختلف مساحة الفدان في قرى الشام على حسب تقسيم كل قرية بين فلاحيها . ولكن مساحة الفدان في دمشق والغوطة ثابتة . فالفدان الخطاط فيها يساوي ٥٧١٣ متراً مربعاً ، والفدان الروماني ١٣٧١٧٠ متراً مربعاً أي ١٣ هكتاراً و ٧١ في المائة من الهكتار . وهذه المعلومات مستقاة من جدول وضعه الأمير مصطفى الشهابي منذ ٤٠ سنة للمقابلة بين مقاييس المساحة الشامية ومقاييس المساحة العشرية ، ونشره في طبعات « كتاب الزراعة العملية الحديثة » وكما ذكره فيه أيضاً مقايسات بين قسم من الأوزان والمكاييل ، ومنها المصرية . فقال مثلاً : إن الكيلة المصرية تساوي ١٦ لتراً ونصف لتر ، وأن الإردب المصري يساوي ١٩٨ لتراً ، والأقة المصرية تساوي كيلو غراما و ٢٤٨ في الألف من الكيلو غرام ، والرطل المصري ٤٤٩ في الألف من الكيلو غرام . وذكر أيضاً أن الذراع العادي في دمشق ٧٠ سنتيمتراً ، والذراع المعماري الرسمي ٧٥ سنتيمتراً ، والقصبة في الغوطة ودمشق ستة أذرع عادية ، و ٩٧ في المائة من الذراع العادي ، فتكون قصبة المربعة من الأرض فيها ٤٨٫٥٨ ذراعاً مربعاً أي ٢٣ متراً مربعاً و ٨١ في المائة من المتر .

الغِرارة	وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه ، وهو أكبر من الجوالق . (ج) غرائر .	المعروف في بلاد الشام أن الغرارة ليست مجرد وعاء ، بل هي كيل ، كانوا يتعاملون به إلى عهد قريب ويعادل ثمانين مُدًّا . وفي أكثر المعاجم القديمة: الغرارة: الجوالق . قال الجوهري: وأظنه معربًا .
الجُوالَق	الغِرارة . (مع) . (ج) جوالق . وجواليق . وجوالقات .	التعريفان الأول والثاني وردا في مادة (جلق) والتعريف الثالث ورد في مادة (جول) ، والاختلاف بين التعريف الأول والثالث واضح في ضبط الكلمة ودلالاتها وجمعها . قلت : كيف يكون الجوالق غرارة ، والغرارة أكبر في تعريفها . وفي القاموس : الجوالق بكسر الجيم واللام وبضم الجيم وفتح اللام وكسرها : وعاء .
الجِوالِق	الجُوالَق .	
الجُوالِق	وعاء من صوف أو شعر أو غيرهما ، كالغرارة . (ج) جَوالِقُ ، وجَواليق . (وهو عند العامة «شُوال») . (مع) .	
الإرْدَبّ	كَيْل كبير يستعمل في مصر لتقدير الحبوب . وهو ستّ وَيْبات . ويزن الإردب مائة وخمسين كيلوجرام . (ج) أرادب . (مع) .	جاء التعريف الأول للإردب في مادة (أرد) ، والتعريف الثاني في مادة (ردب) ، وكان من المستحسن أن يكتفي المعجم بتعريف واحد ، على أن يشير إليه في المادة الثانية ، إذا وجدت ضرورة للإشارة . ويضاف
الإرْدَبّ	مكيال يسع أربعة وعشرين صاعًا أو ستّ ويبات . (ج) أرادب .	

الى هذا : أن التعريفين جاءا مختلفين غير تامين ، مما يَدُلُّ على أنهما نقلا عن معجمين مختلفين ، دون ملاحظة ما بينهما من تفاوت ، مع العلم بأن أكثر المعاجم التي بين أيدينا عرفت الاردبّ في مادة (ردب) فقط .

وفي اللسان : الإرْدَبُّ : مكيال ضخم لأهل مصر ؛ قيل : يضم أربعة وعشرين صاعاً ، قال الشيخ أبو محمد ابن بري : قوله الإردَبُّ مكيالٌ ضخم لأهل مصر ، ليس بصحيح ، لأن الإردبَّ لا يكال به ، وإنما يكال بالوَيْبة ، والإردبّ بها ستٌّ ويبات ، الأزهري: الإردبّ مكيال معروف لأهل مصر ، يقال إنه يأخذ أربعة وعشرين صاعاً من الطعام بصاع النبي (ﷺ) ؛ والقَنْقَلُ : نصف الإردبّ . قال : والإردبّ أربعة وستُون مَنّاً بمنّ بلدنا .

ويلاحظ أن التعريف الأول عادلَ الإردبّ بـ « الكيلوغرام » وكان من كمال التعريف معادلته بوحدة الكيل الحديثة وهي (اللتر) ، دون وحدة

الوزن (الكيلو غرام) ، فإذا أريدت معادلة الإردبّ بوحدة من وحدات الوزن وجب التمييز لاختلاف الأشياء في وزنها النوعي .

وفي متن اللغة : الإردَبُّ «أو بضم»: كيل لأهل مصر يسع أربعة وعشرين صاعاً بصاع النبي ، وهذا الصاع خمسة أرطال وثلث بالبغدادي كما في المصباح ، فيكون بوزن اليوم على هذا ٣٩٫٥٨٨ كيلا (كيلوغرام) ؛ أو هو ست ويبات ، وهي أربعة وعشرون مُدًّا ، والمُدّ ربع الصاع النبوي فيكون الإردَبُّ على هـذا ٣٦ صاعاً أي ٥٩٫٣٨٢ كيلاً .

وفي دائرة المعارف الإسلامية : الإردَبُّ يعدل ١٩٧٫٧ لتراً أي نحو ٩٠ كيلو غراماً .

وفي دائرة المعارف للبستاني : يختلف الإردَبّ باختلاف مدن مصر بين ١٧٩ لتراً وبين ٢٨٢ لتراً . وعنـد

الأمير الشهابي : الإردب المصري يعدل ١٩٨ لتراً (١) .

ومما يلاحظ في تعريف المعجم الوسيط من أن : الإردَبّ يزن مائة وخمسين كيلوغرام ، نقص الإشارة إلى وجود اختلاف على سعة الإردبّ ، مما يؤدي إلى بعض النتائج الغريبة عند معادلة بقية المكاييل ، التي عرفها المعجم ، بالكيلوغرام .

الوَيْبَة	كَيلتان. والإردبُ ستُ ويْبات.	ينقص في هذا التعريف معادلة الويبة بوحدة للوزن أو الكيل متفق عليها ، أو القول بوجود اختلاف في تحديد سعتها ، على أنه عندما يكون الإردب المصري ١٩٨ لتراً ، تكون الوَيْبة ٣٣ لتراً . والتعريف ناقص أيضاً من حيث الإشارة إلى الكلمة هل هي مولّدة أو معربة .
المَلْوة	مكيالٌ مصريٌّ تكال به الحبوب ، ومقداره ربع كيلة ،	تعريف ناقص من حيث المعادلة مع وحدة الكيل المتفق عليها ، ومن حيث

(١) سألت الأمير الشهابي عن المرجع فأجاب : إن أوثق مرجع وأتمه في تحويل الموازين والمقاييس والمكاييل المصرية والفرنسية والإنكليزية ، هو في نظري الجداول التي وردت في الجزء الثاني من « كتاب الزراعة المصرية » المطبوع سنة ١٩١٨ م طبعة ثالثة في المطبعة الأميرية بالقاهرة . فمن المفيد مراجعتها عندما يطبع المعجم الوسيط طبعة ثانية .

أو ثلاثة كيلوجرامات ، أو نحو أقتين ونصف أقة .

الإشارة إلى الكلمة هل هي مولدة أو معربة .

وفي التاج : الملوة قدحان وهو نصف الربع (لغة مصرية) .

المُدّ مكيال قديم اختلف الفقهاء في تقديره بالكيل المصري ، فقدّره الشافعية بنصف قدح ، وقدره المالكية بنحو ذلك ، وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز ، وعند أهل العراق رطلان . (ج) أمداد ومِداد .

لم تذكر في هذا التعريف ، معادلة المدّ بوحدة النظام العشري ، وفي اللسان : المُدُّ ضرب من المكاييل وهو رُبع صاع ، وهو قَدْرُ مُدِّ النبي (ﷺ) ، والصاعُ : خمسة أرطال ؛ الجوهري : المُدُّ ، بالضم ، مكيال وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز والشافعي ، ورطلان عند أهل العراق وأبي حنيفة . قال ابن الأثير : ويروى بفتح الميم ، وقيل : إن أصل المدّ مقدّر بأن يَمُدَّ الرجل يديه فيملأ كفيه طعاماً . والجمع أمدادٌ ومِدَدٌ ومِدادٌ كثيرة ومِدَدةٌ .

وتقدير المُدّ ، بحسب الاختلاف المذكور ، يتراوح بين ٤٠٠ و ٧٠٠ غرام تقريباً كما في متن اللغة .

أقول : والمُدُّ في ديار الشام هو اليوم مكيال يكال به الحبوب والزيتون ،

تعادل سعته ١٨ لتراً أو ما يزن ١٨ كيلوغراماً من الحنطة المتوسطة الحجم ، أو ١٥ كيلوغراماً من الزيتون .

الصّاع | مكيال تكال به الحبوب ونحوُها ، وقدّره أهل الحجاز قديماً بأربعة أمداد ، أي بما يساوي عشرين ومائة وألف درهم . وقدّره أهل العراق قديماً بثمانية أرطال . (ج) أصْوُع ، وصُوعان ، وصيعان .

الصّاع في هذا التعريف مذكر ، وفي اللسان : الصّاع : يذكر ويؤنث ، فمن أنث قال : ثلاث أصْوُع مثل ثلاث أذْوُرٍ ، ومن ذكّره قال : أصواع مثل أثواب ، وقيل : جمعه أصْؤُعٌ ، وإن شئت أبدلتَ من الواو المضمومة همزة . وأصواعٌ وصيعانٌ . وسعة الصّاع بالوزن مختلف عليها ، وهي بحسب الأوزان العشرية تتراوح بين ١٥٤٥ غرام و ٢٨٠٠ غرام تقريباً ، كما في متن اللغة . وقال الداودي : معيار الصّاع الذي لا يختلف ، أربع حفنات بكفي الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما .

قلت : والصّاع اليوم عند فلاحي الشام هو نصف المُدّ الشامي الذي مر ذكره ، أي أنه يعادل ٩ لترات .

الكَيْلة	وعاء يكال به الحبوب ، ومقداره الآن ثمانية أقداح . (ج) كيلات .	تعريف الكيلة بمقدارها من الأقداح، ثم تعريف القدح بنسبته إلى الكيلة تجويل لما يستحسن أن لا يكون في معجم حديث . والكيلة في مصر تساوي اليوم ١٦ لتراً ونصف لتر . والقدح لترين و ٦٣ في الألف من اللتر .
القَدَح	ثمن الكيلة من الحبوب (مو) . (ج) أقداح .	
الكَيْلَجة	كيل لأهل العراق يسع مَنًا وسبعةَ أثمان مَنًا . (ج) كيالجة وكيالج .	في تعريف الكيلجة تصحيف صحته: يسع مَنًّا وسبعة أثمان المَنّ ، أو هو: يسع مَنًا وسبعة أثمان المَنَا . والمَنّ: كيل يكال به أو يوزن ، وهو المَنَا أو المناة . وفي اللسان : المَنَا: الكيل أو الميزان الذي يوزن به ، قال ابن سيده : وهو أفصح من المَنّ بلغة بني تميم . وقد أغفله المعجم الوسيط . والكيلجة تعادل اليوم ، كما في متن اللغة ، ١١٦٠ غرام ، أما المَنّ فالتبريزي منه يعادل ٢٥٢٥ غرام تقريباً ، والشاهي يعادل ٥٠٥٠ غرام ، والمنّ الطبي ـ وهو المقصود في التعريف ـ يعادل ٨١٦غرام، ودونه المَنُّ المصري فهو يعادل ٤١٢ غرام .
المَنُّ	معيار قديم كان يكال به أو يوزن ، وقدره إذ ذاك رطلان بغداديان ، والرطل عندهم اثنتا عشرة أوقية بأواقيهم .	

الخَطْرُ مكيال ضخم (لأهل الشام) . (ج) خطور وأخطار .

المَكُّوك مكيال يختلف مقداره باختلاف اصطلاح الناس عليه في البلاد ، قيل : يسع صاعاً ونصفاً .

الكُرُّ مكيال لأهل العراق ، أو ستون قفيزاً ، أو أربعون إردباً .

بينما يغفل المعجم الوسيط تعريف وحدة الكيل في النظام العشري الحديث وهي (اللتر) ، يذكر مكاييل قديمة ، دون أن يشير إلى انها كانت تستعمل في عصور خالية .

الدِّرْهَم جزء من اثنى عشر جزءاً من الأوقية . (ج) دراهم (مع) .

الأُوقية جزء من اثنى عشر جزءاً من الرطل المصري (ج) أواق . (مع) .

الرِّطْل معيار يوزن به أو يكال ، يختلف باختلاف البلاد ، وهو في مصر اثنتا عشرة أوقيّة ، والأوقيّة اثنا عشر درهماً . (ج) أرطال .

الأُقَّة ثقل قدره أربعمائة درهم ، أو ثمانية وأربعون ومئتان وألف جرام . (ج) أُقَق . (د) .

القِنْطار معيار مختلف المقدار عند الناس ، وهو بمصر في زماننا مائة رطل . (ج) قناطير .

ما برحت الموازين القديمة تستعمل في كثير من البلاد العربية ، وقد أثبت قسم من هذه البلاد ما يعادلها في النظام العشري (المتري) الذي يكاد يصبح عالمياً ، فكان من المفيد إثبات ذلك في المعجم الوسيط ، في تعريف كل معيار .

وهاكم هذه المعادلة في مصر :

الدرهم	٣٫١٢	غرام
الأوقية	٣٧٫٤٤	غرام
الرطل	٤٤٩٫٢٨	غرام
الأقة	١٫٢٤٨	كيلوغرام
القنطار	٤٤٫٩٢٨	كيلوغرام

أما في دمشق فالمعادلة هي :

الدرهم	٣٫٢	غرام
الأوقية	٢١٣٫٦	غرام

الأُقة :

(نصف الرطل) ١٫٢٨٢ كيلوغرام

الرطل ٢٫٥٦٥ كيلوغرام

القنطار :

(مائة رطل) ٢٥٦٫٥ كيلوغرام

واختلاف الأوزان بين مصر ودمشق كبير على ما هو واضح .

ومما نلاحظه في التعريفات المذكورة: اختلاف صياغتها بين تعريف وتعريف ، والاقتصار في جمع الدِّرهم على (دراهمَ) ، وبضبط فيه تصحيف وهو يجمع على (دراهيمُ) أيضاً ، وكذلك القول في تعريف الرطل : إنه يكال به ، والمعروف عن الرطل أنه معيارٌ للوزن فقط ، وفي تعريف الأُقة : جمعها أُقَق ، وهي قد تجمع على أُقات أيضاً .

وأخيراً نلاحظ إغفال المعجم الوسيط تعريف (الغرام) في مادة غرم أو في مادة جرم وهو الوحدة القياسية للوزن في النظام العشري ، وتمثل وزن سنتيمتر مكعب من الماء المقطر .

ثالثاً : تعريف وحدات النقود [1]

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
القِرْشُ	نوعٌ من النقد يتعاملُ به ؛ وقد اختلفت الأقطار في مقداره ، فهو جزء من مائة من الجنيه أو الليرة . (مع) .	لا مجال لنقد هـذا التعريف فهو محكم ، ولكن نحبّ أن نلاحظ أنه ورد في مادة (قرش) وفي هذه المادة : قرش الشيء جمعه من ها هنا وها هنا وضم بعضه الى بعض . ويقال قَرَش لعياله : كسب . وقرش من الطعام : أصاب منه قليلا . ويقال قرشَ في معيشته : ضيق . ويقال أقرَشَ لعياله : اكتسبَ . واقترش لأهله : جمع واكتسب . وتقرش فلان في معيشته : ضيق ، وتقرش لأهله وعياله : جمع واكتسب . على أن هذه المعاني الأصيلة لا تجعل من (القِرش) كلمة عربية إن كانت في أصلها معربة ، ولكن هذا الجو من معاني مادة (قرش) يوجب علينا أن نستبعد أي كلمة معربة أخرى ترادف الكلمة المبحوث فيها ، ككلمة (غِرش) ؛ وإذا كان في

(١) من المعروف أن للنقود أهمية كبرى في حياة الدول ، وقد تبدل الدولة نقدها أو أسماء الوحدات النقدية لديها ، ولكن لا نستطيع محو تلك الأسماء من تاريخ الفترة التي كانت متداولة فيها ، ولما كان النقد ، أو أسماء الوحدات النقدية في العصر الحاضر تختلف باختلاف الدول العربية ، وجب علينا أن نلقي نظرة على أسماء الوحدات النقدية المتداولة في البلاد العربية ، كما أوردها المعجم الوسيط .

		البلاد العربية من لايزال الى اليوم يسمي القرش غرشاً) استمراراً للتسمية التركية، فكان من المستحسن أن يشير المعجم عند تعريفه القرش الى أنه: ويسمى (الغرش) .
الغِرْش	(من المسكوكات): القرش . (مع) . (ج) غُروش . انظر (ق ر ش) .	لما كانت مادة (غرش) غير موجودة في المعجم ؟ نرى تعريف (الغرش) فيه غير ضروري ، ويمكن أن يكتفى بكلمة : انظر (ق ر ش) . ونلاحظ أن المعجم استعمل تعبير (المسكوكات) بمعنى النقد المضروب من المعادن ، دون أن يشير الى هذا المعنى في مادة (صكك) . ولعله أراد (المسكوكات) فجاءت مصحفة .
الرِّيال	نقد فضي تساوي في مصر عشرين قرشاً . (د) .	ما أدري لماذا اعتبر (الريال) مؤنثاً في هذا التعريف . ولماذا لم يعرّف كما عرف (القرش) ، والريال يعتبر عملة رسمية في بعض البلدان العربية .
الدِّينار	نقد ذهبي كانت قيمته في الدولة الإسلامية حول مايعادل الآن خمسين (قرشاً) .	لماذا لا نعرف الدينار تعريفاً يدخل في مفهومه الدينار الذي هو نقد رسمي لأكثر من دولتين من الدول العربية في العصر الحديث ؟ ولأي عصر من عصور الدولة الإسلامية يعود تقدير قيمة الدينار في هذا التعريف ؟ وأي (قرش) هو المقصود في التعريف ؟ ما دام تعريف القرش لم يكن تعريفاً خاصاً بقرش معين ؟

(يتبع)

عدنان الخطيب

المقـدمة

من كتاب المسائل والأجوبة

« مسألة رُبَّ »

- ٣ -

« باب ذكر المواضع التي وقعت فيها (رب) بمعنى التكثير على طريق المجاز »

إنما تأتي « رب » بمعنى التكثير في معظم أحوالها في المواضع التي يذهب فيها الى الافتخار والمباهاة كقول القائل : « رب عالم لقيت ، ورب يوم سرور شهدت » لأن الافتخار لا يكون إلا بما كثر من الأمور في الغالب من أحواله وقد يكون لقاء الرجل الواحد أذهب في الفخر من لقاء الجماعة ، ولكن الأول هو الأكثر فمن ذلك قول امرئ القيس :

ألا رب يوم صالح لك منهما ولا سيما يوم بدارة جلجل (١)

وقوله :

فان أمس مكروباً فيارب بُهْمة كشفت إذا ما اسود وجه جبان
وان أمس مكروباً فيارب قنية منعمة أعملتها بكران (٢)

(١) هكذا في المخطوطة ، أما رواية الديوان وشرح المعلقات للتبريزي .
الا رب يوم لك منهن صالح .. ..
(٢) هكذا في الديوان ، أما المخطوطة : وان أمس مكروبا فيارب منية
ومطلع القصيدة :
لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يمان

وقوله :

وخرقٍ بعيد قد قطعت نياطه على ذات لوث سهوة المشي مذعان
وبحر كفلاث الانيعم بالغ ديار العدو ذي زهاء وأركان (١)

فهذه مواضع لا يليق بها إلا التكثير . وكذلك قول أبي كبير الهذلي (٢) :

أزهير إن يشب القذال فانه رُبْ هيضل لجب لففت بهيضَل (٣)

وكذلك قول أبي عطاء السندي يرثي عمر بن هبيرة الفزاري (٤) :

فان تمس مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود

وهذا النوع من الشعر كثير جداً . والفرق بين هذا الباب والباب الأول ، أن الأول حقيقة « رب » وهذا الباب مجاز يعرض لها كما يعرض للمدح أن يخرج مخرج الذم ، وللذم أن يخرج مخرج المدح ، وللتذكير أن يخرج مخرج التأنيث وللتأنيث أن يخرج مخرج التذكير كما ذكرنا في الباب الأول ، ومن الفرق بينهما أن « كم » يصلح استعمالها في هذا الباب مكان « رب » ولا يصلح ذلك في الباب الأول . ولذلك نجد المعنى الواحد في هذا الباب يأتي بلفظ التقليل

(١) هكذا في الديوان ، أما رواية المخطوطة :

وخرق بعيد قد قطعت نياطه على ذات لوث سمرة المشي مذعان
وتجر كفلاب الانيعم بالغ ديار العدو ذي زهاء وأركان

ومطلع القصيدة :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان

(٢) هو أبو كبير الهذلي عامر بن الحليس من شعراء الحماسة . أنظر التبريزي ٤١/١ خزانة الأدب ٤٧٣/٣ ، الشعر والشعراء ٢٥٧ ، سمط اللآلي ٣٨٧ .

(٣) هكذا في « اللسان » أما في المخطوطة : « رب هضل لجب لففت بهضل » .

(٤) هو أفلح بن يسار سندي أبو عطاء ، شاعر فحل ، من مخضرمي الدولتين أنظر فوات الوفيات ٢٧٣/١ التبريزي ٣٠/١ الخزانة ١٧٠/٤ ذكر ابن قتيبة : قيل اسمه مرزوق .

مرة وبلفظ التكثير مرة كقول رجل من بني فقعس أنشد أبو تمام في الحماسة :

وذوي طبـاب مظهرين عداوة . . . . . الأفناد (١)

ناصبتهم بغضـاءهم وتركتهم ولقد يجاء إلى ذوي الأحقاد

وقال ربيعة بن مقروم (٢) في نحو من هذا الشعر أنشده أبو تمام :

وكم من حامل لي ضب ضغن بعيد قلبـه حلو اللسان

ولكني وصلت الحبل منـه مواصلة بحبـل أبي بيان

فغرض الشاعر في هذا الشعر واحد . وقد أخرج أحدهما بلفظ التقليل ، وأخرج الآخر بلفظ التكثير فدل ذلك على أن « كم » و « رب » يتعاقبان على الشيء الواحد في هذا الباب . وربما جمعهما الشاعر في شعر واحد كقول عمارة بن عقيل (٣) :

فان تكن الأيام شيبن مفرقي وأكثرن أشجاني وبلغن من غرب

فيارب يوم قد شربت بمشرب شفيت به غيم الصدى بارد عذب

وكم ليلة قد بتهـا غير آثم بساجية الحجلين مفعمة القُلب

ألا تراه قد أورد تكثير أيامه ولياليه فأخرج بعض ذلك بلفظ « رب » وبعضه بلفظ « كم » ورأى الأمرين سواء ، فان قال قائل : إذا كانت « رب » في أصل وضعها وحقيقتها للتقليل نقيضة « كم » فما الوجه في استعمالهم إياها في مواضع التكثير التي لا تليق إلا بكم ؟

(١) لم ترد الأبيات في حماسة أبي تمام إلى أي من الفقعسيين .

(٢) الصحيح هو : يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ . أنظر الخزانة ٢/٢١٢ ، إرشاد الأريب ٧/٢٩٧ ، الشعر والشعراء ٢١٩ .

(٣) هو عمـارة بن عقيل بن بلال بن جرير المتوفي سنـة ٢٣٩ هـ أنظر تاريخ بغداد ١٢/٢٨٢ .

فالجواب أن ذلك لأغراض يقصدونها :[فمنها أن المفتخر يزعم أن الشيء الذي يكثر وجوده من غيره وذلك أبلغ في الامتداح والفخر من أن يكثر من غيره ككثرته منه فاستعيرت لفظة التقليل في موضع التكثير إشعاراً بهذا المعنى كما استعيرت ألفاظ الذم في موضوع المدح][1]: أخزاه الله ما أشعره ، ولعنه الله ما أفصحه ، إشعاراً بأن الممدوح قد حصل في مرتبة من يشتم حسداً له على فضله ، لأن الفاضل هو الذي يحسد ويوقع في الناقص لا يلتفت اليه وقد خرج الشاعر بهذا في قوله :

ولا خلوت الدهر من حاسد وإنما الفاضل من يحسد

ولذلك قال بعض العرب : السيد من إذا أقبل هِمْنا وإذا أدبر عِبْنا .

وكذلك استعار ألفاظ المدح في موضع الذم فيكون ذلك أشد على المذموم بلفظ الذم بعينه ، لأن في ذلك مع الذم نوعاً من الهزء كقولهم للأحمق : يا عاقل وللجاهل : يا عالم . وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم ، فكذلك إذا استعيرت لفظة التقليل مكان التكثير كان أبلغ من لفظ التكثير المحض ، ولو وقع ههنا . وكذلك يستعيرون « كم » في موضع التقليل على وجه الهزء فيقولون : كم بطل قتل زيد ، وكم ضيف قرى ، وهو لم يقتل بطلاً قط ولم يقر ضيفاً فيكون أبلغ من قولهم : هو جبان وهو جواد . ويدل على أن هذا غرضهم في ذكر « رب » في هذا الموضع أنهم قد خرجوا به في مواضع كثيرة من أشعارهم كقول سالم بن وابصة :

ومَوقف مثل حد السيف قمت به أحمي الذمار وترميني به الحدق

فما زلقت ولا أبديت فاحشة إذا الرجال على أمثالها زلقوا [2]

---

(١) كذا في الأصل . (المجة)

(٢) هكذا في التبريزي ٢٣٦/٢ ، أما في المخطوطة :

فما زلقت ولا أبليت فاحشة .. ..

ألا تراه يفتخر بأن هذا الموقف يكثر منه مع قلة وجوده من غيره .
ومثله قول الآخر :

يارب ليلة هول قد مررت بها إذا تضجع عنها العاجز الوكلُ

وكذلك قول العجاج[1] :

ومهمه هالك من تعرجا هائلة أهواله من أدرجا
إذا رداء ليلة قد جدجا علوت أحشاه إذا ما أحنجا[2]

ونظير هذا في أن له نسبتين مختلفتين : نسبته كثرة الى المفتخر ونسبة قلة الى من يعجز عنه فيأتي تارة على نسبة القلة بلفظ «رب» انهم إذا سموا رجلاً بالحارث والعباس والحسن ونحو ذلك من الصفات فربما أقروا فيها الألف واللام مراعاة لمذهب الصفة التي انتقلت عنها ، وربما حذفوا الألف واللام مراعاة لمذهب العلم الذي صارت إليه ، فتكون نسبتان مختلفتان تأتي إحداهما تارة والأخرى تارة ، ونظير اجتماع القلة والكثرة في هذا الباب بغرض من الأغراض اجتماع الشك واليقين في قولهم : قد علمتُ أزيد عندك أم عمرو ، وهذا كلام طريف عن ظاهره ، لأن الذي يدعي العلم لا يستفهم ، والذي يستفهم لا يدعي العلم ، وإذا تأويله قد علمت ما يستفهم غيره عنه . فهذا وجه من وجوه التقليل في هذه الأشياء . وقد يدخلها معنى التقليل على وجه آخر وهو أن القائل قد يقول : (رب عالم قد لقيت) وهو قد لقي كثيراً من العلماء ولكنه يقلل من لقيه تواضعاً ،

(١) هو عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي ، راجز مشهور . أنظر شرح المغني ص ١٨ ، الشعر والشعراء ص ٢٣٠ .
(٢) ورد البيتان في ديوان العجاج على النحو الآتي :

عمراً وخضنا عيشه المذلجا ومهمه هالك من تعرّجا
هائلة أهواله من أدلجا اذا رداء ليلةٍ تدجدجا

ومطلع الأرجوزة :

ماهاج أحزاناً وشجواً قد شجا من طلل كالأتحمي أنهجا

ويكون أبلغ من التكثير ، لأن الإنسان إذا حقر نفسه تواضعاً ثم افتخر فوجد أعظم مما يقول جل قدره . وإذا عظم نفسه وأنزلها فوق منزلتها ثم امتحن فوجد دون ذلك هان على من كان يعظمه . فهذا وجه من التقليل الذي يستعمل في هذه المسائل التي معانيها معاني الكثرة ، وقد يدخلها التقليل على معنى ثالث وهو قول الرجل لصاحبه : (لا تعاودني فربما ندمت) وهذا موضع ينبغي أن تكثر فيه الندامة وليس بموضع تقليل وإنما تأويله أن الندامة على هذا لو كانت قليلة لوجب أن تخاف ما يؤدي إليها فكيف وهي كثيرة ، فصار لفظ هذا أبلغ من التصريح بلفظ التكثير . وعلى هذا تأول النحويون قول الله تعالى : «ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين»[1] . وعلى نحو هذا يتأول قول امرئ القيس :

ألا رب يوم صالح لك منهما ولا سيما يوم بدارة جلجل

وقول أبي كبير الهذلي :

أزهير إن يشب القذال فانه رُبَّ هيضل لجب لففتُ بهيضلِ

فإن استعارة لفظ التقليل ههنا إشارة إلى أن قليل هذا فيه فخر لفاعله فكيف كثيره . وأما قول أبي عطاء السندي في رثاء عمر بن هبيرة الفزاري :

فإن تمس مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود

فقد يتأول على نحو هذا المعنى ويحتمل أن يريد أن مدة حياته التي كثرت عليه فيها الوفود كانت قليلة . فعلى نحو هذه التأويلات تأول النحويون الذين أصلوا أن (رب) للتقليل هذه الأشياء التي ظاهرها التكثير . ومن قال في هذا الموضع إنها للتكثير تلقى الكلام على ظاهره ولم يدقق الكلام فيها هذا التدقيق ولم يقسمها إلى الحقيقة والمجاز كما فعلنا نحن والحمد لله كثيراً لما هو أهله .

(١) سورة الحجر ، الآية ٢ .

فهرس مراجع التحقيق والشرح

ارشاد الأريب ، لياقوت (مركوليوث) .

خزانة الأدب ، للبغدادي (بولاق ١٢٩٩) .

ديوان الأخطل (بيروت ١٨٩١ م) .

ديوان الأعشى (فينا ١٩٢٧ م) .

ديوان امرئ القيس (سلسلة ذخائر العرب) .

ديوان أبي تمام (بيروت ١٣٢٣) .

ديوان جرير (نشر الصاوي) .

ديوان حاتم الطائي (من مجموع خمسة دواوين) .

شرح التبريزي على الحماسة (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) .

ديوان ذي الرمة (كمبردج ١٩١٩ م) .

ديوان العجاج (ليبسك ١٩٠٢ م) .

ديوان الفرزدق (نشر الصاوي) ١٣٥٤ هـ) .

ديوان المتنبي (شرح العكبري) .

سمط اللآلئ للراجكوتي (لجنة التأليف ١٣٥٤) .

شواهد شروح الألفية للعيني (بهامش خزانة الأدب) .

شرح مقامات الحريري للشريشي (بولاق ١٣٠٠) .

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (الحلبي ١٣٢٩) .

شروح سقط الزند (صنع لجنة إحياء آثار أبي العلاء : طبع دار الكتب ١٩٤٥ - ١٩٤٩)

الشعر والشعراء لابن قتيبة (ليدن ١٩٠٢ م) .
الكامل للمبرد (تحقيق زكي مبارك وأحمد محمود شاكر) .
كتاب سيبويه (بولاق ١٣١٦) .
لسان العرب (طبع صادر) .
مجمع الأمثال للميداني (البهية ١٣٤٢) .
معجم الشعراء للمرزباني (القدسي ١٣٥٤) .
المؤتلف والمختلف للآمدي (القدسي ١٣٥٤) .
الموشح للمرزباني (السلفية ١٣٤٣) .
نزهة الألباء لابن الأنباري (تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ١٩٥٩ م) .
نكت الهميان للصفدي (القاهرة ١٩١٠ م) .

الدكتور ابراهيم السامرائي

التعريف والنقد

قضايانا في الأمم المتحدة

وضعه الأستاذ خيري حماد ، ونشره الأستاذ زهير البعلبكي

صاحب المكتب التجاري للنشر : بيروت

الكتاب كبير في قطعه وحجمه ، يقع في خمس مئة وأربعين صفحة . جليل موضوعه ، جزيلة فوائده ، دقيقة ووثيقة بحوثه .

نزّهه صاحبه عن أن يُهديه الى مُملّك كان هو أو كان سلفه مطية للاستعمار ، تحت ستار العروبة والاستقلال ، فأهداه :

« الى العربي المؤمن بوطنه وشعبه ، الواثق من نفسه وطاقاته ،

الى العربي الذي يدرك أن طريق النصر شاق وطويل ...

الى العربي الذي يرى أن سبيله مليء بالأشواك ، طافح بالعقبات ، ولكنه يعتزم أن يمضي فيه وقد شحذ عزيمته ، وآمن بوطنه ، ليصل الى غايته المنشودة في الحرية والوحدة .. »

ثم يُلِم في مقدمته بحياة « الأمم المتحدة » وبالمكانة التي تحتلها ، وانها « غدت قوة مؤثرة فعّالة في حل المنازعات الدولية ... وتوجيه التيارات الجديدة في ميادين السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والقانون الدولي » .

« وانها المنبر الحر ، الذي يستطيع ممثل كل دولة أن يعلن على منصته ما يشاء دون خوف أو خشية ، أو تعرض الى حساب أو عقاب » على افتقار هذه المنظمة حتى هذه اللحظة الى الجهاز الفعّال أو الوسيلة اللازمة لتنفيذ قراراتها ... »

ويذكر نشأتها الأولى سنة ١٩٤٢ ، يوم أطلق عليها روزفلت اسم : «الأمم المتحدة» وكانت مؤلفة من ست وعشرين دولة ، وكيف انتهى بها العدد بعد ذلك الى مئة وأربع دول .

ثم يعود الى قضايانا فيقول :

انها أكثر من أن تعد وتحصى . وكلها مع الاستعمار الذي جعل من وطننا العربي الكبير ، مسرحاً يمارس فيه سلطانه ، ويطبق فيه نظرياته القائمة على السيطرة والاستغلال ، واستنزاف الموارد ، وتأمين المصالح على اختلاف صورها وأشكالها .

وبعد هذا ، يلقي المؤلف نظرة مجملة على الوضع العربي الحاضر ، في مختلف البلاد العربية فلا يغفل ما وقع في العراق ، وفي الشام : سورية ولبنان والأردن ، ولا ما وقع في المغرب وتونس . ثم يخص فلسطين والجزائر وعمان : الأقطار العربية الثلاثة التي نكبها الاستعمار نكبة أصابت كل عربي في الصميم . ويقدم لكل قطر من هذه الأقطار عرضاً موجزاً ، يعقب بعده ببسط واف جامع ، ويتوسع في الكلام على فلسطين ، فيكشف عن أسرارها ، ما كان خافياً ومجهولاً ، ويتوجع عليها توجع الوحيد فقد أهله وإخوانه ، والوطني أزعج عن وطنه ، وسلب داره وملكه .

وتقرأ في صفحات الكتاب ما كان عليه رجال الاستعمار من حقارة وصغارة ، وكذب وتضليل . وما كان عليه العرب ولا سيما المسؤولين منهم من غفلة واستخذاء أمام الاستعمار .

والكتاب أجل من أن تفيه حقه مقالة تكتب فيه ، فمن حقه أن يقرأ من أوله الى آخره ، قراءة مدارسة وتدبر . لعله تقوم للعرب في يوم من الأيام ، ثورة جبارة ، تعيد اليهم حقهم السليب ، في بلدهم الحبيب .

تحقيقات (بلدانية ـ تاريخية ـ أثرية)

في شرق الموصل

رسالة قيمة أخرجها الأستاذ المحقق كوركيس عوّاد : مدير المتحف العراقي ببغداد . والأستاذ العوّاد مشهور ببحوثه وتحقيقاته العميقة الدقيقة . وقد جرى في رسالته هذه على عادته في التنقيب والتحقيق ، وبعث دفائن الكنوز التاريخية والعلمية ، بأسلوبه الصحيح الفصيح . تناول بحثه هذا على ما قال في مطلع كلامه :

« بقعة من العراق ، لها في الماضي تاريخ طويل حافل بالأحداث ، وهي في الحاضر عامرة آهلة بالسكان في كثير من أقسامها » .

قال :

« وفي هذه المنطقة مواطن للآثار كثيرة ، ومدن وقرى قائمة عامرة ، يسكنها أقوام من العرب والارآميين والتركمان والأكراد ، ويتكلمون بلغات شتى : العربية ، والسورث (الارامية العامية) والتركمانية والكردية »

« ومن هذه المواضع ، ما يرقى زمنه الى عصور ما قبل التاريخ ، ومنها ما ازدهر في أيام الاشوريين والخوريين ، وغيرهم من الشعوب القديمة . ومنها ما علا شأنه في العصور الإسلامية فما بعدها . »

هذه النُبذة الموجزة من المقدمة الممتعة التي مهد بها الأستاذ لتحقيقاته ، تبين لنا شيئاً من قيمة هذه الرسالة التي لا غنى عنها لباحث ومؤرخ ، يكتب عن العراق خاصة وعن بلاد العرب عامة .

عدّد القرى والبلدان ، مرتبة على حروف المعجم ، وضبط ألفاظها ، وفسر معاني ما هو غير عربي منها . وألم بتاريخ كثير منها وما قيل فيه . ونوّه بما كشف عن آثار ، كل ذلك بترتيب وتبويب تسهل معه المراجعة .

فالشكر للأستاذ المفضال الذي أضاف بحثه لدقيق المفيد ، الى ما سبق من فضل له على العلم وأهله .

عارف النكدي

النبوغ المغربي في الأدب العربي
للأستاذ عبد الله كنون

في ثلاثة أجزاء . الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة ــ دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٦١

يثير عنوان مثل هذا الكتاب القيّم لوهلة الأولى في ذهن المتتبعين للتأريخ الأدبي وللدراسات النقدية المعاصرة حديث ما بين التراث الأدبي من تباين يعود إلى الأرض التي نبت فيها ، والإقليم الذي نشأ فيه ، ومظاهر البيئة المادية الأخرى التي كانت مهاداً له وغذاء .. ومدى ما يمكن أن يجرّ اليه هذا التباين وما يكون من أثره على الدراسات الأدبية وانقسامها بين أجزاء هذا التراث أو التحامها مع التراث كله تنظر فيه النظرة الجامعة على أنه وحدة كاملة ، ما بينه من نقاط الالتقاء والتمازج في المصادر والموارد أكثر مما بينه من نقاط الافتراق والتباين .

وقد كانت تلك نظرةً لم تغب عن أذهان نقادنا القدامى والمحدثين .. فأما القدامى منهم فما أكثر ما لحوا الأثر الاقليمي وما أكثر ما أشاروا اليه .. لحه الجرجاني في الوساطة حين تحدث عن لين شعر عدي بن زيد .. ونظر إليه الثعالبي حين ألّف اليتيمة فجعلها أجزاء موزعة على أنحاء من العالم الإسلامي ، وتابعه الذين مضوا من بعده على سننه في التذييل على اليتيمة ، صنيع الباخرزي في دمية القصر ، والاصفهاني في الخريدة .

وأما المحدثون منهم فقد كانت لهم في ذلك وقفات طويلة .. ذلك أن دراساتنا الأدبية وعملنا في التأريخ الأدبي تأثر بما كان من أساليب هذه الدراسات ومناهج هذا التأريخ في الآداب الغربية ، غير أن هذه الوقفات لم تتخذ شكل نظرية كاملة لها من يردّها إلى أصولها ، ويكشف عن مبرراتها ، ويدعو إلى تطبيقها

كما اتخذته في كتاب الأستاذ الجليل أمين الخولي أصدره منذ حين طويل بعنوان « في الأدب المصري ، فكرة ومنهج »

وكان الكتاب ، على حدّ عنوانه ، دعوة فكرية صارخة إلى الأخذ بالنهج الإقليمي في تأريخ الأدب العربي الطويل والنظر فيه على أساس من اعتبار المؤثرات الاقليمية هي وحدها التي تملك من القدرة على طبع الأدب بطابعها ما لا تملك غيرها من المؤثرات مجتمعة .

ولسنا نحتاج أن نفصل القول في شأن هذه الدعوة وخطرها ، وما كان لها من إثارة وتفتيح ، وما كان حولها من نقد وردّ . . ولكننا نحب أن نقول ان هذا الذي يثيره عنوان مثل هذا الكتاب القيّم الذي نتحدث عنه كان موطن تنبّه ذكيّ من المؤلف حين أشار في الفقرة الأولى من المقدمة إلى أنه لم يكن يهدف من عمله « إلى تمييز أدب المغرب بميزة ليست في الأدب العربي العام ، ولا إلى تخصيصه ببحث مستقل يجعله في نظر المغاربة أو غيرهم كتاباً خاصاً بأدب قطر من أقطار العروبة على حدته » .

وكذلك يبدو الكتاب في هذا النحو عملاً أدبياً في نطاق الأدب العربي العام يهدف إلى التسجيل بأكثر مما يهدف إلى التمييز ، ويريد أن يكشف عن هذا المجهول بأكثر مما يريد أن يكشف لهذا المجهول عن خصائص ينفرد بها من دون غيره من أجزاء التراث العربي الضخم في الأقطار الإسلامية المختلفة .

— ٢ —

والكتاب ، بين أيدينا ، في طبعته الثانية . . كانت طبعته الأولى منذ نحو من ربع قرن في جزئين : أحدهما عرض لتأريخ هذا الأدب المغربي والآخر طائفة من النصوص التي تساند هذا العرض التاريخي . . غير أنَ طبعته

الجديدة هذه جاءت في ثلاثة أجزاء لأن المؤلف شعّب الجزء الثاني في جزئين ، واحد للمختارات النثرية وآخر للمختارات الشعرية .

ولكن ذلك لم يكن وحده هو الذي أصاب الكتاب خلال خمسة وعشرين عاماً لأن المؤلف ، فيما يبدو ، لم يقطع صلته بمؤلّفه ، ولم يغفل عنه .. فقد كانت قيمة الكتاب في ذاتها وكانت قيمته في التقدير الذي لقيه دافعاً إلى أن يظلّ المؤلف ينظر فيه ، تنمية وإغناء .. وقد حقق من ذلك الشيء الكثير حين أضاف في الطبعة الجديدة « المواد الجديدة التي وقف عليها بعدُ ، سواء فيما يرجع إلى تراجم الأشخاص أو الآثار الأدبية ، أو الدراسات الموضوعية التي تناولها في مختلف العصور[1] » ؛ وصحح « بعض الأغلاط التي وقعت في كتابة بعض التراجم ونسبة بعض الآثار الأدبية والعلمية لغير مَنْ هي له[1] » والتي تابعه عليها أولئك الذين أفادوا منه ؛ وحرّر بعض الفصول من « التأثير السياسي والعاطفي الذي كتبت به نتيجة لما كان المغرب يمرّ فيه من ظروف سياسية وأحوال اجتماعية معاكسة لمطامحه العليا وآماله الكبرى في الوحدة والاستقلال والتطوّر داخل العروبة والإسلام ..[1] » ؛ وحوّر في تصميم الكتاب حين « أعاد كتابة العصر الموحدي من جديد كما كتب العصر المرابطي كله ابتداء[1] ... » ؛ وفصل ما بين المختارات الشعرية والنثرية .

وما من شك في أن هذه التحريرات ، أو أكثرها ، تلقي الضوء على ما كان من ظروف تأليف الكتاب ومن انطباع المؤلف بهذه الظروف وخضوعه لها .. كان المغرب ، على حدّ تعبير المؤلف ، يمرّ في ظروف سياسية وأحوال اجتماعية معاكسة لمطامحه العليا ، فجاء الكتاب ـ وهو كتاب تأريخ للأدب المغربي

(١) الصفحات ١١ ـ ١٢ من الجزء الأول .

وكشف عن رجاله – « يحمل ، كما سنحت الفرصة على هذه السياسة حملة شعواء ويوجه القارئ المغربي في الاتجاه السليم الجافي لهذه العنصرية القيتة ، والذي هو الحق والصواب . فالآن لمّا شالت نعامة الاستعمار ، وفشلت سياسته في هذا الصدد لم يبق موجب لذلك التوجيه ، أو على الأقل للهجة الشديدة التي كتب بها ذلك التوجيه [1] » .

وما يشك أحد فيما تفعل الظروف بالمؤلفين ، وقد تكون روح البحث المجرّد هي الروح التي يجب أن تسيطر على كلّ تأليف ، ولكنهم قلائل أولئك الذين ينجون من تأثير هذه الظروف ويتغلبون عليها .

– ٣ –

وقيمة الكتاب قيمة مزدوجة .. تبدو مرة في دراساته عن العصور الأدبية في المغرب في الجزء الأول ، وتبدو مرات في النصوص التي دعم بها هذه الدراسات في الجزئين الثاني والثالث .. وإني لأجد من الوفاء أن أشيد بهذه النصوص .. ذلك أن أهميتها ليست في الذي يكون من فضلها في إيضاح الدراسة الأدبية فحسب وإنما تأتي أهميتها من أن المؤلف استطاع أن يجمعها فيحسن جمعها ، وأن يختارها فيوفق في اختيارها ، وأن يقع عليها في الكثير من المجاميع والمخطوطات التي لا يسهل الوصول إليها .. إن مصادره في هذه النصوص مصادر أصيلة من نحو ونادرة من نحو آخر ، فقد مكنت له ثقافته الواسعة واطلاعاته المتنوعة أن يفوز بالكثير من هذه المصادر المخطوطة النفيسة في خزائن الكتب النادرة ، ما يعود منها إلى الخزائن العامة أو إلى الخزائن الخاصة .

والمؤلف يضيف إلى هذه المصادر المطبوعة والمخطوطة مصادر أخرى في هذه

---

(١) صفحات ١١ – ١٢ من الجزء الأول .

المصادر الشفوية التي يشير إليها في مقدمة الكتاب حين يقول انه تتبع أخبار أدباء المغرب وعلمائه ، «مما وقفتُ عليه في الكتب والأوراق وا لحافظ أو تلقفته من أفواه المشايخ والأدباء والأقران .. [1]» .

والحق أن أكثر ما نحتاج إليه في دراساتنا الأدبية إنما هو هذه المصادر التي تؤيد هذه الدراسات ، والنصوص التي تساعد على إقامتها ، وقد يكون الرأي الأدبي موطن جدل أو موضع نقاش ، ولكن يظلّ النص الأدبي هو المصدر الأصيل لهذه الآراء والنظرات ، والحكم العدل في هذا الجدل والنقاش .

— ٤ —

وقد رتّب المؤلف نصوصه النثرية في الجزء الثاني ترتيباً خاصاً بدأها بالتحميدات والصلوات ، ثم ثنّى بالخطب ، فالمناظرات ، ثم جاءت بعد ذلك الرسائل والمقامات وانتهت هذه النصوص بالمحاضرات والمقالات .

أما المختارات الشعرية فقد بدأها بالحماسة والفخر ثم بالغزل والنسيب ، فالوصف ، فالآداب والوصايا والحكم ، فالملح والظرف ، فالرثاء وذكر الموت ، وتأتي الموشحات والأزجال في الخاتمة «جمعاً للنظائر وعناية بهذا النوع من الأدب المنظوم ، إذ كان يمثل حركة التجديد في الأدب العربي عامةً على النطاقين الخاص والعامي» .

وما من شك في أن في إيراد هذه النصوص على هذا النحو نوعاً من الاجتهاد ، قد يقابله أو يكمله أن تساق هذه النصوص ، في نطاق هذه الأبواب ، مساقاً زمنياً بمعنى أن يتبع في التبويب خطان اثنان : أولهما الأغراض التي قيلت فيها هذه النصوص ، والآخر التسلسل الزمني الذي تتابعت فيه . ومثل هذا الاتجاه كفيل في أن يكون في ذهن القارئ عن كل واحد من هذه الأغراض الشعرية والنثرية صورة من تطوره الذي مضى فيه ووجهته التي سار عليها .

(١) الصفحة ٨ من الجزء الأول .

— ٥ —

إن مثل هذا الكتاب القيّم جدير أن ينزل منزله من المكتبة العربية الأدبية ، وفي هذه الأيام التي يتلاق فيها الوطن العربي بوجه خاص . . وما يشك الذين يرقبون دراساتنا الأدبية في المعاهد والجامعات ، وفي برامج التعليم الإعدادي والثانوي أنّ الذي نعرضه في هذه البرامج لا يجاوز المشرق وان الذي نتوقف عنده من تلك الدراسات لا يكاد يجاوز المشرق إلاّ في التقليل . . وإذا كان هنالك ظروف محرجة هي التي فرضت على هذه الدراسات مثل هذا القصور أو الضمور فان الوفاء بحق هذه الدراسات من نحو أدبي والوفاء بحق اخواننا وأشقائنا من نحو آخر قومي ، والوفاء لتراثنا واستكمال أجزائه وأقسامه ، ما اقترب منها أو تباعد ، انما هو واجب تلقيه الأقدار على عاتق الباحثين في هذا الجيل .

ولقد نهض الأستاذ العلامة «عبد الله كنون» بهذا الواجب على مثل هذا النحو الذي رأيت ، وبذل جهده في سبيله منذ كان يافعاً «لم يبقل عارضه بعد» وقدّم للمشتغلين بالأدب والدارسين له ثمرة شهية هي في جملتها موسوعة طيبة أفنى فيها الكثير من الوقت .

أليس مثل هذا الجهد جديراً بتحية إكبار وتقدير على بعد الدار للأستاذ الذي لا يني يبعث آثار المغرب ويعرّف بها ، ويردّ إلى أسلافنا بعض فضلهم علينا .

لقد أخذت كتب كثيرة من تراث المغرب الأدبي طريقها إلى النشر ، ومهما تبلغ هذه الحركة من تقدم فسيظلّ الكتاب النبوغ المغربي قيمته وأهميته ، وسيطبع مرات ، وسيقدر للأستاذ كنون أن يغني نصوصه ونظراته بفضل ما سيقع عليه ، وإني لأتمنى أن تكون طبعته التالية باشراف الأستاذ نفسه فقد طبع في هذه المرة في بيروت بعيداً عنه ، وعلى العناية التي بذلت في الطبع فقد جاءت فيه بعض الأخطاء ، وعلى تنبيه المصححين إلى هذه الأخطاء فقد ندّت عنهم منها أشياء آثر المصححون أن يقولوا عنها « وثم أغلاط أخرى تتعلق بالشكل لم نتعرض لها وهي لا تخفى على القارئ اللبيب » .

شكري فيصل



الأستاذ أحمد لطفي السيّد

(۱۸۷۲ – ۱۹٦۳ م)

الأستاذ أحمد لطفي السيّد

(١٨٧٢ ـــ ١٩٦٣ م)

فقد العالم العربي في شهر آذار الفائت عالماً كبيراً ، وفيلسوفاً نابهاً ، ومفكراً عميق التفكير ، ومربياً جليل الأثر ، هو المرحوم أحمد لطفي السيد رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة .

والذي يتتبع حياة هذا الرجل الكبير يلمح فيها ثلاثة أمور هامة تتجلى في الصحافة والسياسة والفلسفة .

ففي عالم الصحافة أسس صحيفة « الجريدة » في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى ، لكنه اضطر الى إغلاقها يوم أن اشتدت رقابة الإنكليز عليها عام ١٩١٥ ؛ وكانت هذه الجريدة ، على قصر عمرها ، معرضاً لأفكار أحمد لطفي السيد ، وكانت هذه الأفكار كنزاً ثميناً بما حوت من تفكير جديد ، ورأي سديد ، وتوجيه حميد .

أما في السياسة فكان محله بارزاً وموضعه ظاهراً في كل الأحداث السياسية التي تعاقبت على مصر في عهد الاحتلال ، ولقد اختير عضواً في الوفد المصري بزعامة سعد زغلول على أثر الحرب العالمية الأولى ، وهو اختيار يدل على مكانة الرجل الفيلسوف في الحركة الوطنية .

وأما الفلسفة فكانت ميدانه الرحب الذي عرف به وأضيف الى اسمه في كل مناسبة ، لقد أطلق عليه لقبُ الفيلسوف لانصرافه الى التفكير الفلسفي ، وتوفره على قراءة ما جادت به قرائح الفلاسفة من أمثال اوغست كونت وستيوارت ميل ولوك وسبنسر ، ولكنه اعتبر مختصاً بقراءة أرسطو ودراسة فلسفته والتعليق عليها حتى قال الأستاذ العقاد حين تحدث عنه :

«والحق أن لطفي السيد كان «أرسطياً» قبل أن يعرف أرسطو أو يفكر في ترجمته ، لأن تكوين عقله المنطقي هو الذي حبب اليه منطق أرسطو .»

كان تفكير أحمد لطفي السيد «فلسفياً» بما تحتويه هذه الصفة من عمق ودقة ، وكانت له آراء في السياسة والأدب واللغة والصحافة كلها تنبع من هذه الصفة ، صفة الدقة والتعمق في كل ما يصدر عنه من أفكار ، لهذا دعي بحق أستاذ الجيل ، كما دعي بالفيلسوف .

ولعل طراز حياته الخاصة يدعو الى الاعتقاد بأن الرجل الكبير كان فيلسوفاً بالطبع ، إذ كان في كلامه محافظاً على لهجته الصعيدية ، كما كان محافظاً على تقاليده العربية ، بالرغم من ثورته الفكرية .

وأسندت لأستاذ الجيل أعمال علمية كبيرة تدل على ثقة أهل العلم به واعتمادهم عليه في التقدم العلمي وتطوره ، فقد عيّن مديراً لدار الكتب بعد استقالته من «الجريدة» ، ومديرية دار الكتب عمل جليل ومقام رفيع لا يناله إلا من أوتي نصيباً كبيراً من العلم والاحترام ، وكذلك كان أول رئيس للجامعة المصرية فترك فيها آثاراً لا تمحى ، وفي دار الكتب ترجم الفقيد كتب أرسطو الشهيرة ، فكانت ترجمةً ودراسةً في آن واحد ، كما كانت تفنناً في إيجاد الألفاظ العربية للمعاني اليونانية ، مما دعا أن يُختار فيما بعد رئيساً لمجمع اللغة العربية .

وفي المجمع المذكور كان أحمد لطفي السيد الشخصية البارزة ، إذ كان يقوم بدور الرئيس الذي عليه أن يدير الجلسات وأن يتجنب طول المناقشة التي تؤخر العمل وترجئ التنفيذ ، لهذا كان يتجنب التصريح برأيه حين يشتد به الجدل في موضوع من موضوعات اللغة حرصاً على عدم التحيز الى جانب دون آخر ، ولكنه كان حين يشترك في مناقشات اللجان التي تعد القرارات للفصل في الخلاف ، لا يتساهل ولا يترخص في رأيه أبداً كما وصفه الأستاذ العقاد .

وكان في الثماني عشرة سنة التي قضاها رئيساً لمجمع اللغة العربيـة موضع احترام أعضاء المجمع ، وهو احترام مبني على الحب الخالص لشخصه ، والتقدير العميق لمزاياه الفريدة .

ومات لطفي السيد ، مات الرجل الكبير الفيلسوف مربي الجيل واحتفل الشعب في مصر بتشييع جثمانه ، تشييعاً يليق بالرجل الذي عمل من أجل لغته وأمته عملاً مديداً رائعاً .

والمجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية بدمشق) الذي تربطه بالفقيد الكبير روابط قديمة ، ينتهز هذه المناسبة ليستمطر شآبيب الرحمة على الراحل العظيم .

وفيما يلي الكلمة الرائعة التي بعث بهـا الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع الى لجنة تأبين الفقيد في مجمع القاهرة :

إلى سيادة المدير العام لمجمع اللغة العربية

تحية طيبة . وبعد تلقيت رسالتكم المؤرخة في ٢٤/٣/١٩٦٣ وفيها تبلغونني قرار مجلس المجمع المختص بإقامة حفلة تأبين كبرى للمغفور له أحمد لطفي السيد ، وترحيب المجمع بالكلمات التي أرغب في إلقائها أو نشرها في مجلته .

ومن دواعي الأسف أنني لا أستطيع تلبية هذا الطلب ، على شدة رغبتي في تلبيته ، لأنني لا أزال أشكو ضعف البنية عقب عملية جراحية خطرة لقرحة كانت في المعدة . وهل يكفي التذكير بأننا في سورية قد أفدنا من وطنيـة الفقيد الصادقة منذ كان يصدر « الجريدة » في القاهرة فيجمل العمل القومي فيها مرتكزاً على جهد الشعب لا على الدولة العثمانية ولا على الدولة المحتلة ، وبأننـا أفدنا فوائد جلى من نبوغه في العلم والفلسفة واللغة والأفكار التقدمية الناجعة ،

وأن مجمعنا بدمشق انتخبه منذ صيف سنة ١٩٢٧ عضواً فيه ممتازا بفضله ، وأنني في صلاتي الشخصية به في مجمع القاهرة خاصةً ما وجدت فيه إلا العقل الكبير ، والفكر النير ، والذهن المتقد ، والاطلاع الواسع على آيات الله في قرآنه ، وعلى لغتنا الضادية في أسرارها ، وعلى كنوز الأجداد في مخابئها ، وعلى وسائل النهضة الصحيحة في أمتنا .

لقد كانت لي ولسائر أدباء الشام الذين اتصلوا به نعم الأب النصوح ، والأستاذ المرشد ، كما كان في مصر نعم المربي الكبير الجليل من أشهر علماء العربية وأدبائها . فباسمي واسم زملائي في مجمع اللغة العربية بدمشق أكرر التعبير عن اشتراكنا جميعاً في الأسى لفقد هذا الرجل الكبير ، ولا زالت مصر الشقيقة تطلع على العالم العربي عظماء الرجال ، وكبار المفكرين من سدنة لغة القرآن وخدامها المخلصين .

دمشق في ٤/٤/١٩٦٣

مصطفى الشهابي
رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

موسوعة

معالم الأدب العربي المعاصر(١)

تفضلت مجلة المجمع العلمي العربي الغراء فنشرت في عدد نيسان (ابريل) ١٩٦٣ كلمة طيبة للسيد الأستاذ (عبد الله كنون) تفضل فيها بالإشارة الى العمل الذي أقوم به منذ خمسة عشر عاماً بشأن « مسح » الأدب العربي المعاصر في « موسوعة » رُسم تخطيطها على أن تكون عشرة مجلدات . ولست أدعي أني قد أستطيع حقاً أن أصلح لحمل هذا اللقب الكبير الذي خلعه عليّ وهو « مؤرخ الأدب العربي المعاصر » ، وإنما أرجو أن أكون بهذا العمل قد حققت أملاً ظل يراود أحلام المفكرين والباحثين منذ أكثر من ثلاثين عاماً وهو أن يُكتب تاريخ الأدب والفكر العربيين المعاصرين على شكل منصف شامل ، فيمتد من حيث الفترة الزمنية منذ أوائل النهضة (رفاعة الطهطاوي وجمال الدين) ويمتد من حيث الرقعة الأرضية من المغرب الأقصى الى العراق ليشمل العالم العربي كله مصوراً تياراته ونزعاته وأعلامه .

ومن أجل هذا أردت أن أعقب على كلمة السيد الجليل راجياً أن تفسح لي المجلة ما يمكنني من اطلاع المثقفين في العالم العربي على الخطوات التي قطعتها في هذا العمل ، وما أنا بسبيل الى انجازه حتى تكتمل هذه الموسوعة ، رجاء

(١) ننشر هذا التعليق لأسباب ثلاثة : الأول لأن في التعليق المذكور تخطيطاً لمؤلفات تبحث في تأريخ الأدب والفكر في نهضتنا الحديثة . والثاني لأن هذا العمل الكبير يقوم به اليوم فرد لا جماعة . وما برحت أعمال المعجمات والموسوعات عندنا يأتيها الأفراد في زمننا هذا . والثالث لأن مثل هذه الأعمال خليقة بأن تلقى تشجيعاً من الحكومات أو الجماعات حتى يستطيع القائمون بها أن ينقطعوا لها من دون أن تلهيهم عنها مشاغل الحياة « لجنة المجلة »

أن تحقق تقديم حصيلة طيبة من الآراء والدراسات ، والخامات التي يمكن أن تكون ركيزة صالحة لدراسة واسعة ضخمة ، يقوم بها متخصصون ، ولست أدعي أنني بهذا العمل أقدم « تقويماً » شاملاً للأدب والفكر العربيين المعاصرين في هذه الفترة ، وانما أعتقد أنني قد خطوت الخطوة الأولى في هذا المجال ، وفتحت الطريق أمام الباحثين .

ويمكن القول بأنني استطعت أن أقدم دراسة لأكثر من ثلاثمائة من أعلام الفكر والأدب واللغة والصحافة والشعر في هذه الفترة موزعين على مختلف الفنون (١٢٥ ناثراً ، ٦٠ شاعراً ، ٢٠ لغوياً ، ٢٠ قصاصاً ، ٣٠ كاتبة عربية ، ١٥ مترجماً ، ٣٠ صحفياً) .

ويكفي أن أقول إن قطاعات هذه الموسوعة تتمثل في عشر مجلدات على النحو التالي :

- أدب المقاومة والتجمع والوحدة : تناول هذا القطاع من الأدب العربي شعراً ونثراً في مختلف أقطار العالم العربي ، قطراً قطراً ، مبيناً جوانب التقاء المشاعر في معركة مقاومة الاستعمار ، والكفاح من أجل الحرية والتجمع للوحدة . وقد تناولت هذه الدراسة شعر ونثر أكثر من مائة أديب .
- النثر العربي المعاصر : تناول تطور النثر من رفاعة الطهطاوي على مراحل متعددة ظهرت خلالها مدارس التجديد وقامت المعارك بين المحافظين والمجددين وتناولت ١٢٥ كاتباً من مختلف أنحاء العالم العربي في فنون الأدب والتاريخ والاجتماع والدين .
- الشعر العربي المعاصر : تناول تطور الشعر من محمود سامي البارودي عارضاً للمدارس المختلفة كمدرسة مطران والديوان والمهجر الشمالي وأبولو والمهجر

الجنوبي حيث ظهورهما تاريخياً . وقد عرض البحث لإنتاج أكثر من ٦٠ شاعراً في العالم العربي والمهجر .

- القصة العربية المعاصرة : تناول نشأة القصة في الأدب العربي وتطورها مبيناً رواد القصة أمثال هيكل وتيمور وتوفيق الحكيم وعارضاً لأوائل كتاب القصة في العراق وسورية ولبنان . وقد تناولت الدراسة أكثر من ٢٠ قصاصاً مع نماذج من إنتاجهم .
- اللغة العربية بين حماتها وخصومها : عرض البحث لقضية تطور اللغة العربية والحركات المختلفة التي قام بها بعض الغربيين وأنصارهم في العالم العربي من أجل الدعوة الى العامية والكتابة بالحروف اللاتينيــة ، وكذلك البحوث والدراسات والموسوعات التي ظهرت في خلال هذه الفترة ، وقد تناول البحث أكثر من عشرين لغوياً .
- أدب المرأة العربية : عرض البحث لأدب المرأة العربية المعاصر ، وفنونه في النثر والشعر والقصة والصحافة ، وتناول الجوانب التي جلاها أدب المرأة وعرض بالدراسة لحياة أكثر من ثلاثين كاتبة عربية من مختلف أنحـاء العالم العربي .
- الترجمة في الأدب العربي المعاصر : تناول بحث فن الترجمة في الأدب العربي وتطوره ومدارسه واللغات التي نقل منها ، وكذلك أهم المترجمات ؛ وعرض بالدراسة لحياة أهم أعلام الترجمة في هذه الفترة والدور الذي قاموا به .
- الصحافة العربية : تناولت الدراسة تطور الصحافة في العالم العربي في فترة ما بين الحربين والصحافة السياسية في مصر وأعلام هذه الصحافة والصحف التي حملت لواء الفكر وأبحاث الأدب والاجتماع والثقافة وتضمنت ترجمة لثلاثين صحفياً .

- الفكر العربي المعاصر في معركتي التغريب والتبعية الثقافية : عرض للبحث في تطور الفكر العربي المعاصر ، وتأثره بالفكر الغربي ، ومدى هذا التأثر في مجالات السياسة والدين واللغة والصحافة والمرأة والمجتمع ؛ وعرض للنظريات والمذاهب والقضايا المختلفة التي تعرض لها الفكر العربي ، ومدى مواجهته لأقطار الغرب ، وكيف قاد معركة لمقاومة الانصهار في بوتقة الغرب ، والمحافظة على الشخصية العربية .
- المعارك الأدبية : تناولت بالبحث والعرض أكثر من (٦٠ معركة) أدبية في مجال اللغة والصحافة والأدب والثقافة ، كما تناولت معارك الشعر المختلفة ، وأشهر المعارك التي دارت بين الرافعي وطه حسين والعقاد وسلامة موسى وشكيب أرسلان وغيرهم .

* * *

وقد اخترت أن أقف بهذه الموسوعة عند أوائل الحرب العالمية الثانية (١٩٤٠ م) معتقداً أن هذه المرحلة ، منذ بدء النهضة قبل مائة سنة ، قد استكملت صورة شاملة ، وأن التطور الذي واجهه الأدب والفكر العربيين المعاصرين منذ الحرب العالمية الثانية الى اليوم له طابع آخر ، وأنه يمثل مرحلة جديدة تستدعي المراقبة والمتابعة حتى يمكن رصد تطوراتها الى حين اكتمالها على نحو يحقق بحثها وتاريخها .

فاذا أردت أن أصور مدى الجهد الذي بذلته في إعداد هذه الموسوعة التي تبلغ صفحاتها أكثر من سبعة آلاف صفحة ، كان ذلك من باب التحدث عن النفس ، وهو ما يعزف عنه كل باحث يتخلق بأخلاق العلماء ، ويكفي أن أقول في هذا الصدد إنني راجعت عشرات من الصحف اليومية والأسبوعية والشهرية مراجعة تكاد تكون كاملة ، وأعددت من أجل البحث (فهارس)

بلغت أكثر من ألف صفحة تمكن من الوصول الى عديد من النصوص اللازمة والشواهد الضرورية .

ولقد حاولت أن أعتصم بالنزاهة في العرض دون التحيز فقدمت بانصاف واخلاص الوجوه المختلفة في المسألة الواحدة والآراء المتعارضة في كل قضية ، جاعلاً للقارئ وحده الحق في قبول الرأي الذي يقتنع به ، ومحاولاً الا أقضي برأي ما ، متحرزاً من تغليب جانب بعينه ، حتى أكون متصفاً بصفة كوني باحثاً موضوعياً . أما رأيي الخاص فسيكون مجاله مباحث أخرى أجري فيها من التحليل والمراجعة ما يكيف وجهة نظري الخاصة في عديد من قضايا الفكر والأدب واللغة التي تناولتها هذه الفترة .

وربما واجهت هذه الموسوعة نقداً كثيراً ، كان أغلبه منصباً على عامل السرعة الذي أفضى الى بعض الأخطاء المطبعية والتصحيف اللغوي ، ويرجع ذلك الى ما في مطابعنا من عجز عن استيفاء أوجه الكمال ، وتحقيق رغبة الباحث في تصحيح كل ما يكون في التجارب من أخطاء ، وعجز بعض المصححين عن فهم كثير من الاصطلاحات والنصوص .

ولعل أستاذنا الأمير مصطفى الشهابي يكون بهذا قد غفر لنا بعض ما صادفه في أحد حلقات هذا البحث من أخطاء .

وربما كان من جملة النقد عدم اتساع نطاق البحث لإدراج نماذج وأسانيد أكثر وأكثر ، ولعل مما يغفر لنا ذلك أننا نحن الذين نقوم باعداد هذا البحث ونحن الذين ننفق على طبعه ، وان هيئة علمية واحدة في العالم العربي لم تساهم حتى الآن في دفع هذا العمل الى الأمام خطوة واحدة .

ولعله لو أتيحت لنا فرصة كهذه لاستطعنا التوفر على إخراج طبعة في حجم أكبر ، تكون مصورة وموسعة في نصولها وأسانيدها على نحو أقرب الى الكمال . وحسب جهد الفرد أن يصل الى هذا الحد في ظل حياة متشعبة والى جوار

عمل يومي دائم في مجال الصحافة لا يتوقف . والله نسأل أن يمكننا من أن نضيف الى هذا البحث ملاحق أخرى نعدها الآن منها :

● بحث عن (أعلام الأدب العربي) الذين كان لهم دور في مقاومة دعوة التغريب ، والذين حملوا لواء الدعوة الى أمجاد الأمة العربية ، وبعث تراثها ، والتعريف بحضارتها ، والرد على خصوم العرب .

● بحث عن (أعلام النهضة العربية) الذين حملوا المصباح على الطريق في وجه الاستعمار والاستبداد ، وعن المجددين في مجال الفكر والدين والأدب .

● الجوانب الخفية في تطور الأدب ، وقضاياه التي لم يسبق البحث عنها ، والعوامل التي دفعت معظم الحركات الفكرية لتحرير المرأة وأدب المرأة ، والمعارك التي قامت بين الأدباء والأدب المهجري ، وتأثير المدرستين الفرنسية والانكليزية وصراعهما ..

وبعد فهذا عرض سريع للعمل الأدبي الذي نقوم به الآن والذي نرجو أن يلقى من المجمع العلمي العربي (وله تاريخه الطويل في تقدير العاملين ، وعلى رأسه العلامة الأمير مصطفى الشهابي) بعض العناية والنظر حتى يجد العاملون من أمتهم ما يشعرهم بأن عملهم لا يضيع .

(القاهرة) أنور الجندي

خطأ تاريخي

كثيراً ما يعثر الباحث على أخطاء تاريخية لها أهميتها ، وأغلاط أدبية يعجب كيف وجدت لحفظتها الكتب ووعتها المؤلفات وربما كانت هذه الكتب لجماعة من خيرة المؤلفين ، أو ربما كانت تلك المؤلفات لنفر ممن عرفوا بالفضل والفهم الصحيح ، ويتساءل المرء إزاء هذه المشاكل ، كيف وقعت ؟ ومن أين جاءت ؟ ثم يبحث الأمر فلا يهتدي الى الحقيقة الجلية التي تنير سبيل البحث الصحيح .

وليس لنا أن نأسف لهذه الأخطاء ، كما لا يحق لنا أن نسيء الظن بتاريخنا السياسي أو الأدبي اذا تكررت . لأن كل تاريخ معرض لهذا ، ولأن مسألة التاريخ تعتمد في أكثر الأحوال على النقل والرواية . وقديماً كانت النقول والروايات عرضة للسهو والغلط المقصود أو غير المقصود .

ولقد عثرت أثناء بحثي في حياة الشاعر الفارس العربي مالك بن الريب على خطأ تاريخي لفت نظري ، فرأيت من الفائدة أن أبحثه على صفحات هذه المجلة عسى أن يهتدي أحد من قرائها الأفاضل الى تعليل لهذا الخطأ التاريخي فيوضح ما استغلق عليّ فهمه في الوصول الى الحقيقة العلمية .

ورد ذكر الشاعر مالك بن الريب في الجزء السادس (صفحة ١٣٤) من كتاب « الأعلام » للأستاذ خير الدين الزركلي ، وقد أشار الى وقوع وفاة الشاعر في عام ٦٠ للهجرة على وجه التقريب ، ثم تحدث عنه باختصار على عادته وذكر في حديثه ان الشاعر هجا الحجاج فطلبه فهرب وقطع الطريق مدة ، ورآه سعيد ابن عثمان بن عفان بالبادية في طريقه بين المدينة والبصرة وهو ذاهب الى خراسان حين عينه والياً عليها معاوية سنة ٥٦ للهجرة ، فأنبه سعيد واستصلحه وصحبه الى أن قتل .

ولو رجعنا الى ترجمة الحجاج في الجزء الثاني من « الأعلام » لرأينا أنه ولد في العام الأربعين من الهجرة وتوفي في عام ٩٥ .

ويرى القارئ أن سعيد بن عثمان عين والياً بخراسان بزمن معاوية ، والحجاج لم يعرف له ذكر إلا في زمن عبد الملك بن مروان والوليد ابنه ، فكيف يمكن أن يلتقي سعيد بمالك الذي فرّ لأنه هجا الحجاج ، والحجاج لم يكن عرف بعد .

يضاف الى هذا أن التقاء الوالي بالشاعر وقع في عام ٥٦ ، والحجاج قد ولد عام ٤٠ للهجرة فهل يعقل أن يهجو الشاعر الحجاج الذي لم يكن قد بلغ حينئذ إلا السادسة عشرة من عمره ، وخاصة إذا علمنا أن الشاعر مات عام ٦٠ للهجرة ، وفي هذا العام يكون الحجاج قد بلغ من العمر عشرين عاماً فقط ولم يكن قد عرف عنه شيء .

ويشترك المؤرخون القدامى في هذا الخطأ ، فابن قتيبة المؤرخ الثقة أورد في الجزء الأول من «الشعر والشعراء» صفحة (٣١٢) حديثاً قصيراً عن مالك ابن الريب كما أورد أبياتاً من قصيدته اليائية وفي حديثه يقول « ثم لحق ـ أي الشاعر ـ بسعيد بن عثمان بن عفان فغزا معه خراسان فلم يزل بها حتى مات » وسعيد هذا كان والياً لمعاوية كما قلنا والحجاج عرف بزمن عبد الملك ، ويؤكد ابن قتيبة بعد ذلك ، ورغم ما مر بك ، أن مالكاً قد هجا الحجاج وأورد الأبيات التالية :

فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده إذا نحن جاوزنا قناة زياد
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف كما كان عبداً من عبيد إياد
زمان هو العبد المقر بذلة يراوح صبيان القرى ويغادي

وقد كان ممكناً للذهن أن ينصرف الى حجاج آخر غير الثقفي من معاصري الشاعر لولا أن الأبيات السابقة تنفي كل تأويل ولو أنه ورد فيها ما يتعلق بالحجاج المشهور ، خاصة وأنه كناه بابن يوسف ثم ذكر مهنته في تعليم الصبيان وهذا مما يختص بالحجاج الوالي الأموي المعروف .

وأورد صاحب الكامل قصة هجاء مالك بن الريب للحجاج دون أن يتعرض لتاريخي ميلاده ووفاته ، وروايته قريبة من رواية ابن قتيبة وذلك في الصفحة (٩٠) « طبعة أوربا » .

أما صاحب خزانة الأدب فيذكر قصة الشاعر التي رواها ابن قتيبة ويشير اليها ، ومن الغريب أن يقول البغدادي ما نصه : « لما ولّى معاوية سعيد بن عثمان بن عفان خراسان سار معه فأخذ طريق فارس فلقيه بها مالك بن الريب » ثم يورد الأبيات التي رواها ابن قتيبة (صفحة ٣٢٠ من الخزانة) وهي في هجاء الحجاج دون أن يتعرض أيضاً لشيء من اختلاف التاريخ .

وهل يستطيع من عاش شاعراً قاطعاً للطريق في زمن معاوية أن يمتد به الأجل حتى يهجو الحجاج الذي لم يعرف له ذكر إلا في أيام عبد الملك ابن مروان وابنه الوليد ·

نحن إذن أمام تناقض تاريخي نرجو توضيحه ، فمالك بن الريب شاعر عاش بزمن معاوية لأنه تبع سعيد بن عثمان الوالي الذي عينه معاوية لخراسان ·

ومالك بن الريب ، من جهة أخرى ، هجا الحجاج وقطع الطريق بسببه ، فكيف أمكن أن يلتقي بسعيد بن عثمان · أو كيف أمكن أن يهجو الحجاج المتأخر عنه مدة طويلة ·

كل الافتراضات التي خطرت على البال لا تعطي النتيجة الصحيحة وليس أمامنا إلا الشك في صحة قصة الشاعر كلها ، ولعل شخصيته شخصية أسطورية أشبه بأسطورة مجنون ليلى التي صنعها الرواة وإن كان لها ظل من الحقيقة ·

والقصيدة المنسوبة الى هذا الشاعر توحي بالاختراع والصنعة فقد اختلف الرواة في عدد أبياتها فمنهم من جعلها في ١٣ بيتاً ومنهم من أوصلها الى ٥٨ بيتاً ، وقد شك القدماء في صحة هذه القصيدة اليائية المشهورة ، وفي استطاعة الشاعر المشرف على الموت أن يقول الشعر وأن يأتيه الإلهام ، كما اختلفت روايات المؤرخين في الطريقة التي مات فيها الشاعر ، أكان موته طبيعياً ، أم بلسعة أفعى ــ وهذه هي الرواية الغالبة ، أو أنه مات على أثر مرض مفاجئ ·

وروى بعض المؤرخين أن الجن رثت الشاعر بعد وفاته ، وإدخال عنصر الجن على قصة موت مالك يميل بنا الى ناحية الشك في صحة القصة كلها ، ويؤكد أن الاختراع قد كان له أثر كبير في تكوين القصة ·

ونحن نضع هذه المشكلة الأدبية أمام القارئ الكريم لعله يجد ما يوضح هذه الناحية الغامضة في اختلاف التاريخ ، فان في ذلك خدمة للأدب والتاريخ ·

احمد الجندي

هدية كتب

أوصى المرحوم فضيلة الشيخ محمد خير دياب بخزانة كتبه الى المجمع العلمي العربي لينتفع بها طلاب العلم ورواده . وقد نفذ السادة أولاد المرحوم وورثته هذه الوصية بأمانة وسلموا الكتب الى المجمع . وقد ضمت هذه الخزانة طائفة من المطبوعات والمخطوطات القيمة أجزل الله ثواب الفقيد على هذه الصدقة الجارية على أرباب العلم وجعله أسوة حسنة لغيره .

رحم الله المحسن الفقيد وشكراً لورثته الأفاضل على هذه المأثرة الحميدة .

وأهدت المجمعَ العلمي جامعةُ الرباط المغربية بواسطة سفارة الجمهورية العربية السورية عدداً من مطبوعات المغرب ، تعزيزاً للروابط الثقافية والروحية بين البلدين الشقيقين . فنشكر للجامعة هديتها القيمة .

وأهدت جامعة بغداد أيضاً المجمع عدداً من مطبوعاتها النفيسة فاستحقت بذلك عظيم شكرنا وتقديرنا لما في هذا الإهداء من تمتين للروابط الأخوية والأواصر الثقافية بين الأقطار العربية الشقيقة .

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول «اكتوبر» سنة ١٩٦٣ م ١٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٣ هـ

أخطاء شائعة

في ألفاظ العلوم الزراعية والنباتية

(وكلمات مولّدة يفيد إقرارُها)

(٢)

٣٦ — حَبُّ الهال لا الحَبْهان : من مألوف العامة اختصار الكلمات الإضافية بالجوء الى التركيب المزجي ، ومن مألوفها أيضاً تحريف الكلم على هواها من دون ضابط . فكلمة الحبهان المشهورة في القطر المصري هي من حب الهال . والهال والهيل « بكسر الهاء وتسكين الياء » والقاقُلَّة « بضم القاف الثانية وتشديد اللام » كلها أسماء صحيحة لجنس النبات المسمى Amomum ، وللجنس الآخر المسمى Elettaria وفي الأول أنواع تزرع أو تنبت برية في الهند الصينية وفي افريقية . وفي الثاني أنواع تزرع في مالابار وسرنديب .

وحب الهال هو بزره يسحق ويضاف في البلاد العربية الى القهوة ، ولا سيما القهوة المرة ، فيجعل لها طعماً خاصاً مضافاً الى طعمها . ويكثر بعضهم منه في

القهوة فيذهب بطعمها ، حتى لكأن الضيف يشرب عندهم الهال باسم القهوة ! واشتهر النجديون بالإكثار من حب الهال في القهوة .

وكلمة الهال من أصل سنسكريتي . أما القاقلة فهي سامية النجار .

٣٧ — حَبُّ الآس لا الحَبْلاس ولا الحَمْبَلاس : وهذه الكلمة في الشام ولا سيما في دمشق شبيهة بالكلمة السابقة في القطر المصري . فالنبات هو الآس المعروف Myrtus communis . وثمره هو حب الآس . وقد جعلته العامة في الشام الحبلاس . وتأنق بعضهم فقالوا الحمبلاس زيادةً في الإغراب ! والآس ينبت برياً في أحراج بعض جبال الشام كجبل الاكام وجبل العلويين . وهو يزرع . وكان شائعاً في حدائق صالحية دمشق حيث اليوم الشوارع والبيوت . وثمره أي حب الآس يؤكل . وفيه عفوصة . وتستعمل أغصانه في تزيين القبور في الأعياد الإسلامية . وفي جنس الآس أنواع معظمها أمريكية تنبت برية أو تزرع للتزيين ولرائحتها العطرية . وكلمة الآس عربية سامية النجار ، ولها أشباه في بعض اللغات السامية .

٣٨ — الفُسْتُق لا الفُزْدق : يلوح لي أن قلب السين زاياً في هذا الاسم من ترخيم القاهريات . وهو شبيه بترخيم الدمشقيات في قولهن زوز بدلاً من جوز ، وممس بدلاً من شمس ، وزوزي بدلاً من زوجي ! فالضادية المصرية لا تهضم هذا اللين ولا هذه الرقة في الألفاظ العلمية . وليس في لغة العلم ما يقال له :

« منطق صائب وتلحن أحيا ناً وخير الحديث ما كان لحنا » !

وإن يكن اللحن في هذا البيت معناه التورية بالمراد والكناية عنه ، وليس معناه الخطأ .

فمغارس الفستق في حلب مشهورة . واسم الجنس العلمي لهذا الشجر Pistacia من فستق العربية . وكذلك الاسم الفرنسي Pistachier . وفي هذا الجنس أنواع معروفة في أحراج الشام منها البطم والمصطكا .

٣٩ — الخَضِير والمَخْضَرة لا الجازون : لا يلجأ العلماء الى تعريب الألفاظ الأعجمية إلا عند الضرورة . هذه هي القاعدة التي أقرها مجمع اللغة العربية .

والعالم الثبت هو الذي يدرك حدود التعريب ومداه ، ويراعيها في معالجة كل لفظة أعجمية يريد نقلها الى العربية . فقد نضطر مثلاً الى تعريب كثير من أسماء الاعيان منها أسماء الأجسام الكيمياوية المفردة أو المركبة ، كالصوديوم والباريوم والميتان والغليسرين وأشباهها ، ومنها أسماء النباتات والحيوانات التي لم تعرفها العرب ، كالبطاطس والتبغ والونيلية واللامة ، ومنها أسماء النباتات المنسوبة الى أعلام تنويهاً بهم كالدهلية والبغونية والمغنولية وأمثالها .

ولكننا لسنا مضطرين الى تعريب معظم أسماء المعاني ، فالعربية تتسع بالاشتقاق لعدد كبير من تلك الأسماء . وإذا تساهلنا وعربنا مثل كلمة Gazon الفرنسية تصبح لغتنا الزراعية كلغات الزنوج أو أدنى ، وفي ذلك ما فيه من ضرر . فالكلمة الفرنسية هذه تطلق على عشب كثيف قصير أخضر من النجيليات المعمرة خاصةً . وتطلق أيضاً على أرض ذلك العشب الأخضر توسعاً . ويقابلها بالعربية الخضير أو المَخْضَرة (بميم وضاد مفتوحتين بينهما خاء ساكنة) . وإيجاد الخاضر هو التخضير Gazonnement . ويكون إما ببذر البذور وإما بقلع الخضير من أحد المروج ونقله كتلاً الى المخضرة الجديدة .

٤٠ — الدَّفيئة لا الصُّوبة : يعرف الزراعيون أن في البلاد الحارة عدداً كبيراً من النباتات لا تتحمل برد الشتاء في الأقاليم الباردة ، ولا في الأقاليم المعتدلة . وهي تُستنبت في تلك الأقاليم في أبنية خاصة من زجاج تجمع حرارة الشمس ، أو تُدفأ صناعياً بوسائل شتى للتدفئة . وتسمى هذه الأبنية الزجاجية بالفرنسية Serres . وقد رأيت منها واحداً في حديقة الزهرية بالقاهرة فيه عدد من نباتات الزينة ، ووجدت بعض الكتاب الزراعيين يسمونه « صوبة » . وهذه الكلمة عامية تركية النجار تطلق في تركية وفي الشام على مواقد من حديد يحرق فيها الحطب أو الفحم الحجري لتدفئة بيوت الناس في الشتاء . أما بيوت النبات الزجاجية الملمع اليها فقد كان مجمع اللغة العربية وضع لها اسماً عربياً حسناً وهو الدفيئة ، فعلى الزراعيين اقتباسها .

٤١ — النبات المُحْوِل لا ذو السنتين : من المعروف في علم النبات أن النباتات من حيث أعمارها ثلاثة أقسام أو أربعة : فالأول هو النباتات التي تكمل دورة حياتها في السنة نفسها ، أي التي تنبت وتزهر وتثمر وتموت في شهور لا تزيد على مدة سنة . وقد اعتاد النباتيون تسميتها نباتات حولية أو سنوية Plantes annuelles كالقمح والذرة وأشباههما . والثاني هو النباتات التي تلبث في الأرض سنتين أو أكثر من سنة لإكمال دورتها الحيوية ونضج بزورها كالجزر والبنجر (الشوندر) وغيرهما . فهذه النباتات يسميها بعض النباتيين ذوات السنتين P. bisanuelles . وأصلح من ذلك تسميتها النباتات المُحْوِلة « بضم الميم وكسر الواو » أي التي يمر عليها الحول وهي لا تزال حيّة . وقد أقر مجمع اللغة العربية هذا الاصطلاح الحسن بناءً على اقتراحي .

أما القسم الثالث فهي النباتات المعمّرة P. vivaces وهي التي تعيش أكثر من سنتين ، أو قل هي التي تثمر مرات في حياتها كالنخيل والأشجار المثمرة .

وأما القسم الرابع فهو يسمى بالفرنسية P. perennes أو P. perennantes . أي النباتات المستمرة . وهذا الاصطلاح الذي هو ترجمة للأصل اللاتيني يطلق أحياناً على النباتات المعمرة Vivaces نفسها ، وأحياناً على النباتات التي تكون في المعتاد حولية أو محولة ولكنها قد تصبح معمرة في حالات خاصة كأن تُزرع في إقليم حار أو غير ذلك من الحالات التي تجعلها تعمّر .

٤٢ — العَزْق لا العَزِيق : تعزق الأرض المزروعة خاصة بالمعزقة . وللعزق أغراض منها إبادة الأعشاب المضرة ، ومنها منع ماء الأرض من أن يضيع بخاراً في البخوس والأعذاء أي في البعل من الأرضين ، وغير ذلك من الأغراض الزراعية . ويستعمل بعض الكتاب كلمة العزيق مصدراً لفعل عزق والمصدر هو العزق . أما العزيق فلها معنى آخر .

٤٣ — الغَلّة والرَّيْع والرَّدّ الخ . بدلاً من المردود : يكثر كتاب الشؤون الزراعية في هذه الأيام استعمال كلمة المردود لما يسمى بالفرنسية Produit و Récolte . ولا حاجة إلى هذه الكلمة ، ما دام عندنا كلمات صحيحة ومشهورة استعمل القدماء بعضها ويستعمل المحدثون بعضاً كالغلة والجَناة والجَنى والنُّزُل والإتاء والرَّدّ والرَّيْع والمُنْتَج والحاصل والحصيلة وغيرها .

٤٤ — القنوات لا الأقنية : يجمع كثير من الكتاب الزراعيين وغير الزراعيين كلمة قناة على أقنية . فهذا الجمع لم يرد . والجمع الصحيح بالألف والتاء ، أو هو قَناً وقُنِيّ .

٤٥ — أسماء بعض الصَّنَوْبَريات : خلطت معجماتنا القديمة الصنوبر والأرز والسرو والعرعر بعضها ببعض ، وعرّفت الواحد بالثاني . وجاء أصحاب بعض المعجمات الحديثة ، حتى العلمية منها ، فنقلوا هذا الغلط على علاته ، على حين أن أصغر فلاح في الجبال التي فيها أحراج كجبال اللاذقية ولبنان يعرف مثلاً أن هذه الشجرة هي صنوبرة ، وأن تلك التي تقوم إلى جانبها هي أرزة وهلم جرا . ولا يجوز في أيامنا هذه الدوام على الخطأ ، بل يجب أن يختص كل جنس نباتي من الصنوبريات أي الفصيلة المخروطية باسم واحد . وهاكم الأسماء الصحيحة لأهم أجناس الفصيلة المذكورة .

صَنَوْبَر	Pin (Pinus)
أَرْز	Cèdre (Cedrus)
سَرْو	Cyprès (Cupressus)
عَرْعَر	Genévrier (Juniperus)
تَنُّوب	Sapin (Abies)

وفي كل جنس من هذه الأجناس أنواع ذكرت كثيراً منها في معجمي . أما الأجناس التي لا توجد في جبالنا ولم يعرفها أجدادنا فأسماؤها العلمية تعرّب

مثل الطقسوس Taxus واللاركس Larix وغيرهما . ووهم أحمد عيسى في اطلاق الزُّرْنَب على اللارِكس ، وكذلك محمد شرف في تسميته بالقُشاغ .

٤٦ — ليمون الجنة : ترجمة اسم علمي طريف هو Citrus paradisii Macfarlane

كنت قرأت أن حديقة النبات الملوكية في انكلترة وضعته أو قبلته للشجر المسمى كِرِيْب فروت تمييزاً له من الليمون الهندي C. decumana Murray فأصبح كل منهما نوعاً مستقلاً ، وعُد الكريب فروت نتيجة طفرةٍ أو عُد هجيناً . ومع هذا ما برح بعض علماء النبات يجعلونه في التصنيف ضرباً من نوع الليمون الهندي .

ومن المعروف ان لفظ كريب فروت هو اسمه بالانكليزية . وقد حرفته العامة في دمشق فصار عندها « كريفون » . ومن أسمائه شَدُّوك Shaddock وهو على اسم ضابط انكليزي كان نقله إلى جزائر أنتيل . وعندي انه من المفيد اشاعة اسم « ليمون الجنة » لطرافته ولرجحانه على الاسماء الأعجمية المذكورة وإن شاعت ؛ فشيوعها لا يخرجها عن العامية ، ولذلك توضع بين قوسين إلى جانب ليمون الجنة .

٤٧ — الكأسية والتَّوْيجية لا الكِمِّيَّة ولا النَّوْرِيَّة : كان مجمع اللغة العربية بُعيد إنشائه سنة ١٩٣٣ نظر في أجزاء الزهرة فجعل الكِم أمام Calice ، والنورة أمام Corolle ، فكتبت في ذلك الزمن في إحدى الصحف المصرية أن علماء النهضة الحديثة في القرن الماضي ترجموا الكلمة الأولى بكلمة كأس ، والثانية بكلمة تويج ، وكلتا الترجمتين حسنة . وقلت إن الكلمتين المذكورتين أي كأس الزهرة وتويجها ، شاعتا في جميع الكتب النباتية والزراعية في جميع الأقطار العربية ، فلا سبيل إلى التخلي عنهما . وقد عدل المجمع رأيه على الفور ، وأقر الكأس والتويج . وهذا ما يفعله كل جماعة من العلماء الأثبات الذين يسوّدون العقل والمنطق في أعمالهم .

وعلى هذا أصبح كل جزء من أجزاء الكأس في الزهرة (Sépale) يسمى الكأسية لا الكمية ، وكل جزء من أجزاء التويج فيها (Pétale) يسمى التويجية لا النورية . وقد أقر المجمع ذلك أيضاً . فعلى المؤلفين في العلوم النباتية والزراعية أن ينتبهوا إلى ذلك . ولا لزوم للتعريب الذي يلجأ اليه بعضهم في قولهم سبلة وبتلة وإن قبلها مجمع اللغة العربية علاوةً على الكأسية والتويجية . أما كلمة الكم العربية فهي ترجمة Périanthe الفرنسية .

٤٨ — هل يقال زرعَ الشجرةَ : جاء في كتاب لغة الجرائد لليازجي :

« ويقولون زرعَ الشجرةَ أي غرسها ، وإنما الزرع للحَبّ والبزر ، ولا يقال للشجرة وما في معناها » .

فعقب الجندي على ذلك في كتابه « إصلاح الفاسد من لغة الجرائد » بقوله : « قال في التاج : وفي شروح نهج البلاغة لابن أبي الحديد إنه يقال زرعتُ الشجرَ كما يقال زرعتُ البر والشعير » .

قلت : العربية لا تأبى هذا الشمول . فحرفة الزراعة الحديثة تشمل بَذْرَ البذُور ، وغَرْسَ الغراس وغير ذلك . والمجاز كثير في هذه الألفاظ وأشباهها ، ففي المعجمات : زَرَعَ كَرَمُكَ الحبَّ لك في القلوب ، وغَرَسَ فلانٌ عندي نعمةً ، وزرعَ الزارعُ الأرضَ . وقال ابن العوام الإشبيلي (وإن لم يكن حجة): « فلاحة الحيوان » أي تربيته . ولو قال حَرْثُ الحيوان أو حراثته لكان لذلك وجه مجازي ، لأنه يقال حرثت الكتاب أي أطلتُ دراستَه وتدبُّره . ويقول الزراعيون في أيامنا هذه زراعة البساتين وفلاحة البساتين وهما تشملان غرس الشجر .

٤٩ — الأَنْبَج في المعجمات وكتب المفردات هو المَنْجة والمنجو في مصر :

الأنبج والعَنْبا والعَنْب والأنْبة كلها من الهندية تدل على الشجر المسمى

Manguier بالفرنسية . وذُكرت العنبا في مفردات ابن البيطار وكأنها غير الأنبج على حين أنها نبات واحد ، وهو ما كنت حققته ثم وجدت أن المرحوم أحمد تيمور باشا سبقني إلى تحقيقه .

٥٠ ــ المِغْزَقة والمِجْرَفة والمِحْضَنة والمِقْوَد والمِنْجَل والمِعْوَل الخ .

تفتح العامة ميمات هذه الكلمات وأشباهها على حين أنها أسماء آلات على وزن مِفعلة ومِفعل ، فأوائلها تكون مكسورة .

٥١ ــ كَلْسيوم وفُسفور وفُسفات الخ . لا كالسيوم ولا فوسفور ولا فوسفات :

كثيراً ما يكتب الأساتيذ هذه الكلمات وأشباهها من دون أن ينتبهوا إلى ضرورة تجنب التقاء ساكنَين . ولا علم لي بأن المجمع في القاهرة قد اتخذ قراراً بإجازة التقاء الساكنَين في مثل هذه الألفاظ العلمية ، على حين اننا نجد هذا الالتقاء في ألفاظ مدرجة في مجلة المجمع .

٥٢ ــ الأَنقَلَيْس والأَنكَلَيْس (وبكسر الهمزة واللام فيهما) : هو عند العامة الحنكليس واسمه الفرنسي Anguille . ولم تفرق معجماتنا العربية بين الأنقليس هذا والجِرِّيّ Silure ، والشَّلْق Lamproie ، والصَّلُّور Clarias فيجب التفريق بينها في أيامنا هذه وكلها من السمك .

٥٣ ــ أسماء نباتات تبدلت مدلولاتها : من هذه الأسماء القَيْقَب والسَّنْجَم والفُلْفُل والشَّيْلَم والبَلَسان والفُـــلّ والكِشْمِش والزَّيْزَفون ، فهي في المعجمات الأصلية وفي كتب المفردات القديمة تدل على نباتات غير النباتات التي يسميها الناس بهذه الأسماء في هذا الزمن . وها كم بيان ذلك :

الاسم العربي	النبات الذي يدل عليه في المعجمات والمفردات	النبات الذي يدل عليه في الاستعمال الحديث
قَيْقَب	أزادرخت Melia Azedarach	Érable (Acer)
سَلْجَم	لِفت Navet	Colza (Brassica Campestris)
فُلفُل	Poivrier	(في مصر) Piment
شَيْلَم	زُؤان Ivraie enivrante	Seigle (Secale Cereale)
بَلَسان	بلسم مكة Baumier	Sureau « خمان و بَيْلَسان »
فُلّ	نبات طبي مجهول ذكره ابن البيطار ، أو هو Jatropha Gossipifolia	ذكره الزبيدي Jasmin Sambac في مستدرك التاج وداود الانطاكي في التذكرة
كِشْمِش	عنب لا نوى له	Groseiller
زَيْزَفُون	خِلاف Elaeagnus	Tilleul وكذلك « حَبْلاف » خِلاف

٥٤ — القِرْصَعْنة لا القِرْصُعنَّي ولا القَرْصَعَنّة : بقلة برية من الفصيلة الخيمية اسمها العلمي Eryngium creticum ، وتسمى شويكة ابراهيم . وهي تنبت في جبال الشام فيبقلونها . والعامة تشدد نونها .

٥٥ — خِصْبُ الأرض لا خُصوبة الأرض : خَصِبَ المكانُ يخصَب خِصْباً فهو خِصْبٌ وخَصِيب ومِخْصاب . ولم ترد الخصوبة .

٥٦ — الشُحْرور والعُصْفور والصُرصور والزُغلول والبُرْغوث والعُرقوب والخُرطوم والخُرْنوب والعُنْقود : كل هذه الألفاظ وأشباهها مضمومة الحروف الأولى ، والناس يلفظونها بالفتح . ولم يرد بالضم والفتح إلا الخرنوب . ففي القاموس أن الخاء قد تفتح ، وفي التاج أن فتحها لغية . والخَرُّوب بفتح الخاء وتشديد الراء اسم صحيح للخرنوب ، مشهور في الشام . ومنه الاسم الفرنسي Caroubier .

٥٧ – البِرسيم : يفتح الناس باء البرسيم والصواب كسرها . وهو من نباتات العلف تكثر زراعته في مصر . واسمه الفرنسي Trèfle d'Alexandrie أي نَفَل الإسكندرية . ووهم المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي في « عثرات اللسان » حيث قال فيه : « ويسمى في بلاد الشام فِصّة وباقية واسمه في الفصحى القَتّ والفصفصة » . فكل من البرسيم والبيقية والفصفصة جنس نباتي مستقل عن الآخر . فالأول هو ما ذكرته ، والبِيقة والبِيقِيّة هي بالفرنسية Vesce commune ، والفِصْفِصَة Luzerne ؛ وتسمى القَتّ إذا جفّت ، والرَّطبة والقَضب إذا كانت غضة . وتسمى البرسيم الحجازي في مصر ، والفصة في الشام .

٥٨ – البَيْطار والكَتّان والجَدْي والسَّماد والرَّبْع والنَّسْر والرَّيحان والألْيَة: يكسرون أوائل هذه الكلمات ، والصواب بالفتح . ويسمون الأخيرة لِيّة وهي غير صحيحة .

٥٩ – القُبْجُل والزُّبْدة والعُقاب والفُلْفُل : أوائلها بالضم لا بالكسر ، إلا الأخيرة ففي القاموس فلفل كهُدْهُد وزِبْرِج . ولكن الزبيدي يقول في التاج : « ونسب الصغاني الكسر للعامة ، ومنعه صاحب المصباح أيضاً ، وصوبوا كلامه ... وهو معرب پلپل بالكسر » .

٦٠ – القِرْطِم والحِمّص والقِط والغِزْلان والذِّبّان والغِربان : جميعها بكسر أوائلها لا بضمها .

٦١ – المِشْمِش : بكسر الميمين وفتحها ، وهو ما ورد في القاموس . وقال صاحب اللسان : « أهل الكوفة يقولون المَشْمَش ، وأهل البصرة مِشْمِش » . وأضاف صاحب التاج قوله : « وبعض أهل الشام يقوله بالضم أيضاً فهو إذن مثلث » .

٦٢ – البِطّيخ والخِرْوَع والخِنزير والجِرجير والبِلاّن والفِلْو والسِّقْي والعِدّان والعِنان والفِجّ : حروفها الأولى كلها بالكسر على حين أن المتكلمين يفتحونها . والسِقي بالكسر الزرع الذي يُسقى ، ويسمى المَسْقَوِيّ وعكسه المَظْمَئِيّ أي البَعْل والعِذْي والبَخْس . والسِّقي أيضاً حظ الزرع أو الأرض من الماء في مدة معلومة . وهو ما يسمى العِدّان بالكسر . والفلاحون يفتحون العين . والعنان سَير اللجام Rêne . والفِجّ ما لم ينضج من الثمار وغيرها . والفِلْو والفَلُوّ ولد الفرس قبل بروز ثنيتيه الثابتتين Poulain .

٦٣ – الخُفّاش والدُّلْفين والمُناخ والزُّوان والزُّؤان : أوائل حروفها مضمومة ، والناس يفتحونها . والمُناخ اسم مكان من أناخ الرباعي ، يستعملونها بمعنى جملة الأحوال الجوية والجغرافية لبقعة من الأرض أي بمعنى Climat الفرنسية . وهذا الاستعمال العامي لا وجه له . وقد بينتُ في بحث عنوانه « الإقليم في الفرنسية والعربية »[1] أن هذه الكلمة العربية وكلمة كليما الفرنسية هما من أصل يوناني واحد ، وأنه يجب العودة إلى تضمين الكلمة العربية معنى جملة الأحوال الجوية ، وعدم الاكتفاء بالمعنى الذي ورد في المعجمات وهو القطر أو الكورة أو الصقع أو الرستاق أو غيرها .

٦٤ – القَرَنْفُل والقَرَوي والقَنْفُذ : أوائلها مفتوحة والمتكلمون يضمونها وذلك خطأ .

٦٥ – البَخُور والبَكِير والحُمّر والخُرّاج والخُناق : الحرف الثاني فيها مخفف . والعامة تشدده غلطاً . والحمر في الشام هو بالفرنسية Bitume لا أسفلت

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٣٣ ص ٣٣٩ (سنة ١٩٥٨) ، ومجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ج ١٤ ص ١٧ .

Asphalte وذلك خلافاً لما ذكره المرحوم المغربي . والأسفلت يسمى الزّفت والقار والقير . ومن أسماء الحُمَر الكُفْر والقُفْر وقفر اليهود . أما كلمة خُراج وخُناق وأشباهها فهي على وزن فُعال الدال على مرض كالزُّعام والسُّلاق والسُّمال والعُصاب والدُّمال الخ . وقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ، بناءً على اقتراحي ، جواز اشتقاق فُعال وفَعَل للدلالة على الداء ، سواء أورد له فعل أم لم يرد [1] (أي الاشتقاق من أسماء الأعيان أيضاً ، كالعُصاب من العَصَب ، والقُمال من القمل وهكذا) . وهذا التوسع في الاشتقاق يكون لضرورة علمية .

٦٦ – السُّمْنة لا السُّمّنة . والسُّمّاني لا الفِرّي : ميم السُّمْنة مخففة والناس يشددونها . وهذا الطائر يسمى Grive بالفرنسية . وهو غير السُّماني المسمى Caille عند الفرنسيين ، والفِرّي في الشام ، والسِمّان في مصر . ويختلف الطائران في الفصيلة حتى في الرتبة . وفي معجم الألفاظ الزراعية تفصيل ذلك . ولم يفرق صاحب «عثرات اللسان» بينهما ، وكذلك صاحب محيط المحيط .

٦٧ – مِساحة الأرض : ميمها مكسورة والعامة تفتحها غلطاً ، وهي على وزن فِعالة كالفِلاحة والزِراعة والتِجارة وأشباهها .

٦٨ – الحَوَر : هو بالفرنسية Peuplier . واوه مفتوحة والناس يسكنونها .

٦٩ – الصَّبِر : باؤه مكسورة ، وهم يسكنونها غلطاً . وهو بالفرنسية Aloès ، ومنه الصبر السُّقُطْري نسبة الى جزيرة سُقُطْرَى . وكل من الصُّبار بالضم والصَّبّار بالفتح وتشديد الباء غيره . فالأول هو التمر الهندي ، والثاني لفظ شامي مولد يطلق على ما يسمى التين الشوكي في مصر Oponce vulgaire .

(١) مجموعة البحوث والمحاضرات لمؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته السابعة والعشرين (١٩٦٠ – ١٩٦١) ص ٢٥٧ – ٢٦٠ .

٧٠ — الزَّرِيْعة : راء هذه الكلمة مخففة والناس يشددونها خطأ . وهي على وزن فَعِيلة تدل على الأرض المزروعة والحب الذي يُزرع . وهي بالفرنسية Semences و Semis و Sole

٧١ — المَطَر غير الشِّتاء : يستعملون في الشام كلمة الشتاء بمعنى المطر على حين أن الشتاء أحد فصول السنة كالصيف والخريف والربيع .

٧٢ — جمع القرية قُرَى لا قَرايا . وجمع القَبْو أقباء لا أقبية .

٧٣ — الرَّباعِيَة : ياؤها مخففة ، وهم يشددونها . وهي بالفرنسية Mitoyenne . ويكون في كل فكٍّ من فكي الفرس ثَنِيَّتان ورَباعِيَتان وقارحان أي ست أسنان قواطع .

٧٤ — المستوَى لا المنسوب : يقول بعض المهندسين بلغ منسوب الماء كذا . والصحيح مستوي الماء Niveau . ويقولون مثلاً يبلغ منسوب الأرض ٣٠٠ متر فوق سطح البحر . والصحيح ارتفاعها Altitude ou Cote . والمنسوب في الحالين لا وجه لها ، وهي محدثة أدخلت المعجم الوسيط وذكر فيه أنها محدثة .

٧٥ — الصَّبِيب والمَصْبُوب لا التصريف : يستعمل بعض المهندسين التصريف بمعنى Débit الفرنسية الدالة على مقدار الماء الذي ينصب من النهر في وحدة معينة من الزمن . وهذا هو الصبيب والمصبوب ج أَصِبَّة ومصبوبات . أما صرَفَ ومضعفه صرَّف فقد جعلا أمام Drainage أي تطهير الأرض بصرف مياهها الزائدة .

٧٦ — الكَمْء لا الكِمِي : الكمء ج أكمؤ وكمأة هو بالفرنسية Truffe . والعامة تسميه الكِمِي .

٧٧ — الفَرْخ والرَّئد أو البَتيلة لا الخِلْف ولا المَرْوش : أغصان تنشأ من براعم عرضية على موضع ما من سوق بعض الشجر ، ولا سيما على أرومات الأشجار المقطوعة وهي بالفرنسية Rejet ou Rejeton .

٧٨ — حافَةُ الحَقل لا حافَّته : أي جانبه . فالفاء مخففة والناس يشددونها . والعامة تقول حَفّة .

٧٩ — الكَشُوث لا الحامول : Cuscute من النباتات الطفيلية المشهورة . والفرنسية من العربية . وهذه من أصل سرياني ، والحامول عامية مصرية .

٨٠ — الجَعْفيل وأسَد العَدَس والهالوك : Orobanche . ذكر ابن البيطار العربيات الثلاث وقال ان الهالوك اسمه في مصر . والجعفيل من أصل سرياني . وهو في السريانية بالقاف ، ولكن عرب الشام عرّبته بالفاء . واشتق فلاحو الشام منه الفعل جَعْفَلَ فقالوا جعفلَ الفولُ أو العدسُ أي أصابه الجعفيل . وهو من النباتات الطفيلية المشهورة عند الفلاحين وأنواعه كثيرة .

٨١ — العَدَس لا العَدْس : Lentille . دال العدس مفتوحة . والناس يسكنونها في القطر المصري .

٨٢ — الكُرّاث لا الكرات : Poireau . هو بالثاء المثلثة والناس يلفظونها بالمثناة غلطاً . والعامة في دمشق تسميه البراصية . وهي من بَراصة التركية .

٨٣ — الكَبَر والأصَف لا القبّار : Caprier . القبّار عامية شامية .

٨٤ — النارَنج لا النَفّاش ولا أبو صُفَير : Bigaradier . النفاش وأبو صفير اسمه في لبنان . ويسمون زهره القَدّاح .

٨٥ — الراتينَج والراتينَج لا الراتنج : Résine • كثيراً ما يغلط المؤلفون فيطرحون ياء الراتينج •

٨٦ — المِئبر والمِئبار لا المتك : Anthère • هو في الزهرة جزء السداة المحتوي على اللقاح • وكلمة المَتك بفتح الميم قبيحة لها مدلول معلوم في الإنسان ، ولا وجه لها البتة في النبات •

٨٧ — المِدَقّة أو الوَزيم لا المتاع : Pistil ou Gynécée • وهي جملة الأخبية في الزهرة ، وتشتمل على المبيض والسمة والقلم • وكلمة المتاع لها مدلول في المرأة ، ولا مدلول لها في النبات • وإجازتها في هذا المقام خطأ شنيع •

٨٨ — الخُزامى وخيري البَرّ لا اللاوندا : Lavande • وهو أنواع • ولا حاجة إلى التعريب •

٨٩ — الغاريقون الزراعي أو الفُطر الزراعي لا عَيش الغراب : Agaric champêtre ou Champignon de couche • فطر من الفصيلة الغاريقونية يزرع في المفاطر ويؤكل وتسميه العامة في القطر المصري عيش الغراب •

٩٠ — السَّعتَر والصَّعتَر لا الزَّعتَر : Thym ordinaire •هو السعتر الشائع والناس في الشام يلفظونه بالزاي غلطاً •

٩١ — الجَوز لا ناب الجمل : Noyer • ناب الجمل عامية مصرية تطلق على الجوز وثمره •

٩٢ — المَزرَعة أو المشارة أو الجُوبة الخ • لا العِزبة : Ferme • العزبة عامية مصرية شائعة • وقد ضُمت إلى المعجم الوسيط وقيل فيها إنها مولدة •

٩٣ — الجِذر أو العِرق أو الأصل لا الشرش : Racine • الشرش عامية شامية وهي من أصل سرياني •

٩٤ ــ العُنْشُوش أو الشُفْروق لا العَرْموش : Rafle ، هو في العنب العُنقود أ كل عنبه ، والعرموش عامية شامية .

٩٥ ــ البابونج لا الكاموميل ولا البابونيك : Matricaire camomille . الكلمتان غير الصحيحتين وجدتهما في كتاب كبير حديث للخضر مطبوع في القاهرة .

٩٦ ــ الخَشْخاش أو الخشخاش المنوِّم لا أبو النوم : Pavot somnifère . نوع الخشخاش الذي يُستخرج الأفيون من ثماره . وأبو النوم اسمه العامي في مصر .

٩٧ ــ الخَشْخاش المنثور لا البرقوق ولا أبو النوم زينة : Pavot coquelicot . نوع من الخشخاش مشهور ينبت بريًا ويزرع لزهره . والشُقّار أي شقائق النعمان غيره . فهذا النبات اسمه الفرنسي Anémone . وكلمة برقوق تستعمل في الشام . وتعبير « أبو النوم زينة » في مصر .

٩٨ ــ زهرة الآلام لا زهرة الساعة ولا شَرْك فلك : Passiflore . نبات معرش مشهور للتزيين يشبِّه الشاميون زهرته بالساعة . ويسميه المصريون باسم « شرك فلك » وهو من التركية « چرخ فلك » أي دولاب الفلك . وزهرة الآلام من اللاتينية Passiflora إلماعًا إلى أجزاء الزهرة التي تشبه أدوات تعذيب المسيح .

٩٩ ــ البِطّيخ : في المعجمات وكتب المفردات هو Melon بالفرنسية . وهو يسمى اليوم البطيخ الأصفر والقاوون في الشام ، والشَمّام والقاوون في مصر ، والأخيرة تركية . أما البطيخ الأخضر والبطيخ الشامي والبطيخ الهندي

والدُّلاّع والخِرْبِز والحَبْحَب فهو في المعجمات وكتب المفردات Pastèque بالفرنسية . وهو اليوم يسمى البطيخ في مصر ، والبطيخ الأحمر جنوبيّ الشام ، والجَبَس شماليه ، والرَّقّيّ في العراق نسبةً إلى الرَّقة . والفرنسية محرفة من بطيخ العربية .

١٠٠ — القِشْدة لا القشْطة : وذلك سواء أأطلقت القشدة على الكَشْأة والطّثْرة أي Crême ، أم أطلقت على ما يسمى بالفرنسية Pomme cannelle أو Anone وهي ثمرة معروفة في مصر سميت بهذا الاسم تشبيهاً للبها بالقشدة .

١٠١ — النبات المفترش المسمى بالفرنسية Liseron هو في اللغة اللبلاب واللبلاب الصغير والعَصَب والعَصَّب لا العُلَّيْق .

وإطلاق أساتيذ مصر اسم العليق على هذا النبات خطأ ، والعليق في كتب اللغة والمفردات نبات آخر اسمه الفرنسي Ronce . وهو الاسم الصحيح المستعمل في الشام .

وأما إطلاق اللبلاب في القطر المصري على أحد أنواع اللوبيا وهو Dolichos lablab فهو شيء حديث . ولعل السبب كونه مفترشاً كاللبلاب . وقد اقتبس الأوربيون هذا الاسم وسموا هذه اللوبيا Lablab . أما في المعجمات والمفردات فاللبلاب الكبير هو Lierre ، واللبلاب الصغير هو Liseron ليس غير ، والأخير يسمى بالعامية لفلافة لأنه يلتف على النباتات المزروعة .

١٠٢ — البَكُور والبَكورة والمِبْكار والمِعْجال لا البَكَيْري : Hatif ou Précoce ، وهي بكائر ومباكير ومعاجيل ، أي النباتات التي يتم نموها عاجلاً فتباع بثمن غالٍ . ويقال لها أيضاً بَدْرِيّة ولهذه الكلمة وجه .

١٠٣ — المِثخار لا الاقْبَيْس : Tardif · وهي المآخير أي التي يطول زمن نموها · وهي عكس المباكير · والاقبس عامية في الشام ·

١٠٤ — القَرانيا لا القِزْلجِق : Cornouiller · الثانية من قيزلجق التركية · والعامة في دمشق تقول أجلَنْجي ·

١٠٥ — خيار الخَلَل لا خيار الطورشي : Cornichon · كلمة طورشي تستعمل في مصر ، وهي من التركية تُورْشي أي الخلال ·

١٠٦ — التَّلَم لا التَّلْم ولا التَّلْم : Sillon وهو شَقّ الحراث · لامه مفتوحة ، والعامة تسكنها · ويبدل بعضهم من التاء المثناة ثاء مثلثة وذلك غلط ·

١٠٧ — البَرْدي لا البَبَيْر ولا البابير : Papyrus · العربيتان العاميتان تستعملان في الشام ·

١٠٨ — المَمْلَحة والرَّهْوَنة : وجدت الأولى في المعجمات الأصلية · أما الثانية فلم أجدها فيها · بل وجدت في مستدرك التاج وحده (مادة رها) : « والرهوان كسحبان المطمئن من الأرض وبه سُمي البرذون إذا كان لين الظهر في السير رهوان وهي عربية صحيحة » · وكرر صاحب التاج ذكر الرهوان في شرحه لمادة مِملاج فقال المملاج واحد المماليج والبرذون واحد البراذين وهو المسمى برهوان · ولم يذكر هل كلمة رهوان هي من عنده أم هي منقولة من كتاب موثوق به · واشتقت العامة الرهونة من رهوان ، وهي سيره أي المملجة في المعجمات ·

١٠٩ — التَّفْريخ والإشطاء لا التجدير ولا الإجدار : Tallage · حصول سُوق طارئة من براعم جانبية تنشأ في ساق الزرع الأصلية · والفلاحون

يقولون جَدَّرَ الزرعُ وأجدر . ولهذين الفعلين في اللغة معانٍ أخرى . والساق الطارئة على ساق الزرع الأصلية تسمى الفَرْخ والشَّطْء Talle . وهذه الفراخ أو الأشطاء تحصل في الربيع ؛ وهي تسنبل فتزداد بها الغلة .

١١٠ — الخُمُّ لا القِنّ : Poulailler . بيت الدجاج . والجمع خِمَمَة . والقن عامية .

١١١ — الأُرُومة لا الأُرْمية ولا القُرْمية : Racine principale . Souche . ما يبقى من الشجرة في الأرض بعد قطعها . وكذلك عِرقاة الشجرة أي جذرها الأصلي . والجمع أُرُوم .

١١٢ — المِنْكاش والمِنْكَش لا المَنْكوش : Pioche . هو في الشام معول تحرث به الأرض الحجرية ، ولا سيما في الجبال . وتسميه العامة المنكوش . وفي المعجمات نكشَ العشبَ أتى عليه وأفناه . فاسم الآلة منه مِنْكاش أو مِنْكَش . وفي مستدرك التاج المِنكاش المنقاش .

١١٣ — الشُّنْغُب والشُّنْغوب لا الشَّنْغوب Pousse terminale . Flèche . غصن ينمو لسنته ويكون ذروة الشجرة أو النبات . وشينه مضمومة ، والعامة تفتحها . ومن الصحيح أيضاً الشُّغْنب والشُّغْنوب بتقديم الغين على النون . ويقال نامية انتهائية .

١١٤ — العُكَيْس لا التَدْريخة ولا الداروخ : Marcotte . معنى العكيس في اللغة وفي علم الزراعة غصن يُحنى ويُدفن في التراب ، دون فصله عن أمه ، أو يُجمع التراب حوله ، حتى إذا برزت له جذور في الحالين ، يُفصل عن أمه ويُغرس فيكون نباتاً مستقلا . والعكيس فَعيل بمعنى مفعول . وهو من العكس أي القلب ويسمى بالفرنسية Marcottage . ويسميه بعض الزراعيين الترقيد . ويعنون بذلك الإرقاد أي الإنامة .

١١٥ — الضَّجَعان والغَمَل لا الترقيد : Verse . ويستعملون الترقيد أيضاً لما يسمى بالعربية الصحيحة الضجعان والغمل وهو استلقاء الزرع من كثرة المواد الغذائية في التربة ، ولا سيما كثرة الآزوت وقلة الفصفور . ومن جملة أسبابه الظل ، كظل الشجر ، والجو الحار الرطب الخ .

١١٦ — الغَبْط والغِبْط لا العَبْط : Javelle . بضع قبضات مجموعة من الزرع المحصود . وهي بالغين المعجمة . وإذا كُدست الغبوط سُميت عامةً Gerbe .

١١٧ — السقي سَيْحاً أو بالسَّيح لا السَّقي بالراحة : وهو السَّقي بالماء الجاري خلافاً للسقي نَضحاً أو بالنضح أي خلافاً للإسقاء بالناعورة على الدواب ، أو بالمضخة والمحرك ، أو بالغَرْب ، أو بالدالية ، أو بالشادوف ، أو بغيرها من وسائل رفع الماء .

وكلتا السقي والإسقاء هما المستعملتان في المعجمات والكتب الفقهية والزراعية القديمة ترجيحاً على كلمتي الرَّيّ والإرواء اللتين يكثرون من استعمالها في هذا الزمن .

١١٨ — الشِّقِران : Rouille . يسمى اليوم مرض الصَّدأ وهي مترجمة . وهو يحصل في الزرع ، وأنواعه كثيرة ذكرت بعضها في معجم الألفاظ الزراعية .

١١٩ — الإسقاء بالغَمْر لا بالرِّباص : Irrigation par submersion . الرباص عند فلاحي الشام سَقْي الزرع بالغمر ، وسقي السكبات أي المساكب في البساتين .

١٢٠ — كثيف أو ملتف أو مُتآصِر لا عَبي : Dru . يقول الزارعون في الشام هذا زرع عَبي وهذا شجر عبي . وكلمة العبي لا وجه لها . والصحيح ما ذكرته . وفي المخصص (ج ١١ ص ٥٠) : « المتآصر من الزرع ، الذي تقاربت أصوله » .

١٢١ — القُنَّب لا القِنَّب: Chanvre . بكسرون نون القنب وهي مفتوحة . أما قافها فقد وردت بالضم والكسر .

١٢٢ — يطلق الشاميون في سورية ولبنان على أشجار مشهورة أسماء مولدة من المفيد إقرارها وهاكم بعضها :

المَلُّول Quercus infectoria ويسمى العفص أي شجر العفص وهو من أنواع البلوط الشائعة في حراج الشام .

العِزْر واللَّك Quercus cerris العزر في جبل العلويين واللَّك في لبنان . وهو نوع من شجر البلوط مبذول .

الشُّوح Abies cilicica من أنواع التَّنُّوب ، وهو تنوب كيليكية من شجر الحراج المشهورة .

الفِتْنة Acacia farnesiana هو سَنْط فَرْنِس ، تسميه العامة الفتنة والعنبر وهو بالفرنسية Cassier يُستخرج عطر من زهره .

الدَّفران Juniperus drupacea وهو عَرْعَر الشام والعرعر النَّوَوي . والدفران من السريانية وهي تطلق في جبال الشام على هذا النوع من العَرْعَر .

اللَّزَّاب Juniperus excelsa وهو العَرْعَر العالي من شجر حراج الشام .

المَغْث والنَّغْث (Aune) Alnus جنس شجر حَرَجي يألف الماء . والعربيتان عاميتان تطلقان عليه في لبنان . واسم الجنس العلمي من السلتية على الأرجح بمعنى جار الماء .

١٢٣ ـ بعض ألفاظ مولدة استعملت قديماً أو حديثاً وما برحت تستعمل ، ويفيد إقرارها ومنها :

الشَّوْح — وقد مر ذكره ، وهو لَنَشُوب كيليكية (أو قيليقية) . وقد وجدتُ كلمة الشوح في مخطوطة كُتِبَت للسلطان صلاح الدين الأيوبي ، وكذلك في كتاب قوانين الدواوين لابن مَمّاتي (انظر ج ٣٣ ص ٥٦٥ من مجلة المجمع) .

النَّصْب والنَّصْبة Plantation et plant أي الغَرْس والغَرْسة . في قوانين الدواوين لابن مَمّاتي : « أوقات نصب الأشجار » أي غرسها . وورد ذكر النصبة في تاريخ حلب لابن العديم ، وفي كتاب عَلَم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسي . وذكر دُوزي الكلمتين في معجمه ولكنه نقل عن محيط المحيط وغيره من الكتب الحديثة ، ولم ينقل عن كتاب قديم لإثبات قدم استعمالها .

الكَسْح والزَّبارة : تستعملان في هذه الأيام بمعنى التقليم Taille والتشذيب Élagage أي قطع أغصان الشجر والكروم أو فروعها لأغراض زراعية . فالعامة في لبنان تسمي التقليم تشحيلاً (والتشحيل من أصل سرياني) ، وتجعل الزبارة مختصة بالكرم . وقد ذكر ابن العوام كلمة الكَسْح في أماكن كثيرة من كتاب الفلاحة الأندلسية . وسمى مُقَلّم الشجر كَسّاحا . أما ابن مَمّاتي فقد أكثر من استعمال التقليم بدلاً من الكسح . ومع هذا جاء في إحدى النسخ من كتابه قوله : وفيه تُكْسَح الكروم بأرض مصر » أي في شهر أمشير .

ولم أصادف في « قوانين الدواوين » لابن مماتي ذكراً لزبر الكروم وزبارتها أي تقليمها (أو تقضيبها أو تقنيبها) ، على حين ان ابن العوام استعمل الزبارة

في كتابه ، وكذلك ابن البيطار في مفرداته (مادة قفر اليهود) ، ومسرجس ابن هليا الرومي في ترجمته لكتاب الفلاحة الرومية ، والغزال في ج ٧ ص ٣٧٢ من نفح الطيب وغيرهم .

الشَتْلة ، الشَتْل ، شَتَلَ ، شَتَّلَ ، المَشْتَل : الشتلة من السريانية تطلق اليوم في مصر والشام على الغَرْسة والغَرِيسة والنَّصْبة التي مر ذكرها ، أي على كل نبات صغير له جذور ، يكون في الأُصُص أو في المستنبتات ، ثم يحوّل إلى مستقره في البستان أو الحديقة أو المبقلة . وجعل الفلاحون الشَتْلَ اسماً للجنس كنَملة ونَمل ، وشجرة وشجر ، ونخلة ونخل ؛ واستعملوا الفعل الثلاثي شَتَلَ ومضعّفهُ شَتَّلَ بمعنى حوّل الشتل إلى مستقره Repiquer؛ واشتقوا من شتلَ اسم مكان وهو المَشْتَل ، وأطلقوه على المستنبت الذي يربّى فيه الشتل Pépinière . وذكر ابن مَمَّاتي المتوفى سنه ٦٠٦ للهجرة الشتل في ذكره لزراعة الخس والكرنب . ولم ينقل دوزي في معجمه هذه الألفاظ من كتاب قديم . وقد أدخلها مجمع اللغة العربية في المعجم الوسيط لاشتهارها .

السِّباخ والتَّسْبيخ : لم ترد الكلمة الأولى في المعجمات بمعنى الزبل أو السماد أو القمامة ، ولا الكلمة الثانية بمعنى فعل الزَّبْل أو التسميد . واستعمالها بهذين المعنيين شائع في مصر في أيامنا هذه ، كما كان معروفاً في زمن ابن العوام الإشبيلي في الأندلس ، وفي زمن ابن مماتي في مصر ، ولذلك ذكراه في كتابيهما .

التيْل الهندي : اسمه العلمي Hibiscus cannabinus ويسمى التيل في مصر . وهو يزرع قليلاً فيها فتستخرج من سوقه ألياف تفتل حبالاً غلاظاً . وفي الهند تنسج أليافه نسيجاً للأكياس وأضرابها . لم أجد اسم هذا النبات في المعجمات ولا في المفردات ، وجاء ذكره في كتاب قوانين الدواوين لابن مماتي .

وجاء في مستدرك التاج : « وتيل نهر ، وأيضاً شيء شبه الكتان يخرج من البحر تُنسج منه الثياب » ؟ . وقد أدخل مجمع القاهرة كلمة التيل في المعجم الوسيط ، وأشار إلى أنها مولدة .

العِمارة : من معاني العمارة عند الفلاحين إحياء الأرض وتسميدها أي إضافة المواد المخصبة إليها لتزداد غلتها ، وقد ذكر بعض القدماء هذا المعنى في كتبهم ، ومنهم ابن مَمّاتي .

الوَقّاف : لهذه الكلمة معانٍ مولدة ذكرها دُوزي ، ولكنه لم يذكر المعنى الزراعي الذي ما برحت تدل عليه في زمننا هذا في غوطة دمشق ، وهو مراقب الفلاحين في اعمال الإسقاء وغيرها من الأعمال الزراعية . وقد عَرَّف ابن مماتي الوقاف بقوله : « والعادة جارية أن يكون لكل وجه وَقّافان ، وهما اللذان يُحوِّلان المياه إلى ما يحتاج إليها[1] » .

الخَوْلِيّ والخَوَلِيّ : Contremaître . في القاموس الخَوْلِي ، والجمع خَوَل . الراعي الحسن القيام على المال . وأضاف الزبيدي : أو القائم بأمر الناس السائس له . وقال في مستدرك التاج : «الخولي من يقيس الأرض بقصب المساحة » . وفي اللسان جاءت واو الخولي مفتوحة . والجمع خَوَل كعربي وعرب . والمعروف في زمننا أن الخَوْلي هو رئيس فلاحي المزرعة أي الذي يدير شؤونهم نائباً عن صاحبها أو عن مستأجرها . وقد ذكر صاحب محيط المحيط هذه الكلمة وجمعها على خَوْلِيَّة . وجمعت أيضاً على خَوَلة . وقال ابن مَمّاتي فيها : « ويُحتاج إلى خَولي خبير بالأرض وبقاعها ، عارف بالمزروعات وأنواعها » .

(١) يراجع بحث كلمات مولدة مشهورة في كتاب قوانين الدواوين لابن مماتي : مجلة المجمع ج ٣٣ ص ٥٥٦ ــ ٥٥٧ .

ومن الواضح أن تضمين هذه الكلمة المعنى الحديث وجهاً مقبولاً ما دامت تُستعمل بهذا المعنى منذ زمن ابن مماتي إلى يومنا هذا . ولذلك أدخلت في المعجم الوسيط وقيل فيها : « رئيس العمال في المزرعة ج خَوَل » .

الخَيْش والتخييش، والشُّونة والتشوين ، والكِيس والتكييس :

كلمة الخيش مولدة بمعنى الجوالق والكيس المصنوع من شعر المعزى أو من مشاقة القنب . والشُّونة بالفتح وردت في القاموس والتاج وقيل فيها إنها لغة مصرية . وهي تطلق على مخزن الغلة (أي الهُري والأهراء والأنبار Grenier) ؛ ويضمون شينها اليوم في مصر . وفي مستدرك التاج الشُّوان خازن الغلة . وقد اشتق المولدون أفعال التخييش والتشوين والتكييس بمعنى وضع الأشياء في أخياش وشُوَن وأكياس . وفي كتاب قوانين الدواوين لابن مماتي ذكر للتخييش والتشوين . ولم يذكرهما دوزي في معجمه . أما فعل التكييس فلم يذكره ابن مماتي بهذا المعنى ، بل ذكره البستاني في محيط المحيط ، ونقله دوزي عنه كما نقل معنى التدليك في الحمامات وكلا المعنيين مشهور في الشام في أيامنا هذه .

التأصيص والتعشيب : كلاهما حديث . فالأول Empotement ، Empotage هو الزرع في أصيص . والأصيص هو بالفرنسية Pot وهو الوعاء الخزفي الذي تزرع فيه بزور الزهر وغيرها . ويسمى أيضاً المِرْكن . واسمه المشهور في الشام شَقَفة الزَّرِيعة ، فاؤها مفتوحة في المعجمات ، والناس يسكنونها .

أما التعشيب Sarclage فهو إبادة الأعشاب المضرة لكي يجود النبات المزدرَع

وهذا المعنى لم يرد في المعجمات ، على حين أنه مشهور عند الفلاحين . فمن المفيد تضمين التمشيب المعنى المذكور .

السانية والشادُوف : تُطلق السانية في مصر على ضرب من الدواليب يُستعمل في رفع الماء . فقد اقتبس الفرنسيون هذا الاسم وضموه إلى لسانهم ، وأثبتوه في معجماتهم ، على حين اننا نعده بهذا المعنى من الفاظ العامة . فقد جاء في المعجم الوسيط أنه مولد . وقال الزبيدي في التاج : « والآن يطلقونها (أي السانية) على ما يستقى عليها بالسواني » .

أما الشادوف فهو أداة للسقي تُستعمل في مصر منذ زمن الفراعنة الأولين . وقد نقلت كلمة الشادوف هذه إلى الفرنسية ، وأثبتت في معجماتها . وجاء في المعجم الوسيط أنها كلمة مصرية ، وجاء فيه أيضاً : « ويقولون شَدَفَ : سقى بها » . وجاء في مستدرك التاج أن الشادوف لغة مصرية .

الفاكِهاني لا الفكّاه : استعمل ابن مماتي كلمة الفكّاه بمعنى بائع الفاكهة ، على حين أن سيبويه قد منع هذا الاستعمال في قوله : « ولا يقال لبائع الفاكهة فكّاه كما قالوا لبّان ونبّال لأن هذا الضرب إنما هو سماعي لا اطرادي » . قلت في المعجمات ألفاظ كثيرة على هذا الوزن كالحنّاط والورّاق والبدال والسمان والتمار والتبان واللحام والأبار الخ . وكلها تطلق على بائعي هذه الأشياء . ومع هذا إن عندنا كلمة صحيحة مشهورة تقوم مقام الفكاه وهي كلمة الفاكِهاني .

الحاكورة : جاء في مستدرك التاج « والحاكورة قطعة أرض تُحكر لزرع الأشجار قريبة من الدور والمنازل ، شامية » . وجاء في المعجم الوسيط « الحاكورة أرض تُحبس لزرع الأشجار قرب الدور » . وسهي في المعجم

الوسيط عن القول بأن هذه الكلمة هي شاميه أو مولدة . وهي اليوم مشهورة في الشام تطلق على التربة التي تكثر فيها المركبات الآزوتية والنوشادرية لقربها من الدور . والحاكورة تستعمل في زراعة الشجر وغير الشجر . والنباتات التي تنبت فيها تسمى نباتات الدِّمَن أو خضراء الدمن Plantes rudérales .

١٢٤ ـ مشتقات زراعية مولدة يفيد إقرارها [1] :

في الزراعة الحديثة كلمات أعجمية كثيرة يدل بعضها على علوم زراعية ، وبعضها على صناعات زراعية ، وأخرى على أماكن تزرع فيها صنوف النبات ، وأماكن تربى فيها دواجن الحيوان . ومعظم هذه الكلمات الأعجمية لا مقابل لها في معجماتنا . ويُعد بعضها من ألفاظ الزراعة وألفاظ الحضارة على السواء .

وكنت فيما مضى من السنين وضعتُ أو اخترت لها ألفاظاً عربية مشتقة ، متقيداً على قدر الاستطاعة بثلاثة قرارات لمجمع اللغة العربية في القاهرة منشورة في الجزء الأول والجزء الثاني من مجلته . فالقرار الأول منها يختص بالاشتقاق من أسماء الأعيان ، والثاني يختص بصياغة مصدر على وزن « فِعالة » بالكسر للدلالة على الحرفة أو شبهها ، والثالث في صياغة « مَفْعَلة » من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للمكان الذي تكثر فيه الأعيان .

---

(١) خلاصة بحث ألقيته في الدورة السادسة والعشرين (١٩٥٩ ـ ١٩٦٠) لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ونشر في هذه المجلة (ج ٣٥ ص ٣٠٣) ، وفي مجموعة البحوث والمحاضرات التي أصدرها مجمع القاهرة للدورة المذكورة .

وهاكم جملة من هذه الألفاظ المشتقة :

١ — كلمات فرنسية تدل على حِرَف زراعية أصبحت علوماً :

غِراسة Arboriculture زراعة الشجر . لم ترد الغراسة في المعجمات ، ولكنها وردت عرضاً في مادة « خرج » في اللسان والتاج . ووردت في كتب زراعية قديمة .

حِراجة Sylviculture علم الحراج ، زراعة الحراج . والحراجة مشتقة من حَرَجة Forêt وجمع الحرجة حِراج وأحراج وحَرَجات وحَرَج . والأخيرة للواحد والجماعة (١) .

زِهارة Floriculture زراعة الزهر أي نباتات الزهر .

كِرامة Viticulture زراعة الكرم .

كِماءة Trufficulture زراعة الكَمْء .

بستنة Horticulture زراعة البساتين . وشاعت البستنة .

نِحالة Apiculture تربية النحل . وشاعت النحالة . والنَّحَّال Apiculteur وردت في مستدرك التاج .

قِزازة Sériciculture تربية القَزّيّة أي دودة القز .

سِماكة Pisciculture تربية السمك .

مِحارة Ostréiculture تربية المَحار .

نِباذة Vinification صناعة النبيذ . ووردت النباذة في المعجمات .

تِفاحة Pomologie زراعة التفاح .

---

(١) تراجع مصطلحات الحراج في « معجم المصطلحات الحراجية » بقلمي . طبعه المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٦٢ م .

٢ — كلمات فرنسية لها معنيان الأول للصناعة والثاني للمَصْنَع :

(١) لِبانة (٢) مَلْبَنَة Laiterie الأولى صناعة الألبان والثانية مصنع الألبان . وفي الشام يقولون حلابة ومَحْلَبة .

(١) جِبانة (٢) مَجْبَنَة Fromagerie صناعة الجبن ومصنع الجبن .

(١) قِطانة (٢) مَقْطَنَة Cotonnerie زراعة القطن ومزدرَع القطن .

(١) صِبانة (٢) مَصْبَنَة Savonnerie صناعة الصابون ومصنع الصابون .

(١) نِشاءة (٢) مَنْشَاة Amidonnerie صناعة النشا ومصنع النشا .

٣ — كلمات فرنسية تدل على أمكنة يكثر فيها النبات أو الحيوان :

مَرَزَة Rizière مُزدَرَع الرز .

مَوْرَدة Roseraie حديقة الورد .

مَتْفَحة Pommeraie بستان التفاح . وقد وردت في المعجمات وإن يكن لفظ التفاح غير ثلاثي، كما قالوا مبطخة ومقثأة من بطيخ وقثاء .

مَتانة أو مَتْوَتة Mûraie ou Mûreraie بستان التوت (على الإعلال أو التصحيح)

مَطارة أو مَطْيَرة Volière بيت دواجن الطير . (على الإعلال أو التصحيح)

مَفْرَسة أو مَحْرِسة Haras مكان تربية الفرس .

مَقْصَبة غيضة Oseraie القصب .

مَمازة أو مَمْوَزة Bananeraie بستان الموز .

مَدْلَبة Platanaie أرض غُرس الدلب فيها .

مَبْقَرة Bouverie حظيرة البقر . والصِّيرة في المعجمات حظيرة الغنم والبقر .

مَزْبَدة Beurrerie مصنع الزبد .

(١) مَقْشَدة (٢) مَلْبَنة Crêmerie الأولى مصنع القشدة . والثانية الدكان يباع فيه اللبن والزبد والجبن والبيض .

مَأرَزَة Cédraie حرجة الأرز

مصطفى الشهابي

الاصطلاحات الفلسفية

- ١٧ -

الجسم

في اللاتينية	Corpus
في الفرنسية	Corps
في الانكليزية	Body

الجسم في بادىء النظر هو هذا الجوهر الممتد القابل للأبعاد الثلاثة : الطول والعرض والعمق . وهو ذو شكل ووضع ، وله مكان إذا شغله منع غيره من التداخل فيه معه . فالامتداد وعدم التداخل هما اذن المعنيان المقومان للجسم ، ويضاف إليهما معنى ثالث وهو الكتلة (Masse) .

والجسم الطبيعي عند الفلاسفة هو الجوهر القابل للأبعاد الثلاثة . وهم وإن كانوا يطلقون الجسم أحياناً على ما له مادة ، والجوهر على ما لا مادة له ، إلا أنهم يطلقون الجوهر أيضاً على كل متحيّز ، فيكون معنى الجوهر أعم من معنى الجسم .

والجسم التعليمي عندهم هو ما يقبل الانقسام طولاً وعرضاً وعمقاً . ونهايته السطح ، وهو نهاية الجسم الطبيعي . وقد سمّي جسماً تعليمياً نسبة الى العلوم التعليمية الباحثة فيه ، وهي علوم الكم المتصل والمنفصل . وقد نسبوها إلى التعليم لأنهم كانوا يبتدئون بها في تعليمهم ورياضتهم لنفوس الصبيان .

والجسم والجرم مترادفان ، إلا أن أكثر استعمال الجرم في الأجسام الفلكية . ومنه الأجرام الأثيرية مع ما فيها ، وتسمّى عالماً علوياً .

ويطلق الجسم على الجسد ، وهو مقابل للروح .

والجسيمات (Corpuscules) هي الأجسام الصغيرة . أطلق هذا اللفظ في القرنين السابع عشر والثامن عشر على الذرّات والجواهر الفردة ، ثم أطلق في أيامنا هذه على العناصر الصغيرة المحسوسة مثل جسيمات اللمس (Corpuscules du tact)

وفلسفة الجسيمات نظرية طبيعية تحاول تفسير بعض الظواهر الطبيعية بتجمع بعض الجُزَيْئات غير المرئية . والجُزَيْء من مادةٍ ما هو أصغر جزء مستقل منها يصح أن يوجد محتفظاً بالخواص الكيماوية لهذه المادة .

الجمال ، الجميل

في الفرنسية	Beauté, Beau
في الانكليزية	Beauty, Beautiful
الأصل اللاتيني	Bellus

الجمال عند الفلاسفة صفة تلحظ في الأشياء وتبعث في النفس سروراً ورضىً . والجمال من الصفات ما يتعلق بالرضا واللطف ، وهو أحد المفاهيم الثلاثة التي تنسب اليها أحكام التقدير ، أعني الجمال والحق والخير .

قال (كنت) : الجمال هو ما يبعث في النفس الرضا دون تصور ، أي ما يحدث في النفس عاطفة خاصة تسمّى بعاطفة الجمال .

والجمال والقبح بالنسبة إلى الانفعال كالخير والشر بالنسبة الى الفعل ، والحق والباطل بالنسبة الى العقل . والجمال مرادف للحُسن . وهو تناسب الأعضاء . وأكثر ما يقال في تعارف العامة في المستحسن بالبصر . وكمال الحسن في الشعر ، والصباحة في الوجه ، والوضاءة في البشرة ، والجمال في الأنف ، والملاحة في الفم ،

والحلاوة في العينين ، والظرف في اللسان ، والرشاقة في القد ، واللباقة في الشمائل ، والتوازن في الأشكال ، والانسجام في الحركات . والجميل هو الكائن على وجه يميل اليه الطبع وتقبله النفس ، غير ان ما يميل المرء اليه طبعاً يكون جميلاً طبعاً ، وما يميل اليه عقلاً فهو جميل عقلاً . والقبيح ما لو فعله العالم به اختياراً يستحق الذمّ عليه .

والعلم الذي يبحث في الجمال ومقاييسه ونظرياته يسمّى بعلم الجمال (Esthétique) وهو باب من الفلسفة .

والجمال الالهي نوعان ، معنوي ، وهو ما تدل عليه الأسماء والصفات ، وصوري ، وهو هذا العالم المطلق المعبر عنه بالمخلوقات على تفاريعه وأنواعه وروائعه . والفرق بين الجمال والجلال ان الجمال تناسب واعتدال يرضيان النفس ، على حين ان الجلال هو ما جاوز حدّ الاعتدال من نواحي الفن والخلق والفكر . وجمال الله تعالى عبارة عن أوصافه المشتملة على الرحمة والعلم واللطف والجود وأمثال ذلك ، أما جلاله فهو ما يتعلق بالربوبية والقدرة والعظمة والكبرياء والمجد . فالجميل يبعث فينا البهجة والرضا ، والجليل يبعث فينا الخشية والدهش والذهول والرهبة .

الجمع

في الفرنسية Addition

في الانكليزية Addition

جمع المتفرق جمعاً : ضمّ بعضه الى بعض وألّفه . والجمع الجماعة من الناس . وعند علماء الرياضيات ضم الأعداد أو الحدود الجبرية المتشابهة بعضها الى بعض . وعند الاصوليين والفقهاء هو أن يجمع بين الأصل والفرع لعلة مشتركة بينهما ليصح القياس ، ويقابله الفرق ، وتلك العلة المشتركة تسمى جامعاً .

وعند الصوفية هو ازالة الشعث والتفرقة . وميزوا الجمع (Réunion) من التفرقة (Séparation) بقولهم : ان ما يكون كسباً للعبد من اقامة وظائف العبودية ، وما يليق بأحوال البشرية فهو فرق . وما يكون من قبل الحق من إبداء معانٍ وابتداء لطفٍ واحسان فهو جمع ، ولا بدّ للعبد منهما ، فإن من لا تفرقة له لا عبودية له ، ومن لا جمع له لا معرفة له . قالوا : « وجمع الجمع مقام آخر أتم وأعلى من الجمع . فالجمع شهود الأشياء بالله والتبرّي من الحول والقوة إلّا بالله ، وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية والفناء عما سوى الله ، وهو المرتبة الأحدية » (تعريفات الجرجاني) .

والجمع عند المنطقيين هو كون المعرّف بحيث يصدق على جميع أفراد المعرَّف ، وذلك المعرّف يسمى جامعاً . ويصح الجمع المنطقي في التصورات كما يصحّ في القضايا . ويرمز اليه في علم المنطق الحديث باحدى الاشارتين التاليتين : (+) و (ں) . فالمجموع المنطقي للتصورين يضم جميع الأفراد المندرجين تحت شمول أحدهما . مثال ذلك العرب والإسلام ، والآسيويون والصينيون ، والمجموع المنطقي (Somme logique) للقضيتين هو القضية التي يحكم فيها بصدق واحدة من هاتين القضيتين على الأقل .

الجمعي والجماعي

في اللاتينية	Collectivus
في الفرنسية	Collectif
في الانكليزية	Collective

الجمعي أو الجماعي ضد الفردي (Individuel) ، وهو يدل على آحاد كثيرة مجتمعة مثل قوم ورهط وجيش ، وهي التي يسميها النحاة أسماء الجموع . والفرق

بين الجمعي والكلي ان الكلي اسم مشترك بين عدد غير محدود من الأفراد صادق على كل واحد منها ، على حين أن الجمعي أو الجماعي مشترك بين عدد محدود من الأفراد صادق على مجموعها لا على أفرادها . ولهذا الفرق بين الجمعي والكلي نتيجة منطقية ، وهي ان اسم الجمع أو الاسم الجمعي يعتبر حداً جزئياً من جهة كونه دالاً على جملة آحاد مقصودة كقولنا المجمع العلمي ، أو المجلس النيابي ، أو المدرسة الأفلاطونية الحديثة . فهي أسماء جمع جزئية تصدق على مجموع الأفراد لا على كل واحد منها على حدته . وقد يدل الجمعي أو الجماعي على الصفات المشتركة بين آحاد كثيرة مجتمعة مثل قولنا الميول الجماعية ، والتصورات الجماعية ، وعلم النفس الجماعي .

علم النفس الجماعي (Psychologie collective) — قد تكون الأحوال النفسية جماعية لأن الأفراد الذين يشتركون في حياة اجتماعية واحدة يؤثر بعضهم في بعض ، فينشأ عن ذلك ألوان من التفكير والاحساس والارادة مختلفة عما يفكر فيه الفرد ، أو يحس به ، أو يريده بنفسه ، وكثيراً ما تتخذ الجماعات قرارات لم يردها أعضاؤها لو خلوا بأنفسهم لاختلاف شروط الارادة المشتركة عن شروط الارادة الفردية ، كأن هناك وجداناً جماعياً أو شخصية جماعية تفرض نفسها على الأفراد من الخارج وتملأ نفوسهم من الداخل ، وقد أطلق (دوركهايم) اصطلاح الوجدان الجماعي (Conscience collective) على التصورات والعواطف المشتركة ،وزعم انها مختلفة عن التصورات والعواطف الفردية . ولكن هل يستطيع هذا الوجدان الجماعي أن يدرك أحواله بنفسه . هذه مسألة خلافية لا مجال للاجابة عنها الآن . فربما كان الوجدان الجماعي دالاً على الإطار المحيط بالأحوال النفسية الجماعية شعورية كانت أو لا شعورية ، بل ربما كان مرادفاً للعقل الكلي ، وعندئذ يصبح عقلاً مستقلاً عن عقول الأفراد ، شبيهاً بالعقل الفعّال الذي تفيض عنه المعقولات على العقل الانساني ، (راجع العقل الفعّال) .

الجنّ

في الفرنسية Démon

في الانكليزية Demon

الجنّ خلاف الإنس ، والواحد منه جنّي ، سميت بذلك لأنها تخفى ولا ترى .

زعم بعضهم ان الجنّ أرواح مجردة متوسطة بين الله والإنسان ، وزعم آخرون أن الجنّ أرواح سفلية تمييزاً لها من الملائكة أي العقول المجردة ، والنفوس الفلكية العالية . قال ابن سينا : « الجن حيوانات هوائية تتشكل بأشكال مختلفة » ثم قال : « وهذا شرح الاسم » . فقوله : وهذا شرح الاسم ، يدل على أن هذا الحدشرح للمراد من هذا اللفظ ، وليس للجن في نظره وجود في الخارج . والمثبتون للجن يرون أن بعضها خَيّرة مُحبة للخيرات ، وبعضها شريرة محبة للشرور والآفات . وقيل العقلاء ثلاثة أصناف : الملائكة والجن والناس . فالملائكة خلقت من النور ، والانس خلق من الطين ، والجن من النار ، وزعم صاحب الانسان الكامل أن الجن على اختلاف أجناسهم أربعة أنواع : فنوع عنصريون ، ونوع ناريون ، ونوع هوائيون ، ونوع ترابيون . ويقال الجن على وجهين : أحدهما للروحانيين المستترين عن الحواس كلها بإزاء الانس ، فعلى هذا يدخل فيه الملائكة والشياطين ، والثاني ان الجن بعض الروحانيين . وذلك ان الروحانيين ثلاثة : أخيار وهم الملائكة ، وأشرار وهم الشياطين ، وأخيار وأشرار وهم الجنّ .

ويدل لفظ الشياطين في الكتاب المقدس على المبدأ الفاعل للشر ، أي على الأرواح الشريرة التي تؤثر في الانسان أو تدخل فيه فتسوقه إلى الرذيلة أو تسبب له الاضطراب والصرع أو الجنون أو المرض ، ومن قبيل ذلك قول علماء الأخلاق : شيطان الهوى ، وشيطان الطمع . الخ ..

الجنس

في اللاتينية	Genus, Generis
في الفرنسية	Genre
في الانكليزية	Genus

الجنس في اللغة الضرب من كل شيء ، وهو أعم من النوع (Espéce) . يقال الحيوان جنس والإنسان نوع . مثال ذلك : إذا كان أحد الصنفين مندرجاً تحت الآخر كان الأول نوعاً والثاني جنساً ، وكان الثاني أعم من الأول .

قال ابن سينا : « الجنس هو المقول على كثيرين مختلفين بالأنواع في جواب ما هو » (النجاة ص ١٢) . وقوله : (مختلفين بالأنواع) أي بالصور والحقائق الذاتية يخرج النوع والخاصة والفصل القريب ، وقوله : (في جواب ما هو) يخرج الفصل البعيد والعرض العام .

والجنس عند الفقهاء هو المقول على كثيرين مختلفين بالأحكام (قول أبي يوسف) أو المقول على كثيرين مختلفين صورة ومعنى (قول أبي حنيفة) .

والجنس في علم الأحياء « جماعة أنواع نباتية أو حيوانية لها صفات مشتركة » (معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي) ، وهو قسم من الفصيلة .

والجنس اما قريب واما بعيد ، فإن كان الجواب عن الماهية وعن كل ما يشاركها في ذلك الجنس واحداً فهو قريب ، كالحيوان بالنسبة إلى الإنسان ، فإنه جواب عن الإنسان وعن كل ما يشاركه في الحيوانية . وإن كان الجواب عنها وعن جميع مشاركاتها في ذلك الجنس متعدداً فهو بعيد ، كالجسم النامي بالنسبة الى الانسان ، فإنه جواب عن الإنسان وعن بعض ما يشاركه فيه كالنبات .

والأجناس تترتب متصاعدة والأنواع متنازلة ، ولكنها لا تذهب إلى غير النهاية ، بل تنتهي الأجناس في طرف التصاعد إلى جنس لا يكون فوقه جنس آخر ، والأنواع تنتهي في طرف التنازل إلى نوع لا يكون تحته نوع .

وللجنس عند قدماء الفلاسفة ثلاث مراتب . وهي : (١) الجنس العالي ، وهو الجنس الذي لا يوجد فوقه جنس آخر ، ويسمى جنس الأجناس كالموجود (٢) الجنس المتوسط وهو الجنس الذي يكون فوقه وتحته جنس كالجسم أو الجسم النامي . (٣) والجنس السافل وهو الجنس الذي لا يكون تحته جنس كالحيوان .

على أن لفظ الجنس لا يخلو من الالتباس ، لأنه يدل في اللغة على الأصل والضرب والصنف الجامع والنوع . فرب مفهوم اعتبر جنساً بالنسبة إلى ما تحته أمكن اعتباره نوعاً بالنسبة إلى ما فوقه . وإذا كان الشيئان مشتركين في بعض الصفات العامة كانا من جنس واحد ، وإذا كانا مشتركين في معظم الصفات كانا من نوع واحد ، ولهما في اللغة اسم واحد .

الجنون

في اللاتينية	Follis
في الفرنسية	Folie
في الانكليزية	Insanity

الجنون هو الاختلال العقلي الشديد ، وقيل هو زوال العقل أو فساده . تقول جُنّ جنوناً زال عقله ، وجنّ به ومنه أعجب به حتى صار كالمجنون . ومادة الجيم والنون للاستتار إلا أن معناها لا يخلو من الالتباس . وخير وسيلة لتوضيح المقصود منها اضافتها إلى لفظ آخر كقولنا جنون العظمة (Folie de grandeur - Mégalomanie) ، وجنون الاضطهاد (Folie de persécution) ، والجنون الدوري (Folie circulaire)

والجنون الأخلاقي (Folie morale) ، أو الاستعاضة عنها بلفظ آخر كقولنا : الاختلال العقلي (Aliénation mentale) أو العته (Démence) أو الهواس (Psychose) أو المس (Manie) . (راجع هذه الألفاظ) .

وقد يطلق الجنون أيضاً على الشذوذ والوسوسة والحمق والخبل والهذيان والتصورات أو على كل ما يخالف الصواب أو يجاوز حد الاعتدال .

أما جنون العظمة فهو الشعور الكاذب بالقدرة والعظمة ، أو الشعور الوهمي المصحوب بفقدان الجهد العقلي أو المادي ، إذ يوجب ذلك خللاً في العقل فيخترع صاحبه حوادث خيالية مناسبة لشعوره ويظن انه غني أو عظيم أو ملك أو نبي أو إله .

وأما جنون الاضطهاد فهو العذاب الذي يحيق بالمجنون من جراء ظنه أن له أعداء يخترعون كل وسيلة للاضرار به .

وأما الجنون الدوري فهو أن ينتاب المرء حالتان متضادتان في أوقات منتظمة كالنشوة والسوداء ، أو الفرح والحزن .

وأما الجنون الأخلاقي فهو اختلال نفسي جزئي وموقت قوامه فقدان العواطف الأخلاقية السوية أو فسادها مع بقاء المدارك العقلية سليمة أو قوية . من صفات هذا الاختلال فقدان الشعور الشخصي بالخير والشر ، واختلال القوة المميزة بينهما . ويسمى هذا الجنون بالعمى الأخلاقي وهو اما أن يكون انفعالاً مدركاً أو غير مدرك ، أو يكون فعلاً أو اندفاعاً قوياً كما هو عليه عند المجرمين .

الجهة

في اللاتينية	Modus
في الفرنسية	Mode
في الانكليزية	Mood, Mode

١ — الجهة في الأصل هي الجانب والناحية ، (Direction) ، والموضع

الذي تتوجه اليه وتقصده . قال ابن سينا : «اننا نعني بالجهة شيئاً إليه مأخذ حركة أو اشارة » (جامع البدائع ١٥٤) .

والجهة والحيّز متلازمان في الوجود ، لأن كلاً منهما مقصد للمتحرك الأيني ، الا ان الحيّز مقصد للمتحرك بالحصول فيه ، والجهة مقصد له بالوصول اليها والقرب منها . فالجهة منتهى الحركة لا ما تصح فيه الحركة (كليات أبي البقاء) .

والجهة نهاية الامتداد ، ويمكن أن يفرض في كل جسم امتدادات غير متناهية ، فيكون كل طرف منها جهة ، إلاّ أن المقرر عند عامة الفلاسفة ان الجسم يمكن أن يفرض فيه أبعاد ثلاثة متقاطعة على زوايا قائمة ، ولكل منها طرفان ، فلكل جسم اذن ست جهات ، وهي فوق وأسفل ويمين ويسار وخلف وقدام .

٢ — وجهة الأمر وجهه ، تقول ماله جهة في هذا الأمر ، أي لا يبصر وجه أمره كيف يأتي له . والجهة النحو ، تقول فعلت كذا على جهة كذا أي على نحوه وقصده . ومن قبيل ذلك قول ابن سينا : « فإنّ الشيء الواحد من جهة واحدة يكون شرطه شيئاً واحداً » (النجاة ص ٣٨٠) ، وقوله : « واجب الوجود بذاته واجب الوجود بجميع جهاته » (النجاة ص ٣٧٢) .

٣ — والجهة (Mode) في القضايا الموجهة (Propositions modales) هي اللفظ الدال على كيفية نسبة المحمول الى الموضوع ايجابية كانت أو سلبية كالضرورة والدوام ، واللاضرورة واللادوام . وتسمى تلك الكيفية مادة القضية ، واللفظ الدال عليها يسمى جهة القضية ، مثل قولنا : يجب أن يكون الانسان حيواناً ، ويمتنع أن يكون الانسان حجراً . ويمكن أن يكون الانسان حكيماً . فالألفاظ الدالة على الجهة ثلاثة . وهي : « (واجب) ويدل على دوام الوجود ، و (ممتنع) ويدل على دوام العدم ، و (ممكن) ويدل على لا دوام وجود ولا

عدم . والفرق بين الجهة والمادة ان الجهة لفظة مصرح بها تدل على أحد هذه المعاني ، والمادة حالة للقضية في ذاتها غير مصرح بها ، وربما تخالفتا كقولك : زيد يمكن أن يكون حيواناً ، فالمادة واجبة والجهـة ممكنة (ابن سينا ، النجاة ص ٢٤، ٢٥) .

٤ — والقضايا عند (كنت) ثلاث ولها ثلاث جهات :

آ — القضايا المشكوك في صدقها كما في طرفي القضايا الشرطية المتصلة أو المنفصلة وجهتها الإمكان واللاإمكان .

ب — القضايا الخبرية المطلقة التي تكون نسبة محمولاتها إلى موضوعاتها مطابقة للواقع في الإيجاب أو السلب ، وجهتها الوجود وعدم الوجود .

ج — القضايا الضرورية التي تكون نسبة محمولاتها إلى موضوعاتها ضرورية وجهتها الوجوب والجواز .

٥ — ويطلق لفظ الجهة في اللغات الأجنبية على ضروب القياس بأشكاله الثلاثة : (Modes du syllogisme) .

الجهـد

في الفرنسية	Éffort
في الانكليزية	Effort

وهو مشتق من اللفظ اللاتيني Fortis

الجهد في اللغة الوسع والطاقة والمشقة . وعند الفلاسفة ضرب من الفعل يتغلب به الكائن الواعي على ما يعترض طريقه من عقبات خارجية أو داخلية . وهو أهم عناصر الفعل الارادي . لأن كل ما يتقدمه أو يصحبه من العناصر

كتصور الغاية أو المناقشة أو التقرير هو من طبيعة عقلية أو انفعالية . أما الجهد فطبيعته فاعلة . والفرق بينه وبين التقرير أن التقرير يغلق باب المناقشة (المذاكرة) على حين ان الجهد يبدأ مرحلة التنفيذ .

والجهد نوعان: عضلي (Effort musculaire)وعقلي (Effort intellectuel) .

ومن صفات الجهد انه لا يصدر إلا عن موجود واع ، تقول جهد جهداً جدّ وبلغ المشقة ، وليس ذلك لغير الواعي ، لأن الحجر لا يجهد ، والضغط الذي ينقص حجم الغاز لا يسمى جهداً . وإذا قيل ان هناك جهداً لا شعورياً قلنا ان الجهد اللاشعوري لا ينسب إلا إلى الموجود الواعي بطبيعته ، فلو لم يكن في الأصل ذا وعي لما نسب إليه جهد لا شعوري ولا جهد شعوري .

على أن معظم العقبات التي ينبغي للجاهد أن يتغلب عليها هي موانع داخلية كالتعب والألم ، فهما يوقفان الفعل ويؤخرانه ، ولا يسمحان بتجديده ومواصلته إلا بتأثير الارادة .

ومشكلة الجهد في علم النفس الفيزيولوجي هي الإجابة عن السؤال التالي : هل الاحساس بالجهد ناشيء عن تأثير العوامل المحيطية (من لمسية أو عضلية أو مفصلية) أم ناشيء عن الإعصاب المركزي ، أم هو في النهاية حالة نفسية محضة لا يقابلها إعصاب .

ولفكرة الجهد في فلسفة (مين دوبيران) خطر كبير ، لأنه يجعل الشعور بالجهد حادثة داخلية أولية قوامها شيئان : الأول هو ادراكنا المباشر للطاقة التي نبذلها ، والثاني هو إحساسنا بالمقاومة . ومعنى ذلك ان الشعور الإرادي والإحساس الحركي في نظره ظاهرة واحدة -

الجهل

في اللاتينية Ignoratio

في الفرنسية Ignorance

في الانكليزية Ignorance

الجهل نقيض العلم ، قال تعالى : « يحسبهم الجاهل أغنياء » ، يعني الجاهل بحالهم ، ولم يرد الجاهل الذي هو ضد العالم ، انما أراد الجهل الذي هو ضد الخبرة . يقال هو يجهل ذلك ، أي لا يعرفه . قال الجرجاني : « الجهل هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه ، واعترضوا عليه بأن الجهل قد يكون بالمعدوم وهو ليس بشيء ، والجواب عنه انه شيء في الذهن » (التعريفات) .

ويطلق الجهل عند المتكلمين على معنيين : (الأول) هو الجهل البسيط ، وهو عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالماً . فلا يكون ضداً للعلم ، بل مقابلاً له تقابل العدم والملكة . ويقرب منه السهو والغفلة والذهول . والجهل البسيط بعد العلم يسمى نسياناً . (والثاني) هو الجهل المركب ، وهو اعتقاد جازم غير مطابق للواقع . وإنما سمي مركباً لأنه يعتقد الشيء على خلاف ما هو عليه فهذا جهل أول ، ويعتقد أنه يعتقده على ما هو عليه ، وهذا جهل آخر قد تركبا معاً ، وهو ضد العلم . (راجع كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، الجزء الأول ، ص ٢٧٨—٢٧٩) .

والجهل بالموضوع (Ignoratio elenchi) مغالطة يحيد المرء فيها عن موضوع البحث . وترجع هذه المغالطة إلى الالتباس في كيفية توجيه السؤال إلى الخصم أو في كيفية إجابته عنها . والقياس المبني على الجهل (Ad ignorantiam) هو الدليل الذي لا يفحم الخصم إلا لجهله بالمقصود .

الجوهر

في اللاتينية Substantia

في الفرنسية Substance

في الانكليزية Substance

كل حجر يستخرج منه شيء ينتفع به فهو جوهر . الواحدة جوهرة . وجوهر كل شيء ما خلقت عليه جبلته . والجوهر النفيس الذي تتخذ منه الفصوص ونحوها . وجوهر السيف فرنده . وقيل الجوهر هو الأصل ، أي أصل المركبات .

ويطلق الجوهر عند الفلاسفة على معان : منها الموجود القائم بنفسه حادثاً كان أو قديماً ويقابله العرض . ومنها الذات القابلة لتوارد الصفات المتضادة عليها . ومنها الماهية التي إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع . ومنها الموجود الغني عن محل يحل فيه .

قال ابن سينا : « الجوهر .. هو كل ما وجود ذاته ليس في موضوع ، أي في محل قريب قد قام بنفسه دونه لا بتقويمه » (النجاة ، ص ١٢٦) . وقال أيضاً : « ويقال جوهر .. لكل ذات وجوده ليس في موضوع ، وعليه اصطلح الفلاسفة القدماء منذ عهد أرسطو » (رسالة الحدود) . والخلاصة ان **الجوهر** هو الموجود لا في موضوع ، ويقابله العرض (Accident) بمعنى الموجود في موضوع أي في محل مقوم لما حل فيه . فإن كان **الجوهر** حالاً في جوهر آخر كان صورة ، إما جسمية أو نوعية . وان كان محلاً **لجوهر** آخر كان هيولى ، وان كان مركباً منهما كان جسماً ، وان لم يكن كذلك أي لا حالاً ولا محلاً ولا مركباً منهما كان نفساً أو عقلاً .

والجوهر عند (ديكارت) هو الشيء الدائم الثابت الذي يقبل توارد الصفات

المتضادة عليه ، من دون أن يتغير ، كاللون والرائحة واللين والطعم والبرودة والحرارة التي تتوارد على قطعة الشمع ، فهي أعراض متغيرة ، أما جوهر الشمعة فدائم لا يتغير (راجع كتاب التأملات ٢) .

والجوهر الأول (Substance première) هو الشخص المفرد من حيث هو موضوع لما يحمل عليه من الصفات ايجاباً أو سلباً . وهو الموضوع الأخير الذي لا يحمل على غيره .

والجوهر الثاني (Substance seconde) هو الذي يمكن أن يكون موضوعاً لقضية ما ، كالانسان والفرس والحديد وغيرها من الكليات ، فهي لا تسمى جواهر إلا على سبيل التماثل . ولا يطلق عليها اسم الجواهر الثواني إلا بالقياس إلى الجوهر الأول .

وقال (ديكارت) : « عندما نتصور الجوهر نتصور موجوداً غير محتاج في وجوده إلى شيء آخر غير نفسه . وليس في حقيقة الأمر جوهر له مثل هذه الصفة غير الله . لذلك حق للفلاسفة المدرسيين أن يقولوا ان إطلاق لفظ الجوهر على الله والمخلوقات لا يكون على سبيل الاشتراك والتواطؤ . ولكن لما كان من طبيعة بعض الأشياء المخلوقة أن لا توجد إلا مضافة إلى غيرها كان من الضروري تمييزها من الأشياء التي لا يحتاج وجودها إلا إلى مشيئة الله . ونحن انما نسمي هذه الأخيرة جواهر ، ونسمي الأولى صفات أو محمولات أو اعراضاً » (مبادىء الفلسفة ١ — ٥١ ، ٥٣) . ولكل جوهر محمول أول أو خاصة رئيسة ، فخاصة النفس هي الفكر ، وخاصة الجسم هي الامتداد .

والجوهر عند (اسبينوزا) هو القائم بذاته والمدرك لذاته . وقوام هذا المعنى أمران ، الأول قولنا ان وجود الجوهر لا يحتاج إلى قيامه بغيره . والثاني قولنا ان الجوهر هو الذي لا يحتاج تصوره إلى حمله على غيره ، وفي هذين القولين التباس بين الموضوعي والذاتي ، أي بين القيام بالأعيان والقيام

بالأذهان . وبالجملة فإذا قلنا ان الجوهر هو الشيء لذاته لزم عن ذلك امتناع تعدد الجواهر كما في مذهب الواحدية السبينوزية . وإذا قلنا ان الجوهر هو القائم بذاته لم نعن بذلك انه مستقل عن الاعراض والصفات ، بل حامل لها .

والجوهر عند (كنت) تصور قبلي ناشئ عن صورة الحكم المطلق من حيث هو اسناد محمول الى موضوع أو رفعه عنه . وأولى مقولات الاضافة انما تنشأ عن ايضاح النسبة بين الموضوع والمحمول ، وهي النسبة بين الجوهر والعرض ، وصورتها دوام كمية المادة . والتجربة وحدها هي التي تفسح لنا المجال لتطبيق مقولة الجوهر في المجالات التي تمكننا من الكشف عن دوام بعض الأشياء القائمة بالذهن ، وهذا المعنى متصل كما ترى بالمعنى الديكارتي الذي ذكرناه آنفاً .

أما الظواهريون فانهم يبطلون معنى الجوهر ويعتبرون الشخص الذي تحمل عليه الصفات قائماً بهذه الصفات وحدها لا بشيء آخر غيرها .

ومبدأ الجوهر (Principe de substance) هو القول ان لكل صفة جوهراً يحملها . ومبدأ دوام الجوهر (Principe de la permanence de la substance) هو القول ان وراء كل تغير شيئاً ثابتاً لا تزيد كميته في الطبيعة ولا تنقص .

والجوهرية (Substantialisme) مذهب من يقول بوجود الجوهر أعني الشيء القائم بنفسه ، وهي ضد الظواهرية (Phénoménisme) .

والجوهري (Substantiel) هو المنسوب الى الجوهر أو المقوم له ، كما في قولنا الصورة الجوهرية .

والصورة الجوهرية (Forme substantielle) معنيان : (أحدهما) الطبيعة المشتركة بين أفراد النوع الواحد من حيث هو قائم بنفسه ، مستقل عن الأفراد المندرجين تحته . وهذه الصورة الجوهرية اما أن تكون تامة كالصورة التي للانسان أو غير تامة كالصورة التي للجنين قبل حدوث النفس الناطقة فيه .

(والآخر) هو طبيعة الأشياء المفردة من حيث هي ذات وحدة حقيقية مؤلفة من مجموع الخواص المعقولة . قال (ليبنيز) : من يتأمل طبيعة الجوهر التي وصفتها آنفاً يجد ان طبيعة **الجسم** لا تتألف من الامتداد وحده أي من العظم والشكل والحركة ، بل تتألف من شيء شبيه بالنفس يسمى بالصورة **الجوهرية** .

والجوهرية (Substantialité) أيضاً اسم مجرد دال على كيفية وجود الجوهر من حيث هو جوهر . مثال ذلك قول ابن سينا : « فإن لم يشتركا في شيء لم يجب أن يكون كل واحد منهما قائماً لا في موضوع ، وهو معنى الجوهرية المقول عليهما بالسوية » (النجاة ص ٣٧٧) ، وقوله : « **الجوهرية** التي لها (يعني للهيولي) ليست تجعلها بالفعل شيئاً من الأشياء ، بل تُعِدّها لأن تكون بالفعل شيئاً بالصورة . وليس معنى جوهريتها إلا أنها أمر ليس في موضوع» (الشفاء ، الإلهيات ، ص ٤٠٩ من طبعة طهران) .

جميل صليبا

نظرة في الكتاب المعنْون بعنوان

« مقدمة في النحو »

المنسوب الى الإمام خَلَف الأحمر

- ١ -

أهدتني وزارة الثقافة والإرشاد بالجمهورية السورية ثلة من منشوراتها المفيدة فشكراً جزيلاً لها ، وكان من بين هذه الطائفة من المنشورات نسخة من كتاب عنوانه (مقدمة في النحو) منسوبة إلى خلف الأحمر نشره وعلّق عليه الأستاذ المحقق عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ذو المباحث الجمة القيمة ، وإنه كتاب نادر في عصره ، ومثالٌ لطور من أطوار التآليف النحوية . فشكراً للأستاذ التنوخي على ما أحيا ، وعلى ما غذّى وأنمى ، كدأبه المشهور ، في كل عمله المشكور .

وقد كان فيما حققه وعلّقه كفايةٌ للباحث ، وكفاءةٌ لما لأصله من المباحث ، سوى أن مِثل هذا العاق يدعو الهمّةَ إلى زيادة الإمعان ، وقد لاحت لي عند مطالعته مَعان ، هي نخيم للذِّهن ومعان ، وقديماً قيل منهومان لا يَشبعان ، لذلك رأيت أن أُعززها بما لاح لي . حتى إذا ضُمَّ ذلك إلى فوائد الناشر كان مضربَ كم ترك الأول للآخر .

مؤلف هذه المقدمة

مرّت قرون لم يَجر فيها ذِكر لمؤلفات خلف الأحمر ، ولم يُذكر له في كتب التراجم إلا كتابُه في جبال العرب وما قيل فيها من الشعر الذي لا نعرف

شيئاً عن وجوده اليوم ، فكان ظهورُ هـذه المقدمة حدثاً جديداً في تاريخ تطور دراسة النحو ؛ ولا سندَ يُستَنَد إليه في صحة نسبة هذه المقدمة إلى خلف الأحمر إلا ما رقمه ناسخُ النسخة ، ولعلّ فيه كفاية تُغلّب الظن بصحة نسبة الكتاب اليه لانتفاء دواعي التدليس والإلحاق ولتوفر قرائن الصّدق ، وليس لنسبة كثير من الكتب الوحيدة إلى أربابها أكثرُ من وجود اسم المؤلف على الكتاب . ولا يَريبنا في ذلك ما وقع في أثنائه من جملة « قال خلفُ الأحمر رحمه الله » فإن مثل ذلك يكثر وروده وأكثرَ منه تحليةً وترحماً ، وهو مما يُقحمه الرُّواة عن المؤلفين .

إنّ الذين ترجموا لخلف الأحمر مثل أبي البركات الأنباري وابن النديم وياقوت لم يَذكروا هذه المقدمة ، ولعل عدم تعرضهم لهذا لأنهم لم يعثروا عليها لِقلّـة تداولها ، ولعلّها لم تَشيع في التّعليم أو لم تلبثْ إلا قليلاً إذ استغنى المعلمون عنها بما عُمل بعدها من المقدّمات مثل مقدمة أبي العباس المبرد ذكرها في كشف الظنون ولم نقف عليها ، ولا ندري أهي موجودة ؟ ومثل عوامل الشيخ عبد القاهر المتوفى سنة ٤٧١ ، وانموذج الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ ، ثم مقدمة ابن آجرّوم المتوفى سنة ٧٢٣ ، ومقدمات ابن هشام المتوفى سنة ٧٦١ . وليس في الكلمة التي رقمت في أول النسخة كلمةُ « ربّ يسر وأعن بلطفك » ما يُكسب الظن قوة ، إذ الافتتاح بأمثال هذه الكلمة في نسخ الكتب مستمر في سائر العصور غير مقصور على العصور الأولى فلا يغلّب ظنّ نسبة التأليف إلى أحد الأقدمين وذلك من صنيع الناسخين والورّاقين ، وقد تختلف نسخ الكتاب في تلك الفواتح ، والأكثر ان تعرو عنها . وانما يقصد الناسخون بمثلها الاستعانة على إتمام العمل ولذلك لا تجد في كشف الظنون تعريف فواتح التآليف بمثل تلك الكلمات .

وما الكلمة الواقعة في مطبوعة كتاب سيبويه ببولاق إلا من عمل ناسخ النسخة المطبوع عليها أو من عمل مخطط لوحة الفاتحة المطبوع ، ولا توجد تلك الكلمة في مطبوعة كتاب سيبويه بباريس سنة ١٨٨١ م التي هي طبعة علمية مقابلة بعدة نسخ عتيقة منسوبة ، ولا توجد أيضاً في مخطوطة كتاب سيبويه العتيقة وهي بجامع الزيتونة ؛ قال في كشف الظنون أول كتاب سيبويه « هـذا باب علم ما الكلم من العربية » .

هل يعد خلف الأحمر من أئمة النحو وهل يعد من نحاة المذهب البصري أو من نحاة المذهب الكوفي ؟

ان تفوق خلف الأحمر وشهرته بين أهل العربية كانت أكثر ما تكون في الناحية الأدبية وما يتفرع عليها من النقد والموازنة واثبات اللغة ، فقد كان فذّاً في رواية أشعار العرب رجالاً وقبائل ، ونشأت عنده من ممارسة ذلك ملكة الذوق بأساليب بلغاء العرب وفصيح الاستعمال ؛ وحسبك من ذلك ما رواه الشيخ عبد القاهر في دلائل الإعجاز عن الأصمعي قال : جاء أبو عَمْرو بن العلاء وخلف الأحمر يوماً إلى بشار بن برد فأنشدهما قصيدته في سلم بن قتيبة :

بَكِّرا صاحِبَيَّ قبل الهجير إنّ ذاك النجاح في التبكير

فقال له خلف لو قلت يا أبا معاذ — مكان إن ذاك النجاح في التبكير — — بكّرا فالنجاح في التبكير — كان أحسن ، فقال بشار إنما بنيتُها أعرابية وحشية ولو قلتُ ، بكرا فالنجاح في التبكير كان هذا من كلام المولدين ، فقام خلفٌ فقبّله بين عينيه ، اهـ .

فكان خلف في هذا الشأن إماماً غير مدافَع ؛ والأخبار عنه في هذا كثيرة

في كثرة محفوظاته وفي تهمته بوضع القصائد من نظمه وبنسبها إلى بعض مشاهير الشعراء فتشتبه على النقاد بأشعار من تُنسب اليهم ، وقد تطرق الشك بعضَ مروياته و كثُرُ الجدال في تصحيح ذلك . فأما في جانب علم النحو فلا شبهةَ في أنه معدود من أئمة النحاة لذلك نرى النحاة قد عَزَوْا اليه آراء خاصة به في مسائل من النحو ليست بقليلة .

ان علم النحو ظهر في الكوفة فيا دوّنه أبو الأسود الدؤلي في خلافة الخليفة الرابع ولكن الكوفة والبصرة كانتا مدينتين نزلت قبائل العرب حولها من نجديين ويَمَنيين أهل الفصاحة فنزلت مثل عُقيل وهُذيل وبني عامر حول البصرة . ومثل أسد وتميم حول الكوفة ، فكان لأهل المدينتين حظ من مخالطة الفصحاء واستعمال العربية الفصحى ، وربما كان أهل البصرة أكثر تفرغاً لذلك لأن الكوفة كانت معدودة دار الجند ؛ وعُرفت بذلك في قول عَبدة بن الطّبيب :

ان التي ضَرَبَت بيتاً مُهاجِرَةً بكوفة الجند غالت ودّها غول

وكان النحاة فيها متقاربين مسائلهم ، ولم يقع تمايز بين طريقة البصريين وطريقة الكوفيين إلا بعد انحياز سيبويه وشيعته بالبصرة ، وانحياز الكسائي وشيعته بالكوفة ؛ وكان ظهور خلف الأحمر قُبيل ذلك فكان في عصر التقارب ولكنه غلب عليه اتباع النحاة الكوفيين ووافقهم في مسائل كثيرة من مسائل الخلاف فنسب اليهم .

وطريقة نحاة الكوفة أسعد بنهج خلف إذ كانت تغلب عليه رواية أشعار العرب وفيها من نوادر الاستعمال توسعات تُلجئهم اليها الضرورة ، ثم يُتابع بعضُهم بعضاً فيها ، فكان نحاة الكوفة يوسِّعون القواعد النحوية بمراعاة أن يسوغوا للمولدين استعمال ما يرد في شعر العرب خلافاً لنحاة البصرة الذين لا يجيزون القياس على كثير من ذلك ، فكثير مما يجعله نحاة البصرة مستثنى من القاعدة

ويصفونه بالندور يجعله نحاة الكوفة من تمام القاعدة ، فنحاة البصرة أشد تثبتاً وأضيق اشتراطاً ، ولذلك كان الكوفيون يأخذون عن البصريين ، وكان البصريون لا يرضون بالأخذ على الكوفيين كما في المزهر . ومعنى هذا أن ذلك بعد أن افترق المذهبان بتميز أتباع سيبويه وأتباع الكسائي لا فيما قبل ذلك ، ويظهر أن نحاة البصرة أرادوا لز المولدين إلى اتباع الاستعمال الشائع في العربية حفاظاً على سلامة اللغة من أخطاء المولدين كيلا تلتبس بتوسعات العرب الصرحاء حفظاً لقرار اللغة قراراً مكيناً .

فأما الذين وصفوا خلفاً الأحمر بالبصري فإنهم أرادوا نسبته إلى البلد الذي نشأ فيه وعُرف به وهو محمل كلام أبي الطيب الحلبي في كتابه مراتب النحويين ، والسيوطي في ترجمته من بغية الوعاة . ومن أجل ذلك لم يترجم له السيرافي في كتاب أخبار النحويين البصريين ، وهذا أبو البركات الأنباري في كتاب الانصاف قال صراحة في المسألة الحادية عشرة « : وذهب خلف الأحمر من الكوفيين ، إلى أن العامل في المفعول معنى المفعولية » وتبعه الرضيّ في شرح الكافية في باب المفعول به . وآثار كونه من أصحاب الطريقة الكوفية تظهر في مواضع من هذه المقدمة إذ يقدّم ذكر الكوفيين على البصريين كقوله : « وهو الذي يسميه الكوفيون الاستيثاء (كذا) ويسميه البصريون القطع[1] وقوله : « والتحقيق يسميه الكوفيون الإيجاب »[2] ونحو ذلك فلم يبق مجال للشك في أن خلفاً كان في عداد نحاة الكوفة وعلى هذا سنبني النظر في توضيح مسائل هذه المقدمة .

والأصل في نسبة الناس أن ينسبوا إلى قبائلهم وأجدادهم ثم الى مواطنهم

---

(١) صفحة ٥٣ من المقدمة .

(٢) صفحة ٨٠ من المقدمة .

وبلادهم ومن القليل أن ينسبوا إلى النِّحَل والأديان والمذاهب؛ فإذا كان الاسم المنسوب اليه بيّن الدلالة على النسبة فذاك، وإلا وجب التمحيص لذلك تراهم كثيراً ما يقولون في النسبة الى القبائل إذا كان المنسوب من موالي القبيلة أن يتبعوا النسب بقولهم مَوْلاهم. وقالوا في ترجمة أبي مسعود البدري عُقْبةَ بن عمرو الأنصاري البدري أنه نُسب إلى بدر لأنه كان يسكن ببدر وليس هو ممن شهد بدراً على أصح الأقوال. ومثل ذلك أن أبا منصور الأزهري اللغوي هو منسوب إلى جد جده أزهر فلا يتوهم أنه منسوب إلى الجامع الأزهر، فإنه عُرف بهذا قبل أن يصطلح الناس على نسبة خرّيج الجامع الأزهر إليه، وكذلك نسبة القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي بالمالكي فانها نسبة إلى جدّ جدّ جدّه مالك بن طَوْق صاحب الرحبة وليس نسبةً إلى مذهب مالك الذي كان من جلة فقهائه؛ ولقد أشار المعري إلى الأمرين بقوله فيه حين نزل بمعرة النعمان:

والمالكي بنُ نصر زار في سفرٍ بلادنا فحمدنا النأي والسفرا
إذا تفقه أحيا مالكاً جدلاً وينشر الملكَ الضِّلِّيلَ إن شعرا

فوصف خلف بالبصري لأنه سكن البصرة طويلاً تبعاً لمولاه بلال بن أبي بردة الذي ولي شرطة البصرة سنة ١٠٩، ثم وُلي عاملاً بها ثم قاضياً إلى أن عُزل سنة ١٢٠، وإن كان أصل مواليه من أهل الكوفة من أصحاب الخليفة الرابع. قال ابن حزم في الجمهرة: «كان عقب أبي بردة منتشراً بين الكوفة والبصرة [(١)]».

فيحق ينقشع التردد في مذهب خلف في النحو أنه كوفي المذهب، وينهار ما بُني على عدّه بصريَّ المذهب في النحو من استبعاد أن يخطّىء سيبويه وهو

(١) صفحة ٣٧٤ طبع دار المعارف بالقاهرة.

من أهل طريقته ثم إبطال أن يكون خلف هو الذي ألقى المسائل على سيبويه في مجلس المناظرة ، على انه لو فرض انتساب خلف إلى المذهب البصري لم يكن ذلك مثاراً لاستبعاد وقوع خلاف بينه وبين سيبويه في مسائل ، فطالما اختلف علماء أهل المذهب الواحد في مسائل من علمهم . وليس فيما رواه أكثر الرواة لخبر مجلس المناظرة تعيينُ أي الأحمرين حضر ذلك المجلس ، ولا ما يمنع أن يكون كلاهما حاضره فأي دليل يدفع أن خلفاً مع الحاضرين . وقد أثبت ابن الانباري في كتاب الإنصاف فقال : « حضر سيبويه في مجلس يحيى بن خالد وعنده ولداه ومن حضر من الأكابر ، فأقبل خلف الأحمر على سيبويه قبل حضور الكسائي فسأله الخ. »(١) وكذلك عين خلفاً الأحمر ابنُ هشام ، ولا ينفي ذلك أن يكون عليٌّ بن المبارك الأحمر حاضراً كما حكاه القفطي ؛ ولا يتعارض الخبران لإمكان أن يحضر كلاهما . وأما الذي ألقى المسائل على سيبويه فهو خلف الأحمر لا محالة ، لأنه بالمكانة التي تؤهله لذلك يومئذ وهو أعظم شهرة يومئذ من علي بن المبارك الأحمر وأسن منه . فهذا وجه للجمع بين القولين . فان اتَّبعنا طريقة الترجيح فترجيح ما قاله ابن الأنباري وابن هشام أولى من ترجيح ما قاله القفطي ، لأن ابن هشام من أئمة الطائفة النحوية ، فهو أثبت فيما يرويه من أخبارهم وآرائهم ، وأهل الدار أدرى بما فيها .

ولا يُعرف تعيينُ الذي ألقى المسائل على سيبويه بأنه علي بن المبارك لغير القفطي ، وفيه نظر ، فالذي أثبته غيره بالأسانيد الصحيحة الاقتصار على ذكر الملقب بالأحمر كما في الأشباه والنظائر بسند الزجاجي . وإذا جاز الوهم على ابن هشام في تعيين الأحمر بأنه خلف فجواز الوهم على القفطي مثله ، فلا موجب لترجيح أحد الكلامين على الآخر . على ان القفطي قد صرح في ترجمة

(١) صفحة ٢٩٣ طبع ليدن .

علي بن المبارك الأحمر بأنه لم يكن له ذكر قبل أن يستخلفه الكسائي لتأديب أولاد الرشيد لمّا أصاب الكسائيَّ الوَضَحُ في وجهه ، حتى انه لما سماه لأولاد الرشيد قالوا لم تأت لنا بأحد متقدم في العلم ، وذكر أيضاً أن الأحمر لم يكن له قبل ذلك ذكر ولا يعرف [1] وهذا يُغلِّب الظن بأنه لم يكن يوم المناظرة بالرتبة التي تخوله حضور ذلك المجلس مع أول من حضر وقد يكون عليٌّ الاحمر حضر في رفقة الكسائي لأنه من أبرز تلامذته ، فأما خلف فقد ذكروه فيمن حضروا قبل حضور الكسائي . ويظهر أن هذه المناظرة وقعت في حدود سنة ثمان وسبعين ومائة ، لأن الكسائي وُصف بأنه معلم أبناء الرشيد ؛ وأول أبناء الرشيد محمد الأمين ولد سنة سبعين ومائة ، فيكون ابتداء تعليمه في حدود سنة سبع وسبعين ومائة .

وصف هذه المقدمة

قال مؤلف المقدمة : انه رأى النحويين استعملوا التطويل وكثرة العلل وأغفلوا ما يحتاج اليه المتعلم من الاختصار الذي يخف على المبتدئ حفظه (ولعله عرّض في كلامه هذا بسيبويه في كتابه إذ لم يشتهر كتاب في النحو قبله إلا ما يُذكر عن كتاب الجامع وكتاب الاكمال والمكمل لعيسى بن عمر الثقفي شيخ الخليل) . قال : « فرأى أن يؤلف كتاباً يجمع الأصول والأدوات والعوامل يستغني به المتعلم عن التطويل فيما يصلح لسانه أو ما يكتبه أو شعر ينشده » ، يريد ما يخف عليهم استحضاره في إقامة إعراب الكلام بحيث تعتاد ألسنتهم إعراب الكلمة إذا وقعت بعد كلمة أخرى مما يكثر دورانه

(١) صفحة ٣١٦ ، جزء ٢ ، انباه الرواة .

على الألسنة لفهم مواقع الكلام التي هي مفتاح فهم معناه وإفهامه . فما تشتمل عليه هذه المقدمة أكثره ضوابط وعلامات وليس المسائلَ والقواعد ، إذ جمع فيها نظائر من الكلم يكثر اقتران بعض الكلم بها ويتحد إعراب الكلم الواقعة بأثرها ، فجعل هذه المقدمة مفتاحاً للنحو إذا أتقنها المبتدئ استطاع أن ينتقل إلى تعلم القواعد والمسائل . وان ما تشتمل عليه هذه المقدمة مما يليق بالمتعلم الذي حذق القرآن وقارب أو تهيأ لمغادرة الكُتّاب إلى حلَق العلم . وما أشد شبهها بضوابط آي القرآن المتشابهة الألفاظ المختلفة الإعراب التي يلقنها السادة المؤدبون لحفاظ القرآن لئلا يخطئوا في الرفع ونحوه مثل قول بعضهم :

خفضُ الحياةِ بالمتاعِ والمَثَل وزهرةِ وزينة وفي وعرَضِ نقل
ورفعها من بعــد غرّتكمُ وما الخ ...

ومسائلها لا تسلم من نقض ولا تخلو من نقص ، فهي قليلة الجدوى اليوم في تلقين علم النحو للمبتدئين ، لأن ما جاء بعدها من المقدمات أوفى وأوضح مثل المقدمة الاجرومية ، ولكنها مُجدية في تصوير طور من أطوار تعليم النحو للمبتدئين . وقد تضمنت مع ذلك تنبيهات على فصيح الاستعمال ونكته . ومن مزاياها إكثار الأمثلة ، وتوخي الأمثلة من القرآن . وقد ذكر من المسائل ما لا يليق بالمبتدئ مثل مسألة قوله تعالى « كَبُرَتْ كَلِمَةً » في صفحة ٦٠ — ٦١ ، ومثل باب الحكاية صفحة ٧٣ ، ومسألة تأويل آية « واسجُدوا لله الذي خلقهن » في باب المذكر والمؤنث صفحة ٩٥ .

ويظهر انه توخّى ما اتفق البصريون والكوفيون على صحة استعماله كما قال في مبحث مُنذ[1] « تخفض بها كلَ شيء مما أنت فيه (وهذا خفضه واجب) ،

(١) صفحة ٨٣ من المقدمة .

وما قد مضى » (والخفض في هذا راجح وليس بواجب) . وقال في مبحث مذ : « تخفض بها ما أنت فيه (وهذا واجب) ، وترفع بها ما مضى » [1] (والرفع راجح وليس بواجب) ، وهذا الحكم متفق عليه بين النحاة وإنما اختلافهم في علته .

ولا يراعي في اقتران الكلمتين أن تكون الأولى عاملة في الثانية اقلة جدوى ذلك للمبتدئ ، ولذلك تراه عد «هل» في الكلمات التي يُرفع الاسم بعدها وليس لهل عمل فيما بعدها ، وعد معها « بل » وهو حرف عامل بالعطف .

ونراه قال : (باب حروف الإشارات وهي حروف الرفع) صفحة ٦٥ يعني بها أسماء الإشارة إذا وقعت في أول الجملة فهي مبتدأ والمبتدأ رافع للخبر باتفاق النحاة .

ايضاح ما يحتاج اليه من المقدمة

١ — قال المؤلف (في صفحة ٣٥) : « وحرفٌ جاء لِمعنًى وهذا الحرف هو الأداة التي بها ترفع وتنصب وتخفض الاسم وتجزم الفعل » ، فالباء في قوله « بها ترفع » باء الملابسة أي المصاحبة مثل التي في قوله تعالى « تنبت بالدهن » وليست باء السببية لأن كثيراً مما عده المؤلف من الأدوات ليس عاملاً للإعراب فليس بسبب في حصول علامات الإعراب .

ويتعين أن يكون اسم الموصول في قوله « التي بها ترفع » صادقاً على جمعٍ ، أي على لفظِ ثلاثة من قوله « العربية على ثلاثةٍ » والتقدير الثلاثة التي بها ترفع الخ وليس صادقاً على الأداة لأنه جعلها هنا تفسيراً لحرف جاء لمعنى ، إذ ليس في نوع الحرف الذي جاء لمعنى ما يرفع الاسم ، وتكون جملة « وهذا الحرف هو

(١) صفحة ٨٤ من المقدمة .

الأداة » جملةً معترضة . ووقع في المطبوعة « التي ترفع » ، والذي في صورة المخطوطة « التي بها تَرفع » وهو أظهر لأن كثيراً من تلك الأدوات غير عامل فلزم أن تكون تاء المضارعة في قوله « ترفع » تاء الخطاب خطاباً لناظر كتابه ، وكذلك نظائر هذه العبارة في هذه المقدمة . ألا ترى انه عد من هذه الادوات حبذا ونعم والاسم بعدهما مرفوع على أنه فاعل ورأيُ المؤلف أن العامل في الفاعل الرفع هو معنى الفاعلية لا الفعل الذي قبله كما هو محكي عنه في علم النحو . وأيضاً عد في باب الحروف التي ينصب ما بعدها افعالاً منصوباتها مفاعيل ، والمؤلف يرى ان ناصب المفعول به هو معنى المفعولية لا الفعل .

٢ — وقال (في صفحة ٣٦) « وبل » وهو تسامح مع المبتدئ لئلا تزدحم القواعد في ذهنه الضعيف لأن بل قد لا يكون ما بعدها مرفوعاً فإنها إذا عطفت المفرد كان تابعاً لاعراب ما قبله بالعطف فيكون مجروراً وتارة منصوباً وتارة مرفوعا .

٣ — وقال (في صفحة ٣٩) « وكم » ومراده إذا وقع بعدها اسم المسؤول عن كميته نحو كم مالُك وليس يريد بذلك تمييز كم . وكذلك قوله عقبه « وبكم » يريد به إذا قلت بكم هذا وقد راعى المؤلف غالب ما ينطق به الناس .

٤ — ووقع في صفحة ٤١ كلمة « ولبثت » وهو خطأ لا محالة لأن فعل لبث لا يقتضي مفعولاً به والمظنون أنه تحريف « كَتَبْتُ » .

٥ — وقال في صفحة ٤١ « باب الحروف التي تنصب كل شيء أتى بعدها » أراد كل اسم ظاهر يقع بعد هذه الأفعال المتصلةِ بضمير المتكلم هو مفعول للفعل . وقد أتى بها متصلة بضمائر بارزة ومستترة لأن الضمير بمنزلة جزء من الكلمة لكونه على حرف واحد تقريباً للمبتدئ لمعرفة الأسماء المنصوبة في غالب ما يجري من

الكلام . وقد ذكر أفعالاً متنوعة بعضها أفعال القلوب ولم يجعلها مما ينصب مفعولين جرياً منه على قول الكوفيين ان أفعال القلوب لا تنصب إلا مفعولاً واحداً ، وان المنصوب الثاني بعده حال لازمة غالباً و وهو قول وجيه ، ويا ليتهم جروا عليه في باب كان . وكرر المنصوبات في أمثلته للتدريب على معرفة الفرق بين المفعول وبين ما هو حال منه أو نعت له .

٦ — وقال (في صفحه ٤١) « وأخبارها مرفوعة » ، أراد بأخبارها ما به تمام الخبر إذا ضم إلى هذه الحروف وهو المبتدأ الذي يخبر عنه بحروف الجر أو بالظروف أو بالأوصاف الملازمة الإضافة غالباً ، أي إذا كان هنالك ما يخبر عنه ، وكذلك ليستثنى منه حرف الاستثناء ولا يندرج في هذا الحكم نحو معاذَ وسبحانَ وأي (في صفحة ٤٦) .

٧ — وقال (في صفحة ٤٥ « وحاشى » فعدها مع الحروف التي يُخفض الاسم بعدها وهذا واضح في أنه يجعلها حرف جر ، وهذا موافق لنحاة البصرة وقد وافقهم الفراء من الكوفيين . وأما جمهور الكوفيين فيجعلون حاشى فعلاً ماضياً فينصب الاسم بعده ، كما نسبه اليهم ابن مالك في التسهيل والسيوطي في الأشباه والنظائر ، ولهذا لم يذكر المؤلف حاشى في باب الاستثناء لأن الذين يجعلون حاشى حرف جر لا يجيزون نصب الاسم بعدها . وما وقع في الألفية يوهم جواز الوجهين وذلك من اختياراته جمعا بين المذهبين .

٨ — وقال (في صفحة ٤٦) : « والكاف,اللام والباء إذا كن زوائد » أراد بالزوائد أنها ليست من الحروف الأصلية في الكلمة ، والقصد من هــذا زيادة التوضيح للمبتدئ لأن هذه الحروف الثلاثة لما كان كل منها موضوعاً على حرف واحد كانت معرضة لأن تشبه بالحروف الأصلية في الكلمات مثل كاف كلام ، ولام لِصتاب (اسم مكان) وباء بَيات .

٩ — وقال (في صفحة ٤٩) : « وقال في باب الأمر ولا تنس نصيبك من الدنيا » ، المثال من قبيل النهي ، وعبر عنه المؤلف بالأمر تسامحاً لأصول التربية والتعليم لأن النهي عن الشيء أمر بضده فقوله ولا تنس نصيبك من الدنيا المقصود منه اذكر نصيبك من الدنيا ، والاستعمال العربي في ذلك واسع وقد جاء عكسه أي إطلاقُ النهي عن شيء وارادة فعل ضد النهي عنه في قول أبي حية النميري :

فَقُلْنَ لها سِرّاً فَدَيْنَاكِ لا يَرُحْ صحيحاً وإن لم تقتليه فألمِمِ

فقابل قولهن (لا يرح صحيحاً) بقولهن وان لم تقتليه فألمم .

١٠ — وقال في صفحة ٥٢ « والنصب يأتي من اثني عشر وجهاً — ثم قال — والمدحُ والذمُّ » . الظاهر انه جعل المدح والذم وجهاً واحداً ، وهو المسمى القطع في الاصطلاح المعروف ، وبذلك تصير الوجوه المذكورة في التفصيل أحد عشر فيكون قد سقط من النسخة الوجه الثاني عشر وهو الحالُ وذلك ما يقتضيه قوله في باب تفسير النصب (صفحة ٥٦) « والحال قول الله عز وجل — إلى قوله — وهو التمكن » فإنه مثَّل للحال بعد أن مثَّل لخبر المعرفة في صفحة ٥٧ فعلمنا أنهما عنده متغايران .

١١ — ثم قال في صفحة ٥٢ « وخبرُ المعرفة » وهذا لقب غريب قلق أطلقه المؤلف على نوع من أنواع المنصوبات ، ولا نعرف هذا اللقب في غير هذا الكتاب ، ولعله مما وضعه مؤلفه قبل أن يستقر الاصطلاح على العناوين النحوية وتقسيماتها ، وقد أومأ المؤلف إلى مراده من خبر المعرفة باب تفسير النصب صفحة ٥٦ بأمثلة ثلاثة وقع فيها المنصوب الذي سماه خبرَ المعرفة ، منصوباً على معنى الحال في الاصطلاح المعروف عندنا في علم النحو ، فتبين أنه أراد بلفظ « خبر » معنى الخبر اللغوي ، أي ما هو إخبار وحكم في المعنى أي ما يفيد الإعلام بأن ذلك الوصف اتصفت به ذات ، ولا يريد المؤلف بلفظ خبر ما اصطلح عليه النحاة والمؤلفُ من

جملتهم أعني خبر المبتدأ الذي ذكره المؤلف في عد المرفوعات بقوله « والابتداء وخبره » صفحة ٥١ و ٥٤ وقوله « وَتَرْفعُ الأخبار » صفحة ٦٢ ، وقوله وتنصب الأخبار صفحة ٦٤ .

وليس في تقييد لفظ خبر باضافته إلى المعرفة بقوله « وخبر المعرفة » ما يُخرج خبر المبتدأ ، لأنَّ خبر المبتدأ لا يكون إلا خبراً عن معرفة لأن تعريفَ المبتدأ المبتدأ متعين لفظاً أو تأويلا .

فتعين أن المؤلف أراد بقوله خبر المعرفة الخبر الذي ليس خبرَ مبتدإ ووقع إخباراً عن معرفة ، لأن خبر المبتدأ اشتهر عندهم بلقب خبر المبتدأ ، فخرج عن مفاد قوله خبر المعرفة لأن له لقباً آخر معروفاً شائعا .

وخرج أيضاً الخبر الذي أصله خبر مبتدأ وأدخلت عليه النواسخ كانَ وأخواتها وإن واخواتها فلا جرم أنه أراد بخبر المعرفة ضرباً من ضروب الحال صالحاً لأن يُلقب بهذا اللقب الاضافي — خبر المعرفة — فان الحال خبر في المعنى . قال عبد القاهر : « الحالُ خبر في الحقيقة من حيث أنك تثبت بها المعنى لذي الحال » أي وصاحب الحال لا يكون إلا معرفة .

فيتحصل أن مراد المؤلف بخبر المعرفة الوصف المُنَكَّر الواقع بعد معرفة فهو متعين لأن يكون حالاً ، إذ المعرفة لا تحتاج إلى الوصف ، فالوصف بعد المعرفة جار مجرى الخبر وإذْ لم يكن موصوفه صالحاً لمجيء خبرِ مبتدإ بعده لأن ذلك الموصوف لم يكن مبتدأ . فهو غير قابل لأن يكون نعتاً ولا لأن يكون خبر مبتدأ فتعين أن يكون منصوباً على الحال ، فلذلك قال المؤلف « وخبر المعرفة منصوب أبداً ، وأما خبر النكرة فانه تبع لها » صفحة ٦٦ . وعلى هذا الوضع جعل المؤلف الحال قسيماً لخبر المعرفة إذ قال « والحال قوله عز وجل — قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة — نُصِبَتْ خالصة على الحال » صفحة ٥٩ .

فتبين من مجموع كلامه انه عنى بخبر المعرفة نوعاً من الحال غيرَ النوع الذي عناه باسم الحال ومثّلَه بالآية ، أي أن خبر المعرفة هو وصف جرَى على معرفة وليس المقصود به الاخبار عنها وحدثانَه لها بل المقصود به وصفُها وليس موصوفه بصالح لاجراء النعت لأن الموصوف معرفة فأجري عليه على أنه حال ونُصب ولذلك قال « وخبر المعرفة منصوب أبدا » صفحة ٦٦ . وهذا قد يكون جارياً على معرفة هي خبر عن مبتدأ مثل (هذا عبدُ الله مقبلا) وقد يكون جارياً على معرفة هي فاعلٌ نحو قام فلان خاطباً ، أو على معرفة هي مفعول نحو قوله تعالى « إنا أنزلناه قرآناً عربياً » . وهذا النوع يشمل الحال المنتقلة كما في مثال هذا عبدالله مقبلاً ، والحالَ اللازمة كما في آية « وهذا بعلي شيخاً » . والمراد بالحال الوصف الذي قصد به الاخبار والحدَثان فكان المتكلم به مخيراً بين أن يعتبره وصفاً جرى على معرفة فينصبَه ، وبين أن يعتبره إخباراً فيرفعَه إذا كان فيما قبله من الكلام ما يصلح لأن يكون مبتدأ وإن يكون الوصف خبراً عنه ثانياً مثل خالصةً في الآية فانه منصوب في قراءة كثير من القراء ومرفوع في قراءة نافع ، ولا شك أن المؤلف يراعي ذلك وهذا النوع غالب استعماله في الحال المتنقلة ، ولا مانع من أن يكون حالاً لازمة لأن الحال اللازمة لا تنافي إفادة التجدد ، إذ حقيقة التجدد تخالف الانتقالَ بالعموم والخصوص الوجهي .

فإذا أراد به المتكلم الحال فنصبه كان مفيداً أنه وصف مُتمكن ، ولذلك قال المؤلف « نُصبِت خالصة على الحال وهو التمكن » ، فإن أراد الاخبار فرفعه كان مفيداً التجدد والحدوث . وهذا فرق ينبغي أن يُعدّ من فروق الخبر إذ هو بعلم المعاني أعلق ، وقد تضيق عنه عموم الأفهام وفهم المُبتَدىء عنه أضيق .

(يتبع) محمد الطاهر ابن عاشور

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

- ٥ -

رقم المصطلح			رقم المصطلح
3203	Convulsif, ive	اختلاجي	٣٢٠٣
3204	Convulsion	خلَجان، اختلاج	٣٢٠٤

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الثانية بتشنج (ج . تشنجات) معرفاً إياها بانقباض عضلي قسري شديد . وأرى ترجمة اللفظة باختلاج افضل ، مخصصاً لفظة تشنج ترجمة لـ (Spasme) لا سيما وان الاختلاج من مظاهره البارزة التحرك بينما التشنج لا يدل على هذا [1] .

(١) في اللسان تخلّج الشيء تخلُّجاً واختلج اختلاجاً إذا اضطرب وتحرك ومنه يقال اختلجت عينه وأخلَجَت تختلج خلوجاً وخلجاناً ، وخلَجت الشيء حركته .
الشَّنج تقبض الجلد والأصابع وغيرهما ، وقد شَنِج الجلد بالكسر شنجاً فهو شنج وأشنَج وتشنج وانشنج ، الى أن قال وفي الحديث إذا شَخَص البصر وشَنِجت الأصابع أي انقبضت وتقلّصت .

٣٢١٣ تطابق ، انتظام Coordination 3213

وارجح انسجام .

٣٢١٤ تبرزن الدَّم (انسمام برازي) Coprémie, stercorémie 3214

تغوطن الدم (انسمام برازي)

وأرجح انسمام برازي وانسمام غائطي

٣٢١٧ انحباس البراز ، انحباس الغائط Coprostase 3217

وأقر مجمع اللغة الحُصْر . وسبقت ملاحظتي على هذه اللفظة [١] .

٣٢١٨ سُمْسَمَك ، بُوصير Coque du Levant 3218

ثَمَرة سُمّ السَّمَك كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي ، وأما النبات أي سُمّ السمك فيدعى (Anamiste) كما جاء في المعجم المذكور .

٣٢١٩ سُعال ديكي ، شُهاق Coqueluche 3119

سُعال ديكي فقط كما جاء في قرار مجمع اللغة .

٣٢٢٠ ثَفَن ، عُسُوّ Cor, Tylosis gompheux 3220

وأقر مجمع اللغة مِسمار (ج . مسامير) وعرّف اللفظة بأنها تورم جلدي بسبب استمرار الضغط ويسميه العامة (عين السمكة) . وجاء في المعجم الوسيط نقلاً عن مجلة مجمع اللغة : والمسمار (في الطب) غلظ مخروطي صغير يحدث بالضغط على بروز عظمي عادة في اصبع القدم . وجاء تعريف اللفظة في معجمي بلاكستون وغارنيه [٢] بما لا يخرج عن التعريف المذكور ، وحصر اللفظة

---

(١) الصفحة ٩٣ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) لفظة (Cor) في معجم M. Garnier et V. X. J. Delamare : (Dictionnaire des Termes Techniques de Médecine)

ولفظتا (Corn) و (Clavus) في معجم Blakiston's, new Gould Medical Dictionary

فيما يبدو من غلظ في القدم ، بينما تدل لفظتا ثَفَن وُعسو على ما بدا منه في اليدين من جراء الضغط في أثناء العمل [١] .

٣٢٣٤ حبل لنفاوي — 3234 Cordon lymphatique

حبل لمفي كما أقره مجمع اللغة .

٣٢٣٨ نطاق صحي — 3238 Cordon sanitaire

وأرجح محجر صحي .

٣٢٤٠ حبل الوُدّي الكبير ، عصب وُدّي — 3240 Cordon du (grand) sympathique, nerf sympathique

وأقر مجمع اللغة عصب سمبتاوي بالتعريب ، ولعل الترجمة بالودي وهي الشائعة في سورية أخف وأفضل .

٣٢٦٩ أجسام آحينية ، آحينيات ، مواد مولدة الغراء آحينيات قاسية — 3269 Corps albuminoïdes, albuminoïdes, matières collagènes, Scléroprotéines

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Albuminoïdes) بزلالاني معرفاً اللفظة بأنها بروتين يشبه الزلال ، وقد سبقت ترجمة (Albumine) بزلال [٢] وعليه تصبح ترجمة هذه اللفظات أجسام زلالانية ، زلالانيات ، مواد كولاجينية وبروتينات صلبة .

٣٢٧١ أجسام الموثة النشويدية — 3271 Corps amyloïdes de la prostate

أجسام البروستاتة النشوانية كما أقرها مجمع اللغة .

---

(١) في اللسان : ومَجِلت يده بالكسر تَمْجَلُ مَجَلاً غلظت من العمل وأثفن العمل يده . وعَسَت يده تَعْسو عُسُواً غلظت من عمل .

(٢) الصفحة ٦٤٨ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

٣٢٧٣ أجسام مُثَمَّنَة — 3273 Corps calleux

والمعروف عنه الجسم الثَفَني وهو مفرد لا مثنى ولا جمع ، ويطلق على ملتقى معترض يوصل ما بين نصفي الكرة المخية يتألف من المادة البيضاء وهو صلب بالنسبة إلى ما حوله من المادة السنجابية . وأقر مجمع اللغة الجسم الجاسي ترجمة لهذه اللفظة .

٣٢٨٢ جسم خلوصي (قابل الاستخلاص) — 3282 Corps extractif

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Extraction) باستخراج فتصبح اللفظة جسم مستخرَج .

٣٢٨٣ أجسام رُكْبِيَّة — 3283 Corps genouillés ou géniculés

وأقر مجمع اللغة الأجسام الثفينية .

٣٢٨٥ دَسَم ، شَحْم — 3285 Corps gras, lipide

جسم شحمي أو دهني كما أقره مجمع اللغة ثم ليبيد .

٣٢٨٦ جسم هِيغمور — 3286 Corps d'Highmore

والصحيح جسم هايمور كما أقره مجمع اللغة لأن المسمى مشرح انكليزي وهكذا يلفظ اسمه بالانكليزية .

٣٢٨٩ جَسفَر (جسم أصفر) — 3289 Corps jaune

جسم أصفر كما أقره مجمع اللغة .

٣٢٩٧ جسم حَبْلي الشكل ، سويقة المخيخ السفلية — 3297 Corps restiforme, pédoncule inférieure du cervelet

وأقر مجمع اللغة الجسم الحَبْلي .

٣٣٠٣ جسم زُجاجي ، رُطوبة بيضية — 3303 Corps vitré, humeur vitrée .

جسم زجاجي ، وخلط زجاجي . وقد أقرت اللجنة ترجمة (Humeur) بخلط (اللفظة ٦٨٤٤) و (Vitré) ترجمة لزجاجي .

٣٣٠٤ جسم وُلف Corps de Wolff 3304

جسم وولف كما أثبته مجمع اللغة .

٣٣٠٨ جُسَيم Corpuscule 3308

وأقر مجمع اللغة جُسَيمة .

٣٣١٤ جُسيمات كِرَوْزة Corpuscules de Krause 3314

وأقر مجمع اللغة جسيمات كراوس . والأفضل أن يقال جسيمات كراوزه باعتباره اسم مشرح ألماني لفظه كراوزه لا كِروزه ولا كراوس .

٣٣١٦ جُسيمات پاتشيني Corpuscule de Pacini 3316

وأقر مجمع اللغة جسيمات باسيني ، وأرجح باشيني لأنه اسم ايطالي .

٣٣٢٦ إئتكال ، تحات ، انقراض Corrosion 3326

وأقر مجمع اللغة تأكل .

٣٣٣٣ قِشْري Cortical, e 3333

وأقر مجمع اللغة لحاوي .

٣٣٤٠ قِشرة الكُظر Cortico - surrénale 3340

لحاء الكُظر كما أقرها مجمع اللغة .

٣٣٤١ زُكام ، التهاب الأنف الحاد ، زكام دماغي Coryza, rhinite aiguë, rhume de cerveau 3341

وأقر مجمع اللغة ترجمة لفظة (Coryza) بالزكام – الضُّناك – الضُّنكة وعرفها بأنها التهاب حاد بغشاء الأنف المخاطي يتميز غالباً بالعطاس والتدميع

وإفرازات مخاطية مائية غزيرة من الأنف ، كان المجمع قد أقر ترجمة لفظة (Cold) الانكليزية ببرد وعرّفها بأنها نزلة تصيب أغشية الجهاز التنفسي المخاطية . ولا شك ان زكام أفضل .

3343 Coryza gangréneux ٣٣٤٣ زُكام مُواتي (بيطرة)

زُكام غنغريني وقد أقر مجمع اللغة تعريب لفظة غنغرينا .

3345 Coryza syphilitique (des nouveau-nés) ٣٣٤٥ زُكام (الولدان) الافرنجي

وأقر مجمع اللغة الخناق في الزهري ، وشرح اللفظة بأنه انسداد الأنف مع سيل مخاط في الأطفال في الزهري الوراثي عادة [1] .

3346 Cosmétiques ٣٣٤٦ خُمْرَة ، غُمْرَة

ويعنى بهذه اللفظة المواد التي يطلى بها الجلد وما اليه للتزين وجلب الحُسن . وأرى أن تكون الترجمة المُطَرّاة [2] والمطراوات بصيغة الجمع ، وتشمل جميع المواد المستعملة لأجل التطرية (Toilette) في الجلد والشعر وقد جاء في الترجمتين الانكليزية والألمانية من المعجم الأصلي ما يشير إلى استعمال هذه المواد لطلي الشعر [3] بينما الخُمْرة والغُمْرة هما خاصتان لطلي الوجه [4] .

(١) في اللسان : الخَنين سَدَّة في الخياشيم ، والخناق منه .

(٢) في اللسان : وطرّى الطيب فتقه بأخلاط وخلّصه وكذلك طرّى الطعام والمطرّاة ضرب من الطيب .

(٣) في الانكليزية (— Cosmetics (hair وفي الألمانية (Haarpflegmittel) أي تحسين الشعر .

(٤) في اللسان : والخُمْرة الوَرْس وأشياء من الطيب تطلي به المرأة وجهها ليحسن لونها وقد تخمّرت وهي لغة في الغُمْرة . والغُمرة تُطلى به العروس يتخذ من الورس. قال ابو الهيثم الغُمْرة والغُمنة واحد . قال أبو سعيد هو تمر ولبن يُطلى به وجه المرأة ويداها حتى ترق بَشَرتها وجمعها الغُمَر والغُمَن .

3359 Coton hydrophile قُطْن قوأب ٣٣٥٩

وقطن مصَّاص كما أقره مجمع اللغة ، على أن قوأب صحيحة أيضاً .

3361 Cotonnier جَنْبَة قُطن ٣٣٦١

جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي في ترجمة اللفظة الفرنجية : قُطْن ، بُرْس ، طوط ، عُطْب ، كُرْسُف . أما الجَنْبة فقد جاء تعريفها في المعجم المذكور : كل شجرة صغيرة علوها متران إلى سبعة أمتار تظل صغيرة وإن شاخت ولا يجوز تسميتها شُجيرة لأن الشجيرة تكبر فتصير شجرة أما الجنبة فلا تكبر . ولا أظن أن نبات القطن يعد جنبة .

3388 Couenneux, euse, pseudomembraneux, euse غَمامي ، ذو غشاء موهم ٣٣٨٨

وأرجح جُليدي ، ذو غشاء كاذب . ويعني باللفظة الأولى الطبقة السطحية التي تعلو العلقة الدموية .

3390 Coup ضربة ، لفحة ، صدمة ٣٣٩٠

وجاء في المعجم العسكري طلقة ، ضربة ، صدمة ، طعنة ، لطمة .

3391 Coup de chaleur رَمَض ٣٣٩١

سبق لي ترجيح لفظة لفحة الرمضاء [1] . وأقر مجمع اللغة الاصابة الحرارية ترجمة لـ (Thermic trauma) .

3392 Coup de feu جُرْح ناري ٣٣٩٢

وأرجح طلقة نارية ، ولا أظن أن اللفظة تعني جرحاً فقد جاء في الترجمتين الانكليزية والألمانية للمعجم الأصلي ما يؤيد هذا [2] . كما أن اللجنة قد ترجمت

(١) الصفحة ٩٥ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) (Shot) في الانكليزية و (Schuss) في الألمانية .

لفظة (Blessure ou plaie par arme à feu) بجرح بسلاح ناري بطلق ناري ، بقذيفة وهو الصحيح (اللفظة ١٧٠٤) .

٣٤٠٦ قَطَعَ النَّوبةَ 3406 Couper un accès

وأرجح أوقف النوبة .

٣٤٠٨ عُدَّة الأنف الورديَّة 3408 Coupérose du nez

٣٤٠٩ مُصاب بعُدة الأنف الوردية 3409 Coupérosé, ée

والصحيح البَثْر الخامي في الأولى ومصاب بالبثر الخامي في الثانية [1] أو عُد الأنف الوردي ، ومصاب بعُدّ الأنف الوردي .

٣٤١٨ تيار متناوب بتواتر عال وبتوتر مخفض استحرار 3418 Courant alternatif de haute fréquence et de basse tension (diathermie)

وأرجح تيار متناوب بتواتر عال وبتوتر مخفض (حرارة نافذة) مخصصاً لفظة استحرار ترجمة لـ (Pyréthothérapie) .

٣٤٢٢ تيار متواصل 3422 Courant continu

وأقر مجمع اللغة تيار مطرد معرفاً اللفظة بالتيار الكهربي المتصل ذي اتجاه واحد لا يتغير .

٣٤٢٨ تيار مُحرِّض 3428 Courant inducteur

٣٤٢٩ تيار مُحرَّض ، تيار التَّحريض 3429 Courant induit, courant d'induction

وأقر مجمع اللغة تيار مؤثر في اللفظة الأولى وتيار بالتأثير في اللفظة الثانية [1].

(١) الصفحة ٣٤٢ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٦٥٢ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

3433 Courant lymphatique مجرى لنفاوي ٣٤٣٣

وأقر مجمع اللغة مجرى لمفي .

3439 Courant de saturation تيار الإشباع ٣٤٣٩

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Saturation) بتشبّع .

3442 Courbe de poids مُنْحَنى الوَزْن ٣٤٤٢

3443 Courbe thermique مُنْحَنى حَراريّ ، مخطط ٣٤٤٣

courbe de température الحرارة

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بِرسمة الوزن في اللفظة الأولى ومرسمة درجة الحرارة في الثانية ، ثم منحني الحرارة في موضع آخر .

3449 Couronne إكليل ٣٤٤٩

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بتاج .

3456 Cours de perfectionnement دروس التَّوسع أو الاتقان ٣٤٥٦

(pour médecins) (للأطباء)

وأرجح ترجمة اللفظة بدورة الاستزادة .

3457 Court - bouillon مَرَق مُتَبَّل ٣٤٥٧

والصحيح مرق السمك المتبل كما جاء في الترجمتين الانكليزية والألمانية من المعجم الأصلي [1] .

3458 Court-circuit تلامُس (دارة صغيرة) ٣٤٥٨

وأرجح اتصال أو دارة قصيرة . وتطلق اللفظة عن حدوث اتصال مباشر بين ناقلين كهربائيين مختلفي الشحنة . ومنه اطلاق الدارة القصيرة عن الاتصال المذكور .

(١) (Spiced fish sauce) في الانكليزية (Fischbrühe) في الألمانية .

3460 Coussin en caoutchouc, rond en caoutchouc ٣٤٦٠ وِساد: مطّاط ، كعكة مطّاط

وأرجح وِسادَة مطاط ، دائرة مطاط لأنه لا يشترط في الكعكة أن تكون مستديرة دوماً .

3461 Coussin en caoutchouc pneumatique ٣٤٦١ وسادة مطاط منفوخة بالهواء

وأرجح وسادة مطاط هوائية .

3467 Couvée ٣٤٦٧ رَقْف ، فَرْخ

والصحيح نسل أو اعقاب أو ذرية بالمعنى المجازي للفظة كما يدل على ذلك الترجمة الانكليزية في المعجم الأصلي (Brood) . وجاءت ترجمة اللفظة في معجم الألفاظ الزراعية للأمير الشهابي حُضْنة ، شارحاً اللفظة بأنها جملة البيض الذي يحضنه الطائر الداجن في مرة ، وجملة الفراخ التي تلد في حضنة واحدة ، كما ان اللفظة تدل على الحضن أي عمل الطائر الداجن الذي يحضن البيض . أقول واستعمال هذه اللفظة في معجم طبي يدل على ان القصد منها المعنى المجازي كما جاء في معجم لاروس للقرن العشرين .

3468 Couver, v. brûler sous flamme ٣٤٦٨ خفي ، انظر نار تحت الرماد

وأرجح وَمَض أو أوْمَض [1] . وما يعنى من اللفظة ببعض الحالات المرضية التي تبقى هاجعة مدة من الزمن ثم لا تلبث أن تظهر بغتة .

---

(١) في اللسان : وَمَضَ البَرْقُ وغيره يَمِض وَمْضاً ووميضاً ووَمَضاناً وتوماضاً أي لَمَعَ لمعاً خفياً ولم يَعْتَرِض في نواحي الغيم . الوَمْض والوَميضُ من لمعان البَرْق وكل شيء صافي اللون قال وقد يكون الوَميض للنار .

3470 Couvert, erte épais, aisse (langue) كَثِنٌ مُغشّى (لسان) ٣٤٧٠

وأرجح مُغشّى وكثيف ، وتخصيص لفظة كثِن ترجمة لـ (fuligineux) كما فعلته اللجنة (اللفظ ٦٠٩٧) .

3471 Couveuse, étuve à culture مَرْخَة ، مِحْضَنَة (للولد) مِحَم للزَّرع ٣٤٧١

وجاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير الشهابي : حاضِنة ، مِحْضَنة ، مُرخَة ، مِرْخَمة وقال والمحضنة عندي أصلح الأسماء الأربعة . ثم مِحَم للاستنبات .

3477 Coxa vara, coxa adducta, coxa flecta, hanche bote فَخِذٌ روحاء ، فَخِذٌ مقرّبة فَخِذٌ معطوفة ٣٤٧٧

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بالمَذَح[1] ، وعرفها بتقوس عنق عظم الفخذ بسبب تقارب الفخذين مع قصر ظاهري في الرجل . وسبقت ملاحظتي على هذه اللفظة[2] .

3486 Crampe, spasme مَعْصٌ تشنج ٣٤٨٦

3487 Crampe des écrivains مَعْص الكَتَبَة ٣٤٨٧

3489 Crampe de la jambe, crampes professionnelles, v. spasmes fonctionnels مَعَص الساق ٣٤٨٩

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Crampe) بالعُقّال ، وعرف اللفظة بأنها انقباض خطري مؤلم في بعض العضلات بسبب وقوف الحركة وقتياً . وجاء

(١) في اللسان : المَذَح : التواء في الفخذين إذا مشى انسحجت إحداهما بالأخرى ، ومَذِح الرجلُ يَمْذَح مَذَحاً إذا اصطكّت فخذاه والتوتا حتى تسحّجتا ومَذِحت فخذاه .

(٢) الصفحة ٢٨٥ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

في ترجمة (Crampe professionnelle) العُقّال المهني ، بوصف بنوع المهنة فيقال عُقال العازف على القيثارة وعقال الكاتب . وسبقت ملاحظتي بأن اللفظة مَعَص بالتحريك[1] وأرى لفظة مَعَص أفضل لدلالة لفظة عُقال[2] على معاني أخرى .

٣٤٩٦ تَلَيُّن الجمجمة ، لين الجمجمة رَخاوة الجمجمة قفا لَيِّن 3496 Craniotabès, cranio- -malacie, occiput mou

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بضنى الجمجمة .

٣٤٩٦ فرقعة ، نَقْض 3499 Craquement, crépitation

وأقر مجمع اللغة طقطقة .

٣٥٠٠ بِنْية ، تركيب 3500 Crase, constitution

وأرجح ان تترجم اللفظة الأولى بالبناء الخلطي والثانية بالبنية . واللفظة الأولى من الألفاظ القديمة التي تدل على نظرية قديمة وهي ان البدن مركب من أربعة أخلاط ، وما يعنى بها في الوقت الحاضر التركيب الخلطي للدم وأخصه ما هو عائد لخصائصه التجربية دون سواها . وسبق للجنة ان ترجمت لفظة (Constitution) ببنية (اللفظة ٣٥٢٥)[3] .

٣٥٠١ وَضَر الشيوخ ، تقرن الجلد الشيخوخي 3501 Crasse des veillards, kératose sénile

(١) الصفحة ٢٨٦ من المجلد السابع والثلاثين والصفحة ٤٢٥ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : والعقّال داء في رجل الدابة إذا مشى ظلّع ساعة ثم انبسط ، واكثر ما يعتري في الشتاء وخصّ أبو عبيد بالعقّال الفرس . وفي الصحاح العُقّال ظلَعٌ يأخذ في قوائم الدابة . وقال داء ذو عقّالٍ لا يبرأ منه .

(٣) الصفحة ٤٢٣ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

وأرجح التنكس التقرني في الشيوخ وتقرن الجلد الشيخي ، ولا أرى لفظة وَضَر[1] تدل على المعنى المطلوب ، ألا وهو تصلب الطبقة القرنية من الجلد تصلباً متناظراً .

٣٥٠٢ قُوَيْهي الشكل ، كأسي الشكل 3502 Crateriforme

كوبي الشكل بعد أن أقر مجمع اللغة ترجمة (Cup) بكوب .

٣٥٠٨ (١) كِرآتين ، لحمين 3508 (1) Créatine

٣٥٠٨ (٢) كِرآتينين ، لحمينين 3508 (2) Créatinine

وأقر مجمع اللغة اللفظة الأولى بكرياتين فتصبح الثانية كرياتينين .

٣٥٠٩ محضَنة الأطفال 3509 Crèche

وأرجح مأوى الأطفال النهاري . وهو المكان الذي يترك الأمهات أولادهن فيه طيلة النهار أثناء اشتغالهن في المعامل والمصانع . وتنطبق الترجمة على اللفظة الانكليزية (Day nursery) وقد سبق تخصيص لفظة محضنة ترجمة لـ (Couveuse)[2] .

٣٥١٦ فرقعة ثلجية ، أزيز (انتفاخ جلدي) 3516 Crépitation neigeuse (emphysème cutané)

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Crépitation) بطقطقة .

٣٥٢٠ قُنْزُعة ، صفحة ، انظر حرف ، حافة 3520 Crête, lame V. bord

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Crête) بعُرْف .

---

(١) في اللسان : الوَضَر : الدَّرَن والدَّسَم . ابن سيده : الوَضَرُ وسَخُ الدسم واللبن وغسالة السِّقاء والقصعة ونحوها . الى أن قال وَوَضِر الإناء يَوْضَرُ وضراً إذا اتسخ فهو وَضِر . والوَضَر ما يشمه الإنسان من ريح يجده من طعام فاسد .

(٢) الصفحة ٦٠١ من هذا العدد .

٣٥٣٧ بوطة (بوتقة) 3537 Creuset

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة ببوتقة وبودقة وقد عرّفها بأنها وعاء من الفخار أو النيكل أو البلاتين وأشباهها تستخدم عادة في تسخين المواد تسخيناً شديداً بقصد تكليسها غالباً .

٣٥٥٠ بُحْران ، انظر نوبة 3550 Crise v. accès

وأقر مجمع اللغة لفظتي بُحران وأزمة . فقد جاء في الصفحة ٣٣٤ من المجلد الأول من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع في ترجمة لفظه (Crisis) بُحران شارحاً اللفظة كما يلي : التغير الذي يحدث فجأة من الأمراض الحمّية (كذا) الحادة ويصحبه عرق غزير وانخفاض سريع في الحرارة .

وجاء في الصفحة ٢٨٩ من المجلد نفسه في ترجمة اللفظة ذاتها أزمة وجاء شرحها كما يلي :

١ — نهاية فجائية تحدث في مرض حاد كالتهاب الرئة أو الحميات كالتيفوس والراجعة .

٢ — وهي دور اضطراب أحياني كالبلوغ .

٣ - هبّة حادة مؤلمة في سير مرض مزمن .

٣٥٥١ بُحْران التزعزع الشَّبغوي 3551 Crise colloïdoclasique

وأرجح نوبة تزعزع الغروانيات .

٣٥٥٢ بُحْران تكوّن الكريراوات 3552 Crise érythroblastique

وأرجح أزمة أو نوبة تكوّن الكريات الحمر .

٣٥٦١ بُحْران حمض البول (رملي) 3561 Crise uricurique

بُحران حمضبولي

والصحيح نوبة أو أزمة بيلة حمض البول . لأن لفظة (Uricurie) معناها اطراح حمض البول بالبول (اللفظة ١٣٩٨) كما جاء في ترجمة اللجنة .

3564 Crispation ٣٥٦٤ اكتزاز ، إنقباض

ويقصد باللفظة الحركة التشنجية أو الاختلاجية اللاطوعية البادية إثر الملل والضجر ، وفي أثناء الحمى . لذا أرجح ترجمتها بالحركة التشنجية ، تاركاً لفظة انقباض ترجمة للفظة (Systole) كما فعلته اللجنة (اللفظه ١٣١٠٠) أما اكتزاز فلا أراها تفي بالمعنى[1] .

3570 Cristalloïde ٣٥٧٠ شَبَلُّوري (شبه بلوري) بَلَّورين

بلوراني وفاقاً للقاعدة التي وضعها مجمع اللغة .

3576 Cristaux de sperme ٣٥٧٦ بَلورات مَنَوية

بلورات نطفية كما أقرها مجمع اللغة .

3577 Critique, v. Climatérique ٣٥٧٧ بُحراني، انظر دورة كاملة

بُحراني ، أيامي[2] ، أزمي[3] نوبي .

3578 Crochet, crampon, griffe ٣٥٧٨ كُلاَّب ، مِحْجَن ، أظفور ، مِخلَب

وأقر مجمع اللغة كُلاَّب وشِصّ[4] .

(١) في اللسان : الكَزّ الذي لا ينبسط ، ووجه كَز قبيح . كَزّ يكُزّ كزازة وجمل كَزّ صُلب شديد وذهب كزّ صلب جداً ورجل كز قليل المؤاتاة والخير بيّن الكزز ، إلى أن قال والكزازة والكزاز : اليُبس والانقباض .

(٢) الصفحة ٨٥ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ٦٠٤ من هذا العدد .

(٤) في اللسان : والشِّص والشَّص شيء يصاد به السمك . قال ابن دريد لا أحسبُه عربياً . وفي حديث ابن عمر في رجل ألقى شِصّه ، وأخذ سمكة : الشّص والشِّص بالكسر والفتح حديدة عَقفاء يصاد بها السمك .

3584 Crochets couronne, cercle de(échinocoque) ٣٥٨٤ شصوص (المكورة المشوكة) كلاليب(المكورة المشوكة)

وأقر مجمع اللغه شص هيدانية وشص اكينوكوكيه . وشرح اللفظه : شص من رأس الديدان الاكينوكوكيه توجد في الكيس الديداني .

3594 Croup, laryngite pseudo-membraneuse ٣٥٩٤ ذبحة ، التهاب الحنجرة الغشائي الكاذب

وأقر مجمع اللغة خناق . وجاء في شرح اللفظة : عدوى بحنجرة الأطفال يميزها عسر تنفسي صرصري وسعال أجش ويتكون في بعضها غشاء كاذب .

3596 Croûte ٣٥٩٦ قشر ، وسف

وأقر مجمع اللغة جلبة [1] . وجاء في شرح اللفظة هي القشرة التي تغطي الجرح السطحي .

3599 Croute de sang coagulé ٣٥٩٩ جلاطه الدم المخثر

وأرجح جلبة العلق أو الجلاطه استناداً إلى ما تقدم آنفاً . وعرف مجمع اللغه العلق (الجلاطه) بالدم الغليظ أو الجامد والقطعه منه علقة .

3604 Cruenté, ée, saignant, ante (plaie, surface) ٣٦٠٤ دام ، نعّار (جرح ، سطح)

وأقر مجمع اللغه دام فقط .

3606 Cryothérapie par application de neige carbonique ٣٦٠٦ إبتراد باستعمال حمض الفحم الثلجي

وأرجح المعالجه بالبرودة بتطبيق ثلج الكربون .

(١) في اللسان : وجلب الدم وأجلب : يبس عن ابن الأعرابي . والجلبة القشرة التي تعلو الجرح عند البرء . وقد جلب يجلب ويجلب وأجلب الجرح مثله . الأصمعي إذا علت القرحة جلدة البرء قيل جلب وقال الليث قرحة مجلبة وجالبة وقروح جوالب وجلب .

٣٦٠٧ سهاء اللّوزة، حفيرات اللّوزة Cryptes amygdaliennes 3607
نقيرات اللوزة fossettes amygdaliennes
lacunes amygdaliennes

وأقر مجمع اللغة ترجمة لفظة (Crypte) بجُرَيب (ج جريبات) . وسبقت ملاحظتي على هذه اللفظة [1] وما يليها .

٣٦٠٩ إختفاء الخِصْية Cryptorchidie 3609

وأقر مجمع اللغة خِفاء الخُصْية . وعرف اللفظة بعدم نزول الخصية من التجويف البطني إلى الصّفن .

٣٦١٤ زَنْد أفحج Cubitus valgus 3614

٣٦١٥ زند أروح Cubitus varus 3615

وأقر مجمع اللغـة ترجمة (Valgus) بأصدف و (Varus) بأفْفَد[2] ولعلها أفضل من لفظتي أفحج وأروح[3] ولا سيما فيما يختص باليدين .

---

(١) الصفحة ٢٨٧ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : والصَّدف عوَجٌ في اليدين وقيل مَيَل في الحافر الى الجانب الوحشي وقيل هو أن يميل خُفّ البعير من اليد أو الرجل إلى الجانب الوحشي .
وفي اللسان : والفَقَد بفتح الفاء أن يميل خُفّ البعير من اليد أو الرجل إلى الجانب الأنسي قَفِدٌ فهو أفقد ، فان مال إلى الوحشي فهو أصدف .

(٣) في اللسان : والأفحَج الذي في رجليه اعوجاج ورجل أفحج بيِّن الفَحَج وهو الذي تتدانى صدور قدميه وتتباعد عُقباه وتَتَفحَّج ساقاه .
وفي اللسان الرَّوَح اتساع ما بين الفخذين أو سَعَةٌ في الرجلين وهو دون الفَحَج إلا ان الأروح تتباعد صدور قدميه وتتدانى عَقِباه الى أن قال : الرَّوج انقلاب القدم عن وحشيّها وقيل هو انبساط في صدر القدم .

3636 Cul - de - sac, fond رَتج ، رَدْب ، قَعْر ٣٦٣٦

3638 Cul - de - sac رتج دوغلاس ، رتج مستقيمي رحمي ٣٦٣٨
de Douglas, cul-de - sac recto - utérin

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بجيب . وجاء ترجمة الثانية بجيب دوجلاس وفي شرحها : جيب بين المستقيم والمثانة في الذكر وبين المستقيم والرحم في الأنثى .

3642 Culture (bact,) زرع (جراثيم) ، مزروع ٣٦٤٢

وأقر مجمع اللغة مُسْتَنْبَت ومزروع (ج مزارع) .

3657 Cunéiforme سفيني الشكل ٣٦٥٧

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Cuneus) بوتد وتصبح ترجمة اللفظة وتدي الشكل .

3659 Cupule قُدَيح ، كؤيس ٣٦٥٩

وأقر مجمع اللغة كويب .

3663 Curage, v. curettage تجريف أصبُعي ، انظر تجريف ٣٦٦٣
Curage digital v. décollement de l'œuf

وأقر مجمع اللغة ترجمة لفظة (Curettage) بكشط وكحت وتصبح اللفظة الثانية كشط اصبعي . انظر فصل البيضة الأصبعي (وقد أهملته اللجنة) .

3667 Cure d'amaigrissement مُعالجة التهزيل ٣٦٦٧

والصحيح الاستشفاء بالتخيف . اذ المقصود من هـذه اللفظة اتخاذ التخيف وسيلة من وسائل العلاج وعلى ذلك كانت ترجمة اللفظة بالانكليزيه في المعجم الأصلي (Antifat treatment) أي المعالجة المضادة للسمن أو البدانة . وأرى ترجمه لفظة (Crue) باستشفاء أفضل لأنها تفيد الاستشفاء حقاً كما يفهم من

مدلول الألفاظ التالية ولأن من المتفق عليه تخصيص معالجة ترجمة ل (Traitement) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ١٣٥٨) وربما (Thérapie) أيضاً .

٣٦٧٢ معالجة بالحمية 3672 Cure diététique

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Diète) بغذاء فتصبح الترجمة الاستشفاء بالغذاء ، ولقد ترجمت اللجنة لفظة (régime) بحمية (اللفظة ١١٥٩٩) .

٣٦٨٧ معالجة بالإجبال التدريجي 3687 Cure de terrain,
خطة أرتيل méthode d'Aertel

وأرجح الاستشفاء بالبقاع طريقة اورتيل . وما يقصد هو الإقامة في احدى البقاع بغية الاستشفاء وقد تكون البقعة جبلاً أو سهلاً وغيرهما .

٣٦٨٩ معالجة بالعِنَب ، استعناب 3689 Cure uvéale

وأرجح الاستشفاء بالعنب .

٣٦٩٠ تَجْريف ، تَجْريف ، أصْبَعي ، إفراغ 3690 Curettage, curage, curettement, évidement, évacuation

وأقر مجمع اللغة الكشط — الكحت .

٣٦٩٢ مِجْرَفة مُجَرِّفة 3692 Curette

وأقر مجمع اللغة مكشطة ، مكحتة .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

كتاب

وَصْفُ المَطَرِ وَالسَّحَابِ

ومَا نَعَتَتْه العَرَبُ الرُّوّادُ من البقاع

للإمام

أبي بكر محمّد بن الحسن بن دُرَيد الأزديّ

٢٢٣ - ٣٢١ هـ

- ٤ -

١٨ _ أَخْبرنا عبدُ الرحمن عن عَمِّه[1] قال : سألَ أعرابيٌّ رجلين من الأعراب: أين مُطِرتُما؟ قالا : مُطِرْنا بمكان كَذا وكذا ،

(١) وجاء هذا الخبر في كتاب الأزمنة للمرزوقي (١٣٢/٢) قال (الأصمعي) وزعم أبو صالح التميمي ان رجلًا من العرب سأل اعرابيين فقال أين مُطِرتما ؟ إلى آخر الخبر باختلاف .

قال : فما أصابكما من المَطر ؟ قالا : حاجتُنا ، قال : فماذا سُيِّلَ عليكما ؟ قالا : ملْنا لوادي كذا وكذا فوجدناه مُكَسِّراً[١] سالتْ مُعْنَانُهُ ، ومِلنا لوادي كَذا وكذا فَوَجدناه مُشْطِئًا[٢] ، قال: فماذا وجدتُما أرض بني فلان؟ قالا : وجدناها مَمطورةً قد ألَسَّ غمـيرُها ، وأخْوَصَ شجرُها ، وأدْلَسَ نَصِيُّها[٣] ، وألَثَّ سَخْبَرُها ، وأخْلَسَ حَليُّها ، ونَبَّبت عِجْلَتُها .

قال أبو بكر: قوله(وَجدناه مُكسِّرًا) : يَقول قد سالت جرْفته و (مُعْنانُه) : جَوانبُه[٤] ؛ و (مُشْطِئ) : قد سال شُطْآنُه[٥]، وهو جمع شاطئ ، ولم يَسِلْ بأجمعهِ ، وقولُه : (ألَسَّ) : أيْ أمكن أن تَلُسَّهُ الماشيةُ أيْ ترعاه ؛ و(أخْوَصَ الشجرُ) : قال أبو بكر: أحمدُ ما يكون المطرُ إذا كان الخوصُ وافراً ، و(النَّصِيُّ)

(١) نسي الناسخ كتابتها في المتن هنا وكتبها في التفسير ، وهي في الليدنية .

(٢) وفي نسخة (مُشْطِياً) بتسهيل الهمزة .

(٣) في الأزمنة : (وأخلسَ نصيها) ، والصواب وأدلس نصيُّها .

(٤) مُعْنان جمع مَعِين كرَغيف ورُغفان ، وهو الماء السائل على وجه الأرض ، من مَعَن الماء سال وجرى ، ويجمع أيضاً على مُعُن ومُعُنات ، وهي المسايل والجوانب .

(٥) وفي الهامش : شاطئاه وشَطّاه وفي الليدنية : شَطّاه .

ضربٌ من النبت، وهو يَبيس الحَليِّ[(١)]؛ (أدْلَسَ): أوْرقَ واسْودَّ، و(ألَثَّ سَخْبَرُها) اللثّا صَمْغٌ أيْ صارَ فيه الصَّمغُ[(٢)]، والسَّخْبَرُ شجرٌ؛ (أخْلَسَ حَلِيُّها)، الحَليُّ نَبْتٌ؛ أخْلَسَ: أي صارَ لونَين، وكلُّ [ذي] لونين خَليسٌ من شِدّة خُضرةِ الوَرق[(٣)]؛ و(العِجْلة): بَقلةٌ مُسْتَطيلةٌ معَ الأرضِ؛ وقوله: (إذا نَبَّبَتْ): أي صارَ لها أنابيبُ.

(١) وفي اللغة: النّصي نبت سَبط أبيض ناعم من أفضل المراعي ويقال له نَصِيٌّ ما دام رطباً، فإذا ابيضّ فهو الطّريفة، فإذا ضخم ويبس فهو الحَلِيّ، قال الشاعر:

(نحن مَنعنا منبتَ النّصيِّ ومَنْبتَ الضَّمرانِ والحَلِيّ)

(٢) اللثّا أو اللثّى وزان الفتى، وجاء اللثأ بالهمز واللثُّ أيضاً صمغ أو ماء خاثر يخرج من بعض الشجر كالثمام والسخبر، ولَثّ الشجر وألَثّ عن ابن سيده: خرج منه اللثّى، والسخبر كما يقول أبو حنيفة يشبه الثمام وله جرثومة كأن ثمره مكاسح القصب، وقيل السخبر شجر الثمام وقوله: (ألثّ سخبرها) أي خرج لثاه وصمغه، وليس في اللغة (أليَثَ) بمعنى ألَثّ المشتقة من اللثّى، لأنها من مادة أخرى، وقد جاءت في الأصل (أليث سخبرها) وهو من عمل الناسخ، ومثله جاء في الليدنيّة، والتصحيف يسهل بين ألث وأليث والله أعلم.

(٣) ويقال: أخلستِ الأرضُ والنباتُ خالط يبيسُها رَطبَها (الصحاح).

١٩ ــ حدّثنا عبدُ الرحمن عن عمّهِ قال : قال أبو المُجيب ، وكان أعرابيًا من بني رَبيعةَ بن مالكِ بن زيد مناةَ بنِ تميم(١) :

لقد رأيتُنا في أرضٍ عَجْفاء وزَمانٍ أعْجَفَ(٢)، وشَجرٍ أعشمَ(٣) في قُفٍّ غليظٍ ، [وجادّة مدرّعة غبراء](٤) فبينا نحن كذلكَ إذْ أنشأ الله من السّماء غيثًا مُستَكِفًا(٥) نَشْؤُهُ ، مُسْبَلةً عَزالِيه ،

(١) وقد جاء هذا الخبر مرتين في أزمنة المرزوقي (٢/١١٤ و ١٣٦) مُشوّهًا مع اختلاف في ترتيب الجمل ، ويرويه الأصمعي عن أعرابي من ربيعة وهو أبو المجيب الرّبعي يصف جدبًا وغيثًا ، وجاء آخر هذا الخبر مبتوراً في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (٢/٧) ، وجاء أيضا في المخصّص مع اختلاف قليل ، هذا ، واسم أبي المجيب الرّبعي راوي هذا الخبر مَرْثد ، وهو من فصحاء الأعراب ووصّافهم للغيث والسحاب ، وممّن روى عنهم ابن الأعرابي ، وله ذكر في كتب الأدب كالبيان والتبيين وغيره

قال : فما أصابكما من المَطر ؟ قالا : حاجتُنا ، قال : فماذا سُيِّلَ عليكما ؟ قالا : ملْنا لوادي كذا وكذا فوجدناه مُكَسَّراً(١) سالتْ مُعْنَانُهُ ، وملنا لوادي كذا وكذا فوجدناه مُشْطِئًا(٢) ، قال: فماذا وجدتُما أرضَ بني فلان؟ قالا: وجدناها مَمطورةً قد ألَسَّ غَميرُها ، وأخْوَصَ شجرُها ، وأدْلَسَ

ضخامًا قَطْرُهُ[١] جَوْدًا صَوْبُهُ زاكيًا أنزلَهُ اللهُ[٢] رِزْقًا لنا ، فنَعَشَ بِهِ أموالَنا ، ووَصَلَ به طُرُقَنا ، فأصابنا ، وإنا لَبِنَوْطَةٍ بَعيدةٍ [بين] الأَرْجاء[٣] فاهْرَمَّعَ[٤] مَطَرُها ، حتّى رَأيتُنا ، وما نَرَى غيرَ السَّماء والماءِ وصَهَواتِ الطَّلْحِ[٥] ، فضَرَبَ السَّيلُ النِّجافَ ، ومَلأَ الأَوْديةَ فرَحَبَها ، فما لَبِثْنا إلاَّ عَشرًا حتى رأيتُها روضةً تَنْدَى .

٢٠ ــ أخبرنا عبد الرحمن عن عَمّهِ قال: قال أعرابيٌّ :

(١) وفي المخصص والأزمنة : (عظاماً قطره) .

(٢) وفي المخصص بعد (أنزله الله) : جلّ اسمه .

(٣) وفي المخصص والأزمنة (بنوطة بعيدة بين الأرجاء) بزيادة (بينَ) ، و (النَّوطَة) : الأرض يكثر بها الطلح وليست بوادٍ .

(٤) الاهرمّاع : الانحدار ، وفي الليدنية (فاهرمّع مطره) وقال ناشرها في تعليقة له : وفي نسخة (مطرها) .

(٥) الطلح من العِضاه ، ولها شوك أحجن وثمر الطلح كثمر السَّمر ، وفسر الطلح بالموز في قوله جلّ ذكره « وطلح منضود » كما جاء في المصباح واللسان ، قال ابن السكيت : وهو غير معروف في اللغة ، و (صهوات الطلح) أعاليه ، قال صاحب ديوان المعاني : وقوله (ما رأيت غير السماء والماء وصهوات الطلح) غاية في صفة كثرة المطر .

ليس الَحيا بالسُّحَيِّبة(١) تَتبع أذنابَ أعاصيرِ الرّيح ؛ ولكن كلّ ليلةٍ مُسْبِلٍ رِواقُها ، منقطعٍ نِطاقُها(٢) تبيتُ آذانُ ضأنِها تَنطِفُ حتّى الصباح .

٢١ ــ أخبرنا عبدُ الرحمنِ عن عَمّهِ قال : قيل لأعرابيّ : كيفَ كان كَلأً أرضكَ ؟ فقالَ :

أصابتنا دِيمَةٌ بعدَ ديمةٍ ، على عِهادٍ غَير قَديمةٍ ، فالنَّاب تَشبَعُ قبلَ الفَطيمة(٣) .

(١) وفي الليدنية : بالسحيّنة وهو تصحيف .

(٢) وفي الليدنية : بطاقها ، وهو تصحيف أيضاً ، ونسختنا بالاجمال أصح من الليدنية ولله الحمد .

(٣) مرّ بنا هذا الجواب في الخبر ١٣ من في حديث ابنة الخس الايادية ، وهو في المخصص (١٠/١٧٧) ونصه فيه : قالوا : وبعث رجل بنين له يرتادون في خصب فقال أحدهم : رأيتُ ماءً غللاً بسيل سَيْلا ، وخوصُه تميل ميلا يحسبها الرائد ليلا ؛ وقال الثاني : وجدت ديمة على ديمة في عهادٍ غير قديمة تشبع بها الناب قبل الفطيمة . وتسيره : (الغلل) الماء يجري في أصول الشجر ، (ويحسبه ليلا لفرط خضرته ، والأخضر يُرى أسود وهو بعيد ، و (الديمة) السحابة الدائمة لا رعد فيها ولا برق ، و (العِهاد) جمع عَهْد وهو لوسمي فيه المطر ومن بعده الوَلِيّ ، (وتشبع منه الناب) كناية عن فرط الكلأ والخصب ، و (الفطيمة) تشبع قبل الناب فلا يُهتم بها ولا تذكر .

٢٢ ـ أخبرنا عبدُ الرحمن عن عَمّه قال شَامَ أعرابيّ بَرقاً فقال لابنته : أُنْظُري أين تَرَيْنَهُ ؟ فقالت :

أناخَ بِذي بَقَرٍ بَرْكَهُ ... كأنَّ على عَضُدَيهِ كِتَافا

ثم قال لها بعد قليل : عودي فَشِيمي ، فقالت :

نحته الصَّبا(١) ومَرَتْهُ الجَنُو ... بُ وانْتَجفتهُ الشَّمالُ انْتِجَافا

٢٣ ـ أخبرنا أبو حاتم عن الأَصْمعيّ قال : خرج صالح بن عبد الرحمن يَسير بين الحيرة والكوفة فإذا هو براكبٍ فقال : مِمّن أنتَ ؟ فقال : من بني سعد فمَن أنتَ ؟ فإني أرَى بِزّةً ظاهرةً وجلدةً حسنةً . فقال بعضُ أصْحابِ صالح : أتقول هذا للأَمير ؟ فقال صالح : دَعوه فلم يقلْ إلاّ خيراً ، ثم استخبره عن المطر فقال :

أقبلتُ حتّى إذا كنتُ بينَ هذا الحزْنِ والسَّهل ، وفي كُفَّةِ النَّخلِ رأيت خَريجًا من السّحاب مُنكَفتَ الأعَالي، لاحقَ التّوالي، فهو غادٍ عليك أو سَارٍ ، يُسَيِّلُ السُّلاّنَ(٢) ويُرْوي الغُدران .

(١) في الأصل : لقحته الصبا ، وفوق (لقحته) كتب الناسخ (نحتَه) أي قصدته وأصابته ، وبذلك يستقيم وزن المتقارب .

(٢) جاء في هامش بإزاء (السُّلاّن) : سالٌ وسلاّن وغالٌ وغُلاّن وهو الوادي فيه شجر السّدر .

٢٤ ــ أخبَرنا أبو حاتمٍ قال حدّثنا الأصمعيُّ[١] قال: أُخْبِرتُ عن عبدالملك بن عُمَير قال: كنتُ عند الحجاج بن يوسُف فقال لرجلٍ من الشام[٢]:

ــ هل أصابكَ مطرٌ؟ فقال:

ــ نعم أصابنامطرٌ[٣] أسالَ الإكامَ[٤]، وأدْحَضَ التِّلاعَ[٥]،

---

(١) ورواية كتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (١٤١/٢) لهذا الخبر أكثر تفصيلا، ولهذا نشرناه برمته في ذيل هذا الكتاب (فوائت أخبار الرواد والأمطار).

(٢) في الليدنية: من أهل الشام.

(٣) في الليدنية: أصابني.

(٤) الإكام جمع أكم كجبال وجبل، والأكَم جمع أكمة وهي التل أو الرابية.

(٥) الدّحْض الزلق والإدحاض الإزلاق، و (دَحَضَ) لازم متعدّ و (أدحض) متعد لا غير، وقد جاء النصّ في اللسان (دحض) وهو: وفي حديث الحجاج في صفة المطر: فدحضت التــلاع: أي صيّرتها مَزلقة.

وَخَرَقَ الرَّجع[١] ، فجئتكَ في مثل مَجَرِّ الضَّبُعِ [٢] ؛ ثم سألَ رجلاً من أهل الحجاز :

ـ هل أصابكَ مطرٌ ؟ ، قال[٣] :

ـ نعم ، سَقتني الأَسْمِيَةُ فَغُيِّبَت الشِّفار ، وأُطْفِئتِ النّـار ، وَتشَكَّتِ النّساء[٤] ، وتَظالَمت المِعْزَى[٥] ، فاحْتُلِبَتِ الدِّرَّة بالجِرَّة ؛

---

(١) الرَّجْع هنا المطر لأنه يرجع مرة بعد أخرى ، والمطر يخرق الأرض بشدة وقعه .

(٢) مر تفسير جرّ الضّبع في الخبر الرابع عشر ، قال شمر سمعت ابن الأعرابي يقول : جئتك في مثـل مَجَرّ الضّبع : يريد السيل قد خرق الأرض فكأن الضّبع جُرّت فيه .

(٣) وجواب هذا الرائد الحجازي للحجاج في المخصّص (١٠/١٨٢) في خبر مستقل هذا نصه : وسأل الحجاج رجلاً قدم من الحجاز عن المطر فقال : تتابعت علينا الأسمية حتى منعت الشّفار وتظالمت المعزى واحتلبت الدّرة بالجرّة . قال : واحتلاب الدرة بالجرة أن المواشي تتملأ ثم تربض فلا تزال تجتر إلى حين الحلب .

(٤) أي اتخـذن الشكوة لأن اللبن لم يكثر بعد فيتخذن الوطاب.

(٥) سُئل رائد عن الغيث فقال : خلّفت أرضاً تظالمُ معزاها ، وذلك لأشرها بعد الشبع من المرعى فهي تتناطح وتتظالم .

ثم سألَ رجلاً من أهل فارس فقال : نَعمْ ، ولا أُحسن كما قال هؤلاء ا إلا " أني لم أزلْ في ماءٍ وطينٍ حتّى وصلتُ إليك .

قولُهُ (غُيّبت الشِّفارُ) يُريد أخصبَ الناس فلم يذبحوا الغنَم والإبل ، و (أُطْفِئت النّـــار) كذلك أيضًا و (تَشكَّت النّساء) و (تَظالمتِ المعْزى)[1] في المَرْعى : في الكلأ .

٢٥ ــ أخبرنا أبو حاتمٍ عن أبي عُبَيدة قال : سألَ سليمان ابن عبدالملك أعرابيًا عن المَطَر فقال[2] :

أصابَنا مَطرٌ انْعقدَ منه الثّرَى واسْتأصلَ منه العِرْقُ ولم ترَ واديًا دارئًا[3] .

٢٦ ــ أخْبَرنا أبوحاتم وعبدُ الرّحمن عن الأصمعيِّ قالَ : قالَ : كان أعْرابيٌّ ضَرير تَقودُه ابنتُه . وهي تَرْعَى غُنَيْمات

---

(١) أسقط الناسخ جملة (وتشكّت النساءُ) مع شَرحها ، وقد مرّ الشرح بنا قبل أسطر .

(٢) سيأتي في الخبر (٢٨) أن سليمان سأل سريعاً مولى عمرو بن حريث الذي حفظ قول اعرابي في المطر .

(٣) وفي الهامش : (دارئاً) أي دافعـًا لم يكن كبيراً ، قال موهوب : والكبير يوصف بالوقوف .

لها ، فرأتْ سَحاباً فقالت : يا أَبَه[١] ، جاءتكَ السّماء ، فقال : كيفَ تَرَيْنَها ؟ قالتْ : كأَنّها فرَسٌ دَهماء تَجُرُّ جلالَها ، قال : ارعَيْ غُنَيماتكِ ، فرَعت مَليًّا ، ثم قالت : ياأَبَهْ ، جاءتكَ السماء ، فقال : كيفَ ترينها ؟ قالت : كأنّها عينُ جَملٍ طَريفٍ ، قال : ارعَيْ غُنَيماتِكِ ، فرعت مَليًّا ثم قالت : ياأُبَهْ ، جاءتك السّماء ، فقالَ : كيف تَرَيْنَها ؟ قالت : سَطَّحتْ[٢] وأَبيَضّتْ ، قال : أَدخِلي[٣] غُنَيماتِكِ ؛ قال فجاءت السَّماء بشيءٍ[٤] شَطأَ لهُ الزَّرْعُ وأَيْنَعَ ، وخَضُرَ ونَضُرَ .

(١) نداء لأبيها ، وعربنا بفلسطين يقولون : يابَه ، بتسهيل الهمزة وهو جائز ؛ وفي اللّيدنية : يا أبَةِ .

(٢) لعلها بمعنى امتَدّت ، وفي الهامش فوق (سطحت) سمطحت ح ، وفي اللّيدنية (سطحت) بدون تشديد .

(٣) وفي الليدنية : (أخلي) ، وروايتنا أفصح وأوضح .

(٤) التنكير هنا للتكثير .

٢٧ ـ أخبرنا عبدُ الرحمٰنِ عن عَمّهِ[1] قال : بَعَثَ قوم رائدًا ، فقالوا :

ـ ما وراءك ؟ فقال :

ـ عُشْبٌ وتعاشيبُ ، وكَمْأَة مُتَفَرِّقةٌ شيبٌ ، تقلعها بأَخفافِها النِّيبُ .

٢٨ ـ أخبرنا أبوحاتمٍ عن أبي عُبيدةَ قال : بَعَثَ يَزيدُ ابنُ المهلّبِ سَريعًا مولىَ عَمروٍ بن حُرَيث إلى سليمان بن

(١) وفي كتاب الأزمنة (٢/١٣٩) : أخبر به ابن كناسة ، وفيه (تندُسها) بدل (تقلعها) . وابن كناسة هو محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى المازني الأسدي الكوفي من شعراء الدولة العباسية ، كان عالماً بالعربية وأيام الناس وهو راوية الكميت وابن اخت ابراهيم بن أدهم الزاهد (١٢٣ــ٢٠٧) وجاء هذا الخبر في المخصص (١٠/١٧٦) وفيه زيادة . وهي ان القوم الذين بعثوا الرائد قالوا له بعد قوله (تندُسها بأخفافها النيب) : هــذا كذب ! وأرسلوا آخر فقالوا ما وراءك ؟ قال : عُشْبٌ ثَأْد مَأْد ، مَوْلِيٌّ عَهْد ، مُتدارِك جَعْد ، كأفخاذ بني سَعد تشبع منه النَّابُ وهي تعدو ؛ وقوله (ثأد) أي رَطب ، و (مأد) الذي يتثنى من نعمته ، والمتدارك الذي لحق آخره بأوله ، والناب الناقة المسنة .

عبد الملك، قال سَريع : فعلمتُ أنه سَيسألني[١] عن المطر، ولم أكنْ أرتقُ بين كلمتين ، فدعَوت أَعرابيًّا فأعطيته درهمًا ، وقلتُ له : كيفَ تَقولُ إِذا سُئلتَ عن المطر ، فكتبتُ ما قالَ : ثم جعلتُه بيني وبين القَرَبوسِ[٢] حتى حفظتُهُ ،

فلمّا قدمتُ قرأ كتابي ، ثم قالَ : كيفَ كان المطر ؟ فقلت : ياأميرَ المؤمنين : عَمِدَ الثَّرى ، واسْتأصَلَ العِرْقُ ، ولم أرَ واديًا دارِئًا ، فقال سُليمان : هذا الكلام[٣] لستَ بأبي عُذْرِهِ ، فقلتُ : بلَى ! قال : اصْدُقْني ، فَصَدَقتُهُ ، فضَحك حتّى فَحَصَ الأَرضَ[٤] برجليه ، ثم قال : لَقيتَه واللهِ ابنَ بَجْدَتِها : أيْ عالِمًا بها .

(١) في الليدنية : يسألني .

(٢) عن ابن دريد في كتابه (صفة السرج واللّجام) : والقَرَبوس من السّرج في وزن فعَلول وهما مقدّمه ومؤخّره ، قلت : ويُعلّق بالخشبة البارزة من مقدّمه عنانُ الفرس ، ولا يزال في الشام معروفاً بهذا الاسم إلى يوم الناس هذا .

(٣) في الليدنية : هذا كلام .

(٤) وفي الليدنية : فحص برجليه ، وهذا التعبير من قولهم : فحَص الدجاج أو القطا في الأرض : إذا بحث برجليه ليتخذ أفحوصاً ، والذي يغمره الضحك يفحص برجليه فحصَ الدجاج .

٢٩ — أَخْبَرني أبو حاتمٍ عن الأصمعيّ[١] قال : سُئل أَعرابي عن المطر فقال :

ـ أَخذَتْنا السّمائد بدَثٍّ[٢] يؤذي المُسَافِرَ ولا يُرضي الحاضرَ[٣] ، ثُمَّ رَكَّلَتْ ثم رَسَّغَتْ[٤] الزُّبَى ، ثم خَنَّقَتِ الرُّبَى فأَرَبَّتْ[٥] أن تملأَها ، ثمّ غَرَّقَت ، ثم أَخذَنا جارُ الضَّبُعِ ، فلو قَذَفْتَ في الأَرضِ بَضْعَةً لم تُقِضْ[٦] : أيْ لم يُصِبْها قَضَضٌ لكَثْرةِ النَّدَى . قولُهُ (خنَّقت الرُّبى فأَرَبَّت أن تَملأَها) أيْ مَلأَتها .

---

(١) وجاء هذا الخبر مختصراً في الأزمنة (٢/١٣٤) .

(٢) وفي الهامش فوقه : مطرٌ ضَعيفٌ .

(٣) وفي الأزمنة : لا يرضي الحاضر ويؤذي المسافر و (ركّك) الرك : مطر أكثر من الدّث ، و (رسغت) أي كثر المطر حتى غاب الرسغ .

(٤) وفي الهامش : بلغَ الثّرى الأرساغَ : أي غاص الماء في التّربة بمقدار الرّسْغ ، وفي اليدنية : ثم رسّغت ثم خنقت ، وروايتنا أكمل وأفضل .

(٥) وفي اليدنية : فأرنّت وهو تصحيف ، وكذلك جاء في التفسير .

(٦) وفي اليدنية : لم تَقَصَ .

٣٠ – أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعيّ عن أبي عمرو بن العَلاء[1] قال ذو الرُّمَّةِ : قاتلَ اللهُ أمةَ بني فلانٍ ما أعْرَبَها ! سألتُها عن المطر فقالت : غِثْنا ما شِينا[2] : أي أصابنا الغَيثُ .

(١) وجاء هذا الخبر في ديوان المعاني للعسكري (٢/٧) قال : ومن أبلغ ما قيل في ذلك قول الأعرابية التي سألها ذو الرمة عن الغيث فقالت : غثنا ما شئنا ، فكان ذو الرمة يقول : قاتلها الله ما أفصحها ! وترك ذو الرمة هذا المذهب على إعجابه به واختياره له وقال :

الا يا اسلمي يا دارَ ميٍّ على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطرُ

فقيل له : هذا بالدعاء عليها أشبه منه بالدعاء لها ، لأن القطر إذا دام فيها فسدت ، والجيّد قول طرفة :

فسقى ديارَكِ غيرَ مفسدها صَوبُ الربيع وديمة تهمي

قلت : وجاء في حديث رُقيقة : ألا فَغِثتم ما شئتم ! أي سقيتم الغيث . ونحن – كما بدأ ابن دريد كتابه هذا ببركة الحديث – قد ختمناه به ولله الحمد أولاً وآخرا .

(٢) وفي الليدنية : (ما شئنا) بالهمز ، وفي نسختنا بتسهيله .

تمَّ الكتابُ

بحمد الله ومَنّه وحسن تَوفيقه وسابغ نِعمه ، وكتَبَ الحسيْن
ابن عليّ بن محمّد بن عليّ الكاتب بخطّهِ في شهر رمضان
سنة خمسٍ وخمسين وأربع مائة ، ونقلتُ من نسخةٍ
مَقروءةٍ على أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافيّ
وفيها خَطّه لِقراءتها عليه ؛ وهو يسأل
الله تعالى ذكره التوبةَ والمغفرةَ وحسنَ
الخاتمة وجميلَ المنقلب له ولكافة
المسلمين إنّه جَوادٌ
كريم

ذيل الكتاب

يشتمل على فوائت من أخبار الرُّوّاد والأمطار

قال تعالى في كتابه العربيّ المبين :

(ألَمْ تَرَ أن الله يُزْجي سَحابًا ثمَّ يُؤلِّفُ بينَه ثمّ يَجعلُه رُكاماً فَتَرى الوَدْقَ يخرجُ من خلالِهِ ويُنزِّلُ مِنَ السّماءِ مِن جبالٍ فيها من بَرَدٍ فَيصيبُ به مَن يَشاءُ ويصرِفُه عمّنْ يَشاءُ يَكادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأَبْصار) النور ٤٣ .

١ ــ حكى الأَصمعي في صفة رائد : هو شديد الناظر سديد الخابر ينظر بملء عينه لنفسه ولغيره (الأَزمنة ٢/١٣٢) .

٢ ــ ونعتَ أبو المجيب أرضًا أحمدَها فقال (المخصّص ١٠/١٨١) : أخْلَعَ شيحُها ، وأبقلَ رِمْثُها ، وخَضَبَ عَرْفَجُها ، واتَّسَقَ نَبتُها ، واخضرَّتْ قُريانُها ، وأخْوَصتْ بُطنانُها ، واستحلَسَتْ إكامُها ؛ واعْتَمَّ نَبتُ جراثيمها ، وأجرَتْ نَفَلَتُها ، ودَرْهمتْ فَنَتُها وخُبّازَتُها ، وأحْوَرّتْ خواءِرُ إبلها ، وشكِرَتْ

حَلوبتَها ، وسَمِنَت قتُوبتُها ، وعَمِد ثَراها ، وعَقِدَت تناهيها ، وأماهَت ثمادُها ، ووثِقَ الناسُ بِصائِرتِها .

٣ ــ وقيل لابنة الخس : ما أحسنُ شيء ؟ قالت : غاديةٌ في إِثر سارية ، في نَجاء قاوية ، ورُوي : في نفخاء رابية ؛ فالنّجاء أرضٌ مرتفعة لأنّ النبتَ في أرض مُشْرَفة أحْسَنُ . قلت : فالنَّجاء والنجوة ما ارتفعَ من الأرض فلم يَعلُه السيل فظننتَه نَجاءكَ ، والجمع نِجاء بكسر النون ، وقوله تعالى : « فاليومَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنك » أي نجعلُك فوقَ نَجوة من الأرض فنظهرك للناس ؛ و (قاوية) أي مجدبة لم يُصبها مطر ، وليس بها كلأ ، وسنة قاوية : قليلة الأمطار ؛ و (النّفخاء) التي ليس فيها رمل ولا حجارة فهي تَرِبَة ، والجميع نفاخي ، ونبت الرابية أحسنُ من نبت الاودية ، لتعرّضه للشمس كثيرا . . .

٤ ــ وقالت ابنةُ الخس أيضًا : احسنُ شيء ساريةٌ في إِثرِ غادية في روضة أُنُفٍ أُكِلَ منها وتُرِك .

٥ ــ وقيل لأعرابيّ : أيُّ مطرٍ أصابَك ؟ قالَ : مُطَيرةٌ تُسِيل شِعابَ السَّخْبَر ، وقد حَنَأَتِ الأَرضُ ، ويُروَى : تُسيل شِعابَ

التَّلعة المُحِلَّة ، و(شعاب السّخبر) عَرضها ضيق وطولها قدر رمية الحجر ، والسخبر كما قال أبو حنيفة : يُشبه الثمام له جرثومة وعيدانه كالكُرّاث في الكثرة كأنَّ ثمرَه مكاسحُ القَصب أو أرقّ منها ، وإذا طال تدلت رؤُسه وانحنت ، و (المُحِلّة) التي تُحِلّ فيها البيوتَ ، و (حَنَأتِ الأَرض) : اخضرّت والْتفّ نبْتها .

٦ - قال الأَصمعيّ قيل لرجل : كيفَ وجدتَ ارض بني فلان ؟ قال : وجدتها أرضاً شَبِعت قَلوصُها ونُسِيت شاتُها ، قال : فهلْ مع ذلك خُوصة ؟ قال : شيء قليل ، قال : والله ما أحمَدْتَ ، وإن كان القومُ صالحين .

قالوا وكل ماخرجَ من الارض عُودٌ ثم قَويَ فهو خُوصة .

٧ - قال ابن الاعرابيّ بعثَ قومٌ رائداً لهم ، فقالوا : ما رأيت ؟ قال : رأيت جَرادًا كأنه نعامة جاثمة ! وتفسيره : (جَراد) اسم جبل وجمعه (جُرادى) كفرادى في المَخصص (١٠/١٧٦). يقول فيه من الخِصب والعُشب الكثير حتى كأنه نَعامة ، وإنما أراد سوادَ العُشب ، وأعلى النعامة أسود.

٨ - وبعث آخرون رائداً لهم فقالوا : ما رأيت ؟ قال :

رأيت عُشبًا تَيْجع له كَبِدُ المُصرِمِ . قلتُ : المُصْرم مَن بَقيت له من إبله صِرْمَة ، القطعة ما بين العشرة والعشرين أو الثلاثين ، وفي لسان العرب (صرم) ويقال : كلأٌ تَيْجعُ منه كبدُ المُصرِمِ: أي إنه كثير فإذا رآه القليل المال تأسّفَ أن لا تكون له إبل كثيرة يُرعيها فيه .

٩- وسأل أبو زياد الكلابيّ صَقيلاً العقيليّ حين قدم من البادية عن طريقه؟ فقال : انصرفتُ من الحج فأصعدتُ إلى الربذة في مَقاطّ الحَرّة ، فوجدتُ بها صِلالاً من الربيع من خَضيمة وصِلِّيان وقَرمل حتى لو شئت لأنخت الإبل في أذراء الفَقْعاء فلم أزل في مَرعًى لا أمسّ منه شيئاً حتى بلغت أهلي .

قوله (صِلالاً) أي أمطارًا متفرقة ، و (الخضيمة) كما يصف أبو حنيفة : النبت إذا كان رطبًا أخضر قال : وأحسب سمي خضيمة لأن الراعية تخضمه كيف شاءت ، و (الصليان) نبت له سنمة كأنها رأسُ القصب ، إذا خرجت أذنابها ، تجذبها الإبل ، والعرب تسميه خبزة الإبل، و (القرمل) قال أبوحنيفة: القرملة شجرة ترتفع على سويقة قصيرة لا تستتر ، ولها زهرة صَغيرة

شديدة الصفرة ، و (الفَقْعاء) كما يقول الأزهري من أحرار البقول يقال لها كفّ الكلب رأيتها بالبادية ولها نَور أحمر ؛ يقول صقيل العُقيليّ إنه وجد أرض الربذة قد أخصبت وعظم نباتُها حتى صارت تستر البعيرَ البارك . المخصّص (١٠/١٧٧) .

١٠ ـ قال النبي ﷺ لأصيل الخزاعي حين قدم المدينة : كيف تركت مكة ؟ قال : تركتها وقد أحجنَ ثمامُها ، وأغدق إذخِرها وأمْشَرَ سلَمُها ، فقال : يا أصيل ، دعِ القلوب تقرّ !

١١ ـ بعثَ شيخٌ ابنين له يرتادان ، فانصرف إليه أحدُهما فقال له الشيخ : حَلٌّ عليّ ، ما وجدتَ ؟ قال : (ثأدٌ مَأد) مَوْليٌّ عَهْدٍ (تشبع منه النّاب وهي تَعدو) . وقَفْرٌ تُغنّى مكاكيه ، فلبثَ ولم يظعن حتى أتاه الآخر فقال : وَجدتُ الحيا ، فقال : حيًا ماذا ؟ فقال : حَيا العامِ وحَيا عام مُقبلٍ ، فقال الشيخ : حَلٌّ عَليّ ، ما وجدتَ ؟ فقال : وجدتُ (بَقلاً وبُقَيلا) وسَيْلاً وسُيَيْلا ، خوصةً مثل الليل ، قد رَبّ ما تحتَ هُنا كم السَّيْل ، قال : بهِ أحدٌ ؟ قال : نعم ، بهِ بنو الرجل لا يوجد أثرهم ، قال : فلم يَشُكّ بنوه أن الشيخ ظاعن ، إلى ما أخبره به ابنه الأول ،

فلما أصبح تحمّل جهةَ ما أتاه به ابنُه الأخير ، ففزع بنوه . وقالوا : أُهْتِرَ الشيخُ ، فقالوا له : أتذهب إلى أرض بها الناسُ، وتَدع أرْضاً قفراً لا يَرْعى بها معك أحد ؟ قال : إن تلك طفوة لأَول حَنَك ، وقد وصف أخوكم هذا الآخر حَيا العام وحَيا عام مقبل : ما يَبقى من يَبيس هذا العام فمضى واتّبعوه .

وتفسيره : قوله (تَأْدٌ مأْدٌ) وفي خبر ابنة الخس [ثَعْد مَعْد] على الإبدال والإتباع ، وتبادل الهمز والعين كثير معروف ، واللفظ الثاني منهما اتباع لتوتيد الأول ، وقوله : [تشبع منه الناب] جاء في كلام ابنة الخس ومعناه : أن الناب لطول هـذا النبات واتصاله لا يحتاج إلى أن يطأطىء البعير رأسه؛ والمـكاكيّ والواحد مُكَّاء: طائر في ضرب القنبرة إلا أن في جناحيه بَلَقاً ووزنه فُعّال من مكا يمكو إذا صفر ، والُمكاء : الصفير قال تعالى : (وما كان صَلاتهم عند البيت إلا مُكاءً وتصديةً) ، وقوله : (بقلا) يريد وسميًّا كان مطره قبل الشتاء و (بُقيلا) كان من مطر بعد ذلك ، و (سَيلا) كان من الوسمي و (سُيَيْلا) كان بعد ذلك ، وهو الذي ينبت منه البقيل .

أُلحوظة : إن هذا الخبر قد مرّت منه جمل في خبر ابنة الُخس الثالث عشر ، وقد وضعناها بين حاصرتين ، وأكثره مخالف لخبرها مع اختلاف راويهما ، ولذلك أثبتناه هنـــا بنص المخصّص (١٧٦/١٠) .

١١ ـ روى أبو بكر الهذليّ عن الشعبيّ وكان حاضراً عند الحجاج مع عبد الملك بن ُعمير ، ويظهر أن الشعبي كان أحفظ من عبد الملك ، قال :

روى الشعبي عن ُبرُدٍ (جمع بريد) وردوا على الحجاج ، قال : جاءه الحاجب فقال : إنّ بالباب رُسُلاً ، فقال :إئذَنْ لهم ، فدخلوا وعمائمهُم في أوساطهم ، وسيوُفهم على عواتقهم ، وكتبهم في أيديهم ، قال : فتقدّم رجل من سُلَيم يقال له : سيابة ابن عاصم ، فقال الحجّاج : من أين أقبلتَ ؟ قال : أقبلتُ من الشام ، قال : هل وراءكَ غيث ؟ قال : نعم ، أصابتني ثلاث سحائب فيما بيني وبين أمير المؤمنين ، قال : فانعتهن لي ، قال : أصابتني سحابة بجوذان فوقع قطرٌ صغار وقطرٌ كبار فكان الصغارُ لحمةً للكبارِ ، ووقع بسيط متدارِك ، وهو الشحُّ الذي سمعتَ

به ، فوادٍ سائح ووادٍ بارح ، وأرض مقبلة وأرض مدبرة ، ـ أي أخذ السيل في كل وجه ـ وأصابتنا سحابة بسواد فلبّدت الدّماث [واسالت الغراز (الاكام) وأدحضت التلاع] وصدعت عن الكمأة أماكنُها ، وأصابتني سحابة بالقريتين ففاءت الأرضُ بعد الرّيّ وامتلأت الإخاذُ وأفعمت الأودية [وجئتك في مثل مَجَرّ الضّبع] ! .

ثم قال (الحجاج) إئذَنْ ، فدخل رجل من بني أسد فقال : هل كان وراءك من غَيث ؟ فقال : لا ، كثرت الأعاصير ، واغبرّت البلاد ، وأُكل ما أشرفَ من الجنبة ، فاستيقنّا انه عام سَنةٍ ، فقال : بئس المخبر أنت ! قال : خبّرتكَ بما كان .

ثم قال : إئذنْ ، فدخل رجل من اهل اليمامة ، فقال : هل وراءك (من غيث) ؟ قال : نعم ، سمعتُ الرُّواد تدعو إلى ريادته ، وسمعتُ قائلاً يقول : [هلمّ أظعنكم إلى مَحلةٍ [تطفأ فيها النيران] وتشكّى منها النساء [وتنافِس فيها المِعْزى] .

قال الشعبيّ : فلم يدر الحجاج ما يقول ، قال : ويحكَ انما تُحدث أهل الشام فأَفهمهمْ ، قال : نعم ، أصلح الله الأمير !

أخصب الناس فكان السمن والزّبد واللّبن فلا توقد نار يختبز بها ، وأما (تشكّي النساء) فإن المرأة تظلّ تربّق بَهمها وتمخض لبنها تبيت ولها أنين من عضديها ، قال : وأمّا (تنافس المعزى) هنا بياض بالأصل ولعله : تنافسها وتظالمها في المرعى والكلأ كما فسر بذلك ابن دريد في الخبر (٢٤) .

قلتُ : وقد مرّ بنا حديث الحجاج هذا في الخبر (٢٤) من الكتاب مختصراً ، فآثرنا نشره هنا برمته إيثاراً للفائدة ، ونقلناه من كتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (١٤١/٢) .

١٢ ــ قيل لرجلٍ من العَرب : ما أخْصبُ ما رأيتَ بالبادية ؟ قال : رأيتُ الكلبةَ تَمرّ بالخَصَفة عليها الخُلاصَة فيشُمُّها فيتركها ، ويذهب لا يَعرِض لها ، (المخصّص ١٧٨/١٠) .

التفسير : قال ابن سِيده : الخُلاصَة ما يبقى في البُرْمة إذا أُذيبَ فيها الزُّبد وخُلِّصَ منها السّمنُ ، ويخلّصونه بدقيق يُلَتُّ بالسّمن ويُطْرح ، ويَصفو السمنُ بذلك ويَخلُصُ ، فتلك الخُلاصةُ والإخلاصة والقِشْدة ، يقول (الرجل) لصاحبه (أخلصتُ لكَ) أي جعلت الإخلاصة لك من زبد وتمر

وغـــيره ، فإذا لم يعرض الكلب للإخلاصة دَلّ ذلك على شبعه وخصبه .

١٣ ــ وبَعث قومٌ رائداً لهم ، فلمّا رَجع إليهم قالوا له : ما وراءكَ ؟ قال : رأيت بقلاً شبع منه الجملُ البَروك ، وتشكّت منه النساء ، وهَمّ الرجلُ بأخيه ، قال (القوم) : لم يَطـُل العُشبُ بَعدُ ، فإذا قام البعيرُ قائماً لم يتمكّن منه أرادوا : (أنّ البعير طويل والعُشب قصير) ؛ وقيل فيه سوى هذا ، فذهبوا به إلى صفة اعتمام العُشب وكثرته ، قالوا : من كثرته أن الجملَ إذا برِكَ فيه شبعَ مما حوله في مَبركه ولم يحتج إلى أكثر منه ، وقوله : (تشكت النساء) أي اتخذن الشّكاء الصغار لأنّ اللّبن لم يغزر بعدُ ، وقد فسّرناه قبلا ؛ وقوله (همّ الرجلُ بأخيه) كقولهم تظالمت المعزى من فرط الشبع وأَشرِ الخصبِ ، وكما قال الشاعر :

يا ابنَ هشامٍ أهلكَ الناسُ اللبّنْ فكلُّهم يَعدو بقوسٍ وقَرَنْ

يقول : أخصبوا فهمّ الرجل بالفتك بأخيه وكان الجدبُ قد شغَلهم .

١٤ ــ وقال رائد : تركتُ الأرضَ مُخضرّةً كأنها حِوَلاء ، بها قصيصة رَقطاء ، وعَرْفجةٌ خاضبة ، وعَوْسَج كأنه النّعام من سواده : المخصّص (١٠/١٧٦) .

تفسيره : قال ابن سيده : الِحوَلاء قد مضى معنى التشبيه بها ، والقَصيصةُ واحـدة القصيص وهو نبات يكون أبدًا بقُرب الكَمأة ، وبه وبالإِجْرذ يُستدلّ عليها ، والقصيصة رَقْطاء ، ونُضوبُ العَرفج اسودادُه إذا بَدأ ينبت ؛ وقوله (كأنه النّعام) شبيه بقول الآخر : تركت جُرادى كأنها نعامة باركة ، يريد بها كثرة العُشب وسواده ، وشدة الخضرة سَواد ، يقال : عُشب أحوى ومُدْهامٌ ومظلم .

١٥ — وقال آخر رأيت ببطنِ فَلْجٍ منظرًا من الكَلأ لاأنساه : وجدتُ الصّفراء والخُزامى تضربان نحُورَ الإِبل ، وتحتهما قَفْعاء ، وحُرْبُث قد أطاعَ وأمسكَ بأفواه المال ، وتركتُ الحُوران ناقعة في الأجارع (المخصص ١٠/١٧٧) .

التفسير : قوله (بطن فَلج) قال ابن سيده : فَلْجٌ موضع بين البصرة وَضرِيّة مذكر ، وقيل لطريق يأخذ من البصرة إلى اليمامة أو إلى مكة طريق بطنِ فلجٍ قال الأشهب بن رُميلة وهو بيت حماسي :

وإن الذي حانت بفَلْجٍ دماؤهم ... همُ القومُ كلُّ القوم يا أمّ خالدِ !

قال الأزهري : (القَفعاء) من أحرار البقول رأيتها بالبادية ولها نَوْر أحمر و (حُرْبُث) قال أبو حنيفة . الحربث نبت ينبسط على الأرض له ورق طوال بينها ورق صغار ، وقال الأزهري هو من أطيب المراعي ؛ وقوله (أمسك بأفواه المال) أي لا تتركه الإبل لطيبه ، وقال أبو حنيفة : من مُطمئنّات الأرض الحائِر ، وهو المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف وجمعه حِيران وحُوران ، وإذا نقعت الحوران في الأجارع فذلك غايةُ رِيّ الأرض لأن الأجارع أشرَبُ للماء ، وإذا نقع الماء في الأجارع غرقت الأجالدُ .

١٦ — قال أبو هلال العَسْكريُّ في ديوان المعاني (٩/٢) :

ومن أجود ما قاله مُحدَثٌ في وصف السحابِ والقطرِ والرّعدِ والبَرقِ ما أنشدناه أبو أحمد (العسكريّ) عن نفطَويه للعَتّابيّ :

أرِقتُ للبرق يَخفُو ثمّ يأتلِقُ ... يُخفيه طوْراً ويُبديه لنا الأُفُقُ
كأنّه غُرّةٌ شَهْباءُ لائحةٌ ... في وجهِ دَهماءَ ما في جِلْدِها بَلَقُ
أو ثغْرُ زِنجيةٍ تفترُّ ضاحكةً ... تبدو مَشافِرُها طوراً وتَنطبِقُ
أو سَلّةُ البيضِ في جَأواءَ مُظلمةٍ ... وقد تَلَقّتْ ظُباها البَيْضُ والدَّرقُ

والغَيمُ كالثّوب في الآفاقِ منتشرٌ ... من فَوقهِ طَبَقٌ من تَحته طَبَقُ
تظنهُ مُصْمَتًا لا فتقَ فيه فإنْ ... سالَت عواليه قلتَ الثوبُ مُنْفَتِقُ
إنْ مَعْمَعَ الرّعْدُ فيه قلتَ: يَنخَرِقُ ... أو لألأ البَرق فيه قلتَ: يَحترِقُ
تَستكُّ من رَعدهِ أُذنُ السميعِ كما ... تَعْشَى إذا نظرت من بَرقهِ الحَدَقُ
فالرّعدُ صَهْصَلِقٌ والرّيحُ مُنخَرِقٌ ... والبَرْقُ مؤتَلِقٌ والماءُ مُنْبَعِقُ
قد حالَ فوقَ الرُّبى نَوْرًا لهُ أَرَجٌ ... كأنّهُ الوَشْيُ والدّيباجُ والسَّرَقُ
من صُفْرةٍ بينَها حمراءُ قانِيةٌ ... وأصْفرٌ فاقِعٌ أوْ أبيضٌ يَقَقُ

عز الدين التنوخي

مثال من شرح الرماني

على كتاب سيبويه

أبو الحسن علي بن عيسى الرمّاني من علماء القرن الرابع ، قضى حياته (٢٩٦—٣٨٤) في الدرس والتدريس ، وكان إماماً في الفقه والتفسير والأدب والعربية وشيخاً من شيوخ المعتزلة وعلماء المتكلمين . وقد خلف لنا تراثاً ضخماً يدل على منزلته الرفيعة في معظم تلك العلوم .

أخذ الرماني العربية عن ابن دريد (٣٢١ هـ) وابن السراج (٣١٦ هـ) والزجاج (٣١١ هـ) واتصل بالإمام المتكلم أبي بكر ابن الأخشيد ولازمه حتى نسب اليه وعرف به فقيل له الاخشيدي كما قيل له الرماني .

وكانت لأبي الحسن عناية خاصة بكتاب سيبويه ؛ انكبّ عليه ودرسه ووضع حوله عدداً من الكتب منها شرح كتاب سيبويه ، وأغراض كتاب سيبويه ، وكتاب نكت سيبويه ، وتهذيب أبواب كتاب سيبويه ، والمسائل المفردة من كتاب سيبويه ...

وفي مكتبة فيض الله باسطنبول نسخة من شرح كتاب سيبويه (رقمها ١٩٨٤) وفي مجمع اللغة العربية بالقاهرة صورة لها (رقمها ١٨٣ نحو) . وقد أتيح لي أن أقرأ هذه النسخة القاهرية فرأيت فيها نمطاً من الشرح غريباً وعكفت أدرس نحو الرماني في هذا الشرح مدفوعاً بقول أبي علي الفارسي : إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس عندنا منه شيء ، وإن كان النحو ما نقوله فليس عنده منه شيء .

لقد رأيت في شرح الرماني على كتاب سيبويه ما دعاني إلى وضع كتاب أفردته الرماني ونحوه ؛ تناولت فيه حياة الرماني وآثاره ونحوه بعامة وشرحه على كتابه سيبويه بخاصة . وأقدم اليوم هذا الأنموذج مثالاً من ذلك الشرح .

المنهج الذي اتبعته في تحقيق النص :

حرصاً على الوضوح في النص ، والدقة في تحقيقه ، فقد اتبعت القواعد الآتية :

١ — كتبته على ما نعرف اليوم من قواعد الإملاء ، وقد كان كثير من كلماته على خلاف ذلك مثل : المستثنا ، وليبنا ، وكاتى .

٢ — قومت بعض جمله وأظهرت بعض معانيه بزيادة حرف أو كلمة اقتضاها السياق . وقد وضعت الزائد بين معقوفين وأشرت إلى ذلك في الحاشية .

٣ — لما كانت الشواهد من آيات قرآنية وأشعار ، ترد مرتين ؛ مرة حين السؤال عنها في قسم المسائل ، ومرة ثانية حين الإجابة عنها في قسم الجواب ، فقد جعلت موضع تخريجها في قسم الأجوبة وأحلت عليه حين ورودها لأول مرة في قسم المسائل .

٤ — لما كانت المسائل قائمة على أصل وُضعت لشرحه وبيان أغراضه ، وهو كتاب سيبويه ، فقد جهدت للربط بين مسائل الشرح ومتن (الكتاب) . وذكرت في الحواشي جمل الكتاب التي انصبت عليها أسئلة الشرح .

٥ — أشرت إلى أرقام الصفحات في الأصل ، ولما كان الأصل مجلدات وأقساماً ، وأوراقاً ، فقد جعلت الرقم الأول للمجلد ، والثاني للقسم ، والثالث للورقة ، وأردفته بالحرف (أ) للاشارة إلى الوجه الأيمن من الورقة ، وبالحرف (ب) للاشارة إلى الوجه الأيسر منها . فالرقم ٤/ ٢/ ٣٠ ب مثلاً يعني الصفحة اليسرى من الورقة الثلاثين في القسم الثاني من المجلد الرابع .

باب ما يمتنع فيه ما أفعله [١]

الغرض فيه : أن يبين ما يجوز فيما يمتنع من ما أفعله ، مما لا [٢] يجوز .

مسائل هذا الباب :

ما الذي يمتنع من (ما أفعله) ؟ وما الذي لا يمتنع ؟ ولم ذلك ؟ ولم امتنعت منه الألوان والعيوب التي تجري مجرى الألوان [٣] ؟ ولم امتنع منه ما جاز على الثلاثة في الفعل ؟ ولم جاز ، ما أشدّ حمرته ، ولم يجز : ما أحمرَه ، وما أشدّ بياضه ، وما أشدّ عشاه ، ولم يجز : ما أبيضه ، ولا ما أعشاه [٤] ؟ ولم وجب في كل ما امتنع من (ما أفعله) أن يمتنع من أفعِلْ به ، وهذا أفعل من هذا [٥] ؟ ولم كثر أفعل في الصفة وقلّ في الاسم [٦] وما الذي يوجب (٢٦٧ أ) ذلك ؟ ولم لا يجوز ما أيداه وما أرجله كما جاز ما أشد يده وما أشد رجله [٧] ؟ ولم

(١) تجد هذا الباب في الأصل (في المجلد ٤ ، القسم ٢ ، الورقة ٢٦٦ ب) ، وفي كتاب سيبويه « هذا باب ما لا يجوز فيه ما أفعله » ٢ : ٢٥٠ .

(٢) في الأصل (مما يجوز) .

(٣) قال سيبويه في أول الباب : « وذلك ما كان أفعل وكان لوناً أو خلقة » .

(٤) قال سيبويه : « ألا ترى أنك لا تقول : ما أحمره ، ولا ما أبيضه . ولا تقول في الأعرج : ما أعرجه . ولا في الأعمى : ما أعشاه . انما تقول : ما أشد حمرته ، وما أشد عشاه » . ٢ : ٢٥٠ ــ ٢٥١ .

(٥) قال سيبويه : « وما لم يكن فيه ما أفعله ، لم يكن فيه أفعلْ به رجلا ، ولا هو أفعل منه » ٢ : ٢٥١ .

(٦) قال سيبويه : « وإنما دعاهم الى ذلك ان هذا البناء داخل في الفعل . ألا ترى قلته في الأسماء وكثرته في الصفة لمضارعتها الفعل » ٢ : ٢٥١ .

(٧) قال سيبويه : « وزعم الخليل أنهم انما منعهم من أن يقولوا في هذا ما أفعله لأن هذا صار عندهم بمنزلة اليد والرجل وما ليس فيه فعل من هذا النحو . ألا ترى أنك لا تقول ما أيداه ولا ما أرجله . انما تقول : ما أشد يده وما أشد رجله ، ونحو ذلك » . ٢ : ٢٥١ .

لا يبني من صفات المبالغة ما أفعله ؟[1] ولم لا يكون ذلك من ضروب ولا من محسان[2] ؟ ولم جاز : ما أحمقه وما أرعنه وما أنوكه ، وهو من العيوب ؟ ولم جاز : ما أبلده ، وما أشجعه ، وما أجنه ، وما ألسنه ، وما أذكره ، وما أعرفه ، وما أشنعه ، وما أهوجه[3] ؟ .

الجواب :

الذي يمتنع من (ما أفعله) على وجهين : أحدهما ما لا يتعاظم في أصل المعنى . والآخر ما زاد على ثلاثة أحرف ، لأن ما لا يتعاظم لا يتعاجب منه إذ كان يجري مجرى اليد والرجل كما قال الخليل في أنه خلقة على شيء واحد . ويوضح صحة ذلك أن عمى العين لما كان مما لا يتعاظم[4] لم يجز فيه ما أعماه ، ولما كان

(١) في الأصل (فلم) .

(٢) قال سيبويه : « ولا تكون هذه الأشياء في مفعال ولا فعول ، كما تقول : رجل ضروب ورجل محسان ، لأن هذا في معنى ما أحسنه . انما تريد أن تبالغ ولا تريد أن تجعله بمنزلة كل من وقع عليه ضارب وحسن » ٢ : ٢٥١ .

(٣) قال سيبويه : « وأما قولهم في الأحمق ما أحمقه . وفي الأرعن ما أرعنه . وفي الأنوك ما أنوكه ، وفي الألد ما ألده ، فانما هذا عندهم من العلم ونقصان العقل والفطنة . فصارت : ما ألده بمنزلة ما أمرسه وما أعلمه . وصارت ما أحمقه بمنزلة ما أبلده ، وما أشجعه وما أجنه ، لأن هذا ليس بلون ولا خلقة في جسده وانما هو كقولك ما ألسنه وما أذكره وما أعرفه وأنظره تريد نظر التفكر وما أشنعه وهو أشنع لأنه عندهم من القبح وليس بلون ولا خلقة من الجسد ولا نقصان فيه فألحقوه بباب القبح كما ألحقوا ألد وأحمق بما ذكرت لك . لأن أصل بناء أحمق ونحوه أن يكون على غير بناء أفعل نحو بليد وعليم وجاهل وعاقل وفهيم وحصيف . وكذلك الأهوج تقول ما أهوجه كقولك ما أجنه » ٢ : ٢٥١ .

(٤) في الأصل (ما يتعاظم) .

عمى القلب مما يتعاظم جاز فيه ما أعماه . فكذلك ما لا يتعاظم ظهور معنى التسوية فيه فانه لا يجوز فيه ما أفعله[1] .

وأما ما زاد على ثلاثة أحرف فإنه لا يجوز منه مع توفير حروفه زيادة الهمزة التي هي للتعدية ويكون مع ذلك على أفعل لأن خمسة أحرف لا يجيء منها أربعة مع توفير حروفها لأن ذلك محال .

فإن قال قائل : ولم وجب هذا البناء على الضيق حتى امتنع منه أكثر الأفعال التي فيها الزيادات ، وامتنع منه الأفعال الرباعية ؟ قيل له : لأنه لما احتيج إلى معنى التعدية على جهة مخصوصة ليست لشيء من الأفعال ، وهو معنى المتعجب منه على جهة التعاظم وجب أن يؤتى بالهمزة التي هي للتعدية في الأصل وتدخل على الأفعال التي كانت تدخل عليها للتعدية حتى تدل على معنى التعدية الحادثة المخصوصة بالوجه الذي بينا ، فاقتضى ذلك أن ينقل من فعل وفعل وأن يمتنع نقله من استفعل وما جرى مجراه (٢٦٧ ب) مما زاد على الثلاثة في الفعل .

فالألوان والعيوب التي تجري مجراها في الظهور للحس تمتنع من (ما أفعله) لأنها في الأصل تجري على طريقة واحدة ، ولو أن حجرين متساويين في المقدار والشكل ، وكان في كل جزء من أحدهما سواد خالص لم يمتزج شيء من تلك الأجزاء بغير السواد اشوهد كل واحد منهما على مثل ما يشاهد الآخر على الحقيقة ، ولم يكن أحدهما أشد سواداً من الآخر . فأما على أصلها فما يقع تعاظم اصلاً .

(١) قال سيبويه في تعليل امتناع أفعل به رجلا ، وهو أفعل منه ، مما لم يكن فيه ما أفعله : « لأنك تريد أن ترفعه من غاية دونه . كما انك إذا قلت : ما أفعله فأنت تريد أن ترفعه عن الغاية الدنيا . والمعنى في أفعل به وما أفعله واحد . وكذلك أفعل منه » ٢ : ٢٥١ .

ويجوز : ما أشد حمرته ، مما[1] ليس فوقه ما هو أشد منه . ويجوز ما أشد حمرته بالإضافة إلى هذا الأحمر الآخر . وكذلك ما أشد بياضه ، وما أبين عشاه . وكل ما امتنع من (ما أفعله) فهو يمتنع من أفعِلْ به ، ومن هـذا أفعَلُ من هذا . لأن هذه الأبنية للتعاظم فاذا امتنع من واحدها امتنع عن سائرها[2] . وأفعل في الصفة أكثر منه في الاسم الذي ليس بصفة ، لأنه أقرب إلى الفعل الذي له التصرف بتعاقب الزيادات ، فلذلك أجري أفعل من كذا مجرى الفعل في هذا الباب لقربه منه بمعنى الصفة ، إذ الفعل يوصف[3] به وهو مشتق من المصدر ، ومضمّن بغيره ، وكل ذلك في الصفة التي هي اسم . ولا يكون من صفات المبالغة نحو ضروب ومحسان أن يؤخذ منهـا ما أفعله ولا أفعِلْ به ، لأنها انما تؤخذ من الأفعال بحرف التعدية لتجري على تلك الطريقه فتدل على التعديه المخصوصه ، فلا يصلح أخذه من هـذه الصفات لهذه العلة .

ويجوز : ما أحمقه ، وما أرعنه ، وما أنوكه ، على معنى العيب فيه لأنهـا لا تجري مجرى الألوان في الظهور للحس على طريقة واحدة نحو عمى العين المطموسه ، ونحو العور (٢٦٨ أ) والعرج وما أشبه ذلك .

ويجوز ما ألدّه لأنه من لددت تلد ، وما أشجعه ، من شجع . وكذلك ما أبلده ، وما أجنه ، وما ألسنه ، وما أشنعه ، وما أهوجه . كل ذلك يجري مجرى واحـداً .

(١) في الأصل (بما) .
(٢) انظر الحاشية (١) في الصحيفة السابقه .
(٣) في الأصل « ان يوصف » .

باب ما أفعله

الذي يُستغنى عنه بما أفعلَ فعلَه [1]

الغرض فيه : أن يبين ما يجوز فيما أفعله الذي يستغنى عنه بما أفعل فعله مما لا يجوز .

مسائل هذا الباب : [2]

ما الذي يجوز في (ما أفعلَه) الذي يستغنى عنه بـ (ما افعل فعلَه) ؟ وما الذي لا يجوز ؟ ولم ذلك ؟ وما الخلاف في هذا الباب ؟ ولم جاز ما أجود جوابه ، ولم يجز ما أجوبه ؟ ولم جاز هو أجود جواباً منه ، ولم يجز هو أجوب منه [3] ؟ ولم اتفقوا في هذا على الحكم واختلفوا في العلة ؟ ولم جاز ما أكثر قائلته [4] ؟ ولم يجز ما أقيله ، وهو من قال يقيل ؟ ولم اختلفوا في حكم هذا وعلته ؟ ولم حمله سيبويه على باب تركت الذي يستغنى به عن ودعت [5] ؟

(١) في الكتاب : « هذا باب يستغنى فيه عن ما أفعلَه بما أفعلَ فعله . وعن أفعل منه بقولهم : هو أفعل منه فعلاً . كما استغني بتركت عن ودعت . وكما استغني بنسوة عن أن يجمعوا المرأة على لفظها » ٢ : ٢٥١ .

(٢) سيأتي الجواب عن هذه المسائل بعد مسائل البابين الآتيين .

(٣) في الأصل (ولم جاز أجود بجوابه ولم يجز أجود به) ، وقال سيبويه : « وذلك في الجواب . ألا ترى أنك لا تقول ما أجوبه ، انما تقول ما أجود جوابه . ولا تقول هذا أجوب منه ، ولكن هذا أجود منه جواباً ، ونحو ذلك . وكذلك لا تقول أجوب به ، وإنما تقول : أجود بجوابه » وانظر الخصائص ١ : ٢٦٧ ، والاستدراك عليه في ٣ : ٤١٨ .

(٤) في الأصل (قائله) .

(٥) قال سيبويه : « ولا يقولون في قال يقيل ما أقيله . استغنوا بما أكثر قائلته ، وما أنومه في ساعة كذا وكذا . كما قالوا تركت ولم يقولوا ودعت » ٢ : ٢٥١ .

باب ما أفعله على معنيين [١]

الغرض فيه : أن يبين ما يجوز في (ما أفعله) على معنيين ، مما لا يجوز .

مسائل هذا الباب [٢] :

ما الذي يجوز في ما أفعله على معنيين ؟ وما الذي لا يجوز ؟ ولم ذلك ؟ ولم جاز (ما) [٣] أبغضني له ، وما أبغضه ، على أن أبغضني له من معنى مبغض ، وما أبغضه من معنى بغض ؟ وما أشهاني لذلك من معنى مشته له ، وما أشهاها من فعلت وإن لم يستعمل ؟ وما أمقتني له وما أمقته على مقيت ، والأول على ماقت [٤] ؟ ولم لا يجوز في ما أقبحه عندي أن يجري على وجهين : قبح واستقبح [٥] ؟ وما حكم قولهم : ما أحظاها (٢١٨ ب) عندي ؟ ولم جرى على حظيت عندي ، ولم يكن على وجهين كما جاء ما أبغضه إليّ على بغض وما أبغضني له [٦] ؟ .

---

(١) في الكتاب ٢ : ٢٥١ .

(٢) سيأتي الجواب عن هذه المسائل بعد مسائل الباب الذي يليه .

(٣) زيادة ليست في الأصل .

(٤) في الأصل (ما قتر) . وفي الكتاب : « تقول : ما أبغضني له وما أمقتني له ، وما أشهاني لذلك ، تريد أنك ماقت وأنك مبغض وأنك مشته فان عنيت غيرك قلت ما أفعله فانما تعني به هذا المعنى . وتقول ما أمقته ، وما أبغضه إليّ انما تريد انه مقيت وانه مبغض إليك » . ٢ : ٢٥١ ـ ٢٥٢ .

(٥) قال سيبويه : « كما أنك تقول : ما أقبحه وانما تريد أنه قبيح في عينك » ٢ : ٢٥٢ .

(٦) قال سيبويه : « وتقول : ما أشهاها . أي هي شهية عندي . كما تقول ما أحظاها . أي حظيت عندي . فكأن ما أمقته وما أشهاها على فعل وان لم يستعمل . كما تقول : ما أبغضه اليّ ، وقد بغض ، تجيء به على فعل وفعل وان لم يستعمل » ٢ : ٢٥٢ .

باب ما أفعله فيما ليس له فعل[١]

الغرض فيه : أن يبين ما يجوز في (ما أفعله) فيما ليس له فعل ، مما لا يجوز.

مسائل هذا الباب :[٢]

ما الذي يجوز في (ما أفعله) الذي ليس له فعل ينصرف ؟ وما الذي لا يجوز ؟ ولم ذلك ؟ ولم جاز هو أحنك الشاتين وأحنك البعيرين[٣] ؟ وهل هو على تقدير حنك ، وان لم يستعمل[٤] ؟ ولم جاز هو آبل[٥] الناس على تقدير أبل يأبل ؟ وجاز آبل من غير فعل متصرّف ؟ وهل يجوز هو آبل منه ؟ ولم جاز[٦] ؟ ولم لا يقاس على هذا الباب[٧] ؟

★ ★ ★

(١) في الكتاب : « هذا باب ما تقول العرب فيه ما أفعله . وليس له فعل » . ٢:٢٥٢ .

(٢) سيأتي الجواب عن هذه المسائل بعد الجواب عن مسائل البابين السابقين .

(٣) قال سيبويه : « قالوا : أحنك الشاتين ، وأحنك البعيرين كما قالوا : آكل الشاتين » .

(٤) قال سيبويه : « كأنهم قالوا حنك ونحو ذلك ، فانما جاءوا بافعل على نحو هذا وان لم يتكلموا به » . ٢ : ٢٥٢ .

(٥) في الأصل (ابل) .

(٦) قال سيبويه : « وقالوا : آبل الناس كلهم ، كما قالوا : أرعى الناس كلهم . وكأنهم قد قالوا أبل يأبل . وقالوا : رجل آبل وان لم يتكلموا بالفعل . وقولهم آبل الناس بمنزلة آبل منه . لأن ما جاز فيه أفعل الناس جاز فيه هذا ، وما لم يجز فيه ذاك لم يجز فيه هذا » ٢ : ٢٥٢ .

(٧) قال سيبويه في أول الباب : « وانما يحفظ هذا حفظاً ولا يقاس » وقال في آخره « وهذه الأسماء التي ليس فيها فعل ليس القياس فيها أن يقال أفعل منه ونحو ذلك ٢ : ٢٥٢ .

الجواب عن الباب الأول :

الذي يجوز في (ما أفعله) الذي يستغنى عنه بما أفعلَ فعله ، اجراؤه على ما يوجد في كلام العرب من إهمال ما أفعله فيما يجري في نظيره . فاذا كان الاستعمال ما أفعل فعله ، وقد أهمل منه ما أفعله ، فهم من ذلك أنه على طريق الاستغناء بالشيء عن غيره كما يستغنى بترك عن ماضي يدع . فهذا مذهب سيبويه . وهو مذهب صحيح على ما فسرنا . وقد خولف في ذلك ، فزعموا أن هذا الباب لا يجوز البتة ، وان جميع ما ذكر فيه جار على القياس . ونحن نبين ذلك في مسألة مسألة .

فمن ذلك قولهم : ما أجود جوابه . ولا يقولون : ما أجوبه . وهذا متفق عليه . واختلفوا في علته ؛ فذهب أكثر النحويين إلى أنه على القياس لأنه من أجاب يجيب ، كقولك : أكرم يكرم . ولا يجوز من أفعل ما أفعله بإجماع ، وإنما تقول : ما أحسن إكرامه ، وما أشد إكرامه لزيد . ووجه قول سيبويه في ذلك أنه وجد المصدر في جواب (٢٦٩ أ) يدل على الفعل الذي[1] على طريقة فعل يفعل كما أن شهبة تدل على الفعل الذي على طريقة فعل يفعل ، وان كان مهملاً فيهما فالقياس أن يجوز ما أجوبه على المصدر في الجواب ، كما جاز ما أشهاها على الصفة في الشهبة ، إلا أنه ترك ذلك للاستغناء عنه بما أجود جوابه ، وكذلك أجود بجوابه ، وهو أجود منه جواباً[2] .

ومن ذلك قولهم : ما أكثر قائلته . فالقياس في هذا ما أقيله ، لأنه من قال يقيل ، إلا أنه استغنى عن ما أقيله بما أكثر قائلته . وخالفه في ذلك كثير

(١) هنا كلمة مطموسة في الأصل .

(٢) ذكرنا قول سيبويه في الحاشية (٣) ص (٦٤٤) والحاشية (٦) في ص (٦٤٥) .

من النحويين وزعموا أنه قد سمع ما أقيله من العرب . وهذا الذي ذكروا غير مدفوع ، ولا هو مفسد لمذهب سيبويه ، لأنه وجد الأغلب في كلام العرب ما أكثر قائلته ، فاستخرج العلة في ذلك وهي الاستغناء به في الأكثر عن (ما أقيله) .

الجواب عن الباب الثاني :

الذي يجوز في ما أفعله على معنيين اجراؤه على وجهين : أحدهما هو الأصل . والآخر ليس بأصل ، ولكنه جار على حذف الزوائد . فمن ذلك قولهم : ما أبغضني له . فهذا من أبغض على حذف الزوائد ، إذ كان المعنى فيه أنك مبغض له جداً ، فجاء على حذف الزيادة ، كما جاء ما أعطاه للدراهم وما أولاه بالمعروف . وهذا لا يقاس . ولكن يبين وجهه إذ تكلمت العرب به . وانما لا يقاس لأنه على طريق النادر . والوجه الآخر ما أبغضه ، فهذا من بغض على القياس المطرد ، وهو يجري على وجهين . ومن ذلك قولهم : ما أشهاني لذلك ، لمن اشتهيته . فهذا على حذف الزوائد ، لأنك تدل على انك مشته له ، فأما ما أشهاها فعلى فعل وان لم يستعمل . ودليله شهية كقولك كريمة من كرم .

وتقول : ما أمقتني له في معنى ماقت له . وأما ما أمقته[1] في نفسه فهذا على وجهين ، وان لم يكن على حذف الزوائد . ولا اشكال في (٢٦٩ ب) أنه يجري القياس على الوجهين جميعاً . ولكنه مشبه بالباب من حيث يقال على وجهين . فأما ما أحظاها عندي فمن حظيت وهي حظية . تجري على طريقة واحدة من فعل واحد كقولك ما أقبحه في نفسه ، وما أقبحه عندي .

---

(١) وفي الأصل (وأما أمقته) .

الجواب عن الباب الثالث :

الذي يجوز في (ما أفعله) مما ليس له فعل يتصرف اجراؤه على التشبيه بأخذه من جنس المعنى كأخذه من جنس الفعل ، فجنس الفعل المصدر وهو الأغلب الأكثر فيما يؤخذ منه ، وجنس المعنى كالحجر ، أخذ منه استحجر الطين إذا صار كالحجر في الصلابة ، فعلى هـذا قالوا : هو آبَل[١] الناس ، وهو رجل آبل[١] منه . وقد قالوا رجل آبل[١] على تقدير الفعل في أبل يأبل ، وان لم يتصرف[٢] منه فعل فقد اشتقوه من جنس المعنى تشبيهاً بجنس الفعل . وعلى ذلك قالوا أحنك الشاتين ، وأحنك البعيرين على تقدير حنك وان لم يستعمل . فأما آبل[١] منه فيجوز في القياس والاستعمال ، لأنه لما جاز آبل الناس وجب أن يجوز هو آبل منه في القياس . وقد استعمل على ذلك .

الدكتور مازن المبارك

---

(١) في الأصل (الابل) .
(٢) في الأصل (يصرف) .

نظرات في

المعجم الوسيط

– ٤ –

تتمة الملاحظات حول تعريف وحدات النقود

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
الدِّرْهَم	قطعة من فضة مضروبة للمعاملة (ج) دراهمَ . (مع) .	هذا التعريف غير دقيق ، ما دام الدرهم نقداً تعومل به قديماً وما زالت بعض الدول إلى اليوم تتعامل بنقد تسميه : الدرهم ، كالعراق وغيرها من الدول العربية ، وبعض الدول الأجنبية .
الفَلْس	عملة يتعامل بها مضروبة من غير الذهب والفضة ، وكانت تقدر بسدس الدرهم . وهي تساوي اليوم جزءاً من ألف من الدينار في العراق .	تعريف لا بأس به إنما يلاحظ وجوب اضافة جملة (وغيرها) بعد لفظة العراق لأن الفلس أصبح وحدة نقدية في كل من الاردن والكويت .
بنكنوت	معناها أوراق مالية . وهي كواغد مطبوعة يتعامل بها الناس بدلاً من النّقد ، وأول من اتخذها الصينيون . (د) .	إن تعريف (البنكنوت) بالأوراق المالية يبعدها عن حقيقتها ، ولست أدري من أين جاء المعجم بهذا التعريف ، فمجموعة مجمع اللغة العربية تسميها :

		(الأوراق المصرفية)[1]، كما ورد تعريفها في مادة: (ورق)، بينما يرجح كثيرون من علماء الاقتصاد تعريفها بأنها: (صكوك مصرفية)[2].
النَّقْد	العملة من الذهب أو الفضة. ويقال لهما: النَّقْدان.	كان الأولى أن لا تذكر (العملة) تعريفاً للنقد، باعتبارها كلمة مولدة، فيقال مثلاً: (ما يتعامل به الناس من نقود)، كما أن قصر التعريف على معدني: الذهب والفضة، لم يعد يتلاءم مع الحقيقة في عصرنا الحاضر[3].
العُمْلة	النقد (مو).	هذا تعريف ناقص، باعتبار أن النقد عرف بأنه: العملة من الذهب أو الفضة، بينما أصبحت النقود المعدنيـة تضرب في العصر الحديث من خليط من المعادن المختلفة[4].
المَجَرُ	نقدٌ ذهبيٌّ لبلاد المجر، شاع رواجُه أيام اتّساع تجارتها،	ما أدري مقدار شيوع هذه الكلمة في مصر، وهل تعادل شيوع (ماري تريزا)

(١) انظر «مجموعة المصطلحات العلمية والفنية» المجلد الأول، القاهرة ١٩٥٧ ص ١٠٠.
(٢) انظر عبدالحكيم الرفاعي في كتابه: «الاقتصاد السياسي» الجزء الأول، القاهرة ١٩٣٨ ص ٥٣٢.
(٣) انظر في المرجع السابق ذكره، فصل: النقود الورقية، ص ٥٢٧.
(٤) انظر في المرجع السابق: النظريات المختلفة عن النظم النقدية المعدنية، ص ٥٠٠.

واتّخذته النساء حلياً ، وكانت قيمته ثمانيـة عشر قيراطاً ، أي ثلاثة أرباع مثقال .

في اليمن ، وعلى كل فإن المعجم أثبتها وأغفل الثانية وكلاًّ من : (الفرنك) و (الشلن) و (الروبية) وكلها نقد يتعامل به في البلاد العربية ، لا بل إنه أغفل تعريف : (الجنيه) اسم العملة المصرية ، و(الليرة) اسم العملة في عدة بلاد عربية ، رغم الإشارة اليها عند تعريف القرش ، كما أغفل : (المليم) ، لا بل إن المعجم لم يذكر لفظة (صاغ) وصفاً للقرش المصري ، وهي تجري على الألسنة كما يجري اسم الخبز ، كما أن (التعريفة) لم يكن حظها أفضل ! .

الأوراق المصرفية « في الاقتصاد » : أوراق يصدرها بنك الإصدار مشتملة على التزام بدفع مبلغ معيَّن من النقود المعدنية لحاملها عند الطلب . (مج) .

إن هذا التعريف نقل عن مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها مجمع اللغة العربية ، ولكن اقرار هذه المصطلحات لا يعني التقيد بالتعريفات الواردة فيها ، لأن تلك التعريفات كتبت قبل اقرار المصطلحات ، فكلمة (بنك) مثلاً ، أقر المجمع لها مصطلح : (مصرف) ، ولذلك سمي (البنكنوت) بالأوراق المصرفية [1] ، مما كان يوجب ، عند اخراج المعجم ، إثبات تعبير : (مصرف الاصدار) بدلاً من

(١) انظر مجموعة المصطلحات السابق ذكرها ص ٩٩ .

		تعبير : (بنك الاصدار) الوارد في تعريف الأوراق المصرفية .
البُنْدُقِيّ	الذهب البندقيّ : نوع من الذهب منسوب إلى البندقية ، من مدن إيطاليا .	لا يبدو من التعريف ماهية هذا النوع من الذهب ! وأنا لا أرى ضرورة لاثبات مثل هذا التعريف في المعجم الوسيط .
البُنْطُ	(في اصطلاح سوق العقود) : جزء من مائة جزء ينقسم إليها الريال . (ج) بنوط (د) .	ينقص هذا التعريف ، الإشارة إلى أن المقصود بسوق العقود : هو المصري منها .

رابعاً : تعريف النباتات(١)

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
الطُّبّاق	الدُّخان ، وهو نبات عشبيّ معمر من فصيلة المركبات الأنبوبية	كان الأمير مصطفى الشهابي خص كلمة (الطُّبّاق) بأكثر من صفحتين في

(١) لا شك في أن التعريفات التي جاء بها المعجم الوسيط لكثير من النباتات ، كانت تعريفات علمية ودقيقة ، وهي متفقة مع ما ورد في « معجم الألفاظ الزراعية » للأمير مصطفى الشهابي ، أو منقولة عنه ، ولكن هذا لم يحل دون احتواء المعجم على تعريفات كثيرة مغلوط فيها ، أو غير دقيقة ، منقولة عن معاجم قديمة ، وسنكتفي ـ في هذه الملاحظات ـ بإيراد بضعة أمثلة عن هذه التعريفات ، تاركين نقد ما بقي منها للعلماء المتخصصين . على أننا سألنا الأمير الشهابي عن ملاحظاته بهذا الصدد ، فأجابنا بأنه أحصى في الجزء الأول من المعجم الوسيط ٦٧ اسماً نقلت تعريفاتها العلمية الموجزة عن « معجم الألفاظ الزراعية » و ٦٨ اسماً نقلت تعريفاتها غير العلمية عن المعجمات القديمة ، فما نقل عن معجم الألفاظ الزراعية مثلاً ، تعريف : التيل والتين والجزر وحشيشة الدينار والحمص والحَوْذان والخابور والخبازى والدفلى والرَّتَم والرشاد والرِّمث والرمان =

الزهر ، يدخن ورقه مفروماً أو ملفوفاً ، ويستعمل في بعض أنحاء الشام في تزبيب العنب لصد الزنابير . (مع) .

الدُّخانُ التَّبْغُ . (مج) .

التَّبغ نباتٌ من الفصيلة الباذنجانية يستعمل تدخيناً وسَعُوطاً ومضغاً ، ومنه نوع يزرع للزينة . (د) .

كتابه « المصطلحات العلمية في اللغة العربية [1] » مبيناً توهم بعض المحدثين أنها تعريب كلمة Tebac الفرنسية .

والطُّباق : نبات عشبي معمر من الفصيلة المركبة الأنبوبية الزهر ، يسمى في الشام « الطيُّون » ويستعمل في بعض أنحائها في تزبيب العنب لصد الزنابير [2] .

أما التَّبغ فهو : جنس نباتات من الفصيلة الباذنجانية ، فيه أنواع تزرع للتدخين ، وأنواع للتزيين ، وفي كل من هذه الأنواع أصناف أي ضروب .

= والرَّنْد والريباس والزعفران والسرو والسمسم والسُّمّاق والسُّوس . ومما لم يعرّف تعريفاً علمياً في الجزء الأول من المعجم الوسيط : الأشنان والأشنة والأسل والأصف والألُوّة والأقحوان والبابونج والبرتقال والبردي والبيسلَّة والبقس والبنج والبنفسج والبُنّ والترمس والجميز والجوز والحلبة والحلفاء والحنظل والخروب والخروع والخيزران والحناء والدلب والسَّمر والسلق الخ...

أما الجزء الثاني من المعجم الوسيط فهو يشتمل على ١٥٤ اسماً نباتياً معرفاً تعريفاً علمياً موجزاً ، إذ كانت لجنة المعجم جردتها وبعثت بها الى الأمير الشهابي لينظر فيها .

ومهما يكن من أمر ، فالمعجم الوسيط ، هو أول معجم عربي يشتمل على مثل ما اشتمل عليه من التعريفات العلمية والفنية ، ويظهر أنه لم يكن سهلاً ، أن تجيء كل التعريفات الواردة فيه مضبوطة علمياً في طبعته الأولى ، وأعتقد أنه من الممكن تلافي ما فيه من نقص وهنات في طبعته الثانية .

(١) محاضرات ألقاها الأمير الشهابي في معهد الدراسات العربيـــة العالية ــ القاهرة ١٩٥٥ ــ انظر ص ١٠١ .

(٢) انظر معجم الشهابي ص ٣٥٩ ، ومن أجل تعريف التبغ ص ٦٢٥ .

والتبغ غير الطشباق ، والطباق لا يدخن ورقه ، فخلط التبغ بالطباق غلط يجب إصلاحه .

والطشباق عرفه العرب القدماء وذكروه في معاجمهم القديمة ، وفي كتب المفردات الطبية ، وهو أنواع من جنس Inula ، أما التبغ فهو جنس Nicotiana لم يعرفه القدماء ، لأنه نبات أميركي المهد .

الحِمْحِم نباتٌ كثير الماء أقلُّ من الذراع لهزَغَبٌ خشنٌ ، لعله لسان البقر .

الحِمْحِم في معجم الشهابي: عشبة سنوية طبية من فصيلة الحِمحميات . ولسان الثور ترجمة قديمة للاسم اليوناني بوغلُصن وهو يطلق على هذا النبات وعلى أنواع من جنس Anchusa .

ومن الغريب أن المعجم الوسيط أشار في تعريف الحمحم ، المنقول عن المعجمات القديمة إلى لسان البقر ، ولم يأت على ذكر هذا النبات في موضعه ، وإنما عرف في مادة (ل س ن) نبات « لسان الثور » تعريفاً منقولاً عن معجم الشهابي .

الدُّلْب شجر عظيم الورق لا زهر له ولا ثمر .

هذا التعريف منقول عن معجم قديم ، وهو خطأ ، أما التعريف العلمي للدلب Platanus فهو : جنس شجر للتزيين من

		الفصيلة الدلبية . (وهذه الفصيلة من الزهريات ، أي أن لأنواع الدلب زهراً وثمراً) . واستدرك الأمير الشهابي في معجمه — على التعريف — قائلاً : « فذكرُ القدماء في المعاجم أن الدلب لا نور له ولا ثمر ، وانه من نباتات الصحراء ، يجعلنا نظن انهم كانوا يطلقون كلمة الدلب على غير هذا الشجر أيضاً ، أو أنهم وقعوا في خطأ علمي [1] » .
البُرْتقال	شجر النارنج الحلو وثمره . ولم يعرفه العرب . وهو أنواع .	إن التعريف العلمي للبرتقال : شجر مثمر من فصيلة البرتقاليات . ضروبه كثيرة [2] . أما تعريف المعجم فهو غير علمي من جهة ، وفيه تناقض مع التعريف الذي أورده للنارنج من جهة ثانية .
البابونَج	نبت ذو زهر أبيض أو أصفر أو أحمر ، يستعمل في الصباغة أو التداوي . (مع) .	التعريف العلمي للبابونج : جنس نباتات عشبية طبية من الفصيلة المركبة فيها أنواع [3] .
الخَرُّوب	شجر له ثمر طويل كالقثاء الصغار ، إلا انه عريض وهو حلو يؤكل وله حب .	التعريف العلمي للخروب أو الخرنوب : شجر مثمر من الفصيلة القرنية ، ثماره قرون تؤكل وتعلفها الماشية [4] .

(١) انظر معجم الشهابي ص ٥٢١ .
(٢) انظر المرجع السابق ص ٤٦٧ .
(٣) انظر المرجع السابق ص ٤١٦ .
(٤) انظر المرجع السابق ص ١٢٥ .

البُطْم	الحبة الخضراء ، من الفصيلة الفستقية ، شجرتها من أربعة إلى ثمانية أمتار ، تنبت في الأراضي الجبلية ، ثمرتها حسكة مفرطحة خضراء ، تنقشر عن غلاف خشبي يحوي ثمرة واحدة ، تؤكل في بلاد الشام .	هذا تعريف غير علمي ، إنما البطم[1] : نوع أشجار حرجية ، من الفصيلة البطمية (وتسمى الفصيلة الفستقية) لا تؤكل ثماره . أما ما يؤكل ثمره من هذه الفصيلة فهو نوع الفستق .
الباقِلاء	نبات عشبي سنوي زراعي من فصيلة القطانيات الفراشية .	المعروف عن الباقلاء أنها : الفول نفسه ، ولم يشر المعجم إلى ذلك . والتعريف العلمي للفول أو الباقلاء : نبات عشبي سنوي زراعي من الفصيلة القرنية ، تؤكل قرونه الخضر مطبوخة وكذلك حبوبه ، أما تحديد زمن زراعته فلا يدخل في تعريفه ، وخاصةً في مثل أيامنا ، إذ تختلف زراعته باختلاف الأقاليم . أما القول عن أزهاره بأنها ذوات عَرف ، وأكثر ما تستعمل لفظة (العَرف) للرائحة الطيبة ، فمسألة فيها نظر .
الفول	نبات عشبي من الفصيلة القرنية ، أزهاره بيض ذوات عَرف ، يزرع في الخريف وينضج في الربيع ، ويستعمل غذاء للإنسان والحيوان .	

(١) انظر معجم الشهابي ص ٥١٦ .

البِرْنُوف	نباتٌ من الفصيلة المركّبة ، مُعَمَّر ، يكثر في مصر على شواطىء التُّرع ، له رائحة حادة ثقيلة ، تطرد الحشرات ، ونويراته كثيرة صغيرة بيضية .	في هذا التعريف بعض التزيد ، وتنقصه الإشارة إلى أن الاسم من الدخيل ، ويظن أنه من القبطية . ويلاحظ في التعريف أن صاد (مصر) جاءت معجمة في الطبع . وإلى جانب التعريف أثبت المعجم الوسيط رسماً يوحي بأن البرنوف شجر !
هَوْمُ المجوس	نوع من العشب له أوراق تشبه أوراق الياسمين ، يستخرج منه دواء يفتت الحصاة في الكلية ويُدِرّ البول ، فارسيته : مرانية .	هذا التعريف القديم غريب وبعيد عن الدقة العلمية ، وفي القاموس المحيط : هَوْم المجوس : دواء الخ .. وفي أقرب الموارد : هوم المجوس : شجر شبيه بالياسمين . . . وسمّيت هوم المجوس لأن عبدة النار يستعملونها في عبادتهم وينسبون لها منافع عجيبة ! والذي يظهر من كل هذا أن هوم المجوس : نبات طبي ، ولم أجده في « معجم الألفاظ الزراعية » .

(يتبع)

عدنان الخطيب

شاعر آل البيت

دعبل بن علي الخزاعي

دراسة نقدية لآخر المجموعات من شعره

[صنعة الدكتور محمد يوسف نجم]

(٣)

— ٩ —

وننتقل الآن إلى أخطاء التحقيق في المجموعة ، مما يتصل بفهم الكلام وتقويمه وترجيح بعضه على بعض على أساس من استقامة المعنى ، وفي حدود ما تسمح به النصوص وتعين عليه المصادر .

١ — ففي قول الشاعر (النص ٩) :

لما احتبى الضيْفُ واعتلتْ حَلوبتُها بكى العِيالُ وغنّى قِدْرُنا طَرَبا

الصحيح الذي لا يصح غيره (انظر : اللسان) وتعين عليه المصادر كلها تقريباً : غنت .

٢ — وفي قوله (النص ١٣) :

فأ..... عـــليٍّ له آلةٌ وفقحـــةُ عمروٍ له دَبّهْ

خطأ صوابه : ألـّة ، وهي الحربة . وبه يبين قوله بعده :

فطوراً تُصادفه جَعْبَةٌ وطوراً تُصادِفُهُ حَرْبَهْ

٣ - وفي قوله (النص ١٦) :

ولو قبضتْ كفّي على كفّ دِرهمٍ لآبتْ إلى رِجْلي وفي الكفّ عقربُ

تصحيف صوابه الواضح : رَحْلي .

٤ - وفي قوله (النص ١٧) :

أسودٌ إذا ما كانَ يومُ كَريهةٍ ولكنّهم يومَ اللقاء ثَعالبُ

خطأ - تصححه رواية أخرى من مصادر لم يرجع إليها المحقق - صوابه : وليمة . وبالتصحيح وحده يستقيم معنى البيت .

٥ - وفي قوله (النص ٨) :

فقلتُ له : طالَ عَهْدُ اللّقا فقد غِبْتَ بالله أمْ لَمْ تَغِبْ ؟

خطأ في تهذيب تاريخ دمشق الذي نقل عنه المحقق . وفي الأصل المخطوط (وفي بغية الطلب لابن العديم أيضاً) تصحيح الخطأ الواضح :

فهل غِبْتَ بالله أمْ لَمْ تَغِبْ ؟

٦ - وفي قوله (النص ٤٤) :

قبورٌ بكوفاتٍ وأُخْرى بطَيْبَةٍ . . . .

تصحيف آخر صوابه : كوفان ، وهي الكوفة .

٧ - وفي قوله (النص ٦٥) .

وكان أبو خالد مرة إذا باتَ مُتَّخِماً قاعدا

تحريف ، صوابه الذي لو عاد المحقق إلى مصادر أخرى لوجده :

كأن أبا خالد مَرْأةٌ

٨ — وفي قوله عن خصمه أبي سعد المخزومي (النص ٦٧) :

فأن سمعتَ به نَعْتَ القَنا عَبَثًا   فقدْ أرادَ قَنًا ليست لَهُ عُقَدُ

تحريف لا يستقيم به المعنى ، وصوابه :

فإن سمعتَ له نَعْتَ . . . .

٩ — وفي قوله (النص ٧٨) :

إني وجدتكَ في الهوى ذواقةً   لا تصبرنَّ على طَعامٍ واحدِ

خطأ عجيب ، صوابه — لو نظر في مصدره — :

إني وجدتكِ في الهوى ذواقَةً   لا تَصْبرينَ على طَعام واحِدِ

١٠ — وفي قوله (النص ٩٦) :

وإن طُرَّةٌ رابتكَ فانظرْ فربما   أمرَّ مذاقُ العُودِ والعُودُ أَخْضَرُ

تحريف سهل ، تصححه أكثر من رواية في غير المصدر الذي رجع إليه المحقق . وصوابه :

وإن طُرَّةٌ راقتك فانظر . . . .

وبهذا وحده يستقيم معنى البيت .

١١ — وقوله (النص ١٢٤) :

وقلتُ للنفسِ تندبه متى نزحتْ   به النَّوى، أو مِن القرن الذي انْقَرَضا

تحريف ، تصويبه :

وقلتُ للنفسِ : عُدِّيهِ فتى نَزَحتْ

١٢ — وقول الشاعر عن قوم حمص (النص ١٣٦) :

سَمَوْا للمَكْرُمات بآلِ عيسى أحلهمُ على شرفِ التّـلاعِ

خطأ صوابه :

سُمُوّ المَكْرُماتِ بآلِ عيسى

وبذلك يستقيم الكلام في الشطر الثاني .

١٣ — وقوله في آل البيت (النص ١٤١) :

ولو أن أيدِيَكم تمدُّ إلى الإناء لما انْكَفا

خطأ صوابه :

. . . . إلى إناء لانْكَفا . . .

وفي ذلك رواية يرويها الشيعة عن آل البيت :

١٤ — وقوله يهجو المطلب الخزاعي (النص ١٦٩) :

أمطلبٌ أنتَ مُسْتَعْذِبٌ حُماتِ الافاعي ومُسْتَقبلُ

فانْ أشفِ منك تكنْ سُبّة وإن أعْفُ عنكَ فما تفعل

تصحيف وتحريف ، الصواب فيهما — ولا يستقيم المعنى إلا به — :

. . . . . مستعذبُ حُماتِ الافاعي ومُسْتَقْتِلُ

. . . . وإن أعْفُ عنكَ فما تَعْقِلُ

١٥ — وقوله في العناقيد (النص ١٩٦) :

بعناقيد مُشَكّلَة كشعورِ الزّنجِ في الحَمَم

تحريف تضيع به الصورة . والصواب :

. . . مُعَشْكَلة كشُعور الزّنْج . .

١٦ - وقوله أيضاً (في النص نفسه) :

فَدَعاها الطَّلْقُ فانفطرتْ لوِلاد ليس في وَصَمٍ

تحريف واضح . صوابه :

لوِلادٍ ليس في رَحِمِ

١٧ — وقوله في تمجيد قومه من اليمانية (النص ٢٠٤) :

وفي صَنَمِ المغاربِ فوقَ رَمْلٍ يَسيل بلونه سَيْلَ السّفينا

خطأ تصححه الروايات . وصوابه :

تَسيلُ تُلولُه سَيْلَ السّفينا

١٨ — وقوله (في النص نفسه) :

أُحَيّي الغُرّ من سَرَواتِ قَوْمي لقد حُييتِ عنا يا مَدينا

خطأ ، صوابه :

ولا حُيّيتِ عَنّا يا مَدينا

ودعبل هنا يرد على الكميت قوله يفخر بالنزارية :

ألا حييتِ عنا يا مَدينا وهلْ بأسٌ بقولُ مُسَلّمينا

١٩ — وقوله في رثاء ابراهيم الموصلي (النص ٢١٥) :

سيبكي اليَمُّ من جَزَع عليه وتبكيه المَثالث والمَثاني

وتَشْكِلُهُ القِيانُ وحافظوها ويَنْعاه الرِفاقُ إلى الدِّفانِ

تصحيفان يعرفهما بداهة من يعرف رثاء المغنين في أدبنا . وصوابهما :

سيبكي البَمّ . . . .

(والبَمْ هو الوتر الغليظ من أوتار العود) .

. . . . وتنعاه الزِقاق . . . .

٣٠ — وقوله في هجاء خزاعة (النص ٢٢٣) :

الراتقينَ ولاتَ حينَ مَراتقٍ والفاتقينَ شَرائعَ الأَسْتاهِ

تحريف تصححه رواية أخرى في مصدر لم يطلع عليه المحقق . والصواب :

والفاتقين شَرائجَ الاسْتاهِ

٣١ — وقوله في الأبيات المشهورة (النص ١٥٣) :

وَعْداً بأُخرىٰ عن تطلبها صباً يَطا مِنْ دُونها الحَسكا

تحريف لا يستقيم به الكلام . وصوابه :

وعدًا بأُخرى عزّ مَطْلَبُها

٣٢ — وقوله يهجو مالك بن طوق (النص ٢٣٧) :

قالوا : فَدَعْ داراً على يَمْنَةٍ وتلكها دارُهُم فانيَــهْ

تحريف واضح ، صوابه :

وتلكها دارُهمْ ثانيـــةْ

هذه أمثلة سريعة لما وقع فيه المحقق من أخطاء في تقويم النصوص ، ومثلها كثير ، فإنما اخترنا الأخطاء القريبة .

وينبغي أن نشير هنا إلى أن المحقق أجاز لنفسه أن يسلخ عن النص إلى الحاشية بيتاً لم يحسن قراءته (النص ١٢٧) ، وأنه ربما غفل عن تقويم الأسماء أيضاً . فأبو نضير بن حميد الطوسي الذي ذكره في مقدمة النص ١٢٣ هو أبو نصير ، بتصغير (نصر) . وأبو نصر بن حميد الطوسي من أولاد هذا القائد العباسي المعروفين .

– ١٠ –

وننتقل بعد ذلك إلى ضبط النصوص . إن ضبط النص المحقَّق فضيلة كبيرة إذا اجتمعت للمحقق القدرة ، والإخلاص الذي يحمله على صلة دائمة بالمعجم ، فهل وفى المحقق بذلك ؟

لننظر في الأمثلة التالية ، وقد اخترنا من كل شيء طرفاً :

١ — في قوله (النص ٤٤) :

وأينَ الأُلى شَطَّتْ بهم غُرْبةُ النَّوى . . . .

الأرجح : غَرْبة ، وهي البعد .

٢ — وقول الشاعر (في النص نفسه) :

أرى فَيْئَهم في غيرهمْ متقسَّما وأَيْديهِـمُ من فَيْئِهم صَفِراتِ

خطأ واضح ، صوابه : وأيدَيهمْ .

٣ — وقوله للمأمون (النص ٧٧) :

ان التّراتِ مُسَهّدٌ طلاّبُهـــا فاكفُفْ لعابَكَ عن لُعابِ الاسْوَدِ

الصواب : فاكففْ لِعابَك عن لِعاب الأسودِ .

واللِعاب : الملاعبة ، وهو المعنى المقصود .

٤ — وقوله في هجاء مالك بن طوق (النص ٩٣) :

دماؤهمْ ليس لها طالبٌ مطلولةٌ مثلُ دم العُذْرَهْ

الصواب : مثلَ دم العُذْرَهْ .

٥ — وقوله في التغزل بسلمى (النص ١٢٠) :

أني أحبكِ حبّا لو تَضَمّنَهُ سلمى سَمِيُّكِ دَكَّ الشاهق الراس

الصواب : دُكَّ الشاهقُ الرامي .

٦ -- وقوله في الهجاء (النص ١٤٠) :

وأكرهتُ الهجاءَ على لَئيمٍ فلمـــا ذاقَهُ ، للؤْمِ عافَهْ

خطأ لا يستقيم به الكلام . والصواب :

وأُكرهتُ الهجاءَ . . . .

٧ — وقوله في أصحاب المطلب الخزاعي (النص ١٦٩) :

أم الباذِجانيُّ أم عامِرِ أمينُ الحَمام التي تَزجُلُ

خطأ ، صوابه : تُزْجَل . وزجل : أرسل .

٨ — وقوله في أحد المغنين (النص ١٩٠) .

ومغنٍ إنْ تغنّى أورثَ النُذْمان همّا

الصواب : النَدْمان .

٩ – وقوله لعبد الله بن طاهر (النص ٢١٨) .

عينَ مِهْرانَ قد لطمتَ مِراراً فاتقي ذا الجلالِ في مِهْرانِ

ولا يحتاج مثل هذا الخطأ إلى تنبيه ، فإنه يخاطب غير الأنثى[1] .

هذه أمثلة أوردناها دون اختيار مقصود ، ومثلها كثير .

- ١١ -

وفي المجموعة أبيات لم تدوَّر تدويراً حسناً ، مع أن المحقق – في مواضع – حرص على أن يشطر الكلمة في البيت المدور .

١ – إن قول الشاعر مثلاً (النص ٣٤) :

فأبصِرْ لنفسك كيفَ النزولُ في الأرض عن ظَهْرِ ما تركبُ

خطأ في التدوير ، صوابه أن تكون اللام في الشطر الثاني .

ولا يخلو أن يقع الإخلال في وزن الشعر لعجز المحقق عن إقامة التحريف :

٢ – فقول الشاعر مثلاً (النص ٢١٦) :

لولا حُوَي لبيتِ لِهْيانِ ما قامَ أ... العَزَبِ الفاني

إخلالٌ إقامته على الوجه التالي :

(١) يبدو أنه لا بد أن تشبع كسرة القاف في « فاتّق » في النطق حتى تصير ياء ، وذلك ليتزن البيت . فإن كان المحقق أثبت الياء لهذا فقد كان ينبغي أن يشير إلى ذلك في الحاشية على الأقل .

لولا حُوَيٌّ بيتِ لِهيانِ

(من السريع)

وقد تعوزه الدقة في تسمية البحور :

٤ — فقول الشاعر مثلاً (النص ١٧٣) :

حواجبٌ كالجبال سودٌ الى عثانينَ كالمخالي

ليس من مجزوء البسيط ، على الدقة ، ولكنه من مخلّع البسيط .

وربما وقع الإخلال في القافية :

٥ — فقول الشاعر مثلاً (النص ٨٣) :

فتخضِبُ الحِنّاءَ من مُسْوَدِّها

كأنها والكحلُ في مِرْوَدِها

إخلال اسمه (التجريد) لم يقع فيه الشاعر وإنما أوقعه فيه المحقق ،
والصواب التشديد :

كأنها والكُحْلُ في مِرْوَدِّها

وانظر ما يقول التبريزي — نقلاً عن المعري — في ذلك (الحماسة ٤/٣٤٨).
وهناك هنات أخرى لا نذكرها هنا .

-١٢-

وننتهي أخيراً إلى سوء التنقيط في المجموعة سوءاً بلغ مداه . فليس في الشعر اعتراض بيّن — على كثرة ما يعترض الشاعر — وليس فيه قول واضح ولا استئناف مفهوم ولا عَلَم مميَّز ولا تعجب ولا سؤال !

ويمكن أن نجد لذلك أمثلة صارخة كثيرة في مثل الصفحات التاليـة : ٢٨ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٦٦ .

وقد اختار المحقق أن يكتب الرجز الكامل على صورتين : فمرة يجعل الشطر الواحد منه بيتاً ومرة شطراً (انظر مثلاً : ص ٩١ و ١٧٢) فليس له في ذلك رأي واحـد .

وقد يقع أن ينسى أحياناً إثبات أرقام صفحات المصادر التي يحيل عليها (انظر مثلاً ص ١٦٨) ، وقد ينسى أن يذكر البحر (انظر النص ٢٠١) .

فهذا كله يشبه إغفاله أحياناً بعض الروايات الهامة (ولدينا أمثلة كثيرة على ذلك يضيق المجال عن ذكرها) ويشبه إغفاله الشعر الكثير المنسوب إلى دعبل حتى في المصادر التي زعم أنه رجع إليها !

- ١٣ -

وبعد : فإنا ننتهي إلى أن المحقق لم يجمع شعر الشاعر ولم ينشره على منهج من المناهج ، وقد فشا فيه الخطأ والإخلال والنقص فشواً يظن معه أن المحقق كان في سباق مع الزمن .

وقد كنا نحسب ان المحقق نفسه — وقد أقبل في الأيام الأخيرة على نشر الدواوين والنصوص الشعرية — أفاد من رأي الباحثين في بعض ما أقدم على نشره ، مثل الرأي النصوح الذي أبداه الأستاذ ابراهيم عبد الرحمن محمد في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات [١] الذي أقدم المحقق على نشره بمثل العجلة التي

(١) انظر نقده في مجلة معهد المخطوطات العربية : المجلد الخامس ، الجزء الثاني الصادر في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٩ ص : ٣٨ — ٩٣ .

أقدم بها على نشر مجموعته الصغيرة من شعر دعبل . ولكنه — فيما يبدو — لم يفد منه شيئاً .

على أن الإنصاف له يقتضينا أن نشير إلى أنه أفاد من إحدى ملاحظات الأستاذ ابراهيم فكف عن حشر اسم الأستاذ الكبير محمود محمد شاكر في مقدمات كتبه ليوهم القارىء أن الأستاذ — حفظه الله — تعهدها بالتصويب ، فيكون في ذلك ترويج لها . غير أنه مع ذلك لم ينس اسم الأستاذ شاكر فذكره في المقدمة ، في موضع نثق أنه لن يكسب به رضى الأستاذ ، ولو ظن ذلك .

إن هذه المجموعة الصغيرة المبتسرة من شعر دعبل — بعد الذي ذكرناه من أخطائها — عمل مهوش مرتجل لا يخضع لقواعد التحقيق العلمي ، ولا يصح أن يوثق به على الإطلاق .

وقد بدأت حركة نشر التراث تنحو — لسوء الحظ — هذا المنحى الخطر في بعض الأوساط ، فأصيبت بشر عظيم ، وانعكس عليها انعكاساً حاداً ما نعاني — في مجتمعنا الكبير — من محنة التمزق وفقدان التماسك ، فاتخذ هذا التراث العظيم وسيلة للكيد والإساءة ، أو اتخذ سبباً إلى التكسب .

وإذا كان جمع شعر شاعر آل البيت دعبل بن علي الخزاعي وتحقيقه ضرورة قبل اليوم ، فإن جمعه وتحقيقه تحقيقاً علمياً أصبحا منذ اليوم ضرورة أوجب ، حتى لا يقر في أيدي الناس طويلاً هذا المقدار المهوش الناقص المختلط بالمنحول الكثير من شعره ، ويدخل على الباحثين والقراء في ثياب « الديوان » و « التحقيق » ، والشاعر والمحقق منهما براء !

الدكتور عبد الكريم الأشتر

سؤال في يزيد بن معاوية

لشيخ الإسلام ابن تيمية

-٢-

وكان بالعراق طائفتان : طائفة من النواصب تبغض علياً وتشتمه ، وكان منهم الحجّاج بن يوسف (١) . وطائفة من الشيعه تظهر موالاة أهل البيت منهم المختارُ بن أبي عبيد الثقفي (٢) . وقد ثبت في « صحيح مسلم » عن أسماء ، عن النبي ﷺ : أنه قال : سيكون في ثقيف كذّابٌ ومُبير . فكان الكذّابَ هو المختارُ بن أبي عُبيد الثقفي ، والمبيرَ هو الحجّاجُ بن يوسف الثقفي .

وكان المختارُ أظهرَ أولاً التشيّعَ والانتصارَ للحسين ، حتى قَتَل الأميرَ الذي أمَرَ بقتل الحسين وأحضر رأسه اليه ، ونكت بالقضيب على ثناياه : عُبيد الله بن زياد (٣) .

ثم أظهر أنه يوحى إليه ، وأنّ جبريل يأتيه ، حتى بعث ابنُ الزبير اليه أخاه مُصعباً فقتله ، وقتل خلقاً من أصحابه . ثم جاء عبدُ الملك بن مروان فقتل مصعبَ بن الزبير . فصار النواصبُ والروافضُ يوم عاشورا حزبين ، هؤلاء يتخذونه يوم مأتم ونَدْبٍ ونياحة ، وهؤلاء يتخذونه يوم عيدٍ ، وفرح ، وسرور .

---

(١) توفي الحجاج سنة ٩٥ هـ . (شذرات ١ ـ ١٠٦) .
(٢) قتل المختار بالكوفة سنة ٦٧ هـ (شذرات ١ ـ ٧٥) .
(٣) قُتل عبيد الله بن زياد سنة سبع وستين هـ (شذرات ١ ـ ٧٤) .

وكلّ ذلك بدعة وضلالة . وقد ثبت في الصحيح عن النبيّ ﷺ أنه قال: « ليس منا من ضرب الخدود وشقّ الجيوب ودعا بدعوة الجاهلية » .

وروى الإمام أحمد (١٦آ) عن فاطمة بنت الحسين، عن أبيها الحسين، عن النبيّ ﷺ أنّـه قال: ما من مُسلمٍ يُصاب بمصيبة فيذكر مصيبته وإن قدُمت فيُحدثُ لها استرجاعاً إلاّ أعطاه من الأجر مثل أجره يوم أصيب بها .

فدلّ هذا الحديث الذي رواه الحسين على أنّ المصيبة إذا ذُكرت وإن قدم عهدُها فالسنّة أن تسترجع فيها، وإذا كانت السنّة الاسترجاع عند حدوث العهد بها فمع تقدّم العهد أولى وأحرى . وقد قُتل غيرُ واحدٍ من الأنبياء والصحابة والصالحين مظلوماً شهيدا، وليس في دين المسلمين أن يجعلوا يوم قتل أحدهم مأتماً، وكذلك اتخاذُه عيداً بدعة . وكلُّ ما يُروى عن النبيّ ﷺ في يوم عاشورا غير صومه فهو كذب . مثل ما يُروى في الاغتسال يوم عاشورا، والاكتحال، وصلاة يوم عاشورا، ومثل ما يُروى: مَنْ وسّع على أهله يوم عاشورا وَسّع الله عليه سائر سنته . قال أحمد بن حنبل: لا أصلَ لهذا الحديث . وكذلك طبخ طعام جديد فيه الحبوبُ أو غيرُها، أو ادّخارُ لحم الأضحية حتى يُطبخ به يوم عاشورا . كلُّ هـذا من بدع النواصب، كما أنّ الأوّل من بدع الروافض .

وأهلُ السنّة (٦ب) في الإسلام، كأهل الإسلام في الأديان يتولّون أصحابَ رسولِ الله ﷺ وأهلَ بيته ويعرفون حقوق الصحابة وحقوق القرابة كما أمر اللهُ بذلك ورسولُه، فإنه ﷺ قد ثبت عنه في الصحاح من غير وجه أنه قال: خيرُ القرون القرنين (كذا) الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم[1].

(١) في صحيح البخاري ٥ ـ ٢ (تحقيق أبي الفضل ابراهيم): « خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم . »، وانظر في مسند أحمد (ط . أحمد شاكر) ٥ ـ ٣٥٩٤ .

وثبت عنه في الصحيحين أنه قال: لا تسبّوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدُكم مثل أُحدٍ ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه .

وثبت عنه في «صحيح» مسلم عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ خطب الناس بغدير يُدعى خُمّاً بين مكة والمدينة ، وذلك منصرفه من حجة الوداع . فقال: يا أيها الناس إني تاركٌ فيكم الثقلَيْن أحدهما كتاب الله . فذكر كتاب الله وحضّ عليه ثم قال: وأهل بَيْتي ، أذكّرُكُم الله في أهل بَيْتي . أذكركُمُ الله في أهل بيتي . قيل لزيد بن أرقم: مَنْ أهلُ بيته ؟ قال: الذين حُرموا الصدقة: آل عليّ ، وآل العبّاس ، وآل جعفر ، وآل عقيل . قيل له: كلُّ هؤلاء من أهل بيته ؟ قال: نعم .

وهذه أمور مبسوطة في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا أنّ يزيد بن معاوية الذي تولّى على المسلمين بعد أبيه لم يكن من الصحابة ، بل وُلد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٧ آ) .

ولكنّ عمّه يزيد بن أبي سفيان من الصحابة ، وهو من خيار طبقته من الصحابة . لا يُعرف له في الإسلام ما يُذمُّ عليه بل هو عند المسلمين خيرٌ من أبيه أبي سفيان ، ومن أخيه معاوية . ولما مات يزيد بن أبي سفيان ولّى عمرُ أخاه معاوية مكانه ، ثم بقي متولّياً خلافة عمر وعثمان ، ثم لما قُتل عثمان وقعت الفتنةُ المشهورةُ . وكان عليٌّ ومَنْ معه أولى بالحقّ مِنْ معاوية ومَنْ معه . كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: تمرق مارقة على حين فِرْقةٍ من المسلمين تقتلهم اولى الطائفتين . فمرقت الخوارج لما حصلت الفِرْقة ، فقتلهم عليٌّ وأصحابه .

ثم لما قُتل عليٌّ وصالَحَ الحسنُ لمعاوية ، وسلّم اليه الخلافة كان هذا من فضائل الحسن التي ظهر بها ما أخبر به النبيُّ ﷺ حيث قال الحديث الصحيح

الذي أخرجه البخاري عن أبي بكرة قال : سمعتُ النبي ﷺ يقولُ للحسن : إن ابني هذا سيدٌ ، وسيُصلح اللهُ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .(١) ومات الحسنُ في أثناء مُلكِ معاوية .

ثم لما مات معاويةُ تولى ابنُه يزيد هذا ، وجرى بعد موت معاوية من الفتن والفرقة والاختلاف ما ظهر به مصداقُ ما أخبر به النبيُّ ﷺ (٧ ب) حيث قال : سيكون نبوةٌ ورحمة ، ثم يكون خلافةُ نبوةٍ ورحمة ، ثم يكون ملكٌ ورحمة ، ثم يكون ملكٌ عضوض . فكانت نبوةُ النبيِّ ﷺ نبوةً ورحمة ، وكانت خلافةُ الخلفاء الراشدين خلافةَ نبوةٍ ورحمة ، وكانت إمارةُ معاوية مُلكًا ورحمة . وبعدها وقع مُلكٌ عَضُوض .

وكان عليّ بن أبي طالب لما رجع من صِفّين يقول : لا تسبّوا معاوية ، فلو قد مات معاوية لرأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها . وكان كما ذكره أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

وقد روى مسلم في « صحيحه » عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال : النجومُ أمَنة لأهل السماء ، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما توعد ، وأنا أمنةٌ لأصحابي فإذا ذَهبتُ أتى أصحابي ما يُوعَدُون ، وأصحابي أمنةٌ لأمّتي فإذا ذهبتْ أصحابي أتى أمتي ما يوعَدون .

وكان كما أخبرا النبيُّ ﷺ .

فإنه لما توفي ارتدّ كثيرٌ من الناس ، بل أكثرُ أهل البوادي ارتدّوا ،

(١) الذي في صحيح البخاري ٥/٢٢ (تحقيق أبي الفضل ابراهيم ورفيقيه) « عن أبي بكرة : سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر ، والحسن الى جنبه ينظر الى الناس مرة واليه مرة ويقول : ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » .

وثبتَ على الإسلام أهلُ المدينة ومكة والطائف ، وهي أمصار الحجاز التي كان لكلّ مصر طاغوت يعبدونه من الطواغيت الثلاثة المذكورة في قوله : ﴿أفرأيتم اللاتَ والعُزّى ، ومَناةَ الثالثةَ الأخرى ، ألكم الذكرُ وله الأنثى ، تلك إذاً قِسمةٌ ضِيزى﴾(١) .

فكانت اللاتُ لأهل الطائف ، والعُزّى لأهل مكة ، ومَناةُ (٨ آ) لأهل المدينة ، حتى أذهبَ اللهُ ذلك وغيرَه من الشرك برسوله ﷺ ، فلما ارتدّ مَن ارتدّ عن الإسلام وَقعَ في أكثر المسلمين خوفٌ وضعفٌ ، فأتاهم ما يوعدون فأقام اللهُ أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه وجعل فيه من الإيمان واليقين ، والقوّةِ والتأييد ، والعلمِ والشجاعة ، ما ثبّتَ اللهُ به الإسلامَ ، وقمع به المرتدّين ، حتى عادوا كلهم إلى الإسلام ، وقتل اللهُ مُسَيْلِمةَ الكذّاب ، المتنبي المدّعي للنبوّة ، وأقرّ جاحدو الزكاة بها .

ثم شرع في قتال فارس والروم المجوس والنصارى ، ففتح اللهُ بعضَ الفتوح في خلافته .

ثم انتشرت الفتوحُ والمغازي في خلافة عمر بن الخطاب : ففي خلافته فُتحت الشام كلها ، ومصر ، والعراق ، وبعضُ خراسان .

ثم فُتحت (كذا) بعض المغرب وتمام خراسان وقبرص وغيرُها في خلافة عثمان .

ثم لما قُتل كان المسلمون مشتغلين بالفتنة ، فلم يتفرّغوا لقتال الكفّار ، وفتح بلادهم بل استطال بعضُ الكفّار عليهم حتى احتاجوا إلى مداراتهم ، وبذلوا لبعضهم مالا . ولما اجتمعوا فتحوا في خلافة معاوية ما كان بقي مِنْ أرضِ الشام وغيرها . وكان معاويةُ أوّلَ الملوك . وكانت ولايته ملكاً ورحمةً .

(١) سورة النجم ، الآيات ١٩ ـ ٢٢ .

فلما ذهبت إمارة معاوية كثرت الفتن بين الأمة (٨ ب) ، ومات سنة ستين وكان قد مات قبله عائشةُ والحسنُ وسعدُ بن أبي وقاص وأبو هريرة وزيدُ بن ثابت وغيرُهم من أعيان الصحابة ، ثم بعده مات ابنُ عمر ، وابنُ عباس وأبو سعيد وغيرُهم من علماء الصحابة .

فحَدَثَ بعد الصحابة من البدع والفتن ما ظهر به مصداقُ ما أخبر به النبيُّ ﷺ .

وكان المسلمون لما كانوا مجتمعين في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يكن لأهل البدع والفجور ظهور ، فلما قُتل عثمان وتفرّق الناسُ ظهرَ أهلُ البدع والفجور ، وحينئذ ظهرت الخوارجُ ، فكفّروا عليَّ بنَ أبي طالب وعثمانَ بن عفان ومن والاهما حتى قاتلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب طاعةً لله ورسوله وجهاداً في سبيله . واتّفق الصحابةُ على قتالهم لم يختلفوا في ذلك كما اختلفوا في الجمل وصفّين . وقد صحّ الحديثُ فيهم عن النبيّ ﷺ كما قال الإمام أحمد ابن حنبل من عشرة أوجه . وقد رواها مسلم في صحيحه ، وروى البخاري حديثهم من غير وجهٍ عن النبي ﷺ .

وحدَثتْ أيضاً الشيعةُ ، منهم مَنْ يفضّل عليّا على أبي بكر وعمر ، ومنهم من يعتقد أنه (٩ آ) كان إماماً معصوماً نصّ النبي ﷺ على خلافته ، وأنّ الخلفاء والمسلمين ظلموه ، وغاليتُهم يعتقدون أنه إله أو نبيّ . والغاليةُ كفّار باتفاق المسلمين ، فمن اعتقد في نبيٍّ من الأنبياء كالمسيح أنه إله ، أو في أحدٍ من الصحابة كعليّ بن أبي طالب ، أو في أحدٍ من المشايخ كالشيخ عدي[1] أنه إله ، أو جعل فيه شيئاً من خصائص الإلهية فإنه كافرٌ يُستتاب ، فإن تاب وإلاّ قُتِل . وقد عاقب عليّ بن أبي طالب طوائف الشيعة الثلاثة فإنه

(١) هو الشيخ عديّ بن مسافر . ناسك صوفي كبير تنسب إليه الطائفة العدوية (اليزيدية) توفي على أحد الأقوال سنة ٥٥٧ هـ (أعلام الزركلي ١١/٥) .

حرق الغالية الذين اعتقدوا إلهيته بالنار ، وطَلَبَ قَتْلَ ابن سبأ(١) لما بلغه أنه يسب أبا بكر وعمر فهرب منه . وروي عنه أنه قال : لا أوتى بأحدٍ يُفضّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدتُه حدَّ المفتري . وقد تواتر عنه أنه قال : خيرُ هذه الأمّة بعد نبيّها أبو بكر ، ثم عمر . ولهذا كان أصحابه الشيعة متفقين على تفضيل أبي بكر وعمر عليه . ثم في أواخر عصر الصحابة حدثت المرجئة والقدريّة ، ثم في أواخر عصر التابعين حدثت الجهميّة ، فإنما ظهرت البدع والفتن لما خفيت آثار الصحابة . فإنهم خير قرون هذه الأمة وأفضلها رضي الله عنهم وأرضاهم .

والحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم تسليما (٩ ب)

بلغ مقابلة على الأصل ولله الحمد

(بيروت) الدكتور صلاح الدين المنجد

---

(١) هو عبد الله بن سبأ رأس الفرقة السبئية ، وكانت تقول بألوهية علي . وكان يهودياً فأظهر الإسلام . توفي نحو سنة ٤٠ هـ (أعلام الزركلي ٤ ـ ٢٢٠ ، والمصادر التي ذكرها) .

التعريف والنقد

١ ـ التفكير فريضة إسلامية

٢٢٥ ص . نشر دار القلم بالقاهرة

٢ ـ أشتات مجتمعات في اللغة والأدب

١٥٤ ص . دار المعارف بمصر

الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد

أن يظفر بكتاب قيم هدية من مؤلفه ، وأن يكون هذا المؤلف هو رائد الفكر العربي الحديث الأستاذ عباس محمود العقاد ، ثم أن يكون الكتاب من آخر ما صدر له ، وأن يتفضل بتجليده تجليداً لطيفا ، ويتوجه بعبارة الإهداء التي تشعرك باهتمامه بك وحظوتك لديه ، إن ذلك لمنتهى التقدير وغاية الود .

والحقيقة أنهما كتابان أولهما يدخل في باب الدراسات الدينية وهو الذي يحمل اسم « التفكير فريضة إسلامية » وثانيهما يتناول مباحث لغوية وعنوانه « أشتات مجتمعات في اللغة والأدب » ولعل الأستاذ راعى في تنويع الهدية أن تكون شاملة للموضوعين اللذين يستأثران باهتمامي ويغلب علي أن أنزع اليهما وهما موضوعا الدين والأدب ، وذلك منه فضل آخر يدل على مزيد من اللطف والرعاية .

إنني هنا لست بصدد تقديم الأستاذ الكبير فانه أعرف من أن يعرف ، وأعتقد أنه ليس في العالم العربي اليوم مثقف لا يقدر ما قدمه العقاد للغة العربية والأدب العربي والفكر العربي بعامة من خدمات جلى تتصل بالإحياء والتجديد والتأصيل ،

فضلاً عن دراساته الإسلامية الرائعة التي قومت من زيغ الاعتقاد عند الجيل الطالع ، وهدت من ضلال الاستخفاف بالمدنية الإسلامية الذي سرى إلى كثير من الدارسين الشرقيين بالعدوى من أساتذتهم الغربيين المنطوين على حقد كمين ، وتعصب غير قليل ضد الإسلام ودعوته السامية .

والذي يوحي بالإكبار لجهود هذا الرائد وشخصيته الفذة أنه منذ كان وهو على هذا السنن اللاحب والصراط المستقيم ، لم تحفظ عليه فلتة في التقليد الأعمى ولا في التفكير المنحرف ، حتى مذهبه السياسي كان دائماً مع الوطنية الصادقة وقادتها الأبرار من طبقة مصطفى كامل وسعد زغلول ، فلما صارت الوطنية مهنة واحترافاً نأى بجانبه ولم يرض أن يكون مطية لمتزعم ولا لمتسلط .

وفي دائرة العمل لرفع شأن الدين الإسلامي والدفاع عن اللغة العربية التي تستهدف اليوم لحملات كثير من الجهال والعققة من أبنائها ، أصدر الأستاذ العقاد كتابيه اللذين نحن بصددهما فلننظر فيهما نظرة عجلى إذ كان من غير الجائز أن نستوعب الكلام عليهما في مقال واحد يرمي إلى التعريف أكثر مما يرمي إلى التحليل .

فكتاب التفكير فريضة اسلامية يكفي عنوانه لمعرفة الاتجاه الذي وجهه فيه المؤلف انه اتجاه فلسفي يحدد نظرة الإسلام إلى الحياة والكون وما تشاجر حولها من آراء ومذاهب منذ أن وجدت الفلسفة وحاول الإنسان تفسير غوامض هذا الوجود ، وحين يكون الميدان للتفكير والنظر الفلسفي والحِجَاج فناهيك بأصالة الموانع والأعذار ، المنطق ، الفلسفة ، العلم ، الفن الجميل ، المعجزة ، أمام الأديان ، الاجتهاد في الدين ، التصوف ، المذاهب الاجتماعية ، العرف والعادات ، فضلاً عن الخاتمة .

فأشاد الفصل الأول بمقام العقل في الإسلام على اختلاف وظائفه وخصائصه من عقل وازع وعقل مدرك وعقل حكيم وعقل رشيد ، واستخرج دلالات ذلك كله من القرآن ، ثم عرج في الفصل الثاني على ما سماه بالموانع والأعذار وقد بناه على انه إذا كان تحكيم العقل أمراً إلهياً فيمتنع تعطيله مرضاة لمخلوق أو خوفاً منه . وقال في هذا الصدد : « والإسلام لا يقبل من المسلم أن يلغي عقله ليجري على سنة آبائه وأجداده ولا يقبل منه أن يلغي عقله خنوعاً لمن يسخره باسم الدين في غير ما يرضي العقل والدين ، ولا يقبل منه أن يلغي عقله رهبة من بطش الأقوياء وطغيان الأشداء . ولا يكلفه في أمر من هذه الأمور شططاً لا يقدر عليه ، إذ القرآن الكريم يكرر في غير موضع « أن الله لا يكلف نفساً ما لا طاقة لها به ، ولا يطلب من خلقه ما لا يستطيعون » وفرّق في فصل المنطق بين المنطق كعلم يتوصل به إلى تحقيق الحق وتمييز الخطأ من الصواب ، والمنطق كأداة للجدل والمراء والغلبة والافحام بأي صفة ، فبين أن موقف التحفظ الذي وقفه بعض العلماء المسلمين من المنطق انما كان موجهاً إليه بالمعنى الأخير وأفاض في ذلك بما لا كفاء له في قوة الحجة والبرهان . كذلك فعل في فصل الفلسفة بعد أن حدد معناها قديماً وحديثاً وألم بمذاهب أقطابها من يونان وغيرهم ، فذكر أن الأمة الإسلامية « كانت أرحب صدراً وأسمح فكراً مع الفلسفة اليونانية من بلاد العالم اليوناني الذي نشأت فيه ، كما يؤخذ من مصائر الفلاسفة بين أبناء العالم اليوناني ومصائر الفلاسفة المسلمين وغير المسلمين في بلاد الإسلام » ولا يتسع المجال للاشارة إلى ما في هــذا الفصل من آراء صائبة وأحكام سديدة ، وانما يحسن التملي بقراءته .

وفصل العلم في الكتاب ليس سرداً للأقوال المعروفة في تمجيد الإسلام للعلم وإعلائه من شأنه ، ولكنه ما ينتظر من عبقرية العقاد من بيان حقيقة العــلم

والمراد به عند الإطلاق من طرف جهابذة العلماء الكونيين وتطبيق تعاليم الإسلام على ذلك واظهار مسارقته لآخر مفاهيم العلم في نصوصه وقوانينه .

ويستهل الأستاذ العقاد فصل الفن الجميل بهذه المقدمة الجميلة « كثرة الأنصاب والتماثيل في المعابد والبيع ليست بالمقياس الصحيح لنصيب الفنون الجميلة من الدين الذي يدان به في المعبد أو البيعة . لأن المعابد الوثنية كانت تتسع للأنصاب والتماثيل وليست النموذج الصالح للأديان في الهداية إلى معاني الجمال والحض على الفنون الجميلة ، وهي في جملتها لا تخلو من العبادات البشعة والشعائر القبيحة والعقائد التي لا تجتمع والجمال في شعور واحد » .. فيقرطس الهدف من أول وهلة ويوحي للاغرار الذين لا يقدرون ما جاء به الإسلام من فكرة توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وقطع السبيل على أتباعه في التعلق أو التطلع إلى ما سوى الله الواحد الأحد ، بأنهم لا يعدون أن يكونوا ممن غرر بهم الشيطان فقالوا : « اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة » لجهلهم عظمة الإسلام وعظمة العمل الذي قام به النبي ﷺ في تحطيم الأوثان والأصنام .

ثم يسترسل الفصل في بيان متدفق لمكانة الفنون في الإسلام كما تسترسل الفصول الباقية من الكتاب في بلاغة مشرقة وإحاطة شاملة لكل ما يتعلق بمادتها الأساسية من حيث ارتباطها بالإسلام وتعرض دعوته لها ، مما يمنعنا من تتبعه مخافة التطويل مع عدم اغناء ذلك عن قراءة الكتاب لمعرفة قيمته والاستفادة منه أتم استفادة .

وننصرف للنظر في الكتاب الثاني فنجد أن عنوانه « أشتاتاً مجتمعات في اللغة والأدب » هو بعكس سابقه أقل تعبيراً عن محتواه ذلك المحتوى الذي يكبر بكثير عما يدل عليه هذا العنوان المتواضع . ولست أقصد الكم بل الكيف ، والكيف هنا يعني المسائل المبحوثة وطريقة بحثها ، فإنها وإن كانت عبارة عن

مقالات ، إلا أنهـا مما ينتظم في سلك واحد ، وتضمه جامعة البحث اللغوي الذي يعنى بابراز مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية الصالحة لأداء رسالة العلم والثقافة في هذا القرن العشرين وتصحيح الأخطاء التي يقع فيها الزارون عليها والمستخفون بها جهلا أو تجاهلا . وهكذا ينسجم موضوع الكتاب خلافاً لما يعطيه اسمه من أنه أشتات ، وباعتبار أنه هو موضوع الساعة في المباحث اللغوية التي تتداولها الأقلام اليوم للغة العربية أو عليها ، وما أتى به المؤلف من مقارنات وأدلى به من أنظار تمد فتحاً جديداً في تقييم هـذه اللغة ورد اعتبارها إليها ، فاننا نرى أنه لو جعل كتابه هذا احدى عبقرياته وأطلق عليه عبقرية اللغة العربية — لما كان مسرفاً في ذلك ولما أنكره عليه أحد .

ويرجع الأستاذ العقاد خطأ اتهام العربية في كفايتها إلى قصور التراجمـة الأولين الذين بدأوا بالنقل عن اللغات الأجنبية في فجر النهضة الحديثة ، ويضرب الأمثلة على ذلك . ثم إلى التطفل على الكتابة الأدبية من غير أهلها ، فاذا أراد ناقد من هذا القبيل أن يعلل خلو الشعر العربي من الملاحم المطولة مثلاً لم يحجم عن أن يجعل سبب ذلك عدم طواعية أوزان العروض العربي أو التزام العرب للقافية الواحدة في أشعارها إن لم يقل بقصور الخيال العربي بل السامي اطلاقاً عن صياغة هذا النوع من الشعر .

ويَتتابع الكتاب والتراجمة تقليداً في هذه الأخطاء ، وتحمِلُ العربية وزراً ليس لها فيه يد . ثم تأتي مسؤولية المستشرقين في اشاعة هـذا الاتهام ، والمستشرقون قوم غرباء عن اللغة العربية ، درسوها في المعاجم والقواميس فحفظوا شيئاً من متنها وغابوا عن بلاغتها وبيانها فلم يفهموا مجازها ولا استعارتها ولم ينشأ عندهم ذوق أدبي يمكنهم من الاطلاع على أسرارها وخصائصها فحكموا عليها

حكماً جائراً تبعهم فيه كثير من أبناء العرب المقصرين والقليل منهم من تنبه إلى خطاهم ، كما ان القليل النادر من المستشرقين من عرف قيمة العربية ونوه بها .

وكانت أحكام أولئك المستشرقين على اللغة العربية والأدب العربي والثقافة العربية بعامة ، وهي كما رأينا مستندة إلى قصور بالغ في اكتناه هذه الأشياء ، أكثر أثراً في الصاق تهمة العجز بلغة الضاد نظراً لكونهم على ما استقر في أذهان بعض الناس انما يتكلمون عن علم فأقوالهم لا يرقى إليها الشك .

ويتحدث الأستاذ العقاد عن بعض المقارنات التي يقوم بها أناس ممن يتهمون اللغة العربية في أشياء عرضية تفارق بها غيرها من اللغات فيقول : « ولا سبيل إلى تحقيق كفاية هذه اللغة للنهوض بأمانة العلم والثقافة من طريق هذه المقارنات التي لا تقوم واحدة منها على أساس صالح للمقارنة . انما المقارنة الصحيحة التي تسفر عن تحقيق كفاية هذه اللغة بين سائر اللغات هي المقارنة على أساس ثابت من علم الألسنة الحديثة و وهو العلم الذي يبحث في تطور اللغة من حيث هي كيان حي نام صالح لأداء وظائفه ومجاراة أمثاله في معترك البقاء ، فإذا قيس اللسان العربي بمقاييس علم الألسنة فليس في اللغات لغة أوفى منه بشروط اللغة في ألفاظها وقواعدها . ويحق لنا أن نعتبر أنها أوفى اللغات جميعا بمقياس بسيط واضح لا خلاف عليه وهو مقياس جهاز النطق في الإنسان فإن اللغة العربيه تستخدم هذا الجهاز الإنساني على أتمه وأحسنه ولا تهمل وظيفة واحدة من وظائفه كما يحدث ذلك في أكثر « الأبجديات » اللغوية .. فلا التباس في حرف من حروفها بين مخرجين ولا في مخرج من مخارجها بين حرفين وقد تصححت فيها الحركات الصوتية الثلاث بين الفتح والضم والكسر ، فقضت فيها فصاحة النطق على ابطال الامالة بين هذه الحركات واخراجها كلها مستقيمة مميزة ، كما يشاء معنى الافصاح وهو في جوهره ازالة اللبس في الأصوات والحركات .

ولم يحدث لأبجدية أخرى غير الأبجدية العربية انها جربت زمانا طويلاً في كتابة اللغات من كل أسرة لسانية فلم تقصر في هذه التجربة عن شأو الأبجديات الأخرى ، إذ كتبت بها العربية والفارسية والتركية والأردية والاسبانية وهي تنتمي إلى الأصول السامية والطورانية والهندية والجرمانية وقد وجد فيها الكاتبون ما ينوب عن الحروف الملتبسة ولم يوجد في الأبجديات المختلفة ما ينوب عن حروف العربية الصريحة في مخارجها ، بما استوفته من جهاز النطق الإنساني في كل آلة من آلاته .

وعلى هذا النمط يسيل دفاع الأستاذ العقاد عن العربيــة في أصالة قواعدها ووضوح اعرابها ودلالة مفرداتها وجمالها وتميزها بخصائص في التعريف والعدد وضمائر الجنس وغير ذلك مما لا يمكن أن يستوفي الكلام عليه في كلام عابر وانما نقول فيه انه لم يرد بمثله على المهتمين للغة العربية قط ، سواء من حيث ابطال مزاعمهم في تخلف هذه اللغة عن مسايرة ركب العلم والحضارة العصرية ، أو من حيث رفع منارها على اللغات كافة في القديم والحديث ، وهذا كلام قد يستعظمه من يسمعه ولكن بينه وبين التسليم به أن يقرأ هذا الكتاب الصغير الحجم الكبير العلم المسمى بأشتات مجتمعات في اللغة والأدب .

ولعل من أبلغ السخرية التي وجهها الأستاذ العقاد للذين يدعون إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية هذا الفصل المعنون بالحروف العربية أصلح الحروف لكتابة اللغات .

ولقد قرأت في هذه الأيام القريبة بحثاً لبعض المفكرين في دلالة الفعل على الزمن في العربية وضيق هذه الدلالة عنها في اللغات الأجنبية وخاصة الفرنسية ،

وأتمنى لو قرأ هذا الباحث فصل الجملة الاسمية وفصل الظروف في اللغة العربية من كتاب أشتات مجتمعات ليهتدي على الأقل إلى طريقة مقارنة اللغة العربية باللغات الأجنبية .

ولكن مالي وللمتقولين على كفاءة اللغة العربية ، وقد وهب الله لها كفؤاً بصاولتهم جميعا ؟ أمد الله في عمره وأبقاه سالماً معافى لخير العروبة والإسلام .

عبد الله كنون

« مُسنَد الحُمَيْدي »

الجزء الأول

للامام أبي بكر عبد الله بن الزبير القرشي الحميدي المكي ، بتحقيق وتعليق مولانا الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي . نشر المجلس العلمي في سملك وابهيل — سورت — الهند . عدد صفحاته ٣٨٢ صفحة من القطع الوسط

لإخواننا علماء الهند أيادٍ غرٌّ بيضٌ في خدمة السنة النبوية الشريفة ، يشهد لهم بها كل عالم بالحديث الشريف وعلومه . وقد نهضوا بخدمة السنة المطهرة عِلماً وتعليماً وشرحاً وتأليفاً في الزمن الذي توانى فيه علماء سائر الأقطار عن النهوض بها ، فكان لهم الفضل الأكبر في الاضطلاع بهذا الشطر العظيم من أصول الشريعة الغراء .

ولما انتشرت المطابع — حجرية وغير حجرية — قاموا باستكمال ذلك الفضل ، فطبعوا أمهات كتب الحديث والسيرة وتاريخ الرجال وعلوم المصطلح ونوادر كتب الفقه الحنفي الكبيرة والصغيرة ، غير مقصِّرين في تحسين الطباعة وإتقانها لديهم مع الاستفادة من تقديم وسائل وأساليب نشر العلم في هذا العصر .

ولا غرابة أن تكون « مؤسسة دائرة المعارف العثمانية » في حيدر آباد الدكن لها النصيب الأوفى من النهوض بهذه الخدمة الجلّى وأن تأتي في الطليعة المجلّية أيضاً ، لما قامت به من نشر الكتب الكبيرة والصغيرة النادرة الوجود العظيمة النفع ، مع الإتقان البالغ في التصحيح والدقة .

لا غرابة في ذلك : فإنها مؤسسة رسمية ، تعاقبت الحكومات قبل استقلال الهند وبعده على تقويتها واستمرار إمدادها بما تحتاجه من عون مادي ومعنوي ، حتى تفردَتْ بفضائلها وأعمالها العلمية النافعة ، فجزى الله مؤسسها والقائمين عليها والعاملين فيها خير ما يجزى به المؤمنون المخلصون .

ويأتي بعدها في إحراز هذه الفضائل : « المجلس العلمي » المؤسس في سملك دابهيل — سورت — الهند ، بعون الشيخ الحاج محمد بن موسى ميان ، الذي وهب خيرَ الله عليه إلى خير العلم للناس ، فأسَّسَه — جزاه الله الخير ورعاه — في حياة شيخه شيخ الهند بل شيخ الإسلام وعلومه محدِّث هذا العصر الإمام الأرفيق مولانا محمد أنور شاه الكشميري رحمه الله تعالى .

فقام هذا « المجلس العلمي » بنشر كثير من الكتب العلمية المؤلفة قديماً وحديثاً خير قيام ، ونشَرَ من كتب علوم القرآن والحديث والفقه والعقائد ما بلغ ٣٤ كتاباً ، نخص بالذكر منها الكتاب الكبير الحجم الغزير النفع والعلم كتاب « نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية » للإمام الزيلعي ، الذي طوّق « المجلس العلمي » أعناق العلماء في المشارق والمغارب بإخراجه في أبدع حلة ، وأفضل تحقيق ، وأحدث طباعة . فجزى الله مؤسسَهُ وأعوانَهُ العلماء العاملين خيرَ الجزاء .

وآخر ما أصدره « المجلس العلمي » : كتاب « مُسنَد الحُمَيْدي » الإمام أبي بكر عبد الله بن الزبير القرشي الحميدي المكي ، المتوفى سنة ٢١٩ من الهجرة ، شيخ الإمام أبي عبد الله البخاري صاحب « الصحيح » رحمهما الله تعالى .

وقد صدر منه الجزء الأول محقَّقاً عن أربع نسخ مخطوطة، في طباعة جيدة متقنة، وبتحقيق وتعليق العلامة الكبير المحقق المحدِّث مولانا الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، الذي عرفه علماء بلاد الشام ومصر والمغرب وغيرها من تحقيقاته واستدراكاته النادرة الغالية على العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله تعالى في تحقيقه لكتاب «مسند أحمد».

وقد أتم حفظه الله تعالى صنيعهُ الجميل في إخراج هذا «المسند» أحسن إتمام فرقَّم أحاديثه، وبين ما أخرجه البخاري منها في «صحيحه» وما أخرجه منها غير البخاري، وشرح منها ما يحتاج إلى شرح، وجعل للكتاب فهارس عامة تهدي المراجع بأيسر نظرة إلى طَلِبتِهِ من الكتاب. وبلغت صفحاتُ هذا الجزء الأول بمقدمته وفهارسه ومستدركه ٣٨٢ صفحة.

وإنَّ نشر هذا الكتاب: «مسند الحميدي» يُرينا طرفاً من حلقة هامة من حلقات التأليف للحديث النبوي التي تقدَّمت زمن تأليف «الصحيحين» لا تزال مطوية مغمورة، والكشف عنها يجلِّي للباحثين المصادر التي تدرَّج فيها تصنيف الحديث حتى ظهر «الصحيحان» ثم «السنن الأربعة» وغيرها من كتب الحديث، إذ مما لا ريب فيه أن تدوين الحديث الصحيح مجرداً عما سواه قد مرَّ بمراحل متعددة حتى انتهى إلى المرحلة التي بلغ بها الذروة في التصنيف والتبويب على الوجه الذي نراه في «الصحيحين» وما بعدهما.

فجزى الله «المجلس العلمي» وأعوانه العلماء الذين يسَّروا خروج هذا الأصل العظيم إلى النور وإلى أيدي الناس كل خير.

حلب: عبد الفتاح أبو غدَّة

١ ــ شعراء المعالقة

المطبعة الكاثوليكية ــ بيروت ــ عدد الصفحات (٨٨) عام ١٩٦٢ م .

٢ ــ العلامة المرحوم عيسى اسكندر المعلوف

منشورات مجلة « الرسالة المخلصية » دير المخلص ــ صيدا عام ١٩٦٢ .

أهدى الينا الأديب النابه الأستاذ رياض المعلوف ، نجل العلامة المرحوم عيسى اسكندر المعلوف ، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق سابقاً ؛ هذين الكتيبين وهما :
« شعراء المعالقة ، وحياة العلامة عيسى اسكندر المعلوف » .

أما الكتاب الأول فمجموعة مقتضبة تشتمل على توطئة بقلم رياض المعلوف تحدث بها عن نسب المعالقة وانهم غساسنة ، وأن لهذه العائلة أثراً مذكوراً في التاريخ الاسلامي زمن الخلفاء الراشدين إذ كانوا جنوداً وقواداً ، وانهم دعوا «بني المعيوف» حقبة من الزمن « لاعفائهم من دفع الجزية للدولة» على حد تعبير المؤلف ، بعد التوطئة تجد في الكتاب ذكراً لمجموعة من شعراء المعالقة أولهم الشيخ ابراهيم المنذر المعلوف وآخرهم الدوكتور اسكندر رزق الله معلوف ، وعدد هؤلاء الشعراء واحد وعشرون يضاف اليهم وفق ترتيب الكتاب شعراء المعالقة الرهبان وهم ثلاثة .

ولعل أشهر هؤلاء المعالقة من الشعراء المرحوم فوزي المعلوف شقيق المؤلف ، وشقيقه الآخر شفيق المعلوف ، فقد عرف الأول بقصيدته « شاعر في طيارة » كما عرف الثاني بملحمته « عبقر » وهناك من المعالقة شاعر آخر مشهور هو أديب مظهر المعلوف الذي يعتبر في لبنان مؤسس الشعر الرمزي الذي قلده فيه سعيد عقل وزملاؤه . كما عرف الأدب العربي من المعالقة ، المرحوم العلامة عيسى اسكندر المعلوف وان كان اتجاهه إلى التاريخ ، واللغوي الشيخ ابراهيم المنذر المعلوف .

والكتاب حسن الطبع يعطينا فكرة مختصرة مفيدة عن هذه الاسرة الأدبية التي خدمت الشعر والأدب كما خدمته أسرة البستاني وغيرها من الأسر اللبنانية العريقة في العلم .

أما الكتاب الثاني فهو تاريخ مختصر للعلامة المرحوم عيسى اسكندر المعلوف عضو المجامع العلمية العربية المولود في عام ١٨٦٩ والمتوفى عام ١٩٥٦ .

وقد تضمن الكتاب حياة المؤلف وآثاره وبعض مقالاته .

جاء في الكتاب ان عدد مؤلفات المرحوم عيسى اسكندر المعلوف المطبوعة قد بلغ العشرين ، ومن أهمها تاريخ الطب قبل العرب ، وتاريخ الأمير فخر الدين الثاني المعني ، وتاريخ مدينة زحلة وغيرها كما ذكر المؤلف آثار أبيه المخطوطة وعددها اثنان وستون مخطوطة ، يضاف إلى هذا الثبت الطويل في ذكر ما صححه وما قدم له من كتب .

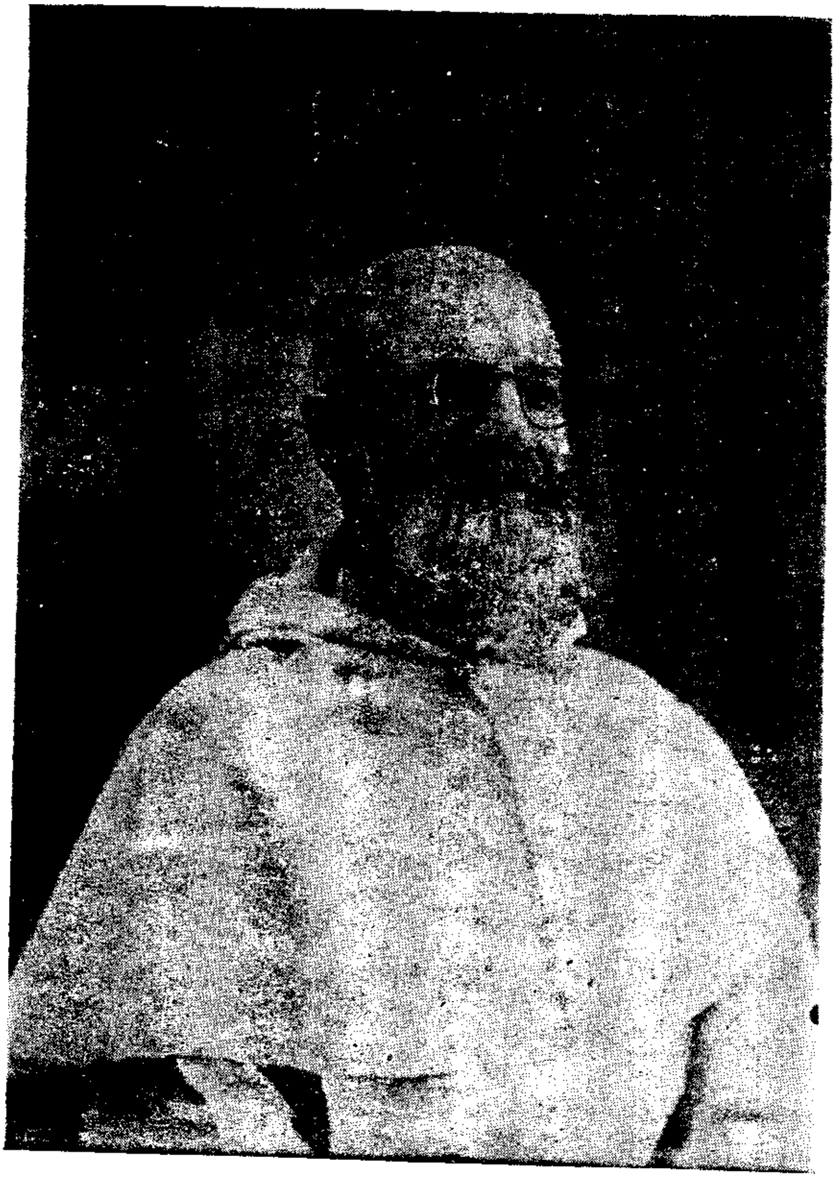
وتعرض المؤلف في آخر هذه الأبحاث الى وصف جامع لوالده العلامة .

وينتهي الكتاب بإثبات بعض مقالات والده ومنها : المراقبة والملاحظة ، وتاريخ الساعة ، وغيرهما من المقالات المفيدة النافعة .

ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق التي تربطها بالفقيد العلامة عيسى اسكندر المعلوف أوثق الروابط تشكر لنجله الأديب الأستاذ رياض المعلوف هديتيه النافعتين .

احمد الجندي

آراء وأنباء



الأب أوغسطين س. مرمرجي الدومينيكي
(١٨٨١ ــ ١٩٦٣ م)

العلامة الأب اوغسطين مرمرجي الدومينيكي في ذمة الله

(١٨٨١ _ ١٩٦٣ م)

حملت إلينا أنباء القدس الشريف نبأ وفاة العلامة اللغوي الأب اوغسطين مرمرجي الدومنيكي على أثر مرض الشيخوخة العضال الذي لم يفارقه حتى يوم وفاته ففي يوم الأحد الموافق (٢٨) نيسان من هذه السنة ١٩٦٣ توفي هذا الأب الجليل في دير الآباء الدومنيكيين في مدينة القدس بعد أن قضى هذه السنوات الأخيرة من حياته في المستشفى وفي مقره في الدير وحتى في هذه السنين المملوءة بالأمراض والأوجاع لم يتقاعس عن المثابرة في البحث والتنقيب فترك لنا مؤلفات جليلة نادرة البحث منها مطبوع ومنها ما زال مخطوطاً بيده في طريقه إلى الطبع . هكذا قست المنون فخطفت هذا العالم الجليل الذي لم يفتر لحظة عن الدرس والبحث والاستقصاء طيلة حياة تربي على الثمانين سنة .

كان مولده سنة ١٨٨١ م وهو ينتمي إلى عائلة عريقة في القدم موصلية النشأة بغدادية الإقامة وهي من العائلات الشريفة في حسبها ونسبها فهو الأب اوغسطين ابن يوسف بن مقدسي جرجس بن شمعون القس حنا . وأمه جميلة ابنة حنا لوزة وكلا الأبوين موصلي المولد بغدادي الإقامة وقد اشتهر أبوه وأمه بالتقى والفضيلة فنشأ وترعرع متسماً بحسن الخلق متشحاً ثوب الفضيلة ينبعث منه نسيم التقوى والورع منذ نعومة اظفاره ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره توسم فيه كل الخير رئيس الأبرشية السريانية في بغداد وقد كان آنذاك المرحوم المطران أغناطيوس نوري فانتدبه لينخرط في سلك الكهنوت فأرسله إلى المعهد الاكليريكي الذي كان للآباء الدومنيكيين في الموصل سنة ١٨٩٤ م وبعد انخراطه في هذا السلك

أصبح مثال الذكاء الخارق والاجتهاد المفرط متزيناً بثياب الفضائل والتقى فاكتسب الشيء الكثير من العلوم الدينية والثقافية والفلسفية واللاهوتية بسيرة فاضلة وأخلاق سامية مما جعله يتفوق على أقرانه من اخوانه التلاميذ فتاقن مختلف هذه العلوم واللغات المتعددة والطقوس الكنسية التي بلغ بها الذروة ، ثم سيم كاهناً سنة ١٩٠٦ م فعاد إلى مسقط رأسه بغداد وأصبح كاهناً عاملاً مجداً لأبرشيته السريانية حيث خدم مدة ستة عشر عاماً كان فيها الكاهن المثالي والأب القدوة فخدم أبناء طائفته خدمة جلى لا تعرف الكلل أو الملل وخاصة في تثقيف الناشئة في مدارس الطوائف المسيحية الكاثوليكية مديراً ومدرساً في مختلف المجالات العلمية واللغوية والفلسفة والدين . وعلاوة على ذلك فقد كان خطيباً مفوهاً صال وجال على المنابر فكان يسحر سامعيه لا يمط إلا بالفصحى أم الضاد التي تبناها والتي شرب مبادئها منذ نعومة اظفارة ثم تعمق فيها كل التعمق فكان خطيباً مصقعاً مرتجلا تتدفق المعاني كالسيل من فيه ، كما كان يستطرق شتى المواضيع فكان بهذا اللسان الذرب والقلم السيال مما يطول شرحه ويكثر اسهابه ، ولم يكتف بهذا القدر بل انكب على المطالعة والبحث والتنقيب فيما يتعلق باللغات السامية وبالأخص العربية فتعمق في أصولها ومشتقاتها بحيث اصبحت له المؤلفات العديدة في ثنائيتها وكذلك مقابلتها بسائر اخواتها من اللغات السامية كالآرامية والعبرية والآشورية وهكذا ظل يواصل الجهد الأدبي والعلمي واللغوي طيلة خمسين سنة من عمره .

مكونه في بغداد :

أقام الأب مرمرجي ستة عشر عاماً ببغداد حيث شغل وهو كاهن وظيفة مدرس ومدير في المدارس المسيحية المعروفة كمدرسة السريان الافرامية ومدرسة القديس يوسف اللاتينية وغيرهما وبالأخص ابان الحرب العظمى الأولى درس

فيها العربية والفرنسية والفلسفة للصفوف العالية فيها وكانت تلك المدة بين سنة ١٩٠٦ و ١٩٢١ ثم ترك بعدها أبرشيته السريانية مستأذناً الرؤساء ليذهب وينخرط في سلك الرهبنة الدومينيكية فسافر من بغداد إلى رومة ومنها إلى فرنسة فدخل ديراً هناك وهو دير التجربة بحسب قانون الرهبنة فقضى فيه سنتين ثم التحق بدير الآباء الدومينيكيين في القدس الشريف فعين هناك أستاذاً للغات الشرقية في المعهد الكتابي والآثاري الفرنسي فمارس هناك الحياة الروحية والأدبية والعلمية حيث اشتهر بتنسكه ناهيك عن دأبه في مواصلة الدراسات والبحوث فبرزت عندئذ مؤهلاته ومقدرته العلمية فازداد انكبابه على البحث والمطالعة ليل نهار دون كلال حتى اضحى في عداد العلماء الأعلام فبدأ كتاباته وبحوثه اللغوية والعلمية مما أكسبه شهرة عالية في دنيا العلم والفضيلة وهكذا استمر على هذا المسلك بدأب ونشاط مدة أربعين سنة ونيف ترك في خلالها مؤلفات سنأتي على ذكرها فريدة في بابها ونادرة البحث ولكن هذا العمل الشاق لم يبق له صحة عند وصوله إلى سن الكهولة المضني فانهارت قواه البدنية وتدهورت صحته وتراكمت عليه الأمراض وانتابته الأسقام دون رحمة فوافاه الأجل المحتوم ملبياً نداء ربه .

اللغات التي أتقنها وعرفها :

كان رحمه الله يتقن عدة لغات شرقية وغربية أعانته في بحوثه وسهلت عليه البحث والاستقصاء فقد كان يحسن العربية والسريانية أي الآرامية والفرنسية واللاتينية فكان يجيدها خطابة وتكلماً وكتابة وتأليفاً مع الإلمام بالتركية والألمانية والانكليزية والعبرية والآشورية ، فأتقن بذلك كثيراً من علم الآشوريات والآثار وكذلك الأكدية البابلية نستدل على ذلك من مطالعتنا لكتبه التي الفها وطبعها بهذه اللغات فأصبح معروفاً لدى علماء الشرق والغرب من متتبعين

ومستشرقين إذ كان له القدح المعلى في العربية التي كان يعتز بها ويعدها أم لغات الشرق فقد ألف وترجم فيها بكل كفاية وجدارة كما انه استنبط الكثير من المصطلحات التي عجز عن صوغها كثير من الباحثين ممن سلكوا مسلكه ·

انتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق ومجمع القاهرة للغة العربية

انتخب العلامة اوغسطين مرمرجي عضواً في مجمع القاهرة للغة العربية نظراً لما له من مكانة علمية في الأقطار العربية الشرقية وكذلك انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق وها هي ذي مجلة المجمع المذكور تغص بمقالاته اللغوية وبحوثه العلمية مع مساجلاته مع خصومه من مناوئي آرائه في ثنائية اللغة العربية التي تبنى على حرفين لا على ثلاثة حروف كما هو شائع ومعروف ان الأصل في الكلمة والفعل انهما ثلاثيا الحروف ·

مؤلفاته :

ان مؤلفاته فريدة للغاية في بحوثها فهي ليست من المؤلفات التي قد تجد ما يماثلها أو ما يشابهها عند بعض المؤلفين اتفاقاً أو عرضاً انما هي مؤلفات قل من طرق أمثالها ان لم نقل لم يطرقها أحد سواه فقد بلغ المطبوع منها ما يزيد على اثني عشر مؤلفاً عدا الرسائل القصيرة والمحاضرات الفريدة النادرة التي لم يقع بأيدينا منها سوى النزر اليسير كما أن المطبوع من مؤلفاته قد نفد معظمه وأول المطبوع من هذه المؤلفات (الدياطسرون) أو الانجيل الرباعي أي الانجيل الموحد لطيطيانوس الذي وضعه بالسريانية وقد ترجم إلى العربية فصحح الأب عربيته واستخرجه إلى الفرنسية معارضاً بالترجمات السريانية القديمة مذيلاً بأناجيلية دياطسرية سريانية مضيفاً إليه أربعة روامز خارج النص طبعه في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٣٥ وهو عمل شاق جداً ·

ثم كتاب (المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية) وهو بحث بديع طريف يرجع بأصل الكلمة العربية إلى الحرفين لا الثلاثة حروف وقد أقام هذا الكتاب ضجة لدى الباحثين اللغويين من السابقين واللاحقين . ثم كتاب (هل العربية منطقية ؟) وكتاب (معجميات عربية سامية) وهذان الكتابان من أطرف الكتب في اللغة ومشتقاتها وألفاظها ورجوعها إلى أصلها السامي ، ثم كتاب (محاضرات مختارات) وهو مجموعة محاضرات ألقاها في بحوث مختلفة كما يدل العنوان على ذلك . ثم كتاب (بلدانية فلسطين العربية) ألفه سنة ١٩٤٨ ثم ترجمه إلى اللغة الفرنسية حيث طبع في باريس . ثم (قواعد اللغة الأكدية الآشورية البابلية) ثم كتاب (ماهية الثنائية الألسنية) وكذلك (المعجم الثنائي الالسني) .

أما المترجمات وهي ترجمات ضخمة فهي أولاً ترجمة كتاب الازائية الانجيلية من تأليف الأبوين لاكرانج ولافيرن الدومينيكيين وهو كتاب ضخم الحجم نقله عن الفرنسية . وثانياً (انجيل يسوع المسيح) من تأليف الأب لاكرانج الدومينيكي عن الافرنسية . وثالثها (ترجمة بلدانية فلسطين العربية) إلى اللغة الفرنسية وذلك بالنظر لشهرة الكتاب في العالم العربي والاوروبي ولا يخفى على القارئ اللبيب ما لهذا العمل الطيب من خدمة وطنية خالصة نحو العروبة ونحو فلسطين العربية .

وهنالك مخطوطات عديدة منها معدة للطبع ومنها لم تطبع بعد كما ان هنالك كثيراً من المؤلفات في مختلف البحوث والمواضيع لم تنجز بعد فعسى أن تخرج الايام لنا هذه المخطوطات وهذه المؤلفات منجزة مطبوعة بهمة المعهد الكتابي والآثاري الفرنسي في القدس الشريف للاحتفاظ بهذا النتاج بل التراث العلمي النفيس الخالد الذي ينفع الناشئة من أبناء الأجيال القادمة الذين يهمهم الاعتزاز بآثار السلف الصالح حلية الماضي ومؤونة الحاضر وذخيرة المستقبل .

هذا هو الأب اغسطين مرمرجي الذي بارحنا إلى عالم الخلود تاركاً لنا فراغاً كبيراً وثلمة لا يستهان بها في بحوث العلم واللغة والتأريخ إذ نحن اليوم في أشد الحاجة لأمثاله ممن يوقفون حياتهم بأسرها للعلم والبحث والاستقصاء والافادة فقد كان رحمه الله مفخرة العراق ولا غرو فهو الذي جعل البلاد العربية كلها جزءاً من وطنه فقد كان عراقي المولد والمنشأ أردني الإقامة صال وجال في المجامع التي انتخب فيها عضواً فتراه تارة في دمشق وأخرى في لبنان وأخرى في مصر على حد قول الشاعر :

اسكندرية داري لو قر فيها قراري
اكن بالشام ليلي وبالعراق نهاري

ألا رحم الله الأب مرمرجي وأسكنه فسيح جنانه في عداد الأتقياء الصالحين وسلام عليه مع الأبرار الخالدين .

بغداد : **يوسف يعقوب مسكوني**

انعقاد المؤتمر التاسع والعشرين

لمجمع اللغة العربية بالقاهرة

عقد مجمع اللغة العربية بالقاهرة مؤتمره التاسع والعشرين ابتداء من يوم الاثنين ١١ شعبان ١٣٨٢ الموافق ٧ يناير ١٩٦٣ ، وانتهى يوم الاثنين ٢٥ شعبان الموافق ٢١ يناير من السنتين .

ولم أحضر الجلسة الافتتاحية لأن رداءة أحوال الطقس حالت بيني وبين السفر في الوقت المحدد . ولكني أستطيع وصفها من محضر الجلسة الذي ذكر انها كانت جلسة علنية ، وأنها عقدت في دار جمعية الاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع (١٦ شارع رمسيس — القاهرة) في تمام الساعة الحادية عشرة صباحا ، وحضرها أعضاء المجمع من الجمهورية العربية المتحدة ومن البلاد العربية الأخرى غير من اعتذروا ، وعدد كبير من خبراء لجان المجمع وأساتذة الجامعات والعلماء والأدباء ورجال الصحافة وغيرهم .

وقد ترأس الجلسة الدكتور عبد الحميد بدوي نيابة عن الرئيس الأستاذ أحمد لطفي السيد المعتذر عن التخلف لحالته الصحية . وكان يعتلي منصة الرئاسة بالاضافة إلى الرئيس سيادة وزير التعليم العالي الدكتور عبد العزيز السيد والأمين العام للمجمع الدكتور ابراهيم مدكور .

وحين افتتاح الجلسة وقف السيد وزير التعليم العالي وألقى كلمة في مهمة المجمع وعلاقتها بالوعي الحاضر للقومية العربية ، ثم تبعه الأمين العام فألقى كلمة في وضع المعجمات وتطور تأليفها في اللغة العربية وغيرها من اللغات وفي أعمال المجمع ، مؤتمره ومجلسه ولجانه خلال العام الماضي . ثم ألقى الأستاذ محمد رضا

الشبيبي من العراق كلمة في صدى المجمع في البلاد العربية ، وانفضت الجلسة في منتصف الساعة الواحدة بعد الظهر .

ومن الغد الذي هو يوم الثلاثاء ١٢ شعبان و ٨ يناير انعقد المؤتمر بمقره في شارع مراد بالجيزة في تمام الساعة الحادية عشرة ، وابتدأ جدول أعماله بالنظر في مصطلحات الطب الشرعي التي أقرها مجلس المجمع . وكان الذي عرضها على المؤتمر هو الدكتور محمد أحمد سليمان ، وقد أخبر بأن لجنة الطب بالمجمع هي التي أعدتها وعرضتها على المجلس في جلسات متوالية وهي تقع في ١٤ صفحة كبيرة وتبلغ ٢٥٢ مصطلحاً .

وطالت مناقشة هذه المصطلحات وكان في جدول الأعمال القاء بحث حول طبيعة الشعر العربي للدكتور عبد الله الطيب عضو السودان ، فجرت مداولة في منهج المؤتمر انتهت بأن يبقى على ما كان من عرض المصطلحات الجديدة اولاً للمناقشة ثم تخصيص ثلث ساعة لكل محاضر لالقاء بحثه أو تلخيصه إن كان طويلا .

فووفق على الصفحات الخمس الأول من مصطلحات الطب الشرعي بعد تعديل في بعضها . وألقى الدكتور عبد الله الطيب بحثه الذي نوه به الرئيس وشكره عليه . وارفضت الجلسة بعد أن جاوزت الساعة منتصف الثانية ظهراً .

ولم ينعقد المؤتمر يوم الاربعاء الموالي ، إذ قام الأعضاء بزيارة المعهد القومي للبحوث .

وفي يوم الخميس ١٤ شعبان و ١٠ يناير اجتمع المؤتمر بمقر المجمع على العادة في الساعة ١١ برئاسة الأستاذ أحمد حسن الزيات لتخلف الدكتور عبد الحميد بدوي ، وكان جدول الأعمال يحتوي على مصطلحات في الجيولوجيا وبحث في عَلَم الجنس لكاتب هذه السطور وبحث في عبارة (مما أن تفعل) للأستاذ أمين الخولي .

وقد تولى عرض المصطلحات المذكورة على المؤتمر خبير اللجنة الدكتور محمد يوسف ، وهي تقع في ٢٨ صفحة كبيرة وتبلغ ٣٠٥ مصطلحات وقد نوقشت من طرف الأعضاء ، وأدخل تعديل على بعضها ثم أقرت طائفة منها في النهاية ، وشكر الرئيس لجنة الجيولوجيا على ما بذلته من مجهود كبير في وضع هذه المصطلحات .

ثم ألقى الأستاذ أنيس المقدمي من لبنان بحثاً له عن الكلمات الانكليزية العربية الأصل وذلك عوض بحث علم الجنس لكاتب هذه السطور الذي لم يكن وصل بعد إلى القاهرة . ونوقش البحث مناقشة موضوعية واقترح بعض الأعضاء الاهتمام بمثل هذا البحث في الكلمات العربية التي دخلت اللغات الأجنبية الأخرى ، إذ كان الذي درج عليه البحاث العرب هو بحث الكلمات الأجنبية التي دخلت العربية .

وبعد شكر الأستاذ المقدمي صاحب البحث ألقى الأستاذ أمين الخولي بحثه في عبارة (مما أن تفعل) ، وكان مما جاء فيه الاشارة إلى أن المحدثين كرهوا النطق بويه في مثل اسم سيبويه لأنه يشعر بالحزن والألم فنطقوه بضم الموحدة وسكون الواو وفتح التحتية وأبدلوا الهاء بفوقية يوقف عليها بالهاء . فعقب عليه الأستاذ حامد عبد القادر بأن سيبويه معرب سيبويه (كما ضبطه الباحث ولكن بهاء) سمي بذلك لأن وجهه كان مشرباً بحمرة كالتفاح الأحمر . ثم قال والفرس يلحقون بالاسم الذي من هذا النوع واواً ساكنة في باء مفتوحة فهاء صامتة . وذلك لافادة النسب كما في ماهويه وشاهويه وشيرويه الخ . وربما اكتفوا بالواو الساكنة فقالوا شاهو وشيرو . فاذا عرب الاسم الذي من هذا النوع تفتح الواو وتسكن الياء وتظهر الهاء فيقال سيبويه وراهويه ونفطويه ومسكويه الخ . ولأن

صاحب القاموس لم يطلع على هذه القاعدة قال ان سيبويه معناه رائحة التفاح فأصله سيب ويه ، فحذفت منه احدى الباءين فجاء مخالفاً لنظائره .

وفي يوم السبت ١٦ شعبان و١٣ يناير الجاريين عقد المؤتمر جلسته الرابعة في الوقت المعتاد برياسة الأستاذ محمد رضا الشبيبي ، فعرض عليه أول الأمر مواد من معجم القرآن الكريم . وكانت تحتوي على بقية حرف الشين ، وتقع في ٣١ صفحة كبيرة ، وقد وقعت مناقشتها من طرف الأعضاء ، وتعرض المنهج المتبع في وضع هذا المعجم لغير قليل من المناقشة ، وعبر بعض الأعضاء عن استنكارهم لوضع هذا المعجم من أصله وعدم فائدته لأن الكتب التي تعرضت لتفسير ألفاظ القرآن كثيرة فضلاً عن التفاسير الكبرى التي استوعبت أو كادت أن تستوعب الدلالات المختلفة للألفاظ القرآنية . ولكن الأغلبية من اعضاء المؤتمر أثنوا على مجهود لجنة المعجم ونوهوا بفائدته وانه بعد اكماله سيكون خير معين على فهم القرآن الكريم وتفسير ما غمض من معانيه مراعى في ذلك تطور المعارف وتقدم العلم في العصر الحديث . وبعد ذلك ألقى كاتب هذه السطور بحثه عن علم الجنس ويتناول انفراد اللغة العربية به وأصل وضعه وهل هو مقصور على السماع ودلالته على عبقرية الفكر العربي وأقسامه وأمثلة لكل قسم والتحقيق في معناه هل هو من قبيل اسم الجنس النكرة أو المعرف بلام الحقيقة وغير ذلك من الأحكام ، وقد نوه الرئيس بهذا البحث وناقش بعض الأعضاء جوانب منه ورد صاحبه على ذلك . ثم ألقى الأستاذ عبد الحميد حسن بحثه عن المرونة في اللغة العربية ، وقد تعرض فيه للمراحل التي مرت باللغة منذ نشأتها في عصر الجاهلية واستقرار أوضاعها بعد نزول القرآن ثم تدوينها في عهد انتشار العلم وتقعيد قواعدها وتنميتها بالقياس وما إليه إذ كانت قابليتها عظيمة للتوسع والتفرع واستطرد ذكر بعض المسائل التي وقف

منها اللغويون المتقدمون موقف التحفظ فدعا إلى التسامح والتيسير فيما له وجه من ذلك ولو كان بعيداً ، ونوه الرئيس ببحث الأستاذ حسن وناقش الأعضاء جوانب منه ولا سيما ما يتعلق بمخالفة القواعد المقررة ، فمن موافق ومن مخالف . وأحيل البحث بعد ذلك إلى لجنة الأصول . ورفعت الجلسة في الساعة الثانية بعد الظهر .

ولم يجتمع المؤتمر يوم الأحد واقتصر أعضاؤه على زيارة التليفزيون العربي

وفي يوم الاثنين ١٨ شعبان و ١٤ يناير استأنف المؤتمر اجتماعه برياسة الأستاذ محمد رضا الشبيبي . وقد عرضت على الأعضاء مواد من المعجم الكبير ، وهي تقع في أكثر من ١٥٠ صفحة كبيرة فناقشوها مناقشة موضوعية وتعرض الأستاذ محمد بهجة الأثري لنقد منهج المعجم من أصله فعقب عليه الأستاذ عباس محمود العقاد واكتُفِي بتعقيبه في الموضوع ، على أن الأمين العام للمجمع الدكتور ابراهيم مدكور دعا إلى عقد جلسة خاصة من أعضاء المؤتمر ولجنة المعجم الكبير للنظر في المنهج الذي سارتْ عليه اللجنة والمذاكرة في ذلك حتى تتلاقى وجهات النظر المختلفة ولا يعود الأعضاء للتعرُّض لهذا المنهج كلما عرضت عليهم مواد جديدة في المعجم ، فووفق على ذلك وعقدت هذه اللجنة بالفعل صباح يوم الأحد من الأسبوع التالي وتبودلت الآراء في عدة مسائل مما يتعلق بالمنهج ثم تفرق الأعضاء على وفاق . أما فيما يتعلق بمواد المعجم المعروضة فقد كان مقرر اللجنة الأستاذ عبد الحميد حسن يجيب عن الملاحظات الموجهة إلى تلك المواد فيقبل ويرد . وانتهى الأمر بشكر اللجنة على عملها العظيم الذي تضطلع به في وضع معجم العربية الكبير ، ولم تلق أية محاضرة لاستغراق الوقت في المناقشة المذكورة . ورفعت الجلسة حوالي منتصف الساعة الواحدة .

وانعقدت الجلسة السادسة يوم الثلاثاء ١٩ شعبان و ١٥ يناير في الساعة المحددة برياسة الدكتور عبد الحميد بدوي . وقد افتتحت ببعض المراجعات البسيطة في محضري الجلستين السابقتين ، وبعد الموافقة عليها ألقى الأستاذ محمد رضا الشبيبي بحثه عن العلاقات الثقافية بين مصر والعراق في القديم وكان قد تأخر القاؤه في جلسة الأمس لضيق الوقت فبدئ به . ثم عرضت على الأعضاء لائحة بأسماء العناصر الكيميائية التي أقرها مجلس المجمع فوقع النظر فيها وتعديل بعضها . وعرضت بعدها مصطلحات الكيمياء التي وضعتها لجنة الكيمياء والصيدلة بالمجمع وذلك بحضور خبير اللجنة الأستاذ سيد مسلم وهي تبلغ ٣٣٣ مصطلحاً وتقع في ٣٠ صفحة وقد نوقشت بمنتهى الدقة وبملاحظة عدم التشابه مع مصطلحات أخرى علمية أو طبية قريبة منها وبعد اقرارها عرضت على المجلس مصطلحات التأمين التي وضعتها لجنة القانون بالمجمع وذلك بحضور خبير اللجنة الدكتور سامي مدكور وهي تقع في ١٣ صفحة وعددها ١١٣ مصطلحاً . وقد أقرت كذلك بعد المناقشة وادخال تعديلات على بعضها . وكان في جدول الأعمال بحث الأستاذ نظير زيتون عضو المجمع المراسل من لبنان حول الممنوع من الصرف فاقترح الرئيس احالته على لجنة الأصول لما لم يتأت القاؤه فووفق على ذلك . ثم اقترح ارسال برقية لرئيس المجمع الأستاذ أحمد لطفي السيد لتهنئته ببلوغه الحادية والتسعين من العمر في ذلك اليوم فووفق على ذلك . ورفعت الجلسة بعد الواحدة ظهراً .

ولم يجتمع المؤتمر يوم الأربعاء ٢٠ شعبان ١٣٨٢ الموافق ١٧ يناير ١٩٦٣ لقيام الأعضاء بزيارة هرم سقارة ومصنعي التكرير والتقطير بالحوامدية التابعين لشركة السكر .

وفي يوم الخميس عقدت الجلسة السابعة برياسة الدكتور عبد الحميد بدوي وكان أمام المؤتمر عدة بحوث وقوائم للمصطلحات ، فوقع تعديل في جدول أعمال الجلسات أدى إلى عدم القاء أبحاث الأعضاء الذين لم يحضروا والاكتفاء بنشرها ومنها بحث الأستاذ نظير زيتون الذي سبقت الإشارة اليه ، وبحث الأستاذ علي الفقيه حسن من ليبيا وعنوانه صقلية ابان الحكم العربي وكذلك أعرب الذين قدموا أكثر من بحث وان كانو مسجلين في الجدول عن رغبتهم في الاستماع إلى زملائهم الآخرين الذين لم تتح لهم الفرصة بعد لالقاء أبحاثهم وكنت أنا والزميل الدكتور عبد الله الطيب ممن قدم بحثين للمؤتمر ، وقد ألقينا معاً واحداً منهما وبقي بحثي السليقة عند العرب المحدثين وبحثه الأثافي والرماد والحمام فأخرناهما عن رضا وطيب نفس وكذلك أخر الأستاذ قدري حافظ طوقان من الاردن بحثه برغم حضوره وعنوانه التعاون بين العلماء العرب في البلاد العربيه . وشرع الأعضاء في مناقشة مصطلحات علم الضوء التي قدمت اليهم وهي تقع في ١٣ صفحة وتبلغ ١٣٥ مصطلحاً وقد قدمها الأستاذ مصطفى نظيف المعروف بأبحاثه في الموضوع ودراسته القيمة عن ابن الهيثم وبعد الانتهاء من المناقشة شكر الأستاذ لجنة الطبيعة على ما بذلته من مجهود موفق في المصطلحات التي عرضت . ثم ألقى الأستاذ ابراهيم عبد المجيد اللبان بحثه في موضوع البلاغة وعلاقتها بالنقد الأدبي الحديث . وشكر الرئيس الأستاذ على بحثه المفيد بعد انتهائه من القائه ودعا الأعضاء إلى التعقيب عليه إذا كان لهم فيه نظر فعقب عليه الأستاذ عباس محمود العقاد بكلمة ضافية واكتُفي بها . ثم ألقى الدكتور ابراهيم أنيس بحثه عن أصوات اللغة عند ابن سينا ، وكان بحثاً ممتعاً طريفاً شكره عليه الرئيس وعلق عليه بعض الاعضاء . وانتهت الجلسة بعد الساعة الواحدة ظهرا .

وكان يوم الجمعة يوم عطلة فلم يجتمع المؤتمر .

ثم استأنف عقد جلساته يوم السبت ٢٣ شعبان و ١٩ يناير . وكانت هذه هي الجلسة الثامنة عرض فيها جانب من المعجم الفلسفي الذي تضعه لجنة العلوم الفلسفية والاجتماعيه . وتولى العرض مقرر اللجنة الدكتور ابراهيم مدكور . ويقع ما عرض من هذا المعجم في ١٩ صفحة كبيرة محتوية على ١٣٧ مصطلحاً تبدأ كلها بحرف (A) وبعد مناقشة الأعضاء لهذه المصطلحات كان مقرراً عرض مصطلحات في التربية وعلم النفس ولكن لجنتها سحبتها واثر ذلك القى الأستاذ محمود تيمور بحثه عن ألفاظ الحضارة لعام ١٩٦٣ والأستاذ معني بهذه الناحية من المصطلحات التي يتتبعها في الكتب والصحف والمجلات ونشرات المصالح الادارية والحكومية فيأتي من ذلك كله بالنتائج الطيبة . وقد أخرج في ذلك معجماً مفيداً باسم معجم الحضارة ، ولا يزال يوالي بحثه في الموضوع بهمة ونشاط عظيمين وقد روجع في بعض ما عرض من الألفاظ والمصطلحات وسجل ذلك بعناية تامة ليفرغ بحثه في الصيغة النهائية بعد ذلك ، ثم عرضت على المجلس قرارات لجنة الأصول من طرف مقرر اللجنة الأستاذ أمين الخولي وهي : قرار يتعلق بكتابة الأعداد من ثلاث الى تسع مفصولة عن مئة في حالة الاجتماع وحذف الف مائة فترسم هكذا ثلاث مئة أربع مئة الخ . وقد وافق المؤتمر على ذلك [1] . وقرار يتعلق بكتابة الألف اللينة ألفاً باستثناء ألفاظ على وبلى وإلى وحتى ومتى وأنى [2] . وموضوع هذا القرار

(١) في محضر الجلسة الثامنة للمؤتمر جاء القرار على الصورة الآتية : « يوافق المؤتمر على أن تفصل الأعداد من ثلاث إلى تسع عن مئة فتكتب هكذا : ثلاث مئة ، أربع مئة .. إلى تسع مئة » . (لجنة المجلة)

(٢) جاء القرار في المؤتمر على الصورة الآتية : « ١ ـ تيسيراً للاملاء يرى المجمع أن الألف اللينة في الثلاثي تكتب ألفاً مطلقاً الا ما استثني من الحروف (على ، بلى إلى ، حتى ، متى ، أنى) . ٢ ـ الألف اللينة في غير الثلاثي تكتب ياء مطلقا » . وهذا الموضوع هو الذي انتهت المناقشات في المؤتمر إلى اعادته إلى لجنة الأصول ، وقد بين الأستاذ عارف النكدي رأيه فيه في هذا العدد من مجلتنا . (لجنة المجلة)

طالما نوقش من طرف الهيآت العلمية وأساتذة اللغة العربية في المعاهد والكليات وقدمت به مقترحات في بعض المؤتمرات الثقافية ونال عناية كبيرة من البحث والدرس وكانت الآراء تختلف فيه بين موافق ومخالف ، وقد تعرض كذلك لمناقشة حادة في مؤتمر المجمع بين الذين يميلون إلى التساهل في قواعد املاء اللغة العربية والذين يتمسكون بالمحافظة على ما هو ضروري من هذه القواعد وله أساس من النظر العلمي ، ونظراً لطول المناقشة وعدم الانتهاء فيها إلى نتيجة ايجابية عرض الرئيس القرار على التصويت وأخذت الأصوات بأسماء أصحابها فكانت الأغلبية في جانب المتساهلين ولكن بنسبة ضئيلة وكان كاتب هذه السطور في جانب المحافظين ومن الغريب أن أكثر المصوتين بالموافقة على هذا القرار كانوا من رجال اللغة والأدب والذين صوتوا ضده أكثرهم من رجال العلم ولم تنته المعركة بعد هذه الجلسة فان أحد الأعضاء وهو الدكتور عبد الحليم منتصر اختصاصي علم النبات وعميد كلية العلوم بجامعة عين شمس في مصر سابقاً ومدير جامعة الكويت الفتية الآن بما انه لم يحضر هذه الجلسة أثار المسألة في الجلسة الختامية التي عقدت يوم الاثنين وكانت خاصة بالمقترحات والتوصيات وأبى الرئيس أن يعود المجلس إلى المذاكرة في أمر فرغ منه ولكن الأصوات علت من كل جهة بالمطالبة بإعادة النظر في القرار وتحت ضغط الجانب المعارض لم يسع المؤتمر إلا أن يعيد القرار إلى لجنة الأصول . والذي يثير الاعجاب في هؤلاء العلماء المختصين والدارسين باللغات الأجنبية هو تضلعهم في اللغة العربية وغيرتهم عليها مما ينبغي أن يكون قدوة لغيرهم من المستعجمين القاصرين .

ثم عرض قرار آخر في قياس اشتقاق «فَعِلَ» من اسم العضو للدلالة على اصابته

كجَلَدَهُ ورَأَسهُ وبطَنَهُ وصَمَخَهُ بمعنى أصاب جلده ورأسه وبطنه وصماخه، فوقعت الموافقة عليه[1].

ثم قرار آخر في قياسية صِيَغ لاسم الآلة. وقد كان المجمع أقر من قبل صيغة فعّالة كثلاجة إضافةً إلى الصيغ الثلاث المعروفة لاسم الآلة في العربية. والذي عرض على المؤتمر من ذلك في هذه الجلسة هو ثلاث صيغ أخرى: فِعَال كإراث لما تؤرث به النار أي توقد، ولحاف ورِباط ونحوها. وهذه قد قال بعض القدماء بقياسيتها. وفاعِلة مثل سانِية، وفاعُول مثل ساطور. وقد وافق المؤتمر على هذا القرار أيضاً[2]. وانفضت الجلسة فيما بعد الواحدة[3].

وصباح يوم الأحد الموالي عقدت جلسة خاصة من لجنة المعجم الكبير وبعض

---

(١) جاء في محضر الجلسة الثامنة للمؤتمر أن قرار لجنة الأصول الذي وافق المؤتمر عليه هو: «كثيراً ما اشتق العرب من اسم العضو فعلاً للدلالة على اصابته. وقد نص «أبو عبيد» على أن ذلك عام فيما يُشكى منه في الجسد، وكذلك نص «ابن مالك» في التسهيل على أنه مطرد، وعلى هذا ترى اللجنة قياسيته». (لجنة المجلة)

(٢) نصُّ القرار في محضر الجلسة الثامنة للمؤتمر: «يضاف إلى الصيغ الثلاث المشهورة لاسم الآلة وهي: مِفْعَل ومِفعلة ومِفعال، وفَعّالة التي أقر مجلس المجمع قياسيتها من قبل صيغ أخرى هي: ا ــ فِعَال مثل إراث، ب ــ فاعِلة مثل ساقية، ج ــ فاعُول مثل ساطور. وبهذه تصبح الصيغ القياسية لاسم الآلة سبع صيغ». (لجنة المجلة)

(٣) وافق المؤتمر أيضاً على ما يلي: «أقر المؤتمر جواز الاشتقاق من الاسم الجامد العربي، والاسم الجامد المعرّب حسب القواعد التي وضعتها اللجنة». أي لجنة الأصول. وهذه القواعد تستوقف النظر وقد ذكرناها بعد هذا المقال. (لجنة المجلة)

أعضاء المؤتمر للتداول في منهج المعجم كما سبق القول . ثم عقدت الجلسة العادية للمؤتمر وهي التاسعة وقد عرض أثناءها على الأعضاء بقية مصطلحات الطب الشرعي التي كانت أجلت في الجلسة الثانية فاستؤنفت مناقشتها ؛ ثم ألقى الأستاذ حامد عبد القادر بحثه في تطوير رسم الحروف العربية وكان بحثاً مفيداً علل فيه زيادة بعض الحروف في رسم بعض الكلمات العربية بالنظر إلى نطقها أو كتابتها في اللهجات القديمة أو اللغات السامية الأخرى غير العربية كواو عَمْرو التي زيدت للفرق بينه وبين عُمَر مع أنها من بقايا الرسم الموافق للنطق القديم للكلمة الذي كان ينتهي بواو قبلها ضمة ؛ وهكذا تكلم أيضاً على حذف بعض الحروف في رسم بعض الكلمات الأخرى كألف لكن وإله ونظائرهما ، ودعا إلى تطوير قواعد الرسم في العربية بحسب نطق الكلمات من غير مراعاة لأي اعتبار آخر . وقد وافق الأعضاء على جل الاصطلاحات التي اقترحها الأستاذ وأثنى الرئيس على بحثه وإن كانت دعوته إلى كتابة المصحف بحسب قواعد الرسم المتبعة لاقت معارضة شديدة مما يدل مرة أخرى على روح الحفاظ والغيرة المتمكنة من أعضاء المجمع والتي تبرز كلما أريد المس بما له حرمة دينية أو قومية ..

وقد تعرض الأعضاء أثناء ذلك لما رُوي عن الإمام مالك من جواز التخفف في الأمر عند تعليم القرآن للصبيان وكتابته في الألواح ، ولكنهم كانوا مجمعين على أن ذلك شيء ورسم المصحف الذي تجب المحافظة عليه شيء آخر .

وانتهت الجلسة في وقتها المعتاد وأقام المجمع حفلة استقبال كبرى مساء اليوم نفسه بفندق هلتون تكريماً لوفود البلاد العربية من أعضائه حضرها عدد كبير من رجال العلم والأدب .

وفي يوم الاثنين ٢٤ شعبان و ٢١ يناير أنهى المؤتمر أعماله بعد جلسه خصصها للاقتراحات والتوصيات ، ولم يعرض فيها شيء جدير بالتسجيل للقراء ، وانما ألقيت فيها كلمات شكر ووقع التأكيد على بعث أعمال المجلس إلى الأعضاء قبل انعقاد المؤتمر بوقت كاف لدراستها ، إلى أشياء أخرى من هذا القبيل ، وودع الأعضاء بعضهم بعضاً على نية الاجتماع ان شاء الله في العام المقبل شاكرين لحكومة الجمهورية العربية المتحدة حسن ضيافتها واكرامها لهم ولإدارة المجمع ما تقابلهم به من حفاوة وترحيب .

عبد الله كنون

جواز الاشتقاق من الاسم الجامد

من القرارات التي وافق عليها مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الجلسة الثامنة للدورة التاسعة والعشرين (١٩٦٢ — ١٩٦٣) القرار الآتي :

« أقر المؤتمر جواز الاشتقاق من الاسم الجامد العربي ، والاسم الجامد المعرب حسب القواعد التي وضعتها اللجنة » ، أي لجنة الأصول .

وراجعنا هذه القواعد في محضر الجلسة فوجدنا أن الجلسة بدأت بذكر مضمون القرار الذي كان المجمع أقره في الدورة الأولى وهو « جواز الاشتقاق من أسماء الأعيان ، للضرورة ، في لغة العلوم » .

ثم سردت اللجنة مذكرة في هذا الموضوع للعضو الدكتور ابراهيم أنيس ، وبحوثاً للأعضاء المرحومين الشيخ أحمد الاسكندري والشيخ حسين والي والشيخ محمد الخضر حسين والشيخ ابراهيم حمروش والأستاذ علي الجارم .

ثم انتهت إلى اتخاذ القواعد الآتية وهي المشار إليها في قرار المؤتمر :

قواعد للاشتقاق من الجامد

أولاً – في الاسم الجامد العربي :

١ – إذا أريد اشتقاق فعل ثلاثي لازم من الاسم العربي الجامد الثلاثي مجرده ومزيده ، فالباب فيه (نَصَرَ) ، ويعدّى إذا أريدت تعديته بإحدى وسائل التعدية كالهمزة والتضعيف .

٢ – أما إذا أريد اشتقاق فعل ثلاثي متعدٍ فالباب فيه (ضَرَبَ) .

٣ – وفي كلتا الحالين يُستأنس بما ورد في المعجمات من مشتقات للأسماء العربية الجامدة لتحديد صيغة الفعل؟ تبعاً لما ورد من هذه المشتقات .

٤ – ويُشتق الفعل من الاسم العربي الجامد غير الثلاثي على وزن فعللَ متعدياً وعلى وزن تفعللَ لازماً .

٥ – وتؤخذ المشتقات الأخرى من هذه الأفعال على حسب القياس الصرفي .

ثانياً – في الاسم الجامد المعرّب :

٦ – ويُشتق الفعل من الاسم الجامد المعرّب الثلاثي على وزن فَعَّلَ بالتشديد متعدياً ، ولازمه تفعّلَ .

٧ – ويُشتق الفعل من الاسم الجامد المعرّب غير الثلاثي على وزن فعللَ ولازمه تفعللَ .

٨ – وفي جميع هذه المشتقات يقتصر على الحاجة العلمية ، ويُعرض ما يوضع منه على المجمع للنظر فيه . انتهى .

قلنا : الفقرة الأخيرة هذه مهمة جداً ، فاشتقاق الأفعال من الأسماء الجامدة من أدق الاشتقاقات وأخطرها فلا يجوز أن يتصرف بها كل مؤلف على هواه .

(المجمع)

تسهيل الاملاء !...

كنت قرأت في مجلة الأديب البيروتية :

... قرّر المجمع اللغوي بالقاهرة لتيسير الإملاء ، كتابة الألف المقصورة ألفًا (كذا) أي كتابة : الفتَا رَمَا الكرَا ، بدل : الفتى رمى الكرة ! .

فما صدقت ما قرأت . إذ مثل هذه الخطرات إذا جاز أن تعرض لرجل فرد ، فهي مما لا يجوز أن تصدر عن مجمع لغوي ، ولا سيما مجمع مصر ، وفيه من أعلام اللغة من فيه .

لذلك بعثت إلى المجمع العلمي العربي بدمشق ، أسأله : هل صحيح ، هذا الذي نشرته مجلة الأديب ؟

فأرسل إليّ بجواب أتاه وهذه خلاصته :

* * *

من أبحاث جلسة يوم السبت في ٢٢ من شعبان سنة ١٣٨٣ و ١٩ من يناير سنة ١٩٦٣ :

« ... ثم عُرضت على المجلس قرارات لجنة الأصول من طرف[1] (كذا) مقرر اللجنة الأستاذ أمين الخولي وهي :

(١) « عُرض من طرف فلان » في أصله تعبير أجنبي . (De la part de) (من قِبَل ..) يقوله الذين غلبت عليهم الفرنسية إذا نقلوا عنها : « عُمِل هذا من قبل فلان » بدلاً من أن يقولوا : (عمله فلان) .
وزاد الترك على هذا التعبير بلاء آخر : (عُمِل هذا من طرف فلان ، و (نُظم التقرير من طرف الطبيب) ؛ ومن حوله : (صار الذهاب إلى محل كذا) الى أمثال هذه التعبيرات التي لا تستسيغها العربية .
إن إقامة الجار والمجرور مقام الفاعل ، أو نائب الفاعل ، إن جازت فللضرورة وعلى ضعف . إلا أن تكون لغرض من الأغراض البيانية ، كالحصر ، وكالتوكيد ، والتقوية ، كقوله تعالى : (ما جاءنا من بشير ، وكفى بالله شهيداً) .
وأما (من طرف مقرر اللجنة) فليس منه .

قرار يتعلق بكتابة الأعداد من ثلاث إلى تسع مفصولة عن (مئة) في حالة الاجتماع[١] ، وحذف ألف (مائة) ، فترسم هكذا : (ثلاث مئة) و (أربعمئة)[٢] .

وقرار يتعلق بكتابة الألف اللينة (ألفًا) باستثناء ألفاظ :

(على) و (لي) و (إلى) و (حتى) و (متى) و (أنى) .

وقد تعرض القرار الأخير لمناقشة حادة في مؤتمر المجمع ، بين الذين يميلون إلى التساهل في قواعد املاء اللغة العربية ، والذين يتمسكون بالمحافظة على ما هو ضروري من القواعد ، وله أساس من النظر العلمي .

ونظراً لطول المناقشة وعدم الانتهاء فيها إلى نتيجة إيجابية ، عرض الرئيس القرار على التصويت ، وأخذت الاصوات بأسماء أصحابها ، فكانت الأغلبية في جانب المتساهلين ، ولكن بنسبة ضئيلة .

---

(١) كتابة (مئة) منفصلةً عن العدد قبلها ، لا يحتاج إلى قرار ، فكثيرون يكتبون (مئة) منفصلة ، من قبل صدور قرار المجمع . ومَن كتبها من قبل ، ويكتبها اليوم متصلةً ، فقد يفعل ذلك للاختصار ، أو يجعلها كالكلمة الواحدة لكثرة دورانها على الألسنة ، أو تشبيهاً لها بأحد عشر إلى تسع عشر .

وقولهم (ثلثمائة) أو (ثلاث مئة) باضافة أدنى العدد الى الواحد ، خرّجوه على ما في (المئة) من الدلالة على الجمع . وهو تعليل بعيد ، قضى به ، أنها هكذا وردت ، وإلا لكان عليهم أن يقولوا (ثلاثة الف) فان في (الألف) من الدلالة على الجمع أكثر مما في (المئة) . وهو ما لم يقولوه .

ومن الحق أن تقدر ما للسماع من أثر في النفس وفي السمع ، فاننا نستسيغ (ثلاث مئة) ولا نستسيغ (ثلاثة ألف) ، بل نجد من الخفة على الأذن في قولنا (ثلاث مئة) على شذوذه ، ما لا نجده في قولنا (ثلاث مئات) أو (ثلاث مئين) وإن كان المقيس ، لقلة وروده .

(٢) حذف الألف من (مائة) في محله . فلا وجه في قواعد الإملاء لإقحام هذه الألف . وقد يكون السبب في زيادة هذه الألف التفريق بين (مئة) و (منه) يوم لم يكن النقط مستعملاً . فقد كان يلتبس (أخذ منه) بلا تنقيط بـ (أخذ مئة) .

وكان من الغائبين عن هذه الجلسة الدكتور عبد الحليم المنتصر . فلما حضر الجلسة الختامية التي عقدت يوم الاثنين ، وكانت خاصة بالمقترحات والتوصيات ، أثار هذه المسألة ، فأبى الرئيس أن يعود المجلس إلى المذاكرة في أمر فُرغ منه ، ولكن الأصوات علت من كل جهة بالمطالبة باعادة النظر في القرار ، وتحت ضغط الجانب المعارض ، لم يسع المؤتمر إلا أن يعيد القرار إلى لجنة الأصول » .

لعل البحث في تسهيل الإملاء العربي ، يُعَدُّ من أغرب الأمور ، وأبعدها عن خدمة اللغة العربية .

قد يكون في العربية بعض ما في سائر اللغات من صعوبة وشذوذ . ولا اعتراض على تسهيل ما يجب تسهيله ، وتصحيح ما يجوز تصحيحه ، فاللغات كلها لم توضع أولَ ما وضعت ، وضعاً علمياً على قواعدَ صحيحة ، وانما وضعت محاكاة واتفاقاً ، وكانت غاية أمرها أن تكون واسطة تفاهم ، وللتعبير عن مقاصد أصحابها . فإذا أريد التسهيل فمحله في غير الإملاء . فالعربية تمتاز بوضوح إملائها ، وبأنه قائم على قواعد ثابتة ، يسهل فهمها وحفظها ، هذا إلى أصالة في حروفها ، وضبط في مخارجها .

فحروفها هي هي لفظاً ونطقاً ، لا تتبدل بتبدل الكلمات ، واختلاف المواقع ، كمثل ما يقع في غيرها من اللغات [1] .

---

(١) الحروف العربية لفظها واحد . فليس يختلف الحرف العربي لفظاً باختلاف الكلمات ، وفي اختلاف موضعه منها . فالألف (ألف) أين وقعت ، والثاء (ثاء) والسين (سين) والدال (دال) وهكذا .

وليس الأمر كذلك في غيرها من اللغات . فالافرنسية وهي من أكثر اللغات الأوربية دقة ، وقد بولغ في تهذيبها وتمحيصها ، وكانت لغة العلم والسياسة يوم كانت دولتها قطب أوربة ومدار سياستها (L'equilibre de l'Europe) .

هذه اللغة أول حرف منها (a) يلفظ كالألف عندنا ، و (e) وهو كالألف اللينة . وما ننتهي من هذين الحرفين وتتفهم لفظها ، حتى نقع في كلمات ينقلب فيها اللفظ ، —

وإذا لم يكن من مصلحة اللغة أن يجمد أبناؤها على التقيد بالقديم تقيداً مطلقاً ، لا لشيء الا لأنه قديم ، وإن كان في الحديث ما هو خير وأصلح ، فليس من مصلحة اللغة أن نغير وجهها وأساليبها ، فنبرزها كل برهة من الزمن ، في ثوب مرقط ، بل مرقع ، يباعد بين حاضرها وغابرها ، بل يمزق وحدتها ، ثم يعفي آثارها .

فالتعرض لمثل هــذه البحوث الشائكة الهدامة من مثل : (الغاء الإعراب) و (ترك التثنية) و (استعمال اللغة العامية) و (كتابة الهمزة) و (تسهيل الإملاء) و (إحلال بعض الحروف محل بعضها الآخر) لتقارب مخارجها على زعمهم : كجعل

— فاذا هذه الـ (a) المفخمة يرق لفظها فتصبح (e) ، وإذا بكلمات أخرى يخطئها الحصر تفخم فيها هذه الـ (e) اللينة فتصير (a) مفخمة . ونتعلم أن حرف (c) يلفظ كالسين العربية ، فاذا هو يتحول في كثير من الكلمات إلى (كاف) . و (g) نلفظها (جيا) ثم تلفظ في كثير من الأحيان كالكاف مع شيء من الغنة بل هي في بعض الـكلمات تلفظ لفظين مختلفين ففي (gage) و (gorge) وأمثالها تلفظ الـ (g) الأولى كالجيم في بعض مصر ، و (g) الثانية تلفظ كالجيم في سائر الأقطار العربية ، وكثير من الأقاليم المصرية . والـ (t) تصير سيناً وقل أن يفرق في اللفــظ بين الـ (i) والـ (y) .

والميم (m) تُلفظ أحياناً نوناً (n) . ويجمعون بين حرفين يجعلونهما حرفا واحدا (ph) (ch) ، إلى كثير من هذا الشذوذ وهذه الغرائب التي أشرنا اليها في كلمة ألقيناها في مؤتمر المجامع في دمشق ، ونشرتها يومئذ مجلة المجمع . والمعجم الافرنسي مضطر أن يذكر بعد أن يورد الـكلمة ، كيف تلفظ .

ولا شك أن شيوخنا الذين يريدون (تسهيل) الإملاء العربي ، يرون مسوغاً لهذا الشذوذ الأجنبي ، بأن هذه الألفاظ نتعلمها ولها أصل اشتقت منه ، نقول :

لا ! بل ان أكثرها يُحفظ حفظاً ولا قاعدة له . ثم أليس لـكلماتنا نحن العرب قواعد وأصول نرجع اليهــا ؟ أمباحة أصول كلماتنا ، ومنتهكة قواعدُنا ، مصونةٌ عندنا وعند غيرنا أصولهم وقواعدهم ؟

لقد قلدنا الغربيين في كثير من شؤوننا : من صالح وطالح ، أفلا نقــلدهم في الحفاظ على لغتنا !

(الثاء) (سيناً) و (الضاد) (دالا) و (إبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية) كل هذا وأمثاله كان أول من نادى به ، ودعا اليه ، رجال من دعاة الاستعمار [1] ، بعثهم على ذلك الرغبة في تمزيق الوحدة اللغوية ، ثم القضاء على هذه اللغة ، تمكيناً لتمزيق الوحدة السياسية التي قطّعها أصحابهم . وقد يكون فيهم من تعرض لهذا عن جهل وغرور [2] .

وعلى أي وجه كان الأمر ، فان جماعات منا نحن العرب ، ذهبنا في بعض الخطرات مذهب القوم ، مجاراة لهم وتقليداً ، واعجاباً بهم واغتراراً منا من فعل

(١) لسنا ممن ينكر على الفاضلين من المستشرقين فضلهم ، وانصافهم ، وخدمتهم للعربية خدمة جليلة ، بنشر آثارها ، وبعث كنوزها ، وتدقيق بعضهم تدقيقاً علمياً وعميقاً في تعبيرات العرب ، والوقوف على أسرار لغتهم ، وفهم أساليبها وتراكيبها . ويحضرني في هذه المناسبة ما وقع بين مستشرق افرنسي وكاتب عربي . أضربه مثلاً على ما قلت . فقد ترجم الافرنسي Le quart desert بـ (الرُّبع الخالي) بضم الراء ، فجهّله العربي بأنه (الرَّبع) بالفتح ، لا (الرُّبع) بالضم . وليس يخاف أن الصواب في هذا هو في جانب الافرنسي لا العربي ، الذي أخطأ خطأين :
خطأً جغرافياً ، لجهله أن العرب قسموا جزيرتهم أربعة أرباع منها (الرُّبع الخالي) وخطأً لغوياً إذ الرَّبع لا يكون — على الحقيقة — خالياً .

(٢) من مضحكات الجهل والغرور أن (عالمين ! جليلين !) أحدهما انكليزي والآخر إفرنسي وضعا كتاباً أسمياه العربية المحكية (L'arabe parlée) جاء في الصفحة السابعة منه قولهما :
سُنة : (أي بضم أولها) اذا كانت فاعلاً .
سَنة (أي بفتح أولها) اذا كانت مفعولاً به .
شُباك (أي بضم أوله) اذا كان فاعلاً .
شَباك (أي بالفتح) اذا كان مفعولاً به .
وهلم جرا !

هذا عن نية سيئة خدمة الاستعمار ، ومنا من فعله عن طوية سليمة ، انخداعاً ، واستسلاماً للتجدد ، فلا يقال ، إنا (جامدون) أو (رجعيون) . .

على ان الغريب أن يُصدر قرار (التسهيل) هذا مجمعٌ عربي لغوي أنشئ للمحافظة على اللغة وعلى أصولها وأساليبها ، وأن يكون من مؤيدي هذا التسهيل ، رجالات من شيوخ اللغة والأدب !

ومتى كان الإملاء العربي معقداً فيحتاج إلى تسهيل ، وما عسى أن يكون موقف هؤلاء الأجلة من العلماء ، لو كان لهم سلطان على لغة من اللغات الأجنبية ، ورأوا ما فيها من شذوذ وغرائب لا ينطبق شيءٌ منه على قاعـدة ولا أساس ، وإنما هو إملاء قائم على السماع ، وعلى الحفظ عن ظهر القلب ، أو هو تقيدٌ بأصل نُقلت اللفظة عنه ، بعد تبديل وتحريف ، وتكييف وتصريف . وهو ما نضطر إلى الإشارة إلى شيءٌ يسير منه في مقالنا هذا .

* * *

إذا قيل : ليس في بعض القواعد العربية من صرفية ونحوية وتعقيد ؟
قلنا : بلى ، وقد سُهّل ما جاز تسهيله [1] .

---

(١) لا يعاني الدارس اليوم ما كنا نعانيه من قبل ، من مشاكل الإعلال والإدغام . فبحسبه أن يعرف اليوم أن (سَيّد) هي (سيِّد) وان (مَيْت) هي (مَيِّت) لأنها هكذا وردت ، وهكذا سمعها وقرأها ، من غير أن يرجع الى ما يرجع اليه المحققون ، المتتبعون لأصول اللغة وفلسفتها . نعم ليس به من حاجة ليعرف أن (سيّد) أصلها (سيود) ، وأن (ميت) أصلها (ميوت) بعد أن خلصت كل منها وأمثالها من المخاض ، وولدت ولادة جديدة نفضت بها عنها ثوب العِلة . . .
كما يعرف الإفرنسي أن (Être) تصبح (Suis) و (es) (Sont) وان (Avoir) تصبح (ai) ، (avons) ، (ont) و (Aller) تصبح (Vont) من غير تعليل ولا فلسفة ، وكل ما يعرفه أن هذه الأفعال منها أفعال مساعدة ، ومنها أفعال شاذة ، وردت هكذا واستعملت هكذا .

وإذا قيل : وفي العربية ألفاظ ثقيلة يمجها الذوق . . .

قلنا : نعم ، وقد سبق أن سموها حوشية ووحشية ، وتباعدوا عنها ، وأهملوها ، بل هجروها جملةً ، حتى أسقطها بعضهم من بعض دواوين اللغة . هذا على أن بعضاً من هذا المُهمل المُسقط ، هو على ما نعلم أخف من كثير مما عند الأجانب من ألفاظ غريبة التركيب يحتاج لافظها إلى فتح فمه واغلاقه ، في حركة متتابعة متعاقبة . ومن كلماتهم ما يتجاوز عدد حروف الواحدة منها العشرة والعشرات . حتى يكاد الطرْف لا يدرك طرَفي الكلمة ، إلاّ بأن يرجع ببصره من جهة إلى جهة .

وإذا قيل : وهذه الأضداد ، التي تتضارب فيها المعاني وتتعاكس ، تجمع بين المعنى وضده ، أتصلح ليومنا هـذا ، وما تتطلبه العلوم وأغراض الحياة من دقة وتحديد ؟

نقول : لا ، إنها لا تصلح . ونحن في يوم صُرف فيه اللفظ إلى ما وُضع له ، وحُصر في ما اشتهر به ، فليس من يستعمل : (قعد) الإنسان بمعنى (قام) ولا

— وهو في النحو في غنى عن أن يقال له هـذا اسم مبني لمشابهته حرفاً موجوداً ، وهذا مبني لمشابهته حرفاً كان من حقه أن يوضع فلم يوضع . يكفيه أن يقال له : هذه أسماء مبنية لأنها هكذا وردت ، ولا يزاد على ذلك ، اذا كان للزيادة من موجب ، بأكثر من القول : إن تعذر ظهور الحركات على بعضها ، ولزوم البعض الآخر حركة واحدة في مختلف الحالات دليل على البناء .

ويُستحسن ما أقره بعضهم أخيراً في مثل : « ما أحسنَ السماءَ » و « ما أحسنَ زيداً » أن تُعرب بجملتها (صيغة تعجب) من غير الرجوع الى تأويل غريب ، واعرابها اعراباً قد يخرجها عن معنى التعجب ، فقولنا : « ما أحسنَ زيداً » أي شيء أحسن زيداً ، أي جعله حسناً ، تفسير يضعف ما أريد بهذا التركيب من تعجب ، ان لم ينفه بالجملة .

(شرى) بمعنى (باع) ولا (صعّد) بمعنى (انحدر) إلى عشرات العشرات من هذه الأضداد المعروفة .

هذا كله لا نقاش فيه ، ولا اعتراض عليه ، لأنه يعود على اللغة بالتسهيل .

أما الإملاء — ونعود فنقول — : أي شيء فيه صعب فيحتاج إلى تسهيل ؟ لقد بني هذا الإملاء على قواعد واضحة ، وأصول صحيحة .

فنحن إذ نكتب (رَمَى) بهذه الألف المقصورة ، نعرف أن مضارعها (يرمي) وأن المفعول منها (مَرميّ) ، وأن (فَتَىَ) متى كُتب بهذه المقصورة عرفنا أن مثناها (فتَيان) ، وأن جمعها (فِتْيان)[1] .

---

(١) وهؤلاء الغربيون الذين جرأهم تساهلنا ، حتى قام فريق منهم يتفلسفون في أمور لغتنا ، ويبدي كثير منهم آراء غريبة ، ترى مجموعهم وأصحاب الرأي اللغوي فيهم ، يحافظون على لغتهم محافظة دقيقة ، فلا يأذنون لدخيل أن يتطاول على لغاتهم ، فيبدي فيها ويعيد ، وان كان له فيها رأي سديد . نعم ! لا يجرؤ أحد منا على هذا ، وان كان فينا من يعرف من لغاتهم ما لا يعرفون مثله من لغتنا وإن حاول أحد منهم أن ينتقد شذوذ إملائهم ، أعرضوا عنه ، وسفّهوا رأيه واحتقروه ، ولذلك بقي املاؤهم على ما هو عليه من عوج وأمت .
ولقد فتحت كتاباً افرنسياً ، وقرأت منه صفحة واحدة ، غير متقصد ولا متتبع ، فرأيت فيها من الشذوذات الإملائية العجيب الغريب . ونترك ما أشرنا اليه من الشذوذ في الأفعال المساعدة والأفعال الشاذة ، نتركه ونلتفت الى ما يتصل بالشذوذ عندهم .
فـ (Pris) وترجمتها (مأخوذ) يكتبونها بهذه الـ (S) في الإملاء ولا يلفظونها ، وليست هي من أصل الكلمة فيُغتفر وجودها ، فهي مشتقة من (Prendre) فلا في بناء مصدرها (S) و لا هي منقولة عن لفظ فيه هذا الحرف . ولعل ما في الأمر أنها تساعد على معرفة المؤنث .
واذا اعتذر لهذا الحرف ، بهذا العذر ، فما القول بهذه الـ (t) في (Esprit) يكتبونها ولا يقرأونها ، لا شك أن العذر فيهـا ، أنها منقولة عن كلمة لاتينية (Spiritus) فابقاء هذه (t) الممح ما قلت عنه . ولم ير الفرنسيون وجمعهم ، أن يسهلوا هذا الإملاء بحذف هذا الحرف الذي عاد ولا معنى له ، بعد أن تبنت الإفرنسية هذه اللفظة وجعلتها ملكاً لها ، وتصرفت في لفظها وبنائها .

أفلا يسعنا في لغتنا ، مع (قاعدية) إملائها ، ما يسع الغربيين في لغاتهم ، على (شذوذية) إملائها ؟ .

ومن يكفل ، أن لا تقوم غداً هذه (الكثرة الضئيلة) في مجمع اللغة ، بعد أن تحسب نفسها أنها انتهت من تسهيل الإملاء ، وخدمت العربية بتوحيد (الألف) فتدعو إلى توحيد (التاء) ؟

سيقولون : ولم تكون (التاء) تاءين (مربوطة) و (مبسوطة) ؟

أليس هذا التسهيل يقضي بهذه (الوحدت) نكتبها بدلاً من (الوحدة) ؟

وإذا كان بعض الشاذين من قدماء النحويين قال بالألف الممدودة ، ففتح لبعضنا هذا الباب فإن في بعض اللهجات العربية القديمة ، من كان يجعل (التاء) المعقودة (مبسوطة) فيقول : (العربيت) و (الحميريت) ؛ وكتبت في بعض نسخ القرآن امرأة بالتاء الممدودة (امرأت) ، وبذلك يكون الباب مع هذه (التاء) أوسع والحجة فيه أبلغ .

وبعد هذه (الألف) وبعد (التاء) ، يجيء دور المثنى ، وهو شيء قد يثقل ، في رأي الجماعة ، على اللسان لفظه ، في كثير من الكلمات . وقد عدل عنه في اللغات التي كان فيها ، فلمَ لا نستغني نحن عنه . وفي النصوص العربية القديمة ،

— ومثل Esprit ,Grabat, à l'ecart, Quart وألوف من أمثالها .
و (Chandelle) الشمعة تكتبها بلامين (ll) وتُلفظ بلام واحدة على ماتنص عليه المعاجم. فلم هذان الحرفان يكتبان ولا يلفظ الا أحدهما ، وهنا لا عذر بالرجوع الى الأصل فان اللاتينية التي استعارت الإفرنسية كلمتها منها انما تكتب بـ (l) واحدة (Candela) لقد ضربنا هذه الأمثلة التي انتزعناها من صفحة واحدة . أفلا يسعنا أن نقلد هؤلاء القوم — ونحن نقلدهم في كثير من أمورنا — فنحافظ على إملائنا الواضح المبني على قواعد ثابتة محافظتهم على املائهم الكيفي الشاذ ؟

وفي اللغات المهجورة ، ما يصح أن يُستند في هذا الاستغناء عليه ، فقد استُعمل الجمع محل المثنى في كثير من مواقف النثر والشعر .

ثم هذا الإعراب ، وهو عقدة العقد ، فعلامَ نبقي عليه ؟ وفي المنقول عن صدر الإسلام ، وفي تساهل كبار النحاة ، ومخالفتهم القواعد ، ما يسوغ الإلغاء[1] .

وبعد هذا وذاك من التعديل والتبديل ، والإلغاء والاستغناء ، أصبح هذه العربية (مخلوطة) بل تهبط إلى حضيض اللغة المالطية ، وهي العربية ، طرأ عليها ما يريد بعضنا أن يطرأ على العربية ، فتعود لغة لا شرقية ولا غربية .

وعندئذ نفضل على هذه العربية أية لغة من لغات العالم ، تكون لها عند أعلها حرمة ومكانة ، وأصول مرعية ومحفوظة .

وبعد هذا الكلام الذي أوحاه الألمُ ، والخوف على اللغة ، فطال نفسه ، نلخص مقالنا بهذه الخاتمة :

إن هذه « الكثرة الضئيلة » لا تملك أن تقرر ما يمس بجوهر اللغة ، ويهدم أساساً من أسسها ، بل لو أجمع المجمع بأسره لا فئة منه ، وظاهرَها مجمعا دمشق والعراق ، لا يملكون جميعاً سلطان الأكاديمية الفرنسية على الإفرنسيين مثلاً ، فهناك مجمع واحد يسيطر على أمة واحدة ، وهنا مجامع ثلاثة لا يعدو

(١) من تاريخ صدر الإسلام أن رجلاً خرج الى الناس يقول لهم : قتلَ الناسُ عثمانُ ! ولم يُعرَف . فقالوا له : أينْ مَن القاتلُ ومن المقتولُ . وحكاية أبي حنيفة بالضرب (بابا قبيس) مشهورة .

ومن أئمة النحاة من أجازوا نصب الفاعل ورفع المفعول اذا امِن اللبس ، فقالوا : (خرقَ الثوبُ المسمارَ) و (كسرَ الزجاجُ الحجرَ) وحملوه على قول الشاعر :

مثل القنافذ هدّاجون قد بلغت   نجرانُ أو بلغت سوآتِهم هَجَرُ

رفع نجران وهجر . عملاً بقراءة « فتلقى آدمَ من ربه كلماتُ » .

سلطانهم اللغوي — لو أجمعوا — أربعين مليوناً ، يبقى من هذه الأمة العربية سبعون مليوناً لا سلطان لهذه المجامع عليهم .

فما القول إذا استقل كل قطر بإملاء ، ثم كان له ما بعد الإملاء من أمور أشرنا اليها ، أفليس في هذا القطيعةُ اللغوية بعد القطيعة السياسية ؟

إن المجامع العربية ، لا تملك الإقرار في مثل هـذه الأمور ، وإنما تملك الاقتراح ليس غير .

عارف النكدي

ملاحظات على
(الجديد من ألفاظ الحضارة)

لم يُتح لي الحظ — لأسباب قاهرة — أن أكون في القاهرة مع من حضر مؤتمر مجمع اللغة العربية من زملائنا أعضاء المجمع بدمشق فاستمع واستمتع بما ألقي فيه من محاضرات وما جرى من بحوث وتعقيبات جد ثمينة . ولكن ما فاتني بالمشاهدة والاستماع لم يفتني بالمطالعة والنظر والتدبر ، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بمصر ، عن مؤتمر سنة (١٩٦٠ — ١٩٦١) ، والجزء الرابع عشر من مجلته السنوية ، وكانت حقاً صورة ناطقة صادقة عما دار في المؤتمر من بحث ودرس . فطالعت فيما طالعت : (ألفاظ الحضارة) التي عني بوضعها وشرحها زميلنا المفضال الأستاذ محمود تيمور عضو مجمع اللغة العربية بمصر فأكبرتُ ، والحق أقول ، غيرته على لغتنا الحبيبة بنظر إليها بنظراته النافذة من نافذة (الحضارة الحديثة) ، فيعمل على وضع مصطلحات لما جدّ من ألفاظها ، وقدّرتُ — وأنا الذي أعاني في المصطلحات ما أعانيه — جهده المصروف في

إيجاد كلمات ملائمة لكل ما شاع وذاع في البلاد العربية مما هو أجنبي دخيل أو عامي غير فصيح .

وبعد ما تلوت مقدمته البليغة وانتهيت من مطالعة مصطلحاته العديدة عنّ لي أن أضيف إلى ما دبجه يراعه الطيّع ، ملاحظاتي إيضاحاً لبعض الكلمات ، لا أكثر ولا أقلّ ، « ليكون المجال أوسع بغية انتخاب الأصلح الذي تكتب له الغلبة والشيوع » كما قال الأستاذ نفسه في مقدمته . وفقنا الله جميعاً لخدمة لغتنا المضرية ، الحبيبة إلى قلوبنا ، من الناحيتين : الحضارية والعلمية .

واليكم الآن ملاحظاتي وإيضاحي :

من نشرة مجمع اللغة العربية بمصر ، الخاصة بمؤتمر سنة ١٩٦٠ — ١٩٦١
(البحوث والمحاضرات)
من الصفحة ١١٣ إلى ١٣٩

رقم المصطلح

١٤— فصلة Fascicule . — وفي صوربة يقال : (جزء) أو (نسخة) . ومنه أجزاء القرآن الكريم : كجزء (قد سمع) و (تبارك) و (عمّ) الخ . والكلمة الفرنسية من اللاتينية Fasciculus وتعني (حزمة من الحشيش قدر ما يمكن تأبطها ، وفي التاريخ الطبيعي يطلق على حِزمة من الشَّعر . ثم خصت في الطباعة على دفتر أو مجموعة دفاتر لكتاب يُنشر أجزاءً) .

١٦— الكُوشة ، منصة العرس . — قلت : (الكوشة) من التركية عن الفارسية وهي بمعنى (الموضع ، الزاوية ، محل الانزواء) ومنه جاءت (منصة العرس) لأنها توضع في زاوية من زوايا الحجرة في الأعراس (حفلات العرس) . وفي الشام تستعمل للمقصد نفسه كلمة (آسكي) من التركية أيضاً محرفة

عن (آصفي) من المصدر (آصمق) أي التعليق ، و (آصقي : ما يعلّق من الزخارف والزينات) وهي (الحجَلة ، وهي الموضع يُزيّن بالثياب والستور للعروس كما في القاموس) .

١٩ — الدبّاسة . — وفي سورية تسمى (شَبّاكة ، شكّالة أوراق) .

٢١ — الطاقية . — وفي بعض المدن السورية تسمى (عَرَقية) من العَرَق . والعامة تلفظها (عَرْقية) بسكون الراء .

٢٦ — شرائح مصوّرة Slides . — في سورية يطلق عليها الصُّفَيْحات المصوّرة . أما الشريحة والشرائح فمن المصطلحات الطبية .

٣٢ — الكمّاشة Tenaillé . — أليست هي (الكَلْبَتان) ؟ وفي سورية تلفظ (كَلْبتون) محرفةً .

٣٤ — موقع حركي Stratégique[1] . — كنت قد اصطلحت لها كلمة (استحواذي) من (استحوذ : غلب واستولى) ومنه قوله تعالى : (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فأنساهُمْ ذِكْرَ الله - سورة المجادلة) أي غلبهم واستولى على عقولهم . ففيها معنى الغلبة والاستيلاء ، وهو المقصود من الكلمة الافرنجية . والعسكريون يحاولون دوماً الاستيلاء على أمثال هذه المواقع لأنها تمكّنهم من الاستحواذ : (الغلبة والنصر) .

٣٥ — الحركية Stratégie[2] . — قلت : استحواذية . أما الحركية فلما يقابل Dynamique في علم الحركات (مكانيك) .

٣٦ — علم الاستراتيجية . — علم الاستحواذية .

٤٩ — المثلجة Frigidaire . — وفي سورية يقال : (البرّاد) .

---

(١) في المعجم العسكري : استراتيجي سوقي . (لجنة المجلة)

(٢) في المعجم العسكري : استراتيجية . فن السوق . سوقية . (لجنة المجلة)

٥٧ — الكَشيدة . — وهي من التركية عن الفارسية ومن معانيها (المصفوف ، المرتَّب ، الخط الذي يُجعل على الحرف) . ثم خُص بما يصل بين حرفين إذا قصرت كلمات السطر عن الطول المحدد له . قلت : لعل كلمة (الوصلة) تفي بالغرض بدلاً من (الصِّلة) لمعانيها العديدة .

٥٨ — السدُس . — في سورية يسمى بين الطباعين (انتَر لين) من الفرنسية . وكنت أقول لهم : (لا تُكثروا من « التحشية » بين السطور) .

٥٩ — الدَرْدَشة [١] Bavardage . — هي من التركية عن الفارسية (دَرْدْ) ومن معانيها (الألم ، « الكدر » ، الهمّ) ، فأدخلوا عليها اللام والشين لفعل المشاركة ، والميم للمصدر التخفيفي فقالوا (دَرْدْلَشْمَة) أي (تباثّ الهموم والشكوى) . وانتقلت إلى العامة محرفة بحذف اللام والميم (دَرْدَشة) بمعنى (اللغو) أي الكلام لا عن رويةٍ وفكر . وبهذا المعنى الأخير يستعمل الترك جملة (دَرَهْ دَنْ تَبَهْ دَنْ قونُوشْمَه) أو (حسبحال ايتمك) أي (التحدث من هنا وهنا) .

٦٠ — رِفادة ، حمّالة الصدر Soutien . — في مصطلحاتي العلمية المطبوعة أطلقتُ عليها (الحَشِيَّة) [٢] الفصحى وهي ما تعظّم بها المرأة ثديها . وأهل المغرب يسمونها (حَصَّارة) من (الحصر) وهو التضييق والحبس . ذكرها لي أحد الأصدقاء الذي زار المغرب من عامين وسمعها من أهله . ولو استعمل بعضُ الكتاب كلمة (حمالة الثديين) بدلاً من (حمالة الصدر) لأصابوا في التعبير

---

(١) وفي لسان العرب : الثرثرة في الكلام : الكثرة والترديد . ورجل ثرثار : هو الذي يكثر الكلام تكلفاً وخروجاً عن الحق . وثرثر : تكلم فأكثر .
(٢) وفي لسان العرب : ما تعظم المرأة بها بدنها وعجيزتها .

عن الواقع لأن الصدر لا يحمل فهو من ثوابت البدن . أما المحمول فهو (الثديان) كما لا يخفى . وكلمة واحدة (الحشية ، الحصّارة) خير من كلمتين لسهولة الاضافة أو الوصف .

٦٥ — قطار النفق Metro . — قلت : لا مانع من الاكتفاء بكلمة (النفق)[1] فيقال (ركبَ النفق) كما يقال (ركبَ السكة الحديدية ، ركب البحر) والمعنى المطلوب واضح بالقرينة دون ذكر القطار .

٩٢ — الطاقم ، الطقْم . — من التركية ومن معانيها (الزمرة ، الصنف ، جملة أشياء) . ولا مانع من الإبقاء على كلمة (الطقْم) دون (الطارِقم) لئلا يُظن انها عربية على وزن اسم الفاعل . أما (الشمل) فلئن صح من أجل (اجتماع ما تفرق) فلا يصلح لطقم الشاي ، أو طقم الأسنان ، ولا لطقم الأثاث .

٩٦ — القمرة ، المقصورة Cabine . — القمرة ، من التركية (قمارة) عن الافرنجية Camera أي الغرفة ، الحجرة . وقد خصها الترك بالغُرف في البواخر . وإذا أريد بها غرفة الرّبان فهي (السّلْمُوقية) وهي مقعد الربان من السفينة . أما الجوسق (كُشْك) ، الصغير المبني في الحديقة الخاص للسهر في الليالي القمراء فيسمونه (قَمَرية) نسبةً إلى القمر .

١٠٦ — دُبلة ، حلقة الخطبة Anneau . — المشهور عنها في سورية (خاتم الخطبة[2]) أما (الدبلة) فهي من الفرنسية (Double) أي المضاعف إذ يصنع منها اثنتان احداهما للخاطب والأخرى للمخطوبة . وان كانت من (Doublé) أي المُمَوّه أو المطوّق بالذهب أو الفضة صح كذلك لأنها من الحلي . وان كانت من (Doublet) فهي أصح لفظاً ومعنىً لأن معنى الفرنسية (حجر

(١) النفق : ترجمة كلمة (Tunnel) الفرنسية . (لجنة المجلة)
(٢) استعمل الأستاذ تيمور كلمة (خاتم الخطبة في الرقم ١٢٥) .

مصوغ من زجاج ـ مصبوغ يستعمل للزينة) ثم أُطلق تعمياً على ما يصنع من غير الزجاج من ذهب أو فضة أو غيرهما من المعادن . و (Doublet) بالانكليزية تعني المضاعف (المجوز) ... مصدر (الدبلة) هذه ، أهل الطبقات العليا (الارستقراطية) في العهود الملكية والخديوية في مصر وكانوا يتكلمون الفرنسية ويتخاطبون بها في بيوتهم ومجالسهم وهم الذين كانوا يتقدمون (بالدبلة) إلى الخطيبة . ومَن غير الأغنياء المظام (الأكابر) المطلعين على ما يجري في الغرب لكثرة ارتيادهم البلاد الغربية ، أقول مَن غير هؤلاء يُقدِم على تقليد الغربيين في ذلك العهد بمثل (الدبلة) وسواها من الحلي الثمينة ؟ ثم شاع عنهم استعمالها بين الطبقات الأخرى تقليداً لهم إلى يومنا هذا ... وليس منشأ (الدبلة) عربياً إذ لا يتلاءم معنى (الدُّبْلة) ولا (الدَّبْلة) العربية لما هو معلوم عن الخطوبة على النحو المعروف في يومنا الحاضر من حيث تبادل الحلقتين .

١١٥ — عَطَشجي ، الوقَّاد (Chauffeur) . — قلت : (عطشجي) من التركية (آتشجي) بالألف ، عن الفارسية (آتش) ويقال إنها من أصل سرياني جُعل بعدئذ فارسيا . وآتش هي النار بالعربية . فأضيفت اليها أداة الوصف (جي) فأصبحت (آتشجي) أي صاحب النار وهو من يوقدها أو يتولى إمدادها في القاطرات وآلات المعامل وغيرها . وإذا كانت كلمة (الوقّاد) قد شاعت في مصر حديثاً كما يقول الزميل الفاضل الأستاذ تيمور ، فهي شائعة مشهورة في سورية حتى في العهد العثماني . وإبدال العين بالألف هو من الإبدال الشائع الذي أشاد به وأجاد زميلنا الفاضل الأستاذ عز الدين التنوخي فيما قام بتحقيقه من المخطوطتين النادرتين (★) اللتين

(★) ١ ـ الإبدال لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي المتوفى سنة ٣٥١ هـ .
٢ ـ الإبدال والمعاقبة والنظائر للامام أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجّاجي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ .

أخرجها مجمعنا الى عالم المطبوعات العربية ، مع الشرح المستفيض للأستاذ التنوخي أحسن الله اليه ، إحياء لتراث الأجداد وتعميماً للفائدة بين الناطقين بالضاد . فان كان المقصود من الكلمة الافرنجية من يقوم بسوق السيارة فهو (سائق السيارة) رغم انه لا يوقد ناراً ، وذلك على التغليب .

١١٦ — القوة ، الوحدة Volt . — لا يجوز استعمال (القوة Force) ولا (الوحدة Unité) لما يقابل (الفوات) . إنما يجب إبقاؤها (فولت) فهي وحدة قياسية كهرباوية خاصة بالكهرباويات اتخذت بهذا الاسم تخليداً لفولتا Volta البحاثة الايتالي لبحوثه ودراساته في الكهربا . و (الفولت) متفق عليه دولياً بين العلماء جميعاً . ومثله وحدات : (امبير) ، (اوم) ، (صورتزن) ، (كوري) ، (أنغستروم) وغيرهم . وليس من الإنصاف في شيء أن يغمط حق تخليد من أجمع العلماء على منحه حق التخليد .

١٢٣ — خلو الرجل Bon de sortie . — في سورية شاع استعمال (فُرُوغ) وهو العوض الذي يُعطى من وافق على (فَرْغ) مكانه لآخر ، دكاناً كان أو بيتاً أو أرضاً . فيقال (أخذ فلان فروغاً عن دكانه ـ مثلاً ـ عشرين ألف ليرة) .

١٢٥ — الشَّبْكة (غير خاتم الخطبة المسمى الدُبلة) Cadeau de fiançaille وهي ما يقدمه الخاطب لمخطوبته من حلي حين الخطبة إهداء . — قلت : (هدية المخطوبة) أجمل ، معنىً ونبلاً ، من (الشبكة) لما في هذه الأخيرة من معان أخرى لا تتلاءم ومعنى الهدية . فانّ (شَبَكه ، يشبكه فاشتبك ، وشبّكه تشبيكاً فتشبّك ، أنشب بعضه في بعض فنشِب . وشَبَكَة الصياد ، شَرَكَته) . فبالمعنى هذا كان الأجدر تخصيصها (للدُبلة) لأن الغاية من (الدبلة) ، التشابك بين الخاطب والمخطوبة !

١٣٨ — الفاتحة (في الطعام Entrée) . — قلت : لعل (الاستفتاح) أو (المستَفتَح) أصلح من (الفاتحة) الخاصة بسورة من سور القرآن الكريم . وعندي ان (التّماظ) أو (التّمظة) أكثر ملاءمة للغرض . فالتمظة من (تَمَظ ، تتبّع التّماظة في الفم ، أو تتبّعَ الطعمَ في الفم وتذوّق) . ومنه ماله (تَماظ ، كسحاب) ابس له شيء يذوقه . ففي كلمة (التّمظة) معنى التذوق وهو (المدخل) لتناول الطعام .

١٣٩ — السّمكري ، اللّحّام Plombier . — قلت : أما (اللّحام) فشيوعه لبائع اللحوم ولا سيما في الشام . وأما (السمكري) فهي من الفارسية (سيم — كر) اي صائغ المصوغات الفضية أو صانعها . من (سيم : الفضة) ، و (كر : أداة الفاعلية) . ومن المعلوم ان خليطة القصدير والرصاص ، بمنظر الفضة . فمن هنا غلب استعمال كلمة (السمكري) لمن يلحم صفائح المعادن بعضها ببعض (تنك ، توتياء) بهذه الخليطة . أما معنى الكلمة الفرنسية فهو : (الرصّاص ، المرصّص) .

١٥٠ — المسبك Fonderie . — قلت : اصطلحتُ عليها (مَسْبَكة) من اسم المكان وزان (مفعلة) ومثلها (مَصْهَرة) من الصهر والأخيرة أكثر ملاءمة من المسبكة لأن Fonderie من Fondre الفرنسية . وهذه من Fundere اللاتينية اي (أرسبَ في القعر) . والفرنسية بمعنى (جعَلَ الشيء مائعاً أو أذابه في مائع) . فالصهر غير السبك . السبك يتضمن معنى القولبة (الإذابة والإفراغ) وليس المشروط في الصهر القولبة . وأرى أن يخصص (السبك) لما يقابل Moulage .

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

نظرة في (نظرة إلى تاريخ بني العباس)

١ — قال الأستاذ عارف النكدي في بحثه (نظرة إلى تاريخ بني العباس[١]) ، وهو يتحدث عن الخليفة الراشد بالله : « قالوا : كان شاعراً ، ولم أطلع على شيء من شعره » .

والواقع أن شعر الراشد بالله نادر جداً ، وقد أصبت في (خريدة القصر) ثلاثة أبيات منسوبة اليه ، رواها العماد الكاتب عن تاريخ السمعاني ، وهي :

زمانٌ قد استنّت فِصالُ صروفه وذلل آساد الكرام مع القرعى
أكولته تشكو صروف زمانها فليس لها مأوى وليس لها مرعى
فيا قلبُ ، لا تأسفْ عليه ، فربما ترى القوم في أكناف آفاته صرعى

وهو قد نفض في أولها شكوى مرة من تصاريف أحداث عصره الذي تغلب فيه السلاجقة على الدولة ، ودأب كثير منهم على العسف وكف يد الخلفاء عن التصرف ، وكان قصد أكثرهم أن يحوصل ويطير — كما قال ياقوت في وصفهم وهو يتحدث عن أسباب خراب النهروان ومدنه وقراه .

وفي آخرها يؤمل نفسه بقرب انقضاء أيامهم ، ولكنه لم يقدر له أن يرى مصارعهم ، فقد انتهى الأمر — بعد قليل — بمصرعه بيد الملاحدة ، وهو مقيم على باب أصفهان مع السلطان داوود بن محمود السلجوقي ، والبلد محاصر ، والضر عميم .

٢ — وأورد الأستاذ النكدي في حديثه عن الخليفة المستنجد بالله ستة أبيات من شعره ، ولم يذكر الكتاب الذي نقل منه ، منها قوله :

وباخل أشعل في بيته تكرمةً منه لنا شمعَهْ
فما جرت من عينها دمعةٌ حتى جرت من عينه دمعَهْ

(١) مجلة المجمع العلمي العربي (م ٣٨ ص ٣٨٢) .

والبيتان في خريدة القصر ، وفيه «طرمذة» في موضع «تكرمة» في البيت الأول . والطرمذة : المفاخرة والتفجع ، وفيها كلام يراجع في تاج العروس (ط / ر / م / ذ) .

وللمستنجد بالله بيتان آخران جميلان في وصف الشمعة أيضاً ، أوردهما العماد الكاتب في خريدة القصر ، وهما :

وصفراء مثلي في القياس ودمعُها ... سجام على الخدّين مثل دموعي
تذوب كما في الحب ذبت صبابة ... وتحوي حشاها ما حوته ضلوعي

وأورد العماد الكاتب أمثلة أخرى من شعره ، وعلق عليها بقوله : « وهذه الأشعار ، أكتبها لشرف قائلها ، وقد قيل :

وخير الشعر أشرفه رجالاً ... وشرّ الشعر ما قال العبيد

على أنها قد أعجزت الشعراء ، وأعجبت البلغاء الفصحاء » .

وكان المستنجد بالله وقاد الذهن ، وربما سمح خاطره ببعض الشعر الجيد ارتجالاً كما قال وزيره الكبير عون الدين بن هبيرة ، وقد صنف له كتاباً يشرح أبياته .

ومما تحسن الإشارة اليه من سيرته ، ما قاله العماد الكاتب : إنه كان يحب الفضل وذويه ، ويستخدمهم ، ويقرّبهم . فإن هذا مزية جليلة تدلّ على نبل نفسه ، وحصافة عقله ، وبعد نظره في السياسة وإدارة الملك ؛ ويخلق بمن يساق اليهم السلطان ان يتحلوا بهذه الحلية ولو تخلّقاً . ويعجبني في هذا الباب ما كتب به طاووس بن كيسان الخولاني إلى عمر بن عبد العزيز لمّا ولي الخلافة : « إن أردتَ أن يكون عملك خيراً كله ، فاستعمل أهل الخير » . فقال عمر : « كفى بها موعظةً » .

٣ — ولفت نظري استعمال الأستاذ النكدي « السحل » في موضع السحب

والجرّ ، في قوله (ص ٣٨٩) : « ثم ينهون حياة الكثيرين من الخلفاء بالسمل والسحل والقتل » . واللغة العربية واستعمالاتها الفصيحة ، لا تعرف السحل بمعنى السحب ، ولا تعترف به . وهو في بلادنا من استعمالات العوام ، ثم تسرب الى أقلام كتاب الجرائد اليومية أيام المدّ الفوضوي بالعراق (عام ١٩٥٩ م) ، لا جعل الله له رجعة . وكان الكتاب القدماء يستعملون في مثل هذا الموضع « الجرّ » ، كالذي نجده في خبر مقتل يوسف بن عمر الثقفي ، من قولهم فيه : « وهو يجرّ ... » ولا أحب ايراده كله ، لشناعته وقبحه . وهو في وفيات الأعيان (٢/٣١٥) وغيره .

٤ — وقال الأستاذ النكدي في (ص ٣٩٠) متحدثاً عن إعلان الدعوة العبّاسيّة الحرب الشعواء على العرب والعربية : « يقول (السفّاح) لأبي مسلم ما معناه ، وأحسب أنه لفظه : اقتل من شككت فيه . وان استطعت أن لا تدع بخراسان من يتكلم العربية ، فافعل » .

قلت : بل هذا القول المنكر الشنيع ، قولُ أخيه (إبراهيم الإمام) بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس ، زعيم الدعوة العباسية قبل ظهورها ، وهو من وصيّته لأبي مسلم الخراساني حين وجهه والياً على دعاته وحزبه في خراسان . وهي في تأريخ الأمم والملوك (٦ / ١٤ ط . الاستقامة) وكامل التواريخ (٥ / ١٤٠ ط . بولاق) . ونصها واللفظ للأول :

« يا عبد الرحمان ! إنك رجل منّا — أهل البيت — فاحتفظ وصيتي ، وانظر هذا الحيّ من اليمن ، فأكرمهم ، وحلّ بين أظهرهم ، فانّ الله لا يتمّ هذا الأمر إلا بهم . وانظر هذا الحي من ربيعة ، فاتهمهم في أمرهم . وانظر هذا الحي من مضر ، فانهم العدوّ القريب الدار ، فاقتل من شككت في أمره ومن كان في أمره شبهة ومن وقع في نفسك منه شيء . وان استطعت أن لا تدع

بخراسان لساناً عربياً ، فافعل ، فأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه ، فاقتله . ولا تخالف هذا الشيخ – يعني سليمان بن كثير – ، ولا تعصه . واذا أشكل عليك أمر ، فاكتف به مني » .

وتاريخ الأمم والملوك يؤكد هذه الوصية في موضع آخر (٦/٧٩) ، ثم يذكر في (٦/١٠٤) كيف سما هذا الشر إلى سليمان بن كثير ، فبعث أبو مسلم اليه فقال له : أتحفظ قول (الإمام) لي : من اتهمته ، فاقتله ؟ قال : نعم . قال : فإني قد اتهمتك . فقال : أنشدك الله . قال : لا تناشدني الله ، وأنت منطوٍ على غش الإمام . فأمر بضرب عنقه .

ثم كانت خاتمة أبي مسلم على النحو المشهور على يد أبي جعفر المنصور ، وأنشد فيه وهو طريح بين يديه :

زعمتَ أن الدَّينَ لا يقتضى فاستوفِ بالكيل أبا مجرم
اشرب بكأس كنت تسقي بها أمرَّ في الحلق من العلقم

الشاعر مالك بن الريب المازني

« تحقيق وتصحيح »

نشرت مجلة المجمع العلمي العربي الغراء في الجزء الثالث من المجلد الثامن والثلاثين (ص ٥٢٤) بحثاً طريفاً للسيد الأستاذ أحمد الجندي ، أثاره لكتابته ما لاحظه من تناقض في ترجمة (مالك بن الريب المازني) في كتاب (الأعلام) ، وذلك قول مؤلفه : « إنّ مالكاً هجا الحجّاج فطلبه ، فهرب . وقطع الطريق مدة ،

ورآه سعيد بن عثمان بن عفان ، بالبادية في طريقه بين المدينة والبصرة ، وهو ذاهب إلى خراسان وقد ولاه عليها معاوية سنة ٥٦ هـ ، فأنّبَه سعيد على ما يقال عنه من العبث وقطع الطريق ، واستصلحه ، واصطحبه معه إلى خراسان ، فشهد فتح سمرقند ... »(١) . فأخذ عليه انّ زمن سعيد بن عثمان بن عفان كان سابقاً لزمن الحجاج بن يوسف الذي قيل إنّ مالك بن الريب هجاه ، فطلبه ، فهرب منه ، ثم مات في سنة ٦٠ هـ ، والحجاجُ لم يعرف إلا بعد ولاية عبد الملك بن مروان الخلافة في سنة ٦٥ هـ .

ثم التمس التعليل لهذا الإشكال .. فلما لم يقع على ما يرضيه ، شكّ في جملة خبر الشاعر وفي شخصيته « فلعلّها — كما قال — شخصية أسطورية أشبه بأسطورة مجنون ليلى التي صنعها الرواة وإن كان لها ظل من الحقيقة » ، واستتبع هذا طعنه في صحة نسبة يائيّته الرائعة المشهورة إليه ، وهي القصيدة الوحيدة التي وصلت الينا من شعره ، لأسباب خالها ، فاتخذها ذريعةً إلى انكار الوجود التأريخي الثابت للشاعر .. ولكنه مع هذا وضع في خاتمة بحثه المشكلة أمام الباحثين ، لعلّ فيهم من يحلّ عقدتها له ، وحسناً فعل .

وهو قد صدق حسه الصدق كله في شكّه في الخبر ، ثم هو قد استقامت له طريقة نقده بمعارضته بالسنين التي أثبت بها اختلاف زمانَي مالك والحجاج .. فله أن يقف عند هذا الحدّ ، فيطرح من الترجمة هذا الجزء الذي يتصل بالمزعوم من علاقة الشاعر بالحجاج ، لتستقيم له — بخلوّها منه — كما أوردها أبو علي القالي (٢٨٨ هـ — ٣٥٦ هـ) في ذيل الأمالي والنوادر رواية عن أبي بكر بن دريد

(١) الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي (٦/١٣٤ . ط الثانية) .

عن أبي عبيدة [١] . وحينئذٍ لا يبقى ما يلجىء إلى الشك في صحة الخبر كله ، ولا إلى انكار وجود الشاعر وانكار شعره .

ولكن .. كيف السبيل إلى اطّراح هذا الجزء من الخبر المتصل بسيرة الشاعر وقد رواه أمثال ابن قتيبة والمبرّد ؟ وأقول : أليس اطّراح هذا الجزء من الخبر أيسر قبولاً من اطّراح الخبر كله ، ومن إنكار وجود الشاعر وإنكار شعره ؟

ولمَ التخوّف من ذلك ومن القول بخطأ ابن قتيبة والمبرد ، وهما غير معصومين ، والخطأ في عَزْو الأشعار إلى غير قائليها كثير الوقوع ؟

إنّ ابن قتيبة رحمه الله قد أخطأ حين عزا في (الشعر والشعراء) وفي (عيون الأخبار) أيضاً (١/٢٣٦) إلى مالك بن الريب شعراً لغيره هجي به الحجاج . ولا يستغربنّ هذا منه أو من غيره ، لأنه من الأشياء التي تعرض لكثير من الناس في رواية الأخبار وعَزْو الأشعار . وقد نجد لابن قتيبة نفسه أشياء أخرى من هذا القبيل ، ومن ذلك انه عزا في عيون الأخبار (١/٢٧٦) إلى البعيث أربعة أبيات .. لم يلبث بعد بضع صفحات أن عزا بيتين منها في (١/٢٨١) إلى تأبط شراً !!

وأخطأ كذلك المبرّد رحمه الله حين ذكر مالكاً في جملة من فرّوا من الحجاج ، وحين أضاف اليه هذا الشعر الذي هو لغيره في هجاء الحجاج .

ولم يكن من نقلوا عن ابن قتيبة والمبرّد الخبر والشعر المتصل به ، من قدماء ومحدثين ، محققين متثبتين .

ومن اليقين ان الشاعر الذي هجا الحجاج ، وهرب منه ، ليس هو مالك ابن الريب المازني ، ولكنه شاعر آخر ..

---

(١) ذيل الأمالي والنوادر (١٣٦) ط . المطبعة الكبرى الأميرية ، القاهرة . ١٣٢٤ هـ .

هذا الشاعر هو البرج بن خنزير التميمي . وكان الحجاج قد ألزمه البعث إلى المهلب ، لقتال الأزارقة ، فهرب منه إلى الشام ، وهجاه بهذا الشعر الذي رواه الرواة بزيادة ونقص ، وروى منه الأستاذ الجندي ثلاثة أبيات ، منها قوله :

وماذا عسى الحجاج يبلغ جهده إذا نحن جاوزنا (قناة زياد)

وقناة زياد : لم أرها في كتاب موثوق به ، وإنما هي (حفير زياد) . و (حفير زياد) في معجم البلدان ، وفيه ذكر ياقوت خبر البرج بن خنزير التميمي . وياقوت مؤرخ ثبت ، واسع المعرفة والاطلاع . وهو ألصق بالتأريخ وأعلم به من ابن قتيبة الأديب اللغوي ومن المبرّد النحوي .

وبهذا تحل عقدة الإشكال الذي أصابه الأستاذ الجندي في ترجمة مالك بن الريب في كتاب الأعلام وعند بعض المؤلفين القدامى ، وتستقيم ترجمة الشاعر كما رواها أبو علي القالي خالية من هذا العنصر الغريب الذي أفسدها وشغل فكر الأستاذ الجندي وحيّره ، ويبقى الشاعر حقيقة تاريخية ، وتبقى له يائيته الغراء المحجّلة ، ولا تسقط عنه لأن راوياً سخيفاً زعم أن الجنّ رثته بها ، كما لا يُسقِط سعدَ بن عبادة سيّدَ الخزرج الزعمُ بأن الجنّ قتلته .

بغداد : محمد بهجة الأثري

مصحف عثمان

قرأت في مجلة (بلاد السوفييت) الصادرة في ٥ نيسان ١٩٦٣ مقالاً عنوانه (مخطوط منذ ١٣٠٠ سنة) استرعى انتباهي وهو كما يلي :

(لا يمجدنا التاريخ بمعلومات محققة عن الظروف التي وجد بها في مدينة « سمرقند » هذا المخطوط القديم المعروف باسم « مصحف عثمان ») .

تقول الروايات ان هذا القرآن قد جمعه الخليفة عثمان بن عفان الخليفه العربي الثالث شخصياً لأكثر من ١٣٠٠ سنة خلت ، وعندما قتل عثمان كان المصحف بيده فانتثر الدم عليه . وحمل القرآن إلى سمرقند بعد حملة مظفرة قام بهـا تيمورلنك جلب منها من جملة ما جلبه هذا المصحف ووضعه في مكتبته .

وتقول رواية أخرى ان المخطوط قد جلبه إلى سمرقند (ولي الله حاج أحرار القسطنطيني) الذي حصل عليه كهدية لقاء شفائه أحد الخلفاء .

ومهما يكن من أمر ، فعندما غزت قوات القيصر الرومي تركستان كان مصحف عثمان موجوداً في سمرقند في مكتبة مسجد هذا الولي ، وفي سنة ١٨٦٩ ارسل الجنرال (فون كاوفمان) هذا المخطوط النادر إلى (بطرسبورغ) .

أما الدواعي لذلك فيقول الجنرال (ان قرآن المسلمين هذا ليست له أية قيمة ، لأنه معتبر كوثيقة رسمية تخص أمراء بخارى ولا يستطيع أحد قراءته وهو موجود هناك منذ مئات السنين ولا يصلح لشيء) .

وظل المصحف في بطرسبورغ أكثر من نصف قرن ، إلى أن كانت الثورة

الاشتراكية فطلب مسلمو روسية من « لينين » أن يعيده إلى مالكيه القدماء ، ومع ان لينين كان غارقاً في مشاغل الدفاع عن الثورة وانهاض الاقتصاد الوطني الذي هدمته الحرب ، فقد وجد من الوقت متسعاً لدراسة طلب المؤمنين باهتمام ، وأعيد المصحف اليهم ، وكانت تلك دلالة على احترام لينين للمشاعر الدينية لسكان روسية .

ومنذ سنة ١٩٢٢ أصبح مصحف عثمان مرة أخرى في طاشقند ، أرض المسلمين القديمة . ولهذا المخطوط أهمية علمية كبيرة ، ولكن بما أنه قد اهترأ فهو يحتاج إلى عناية خاصة ، ولهذا وضع متحف تاريخ شعوب اوزبكستان لدى أكاديمية العلوم الاوزبكسية ، حيث يحتفظ بالمخطوط ، اصولاً خاصة لحفظ واستعمال مصحف عثمان . وسيسمح تطبيق هذه الأصول بحفظ هذا المخطوط القديم عصوراً طويلة أخرى .

. . . يفتح الصندوق الحديدي ويدور بابه الفولاذي الضخم بهدوء فيرى المرء علبة من الخشب المتين واناء من البلور الرقيق مليئاً بالكافور .

وقال (مظفر جمالوف) الموظف العلمي في المتحف والمكلف بالسهر على الأشياء الثمينة ان الكافور يحفظ المخطوط من حشرة ضارة جداً .

ويقول الكاتب (سحبت العلبة وفتحت بعناية ، فكان في داخلها مصنف من الجلد البني الغامق المغطى بالمخمل ، وفي هذا المصنف يوجد القرآن .

لقد فعل الزمن فعله بالمخطوط ، فمن أصل ٣٥٣ صفحة لم تبق إلا / ١٥ / صفحة سليمة ، أما الباقية فمرممة . والأوراق المحفوظة هي من الرق السميك الجميلة الصنع . والوجه صقيل وأصفر أما القفا فمغضن وأبيض .

وفي كل صفحة من الصفحات الـ ٣٥٣ ، يوجد نفس العدد من الاسطر

وهو ١٢ . والكتابة مستقيمة وكبيرة وجميلة ، والأحرف متناسبة تناسباً شديداً وأبعاد الصفحات في ٦٨×٥٣ مم ، وكل ٨ أو ١٠ صفحات تشكل ملزمة . لقد قارب التعقيم الوقائي النهاية ، وهو يجري بصورة منتظمة ، فتعالج كل صفحة وكل طية بعناية بواسطة مستحضر كيمائي خاص . ثم أعيدت الملازم بعناية إلى المصنف الجلدي . وهذا وضع في العلبة الخشبية وأعيدت هذه بدورها إلى الصندوق الحديدي .

وفي المتحف صور فوتوغرافية ، لكل صفحة من صفحات المخطوط ، وقد أخذت الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى ، وكازاخستان عدة صور عن المخطوط كله لاستعمالها الخاص .

وورد في كتاب (الحلة السنية للرحلة الشامية) لمؤلفه السيد محمد بن الشيخ عمر الكيالي سنة ٢٣٣ ؛ الذي وضعه برسم استاذه القطب الرباني والعارف الصمداني الأستاذ الشيخ اسماعيل بن الشيخ عبد الجواد الكيالي عن رحلة الأستاذ الموما اليه معه من حلب إلى دمشق إلى طرابلس إلى بيروت ومنها إلى حمص وحماة وخان شيخون والمعرة ثم حلب . في الصحيفة ٣٢٠ ما يأتي (ثم طلب الأستاذ الفرجة على القلمة، وذهبنا فوجدناها خربة ما بها عمار إلا مسجداً صغيراً يعمر في بعض الأحيان بالصلاة والأذكار ، وفي ذلك الجامع المصحف العثماني ذو النور الساطع فدخلنا لذاك الجامع المذكور وصلينا الظهر ثم تشرفنا بمشاهدة المصحف المشهور ، وهو موضوع في خزانة في داخل الصندوق للحفظ والصيانة ، ففتحناه وتصفحنا منه ورقات ، ثم قرأنا لأجل التبرك منه بعض آيات ، وهو مكتوب بخط كوفي غليظ تعسر قراءته بسبب تقادم العهد مع هذا الخط الأعلى الذكي الحفيظ ، وعلى كونه في تلك الحالة له هيبة زائدة وجلالة ثم اطلعنا على آثار الدم في بعض الكلمات التي هي على شهادة عثمان رضي الله عنه براهين وبينات) .

فمن مفهوم العبارة نستدل على ان المصحف المذكور كان موجوداً في قلعة حمص، وهو مكتوب بالخط الكوفي الغليظ الذي تصعب قراءته ، ومن بعض كلماته آثار الدم التي هي برهان على شهادة عثمان رضي الله عنه وانه في ذلك الحين كان يقرأ فيه — فما هي معلوماتكم عن هذا المصحف ، هل لا يزال موجوداً ، أم نقل إلى الآستانة قبل الحرب الأولى وحفظ في متحف الأوقاف الإسلامية ، أم على ما يقال أخذه امبراطور ألمانيا يوم زار بلاد الشام ثم في معاهدة سيفر قررت الدول اعادته إلى المسلمين وتسليمه إلى الملك حسين فهل استلمه أم بقي لدى الألمان ؟ وهل يعقل أن يكون لسيدنا عثمان مصحفان عليهما آثار شهادته . واحد في سمرقند وواحد في الآستانة .

الدكتور عبد الرحمن الكيالي

هدية قيمة

كان المغفور له الأستاذ الرئيس خليل مردم بك أهدى الى المجمع العلمي العربي بدمشق عدداً من كتبه النفيسة . وقد حالت وفاته دون تنفيذ الوصية ، ورأى نجله الأستاذ الشاعر عدنان مردم بك ان يقوم بالتنفيذ خدمةً للعلم وبراً بالوالد الكريم . وقد نقلت الكتب الى مكتبة المجمع مع خزائنها وجعلت في ركن خاص يقوم شاهداً على حب الراحل الكريم للعلم وأهله .

إن المجمع الذي تربطه بالفقيد الغالي ـ رئيسه السابق ـ أقوى الروابط يستمطر شآبيب الرحمة على الفقيد سائلاً المولى أن يسكنه فسيح جنانه ، كما يشكر للأستاذ عدنان مردم بك قيامه بتنفيذ الوصية على أحسن وجه ، أكثر الله من أمثاله العاملين على خدمة العلم والأدب .

« المجلة »

أغلاط مطبعية

وردت في هذا الجزء من المجلة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٦٤	١٦	بقولُ	بقولِ
٦٦٧	١٢	وأكرهتُ	وأكرهتُ
٦٦٧	١٤	وأكرهتُ	وأكرهتُ
٦٨٢	١٩	أشتاتاً مجتمعات في اللغة والأدب	أشتات الخ .